

1

هذا ما وجد من تفسير
العلامة المحقق خاتمة المدققين
مولانا شمس الملة والدين
احمد بن سليمان بن
كمال باشا
تغمده الله
برحمته
لغفرانه

المنطاك [illegible]
سعد بتملك هذا الكتاب
العبد الفقير الى الله الغني الوهاب
عبد الحليم بن محمد الشهير باخي زاده
كتب الله تعالى له الحسنى وزيادة

صاحب الفضائل شيخ زاده
[illegible] بتملكه [illegible] اسعد
النائب ببغداد [illegible]
١٧ ربيع الآخر [illegible]

سورة فاتحة الكتاب

السورة عبارة عن طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة او من السورة التي هي الرتبة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية او القطعة من الشيء وفائدة تقطيع القرآن سوراً ان تنوع الجنس احسن من كونه بياناً واحداً وانشط للقارئ واسهل للحفظ واما افراد الانواع وتلاحق الاشكال فلا يصلح وجها لما ذكر لانه غير مراعي في ترتيب الايات وتقطيعها سوراً كما لا يخفى على من تتبع وتأمل وفاتحة الشيء اوله وخاتمته آخره اذ بهما الفتح والختم والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وقيل هي في الاصل مصدر بمعنى الفتح ثم اطلقت على اول الشيء تسمية للمفعول بالمصدر و الفاعلة في المصادر غير عزيز واضافتها الى الكتاب وهو مجموع كلام الله تعالى المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة بمعنى اللام لانه اول الشيء جزؤه واضافة الجزء الى الكل بمعنى اللام ثم ان وجه تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب والفاتحة وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة ظاهر اما تسميتها بام القرآن فلاشتمالها على كليات المعاني التي في القرآن من الثناء على الله ومن التعبد بالامر والنهي والوعد والوعيد واما التسمية بالاساس فلانها مفتتح الكتاب ومبدؤه فكانها اصله ومنشاؤه واما تسميتها بسورة الكنز فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم انها نزلت من كنز تحت العرش واما تسميتها سورة الشفاء والشافية فلقوله عليه السلام هي ام القرآن وهي شفاء من كل داء واما تسميتها بسورة الصلوة فلوجوب قراءتها فيها وقد تسمى بالصلوة كما وقع في الحديث القدسي قسمت الصلوة بيني وبين عبدي وذلك من باب تسمية الشيء باسم ما يلازمه واما تسميتها بالوافية والكافية فلانها تكفي الصلوة عن غيرها ولا يكفي غيرها عنها والمراد من الصلوة الركعتان الاخيرتان من الرباعية لان ضم السورة عليها واجب في الاوليين واما تسميتها بالسبع المثاني فلانها سبع آيات تثنى في الصلوة وقيل لانها ثنيت في النزول فانها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وفيها ان الوصف المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني يعني فاتحة الكتاب على ما نص عليه صلى الله عليه وسلم حيث قال في رواية ابي هريرة رضي الله عنه فاتحة الكتاب انها السبع المثاني

القرآن

والقرآن العظيم الذي اوتيته والاية مكية بالنص وبذلك استدلوا على مكية هذه السورة مكية فذهب وقيل مكيتها اتفاقا ووجه الدلالة ظاهر والمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة او في بعض من الاسفار وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان قراء المدينة والبصرة والشام وفقهائها عدوا انعمت عليهم آية ولم يروا التسمية آية منها وعليه مالك واصحابه وابو حنيفة واصحابه ولهذا لا يذكرها مالك في الصلوة ويسرّ بها ابو حنيفة ويقول انها آية من القرآن انزلت للفصل بين السور والافتتاح بها تبركا وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولهذا يجهر بها في الصلوة ولا دلالة في الاجماع على ان ما بين دفتي المصاحف كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين على صحة القول الثاني اذ لا يلزم من كونها كلام الله تعالى ان يكون آية من الفاتحة نعم فيما روى ابو هريرة رضي الله عنه من انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم دلالة عليها بسم الله الرحمن الرحيم فقد جاء في الخبر عن خير البشر صلى الله عليه وسلم انه كان يكتب باسمك اللهم فلما نزلت سورة هود بسم الله مجريها ومرسيها كتب بسم الله فلما نزلت سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم ففي الخبر دلالة على انه ليس من اول كل سورة ولكنها بعض آية من كتاب الله تعالى في سورة النمل وقالوا اللطف في عدم كونها آية تامة ان لا يكون الجنب والحائض والنفساء ممنوعين عنه عند كل امر ذي بال كما انها دين لم يجعل القرآن في موضع واحد لئلا يتم آية وربما يحتضر الجنب ونحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ختم عمره بسم تعلقت بفعل مقدر تقديره بسم الله اقرأ وتقديم المعمول للاهتمام والاختصاص واصله باسم بالالف حذفت لكثرة الاستعمال ولذلك ثبتت عند استعمالها بحرف آخر نحو قولك لاسم الله حلاوة في القلوب او مضافا الى اسم آخر نحو باسم ربك وطولت الباء لاجل ومن للخفض كسرت لتشابه حركتها عملها وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السين ودور الميم كان المقتبس السينات لانه جمع السنة الابانة عوضا عنها حذرا عن الالتباس ببعض المصادر كما قال الجوهري في الوبا واصله الوتار بالتشديد فابدل من احد حرفي التضعيف ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال كقوله تعالى وكذبوا بآياتنا كذابا افتتح كتابه العزيز بحرف الباء واثرها على سائر الحروف لاسيما على الالف حيث اسقطه واثبت هيئته للباء مكانه اشارة الى انها وان كان متبوعا للباء صورة لكنه من توابعها معنى

وذلك انك اذا نظرت الى صورة وضع الحروف وجدت الالف مقدما على الباء متبوعا له واذا
تلفظت بالباء وجدت الالف تابعا لها والاسم من السمو لانها رفعة للمسمى وشعار له وقيل
لدفع توهم الاستعانة بلفظ الله فقط فان القائل اذا قال بالله ابتداء فمعناه بهذا الاسم
واذا قال بسم الله ابتدئ معناه باسمه تعالى ابتدئ فان المقصود به المسمى الله اسم علم خاص
له تعالى عند الخليل ومن تبعه وعلاقة الاشتقاق بينه وبين غيره انما ينافي علميته اذا ثبت اصالة
ذلك الغير وذلك لم يثبت بعد وقيل وصف لكنه غلب عليه تعالى بحيث لا يستعمل في غيره
وصار كالعلم لا علم لان ذاته تعالى من حيث هو بلا اعتبار امر حقيقي او غيره غير معقول فلا
يمكن ان يدل عليه بلفظ ورد عليه ان المعتبر في اسم الذات تجريد الموضوع له عن معنى زائد
على الذات لا تجريد الذات عنه عند الوضع فملاحظته بوصف مخصوص لا ينافي كونها اسم ذات
اذا لم يكن ذلك الوصف معتبرا في الموضوع له على ان وضع الاعلام لا حاجة الى معرفة الموضوع
له وملاحظته بشخصه بل يكفي معرفته وملاحظته على انه بحضر ذلك الوجه في الخارج فيه
الا ترى ان الاب يضع علما لولده قبل ان يراه ولو سلم انه يستحيل ان نضع له علما ولكن لم لا يجوز
ان يسمي الحق نفسه باسم يدل على ذاته تعالى بالمطابقة ثم يعرفنا بذلك او يقال لو دل على مجرد
ذاته تعالى لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا لان
اللازم عدم دلالته وضعا على معنى زائد لا عدم دلالته عليه اصلا كحاتم فانه علم وضع
ذلك دل على معنى السخاوة لاشتهاره بها اصله اله فلما ادخلت عليه الالف واللام
حذفت الهمزة تخفيفا وعوضت عنها حرف التعريف فان قلت اذا كان دخولها قبل حذفها
فكيف يكونان عوضا عنها قلت دخولها قبل حذفها لا بطريق اللزوم وبعد الحذف
يكونان لازمين فيها باعتبار اللزوم يكونان عوضا عنها ولذلك قطعت الهمزة في يا الله
وهو اسم جنس وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلبت منكرا على المعبود بحق كبعوضة وسنة
وقد دل على ذلك اي على غلبته منكرا كلمة التوحيد ثم اختص بذاته تعالى بعد حذف الهمزة و
تعويض التعريف عنها ويدل على هذا ايضا كلمة التوحيد مشتق من اله كعبد وزنا ومعنى
ونصرا او من اله بمعنى فزع او من اله بمعنى ولع او من اله بمعنى تحيرا او من اله بمعنى سكن
او من وله كعيل وزنا ومعنى ونصرا اي تحير ودهش او من وله بمعنى طرب او من
لاه بمعنى ارتفع او بمعنى احتجب او بمعنى استتار فمجموع الاقاويل معناه المعبود للخواص والعوام
المفزوع اليه عند الامور العظام المرتفع عن الافهام الظاهر بالاعلام الذي تحير في صفاته
الاعلام وسكنت في عبادتها الاجسام وولعت به نفوس الانام وطربت اليه قلوب الكرام

3

الرحمن الرحيم اصلهما واحد لانهما من الرحمة والاول ابلغ من الثاني لان فعيلا لمن كثر منه الفعل
وفعلان لمن كثر منه وتكرر وحق الابلغ التاخير الا انه قدم لانه لاختصاصه به تعالى
كالعلم ووصفه تعالى بالرحمة ومعناها العطف ومنه الرحم من قبيل اطلاق السبب
على المسبب وهو الانعام والاحسان فان الملك اذا عطف على رعيته انعم عليهم
واحسن في حقهم وما في معنى الرحمن من الزيادة كما وكيفا حيث يقال تارة يا رحمن الدنيا
ورحيم الاخرة واخرى يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا فمرجعه الى الصيغة فان
زيادة البناء لزيادة المعنى وهذا بعد الرجوع الى الاصل واحد في الاشتقاق بشرط
الاتحاد في النوع فلا نقض بحو حاذر وحذر لان احدهما اسم فاعل والاخر صفة مشبهة
فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غير الله تعالى الا تعنتا كرحمن اليمامة والرحيم
على عكس ذلك **الحمد لله** هو الوصف والاختصاص له بالله تعالى يفصح عن ذلك قولا
عائشة رضي الله عنها نحمد الله ولا نحمدك وقول علي رضي الله عنه لا نحمد امرا حتى نجربه
بل الاختصاص له بذي علم وشعور يرشدك اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا او قول العرب في المثل السائر عند الصباح يحمد القوم السرى ومن هنا
تبين ان المحمود لا يلزم ان يكون فعلا للحامد به فضلا ان يكون مختارا فيه كما توهم وان
من وهم قيام الفرق بين الحمد والمدح بصحة تعلق الثاني بالجماد دون الاول وقد وهم
واتضح انه لا دخل لمسئلة خلق العباد افعالهم في هذا المقام لان الكلام في الحمد اللغوي
والمرجع فيه من وثق بقولهم بالنقل الصريح والاستعمال الصحيح من قبلهم عدم
اختصاص الحمد به تعالى واما حمل التعريف على الجنس دون الاستغراق فنشأ
امر اخر وهو ان مقتضى مقام الخطاب تخصيص حقيقة الحمد به تعالى تنزيلا لافراد
الحمد الثابتة لغيره منزلة العدم والقصد الى هذا المعنى ظاهر عند كون التعريف للجنس
دون الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما في جمع الامير الصاغة ويساعد فلا يوجد
استيعاب جميع الافراد فلا يتحقق مقتضى المقام والشكر بمقابلة النعمة بالقول والعمل و
يكون بالفعل كما يكون بالقول قيل داب شكور اذا اطعمته سمنة وحد وميسنه باذي علفه
وقال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فهو اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا وهو
اللسان والاركان ومقابل الشكر الكفران ومقابل الحمد الذم الذي يقابل المدح على ما
نص عليه الجوهري ومن هنا ظهر انهما مترادفان لغة واما الجنان فليس بمورد له بل هو
شرط لكون القول شكرا ولا دلالة في قول الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني

والقيد الحجيا على استقلال كل منها موردا ولما كان الحمد في مقابلة النعمة من شعب الشكر
اشيع لها وادل على مكانها لما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة
وقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده ورفع الحمد بالابتداء وخبره
لله واصله النصب على المصدر باضمار فعله لكونه من المصادر التي حقها ان يكون كذلك
ولا يذكر معها الفعل البتة كشكرا وعجبا وقد قرئ على الاصل والعدول الى الرفع على
الاول للثبات لما في الفعل من التجدد لدلالته على الازمنة ولذلك كانت تحية ابرهيم عليه السلام
احسن في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولان معناه على الرفع ان الحمد احق لله بسبب
لذاته وعلى النصب لا دلالة على ذلك ولان الغافل عن معناه وكذا الساهي عن
ملاحظته اذا تكلم به على النصب يكون كاذبا بالاخبار عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس
كذلك بخلاف ما اذا تكلم به على الرفع وانما خص الاسم المذكور ههنا ليكون المحامد كلها
مقرونة بمعانيها المسند عنه لها فانه اسم منبئ عن جميع صفات الكمال لما اخبر بانه
تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة لجميع صفات الكمال وعامة نعوت الجلال
حمدا ولم يحمد به على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام ﻫ وآثاره الجسام ﻫ من ربوبيته
للكل وشمول رحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة لعباده المؤمنين وذلك ان
ترتيب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم بالوصف يشعر بها كانه
قال حقيقة الحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها ولكمالاتها التي لا يشترك فيها
غيره رب العالمين الرب يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك والخالق والمعبود و
كل ذلك يحتمله المقام فيصح ان يراد به ههنا كل منها ولكن ذلك وجها لا يناره على المالك
ونحوه ثم ان ربوبيته تعالى بمعنى الخالقية والمالكية والسيدية والمعبودية عامة بمعنى
التربية والاصلاح خاصة بحسب انواع الموجودات منفا وته فهو مربي الاشباح بانواع
نعمه ومربي الارواح باصناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي
قلوب العارفين باداب الطريقة ومربي اسرار الابرار بالحقيقة ولقد احسن من قال
انه تعالى يملك عبادا غيرك كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وانت ليس لك رب غيره
ثم انك تتساهل في خدمته كان لك ربا سواه وهو يهتم في تربيتك كانه ليس له عبد
سواك يحفظك بالنهار عن الافات بلا عوض ويحرسك بالليل عن المخافات من غير عوض فما
احسن هذه التربية باطلاق الرب على غيره تعالى لا يجوز شرعا لا مطلقا ولا مقيدا لما رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك اسق

ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي واما قول يوسف عليه السلام ارجع الى ربك وانه
ربي فمحمول على الحكاية من الله تعالى لانه عليه السلام كان يتكلم بالعبرية فلا حاجة الى ما قيل انه
ملحق بقوله تعالى وخروا له سجدا في الاختصاص بزمانه بل لا وجه له كما لا يخفى ويجوز لغة
ولو مطلقا كما وقع في شعر الحارث بن حلزة من شعراء الجاهلية يمدح ملكا وهو الرب
والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء ، والعالمين جمع عالم وهو في لسان العرب اسم
لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والانس والجن فيقول
العرب عالم البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم السماء على ما نقله ائمة اللسان وهو جمع
لا واحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش وهو مأخوذ من العلم والعلامة فجعل اسما
لما يعلم به الصانع فان فاعل كثيرا ما يجئ في اسم الآلة التي يفعل بها الشئ كالخاتم والقالب
والطابع فجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة في الدلالة على صانع واما جمعه فلانه
لو افرد لربما تبادر الى الفهم انه اشارة الى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف او الى
الجنس والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم العهد فجمع ليشمل كل جنس يسمى بالعالم لعدم
العهد وفي الجمع دلالة على ان القصد الى الافراد دون نفس الحقيقة والجنس وانما جمع جمع
قلة والظاهر يستدعي ان يأتي بجمع الكثرة قال وهب لله ثمانية عشر الف عالم والدنيا
عالم منها تنبيها على انها وان كثرت قليلون في جنب عظمته وكبريائه واما جمعه بالياء
والنون فتغليب العقلاء منهم الرحمن الرحيم ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناء على صفاته كما قال
النبي عليه السلام فيما روي عنه يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي
ويقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى اثنى علي عبدي فذكرهما في البسملة لاستمالة
قلوب العباد على المعبودية بالرحمة والغفران وفي الفاتحة للثناء على الله تعالى بالجمال
والجلال للعقوبة والرضوان مالك يوم الدين الملك تمام القدرة وقرئ ملك من الملك وهو
التسلط العام والاستعلاء التام وهو اشد مناسبة لله تعالى والاضافة الى يوم
الدين فانه مدار الجزاء على الاعمال من الثواب والعقاب واخذ حق الضعيف من
القوي على الاستيلاء والسلطنة واضافة الملك والسلطنة الى الوقت شايع دون اضافة
الملك وقيل في ترجيح قراءة مالك ان فيه زيادة حرف وبه زيادة ثواب لقول النبي
عليه السلام من قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحت عنه عشر سيئات
ورفعت له عشر درجات واضافته الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف الجاري مجرى
المفعول اتساعا وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة اسم الفاعل انما يكون غير

فيه رد للزمخشري والبيضاوي
سلمه

فيه رد للشريف التفتازاني
سلمه

وفيه اشارة الى ان تربيته تعالى للعقلاء اصالة وبالذات
وتربيته لغيرهم تبعا وبالعرض ولهذا اخبر
عنه في قوله تعالى خلق لكم
ما في الارض جميعا
سلمه

حقيقة اذا اريد به الحال او الاستقبال لكونه في تقدير الانفصال والمراد هنا الزمان المستمر
او الماضي لقراءة ملك على المضي واليوم مدة كون الشمس فوق الارض عرفا وعبارة عن وقت
استطالة الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت المطلق لغة ليلا كان او نهارا
طويلا كان او قصيرا وهو المراد في الآية لعدم الطلوع والغروب ثمة والدين الجزاء خيرا
كان الجزاء به او شرا يقال كما تدين تدان وانما خص اضافة ملكه اليه لان الاملاك
يومئذ زائلة قال الله تعالى والامر يومئذ لله ذكر من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن
والرحيم والملك فكانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك بوجوه النعمة فانا رب
ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال
الجزاء اليك فانا مالك يوم الدين **اياك نعبد** لانك مالك **واياك نستعين** لان ما سواك
مالك ايا ضمير منفصل منصوب والكاف للخطاب مثل كاف ذلك وهو اي يا وما حرفا
التنبيه والنداء فادغم الياء وكسرت الالف لجوار الياء والعبودية التذلل والعبادة
ابلغ منها لانها غاية التذلل ولهذا اختصت بالرب عدل عن الغيبة الى الخطاب
وهو صنعة الالتفات وقد اقتضاه المقام وذلك ان من اول السورة الى هناك ثناء
والثناء في الغيبة اولى ومن هنا الى آخره دعاء والدعاء في الحضور اولى والمعنى نخصك
بأن لا يسوغ العبادة الا له لاتصافه بما ذكر من افاضة النعم الدنيوية والاخروية و
لا يجوز الاستعانة الا به لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شيء بغاية التذلل في طلب
المعونة لا نعبد غيرك ولا نستعين سواك قدم الضمير المنفصل للتخصيص والتوحيد
وقطعا لاحتمال تعلق العبادة لغيره من اول الامر لانه كقولا لا بد من الاحتياط عن ذهاب
الوهم اليه ولم يسلك في الحمد لله ذلك المسلك اذ لا بأس في تعلق الحمد لغيره تعالى
واتى الضمير المتكلم الشامل للقارئ ولساير الموحدين للتعميم والتشريك
ودرجا لعبادته في تضاعيف عبادتهم وخلطا لحاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها
ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وكان في ذلك ايفاء لكل مقام حقه فكانه يقول
انت متفرد في المعبودية ونحن شركاء في العبودية ولكن ان نقول انا اعبد معنى
التوحيد المشعر عن التكبر وان نعبد معنى التواضع المناسب لمقام العبادة و
التذلل فكانه يقول القارئ انا واحد من عبيدك وقدم العبادة على الاستعانة
تعليما للعباد وجريا على ما انطبع في الغرائز من تقديم الوسيلة على الحاجة لانه انجح لحصول
المطلوب واسرع لوقوع الاجابة واطلق الاستعانة ليعم كل مستعان عليه ثم خصصها

بقوله اهدنا ليتكرر اجمالا وتفصيلا فيدل على ان اهم المهمات الاستعانة به وبتوفيقه في
طلب الهداية والسعادة الاخروية الباقية وكرر الضمير للتنصيص على التخصيص في كل من العبادة
والاستعانة ولولا ذلك لكان التخصيص في مجموعهما ولا يلزم من ذلك التخصيص في كل منهما **اهدنا**
الصراط المستقيم الدين القويم وما يدل عليه القرآن العظيم قال علي وابي بن كعب في اهدنا الصراط
ثبتنا عليه كما يقال للقائم قم حتى اعود اليك اي دم على ما انت عليه قبل وقرئ ثبتنا وفي
التعبير عنه باهدنا اشارة الى ان المطلوب هو الثبات في ضمن التجدد يعني ثبتنا على اصل
الهداية وزدنا فيها في كل وقت والهداية دلالة بلطف ومنه الهدية وخصها كان دلالة
بفعلت نحو هديته الطريق وما كان من الاعطاء بافعلت نحو اهديت الهدية واستعمالها
في الشر كما في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فعلى طريقة التهكم فمثل طريقة التهكم كالبشارة
في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والفعل منه تعدى يتعدى الى ثاني مفعوليه باللام تارة
وبالى اخرى وقد حذف اداة التعدية على طريقة واختار موسى قومه اخراجا له مخرج المتعدي
الى المفعولين بالذات ولا بعد في ان يقصد بذلك الاشارة الى قوة الهداية المطلوبة فكانه
قيل اهدنا هداية كاملة لا تحتاج الى الواسطة وانما قال اهدنا دون اهدني رعاية للمناسبة
مع نعبد ونستعين ولان الدعاء بها كان اعم كان الى الاجابة اقرب كان بعض العلماء يقول
لتلامذته اذا قرأتم في خطب السبق ورضي الله عنك وعن جماعة المسلمين ان ذكرتني في قولك
ورضي الله والا فلا حرج ولكن اياك ان تنساني في قولك ومن جماعة المسلمين فلا بد ان يكون
في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله تعالى الدعاء في البعض فهو اكرم من ان
يرده في الباقي ولهذا السبب قالوا السنة اذا اراد احد ان يذكر دعاء ان يصلي اولا على النبي
عليه السلام ثم يذكر ذلك الدعاء ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا اجيب في
طرفي دعائه امتنع ان يرد في وسطه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بالسنة ما
عصيتموه بها قالوا يا رسول الله فمن اين لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما
عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك والصراط كالطريق في التذكير والتأنيث اما في
المعنى فبينهما فرق لطيف وهو ان الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان او غير معتاد
والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا
اعوجاج بل يكون على جهة القصد فهو اخص الثلثة وفائدة وصفه بالمستقيم ان
الصراط يطلق على ما هو فيه صعود او هبوط والمستقيم ما لا ميل فيه الى جهة من الجهات
الاربعة واصل الاستقامة في قيام الشخص اذ لا يكون منحنيا ولا منقبضا ولا مائلا

الى بين او بيانا صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد للتكرير والتفصيل
بعد الاجمال واطلق الانعام لينتظم كل نعمة شددت اللام في الذين لانها لامان والاصل
لذ مثل عم ثم دخلت الالف واللام للتعريف فالتشديد بدل من ذلك والانعام نفع الغالي
من دونه بامر عظيم خاليا عن العوض والتبعة ولما كان الكفار من جملة الذين انعم الله
عليهم على ما صرح به في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم خصهم بقوله
غير المغضوب عليهم في دار الدنيا ولا الضالين في باب الاخرة والمشهور ان نعمة الله
على نوعين دنيوية وهي او في حق الكافر لقول النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر واخروية وهي مختصة بالمؤمن ونحن نقول ان النعمة الاخروية ايضا على
قسمين نعمة نفع وهي المختصة بالمؤمن ونعمة دفع ولا شبهة في عمومها للكفار ايضا لانه
تعالى لا يعذب كافرا من الكفار بنوع من العذاب الا وهو قادر على ان يعذبه باشد منه
وترك ذلك نعمة تخفيف منه موقع عليه غير صفة مقيدة اي جمعوا بين النعمة والسلامة منها
وانما وصف المعرفة بغير تنزيلا للموصول منزلة المنكر اذ لم يقصد به معهود او رفعا لغير الى
درجة المعرفة لزوال ابهامه بالاضافة الى ما له ضد واحد اعلم ان غيرا لها ثلثة مواضع
احدها ان يقع في موقع لا يكون فيه الا نكرة وذلك اذا اريد به النفي الساذج في نحو مررت برجل
غير زيد والثاني ان يقع موقعا لا يكون فيه الا معرفة وذلك اذا اريد به شيء قد عرف
بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك اي
المعروف بمضادتك الا انه في هذا لا يجري صفة فيذكر غير جار على الموصوف الثالث
ان يقع موقعا يكون فيه نكرة تارة ومعرفة اخرى كما اذا قلت مررت برجل كريم غير
لئيم وعاقل غير جاهل والرجل الكريم غير اللئيم كذا قال صدر الافاضل وقد تبين منه ان
من قال ان غيرا لا يتعرف اصلا وان اضيف الى المعارف لم يصب وان من زعم
انه بالاضافة الى ما له ضد واحد تعين الحركة من غير السكون فقد اخطا من وجوه
اما الاول فلانه وان اضيف الى ما له ضد واحد لكنه لم يعرف ما اريد به بمضادة المضاف
اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو ولهذا لم يكن من قبيل الثاني فلم يتعين تعين الحركة من غير
السكون واما ثانيا فلانه يكون معرفة بالحقيقة على ما مر لا على التاويل كما ظنه ذلك الزاعم
واما ثالثا فلانه يكون يجري صفة وانما يذكر غير جار على الموصوف وهو في صدد توجيه
كونه صفة لما قبله وقيل هو بدل من الذين ولا يحسن ذلك لان غيرا اصل وضعه الوصف
والبدل بالوصف ضعيف والغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام

والاسم

والقانون في امثاله هو ان جميع الاعراض النفسانية مثل الرحمة والفرح والسرور والغضب
والحياء والتكبر والاستهزاء لها اوائل ولها نهايات ولنبين ذلك في الغضب فان اوله
غليان الدم وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليهم فلفظ الغضب في حق الله تعالى
لا يحمل على اوله الذي هو من خواص الجسم بل يحمل على غايته وهذه قاعدة شريفة بقي ههنا
نكتة لطيفة وهي انه صرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم لم يقل حيث قال غير المغضوب عليهم ولم يقل
غير الذين غضبت عليهم عطفا على الاول لمجيء باللفظ منحرفا به عن ذكر الغاضب فاسند
النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحسنا ولطفا قيل يعني بالاول اليهود لقوله تعالى
في قصتهم وباؤا بغضب على غضب وبالثاني النصارى لقوله تعالى في حقهم قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وهذا على وفق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان رجلا
ساله وهو بوادي القرى من المغضوب عليهم فقال اليهود وقال ومن الضالين فقال
النصارى فان قلت كيف فسر على ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب عليهم قلت
خص كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم وان شاركوا غيرهم في صفات ذم و
عليهم ههنا في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف ما في انعمت عليهم فانه في
محل النصب على المفعولية ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين وعين دخولها العطف على قوله المغضوب عليهم لما سبق غير لئلا
يتوهم في اول الوهلة بتركها عطف الضالين على الذين والضلال فقدان الطريق السوي
سواء سبقه الوجدان او لا كما في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى واما عد لتاعي
تشنيع بالعدول عن الطريق السوي عمدا او خطاء لان من طلب الطريق السوي ولم يجده
او قعد عن الطلب ضال ولا عدول ثمة لا عمدا ولا خطاء آمين مبني على الفتح كاين لالتقاء
الساكنين وجاء مد الفه وقصرها والاصل فيه القصر وانما مد ليرتفع صوت بالدعاء كذا
قال ابن خالويه في اعراب القرآن وذكر ابن درستويه ان القصر ليس بمعروف وانما قصره
الشاعر في قوله امين فزاد الله بيننا بعدا للضرورة وذلك وهم اذ لا ضرورة فانه لو قدم
الفاء وقيل فامين زاد الله ما بيننا بعدا اندفع الضرورة ولا يشدد ميمه فانه لحن والعامة
ربما فعلوا ذلك واما في قوله تعالى ولا آمين البيت الحرام فالميم مشددة لانه من امت اي
قصدت معناه على قول ابن عباس كذلك يكون وقيل اسم فعل اي استجب وروي
عن كعب الاحبار انه قال آمين خاتم رب العالمين يختم به دعاء عبده
المؤمن وليس من القرآن اجماعا وقراءته سنة في الصلوة وخارج
الصلوة بعد الفاتحة مفصولا عنها [illegible]

قوله واما عد ... للبيضاوي ... [illegible]

سورة البقرة عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء سناما وسنام القرآن
سورة البقرة ولا حجة على من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة
التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن لان ما
يكره من الامة قد لا يكره منه عليه السلام الا يرى انه قال لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وقد انكر قول الاعرابي ومن عصاهما فقد غوى وقال بئس خطيب
القوم انت **بسم الله الرحمن الرحيم الم** في الفواتح المقطعة اوجه والاوجه انها اسماء السور وعليه
الاكثر ومحلها رفع على الابتداء وقيل نصب او جر على حذف حرف الجر واضماره والمروي
عن الصدر الاول في التفسير انها اسرار بين الله تعالى ونبيه وقال بعض الكمل قد يجري بين
المحبين كلمات معميات تشير الى سر بينهما والمقطعات في اوائل السور من هذا القبيل فانه
تعالى قد اوضعها مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسع فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم
بها معه على لسان جبرئيل عليه السلام باسرار وحقائق لا يطلع عليها جبرئيل عليه السلام ويدل
على هذا ما روي في الاخبار ان جبرئيل عليه السلام لما نزل بقوله تعالى كهيعص فلما قال كاف
قال النبي عليه السلام علمت فقال ها قال علمت فقال يا قال علمت فقال عين قال علمت
فقال صاد قال علمت فقال جبرئيل عليه السلام كيف علمت ما لم اعلم **ذلك الكتاب** اصل ذلك ذا
اسم مبهم للاشارة واللام عوض عن ها التي للتنبيه ولهذا لا يجمع بينهما والكاف للخطاب
فلا دلالة في اصل وضعه الى البعد وانما ذلك بحسب العرف الطاري فالاشارة به ههنا
الى الحاضر اما على الوضع اللغوي او لان ما لا يحس بالبصر فالاشارة اليه بلفظ ذلك وهذا
سواء لانه من حيث انه لا يحس بالبصر اشبه المحسوس الغائب ومن حيث انه مدرك
بالعقل او السمع اشبه المحسوس الحاضر فصح فيه استعمال اللفظين ولهذا قال جمع من ائمة
التفسير والعربية ان معنى قوله تعالى ذلك الكتاب هذا الكتاب وتذكيره لان المشار
اليه المسمى وهو ذلك البعض من القرآن ليس بمؤنث وكذا اسم المذكور وهو الم ليس بمؤنث
نعم له اسم آخر مؤنث وهو السورة لكن الاشارة ليست باعتبارها فلا حاجة الى التأويل
في تذكيره وهو مبتدأ ثان والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والمعنى ان ذلك هو الكتاب
الكامل او خبر المبتدأ والكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود مصدر بمعنى المفعول
قال الراغب الكتب ضم اديم الى اديم بالخياطة وفي المتعارف ضم الحروف بعضها الى بعض
في اللفظ ولهذا سمي كتاب الله وان لم يكتب كتابا ومن قال اطلق على المنظوم عبارة قبل ان
يكتب لانه مما يكتب فكانه لم يعرف بين الخط والكتابة **لا ريب فيه** في محل الحال والعامل فيه معنى

الكتاب

7

الاشارة فيه اشارة الى كماله في نفسه وقوله هدى اشارة الى كونه مكملا لغيره فيكون وصفا
له بالتكميل بعد وصفه بالكمال قال الراغب في الفرق بين الشك والمرية والريب ان الشك
وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح احدهما على الآخر بامارة والمرية
التردد في المتقابلين وطلب الامارة مأخوذ من مرى الضرع اي مسحه للدر فكان يحصل
مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن والريب ان يتوهم في الشيء امر ما ثم ينكشف
عما توهم فيه ولما كان الريب اضعف كان نفيه ابلغ ثم ان المنفي عنه منشأ الريب لا نفسه
لانه حالة قائمة بالمرتاب لا يحتمل ان توجد في نفس الكلام فلا حاجة الى نفيها بل الاوجه
له في مقام المدح فتأخير الظرف لان الحصر المستفاد من تقديمه باطل لان باقي الكتب
السماوية ليس بمعجز فلا قطع لعروق الريب فيه بل لتجريد الكلام لما سيق له فان المفهوم
من الحصر المذكور فضلة في المقام واختيار ما هو احسن نظما وتوسيع دائرة القراءة على
ما ستقف عليه باذن الله تعالى وقرئ لا ريب بالتنوين والرفع والقراءات المشهورة
توجب الاستغراق وهي تجوزه **هدى للمتقين** المتارفين للتقوى الصائرين اليه فيه مجاز
والمجاز ومما من اقوى اسباب الاعجاز ونكتة المجاز التنبيه على قوة ترتب اهتدائهم على
هدايته بحيث لم يتخلل بينهما زمان فكان هدايته بالذين يهتدون به هداية بالمهتدين
وانما لم يقل هدى للضالين لئلا يندرج تحت عموم المطبوع على قلوبهم هدى
مبتدأ خبره فيه قدم عليه محققا على قراءة من وقف على لا ريب ومقدرا على قراءة من
وقف على فيه للعناية والاستمام تنبيها على ان المقصود بالاخبار كون الكتاب متضمنا لهدا(بينهم)
لا كونهم مهتدين به والمحافظة على الفاصلة وايثار الظرف على الضمير المنفصل للاشارة
الى ان الهداية من بعض الفوائد التي تضمنها وتنكيره للتعظيم والهدى في الاصل مصدر
على فعلى كالسرى وقد مر تفسير الهداية وما يتعلق به والتقوى على ما قال علي رضي الله عنه
ترك الاصرار على المعصية والاعتزاز بالطاعة والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى
والوقاية فرط الصيانة وقيل المتقي من سلك سبيل المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا
وكلف نفسه الاخلاص والوفا واجتنب الحرام والجفا ولو لم يكن فضل الا ما فهم
من هنا لكفى فانه تعالى بين في مواضع ان القرآن هدى للناس وقال هنا هدى
للمتقين فكانه تعالى قال ان المتقين هم كل الناس فمن لا يكون متقيا ليس منهم ولما كان
معنى قوله للمتقين للذين يتقون صح ان يكون قوله **الذين يؤمنون** موصولا بالمتقين
على انه صفة مجرورة او مدح منصوب بتقدير اعني او مرفوع بتقدير هم واما فصله عنه

على انه مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى تضعيف لانقطاعه عما قبله والروايات توجب الاستيناف مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه به وبنى الاستيناف على تقدير ان يسال ما للمتقين مخصوصين بذلك فلا يتم الجواب الا بمجموع القصتين فيكون القطع بينهما لكمال الاتحاد والظاهر انه لكمال الانفصال فى الغرض والاسلوب على ما شهد لذلك تصدير القصة الثانية بان المشعرة بالاخذ فى فن آخر والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم نقل الى التصديق فقيل آمنه التكذيب والمخالفة ثم ضمن معنى اقر واعترف فعدي بالباء **بالغيب** اي بما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة حيث لا يدركه واحد منهما لا بالبداهة ولا بالاستدلال بعني احوال البعث والجنة والنار كما فى قوله تعالى الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين ولقوة غيبته حيث غاب عن مظهري الحس والعقل عبر عنه بالمصدر كما يقال لمن بلغ الغاية فى العدالة عدل ولكماله فى معنى الغيبة حيث لم يكن استحضاره لا بالبديهة ولا بالنظر عرف بتعريف الجنس كان معنى الغيبة انما تم فيه وبانى الغائبين بمنزلة الشاهد نظرا اليه ففيه اشارة الى قوة تصديقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ووفور اعتقادهم بنبوته حيث صدقوه فى اخبار لا طريق الى العلم بصدقها الا بالحس ولا بالعقل لا بالبديهة ولا بالكسب وعدم التعرض للتصديق بالمبدأ للتنبيه على ان شانه تعالى اظهر الامور بحيث كان التصديق به تصديقا باجلى المعلومات فلا يناسب ذكره فى مقام المدح بالتصديق باخفى المجهولات وفيه نعي على الدهرية على وجه ابلغ **ويقيمون الصلوة** اقامة الشئ جعله قائما والقيام انتصاب القامة ولما كانت هيئة الانتصاب اكمل هيئات من له القامة واحسنها استعيرت الاقامة للتكميل والتحسين ومنه اقام الامر اذا اتمه وجاء به بجميع حقوقه وايضا لما كان استعمال من له القامة باقامتها استعيرت الاقامة للاستعمال ايضا ومنه اقام القوم سوقهم اذا اشغلوها ولم يعطلوها فالمعنى على الاول يعدلون اركانها ويكملون حدودها وعلى الثاني يحافظون عليها فى مواقيتها ولا يعطلونها والصلوة الاذكار المعروفة والافعال المشهورة واصلها الدعاء قال تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وفيما نقلها الشرع اليه اشتمال على الدعاء وفائدة الاطناب بزيادة الاقامة التنبيه على انه لم يرد ايقاعها فقط ولهذا لم يامر بالصلوة ولم يمدح بها الا بلفظ الاقامة نحو اقم الصلوة والمقيمين للصلوة ولم يقل والمصلين الا فى المنافقين حيث قال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ومن ثمة قيل المصلون كثير والمقيمون لها قليل كما قال عمر رضي الله

الحاج قليل والراكب كثير وكثيرة من الافعال التي حث الله تعالى على توفية حقه ذكره بلفظ الاقامة نحو ولو انهم اقاموا التورية والانجيل واقيموا الوزن بالقسط ولما كان المعنى يعبدون الله تعالى بكل من نوعي العبادة البدنية والمالية عقبه بقوله **ومما رزقناهم ينفقون** وقدم ما هو الاشرف بالتقديم احق لانه ام العبادات وعماد الدين وانما لم يقل ويؤتون الزكوة لئلا يختص المدح بالاغنياء وايضا لما ذكر البدنية مطلقة شاملة للواجبة منها وغير الواجبة ناسب ان يذكر المالية ايضا على وجه الاطلاق والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان واصله الحظ والنصيب من اي نوع كان ثم شاع اطلاقه على ما اعطى الله تعالى عبده ومكنه من التصرف فيه حلالا كان او حراما لقوله عم لقد رزقك طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه فكان ما احل الله لك من حلاله واما ما قيل لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن للمتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فيرد عليه ان الملازمة مسلمة وكذا بطلان التالي مسلم انما الشان فى وقوع المقدم فافهم نعم هو محمول هيهنا على المباح دون المحظور بقرينة اضافته الى الله تعالى فان ما يضاف اليه تعالى بخصوصه مفصلا حقه ان يكون خاليا عن الكراهة فضلا عن الحرمة وان كان قد يضاف اليه الافعال كلها على سبيل العموم والاجمال وانما حث على الانفاق والمدح للمنفق وكونه من المتقين فانما يصلح قرينة لكون المنفق مباحا ولا دلالة فيه على عدم كون الرزق الذي ذكر المنفق بعض منه مشتملا على الحرام وزيادة حرف التبعيض للحث على الاقتصاد المحمود لان الجود الذي هو وسط بين الاسراف والاقتار قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ففيه اخبار صريح فى حق الغائبين ونهي ضمني فى حق الحاضرين واما التبذير فلا حاجة للاحتراز عنه الى اداة التبعيض لانه بمعزل عن مظنة المدح به كيف وهو حرام منهي عنه بابلغ وجه فى قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين بخلاف الاسراف فانه قد شاع انه لا اسراف فى الخير فكان مظنة ان يمدح به ولما كان المدح باعتبار تخصيصهم الانفاق بالبعض الحلال من رزقهم لا بالانفاق مطلقا كان ذكر المفعول وتعيينه اهم من الاخبار عن نفس الفعل فقدمه عليه اظهارا للاهتمام به والاعتناء بشانه ومحافظة على الفاصلة والانفاق صرف المال الى الحاجة لا نفاده واذهابه مطلقا فالاحراق مثلا ليس بانفاق **والذين يؤمنون** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واحزابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا وليسوا باهل الكتاب وهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان الكريمتان تفصيلا للمتقين وانما قدم غير الكتابي لان تصديقهم بتلك الغيبة

اغرب اذ هم لم يسمعوا شيئا منها الى ان اخبر به النبي عليه السلام فهم بالمدح بذلك الوصف احق
ومن ذلك تبين وجه تخصيص التعبير بالغيب عن المصدق به في حقهم مع ان متعلق التصديق
لكلا الفريقين واحد وظهر ان ما فصل بقوله **بما انزل اليك** اليك اصله الاكد قلت فرقا
بين الاضافة الى المكي وغيره والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني
بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها كما في انزال القرآن فانه انزل جملة من اللوح الى سماء الدنيا
ثم نزل منها على لسان جبريل عليه السلام منجما على الرسول عليه السلام او للنقوش الدالة عليها
كما في انزال التورية فانها قد انزلت على موسى عم مكتوبة على الالواح فان كان المراد جميع ما
انزل اليه عليه السلام الى حين نزول هذه الآية كما هو الظاهر فالامر هين فان الايمان
بالمترقب غير واجب وذلك هين وان كان المراد مجموع القرآن والشريعة فبناء على تنزيل
المترقب منزلة النازل لتحقق وقوعه او لارتباط بعضه ببعض كالشيء الواحد ونظيره قولك
كل ما خطب به فلان فهو فصيح ولا تريد به الماضي فقط بل الآتي ايضا او تغليب النازل على
ما لم ينزل وفي يؤمنون اشارة الى ان القرآن غير متفاوت الا بعاص في البلوغ الى حد الاعجاز
فمن آمن ببعض يؤمن بكله لا محالة والعدول عن صيغة الماضي الى المستقبل لما فيه من الحدوث
التجددي المتضمن للاشارة الى ان ايمانهم بما انزل اليه عليه السلام يتجدد بحسب تجدد نزول
الآيات والاحكام والى ان ايمانهم بما انزل من قبله ايمان حادث لا ايمان ثابت لان
ايمانهم السابق الكائن في الحقيقة لا تصديق به وقدم الايمان بما انزل اليه لاصالته حيث
كان صحة ايمانهم بما انزل من قبله في ضمن الايمان بما انزل اليه وبسببه ولهذه النكتة
لم يتكرر الباء في قوله **وما انزل من قبلك** كما كرر في آمنا بالله وباليوم الآخر والمراد بذلك ما انزل على
الانبياء الذين كانوا قبل محمد عليه الصلوة والسلام والايمان به واجب اجمالا لان الله تعالى
ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفة تفصيله نعم ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا
الايمان بتلك التفاصيل **وبالآخرة** تانيث الآخر صفة للدار كما في قوله تعالى تلك الدار الآخرة
او للنشاءة كما في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشاءة الآخرة سميت بذلك لانها متأخرة زمانا عن
الدنيا او النشاءة الاولى وقيل للدنيا دنيا لانها ادنى من الآخرة رتبة **هم يوقنون** تقديم الظرف
للقصر عليه كما في قوله تعالى لالى الله تحشرون وتقديم المسند اليه وبوضعه مع بناء الفعل عليه
ايضا للقصر عليه كما في قولك انا سعيت في حاجتك والقصران اضافيان كما هو الغالب في استعمال
البلغاء والمعنى المستفاد من القصر الاول ان ايقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها
الى ما هو على خلاف حقيقتها وتعريض بسائر اهل الكتاب وبما هم عليه من امر الآخرة

والمعنى المستفاد من القصر الثاني ان الايقان المذكور لا يتعداهم الى غيرهم وهذا تعريض بانهم على
جهالة في امر الآخرة والايقان اتقان العلم بازالة الشك والشبهة عنه فاليقين هو العلم بالشيء
بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يطلق على علمه تعالى قال الامام ويقال ذلك في العلم الحادث
بالامور سواء كان ذلك ضروريا او استدلاليا فيقول القائل تيقنت ما اردته بهذا الكلام
وان كان قد علم مراده بالاضطرار ويقول تيقنت ان الاله واحد وان كان علمه بالاكتساب
اولئك اي اهل هذه الصفات فيبنى الحكم على الوصف فيتقيد باتصافه وهذا معنى الاختصاص
واولاء كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو هم جمع لا واحد له من لفظه بني على الكسر والكاف للخطاب
والجملة استيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة **على هدى** مثل لتمكنهم
من الهدى شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ
كنهه نحو لقد وقعت على لحم ومعنى كونهم على هدى تمسكهم بموجب الدلائل لان الواجب
على المتمسك بالدلائل ان يدوم على ذلك فكانه تعالى لما مدحهم بالايمان بما انزل الله
عليه اولا مدحهم بالاقامة على ذلك ثانيا **من ربهم** نفي الكسب واثبات كونه بمحض العناية و
العطاء كالشيء الذاتي المقارن لوجودهم في اول الكون وفيه زيادة تعظيم لتلك الهداية
واضافة الرب اليهم للتشريف فكما يفيد اضافة العبد اليه تعالى تشريفه فكذلك اضافته
اليه بعينه بل ذلك اقوى افادة له **واولئك** اعاد اسم الاشارة تنبيها على ان المقتضي للفلاح
ايضا هو اتصافهم بتلك الصفات وان كل واحدة من الاثرتين لهم بالاستقلال والانفراد
لا بتبعية احدهما للاخرى ولو انفردت احدهما لكفت في تميزهم بالكمال واتيانهم
على غيرهم وتوسيط العاطف لتناسبهما في الوجود حيث كان احدهما علة للآخر وتغايرهما
في المعنى المقصود فان الهدى حاصل في الدنيا والفلاح في الآخرة فالجملتان متوسطتان
بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بخلاف كالانعام والغافلون في قوله تعالى اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فانهما شيء واحد بحسب المقصود والمآل
وان تعددا بحسب اللفظ والمفهوم **هم المفلحون** هم فصل يفصل الخبر عن الصفة و
يؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك والمفلح الظافر بمطلوبه والفلاح الخير المقطوع ومنه يقال الفلاح
للمكادي والاكار لقطعهما الارض في السكرآء والكراب وفي المثل الحديد بالحديد يفلح اي
يقطع يصلح والتعريف للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم هم المفلحون
في الآخرة والاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم والادلالة

في الآية على خلود الفساد من اهل القبلة في العذاب لان الغاية يطلوبه في الآخرة من زحزح عن النار وادخل الجنة فالمعذب بالنار وان لم يخلد فيها غير مفلح نعم لو قيل ان فيها دلالة على ان الفاسق بل تارك الصلوة وان كان تائبا لابد من العذاب لاحتيج في جوابه الى ان يقال ان المراد المفلحون الكاملون في الفلاح **ان الذين كفروا** لما اخذ الكلام في تقرير ما سبق له الى ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقب على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار المطبوع على قلوبهم بحيث لا يجع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف والدعوة والانذار وانما فصل بينهما لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لبيان شان الكتاب والثانية سوقها لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال والتاكيد بان لان الخبر قد بولغ فيه وعلق بما عسى ان يستنكر او يستبعد والتعريف للاشارة الى ناس معهود بن اخرج ابن جرير وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به الكفار من اليهود خاصة وهو الظاهر بقرينة ابلاء المؤمنين من اهل الكتاب ولان السورة مدنية واكثر الخطاب فيها لليهود والكفر في اللغة الستر ومنه سمي الزراع كفارا لانه يستر البذر ونقل في الشرع الى عدم قبول ما علم مجي الرسول عليه السلام به عقدا او قولا لما فيه من ستر نور الفطرة الاصلية الذي هو بذر الكمال هذا هو الكفر المقابل للايمان المحض واما الكفر المقابل للايمان الشرعي الذي لابد فيه من الاحتراز عن امارات عدم قبول ما ذكر فيكفي في تحققه وجود احدى تلك الامارات والاخبار بلفظ المضي نظرا الى حال المخاطب لانه مقصود بالافادة والمتكلم ليس زماني فلا يختلف الاخبار بحسب دلالتها على الازمنة الثلثة نظرا اليه **سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم** اي مستو عدل عنه مبالغة وايثارا للاسم على الوصف لتجرده عن معنى الحدوث وتمحضه للدلالة على الثبوت والسواء الاعتدال في الوسط والوسط الاعتدال في المقدار ولكون ذلك الاستواء ضارا لهم غير نافع قال سواء عليهم ولم يقل سواء لهم والفعل في تأويل المصدر وانما عدل عنه لما في الفعل من ابهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام ولمجرد الاستواء والمعنى سواء عليهم الانذار وعدمه فالانذار وما عطف عليه مبتدأ في المعنى وسواء الخبر والجملة خبر ان وانما قلنا ان سواء هو الخبر لانه موضع الفائدة الخبر والشك انما وقع في استواء الانذار وعدمه لا في نفس الانذار ومن هنا خرج وجه العناية الداعية الى تقديمه ولفظ الاستفهام لا يمنع عن ذلك اذ المعنى على البيني والتحقيق لا على الاستفهام لما عرفت من ان الهمزة هنا مستعادة للتسوية والانذار الاعلام بالتخويف وقال ابن عطية ولا يكاد يكون بالتخويف

الا في تخويف يسع زمانه الاحتراز فان لم يسع زمانه الاحتراز كان اشعارا والاقتصار عليه لان الكفار ليسوا اهلا للبشارة المطلقة والبشارة المعلقة على الايمان يتغلب في حقهم انذارا لانهم مصرون في الكفر مصممون عليه فينتظم الانذار هذا القسم من البشارة في حقهم **لا يؤمنون** مفسرة لاجمال ما قبلها فلا محل لها او خبر ان وما قبلها اعتراض ولا دلالة في الآية على وقوع التكليف بما لا يطاق لان الاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه واستحالة الكذب على الله تعالى اللازم على تقدير وقوع ما اخبر بعدم وقوعه انما تدل على عدم وقوع الملزوم لا على عدم كونه مقدورا فان استحالة اللازم لا يستلزم استحالة الملزوم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك حكم بالتسوية نظرا لهم دونه عليه السلام ولما كان مظنة ان يسال عن سبب الحكم السابق لغرابته استانف الجواب عنه بقوله **ختم الله** الختم والطبع الاثر الحاصل عن نقش ويتجوز به عن الاستيثاق من الشيء والمنع منه نظرا الى ما يحصل بالختم على الكتب والابواب بالمنع وقد يقال ذلك ويعنى به بلوغ آخر الشيء نظرا الى انه آخر فعل في احراز الشيء ومنه ختمت القرآن ولم يرد به هنا الختم في بدء الفطرة ليكون التكليف ضائعا ويخالف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان كل مولود يولد على الفطرة اي على الخلقة القابلة للاسلام ويخرج النعي عليهم شناعة صفتهم مخرج التشنيع على فاقد البصر بعدم الابصار بل اراد الختم بعدما اعرضوا عن الحق واصروا على ذلك عليها ورد في قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وافصح عنه ما روي ابن عمر رضي الله عنه مرفوعا قال الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله بعث الله الطابع فطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا فالاسناد اليه تعالى مجازي لكن المسند على حقيقته **على قلوبهم** اريد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد **وعلى سمعهم** السمع محل القوة السامعة والاذن وكان في الاصل مصدرا ولذلك وحد في مواضع الامن من اللبس جريا على مقتضى الاصل واعادة الجار للدلالة على ان الختم على السمع بالاستقلال والاصالة لا تبعا لختم القلب لان الختم على السمع لا يتبع الختم على القلب بل الامر على العكس فان الختم على السمع يتبعه الختم على القلب في الجملة ولذلك ترك اعادة الجار حيث قدم ختم السمع على ختم القلب في قوله تعالى ختم الله على سمعه وقلبه واما ذكره في قوله **وعلى ابصارهم** فليس باعادة لانه متعلق لما بعده فان الابصار داخلة في حكم التغشية دون الختم بخلاف الاسماع لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم ولان التغشية

ليست بالغة للسامعة عن الادراك بخلاف الباصرة **غشاوة** رفع بالابتداء وتقديم الخبر للاهتمام
فان المقصود بالاخبار كونها على الابصار والعدول الى الاسمية لافادة الدوام والثبوت
تقوية لحكم التغشية وجبر النقصانه عن حكم الختم وقرئ بالنصب عطفا على المختوم من
باب الاستغناء باحد الفعلين عن الآخر فان العرب اذا اجتمع فعلان متقاربان
في المعنى ولكل واحد متعلق على حدة جوزت ذكر احدهما وعطف متعلق الآخر المتروك على
المذكور كقوله متقلدا سيفا ورمحا والمصير الى تقدير فعل او الحذف والايصال في مثل
هذا من ضيق العطن ولولا الوفاق على الوقف على سمعهم لجاز ان يكون غشاوة اسما وضع
موضع مصدر من معنى ختم لان معنى ختم غشي وستر كانه قيل تغشية على سبيل
التأكيد ويكون قلوبهم وسمعهم وابصارهم مختوما عليها مغشاة ولما كان الختم والتغشية
سببا مما اقترفوه ناسب تعقيبه بوعيد وبيان لما يستحقونه لا على وجه التفريع
كيلا يتوهم ان ما سبق من الختم والتغشية سبب لذلك فقيل **ولهم عذاب عظيم** اللام
الجارة اذا اتصلت بالضمير غير الياء بنيت على النصب والعذاب كل ما يمنع من المطلوب
يقال عذب الرجل وعذب لم يأكل غير صائم والعظيم شديد القوة ومنه العظم والزايد
القدر وذلك في الدنيا الاسار وفي العقبى النار والمعنى ان تلك الطائفة مخصوصة من
بين الطوائف بنوع من العذاب على ان التنوين للتنويع كما في غشاوة اي نوع من
العذاب لا يتعارفه الناس وفائدة التهويل وتوصيفه بالعظيم تأكيد له وتركه في الغشاوة
تنبيها على الفرق بين معاني التهويل فان الاول في احوال الدنيا والثاني في احوال الآخرة وكم
بين الحالين وما بينهما من التهويلين ثم بعد ذكر المؤمنين واحوالهم والكافرين وافعالهم
ذكر المنافقين واقوالهم واعمالهم وخصالهم بقوله **ومن الناس** الناس اصله اناس جمع
انسان ولذلك لا يستعمل الا في معنى الجماعة كقوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله قد علم
كل اناس مشربهم وقوله انهم اناس يتطهرون فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف
وهي هنا للعهد ومن في قوله **من يقول** موصولة والقول عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على
وجه الحكاية وحد يقول نظرا الى لفظة من وجمع من نظرا الى معناها باعتبار جهة وحدة عند
ذكر مقالهم وجهة تعدده عند بيان احوالهم اشارة الى انهم وان كانوا متفرقين على عقائد
شتى في الكفر الباطن لكنهم مجتمعون على كلمة واحدة في اظهار النفاق وحق هذا الصنف من
بين الاوصاف بمبالغات وتشديدات واوجز نظم قصتهم ابرازا عن بناحيث قدم
الخبر على المبتدا وابهمه غاية الابهام ونكر المبتدا ووصفه بصفات عجيبة ليشوق السامع

الى ذكر ما بعده من قبائحهم وتكريرهم نعيا عليهم وتعجيبا من شانهم يعني انظروا الى هؤلاء الخبثة
وقبح ما ارتكبوه كيف اختصوا من بين ساير الناس بما لم يرض العاقل ان ينسب اليه ولما
كانت فائدة الاخبار بكونهم من بعض الناس استعظام ان يكون من جنسه من اختص بتلك
هذه الصفات فانها تنافي الانسانية بحيث كان ينبغي ان لا يعد المتصف بها من جنس الانس
ناسب تصديره الكلام به وان كان حقه التأخير وهذا النوع من الاعتبار اللطيف مداره
على دلالة رابعة خطابية لا يعتبرها الا البليغ الآخذ بمعونة المقام واقتضاء الحال فلا يطال الاطراد
وهذا الصنف ابغض الكفرة الى الله تعالى وامقتهم عنده لاستعدادهم للاهتداء وامكان
قبولهم لذلك لعدم انطفاء نور الفطرة فيهم مع بقائهم على الكفر وخلطهم بالكفر تمويها و
تلبيسا واستهزاء وخداعا وقصتهم من آخرها معطوفة على قصة المصرين والاقتصار في
وصف الكفار المصرين المطبوع على قلوبهم على آيتين والاطناب في وصف المنافقين في
ثلاثة عشر آية للاضراب عن اولئك صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدي عليهم الخطاب
واما المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعبير وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم
وتقطيع شانهم وسيرتهم وتهجين عاداتهم وخبث نياتهم وسريرتهم وينتهوا بتقبيح صورة
حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وينقاد نفوسهم ويزول في
بواطنهم وتضمحل رذايلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنين في قوله تعالى
الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بحبل الله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين
آمنا بالله وباليوم الآخر اي يوم البعث وتوصيفه بالآخر لتأخره عن الدنيا والمراد
صدقنا بالمبدا والمعاد وفيه احاطة الايمان بقطريه وفي تكرار الجار ادعاء التصديق
بكل منهما على الاصالة وما قبل فيه ايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه
فكيف بما يقصدون به النفاق فان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم
الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل
ايمانهم مبناه على ان يكون التصرف بتخصيصهما بالذكر في الحكاية دون المحكي وذلك
خلاف الظاهر ثم ان غشيه ما ذكر على تقدير ان لا يكون مرادهم من الايمان بالله
وباليوم الآخر التصديق بجميع ما لا بد منه في دين الاسلام والظاهر خلافه على ما مر الاشارة
اليه ثم ان بيانه بقوله فان القوم كانوا الخ انما يفيد انهم مخطئون فيما يعتقدون انهم
مصيبون فيه الا انهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه لان الخطأ لا يستلزم النفاق

وذلك ظاهر بل نقول شرط النفاق الكتم وهم لا يكتمون ذلك **وما هم بمؤمنين** ما نافية غير ليس ولهذا اعملت بالباء والضمير للمعهودين والمعنى نفي ما انتحلوا اثباته ولاجل التاكيد والمبالغة في نفي ايمانهم جاءت الجملة المنفية اسمية مصدرة بهم وسلط النفي على اسم الفاعل الذي ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الازمان وجرد الكلام للدلالة على ما سيق له ولم يؤت بشيء زائد عليه الا ما يشد من عضده كحرف الباء لتاكيد النفي واطلاق الايمان في سياق النفي وكان مقيدا في الاثبات لانه غير معتبر فمن اطل ببعض ما لا بد منه ليس بمؤمن اصلا لانه مؤمن ببعض دون آخر والآية الكريمة لا تنهض حجة على الكرامية لا لانهم يشترطون في ذلك الشهادتين ايمانا عدم مخالفة القلب اللسان اعم من ان يكون موافقا له او فارغا عنهما لان احتجاجهم بانه تواتر ان الرسول عليه السلام والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم كانوا يقنعون بالكلمتين ممن اتى بهما ولا يستفسرون عن علمه وتصديقه القلبي فيحكمون بايمانه بمجرد الكلمتين فعلمنا ان الايمان بلا علم ولا عمل صحيح في عدم الاشتراط بالقيد المذكور بل لان كلامهم على ما دل عليه سياق احتجاجهم في الايمان الشرعي المعتبر عندنا في اجراء احكام الاسلام في الدنيا لا الايمان الحقيقي المعتبر عند الله تعالى المنجي عن الخلود في النار فلا يندفع قولهم بالاجماع على ان المنافق كافر ولا بالاجماع على ان من همّ بالشهادتين فمنع مانع من خرس او خوف مؤمن **يخادعون الله** يعني رسوله فالتجوز في الاسناد تفخيما لشانه عليه السلام وتنبيها على ان المعاملة معه فيما يتعلق بالرسالة معاملة مع المرسل في الحقيقة وكونهم من اهل الكتاب العارفين بانه تعالى لا يخدع فلا يناسبهم قصد خداعه وانما يناسبهم قصد خداع الرسول لانهم ينكرون نبوته كفى قرينة للمجاز والمعنى يعملون له عمل المخادع والخداع اظهار ما يخالف الاضمار ويراد به التعريف ومنه الاخدعان لاستتارهما تارة وظهورهما اخرى وانه مفاعلة من واحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وما في الصيغة من المبالغة للافصاح عن بلوغهم الغاية في وجهي النفاق اي ببيان ليقول او في موضع الاستيناف يذكر ما هو الغرض منه كانه سئل عن اصل دعواهم وعن كيفية مبالغتهم فيه المنفهمة من ذكر الايمان يتطرّيه وتكرير الباء فاجيب عنهما معا عن الاصل بالاصل وعن الوصف بالوصف وعلى تقدير اعتبار الخداع من الجانبين يزيد البيان على قدر الحاجة ويفصل الكلام عن مقتضى المقام **والذين آمنوا** يجوز ان يكون ذكر الله تعالى توطئة والمراد يخادعون المؤمنين من قولهم اعجبني زيد وكرمه وفائدة هذه الطريقة بيان قوة اختصاصهم ولو بهم من الله تعالى

بمكانه ومنه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله **وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون** بنفي النفي واثبات شيء من المناسبة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده وخدع اذا بلغ مراده فلما لم ينفذ خداعهم فيما قصدوا لما كان يخادعه ولما وقع ضرره فعلهم على انفسهم كان في حق انفسهم خدعا اي لم يرجع وبال خداعهم الا اليهم لانهم لما سلكوا مسلك الخداع نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل من النار فكانت مفسدة خداعهم راجعة الى انفسهم والواو عاطفة الجملة على الجملة وفي ما يشعرون واو الحال او بالعكس والشعور هو الادراك الحسي ومشاعر الانسان حواسه الظاهرة والباطنة اي ما يحسون ان ضرر الخداع لا يحيق الا بهم لتمادي غفلتهم فانه من شدة ظهوره كالمحسوس المشاهد فكانه لا حس لهم اصلا وليس نفي الشعور هنا كنفيه في قوله تعالى ولا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون لانه لبيان العذر من جهتهم وهذا لتعظيم الامر على المنافقين وانهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما قال جهلت ولم تعلم بانك جاهل وذاك لعمري من تمام الجهالة **في قلوبهم** آثر حرف الظرف على اداة الملابسة ليدل على الاستقرار والرسوخ **مرض** اي تردد واضطراب استعير المرض للعرض النفساني وتنكيره للتنويع اي نوع مرض ليس مما يتعارفه الناس شبههم بمرضى لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون لهم الخلاف بالقلب فكانت حالهم كحال المريض اذ هو مشرف على الموت ويرجى الاقبال منه تارة واما سائر الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول ما اضمروا بالقلب فسماهم تعالى موتى وسمى المؤمنين احياء لانهم اطمأنوا على الايمان قولا وعقيدة **فزادهم الله مرضا** بتكرير الوحي وازدياد التكاليف ولا يجوز في الاسناد كما توهم من لا يرى صدور القبيح عنه تعالى ولا يدري ان القبح بالنسبة الى الكاسب لا بالنسبة الى الفاعل واصل الكلام فزاد الله مرضهم وانما عدل اليها في النظم لنكتة سرية فلا دلالة في تكرير المرض الثاني على مغايرته للاول حقيقة كيف وفي تصدير الكلام بالفاء دلالة على تفريع الثاني على الاول **ولهم عذاب اليم** اي مؤلم نحو سميع وخصيب بمعنى مسمع ومخصب ذكره الراغب وصف به العذاب للمبالغة وانما وصف المختوم على قلوبهم بالعظم لانهم حرموا عن جدوى المشاعر وحجبوا عن عالم النور وحبسوا في سجون الظلمات فما اعظم عذابهم وان لم يحسوا بالامهم كعضو الميت والمفلوج وعذاب المنافقين لشدة الايلام لان مشاعرهم غير ماؤفة لعدم انطفاء نور فطرتهم والالم يتقدر بادراك المؤلم فلمنافاة نور استعدا

دهم

لما رسخ فيهم من الرذائل والملكات الردية والصفات الظلمانية بالمؤمن وكان ادراكهم لذلك اشد ايلاما وعذابهم اقوى ولذلك لو ان كانت عذاب الاولين لشدة حجابهم وغاية بعدهم من النور اعظم لعدم منافاة ذواتهم لصفاتهم وضعف ادراكهم لذلك لم يحسوا بالالم بخلاف هولاء **بما كانوا يكذبون** بسبب تمرنهم في الكذب فان زيادة كان في مثل هذا للافادة في الاعتبار وفيه دلالة على ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم الذي هو ادنى حالهم في الكفر والنفاق فكيف ساير الاحوال ولا دلالة فيه على ان الكذب وهو الاخبار بالشيء على خلاف الواقع يستحق به العذاب مطلقا كيف وقد صرح في كتب الفقه ان الكذب لاحياء الحق مباح وقال الامام الغزالي اذا اختفى مسلم من ظالم وسال عنه وجب الكذب باخفائه **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** عطف على يقول فلا محل له من الاعراب ولا باس بالتخلل بين اجزاء الصلة بالبيان والاستيناف لانه ليس باجنبي فالايات على سنن تعديد قبايحهم وتوصيفهم بالاوصاف المذكورة قصدا او استقلالا ويحتمل ان يكون استينافا اذ هذه الجملة والجملتان بعدها من تفاصيل الكذب ونتايج النفاق الا يرى قولهم انما نحن مصلحون وقولهم انؤمن كما آمن السفهاء وقولهم عند لقاء المؤمنين امنا كذب محض فينا سب جعل ذلك جملة مستقلة ذكرت لاظهار كذبهم ونفاقهم والافساد جعل الشيء فاسدا خارجا عما ينبغي ان يكون عليه وعن كونه منتفعا به وكان من افسادهم في الارض هيجهم الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم والظاهر ان القايل من شافههم من الرسول عليه السلام والصحابة رضي الله عنهم والثاني اقرب **قالوا انما نحن مصلحون** لما كان نهيهم عن الافساد مشعرا بان فيهم افسادا نفوا ذلك عن انفسهم بادعاء انهم مقصورون على الاصلاح من غير شايبة افسادوا ثم والافاد لانه على ان ذلك الدعوى ظاهر بين لا ينبغي ان يشك فيه وفيه تنبيه على انهم يتصورون افسادهم بصورة الاصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فرد الله تعالى بقوله **الا انهم هم المفسدون** قصر قلب اي هم مقصورون على الافساد لا ينتظمون في جملة المصلحين اصلا مع المبالغة على ابلغ الوجوه واكدها من الاستيناف المقصود به تمكن الحكم في ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد التشوق الحاصل من ذكر ادعاءهم الاصلاح على وجه ابلغ مع توغلهم في الافساد فانه يتشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم والشيء اذا وجد بعد الطلب يكون اعز مما فوجي به من غير التعب وتصدير الجملة بالا وان للتنبيه والتحقيق وذلك ان الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام

اذا دخل النفي افاد التقرير والتحقيق كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولكون همزة الاستفهام بهذه المثابة من التحقيق تتلقى بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات القسم وطلايعه وتوسط هم وتعريف الخبر والاستدراك بقوله **ولكن لا يشعرون** وهذا اولى من نفي العلم مطلقا المستلزم لنفي العلم الخاص لان من لا يشعر بالضروريات لا سيما المحسوسات منها اولى ان لا يعلم غيرها وهذا من هذا الوجه لانه نفي مع دليل ولانه ينادي عليهم بانحطاط رتبتهم على رتبة البهايم ويؤذن بمعلومه من اجل المعلومات ولا كذلك لا يعلمون وهذا الاخير هو الاصل والباقي مؤيد **واذا قيل لهم آمنوا** نهوا عن الافساد ثم امروا بالسلوك الى سبيل الرشاد وبدئ بالمنهي عنه لانه الاهم وهو ترك والترك اسهل من اتيان المأمور به فكان في ذلك تدريج لهم **كما آمن الناس** كما آمن في محل النصب على المصدرية وهو في الحقيقة صفة مصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمان الناس واللام في الناس للجنس اما لانهم هم الكاملون في الانسانية من باب ذلك الكتاب واما لان غيرهم ليس بناس حقيقة لقصورهم وانحطاطهم عن رتبة الانسانية بل عن رتبة البهيمية وفي الاولى نظر الى كمال المؤمنين وفي الثاني الى قصور غيرهم على نحو اذ الناس ناس والزمان زمان وهذا ابلغ في هذا المقام ولا دلالة فيه على قبول توبة الزنديق لان النفاق غير الزندقة كيف ويقتل الزنديق دون المنافق ولم يقل احد ان في عدم قتله عليه السلام المنافق دلالة على عدم قتل الزنديق ثم ان دلالة التقييد على ان في افراد الايمان تفاوتا بالكمال والنقصان لا على ان الاقرار باللسان وحده ايمان **قالوا انؤمن** الاستفهام للانكار **كما آمن السفهاء** لما كان المأمور به مشبها انكروا مشبهها واللام للعهد والاشارة الى الناس والسفه خفة في البدن او في المقال يقتضيها نقصان العقل والحلم رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل نصحوهم بامرين تفتيح ما هم فيه لادائه الى الفساد والفتنة وتبصيرهم طريق الهدى والصلاح فما كان جوابهم الا ان سفهوهم وادعوا الصلاح فيما كانوا عليه لجهلهم وتماديهم في غيهم وافراطهم في السفه واعتقادهم ان ما هم عليه هو الحق وان ما عليه المؤمنون هو الباطل فكانوا عندهم سفهاء **الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** رد على وجه المبالغة في تجهيلهم فان الجاهل الجازم على خلاف ما هو الواقع اتم جهالة واعظم ضلالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وينفعه الايات والنذر والتفصيل بلا يعلمون لان سفههم العلماء الاعلام لا يكون الا لغاية السفه والجهل المركب ومعرفة الحق والايمان به وكون المؤمنين على الحق وكونهم على الباطل امر نظري لا يتعلق بالحس بخلاف الفساد في الارض ولان ذكر العلم

مع التقية وهو جعل الشيء طباقا {واذا لقوا الذين آمنوا} نقول لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما سبق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فلا تكرير على ان المعنى ومن الناس من يتفوه بالايمان نفاقا للخداع وذلك عند لقاء المؤمنين ففيه زيادة بيان انهم ضموا الى الخداع الاستهزاء ولا يتفوهون بالكلمة الا عند الحاجة {قالوا آمنا واذا خلوا} نقول خلوت به واليه اذا انفردت معه {الى شياطينهم} الشيطان فيعال من شطن اذا بعد لبعده عن الحق او فعلان من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل وقال الراغب شاط اذا احترق غضبا والمراد متمردوهم وشطارهم {قالوا انا معكم} خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ادعاء لاحداث الايمان اذ لا يروج عنهم دعوى التحقيق او لا يساعدهم انفسهم على ذلك اذ ليس لهم صدق رغبة ولا قوة داع وشياطينهم بالاسمية مع التاكيد لوجود الامرين ونفي الشك والتردد عنهم في كذب قولهم آمنا واستمرارهم على دينهم وموافقتهم ولك ان تقول ان مقتضى المقام في الاول تجريد الكلام عن جنس المؤكد لان التاكيد في النفوس فيه لايح عن تذكير نفاقهم باعتبارات فيه دلالة على انكار المخاطب وسوء ظنه وهم في مقام التجنب عنه والاحتراز عن مظانه ومقتضى المقام في الثاني تحليته به لان اظهارهم الايمان وموافقتهم المسلمين في ظاهر الاحكام كان مظنة لانكار المخاطبين ثباتهم على اليهودية {انما نحن مستهزئون} الهزء السخرية من شيء يخف عند صاحبه ولا يخف عند الهازئ استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا انا معكم فقالوا فما بالكم توافقون فقالوا انما نحن مستهزؤن ويجوز ان يكون تاكيدا لقوله انا معكم لانه لما كان معنى قوله انا معكم هو انا معكم قلوبا وتوهم اصحاب محمد الايمان وقع قوله انما نحن مستهزئون مقررا له لان الاستخفاف بالشيء انكار له ودفع للاعتداد به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثبوته او ان يكون بدلا لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاول اوجه لزيادة الفائدة وكون المحرك للسؤال اعني قوله انا معكم في غاية الظهور {الله يستهزئ} يقال هزئت واستهزئت كاجبت واستجبت والصحيح ان الاستهزاء ارتياد الهزء وان كان قد يعبر به عنه وكذا الاستجابة في الاصل معناها محاولة للاجابة وان كان قد يجري مجراها كذا قال الراغب لما ذكرا استهزاءهم بالمؤمنين استانف الكلام اظهارا للسخط وانما قال يستهزئ ليدل على دوام تجدد الاستهزاء وقتا فوقتا وفي الجملة الاسمية والخبر الفعلي مع المعنى المذكور يتقوى الاسناد لتكرره والتخصيص اي هو الذي يتولى الاستهزاء بهم خاصة الاستهزاء الابلغ الاقوى الذي يكون استهزاؤهم بالنسبة اليه كلا استهزاء ولا يحوج المؤمنين الى معارضتهم {بهم}

وكرر طيل لهم الذي ادى الى الحذف بخلاف ما تقدم فان فيه باعثا لتطاول هو المحافظة على الفاصلة وداعيا بعثوا به وبعد تخرجهم من ابلاغ المؤمنين وابقاء اللفظ محتملا ليكون لهم مجال التوجيه عند الحاجة اليه والمعنى ان الله تعالى عاملهم في الدنيا على وفق معاملتهم فانهم اظهروا الايمان وفي باطنهم النفاق والله تعالى اظهر لهم في الحال الايمان وعاقبتهم الاحراق بالنيران وعلى هذا يكون الكلام المذكور من قبيل الاستعارة التبعية وقيل ان معناه يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم والعرب تسمي الجزاء باسم الابتداء قال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وفي القرآن وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا توسع مخصوص بغير المشاكلة وقيل انه تعالى يجعل المؤمنين يطلعون على المنافقين من الجنة فيقولون لهم اتحبون ان تخرجوا من النار وتدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم الباب من النار فيقصدون اليه فيغلق عليهم ثم يفتح باب آخر فيقصدونه فيغلق ولا يزالون يفعل بهم كذلك والمؤمنون يضحكون منهم قال الله تعالى ان الذين آمنوا يضحكون وعلى هذا يكون التجوز في اسناد الاستهزاء الى الله تعالى {ويمدهم} من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره لا من المد في العمر فانه يتعدى باللام كاملي لهم والحذف والايصال خلاف الاصل فلا يصار اليه الا بدليل وهنا دليل على خلافه وهو قراءة ويمدهم {في طغيانهم} الطغيان بالضم والكسر تجاوز الشيء عن مكانه والمراد غلو في الكفر وتجاوزهم الحد في العتو وانما اضيف اليهم لانه اريد الطغيان الذي عرف لهم واشتهر بصدوره عنهم فلا دلالة في اضافته اليهم على انه فعلهم {يعمهون} في محل النصب بالحال من مفعول يمدهم او فاعل طغيانهم والعمه في البصيرة والعمى في البصر وهو التحير والتردد قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون {اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى} استيناف جار مجرى التعليل الى استحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان ويحتمل ان يجعل مقررا لقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون واستعيرت الضلالة وهو الجور عن القصد للذهاب عن الحق والصواب في الدين والهدى وقدم معناه للتوفيق النظري والدين القيم الاصلي والاشتراء وهو اعطاء بدل واخذ آخر للاستبدال اي اختاروا الضلالة واستبدلوها بالهدى {فما ربحت تجارتهم} الربح الفضل على راس المال والتجارة تعاطي الامتعة بالبيع والشري للربح وعدم الربح كناية عن الخسران ونسبته الى التجارة على التوسع الشايع قال الراغب والربح والخسران ينسبان الى الصفقة اذ لا اشتباه فيه وحسن تلك الكناية التي هي ترشيح للاستعارة المذكورة

يظهر في وجه قوله وما كانوا مهتدين اي لطريق التجارة فانه كناية عن اضاعة الطلبة الاصلية وهي سلامة
رأس المال لان من لم يهتد لطريق التجارة يكثر الافات في امواله ويعم الخسران اكثر احواله وقد
استبان من هذا التوضيح انه يشتمل عضد الترشيح وزيادة كان له استمرار النفي على ان النفي
اعتبار ولاه ثم تنبه اولا التقويل في مثل هذا على الغرائب مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما بين اوصافهم
عقبهم بضرب المثل زيادة في الكشف والتبيين فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه
يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولشانه العجيب في ابراز الحقايق المستورة ورفع
الاستار عن وجه الخفيات اكثر الله تعالى في القرآن وسائر كتبه الامثال وفشت في كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام والمثل في الاصل بمعنى النظير
ثم نقل في العرف الى القول السائر المثل مضربه بمورده ولم يسيروه ولم يجعلوه مثلا الا ما فيه
نوع من الغرابة ولهذا لم يغيروه عما ورد عليه ثم استعير للصفة والحال والقصة اذا
كانت عجيبة الشان وفيها غرابة فالمعنى حالهم العجيب الشان كحال المستوقد فلا حاجة
الى معنى الجمع كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية كمثل الحمار والمستوقد من الوقود وهو
سطوع النار وارتفاع لهبها والسين والتاء في الاستفعال ليس للطلب والسؤال بل للاهتمام والمبالغة
في الايقاد والنار جسم لطيف حار محرق اشتقاقها من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة
واضطرابا فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة من الضوء الذي هو النور البالغ القوي
ومصداقه قوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتاليف الحول للدوران والاطافة وقيل
للعام حول لانه يدور واضاءت اما متعد وحوله مفعول به وما زائدة او ما موصولة مفعول به
وحوله ظرف صلة اي جعلت النار مضيئا واما لازم مسند الى ما حوله وما موصولة اي اضاءت
الاماكن التي حول المستوقد او الى النار وما حوله ظرف لقوله اضاءت وما زائدة او حوله ظرف في
موضع الصلة وما موصولة عبارة عن الامكنة والموصول مع الصلة مفعول فيه وجواب
لما اما قوله ذهب الله بنورهم والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وانما لم يقل بنارهم لان في
النار شيئين حرارة ونورا والله تعالى اذهب النور وبقي عليهم الحر المحذور واما
محذوف دل عليه ما بعده كما حذف في قوله فلما ذهبوا به لاستطالة الكلام مع الامن
من الالتباس وفي الحذف ايجاز مع الافصاح عن الصفة التي عليها المستوقد بما هو ابلغ في
الدلالة على المعنى من اللفظ وهو الفعل كانه قال فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين
في ظلام متحيرين على فوات الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار وما ذكرنا استئناف اي
جواب للسؤال عن وجه التشبيه لعدم ظهوره او بيان لجملة المثل واسناد الاذهاب الى الله تعالى

لقصد المبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك
يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله تعالى وامسكه فلا مرسل له وعدل عن الضوء
الذي هو مقتضى الظاهر الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ان يكون الذاهب ما في الضوء
من الزيادة والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله وتركهم
في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
بالخلوص وترك بمعنى طرح وخلى وفي الظلمات متعلق به ولا يبصرون في موضع الحال او في
ظلمات في موضع الحال فيتعلق بمحذوف ولا يبصرون حال ايضا اما من الضمير في تركهم واما من
الضمير المستكن في المجرور وان ضمن ترك معنى صير يكون ثاني المفعولين في ظلمات ولا يبصرون
حال ولا يجوز العكس لان الخبر لا يكون مؤكدا وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه يحتمل
الوجهين لان جزر السباع وان كان معرفة يحتمل الحال كما ان يسبني في قوله ولقد امر
على اللئيم يسبني يحتمل الوجهين لان كان اللئيم معرفة والظلمة ماخوذة من ظلمه اذا منعه
حقه لانها تمنع البصر من النفوذ وتستره وظلماتهم ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة النفاق وقيل يجوز
ان يراد بالنار نار مجازية كنار فتنة او حرب وليس بقوي لان الغرض من التمثيل ابراز المعقول
في صورة المحسوس ليكون مشاهدا وعلى هذا التقدير يفوت الغرض منه وفي الآية دلالة على ان وجود
النور شرط لرؤية الالوان لا لوجودها اذ ح يمتنع الابصار فلا يحتاج قوله لا يبصرون لمخرجه صم
جمع الاصم النعت من الصمم وهو انسداد خروق المسامع ومنه القناة الصماء التي ليست بمجوفة
وكذا كل افعل كان نعتا مما هو خلقة يجمعه الفعل ومثله البكم والعمي وان كان اسما فعلى الافاعل
يجمع كالارنب والارانب والاعجم والاعاجم وان كان نعتا مما هو آفة فعلى الفعلى كالعجف
والعجفى والاحمق والحمقى بكم من البكم وهو الخرس وهو آفة في اللسان لا يتمكن معها ان يعتمد
مواضع الحروف عمي من العمى الاعمى في العين وجمعه العمي ومن القلب العمي وجمعه عمون قال الله تعالى
بل هم منها عمون لما سدوا اسماعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا
الايات بابصارهم جعلوا كانما فقدت مشاعرهم ولم يوجد قواهم وايراد هذه الصفات
مع سلامة حواسهم تشبيه بليغ اذ شرط الاستعارة الاعراض عن المستعار له صفحا ونسيا
مطلقا وههنا وان حذف المبتدا الذي هو ضمير المنافقين لكنه في حكم المقدر المنوي للاسناد
الخبر اليه ونظيره قوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا واما
قوله اسد علي وفي الحروب نعامة ففي كونه من هذا الباب نظر فهم لا يرجعون
اي جوابا لان من اسندت عليه تلك المشاعر لا يمكن ان يرجع جوابا لمن يخاطبه لا بالعبارة

ولا بالاشارة من الرجع بمعنى الصرف لان الرجوع بمعنى الانصراف فان رجع لازم ومتعد **او كصيب**
مجرور بمضاف محذوف اي كمثل ذوي صيب **من السماء** صفة في محل الجر اما تقدير المثل فلا بد
منه للعطف على السابق واما تقدير ذوي فلقوله يجعلون اصابعهم والا فنفس التشبيه
لا يقتضي تقدير شيء اذ لا يلزم في التشبيه المركب ان يكون ما يلي الكاف هو المشبه به كما في قوله
وما الناس الا كالديار واهلها واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين ومعناها ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين
القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وتشبيه التمثيل كشف بعد كشف وايضاح غب ايضاح
وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في
موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال
وعين الملاحظ خيفة الرقباء والصيب يقال للمطر والسحاب وفي الاية يحتملها وتنكيره للتعظيم
كتنكير النار في المثل الاول والسماء هذه المظلة قد يطلق على جهة الفوق وهو المراد هنا و
تعريفها للدلالة على الطباق ذلك الصيب كالصيب الافاق كلها فان كل افق يسمى سماء
وامد به ما في صيب من المبالغة من جهة التركيب فان الصاد من المستعلية والياء
شددة والباء من الشديدة ومن جهة المعنى فان الصوب فرط الانسكاب والوقوع ومن
جهة البناء فان فيعل صفة مشبهة دالة على الثبوت ومن جهة العارض لان التنكير للتعظيم
والتهويل **فيه ظلمات ورعد وبرق** صفة اخرى في محل الجر وظلمات مرفوع بفاعليه الظرف
بالاتفاق لاعتماده على الموصوف والمعنى في اثنائه ونصبا عينه ان اريد بالصيب المطر
وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره جعله كانهما فيه بطريق الاستعارة
كلمة في للتلبس المخصوص التشبيه بتلبس الظرفية الحقيقية والظلمات ظلمة تكاسف المطر وتتابع
القطر والسحاب وسحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وان اريد به السحاب ففيه الرعد والبرق
واما الظلمات فما ذكرت بعينها الا المطر فانه قد يكون وقد لا يكون والرعد الصوت الذي يسمع
من السحاب عند تمزيق الريح اياه وهو من تمزيق الدخان البخار عند احتقانه فيه بتحاك
والبرق ما يلمع من السحاب اذا تحاكت اجزاؤه من برق الشيء بريقا اذا لمع ولم يجمع رعد
وبرق وان كان الجمع اشد مناسبة لقوله ظلمات واكثر مبالغة كما في قول البحتري يا عارضا
متلفعا ببروقه يختال بين بروقه ورعوده لكونهما في الاصل مصدرين فان اريد بهما العينان
روعي الاصل وان اريد الحدثان اي الابراق والارعاد فحقهما الافراد وايضا قصد التهويل
المناسب للمقام بغرابة نوعها المستفاد من التنكير لا بتعدد افرادها المستفادة من صيغة

لج

يوذن

الجمع **يجعلون اصابعهم في اذانهم** جملة استينافية وذلك انه لما ذكر الظلمات والرعد والبرق على ما
بالهول والشدة فكان قائلا قال فكيف حالهم مع ذلك الرعد فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم
ثم قال فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم ثم قال فكيف حالهم مع
تلك الظلمات فقيل كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا وصفة للمضاف المحذوف
في محل الجر اي ذوي صيب يجعلون وصح رجوع الضمير الى ذلك المضاف لكونه في حكم المذكور
وفي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ومبناها على ان يكون الاصابع بعضها لا بعض
الانامل وفي العدول عن يدخلون وما الظاهر الى المذكور نوع تقوية لتلك المبالغة ثم انه
كناية عن كمال الحيرة وفرط الدهشة فيستقيم المعنى بلا حاجة الى تنزيل الكلام عن رتبته
البليغة حذرا عن عدم مطابقته للواقع **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون
كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شعلة من نار لطيفة حديدة
لا تمر بشيء الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها وهي تنقدح من السحاب
اذا اصطكت اجرامه او جرم ثقيل مذاب ممزوج من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة
المسماة دخانا والمائية المسماة بخارا حاد في غاية الحدة والحرارة لا يقع على شيء الا
نفذ واحرق ونفذ في الارض حتى يبلغ الماء فانطفى ووقف ومنه الحارصيني من الصعق و
هو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا
اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وليس بقلب للصواعق
لاستواء البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع ونظيره جبذ في جذب
وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر
كالعافية والكاذبة **حذر الموت** منصوب على المفعول له والموت زوال الحيوة **والله
محيط بالكافرين** جملة اعتراضية لا محل لها واحاطة الله بالكافرين مجاز معناه انهم لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط **يكاد البرق يخطف ابصارهم** كاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرطه او لعروض
مانع والخطف الاخذ بسرعة **كلما اضاء لهم مشوا فيه** المشي السير السهل واضاء اما لازم
او متعد اي اضاء لهم ممشى ورجع الضمير في فيه اليه لكونه منويا ويؤيده قراءة كلما ضاء
لهم وان كان لازما وهو الظاهر كاظلم ومعناه مشوا في الضوء اي في مطرحه او به او
كلما نار البريق فانار الطريق مشوا فيه **واذا اظلم عليهم قاموا** اظلم غير متعد على الظاهر
ويحتمل ان يكون متعديا من ظلم الليل ويعضده قراءة اظلم على ما لم يسم فاعله ومعنى قاموا

وبقوا او ثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد والمعنى انه مع اضاءة البرق كلما مع اظلم بادا الفوه داعيهم الى امكان المشي والخلاص عما هم فيه من الشدة والحيرة وحرصهم على ما همهم به معقود من السعي والحركة فلما يسعهم الاهمال وترك الفرصة واما الوقوف فليس كذلك لانه يلزمهم للعجز ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم وقرئ لاذهب الله باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم شاع حذف مفعول شاء واراد مع حرف الشرط لدلالة الجواب عليه حتى لا يكاد يذكر الا اذا كان مستغربا كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته اراد ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم وفي خفوق البرق فاعماهم وفائدة هذه الشرطية التنبيه على ان كل محنة معها منحة وان نعمة الدفع تفوق نعمة النفع ولا دلالة فيه على وقوع ما يقتضي الجزاء المذكور ولا على ان تاثير الاسباب مشروط بمشية الله تعالى واما ان الكل واقع بقدرته فالتنبيه عليه بقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تقرير لما تقدم ولا اختصاص للشيء بالموجود كيف وهو اعم العام يقع على الواجب والممكن والممتنع نص على ذلك سيبويه حيث قال في كتابه ان الشيء يقع على ما اخبر عنه وخص ههنا بالممكن بدليل العقل وقرينة القدرة اذ القدرة هي مبدا الافعال المتضادة على نسبة متساوية والواجب راجح الوجود والممتنع راجح العدم فلا يمكن تساوي الطرفين الذي شرط تعلق القدرة الا في الممكن فكانه قيل على كل شيء ممكن قدير ثم انه في الاصل مصدر شاء الا ان اطلاقه بمعنى شيء لا يستلزم الوجود في الجملة لان متعلق المشية قد يكون زوال الوجود وعدم الايجاد واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته والقادر هو الذي يصح منه الفعل والترك واما الذي ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل فهو المختار ولا يلزمه ان يكون قادرا لجواز ان يكون مشية الفعل لازما لذاته وصحة الشرطية لا يقتضي وجود المقدم واعلم ان ما ذكر تتميم لتمثيل شدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب من الحيرة والخوف والدهشة بحيث اذا صادفوا خفقة من البرق انتهزوا فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطوات يسيرة واذا انطوت وانطفت حبسوا عن الحركة وبقوا متحيرين خائفين ثم ان التمثيلين المذكورين جاز ان يكونا من قبيل الا ان الاصح الا فصح الذي عليه الفحول من علماء البيان ان يكونا من التمثيلات المركبة لا يتكلف لكل جزء من اجزاء الجملة الممثل لها فوادي شيء يشبه به من اجزاء الجملة الممثل بها معرفة كما في قول امرئ القيس كان قلوب الطير

17

[illegible] بقاء البرق [illegible]
الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بل تشبه هيئة حاصلة من اشياء تضامت وتالفت فصارت شيئا واحدا باخرى مثلها من غير مراعاة افرادهما والنظر الى تشبيه شيء من هذه بشيء من تلك فان الغرض تشبيه حال المنافقين في حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الامر عليهم وافتضاحهم بحال من كابد شدة امره عند انطفاء ناره بعد ايقادها ورجاء الانتفاع بها والتهدي باضاءتها او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت يا ايها الناس التفت من الغيبة الى الخطاب لان الكلام السابق كان في تعداد فرق المكلفين وحكايات احوالهم وبيان مآلهم ويناسبه اسلوب الغيبة واما هذه الاية فقصد فيها بامر وتكليف وحق الاوامر والنواهي ان يسلك فيها مسلك الخطاب خصوصا اذا كانت ما كلف به مما فيه مشقة فان فيه جبر الكلفة الكلفة بلذة المخاطبة والنداء احضار الغائب وتنبيه الحاضر وتوجيه المعرض وتفريغ المشغول وتهييج الفارغ ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد واستعماله ههنا في نداء القريب لبعده عما خوطب به معنى وقد يستعمل لنداء القريب المطلق للدلالة على ان الخطاب المذكور بعده معني به جدا واما نداء الداعي المتضرع لربه بقوله يا رب مع علمه بانه اقرب اليه من حبل الوريد فلهضم نفسه استقصار الحالة واستبعادا من مظان الزلفى والقربة واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام لتعذر الجمع بين حرفي التعريف وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه من اسم جنس او ما يجري مجراه صفة له حتى يحصل المقصود بالنداء وكلمة التنبيه لمعاضدة حرف النداء بتاكيد معناه ووقوعها عوضا عما يستحقه اي من الاضافة والناس صفة لاي واجب رفعها خاطبهم مقبلا عليهم بالنداء لان فيه هزا لما يلقيه اليهم من امر العبادة له اعبدوا قدم تفسير العبادة والامر به يعم افراد المكلفين لان اسم الجمع المحلى باللام للعموم حيث لا عهد وما روي عن علقمة ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي ان صح فلا يوجب تخصيصه بالكفار وليس المراد احداث العبادة خاصة بل ما يعمه والمواظبة عليها فان هذا هو المناسب للمقام وان كان الاول هو المتبادر من الكلام والعبرة في الكلام البليغ لمقتضى المقام لا لما يتبادر الى الافهام واعلم ان النبي عليه السلام بعث بدعوة الكفار الى الايمان وورد في ذلك نصوص وانهم اجبروا في بعض النصوص بان العبادة لا صحة لها بدونه وبعد هذا امرهم بالعبادة في هذا النص وغيره وان ورد مطلقا عن قيد الايمان لفظا لكنه مقيد به معنى بحكم النص المخبر عن اشتراط صحة

العبادات بالايات وليس في ذلك امر بالايمان بل في ضمن الامر بالعبادة حتى يلزم ايجاب الاصل تبعا
لايجاب الفرع فبنا في حكم الاصالة ربكم عبارة الرب صارف بحرفها اذ هو السيد والمصلح
ومن كان مالكا او مصلحا احوال العبد فجدير ان تعبدوه ولا يشرك به ولما امر بعبادته ومن
موقوفه على معرفته ووجوده ناسب ان يذكر من الاوصاف ما يقتضي الدليل على وجوده
واستحقاقه العبادة فقال الذي خلقكم فالتوصيف المذكور للتعليل كما هو الاصل في ترتيب
الامر بالشيء على الموصوف والموصول وفي التعليل المذكور باعتبار تضمنه الاشارة الى ما
لا قدرة له على الخلق والايجاد لا استحقاق له للعبادة تعريض للمشركين حيث عبدوا ما لا قدرة
له على شيء وما قيل على تقدير ان يكون الخطاب للمشركين يكون الوصف المذكور للتخصيص
وهم منشاؤه عدم فهم معنى ربكم فان المعنى المتبادر منه الرب المشترك فيما بينهم وليس
ذلك الا الله تعالى لانهم ما اتفقوا على واحد من معبوداتهم الباطلة فاذا لا شركة في ربكم
فلا حاجة الى مخصص واصل الخلق التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس
والمراد ايجاد الشيء على تقدير واستواء والذين من قبلكم ذكر خلق من قبلهم لانهم اصولهم
وخلق الاصول انعام على الفروع وقدم خلق المخاطبين وان تقدم خلق من قبلهم زمانا لان
علم الانسان بحال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره ولانهم المواجهون بالعبادة فتنبيههم
اولا على احوال انفسهم اهم واكد وبدا اولا بنعمة الخلق اذ كانت العرب مقرة بان الله
تعالى خالقهم وهم المخاطبون ولك ان تقول اخرجه مخرج المقرر المعلوم اما لاعترافهم به
كما افصح عنه قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما لغاية
ظهوره حيث نزل لتمكنهم به بادني نظر منزلة المعلوم ودخلت من على الزمان اذ التقدير
من زمن قبل زمان خلقكم وقرئ من بفتح الميم على انه خبر مبتدا محذوف هو صدر الصلة
تقديره والذين هم اناس قبلكم وحذف صدر الصلة كثير الدور في الكلام وفيه تاكيد ابهام
يتضمن التنبيه بما فيه من التفخيم على ان خلق من قبلهم ادخل في القدرة وعلى هذا يكون
موصوفه وقبلكم صفتها ويحتمل ان يكون موصولة فتحا كما قرئ تمام تمام على قراءة لعلكم تتقون
اي تجعلون العبادة وقايتكم ولعل فيها لغات ولم يجئ في القرآن الا افصحها وهي للترجي و
الاطماع وذلك بالنسبة الى المخاطبين والمعنى اذا عبدتم ربكم رجوتم حصول التقوى وهي التي
يحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار فتعلقت جملة الرجاء باعبدوا ربكم وقيل
تعلقها بخلقكم ولا يعجبني ذلك لان الذي سيق الكلام لاجله هو الامر بالعبادة وذكر الموصول
وصلته لما قصد بالتبع فلم يجئ الموصول ليحدث عنه وكذا صلته كيف وهي لتتميم ما قبلها فلا يناسب

ان يتعلق بها غيرها بخلاف اعبدوا فانها الجملة المفتتح بها واولا والمطلوبة من المخاطبين واو تعلقت
باعبدوا ناسب خطاب لعلكم تتقون الذي نصب على انه صفة بعد صفة ولزوم توسط الاجنبي
بين الوصفين لا يضعفه لانه ادنى من توسط بين الموصوف والصفة الواقع في قوله تعالى
قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض او على المدح او رفع عليه او على الخبر او بالابتدا
وخبره فلا تجعلوا وفيه ضعف لفقد الصلة فلا يناسب دخول الفاء في الخبر والربط بالاسم
الظاهر جعل الجعل هنا بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين ثانيهما فراشا لكم فيه منة على
عباده وفي تقديمه اشارة الى عزة عبيده وتفضيلهم على باقي المخلوقات حيث خلق السموات
والارض لاجلهم خاصة الارض فراشا الفراش والمهاد والبساط متقاربة المعنى والمراد
ما يفترش وفيه اشارة الى ان الارض لم تخلق مبسوطا بل خلقت على وضع آخر ثم بسطت
على ما افصح عنه قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها ومن ظن ان فراشا حال فقد شنبه
عليه حقيقة الحال والسماء بناء مصدر سمي به المبنى وانزل عطف على جعل من السماء متعلق
بانزل او في موضع الحال فيتعلق بمحذوف والمعنى من جهة السماء لان الاصل الذي لا يعدل عنه
الا بصارف ان المعرفة اذا اعيدت يكون الثانية عين الاولى ومن للابتداء ماء هو
جوهر سيال يضاد النار برطوبته وبرودته وتنكيره للتنويع بمعنى انزل من السماء نوعا من
الماء فيه اشارة الى ان في ذلك الجنس ما لم ينزل من السماء وهو ما يحدث في الارض بطريق الانقلاب
من الهواء وغيره فاخرج به الخروج في الاصل الانفصال من المحيط الى الخارج ويلزمه الظهور وانما
عطف على انزل بحرف التعقيب وان كان متراخيا عنه لسرعة خروج النبات بالمطر كانه لم يتخلل
بينهما زمان تصويرا للشدة تاثير قدرته تعالى وفي توسيط الاسباب حكم ليست في الانشاء
بغتة ثم انه تعالى جعل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الارض فان اكثر ما يخرج من الارض
بما ينزل من السماء ليعلم ان منشاهما واحد لانه لو كان منشئ هذا غير الآخر لم يتصل منافع هذا
بمنافع الآخر على بعد ما بينهما ولتوهم خلاف احدهما الآخر فلما دل هذا على ان منشئهما واحد
لا شريك له فلا تجعلوا له اندادا من الثمرات الثمر اصلها الزيادة والنماء يقال ثمر الله ماله اي
زاده وكثره وحمل الشجر تسمى ثمرة لهذا ويجمع ثمرا بحذف الهاء التي هي للتوحيد ثم ثمارا كالبلد
يجمع بلادا ثم الثمار يجمع على الثمر كالحمار يجمع على الحمر وهذه جموع تكسير وجمع السلامة هو الثمرات
والمراد منها هنا الماكولات كلها من الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر وقد
بسط الله تعالى ما اختصره في هذه الآية في آية اخرى فقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به
نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا وقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر

وانواحة بوم حصاده صريح في عموم الثمر فلان الجمع وانما يكون للنوع على اللام المنوعة للجنس وانما جمع لاختلاف
انواعه ثم ان جمع الصحيح انما يكون للقلة اذا لم يعرف باللام فلا حاجة الى ان يقال ان الجموع يتعاور
بعضها في موضع بعض ومن للتبعيض فان ما يصلح رزقا لنا بعض الثمرات المخرجة ولا يصلح للتبيين
اذ لم يتقدم ما يبين رزقا مصدر فيكون مفعولا له ويحتمل ان يكون بمعنى مرزوقا فينتصب على الحال
وعلى الاول يكون الكاف لكم مفعولا به واللام مقوية لتعدي المصدر اليه وعلى الثاني يكون في
موضع الصفة فيتعلق اللام بمحذوف اي كائنا لكم ولا يمتنع عكس ذلك ويجوز ان يتعلق باخرج
فلا تجعلوا لله اندادا ند الشيء مشاركه في الجوهر وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال في اي
مشاركة كانت فكل ند مثل ولا ينعكس ولما كانوا اتخذوا اندادا جاء النهي عن جعل الانداد لله
تعالى على حسب الواقع والاخرى النهي ان يتعلق بجعل ند له تعالى وهذه الجملة متعلقة
بالذي على ان جعلناه خبر مبتدا محذوف اي هو الذي من عليكم بانواع النعم العظام من خلق
السماء سقفا مرفوعا وجعل الارض فرشا موضوعا واخراج النبات بالمطر رزقا مجموعا فلا تجعلوا له
اندادا وانما عدل الى الظاهر نعيا عليهم بان جعلهم له اندادا جعل الانداد لذات موصوف بصفة
لا شريك له فيه فاني الشركاء ويجوز ان يكون متعلقا بقوله اعبدوا ربكم والفاء للتسبب
اي تسبب عن ايجاد هذه الآية الباهرة النهي عن اتخاذكم الانداد ولولا هذا الاعتبار لكان
الانسب عطفه بالواو كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا ويجوز ان يكون نفيا منصوبا
باضمار ان على جواب الامر كما في زرني فاكرمك لانه يقال شرط انتصاب المضارع باضمار
ان في جواب الامر وهو كون الاول سببا للثاني منتف هنا لانه يجوز ان يكتفي بسببية الاول
للاخبار بمضمون الثاني كما اكتفي بسببية الشرط للاخبار بمضمون الجزاء في قوله تعالى وما بكم من
نعمة فمن الله وانتم تعلمون اي والحال انتم من اهل العلم على ان تعلمون من الافعال المنزلة منزلة
اللازم فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يقدر المفعول على ان المعنى وانتم تعلمون امتناع الند او
انها لا تفعل مثل هذه الافعال وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتنبيه على قبح فعلهم لان
مرتكب القبيح مع علمه بقبحه اعظم جرما لا تقييد الحكم وتخصيصه به فان العالم والجاهل
المتمكن من العلم سواء في التكليف وانما خصصنا التوبيخ بالوجه الاخير لان الظاهر ان
المراد على الاول النهي لترك الانداد ووجه ذلك ان التلطيف بعد التغليظ ادخل في الاسماع
واعون على الاصغاء من التغليظ بعد التغليظ الا يرى كيف وصى رسوله اذا ارسل الى عدوه
وقال فقولا له قولا لينا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته
وبين الطريق الموصل الى العلم بها عقبه بذكر ما هو الحجة على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام

وهو القرآن المعجز بفصاحته وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله ثم انه سلك مسلك
الالطاف حيث لم يقل وان ارتبتم ليوهم ان الكلام على وفق حالهم وتنبيها على توغلهم في الارتياب
واستمرارهم على ذلك بحيث ان ارتيابهم فيه وتقلبهم اللسان يحملهم حيث بلغوا النهاية فيه لا يحويه لاولي
الالباب الوقوع في جنابه وهل هذا الا غاية الغباوة والغواية واني يجامع الشك مع
تحقق الريب على خلاف الظاهر بجعل المتحقق عليهم بمنزلة ما هو المحتمل منزلة المقدر للتنبيه
على ان مثل ذلك الحال حقيق بان يعد من قبيل ما يفرض المحال والتشكيك في ريب المخاطبين وفيه
تنبيه على ان وضوح دلائل الاعجاز في المنزل المذكور بلغ الى حد لا ينبغي ان يعرض فيه ريب
الا على وجه الغلة ومن يحتمل ابتداء الغاية والتبيين وما موصولة اي من الذي نزلنا و
العائد محذوف اي نزلناه وتضعيف نزلنا بمنزلة همزة النقل ويؤيده قراءة انزلنا ولا
دلالة فيه على نزوله نجما في اوقات مختلفة لان مبناه على ان يكون التضعيف للتكثير وذلك
في المتعدي نحو خرجت وقطعت ولا يكون في اللازم الا نادرا نحو قولهم مات المال وموتت
اذا كثر ذلك فيه وح لا يجعل متعديا كيلا يلزم الجمع بين معنيي التضعيف وذلك غير جائز وفيما نحن
فيه لا بد من معنى التعدية فلا مجال لارادة معنى التكثير والتعبير بما نزلنا دون القرآن للتنبيه
على ان الريب فيه باعتبار ذلك الوصف والعبادة لما كانت اشرف الخصال والتسمي بها
انفع الخطط حتى قال الشاعر لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي سمى نبيه عبدا واضاف
الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لامره لا يخالفه فكانه يقول على الرسول
الذي كل ما يبلغه من عندنا وقد شاركه عليه السلام في ذلك التشريف بعض الانبياء عليهم السلام
انما اختصاصه عليه السلام بتسميته بالعبد المطلق فانه لم يسم غيره الا بالعبد المقيد باسمه
كما قال واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب وغيرهما وذلك لان كمال العبودية ما تهيأ لاحد
من العالمين الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية في الحرية عما سوى الله تعالى وهو مختص
بهذه الكرامة كما اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى
فلما اختص بهذه الحرية اكرم باسم العبد المطلق كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى وقرئ على
عبادنا يعني النبيين الذين انزل عليهم الكتب وفيه تنبيه على ان من شك في القرآن مع
ظهور اعجازه فهو شاك في سائر الكتب الالهية ايضا حقيقة او حكما ويجوز ان يراد من اخبر
بنبوة محمد عليه السلام وبشر بمجيئه من الانبياء كموسى وعيسى عليهما السلام والامر في
فاتوا للتعجيز كما في قوله فات بها من المغرب والفاء لانه جواب الشرط وبدونها يقال
ايتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت ياء لكسرة ما قبلها وسقطت همزتها كراهة التقاء

التي هي جديرة بأن يتحدى بها كما في قوله ثم ائتوا ثم توقف على ثم وابتداء ائتوا ولا يثبت في قوله فأتوا وفي
قوله فأتوا لتعذر الفصل بين الفاء والكلمة وكذا بين الواو وبينها والسورة مأخوذة من قولهم
سار يسور اذا ارتفع وعلا ومنه الجدار المحيط بالمدينة سور لارتفاعه فالسورة من القرآن
مجموع آيات سميت لانها ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم في مغايرتها لسائر السور
وهي بالاطلاق تتناول اقصر السور وهي في القرآن سورة الكوثر وهي ثلث آيات قصار وهذا
ابلغ الزام واتم قطع لاهل الخصام فقد كان التحدي اولا بالاتيان بمثل كل القرآن بقوله فأتوا
بحديث مثله ثم اخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ثم بعشر سور مثله بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله ثم لما ظهر عجزهم
عنها ايضا تحداهم بسورة بقوله فأتوا بسورة من مثله وقد عجزوا عن ذلك كله من مثله
في محل الجر صفة لسورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا والمعنى ان كنتم في شك
مما انعمنا على عبدنا الحسن استعداده في كمال العبودية بانعام الوحي ومنه نعمة القرآن لكن انه مع
عدنا ناعمين ان معارضته بايراد المثل مقدور للبشر علي ما افصح عنه عنه قوله تعالى واذا تتلى
عليه آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا فأتوا بسورة من مثله اي من مثله المقدور
للبشر في زعمكم وقد افصح عن هذا المعنى في التحدي بعشر سور ولولا القصد لهذا لكان الظاهر
ان يقال فأتوا بمثل سورة منه ورجوع الضمير للمنزل عليه لا يساعده المقام ولا الكلام اما
الاول فلما عرفت فيما تقدم ان المقام مقام توسيع دائرة التحدي حيث تنزل من التحدي
بكل القرآن الى التحدي بعشر سور ثم الى التحدي بسورة فلا يناسبه التضييق باشتراط
ان يكون الآتي به اميا في هذه السور دون السور السابقة واما الثاني فلان قوله وادعوا
شهداءكم من دون الله في معرض وادعوا من استطعتم من دون الله من قوله ام يقولون
افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
فيؤمر بان يستعينوا بكل من يعينهم في ذلك فعلى هذا الوجه لا اشتراط المذكور وايضا
لا بد من اعتبار قيد المماثلة بين المنزل والمأمور باتيانه وعلى تقدير عود الضمير المذكور
الى المنزل عليه يلزم ان يكون الكلام خلوا عن ذلك القيد المهم والشهداء جمع شهيد بمعنا ما
على ما قال ابن عباس رضي اعوانكم لان الشاهد كالعون للمدعي في استخراج حجته والمراد
من الدعاء دعاء استنصار وكلمة دون لها معان والمراد بها هنا معنى غير وهي في الاصل اسم
ولهذا دخل الخافض وخفضها ولكنها تستعمل استعمال الحروف مجردة عن اللام الذي هو
للتعريف والتنوين الذي هو للتنكير وهما من خصائص الاسماء لانها تفيد المعنى في غيرها كالحروف

فاجرت مجرى اذا لكنه ان كنتم صادقين في زعمكم انا تابعون ولكن الصدق الاخبار المطابق للواقع هنا اذا
كان وصفا للمتكلم اما اذا كان وصفا للكلام فهو الخبر المطابق للواقع ولما كان الامر
المذكور امر تهكم وتعجيز اخبر انهم لن يفعلوا فاوردت لطف الاتيان المأمور به بقوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا انكار ارشدهم الى دليل التحدي بتبيين امر النبي عليه السلام وصدقه وكون ما جاء به حقا
صحيحا بنتيجته لاستلزام نفي اللازم وهو امتناع معارضته نفي الملزوم الذي هو انتفاء الريب
فلزمهم تصديقه والايمان به والا استوجبوا اشد العذاب واما اورد الفعل في موضع الاتيان
لانه ما من شيء من الاحداث الا ويصح ان يعبر به عنه وذلك لما ذكره الراغب ان الفعل
اعم من معنى سائر اخواته نحو العمل والصنع والاحداث فالمعنى فان لم تأتوا بسورة من مثله
وان لم تأتوا بسورة من مثله ولا يخفى ما فيه من حسن الايجاز واتى بكلمة ان دون اذا مع
تحقق الشرط اما تهكما بهم واما بناء على ظنهم قبل ظهور العجز عن المعارضة ولم كلمة نفي تدخل
على المستقبل وتجعله بمعنى الماضي ثم دخول ان وهو للشرط يجعله بمعنى المستقبل فكان فيه
اشارة الى انقلاب حال المخاطبين ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانه اعتراض قبل تمام
المراد وهو من محاسن الكلام اثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ ومعناه لستم تقدرون على
ذلك ابدا لان لن لتأكيد النفي في المستقبل فتشارك لا في نفيه وتباينه في التأكيد و
التشديد واختلف في اصله فقيل لا ان وقيل لا ابدلت الفه نونا والاصح انه حرف
منتصب برأسه كما هو قول سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل قيل فيه دليل على صحة
نبوته عليه السلام حيث اخبر عن الغيب على ما هو به وفيه انه من باب الكرامة ولا اختصاص
لها عند اهل الحق بالانبياء عليهم السلام واما الاستدلال بعدم كونه عليه السلام شاكا في
امره فلا وجه له لانه مبني دلالته على صحة دعواه على ثبوت عصمته عن الخطاء وهو فرع ثبوت
نبوته فاثباته مصادرة فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة جواب الشرط وكنى به عن ترك
العناد تقرير اللمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وذلك ان
من عاند بعد وضوح الحق له استوجب العقاب بالنار واتقاء النار من نتائج ترك العناد
والنار هي نار جهنم وقيل النار مجاز عن العناد وهذا اشد تهويلا لما فيه من ابراز العناد
في صورة النار بخلاف الاول فان النار على حقيقتها والتهويل اما جاء من انابة اتقاء النار
مناب ترك العناد ثم ان الامر بالاتقاء ابلغ من الامر بالترك في النهي عن ملابسة العناد وتعريفها
بناء على ان تلك النار كانت معلومة للمخاطبين بسماعهم من النبي عليه السلام بالذات او
بواسطة المؤمنين وايضا هذه الآية مدنية فنزولها بعد نزول قوله تعالى نارا وقودها الناس

والحجارة لانها مكية فصح تعريفها لكونها معروفة قبل ذلك ضرورة ان المكيات لنزولها قبل الهجرة
متقدمة على المدنيات النازلة بعدها ولتفظيع شان العناد هول وصف النار بكون وقودها
الناس والحجارة وكون الصلة معلومة انما اشترط في غير مقام التفخيم والتهويل الا ترى الى قوله
تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم التهابها فهو مصدر
والاول اسم وقد جاء المصدر بالفتح والاسم بالضم وقرئ بهما والظاهر المناسب لبلاغة القرآن
ان يكون المراد به المصدر على ان المجاز عقلي فان الغرض وهو المبالغة في التهويل يحصل على وجه
اتم والحمل على المصير الى حذف المضاف تنزيل لسان التنزيل والناس هنا هم الكفار والحجارة
جمع حجر كالجمل والجمالة وهذا جمع على غير قياس والقياس فيه الاحجار كالشجر والاشجار وقد صح عن
ابن عباس رضي الله عنه على ما اخرجه ابن جرير في تفسيره وعن ابن مسعود رض على ما اخرجه البيهقي
في البعث والنشور انها حجارة الكبريت وانما خصت من بين انواع الاحجار لانها اسرع وقودا
وابطأ خمودا وانتن رائحة واكثر دخانا واشد حرا والصق بالبدن والظاهر ان مرادهما بيان
الواقع لا تفسير المراد هنا من لفظ الحجارة فلا يتجه انه تقييد للمطلق بغير دليل فهي على
اطلاقها فلا يفوت ما قصد به من تهويل شان تلك النار وتفاقم لهبها حيث تتقد بما لا
يتقد به غيرها واما احتمال ان يراد بها الاصنام فيأباه العموم المستفاد من قوله تعالى
انكم وما تعبدون حصب جهنم فان بعض ما عبدوه ليس من جنس الحجر ومعنى وقودها الناس
والحجارة ان تلك النار لا تتقد الا بهما **اعدت** ان الاعداد وهو التهيئة والارصاد
واكثر استعماله في الموجود وقد يستعمل فيما هو في معنى الموجود كما في قوله تعالى اعد الله لهم
مغفرة واجرا عظيما فدلالة الآية على ان النار مخلوقة الآن كما هو مذهب اهل الحق
ليست بقوية **للكافرين** ختم بما وقع به البدو اي اتقوا الكفر الموجب للنار فانها اعدت
للكفار والجملة استئناف يؤيده عطف وبشر على لفظ المبني للمفعول عليه وقيل صلة بعد
صلة بلا عاطف بينهما على قياس ما يقع في الاخبار والصفات ويؤيده قوله تعالى في سورة
آل عمران واتقوا النار التي اعدت للكافرين واما العطف بترك العاطف فيجوزه يؤدي
الى الالتباس في مواضع الفصل والوصل ودلالة لام الاختصاص على ان اعداد تلك النار
للكفار ولا يلزم من ذلك اختصاصها بهم كما يلزم من اختصاص اعداد الجنة للمتقين
ان لا يدخلها غيرهم فلا حاجة الى ان يقال ان النار التي وقودها الناس والحجارة هي للكفار
خاصة ولغيرهم نار غيرها **وبشر الذين آمنوا** البشارة في اللغة اسم لخبر يغير بشرة الوجه
مطلقا سارا كان او محزونا الا انه غلب استعمالها في الاول وصار اللفظ حقيقة له

بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره فاعتبر فيه الصدق على ما نص عليه في الكتب الفقهية فالمعنى
العرفي للبشارة الخبر الصدق السار الذي ليس عند المخبر به علمه والمأمور بالتبشير على قراءة
بشر على لفظ المبني للفاعل الرسول عليه السلام ولا وجه للتعميم لكل من يقدر على البشارة من غير
تعيين لما عرفت ان مدار البشارة على الصدق فحقها ان يكون المبشر صادقا ومصدقا كانه
ما انكل في امر التبشير على كل قادر عليه بل نص على اعظمهم واصدقهم ليكون ذلك اوثق عند المبشرين
واقطع في الاخبار بهذه البشارة الجليلة وفيه من التعظيم لامر البشارة والمؤمنين ما لا يخفى
والجملة معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة بينهما جهة جامعة بحيث يقتضي ان يقتضي ذكر
احدهما بذكر الآخر توفية بحق الكلام ورعاية لما يقتضيه المقام وذلك ان قوله تعالى يا ايها
الناس خطاب عام يشمل الفريقين الموافق والمخالف ثم ان قوله وان كنتم في ريب مختص بالفريق الاول
ومضمونه الانذار وان قوله وبشر الذين آمنوا مختص بالفريق الثاني ومضمونه البشارة كانه
اوحى الى نبيه ان يدعو الناس قاطبة الى عبادته وتوحيده وتصديق رسوله ثم امره ان ينذر من ابى
وعاند ويبشر من اتى وعبد وهذا هو المعتمد وقيل معطوفة على مقدر بعد اعدت اي
فانذر الذين كفروا بتلك النار وبشر الذين امنوا وعلى هذا يكون الواو فصيحة كما في قوله تعالى واهجرني
مليا اي فاحذرني وقيل معطوفة على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا
وبشر المؤمنين ولا ينافي عزو كذا قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه قد جاء في كلام الله
في غير موضع منها قوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فانه كان حقه على قلبي لكنه
جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به وجوز ان تكون معطوفة على قوله فاتقوا
على انه ليس جوابا للشرط بل هو محذوف وهذا مرتب عليه فعلى هذا يكون تقدير الكلام اذا تبين
عجزكم عن المعارضة فقد صح عند المعاند والموافق صدقه واذا كان كذلك فاحذروا ايها المعاندون
العقاب وبشر يا محمد المصدقين بالثواب وعطف الامر للمخاطب على الامر لمخاطب آخر مما اخطأ
في منعه النحاة لوقوعه قطعا في قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ونقف
على تتمة هذا الكلام في تفسير قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله **وعملوا الصالحات**
الصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم وهي ما ورد به الامر ايجابا وندبا من الاعمال وتأنيثها
على تأويل الخصلة والتعريف للجنس لكن لم يرد بالصالحات جنس الجمع بل جميع الجنس باعتبار التوزيع
واللازم منه ان يعمل كل مكلف ما يختص به من مواجب التكليف كما في لبس القوم ثيابهم ودخلوا
مساجدهم لا ان يعمل كل واحد منهم عملا واحدا منها كيف ما كان وفي مقارنة الايمان والعمل الصالح
في القرآن ايذان بانهما كالمتلازمين في توقف مجموع النجاة والثواب عليهما وهذا لا ينافي لكون

الايمان المجرد عن العمل الصالح منجياً ثم ان بشر يتعدى الى مفعول بنفسه والى اخر بحرف الجر وهو
قوله **ان لهم جنات** وحذف منه الحرف وهو في موضع نصب على مذهب الخليل او في موضع جر خلافا
لمن قال مذهبه انه في موضع جر وهو ابن مالك قال في التسهيل وهو قليل الايمان بكتاب سيبويه
واللام للاختصاص الا ان التخصيص بفضل الله تعالى لا بالاستحقاق الذاتي والمختص بهم منازل
عالية من ادار الثواب لا الدار بنفسها حتى يشكل بالنصوص الدالة على عدم اشتراط العمل
في الدخول بها ولذلك قال جنات دون الجنة فانه علم لتلك الدار وحمل الجنات على الجنان
الثانية لا يلائمه مقابلة الجمع بالجمع لان مقتضاها الانقسام والتوزيع وقد روعي ذلك
في قرينها السابقة ولا مجال لرعايتها ههنا لعدم العهد في توزيعها ثم ان ذلك الاختصاص
مشروط بسلامة العاقبة لان الاعتبار للخاتمة على ما افصح عنه قوله تعالى ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم واما الاستمرار على الايمان المقارن بالعمل
الصالح فليس بشرط والجنة في الاصل كرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب
على ذلك سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه وستر ما تحته ثم البستان لما فيه من الاشجار
المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان والمراد ههنا الغرف وهي المواضع
العالية والمنازل الرفيعة من بساتين الجنة على ما افصح عن ذلك في قوله والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان القران يفسر بعضه
بعضا وتنكير الجنات للتعظيم اي جنات لا يكتنه وصفها ثم اكد بالاوصاف الغريبة ويجوز
ان يكون المراد جنات شتى مرتبة مراتب طبقاتهم ودرجات اعمالهم وعلومهم واخلاصهم
تجري من تحتها الانهار الضمير للجنات يعني من تحت تلك الغرف وفيه تنبيه على انها منازل عالية
وقد جاء في الاثار ان الجنة درجات والنار دركات والنهر بالفتحتين وبسكون الثاني
المجرى الواسع والمراد لانها معهودة المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير اسن الاية
فان الاصل في التعريف العهد ولا يعدل عنه الا عند التعذر ولا تعذر ههنا اذ لا حاجة
في ثبوت العهد الى سبق نزول تلك الاية فان المخاطب بتبليغ البشارة هو النبي عليه السلام
فيكفي علمه بها باعلام من الله تعالى وفي البيان بقوله من ماء دلالة قاطعة على ان المراد ماء الانهار
على التجوز فيها او الاضمار **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف
اي هي او جملة مستانفة على تقدير سؤال يختلج في ذهن السامع اثمارها من جنس ثمار جنات
الدنيا ام اجناس اخر فقيل من جنسها ومن الاولى لابتداء الغاية وكذا الثانية واقعتان
موقع الحال ورزقا مفعول ثاني بمعنى المرزوق واصل الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا

مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من الثمرة قيد الرزق المطلق بكونه من الجنات ثم المقيد
بكونه من الجنات قيد بكونه مبتدا من الثمرة قيد الرزق المطلق بكونه من الجنات قيد بكونه مبتدا
من اي ثمرة من ثمارها فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن في الحال ويجوز
ان يكون الثانية للتبعيض اي كلما رزقوا من تلك الجنات بعض الثمرات على انه مفعول مفعول ثان ورزقا
حال او نصب على المصدر وليس المراد من الثمرة الثمرة الواحدة بالشخص وانما المراد النوع الواحد
من انواع الثمار يقال فلان ادركت ثمرة بستانه والمراد الجنس ويجوز ان يكون بيانا كما تقول
رايت منك اسدا اي انت اسد وعلى هذا الوجه يصح ان يراد بالثمرة النوع والجناة الواحدة **قالوا
هذا الذي رزقنا من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا والمقول جملة تشبيهية لقوله **واتوا به
متشابها** اي هذا مثل الذي او كالذي رزقنا من قبل حذف حرف التشبيه لاستحكام الشبه
كان ذاته وانما جعل ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا لتميل النفس اليها اول ما رأت فانه
لو لم يكن من جنسها لا يمكن ان ينفر منها طباعهم ويعافهم نفوسهم في اول الوهلة وبادي النظر
وهذا لا ينافي التذاذهم به فوق ما التذوا بالوفاقه بعد الوقوف على طعمه ولا يخالف ما اشتهر
فيما بينهم من ان لكل جديد لذة ولانهم اذا صادفوا ما التذوا به ولعنوه من جنس ما كان
معهودا لهم ورأوا بينه وبين ما عهدوه تفاضلا بينا وتفاوتا عظيما عرفوا قدر
النعمة وحقها وبلغ استلذاذهم به واستحسانهم له الى ما لا يمكن وصفه لكونه نعمة غير مترقبة ولو كان
من جنس اخر واذ فاق وبلغ غاية الحسن وراق لحسبوا ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك ولم يقع
في انفسهم وقع تلك النعمة وتكرارهم هذا القول واستينافهم له عند كل ثمرة يرزقونها دليل على
تناهي الامر في الفضيلة والمزية وان ذلك الفرق البين والتفاوت العظيم هو الذي يستدعي
تلفظهم بذلك ويستنطقهم ويستهشهم فرحا وحبورا ولا يدعهم يقروا ويسكتوا بل يستفزهم لذة
وسرورا وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها
اخرى وانها تجري في غير اخدود والضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة لاشتمال الكلام
عليها كقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير ولو رجع الى المذكور
لقيل اولى به ويجوز ان يكون المعنى من قبل هذا في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي
الحسن يؤتى احدهم بالصحيفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل
فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعلى هذا يرجع الضمير الى الرزق المطلق كان هذا

اشارة اليه ولا يخفى ان الوجه هو الاول لعدم المساعدة فى نكتة كلتيهما للاخير والجملة اعتراضية كقوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون والواو فى **ولهم فيها ازواج مطهرة** عاطفة الجملة من تتمة وصف ثواب المؤمنين ومطهرة بالتوحيد ومطهرات بالجمع لغتان فصيحتان فى وصف ازواج لكونه جمع التكسير وان كان جمع المؤنث الحقيقى بخلاف ما لو قال زوجات لسلامة الواحد فيه فلم يجز الا مطهرات كانه قال جماعة ازواج مطهرة وبناؤه للمفعول لفخامة اذ فيه ان لها مطهرا وليس الا الله فيكون طهارة هى اعظم من كل طهارة فان قيل هذا معارض بان فيه اشعارا بسابقة التلوث بما يستقذر والكمال فى كون الطهارة خلقية بخلاف بنائه للفاعل فان المتبادر منه بمعونة المقام ان يكون طهارتهن خلقية قلنا نعم كذلك الا ان الاول ارجح لكونه ادخل فى البلاغة لما فيه من تعظيم المؤمنين وهو المناسب للمقام ورعاية جانب من سيق له الكلام وتطهيرهن من الاوصاف القبيحة فى الخلق والخلق لما كانت مجامع اللذة فى المسكن البهى والمشرب الروى والمطعم الشهى والمنكح الوضى ذكرها تعالى فى بشارة المؤمنين مبتدئا بالمسكن لانه محل الاستقرار ثم بالمشرب والمطعم لانهما قوام الجسم وقدم المشرب لما فيه من تشريف المسكن ثم بالازواج لان بها تمام اللذة والانس ولما ذكر مجامع اللذة وذلك ينتقص بخوف الزوال اتبعها بقوله **وهم فيها خالدون** الخلد البقاء الدائم الذى لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فان مست فهم الخالدون وتقييده بالتابيد فى قوله خالدين فيها ابدا لقطع التجوز فانه استعمل فى الثبات المديد وان لم يدم متعارفا وتابع **ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما بين التوحيد واثبت صحة النبوة بالبرهان وهما اساس الدين واصل الايمان وارشدهم الى معرفة حقيقة القران فحجهم بالتحدى ورتب الوعيد على الكفر به والوعد على الايمان شرع فى ابطال اعتراضات والشبهات التى طعن بها الجاحدون الجهلة كقولهم ان الله اجل قدرا واعظم شانا من ان يمثل بهذه المحقرات كالذباب والعنكبوت وقولهم اما يستحيى رب محمد فاجابهم بما دل على ان التمثيل انما يستدعيه حال الممثل له فكلما كان اعظم كان الممثل به اعظم وكلما كان احقر كان الممثل به احقر كقوله ولله المثل الاعلى فيلزم ان يكون للالهتهم المثل الادنى لانها جمادات لا قوة لها ولا شعور اذ الغرض من التمثيل تصوير المعقول بصورة المحسوس وتقرير المعنى المراد فى النفس ولا يعارض العقل فى المعانى المعقولة الا الوهم لميله الى الحس وامتناع ادراكه للمعانى الكلية فاذا تمثل المعنى العقلى بصورة محسوسة اذعن له وانقاد وقبل المعنى المراد ولهذا كثر التمثيل فى كلام البلغاء والحكماء والانبياء صلى الله عليه وسلم وفشا فى الكتب

الالهية

23

الالهية ولا يتعلق حال المثل فى الحسن والقبح بحال الممثل الا فيما يصار اليه من وجه الشبه بين الممثل له فان لم يكن مطابقا بان لا يكون الوصف المشترك المقصود اظهاره فى الممثل به اجلى واقوى واشهر كان الممثل قاصرا فى البلاغة منسوبا الى الدناءة وان كان مطابقا بان المعنى المراد افهامه فى الممثل به ابلغ واتم واكمل واعم كان الممثل اجل قدرا واعلى شانا ولهذا يمثل الله تعالى الهتهم بالبعوضة فما فوقها فى المعنى الممثل له من الحقارة اى ما هو احقر منها كجناحها وكما قيل اقل من لا شىء فى غاية الحسن والجزالة ونهاية الفصاحة والبلاغة كما تقول فلان اقل قدرا من الكلب فيقول صاحبك وفوق ذلك اى فى قلة القدر وقد جاء فى الانجيل تمثيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء بالزنابير وفى كلام العرب اجرد من جراد واسمع من قراد ويحتمل ان يكون المراد بقوله فما فوقها العنكبوت والذباب وما ورد فى المثل مما هو اعظم من البعوضة ردا لما استنكروه كما قيل فلان بخيل بدرهم فتقول انه بخيل بدانق فما فوقه اى فضلا عما فوقه فى العظم من الدرهم والحياء انقباض النفس مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجالة التى هى انحصار النفس عن الفعل مطلقا واستعمال الاستحياء لله تعالى مجاز على سبيل التمثيل اى لا يترك ضرب المثل بالمحقرات ترك من يستحيى لحقارتها وقد جاء فى الحديث ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه وفى التمثيل من المبالغة ما لا يخفى على الفطن للتخييل وتصوير المعقول بصورة المحسوس والوجدانى المدرك بالضرورة ويجوز ان يكون وقوعه على سبيل المقابلة وتطبيق الجواب السؤال فانه لما جاء فى كلام الكفرة اما يستحيى رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت قابله بقوله ان الله لا يستحيى وهو فى كلامهم نوع بديع وفن عجيب يسمونه ويدعونه لمراعاة المشاكلة وضرب المثل صنعه واعماله من ضرب اللبن وضرب الخاتم واصله وقع شىء على اخر والاستحياء يتعدى بنفسه وبمن فعلى الاول يكون ان يضرب منصوب المحل على المفعولية وعلى الثانى يكون مجرور المحل بتقدير من او منصوب بنزع الخافض حذفا وتعدية الفعل اليه بنفسه ومثلا مفعول ليضرب وما ابهامية منصوبة المحل صفة لمثلا تزيده شياعا وعموما وابهاما وسدا لباب التقييد او مزيدة للتاكيد كما قوله فبما رحمة اى مثلا حقا وبعوضة بالنصب بدل او مفعول به وقيل عطف بيان لمثلا وفيه انه لا يكون فى النكرات عند الجمهور ومثلا حال مقدمة عليها لتنكيرها او مفعول ثان ليضرب اجراء لضرب مجرى جعل وصير وان رفعت بعوضة فما موصولة حذف صدر صلتها كما قوله تعالى تماما على الذى

احسن بالرفع او موصوفة كذلك اي صفتها جملة محذوفة المبتدا ، ولما الوجوه الاربعة المذكورة
في بعوضة بالنصب ووجه اخر اعرب وافصح وهو ان يكون ما استفهامية مبتدا خبره بعوضة
اي بالبعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي مما دينار ودينارين والبعوض من البعض كالقطوع
والخموش من القطع والخمش ومعنى البعض القطع كالبضع والعضب ومنه بعض الشي لانه قطعة منه
وهو في الاصل صفة غلبت على هذا النوع **فما فوقها** عطف على بعوضة او على ما ان جعل اسما **فاما الذين
آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم** واما حرف التفصيل وفيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
يفيد الكلام توكيدا تقول زيد ذاهب فاذا اكدت قلت اما زيد فذاهب وما بعد اما جملة
جزئية حقها ان يصدر بالفاء لولا دخول اما عليها فاخر الى الخبر لوجودها وجعل المبتدا سادا
مسد الشرط المحذوف لفظا ومعنى التفصيل في اما وتصدير الجملتين بها ان بين الفريقين غاية
البعد والتضاد في فضل الفريق الاول وتحقيقهم في علمهم واصابة نظرهم وهدايتهم وسدادهم
ونقص الفريق الثاني وتعمقهم في جهلهم وازاغة بصرهم وغوايتهم وزيغهم او عنادهم
ومكابرتهم لانهم بين ان لا يتفطنوا لوجه التمثيل وحسنه وخفيته وبين ان يعاندوا او كابروا
كلا الامرين وفيه بعد عن مقتضى الفطرة وسقوط عن درجة الانسانية وتجاف عن الصواب
والسداد وانها لا في الغي والفساد والحق هو الامر الثابت الصحيح في نفس الامر الذي لا يسوغ
عند العقل انكاره يقال حق الامر اذا ثبت **واما الذين كفروا فيقولون** انما قال في مقابلة
قوله يعلمون يقولون لدلالته على عدم العلم بابلغ الوجوه واكدها فان صدور القول
المذكور منهم يدل على فرط الغباوة من عدم التفطن او مخالفة العلم بالمكابرة واهمال العمل
بمقتضى العلم جهل ايضا **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يحتمل ان يكون ما استفهامية وذا
بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب
المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق
الجواب السؤال والارادة نزوع النفس ومیلها الى الشيء وهي نقيض الكراهة
التي هي النفرة وارادة الله تعالى ليست بصفة زايدة على ذاته كارادتنا بل هي عين حكمته التي
تخصص وقوع الفعل على وجه دون وجه وحكمته عين علمه المقتضي لنظام الاشياء على الوجه الاصلح
والترتيب الاكمل وانضمامها مع القدرة هو الاختيار وفي لفظة هذا استرذال
واستحقار كما في قول عائشة رض في عبد الله بن عمرو بن العاص رض يا عجبا لابن عمرو هذا

ومثلا نصب على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية او على التمييز كما في قولك لمن اجاب بجواب ضعيف
ما اردت بهذا جوابا **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** بيان للجملتين المصدرتين باما وتقرير
لان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم والجهل به والانكار
من باب الضلال والفسوق الذي ازداد به الجهلة ظلمة الى ظلمتهم وفيه تسجيل على الفريقين بهداية
المحقين ورشدهم وضلالة المنكرين وفسقهم وكون كل منهما موصوفا بالكثرة في نفسهم لا بالقياس
الى الاخر والضالين بالعدد والمهديين بالقدر والحقيقة كما قال ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا فان المهديين اقل من الضالين بالعدد ولهذا قدم يضل به كثيرا
واما احتمال كونه جوابا لما في ماذا اذ المراد اضلال كثير وهداية كثير واراد اضلال كثير وهداية
كثير فيا باه قوله مثلا فان التمثيل لا يناسب ان يراد به الاضلال قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون **وما يضل به الا الفاسقين** الفسق لغة هو الخروج عن القصد قال
رؤبة فواسقا عن قصدها جوايرا ويستعمل في مجرد الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها
وشرعا هو الخروج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة والمراد بالفاسقين عن الايمان لدلالة
ما بعده عليه وقصر الخسران عليهم وترتيب الضلال على الفسق يدل على كونه مسببا عن الفسق
الذين ينقضون عهد الله منصوب المحل صفة للفاسقين وتسجيلا عليهم بالخسران
والنقض الفسخ وفك التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في العهد من باب استعارة
بالكناية بايراد صفة المستعار منه دون ايراده لينبه بالرمز على ان العهد حبل في ثبات الوصلة
بين المتعاهدين وعلى هذا فلا يلزم ان يكون النقض مستعملا في معنى الابطال منقولا عن معناه
الاصلي كما ان استعارة الاسد للشجاع واستعارة البحر للعالم بطريق الكناية لا يلزمها خروج
الافتراس والاغتراف عن معناهما الاصليين بل نقول مقتضى تلك الاستعارة ان يكون ما به
الكناية قارا في معناه الاصلي حتى يكون من خواص المستعار منه حقيقة والعهد الموثق ولهذا
قال في الوصية عهد اليه في كذا اذا وصاه ووثقه عليه ووضع لما يحفظ ويراعى ويتعهد
كالوصية والشرط واليمين ويقال للدار التي تراعى والتاريخ الذي يحفظ عهد وهذا
العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على جميع تصديقه
في الايمان وعلى هذا اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول الله المصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولا يكتموا امره ولم يخالفوا

حكمه والله اشار بقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق الذين اوتوا الكتاب **من بعد ميثاقه**
الميثاق ما وثق به العهد من القبول والالتزام والحلف وامثاله مفعال من الوثاقة والاصل مفعال
ان يكون صفة كمعطاء او آلة كمحراث وقال ابن عطية اسم بمعنى المصدر ولا يعلم مفعالا جاء مصدرا
ولا عبرة فى اثباته والضمير عائد على العهد ان عنى به ما وثق به العهد وعلى الله او عليه ان عنى
معنى المصدر ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لكن الظاهر انه توصيف للفاسقين
بانهم يضيعون حق خلق الله تعالى بعد توصيفهم بانهم يضيعون حقه تعالى وتضييع حقه تعالى
بنقض عهده وتضييع حق خلقه بقطيعة ارحامهم والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبه سمى الامر
الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر كان الداعى الذى يدعو اليه ويبعث
عليه آمر بامر به فهو مامور به كما سمى شانا والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اى قصدت
قصده وان يوصل مخفوض المحل بدل من الضمير فى به للاشتمال او على تقدير اللام **ويفسدون
فى الارض** بقطع الزرع والنسل وهيج الحروب والفتن واحداث الهرج والمرج وكذلك
ولذلك قصر فى قوله **اولئك هم الخاسرون** الخسار عليهم بخروجهم عن مقتضى الفطرة واستبدالهم
ظلمة الجهل بالنور الفطرى والغواية بالهداية الاصلية التى هى نور العقل والنقض بالوفاء
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون** كيف
للاستفهام عن الحال والمراد الانكار والاستبعاد والتعجب وليس فيه معنى الاخبار والا يلزم
الجمع بين المعنى الحقيقى والمجازى ولما علم امتناع وقوع الشئ على غير حال من الاحوال كان انكار
حال من احوال الكفر انكار نفس الكفر على الطريق البرهانى فيكون من باب الكناية بنفى اللازم
فيفيد كون الكفر بالله تعالى مع العلم بالحالة الاتى ذكرها كالمستحيل فى نفسه لقوة الدليل
الموجب للايمان فانها ايات بينات ولهذا كان الاستفهام الانكارى بكيف ابلغ من الاستفهام
الانكارى بالهمزة وحمل الكفر ان القابل للشكر يا بان الباقى **بالله** لانه لا يقال الكفر بالمنعم
وبالنعمة بل يقال كفر المنعم والنعمة ولان بعض ما ذكر ليس من النعم كما لا يخفى والخطاب مع الذين
كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقام وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم
على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك **وكنتم امواتا** اى اجساما لا حيوة لها
عناصر واغذية ونطفا ومضغا والاموات جمع ميت كالاقيال جمع قيل واطلاقه
على تلك الاجسام من قبيل اطلاق المقيد على المطلق مجازا كاطلاق المرسن على الانف وقيل

وقيل بطريق الاستعارة للاشتراك مع الاموات الحقيقية وهى التى زال عنها
الحيوة فى عدم الروح والاحساس وفيه نظر والواو للحال والمنصوب على الحال ليس فعلا
واحدا بل جملة قوله كنتم الى قوله ترجعون وهى وان كانت بعض اجزائها ماضيا وبعضها
مستقبلا ولا يصح كونهما حتى يكون فعلا مقارنا لوجود ما هو حال عنه لكن معناها حالكم
المشهودة وقصتكم المعلومة هذه فيؤول معناها الى قوله كيف تكفرون فى حال علمكم
بهذه القصة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم واما خلق الارواح فلا دليل على تاخره
عما ذكر بل الظاهر من بعض الاحاديث تقدمه عليه والعطف باداة التعقيب لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى **ثم يميتكم** عند انقضاء اجالكم
ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ فى الصور او للسؤال فى القبور اذ لا يناسبه التنزيل
منزلة البديهى فى الظهور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر ليجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه
من قبوركم للحساب وهذه الامور بعضها معلوم بالضرورة وبعضها لوضوح ادلته النقلية
جعل كالمعلوم بالبديهة لقوة التمكن من العلم **هو الذى خلق لكم ما فى الارض**
لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر واما الثانى فبالنظر فيه من عجائب
الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم بعنوان الحكمة والمصلحة فى خلقه انتفاعكم وهذا لا ينافى
التوقف فى الانتفاع به على الرخصة من جهة الشرع حتى يكون فيه دلالة على ان الاصل فى الاشياء
الاباحة ولا الاختصاص فى البعض ببعض الطارى بسبب بعض العوارض حتى يحتاج الى
ان يقال ان الكل للكل على التوزيع فان المعتبر صلاحيته الانتفاع لا الانتفاع بالفعل
وايراد الضمير مبتدا وبناء الذى عليه دون ايقاعه صفة لله يفيد التخصيص والتعظيم
اى هو الخالق لما ذكر دون غيره والمراد من الارض الجهة السفلية فما فى الارض يتناول الارض
وما فيها **جميعا** نصب على الحال من ما فى الارض وهو للمبالغة فى التكثير لا للاستغراق كلفظة
كل فى قوله واوتيت من كل شئ وفى قوله ثم كلى من كل الثمرات لان فى الارض ما لا صلاحية
فيه للانتفاع ولا هو فى معرض الاعتبار لكونه مستورا عن النظر **ثم استوى الى السماء** فاستوى
الاستواء الاعتدال والاستقامة من استوى العود اذا قام واعتدل فاستوى اليه قصد قصدا
مستويا لا اعوجاج فيه كالسهم المرسل من غير ميل الى غيره سواه عدله وقومه والاستواء
طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه

لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اليه بمعنى استولى عليه وملك قال قد استوى
بشر على العراق والاول اوفق للاصل والسوية المرتبة عليه والمراد من السماء هذه الاجرام
العلوية او جهات العلو **فسويهن سبع سموات** هن ضمير مبهم فسره سبع سموات
بيانا له وقيل راجع الى السماء لانه في معنى الجنس وسبع سموات حال وقيل
جمع سماوة والوجه الاول وقوله وهو بكل شيء عليم جملة اعتراضية وثم للتفاوت بين الخلقين
وبيان فضل خلق السماء على الارض استعير من معنى التراخي لبعد ما بين خلق السماء من خلق
الارض في الرتبة ولهذا عضده ورشحه بالابهام والتفسير ليفيد عظمة ورفعة
في النفس ثم قواه بالجملة الاعتراضية لافادة ان مثل ذلك الخلق لا يكون الا عن علم تام بالغ
فوق كل ذي علم فمعنى ثم انه مع خلق هذه الاشياء البديعة العجيبة اقدم على خلق ما هو
ابدع منها واعجب وابعد من الوهم والقياس من غير ميل الى شيء غيره فلا يدل على تأخر
خلق السماء عن الارض بالزمان بل على شرف بيانها وتفاضلها **واذ قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة** اذ ظرف ينتصب بانما اراد اذكر فيكون عطفا على قوله وبشر على الوجه
الذي جعل عطف قصة على قصة وما تخلل ليس باجنبي به بل من تمام القصة واحسن منه لقربه اخذا
وصحته على الاوجه ان يقدر فتدبر او نحوه بعد قوله والله بكل شيء عليم ويكون واذكر عطفا
عليه ولما كان هذا من اجل النعم على نوع البشر ومن ادل الدليل على عناية الباري تعالى
بشان هذا النوع كان العطف عقيب تعداد النعم مناسبا كانه قيل فتدبر ذلك وذكر هذه النعمة
خاصة فان فيها بلاغا لمن تذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا ويتعين ان يكون عطف قصة
على قصة متقدمة من قوله كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
وقد سبق انها قصة واحدة في المساق والغرض وانه لا يجب مراعاة الخبر والطلب في هذا الصدد
والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والحاق التاء لتأنيث الجمع
كما في الصياقلة في جمع صيقل والخليفة فعيلة بمعنى الفاعل من خلف غيره اذا قام مقامه
والتاء فيه للمبالغة وفي الارض خليفة كانا في الاصل مبتدأ وخبرا انتصبا بمفعولي
جاعل مع جعل المتعدي الى مفعولين بمعنى صير والمعنى اني جاعل في الارض خليفة مني اي
من يخلفني ويقوم بامري في الارض وقيل منكم اي من يخلفكم ويسكن مكانكم لانهم كانوا
قبل ادم سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته واستغنى بذكر ادم عن ذكر ذريته

كما يستغنى

كما يستغنى بذكر ابي القبيلة عنها في قولك مضر وهاشم او اريد به الجنس اي من يخلفكم
وانما اخبرهم بذلك ليعرفوا بسؤالهم وجوابه حكمة الله تعالى في قوله اني اعلم ما لا تعلمون
اذ الملائكة تطلع على تفاصيل وجوده وخواص قواه من الافساد في الارض وسفك الدماء
المختصين بالقوى الشهوانية ولا تطلع على خواص الهيئة الاجتماعية وعلى خواص ما فوق اطوارهم
من المعارف والاسرار الالهية او قاسوا الانس على الجن حيث اسكنوا الارض بعد الملائكة
فافسدوا فيها ولذلك استبعدوه وتعجبوا منه وليس فيه تعليم المشاورة لانه ليس بطريق
المشورة قال الراغب ليس قوله اني جاعل في الارض خليفة على الاستشارة فان
الاستشارة استمداد في العلم من المستشار والله منزه عن ذلك وانما هو اعلام كما علمه
ايانا كثيرا من الكائنات لمصلحة ما ولا البشارة بوجود المجعول لانها انما تكون بالخبر السار
والقيد المذكور معقود ههنا على ما يفصح عنه قولهم ونحن نسبح الخ **قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء** لما كان قول الملائكة مع عصمتهم ظاهر
الاعتراض تأوله العلماء على وجوه احسنها عندي انه كان توجيه الخطاب لهم مجملين وابليس
مندرج في جملتهم فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل ابليس عن جملتهم بابائه واستكباره
انفصل الجواب الى نوعين فنوع الاعتراض كان عن ابليس ونوع التقديس والتسبيح
كان من الملائكة فانقسم الجواب الى قسمين كانقسام الجنس اليهما وناسب كل جواب
لمن ظهر عنه كان الظاهر المطابق للخطاب السابق ان يقولوا اتجعل فيها خليفة من يفسد
وانما عدلوا عنه الى ما ذكر صرفا للتعجب الى جعل المفسد وخلقه في الارض مع قطع النظر عن معنى
الخلافة يعني ان وجودهم فيها محل استبعاد فاني كونهم خليفة ويحتمل ان يكون القصد
تجريد التعجب عن شوب التعصب فان في ذكرهم بوصف الخلافة تعرضا لما هو مطمح نظرهم واما
قصد الاستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والاستخبار عما
يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه فيأباه ما في توصيفهم انفسهم بالتسبيح والتقديس
من التعريض وما في قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من عدم البيان لما اشتبه عليهم لا يناسبه
من يفسد احد مفعولي تجعل والثاني فيها وانما قدم للاهتمام وفي تكريره فيها تنبيه
على ان ما كان محلا للعبادة لا يناسب ان يكون محلا للفساد والسفك والسبك
والسفح والسن والشن والصب متقاربة وبينها فروق فالصب اعم من هذه الالفاظ والسفك

يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن والسن للصب عن القربة ونحوها **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** الواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان وقوله بحمدك في محل الحال اي ملتبسين بحمدك بمعنى حامدين لك والتسبيح تنزيه الله تعالى من النقص والسوء قولا واعتقادا واصله من السبح وهو سرعة الذهاب في الماء واستعير لمر النجوم في الفلك ولجري الفرس وقال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي سعة ذهاب وسبحه عن كذا اي نزهه والتقديس التطهير من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ثم استعمل في التطهير لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار ومعنى نقدس لك نقدسك واللام مزيدة وقيل نقدس نفوسنا لاجلك كانهم قابلوا الفساد بالتسبيح وسفك الدماء بتطهير النفس وليس ذلك اظهارا للمنة بل هو على حسب ما يقول المجتهد يحب ان يفوض صاحبه اليه خدمة ما فيقول تأمر الخدمة بغيري وانا مجد فيها وعلى ذلك قولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقال تعالى في جوابهم تعريض ولم يصرح ههنا ليبين لهم فضيلة الانسان وما خصوا به من العلم والعمل الذي يقصر الملك عنهما عيانا ومشاهدة وانما ابهم بيان استحقاقه فيه ليعترفوا بالعبودية ويعرفوا ان له وراء علمهم علما هم عنه محجوبون وكفى العباد علمهم بملك ليزدادوا تعظيما له ويتبينوا نقصهم وكماله ثم بين لهم بعضه فيما بعد ليعظم عندهم وقعه فيرجعوا ويسلموا او يعترفوا بنقصهم ويلين شكايتهم هنا جملة محذوفة يتم بها المعنى ويصح العطف وتقديرها فجعل في الارض خليفة وسماه آدم فقالوا المذكورة فصيحة **وعلم ادم الاسماء كلها** التعليم حقيقة فعل يترتب عليه العلم ولا يتخلف عنه وقد يطلق مجازا على القاء مقدمات العلم وهو الذي يترتب عليه العلم غالبا وقد يتخلف عنه وهو المراد في قولهم علمته فلم يتعلم ومعنى تعليم الاسماء انه اراه اجناس المخلوقات وبين ان هذا اسمه فرس وان هذا اسمه بعير على ان المراد من الاسماء الالفاظ الموضوعة للمعاني مفردة كانت او مركبة مخبرا عنها او خبرا او رابطة بينهما او بين ان هذا للركوب وهذا للحرث على ان المراد منها اسماء الاشياء وخصائصها ولا علم لنا بطريق تعليمه تعالى آدم الاسماء واعلم انهم بعدما اتفقوا على ان دلالة الالفاظ وضعية اختلفوا في تعيين الواضع فذهب قوم الى انه هو الناس ويسمى هذا المذهب مذهب الاصطلاح وبعضهم الى التوزيع اي بعضه اصطلاحي وبعضه توقيفي ويسمى هذا المذهب مذهب التوقيف وذهب بعضهم الى انه وبعضهم الى التوقف فان كان النزاع في الظهور لا في القطع فالظاهر من الآية المذكورة هو الاول وعلى مذهب الثاني لا يلزم من الحاجة الى سابقة اصطلاح التسلسل اذ يجوز ان يعرف القدر المحتاج اليه في الاصطلاح بالترديد والقرائن كما يعرف الاطفال والله اعلم بحقيقة الحال وآدم وزنه فاعل كآزر وعازر وشالخ وفالغ

ان كان عجميا وافعل على انه مشتق من اديم الارض ان كان عربيا قال الجواليقي في المعرب اسماء الانبياء كلها اعجمية الا اربعة اسماء وهي آدم وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام وقد صح عن ابن عباس رضه انه قال انما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وورد مثله عن علي رضى وابن مسعود اخرج ابن جرير واديم الارض ظاهر وجهها وقرئ علم على البناء للمفعول ورفع آدم ومنع الصرف للعلمية والعجمة او وزن الفعل **عرضهم على الملائكة** الضمير للمسميات المدلول عليها كما في قوله تعالى ولابويه ان كان الالف واللام في الاسماء للجنس او للعهد ان كان التعريف باللام عوضا عن التعريف بالمضاف اليه على ان المراد اسماء المسميات كما في قوله واشتعل الرأس شيبا انما ذكر الضمير للتغليب فان في المسميات العقلاء ولفظة ثم للدلالة على تأخير العرض عن التعليم وذلك ليتحقق ويظهر فضل آدم وجهة احقيته للخلافة وقت قوله تعالى ان كنتم صادقين فانه يدل على انهم غير صادقين في زعمهم انهم احقاء للخلافة وذلك بثبوت فضل آدم في ذلك الوقت **فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين** الانباء اخبار فيه اعلام ولذلك اجري مجرى كل واحد منهما فقيل انبأته بكذا كقولك اخبرته بكذا وانبأته كذا كقولك اعلمته كذا ولما كان المراد ههنا معنى الاخبار قال باسماء ثم انه لا يقال انباء الا لخبر فيه خطر ففي عبارة الانباء تعظيم لشان علم الاسماء وانما استنبأهم للتبكيت والرد عليهم فيما اظهروا من عدم استحقاقه للخلافة وما ابطنوا عن او توهمتم بذلك لا للتكليف بالمحال لانه متعلق بل لان التعليق المذكور لا يناسب التكليف وجواب الشرط في ان كنتم محذوف دل عليه انبئوني فان قيل الصدق والكذب انما يتعلق بالخبر وهم استخبروا ولم يخبروا فكيف يصدقون او يكذبون قلت الصدق والكذب وان كانا لا يتعلقان بالانشاء بالقصد الاول ومن حيث المنطوق فقد يتعلقان بالقصد الثاني ومن حيث مفهوم وذلك ان كان الاستخبار على وجه يفهم منه معنى الخبر وقد نبهت فيما تقدم ان الامر فيما نحن فيه كذلك فان سياق كلامهم لما كان كاشفا عن زعمهم انهم احقاء بالخلافة كان استخبارهم متضمنا لمعنى الخبر فان قلت اليس زعمهم المذكور فاسدا متضمنا لتجويزهم صدور ما يخالف الحكمة عن الله تعالى وشان الملائكة اعلى من ذلك لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون قلت الا ان قوي الاشكال وقد مر منا الاشارة الى دفع الانحلال بارجاع زعمهم المذكور الى ابليس والله اعلم **قالوا سبحانك** تنزيه منهم له تعالى عن فعل لا مصلحة فيه ولا حكمة اي ننزهك عن فعل ما يمكن ان يكون اصلح منه واما الاشعار بان سؤالهم كان استفسارا محضا فلا يناسب المقام لما فيه من التلبيس ولانه مردود بقوله تعالى ان كنتم صادقين على ما نقف عليه باذن الله و سبحان

من المصادر اللازم حذف فعلها سماعا وهو علم التسبيح تجرده ذكره مجرى ذكر الفعل اى نسبحك
تسبيحا **لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف منهم بالنقص ولزوم الحد اى لا يمكننا الاكتساب والترقي
ولما كان قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا من باب الشكر افادت الاية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل
عن نقصانه وعن فضل الله تعالى واحسانه وفي وجه هذا الجواب من الحسن ما بهر الالباب حيث
قدموا بين يديه تنزيه الله تعالى ثم اعترفوا بالجهل ثم نسبوا العلم لله تعالى واردفوا صفة العلم بصفة الحكمة
اذ بان لهم وصف الحكمة في قوله اني جاعل في الارض خليفة وقدموا وصف العلم لان الذي ظهر به
المزية لادم هو العلم ولان الحكمة من اثاره **انك انت العليم الحكيم** سلب العلم والحكمة عن نفسهم
بقصرهما عليه وانما قصرهما عليه بتوسيط الضمير وايراد اللام وصدر الجملة بان التوكيد الرافع
للشك والانكار لايهام كلامهم بان استخلاف ادم على خلاف مقتضى العلم والحكمة ودعواهم العلم
لانفسهم وشكهم في استحقاقه وانكاره لمزيته عليهم فرجعوا عن ذلك واقروا بان ماهية العلم والحكمة مخصوصة
به دون من سواه وانه محقق عندهم والحكيم فعيل بمعنى مفعل اى محكم لمبدعاته وذلك لانه لا يفعل
الا ما فيه حكمة بالغة **قال يا ادم انبئهم باسمائهم** ناداه باسمه العلم وكذا سائر الانبياء عليهم السلام
وهو خطاب تعريف ونادى محمدا يا ايها النبي ويا ايها الرسول وهو خطاب تشريف فانظر تفاوت
ما بين الندائين وقال تعالى انبئهم فجعل من اعترضوا به معلما لهم ومنبئهم بما تقاصرت علومهم عنه ليظهر
بذلك فضله عليهم **فلما انباهم باسمائهم** بين هذه الجملة والتي قبلها جملة محذوفة تقديرها فانباهم
فالفاء المذكورة فصيحة اى اخبرهم بها وعلموا فضله وظهر عجزهم وقصورهم **قال الم اقل لكم** انكار
داخل على النفي فيفيد التقرير لان نفي النفي اثبات **اني اعلم غيب السموات والارض** استحضار لقولهم اعلم
ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه البسط ليكون كالحجة عليه واضافة غيب بمعنى في كضرب اليوم اى غائب السموات
والارض والغيب ههنا ما خفي عنهم فيهما وفي الاصل ما غاب عن الحس اى الغائب المقابل للشهادة بمعنى الشاهد
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على الم اقل لا على اعلم لانه ما كان مقولا لهم في قوله اني اعلم
ما لا تعلمون فهو مقول الذات ويجوز ان يكون واو الحال والمراد بما تبدون ما صدر عنهم من التصريح والتلويح
فينتظم ما تعرضوا له بطريق التعريض وبما تكتمون ما اسره ابليس من الكبر والعصيان فهو من قبيل خطاب الجمع
بفعل الواحد منهم كما في قوله تعالى فعقروه واعلم ان في هذه الايات دلالة على شرف الانسان ومزية العلم
وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح
اطلاق المعلم عليه لاشتهاره فيمن يحترف بالتعليم وان لم يكن مخصصا به على ما يفصح عنه تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني

واذ قلنا

واذ قلنا للملائكة نظمه بما قبله من حيث ان في اول هذه الاية كشف ما اجمل في ختم تلك الاية مما نسب
اليهم من كتمان ابليس من الكبر والعصيان واذ هذه عطف على التي قبلها ان نصبتها باضمار اذكر وان نصبتها
بقالوا فهذه منصوبة باذكر مقدرا والواو عاطفة الجملة على الجملة ولك ان تقول ان العامل محذوف تقديره
انقادوا واسجدوا لان السجود كان ناشيا عن الانقياد وفي قلنا خروج عن ضمير المتكلم المفرد الى ضمير
الجمع لان التعظيم من حيث انه ادعى لامتثال الامر من غير بطء يناسب المقام **اسجدوا لادم** فيه ايجاز
ونقل اللام المتعلقي الحصر في التسخير اعتبارا للحاصل على ما دل عليه قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فانه صريح في ان الامر بالسجود كان قبل تسوية خلق ادم عليه السلام فلما لم يكن امرهم
بالسجود مرتبا على انبائهم بالاسماء بل على ظهور شان نفخ الروح في قالب ادم عليه السلام لم يصح ان يكون ذلك
اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه قال ابو عمرو يقال سجد اذا طاطا راسه وانحنى
فالسجود التطامن مع خفض الراس وبه يفارق الركوع واما التذلل فاعتباره في مفهومه العرفي
دون اللغوي وقد جاء في المثل اسجد من هدهد وليس في سجوده تذلل وفي الشرع وضع الجبهة
على الارض ولا يلزم ان يكون على قصد العبادة فان صلوة المرائي صلوة حقيقة وليست على قصد
العبادة والسجود المامور كانت على سبيل التكرمة كسجود اخوة يوسف عليه السلام له وكون السجود
لله تعالى على ان يكون ادم قبلة يرده قوله تعالى نقلا عن ابليس اسجد لمن خلقت طينا لان الاعتراض بكونه
طينا انما يتجه ان لو كان مسجودا حقيقة لا قبلة للسجود كالكعبة شرفها الله تعالى قال الامام ابو منصور فيه
دليل على ان الكتاب ينسخ بالسنة فان جواز السجود لغير الله تعالى ثبت بقصة ادم ثم نسخ ذلك بالخبر
وقيل هو بيان استغنائه عن عبادتهم اياه وانكاره عليهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم
لا حاجة لي الى عبادتكم وخضوعكم فاخذ مواعيد من عباد علم يخذ مني كثير خضوعه **فسجدوا**
عن وهب قال اول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وكان ذلك لما نفخ
الروح من غير تاخير لقوله عز وجل فقعوا له ساجدين فان الفاء للتعقيب لا تراخي **الا
ابليس ابى واستكبر** استثناء متصل لانه من جنس الملائكة ولا ينافيه قوله وكان من الجن
لان صنفا منهم يطلق عليه الجن على ما دل عليه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولانه جنيا
واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله للملائكة ثم استثني منهم
استثناء واحد منهم لما في قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين دلالة على ان تناول الامر
اياه بطريق الدلالة لان المعنى امر كبير بين ان يكون ادنى من المامورين بالسجود فيتنافي ولكن الامر

دلالة فيلزم الاستكبار اوعلى منهم فيكون من زمرة الغالبين الذين لم يتناولهم الامر بل لان تقدير الكلام فسجدوا والمامورون به تبعا الا ابليس فانه امتنع عن السجود واستعظم نفسه ورفعها عن صنف المامورين تبعا وهذا ما قيل ان الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة الا انه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم لانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد علم ان الاصاغر ايضا مامورون به وليس مبنى هذا على ان يرجع الضمير فى فسجدوا الى القبيلين لان قوله فسجدوا هنا فى موضع فسجد الملائكة فى ايات اخر وامتنع ابليس من الصرف للعلمية والعجمة ومن جعله مشتقا من الابلاس بمعنى الياس قال وشبه العجمة لكونه لم يسم به احد من العرب فصار خاصا بمن اطلقه الله تعالى عليه فكانه دخيل فى لسانهم وهو علم مرتجل والاباء امتناع بالاختيار والتكبر اى يرى الرجل نفسه اكبر شانا والاستكبار طلب ذلك بالتشبع فهو من افعال القلوب بما قدم الاباء عليه وان كان ادل لانه مفهوم الاستثناء وهو عدم صدور السجود عنه ناش عن ابائه واباؤه ناش عن استكباره فروعى هذا الترتيب واستوقف فى انه مع موضع سؤال احتمال ان يكون ترك السجود لعذر دون استكبار لظهور ان الامتناع بالاختيار امرفيه تذلل لا يكون الا عن الاستكبار وكان استكباره مسببا عن كفره الاصلى ولهذا اذيله بالجملة الاعتراضية التعليلية وهى قوله وكان من الكافرين اى كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب المعصية على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه قيل اى صار منهم باستقباحه امره تعالى ولو كان المعنى هذا القبل فكان من الكافرين **وقلنا يا آدم** عطف على اذ قلنا لا على قلنا وفايدة النداء تنبيه المامور لما يلقى اليه من الامر **اسكن** من السكنى اى اتخذ مسكنا ولهذا ذكر متعلقه بدونه فى امر السكون بمعنى ترك الحركة وان كان ذلك فى الحقيقة راجعا الى السكون لانه نوع من اللبث والاستقرار **انت وزوجك** معطوف على الضمير المستكن فى اسكن المؤكد بانت والفصل بالتاكيد لتصحيح الوصل على سبيل التغليب شعارا بذنوبتها وتبعيتها وكان فيه توطئة للاكتفاء بذكره فى قوله فتاب عليه **الجنة** اللام للعهد والمعهود دار الثواب لا غير **وكلا منها** عدل هنا عن اسلوب التغليب تنبيها على ان تبعيتها لزوجها فى السكنى دون الاكل **رغدا** وصف للمصدر اى اكلا رغدا والرغد العيش الدار الهنى الذى لا عناء فيه وقال الليث الرغدان ياكل ما شاء اذا شاء حيث شاء **حيث شئتما** حيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة شئتما ومحل حيث مضافا الى الجملة على الظرفية النصب متعلقة بالاكل مع ظهور تعلقه بالسكنى لان اباحة الاكل فى اى مكان كان وفى اى وقت كان مستلزمة لاباحة

السكنى فيه بحسب العادة بدون العكس وانما اطلق لهما الاكل من الجنة حيث شاءا ومتى ارادا مع سعتها وكثرة اشجارها ولم يقيد بوقت ولا موضع ولا اكل مخصوص بشى دون شى كيلا يبقى لهما عذر فى التناول من شجرة واحدة منهى عنها بتلك المبالغة **ولا تقربا هذه الشجرة** نهى عن الاكل منها بطريق الكناية مبالغة فلذا نهى عن القرب منها وقد افصح عن هذا قوله ما نهيكما عن هذه الشجرة حيث اشار باشارته الى القرب ثم انه لم يقل عن القرب من هذه الشجرة والشجرة نعت او عطف بيان واختلفوا فى تعينها وقال ابن جرير والاولى ان لا يعين لان العلم بها علم لا ينفع والجهل بها جهل لا يضر ولك ان تقول فى التعيين انها الكرمة كما ذهب اليه بعضهم فايدة الاشارة الى ان الخمر ام الخبائث لان اصلها هو الذى كان السبب فى الخروج من الجنة او لا يجب الاجتناب عنها لئلا يكون ما نعا من العود اليها **فتكونا** مجزوم عطف على تقربا او منصوب بتقدير ان جوابا للنهى والفا يفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى او للجواب له وفى جعله سببا للكون المذكور مبالغة اخرى فى تاكيد النهى **من الظالمين** انفسهم بنقص حقوقها بالعصيان وحطها عن درجة القرب والكرامات الى مهوى الحرمان والهوان والظالم ابلغ من الذى ظلم نفسه ايضا مبالغة **فازلهما الشيطان** اى حملهما على الزلة والضمير فى **عنها** للشجرة اى بسببها وتحقيقه اصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها فى قوله وما فعلته عن امرى قيل يجوز ان يكون الضمير للجنة اى اذهبهما عنها وابعدهما من زل اذا ذهب يقال زلت عن الشهر كذا اذا ذهب ويعضده قراءة حمزة فازالهما اذ على هذه القراءة لا يكون الا للجنة والفرق بينهما ان ازل من الزلل وهو عثور القدم وازال من الزوال وهو التنحية ويقوى هذه القراءة انهما امرا بالثبات والاستقرار فى الجنة فناسب ان يقال بعد ذلك فازالهما الشيطان بالمعصية عن المكان الذى امرا بالثبات فيه على وجه الطاعة وازلاله بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله انى لكما لمن الناصحين وهذا صريح فى ان القائه اليهما كان مشافهة لا على طريق الوسوسة وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى وجمهور العلماء واختلف فى كيفية توصله الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولم يمنع من الدخول على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما ويرده قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان لان الوسوسة لا تجامع النداء وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما وزيف هذا الوجه بانهما يعرفانه ويعرفان ما عنده من العداوة والحسد فيستحيل فى العادة ان يقبلا قوله ويرده قوله تعالى الم انهكما الى قوله ان الشيطان لكما عدو مبين لانه صريح فى مباشرة الشيطان للازلال

والله اعلم بحقيقة الحال **فاخرجهما مما كانا فيه** من النعيم والكرامة والابهام للتعظيم اي مما لا يدخل
تحت الوصف او من الجنة ان خص الضمير في عنها بالشجرة والاسناد هنا وفيما تقدم مجازي
لان الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى والشيطان سبب عادي **وقلنا اهبطوا** هبط لازم
ومتعد ومصدر المتعدي الهبط ومصدر اللازم الهبوط وهو النزول من علو الى سفل
والخطاب لادم وحواء لقوله تعالى في موضع اخر قال اهبطا منها جميعا والخطاب
تكويني على ما نقف عليه فلا مجال للتعدد فلا وجه لما قيل المراد هما وابليس وكذا ما قيل
هما المراد وذريتهما لان ما وضع لخطاب المشافهة لا ينتظم المعدوم حال الخطاب
لا عبارة ولا دلالة خلافا للحنابلة وانما جمع الضمير هنا دفعا لشانهما كما في قوله
وكنا لحكمهم شاهدين **بعضكم لبعض عدو** جملة في محل النصب بالحال استغنى
بالضمير عن الواو متعادين والمعاداة فقدان الملاءمة وذلك بين الرجل والمراة كثير
في الخلق والخلق حتى ان عامة ما يحمد من اخلاق الرجال يذم من المراة ولبس الامر تكليفيا
حتى يلزم الاذن في المعاداة بناء على ان الحال قيد والامر بالمقيد يتناول القيد
ولكم في الارض مستقر اما حال ثانيها بالواو واما عطف عليها والمستقر
اما موضع استقرار او استقرار والقرار هو السكون عن برودة ولما كان من شان
البرودة والسكون ومن شان الحرارة الحركة قيل في الساكن برد وفي المتحرك
اشتعل والتهب حتى شبه السريع بنار متقدة والساكن بماء جامد **ومتاع
الى حين** المتاع انتفاع ممتد الوقت ومنه قيل متعه الله بكذا والمراد من الحين
وقت الحين اذ لا انتفاع تمتع بعده وجعل ابتداء يوم القيامة من الموت تكلف مستغنى
عنه وكذا جعل السكنى في القبر تمتعا في الارض **فتلقى ادم من ربه كلمات** التلقي
كالتلقن الا ان التلقي يقتضي استقبال الكلام وقصوده والتلقن يقتضي الحذق
في تناوله والتلقف يقاربه لكن يقتضي الاحتيال في التناول وصيغة التفعل للتكلف
اي تكلف في لقائها بالجهد في التنصل والتوجه وعلى قراءة النصب في ادم والرفع في كلمات
تكلفت الكلمات في الوصول اليه ليكون تزكيته وتصفي قلبه بالتوبة متدرجا وفي اسناد
التلقي الى الكلمات مجاز شبه تنزلها على التدرج بالتكلف في النزول اليه وحاصل المعنى
استقبلها بالقبول والعمل او استقبلته بالبلوغ والوصول اليه واختلف في المراد

بالكلمات واكثر المفسرين على انها قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وقيل غيره واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين
السمع والبصر والكلام مدرك بحاسة السمع والكلم بحاسة البصر فكلمته جرحته جراحة بان اثرها ذكره الراغب وتضمن
البنا في قوله فتلقى معنى التوبة **فتاب عليه** مضمنا اياه معنى العطف اي فرجع متعطفا
عليه بالقبول والرحمة بعد اعراضه واخبر عنه وحده لانه هو المواجه بالامر والنهي وهي تابعة له
او طوى ذكرها كما طوى في قوله وعصى ادم ربه فغوى وطي ذكر النساء في القران والحديث كثير
انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة واصل التوبة الرجوع وتوبة العبد رجوعه
الى ربه من ذنبه وتمامها من العبد بالندم على ما كان وترك الذنب الان والعزم على ان لا يعود اليه
فيستانف الزمان وفي المظالم لا بد مع ذلك من ارضاء الخصم **الرحيم** المبالغ في الرحمة يرحم
التائب فيغفر حوبته ويقبل توبته **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرر هذا لان الاول من الجنة
الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض لانه مردود بقوله ولكم في الارض مستقر ولا
لاختلاف المقصود حيث دل الاول على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني
اشعر بانهم اهبطوا للتكليف لان ما ذكر لا يقتضي التكرار فان الدلالتين المذكورتين يمكن ان
تجمعا بل لتعليق الزيادة به في قوله فاما ياتينكم مني هدى ليدل على ان هذا الغضب مسبوق برحمة
اي رحمة ولهذا اورد ما المتاكيد الملازمة والتزموا لتقويتها زيادة النون في الشرط وانما اورد
كلمة الشك مع ان اتيان الهدى محقق عنده نظرا الى انه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وفي هذا
النظر اظهار لما فيه من جهة التفضل والاحسان فلذلك جميعا حال في اللفظ تاكيد
في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد
كقولك جاؤا جميعا **فمن تبع هداي** من شرطية ويجوز ان يكون موصولة ويعضده اتيان الموصول
في قسيمه ودخول الفاء على الجملة الخبرية جائز هنا جعل الهدى بمنزلة الامام المتبع للمقتدى به وفي
اضافته اليه من التعظيم ما لا يكون لو اتى معرفا باللام واذ كان ذلك سبيل ما يكون نكرة ثم يعاد
وجواب فاما ياتينكم فمن تبع **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي فلا خوف عليهم من الضلالة
في الدنيا والله ولا حزن الشقاوة في العقبى قال تعالى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقدم انتفاء
الخوف على انتفاء الحزن لان انتفاء الخوف فيما هو ات اكثر من انتفاء الحزن على ما فات ولذلك ابرزت
الجملة مصدرة بالنكرة التي هي ادخل في باب النفي وابرزت الثانية مصدرة بالمعرفة وفيها اشارة

جميعا

الاولى مع

الحمد

الى اختصاصهم بانتفاء الحزن والى غيرهم بحزن **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** عطف على من تبع هداي الخ قسيم له وهو ابلغ من قوله ومن لم يتبع هداي وان كان ظاهر التقسيم يقتضيه لان نفي الشيء قد يكون لعدم القابلية في المحل فابرز القسيم في صورة ثبوتية مزيلة لهذا الاحتمال وانما ذكر الصلتين ومعناهما واحد تقريرا لقبايحهم وتكرارا لفضايحهم كما قال واضل فرعون قومه وما هدى والآيات العلامات الدالة على وحدانية الله تعالى او صفاته من الكتب المنزلة وغير ذلك وسميت آية القرآن بها لانها علامة لانقطاع كلام عن كلام وانفصاله وقيل سميت آية لانها جماعة حروف من القرآن وطائفة من الكلام كما يقال خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** الاصطحاب اجتماع مع طول لبث واولئك مبتدا ويجوز ان يكون عطف بيان او بدلا فيكون اصحاب خبرا عن والذين وهم فيها خبر ثان او تفسير ولا تتمسك الحشوية في هذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام لان مبناه على ان يكون آدم عليه السلام حينئذ نبيا وان يكون النهي تكليفيا وان لا يكون التوبة الا عن معصية وواحد منها غير مسلم واما ما قيل انه اخطأ في اجتهاده حيث ظن ان الاشارة الى عين تلك الشجرة فاكل غيرها من ذلك النوع وكان الاشارة الى النوع فمردود بقوله وما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الآية لانه صريح في انه كان زالا في المنهي عنه **يا بني اسرائيل** انتظامه بختم قصة آدم عليه السلام انه وعد متبع الهدى بالجنة واوعد مخالفه بالنار وحثهم في هذه الآية على الوفاء بعهده وهو الايمان به والطاعة ليوفي بعهدهم وهو ادخال الجنة والخطاب لاولاد يعقوب عليه السلام فان اسرائيل لقبه معناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله ولم ينصرف للعجمة والعلمية واصل بني بنين وهو جمع ابن سقطت نونه للاضافة والبنون يطلق على الذكور والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا والابن من البناء وهو وضع الشيء شبه الاب بالاس والابن بما بني عليه **اذكروا نعمتي** امر من الذكر الذي هو مضموم الذال وهو بالقلب خاصة فالمراد الحفظ الذي يضاد النسيان امر بذكر النعم وكان المطلوب القيام بشكرها ايما الى انها من النعم الجسام التي لا مانع للعاقل عن القيام بشكرها الا الغفلة عنها واختير تحريك الياء في نعمتي لانه لقيها الف ولام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها وكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلزم اللام في الاستئناف من فتح الوصل واسكان الياء في قوله يا عبادي الذين

اسرفوا

31

الذين اسرفوا اجود لانه من حق ياء الاضافة ان لا تثبت في النداء واذا لم تثبت فلا بد الى تحريكها **التي انعمت عليكم** من السابقة واللاحق والظاهرة والباطنة والنعمة اسم للشيء المنعم به اضافها الى ذاته اولا ثم اسندها اليه تعظيما لها ثم قيدها بهم لانهم وجنا لطبائعهم المجبولة على حبها على القيام بشكرها واما ما قيل ان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله تعالى على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط فانما يصلح وجها لعدم تقييدها بغيرهم وهو بمعزل عن هذا المقام لما عرف ان المطلوب القيام بالشكر لا مجرد الذكر **واوفوا بعهدي** الوفاء مراعاة العهد والغدر تضييعه كما ان الانجاز مراعاة الوعد والخلف تضييعه فالوفاء والانجاز في الفعل كالصدق في القول والغدر والخلف كالكذب فيه واوفى ابلغ من وفى كما ان اسقى ابلغ من سقى والعهد هو حفظ الشيء ومراعاته يضاف الى قال الخليل اصله الاحتفاظ بالشيء واحداث العهد به وسمي الموثق عهدا للزوم مراعاته يضاف الى المعاهد والمعاهد وههنا اضاف الى المفعول اي اوفوا بعهدي في ان لا تؤثروا على غيري **اوف بعهدكم** في ان لا امنع منكم خيري ايفاؤه تعالى بعهدهم هو ترتيب انجازهما وعدهم على ذلك وانما سماه عهدا على سبيل المقابلة او ابرزه في صورة المشروط الملتزم به والجزم اوف على جواب الامر وهل ضمن الامر معنى الشرط فانجزم او نابت عن الشرط اذ حذفت جملته قولان ويجوز ان يكون اضافته في الاول الى الفاعل اي اوفوا بعهدي الذي قبلتم يوم الميثاق اوف بعهدكم الذي ضمنت لكم يوم التلاق وقيل هو ما اخذ عليهم من العهد في كتابهم بالايمان برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه **واياي فارهبون** من باب الاضمار على شريطة التفسير كقولك زيدا رهبته فالفاء لتقدير الشرط اي واياي ارهبوا اي كنتم رهبتم شيئا فارهبون وهو اوكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لتكرار الرهبة مضمرة ومظهرة وايقاعها على المفعول مرتين مع التقدم في الاول واخراج الكلام على الجملة الشرطية والرهبة خوف مع تحرز واضطراب ولتضمنه الاحتراز اختيرت على الخوف لان المقام مقام الحث على التحرز عن نقض العهد وحذف الياء من فارهبون لدلالة الكسرة عليه وكون الفواصل كالقوافي **وآمنوا بما انزلت** اي بالقرآن الذي انزلته على محمد عليه السلام **مصدقا لما معكم** من الكتب الالهية حيث نزل حسب ما نعت فيها حال وذو الحال الضمير في انزلت او الموصول ويحتمل ان يكون ما مصدرية والتقدير آمنوا بانزال مصدقا لما معكم وفيه تنبيه على انه لا منافاة

بهما اتى به الانبياء عليهم السلام من اصول العبادات وانما الاختلاف بينهم في جزئيات الاحكام
كمقدار ما يقتضيه مصلحة كل قوم وزمان فكل مصدق للآخر فيما اتى به من حيث ان كليات شرايعهم
متساوية وان فروعها صحيحة بحسب الاضافة الى زمان كل واحد منهم وامته حتى لو كان احدهم
في زمن الآخر لم ير المصلحة الا فيما اتى به الآخر واما قوله عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي فليس وجهه هذا بل كونه عليه السلام مبعوثا لكافة الانام فلا يسع في زمنه
كائنا من كان الا اتباعه بخلاف ساير الانبياء عليهم السلام **ولا تكونوا اول كافر به** لا مفهوم هنا
لقوله اول فيكون قد ابيح لهم ثانيا او آخرا وانما ذكرت الاولية لانها افحش لما فيها من
الابتداء بالكفر ولان المعنى لا تكونوا ائمة في الكفر فيقتدي بكم اتباعكم فتكونوا حاملين
لاوزاركم واوزارهم كما قال تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم فلا بد من القيد المذكور لافادته واضيف الى مفرد وان كان قبله جمع
لان المعنى واذا كان صفة جاز ان يطابق وان يفرد وقد جاء ذلك في قوله واذا هم طعموا
فالام طاعم واذا هم جاعوا فشر جياع اوفرد في طاعم وطابق في جياع وتاوله النحاة فقدره
الفراء الام من طعم وقدره غيره الامر فريق طاعم والضمير في به للمنزل او المنزل عليه ويجوز ان
يكون لما معهم فان فيه نعته فالكفر به كفر لما يصدقه وعلى هذا ايضا لا يكون القيد المذكور
على ظاهره لان مشركي العرب سبقوهم اليه هذا بحسب جليل النظر واما الذي بحسب دقيقه
فهو انه انما وحد الخبر عن ضمير الجمع لان حكمهم لتساندهم وانما فهم على دين واحد و
اتحادهم لذلك وللالفة فيما بينهم كان حكما واحدا فكانهم شخص واحد وعلى هذا ورد قوله تعالى
فقولا انا رسول رب العالمين واول افعل لا فعل له ومن ثم افعل واصلها وولى او اوول
اوا بول اوؤل **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** استعير الاشتراء للاستبدال والثمن القليل هو
الرياسة التي كانت لهم في قومهم فاستبدلوا آيات الله تعالى لانهم خافوا فواتها لو
آمنوا بمحمد عليه السلام وصدقوا بكتابه وما اقلها بالنسبة الى الحق الذي كل كثير بالنسبة
اليه قليل والهدى الذي كل كبير بالنسبة اليه حقير فكيف بمتاع الدون اليسير فلا مفهوم
لقوله قليلا بل فيه التنبيه على خساسة انفسهم اذ يبذلون الشيء العظيم في تحصيل الشيء الحقير
وانما اوثر الثمن على الشيء مع انه ابلغ في التحقير للتنبيه على ان الحظوظ الدنيوية وسايل الاغراض
والثمن على تعاكس احوالهم وافعالهم حيث جعلوا المثمن ثمنا والثمن مثمنا وفي كلمة الباء
والاستعارة السابق ذكرها وجه تقوية لهذا المعنى **واياي فاتقون** باتباع الحق والاعراض
عن الباطل فصلت الآية الاولى بالرهبة لان التحذير فيها عن الكفران ونقض العهد ومما هو من

المعاصي وهذه الآية بالاتقاء وهو فوق الصيانة لان التحذير هنا عن الكفر عقدا وعملا ولك ان تقول
ان التقوى فوق الرهبة بحيث لما خاطبت العامة عالمهم ومقلدهم وحثهم على شكر النعمة التي يشتركون
فيها امرهم بالرهبة التي هي من مبادي التقوى وحيث لما خاطبت العلماء منهم خاصة وحثهم على
مراعاة آياته والتنبيه على ما ياتي به اولو العزم من الرسل امرهم بالتقوى التي هي منتهى الطاعة
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس والستر اخوان وضد الستر الكشف وضد اللبس
الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ومن جملة اسبابه الخلط وقد تقدم الكلام في الحق
فاما الباطل فما لا ثبات له عند الفحص عنه والحق بناقضه وذلك عام في الاعتقاد والمقال
والفعال والباء صلة معناها الالصاق اي لا تخلطوا الحق بالباطل بان تكتبوا في التورية
ما ليس منها او للاستعانة اي لا تجعلوه ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه فلا نظر فيه الى معنى
الاختلاط كما لا نظر في الاول الى معنى الاشتباه **وتكتموا الحق** بان تقولوا ليس وصف محمد عليه السلام
او هذا الحكم في التورية فليس المراد من الحق في الموضعين شيئا واحدا وتكتموا جزم داخل
تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع وحقيقته لا تكن منكم
لبس الحق وكتمان الحق والقصد الى ان ينعى عليهم سوء فعلهم الذي هو الجمع بين امرين كل منهما
مستقل بالقبح ووجوب الانتهاء عنه ويجوز ان يكون المراد من الحق في الموضعين واحدا
ويكون اعادة صريح الحق دون ضميره لانهم يكررون اسماء الاجناس والاعلام كثيرا ولا سيما اذا
قصدوا التفخيم صرح به الامام المرزوقي والشيخ عبد القاهر وعلى ذلك ورد قوله تعالى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله احد الله الصمد وح يجوز ان يكون النهي عن الجمع لان الخلط
بالباطل قد يكون لترويج الحق واسماعه فان اسماع العوام يمجون عن الحق الصرف لانه مر
فخلط الباطل الحلو به لئلا ينبو عنه طبع السامع ليس مما ينكر كل الانكار فان الضرر اليسير قد
يتحمل للنفع الكثير ومثل هذه الرخصة ترغيبا للمخاطب الى الاسماع من مقتضيات البلاغة وهو من
موجبات الخطابة الا يرى قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين كيف سيق
فيه المقال على ابهام الحال واظهار التردد فيه توسعة لدائرة الاضلال وفي مصحف ابن مسعود
وتكتمون وهو في موضع الرفع على حذف المبتدا اي وانتم تكتمون **وانتم تعلمون** في محل النصب بالحال
اي في حال علمكم بذلك وبقبحه وانما قيد به لان الجاهل بما يفعل قد يجعل عذرا فعلى هذا يكون الحذف
اختصارا ورعاية للفاصلة ويجوز ان يكون اقتصارا اي وانتم من ذوي العلم ولا يناسب من
كان عالما ان يكتم الحق ويلبس بالباطل ففيه تقبيحهم بانهم يفعلون فعل الجهلاء وتوكيد لما فيهم من
صفة العلم وحث على العمل بمقتضاه وذلك ادخل في قبول الحق واسماعه من التشنيعات الشديدة

وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة التعريف فيهما للعهد والاشارة الى الصلوة المعلومة والزكوة المعينة او للجنس كلهم يعني الرجل كان ما عدا صلوة المسلمين ليس بصلوة وكذا الزكوة لكونها غير مقبولين والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فانها تثمر المال باستجلاب بركة الله تعالى امرهم بفروع الايمان بعد ما امرهم باصوله فيحتمل ان يكون الامر بها مشروطا بالامتثال بالاول فلا يكون الآية حجة على المنكرين لكون الكفار مخاطبين بالفروع **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من فضل المشقة وفضيلة الانتظار وقد تقرر في موضعه ان من ادرك الامام في الركوع فقد ادرك فضيلة الجماعة والادراك فيما قبله ليس بشرط ولا عبرة للادراك فيما بعده وهذا هو السر في تخصيص الركوع بالذكر وايثار عبارته في وأما الاحتراز عن صلوة اليهود فلا حاجة اليه بعد ما اريد من الصلوة فيما تقدم صلوة المسلمين واصل الركوع الانحناء قال صاحب العين كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض اولا تمس بعد ان يطأطئ رأسه فهو راكع **أتأمرون الناس بالبر** اعتراض والبر التوسع في افعال الخير واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء الواسع ويتناول كل معروف **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر والنسيان يجيء بمعنى الترك ومنه النسي وما من شأنه ان يسقط في منازل المرتحلين من رذال امتعتهم والهمزة للتقرير معناه ان الامر الذي ورد عليه الاستفهام مكشوف لا يمكن للمخاطب انكاره فلانه يلجئ الى الاقرار والتعجب من حالهم والتوبيخ على الجمع بين امر بالبر وترك في حق انفسهم روي انها نزلت في احبار اليهود كانوا يأمرون سرا من نصحوه ولا يتبعونه **وانتم تتلون الكتاب** يعني التورية تبكيت بالحجة كقوله وانتم تعلمون وفي عبارة التلاوة اشارة الى وضوح ما في التورية من النهي عن هذا الوصف الذميم بحيث يقف عليه كل من يتلوه من اهل اللسان والتلاوة اتباع اللفظ اللفظ سواء تدبر المعنى اولا وفي الآية التحريض على تقديم العمل على القول والوعيد على مخالفة القول العمل والنعي على من يعظ الغير ولا يعظ نفسه وكان المنكر تركهم انفسهم لا امرهم غيرهم بالمعروف الا انه جاء التوبيخ به ايماء الى ان ذلك الترك بلغ في الشناعة غاية خرج ما يقارنه من الفعل المندوب الى معرض المنكر وفيه من المبالغة في الانكار على سوء صنيعهم ما لا يخفى **أفلا تعقلون** توبيخ عظيم بالتهمة وتوسيط الفاء اي اتغفلون ذلك فلا تعقلون كأنكم مسلوبوا العقول فلا تفطنون لقبح ما ترتكبون فتنتهون والعقل اصله المنع الشديد ومنه عقل البعير لمنعه اياه من الشرود ومنه العقل للدية لانها تمنع ولي المقتول عن قتل الجاني وفي ايثار نفي العقل على نفي العلم نوع تأييد لما قدمنا يعني ان المحتاج في ادراكه عند التلاوة انما هو العقل الجبلي لا الادراك المكتسب ولا دلالة فيه على ان قبح هذه الاشياء عقلي بل دلالة على انه شرعي حيث رتب التوبيخ عليها صادرة عنهم

بعد تلاوة الكتاب والفاء للعطف كان الاصل تقديمها لكن الهمزة لها صدر الكلام فتقدمت على الفاء وحكم الواو ثم في نحو او لم يسيروا واثم اذا ما وقع حكم الفاء **واستعينوا** اطلبوا المعونة في دفع المكاره وجلب المنافع فالاختصار للتعميم **بالصبر** وهو حبس النفس على ما تكره وقدمت الاستعانة بالصبر لتقدم تكاليف عظيمة يشق التزامها على من يالفها **والصلوة** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وبها ارفع منزلة من الصبر اذ هي ضرب من الصبر اذ هي حبس الحواس على العبادة وحبس الخواطر والافكار على الطاعة ولتقدم الامر بالصبر تمهيل للامر بالصلوة فان مرجع الجمع بينهما ان يصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب بدفع الوساوس ومراعاة الآداب ولهذا قال **وانها** وخصها برد الضمير اليها دون الصبر ولولا ذكر الصبر تمهيدا لكان حق الصلوة ان يعاد فيها حرف الباء الدالة اعادتها على الاصالة والجملة اعتراضية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وعلى هذا رد الضمير الى الصلوة ليس بطريق التخصيص بل بطريق الاكتفاء بالاعم او الاقدم كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فان الكناية في احدهما الى الفضة لانها الاغلب والاعم وفي الآخر الى التجارة لانها افضل واهم **لكبيرة** من كبر بمعنى عظم ثقيل وهو من كبر بمعنى ثقلها وكونها شاقة على غير الخاشعين لا من كبر بمعنى ثقل وشق حقيقة او مجاز **الا على الخاشعين** يعني لا يهون على احد الا الخاشعين لانه استثناء مفرغ من كلام موجب فلا بد من تأويل والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع وفيه اشارة الى ان الصلوة التي تخف على غير الخاشع مسماة باسمها وليست من حكمها فان قيل هذا يلزم ان يكون ثواب غير الخاشع اكثر لما جاء في الخبر ان اكثر الاعمال ثوابا اشقها قلنا لا يلزم ذلك لان مفهوم الخبر ان الاعمال المتساوية في اشتمال الاركان والشرائط وسائر ما يجب رعايته او يستحب اكثرها ثوابا اشقها **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم** لما كانت الملاقاة متعذرة الحمل على الحقيقة جعلت كناية عن رؤيته تعالى وهو الوجه فيما روي في الاخبار لقي الله تعالى وهو عليه غضبان والظن بمعنى العلم وبعضده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون ولا يصار الى التضمين الا عند قيام القرينة اللفظية وهي ذكر ما يتعلق بالمضمن وهي مفقودة هنا وفي عبارة الظن اشارة الى انه يكفي في حصول الخشوع الذي يزول به ثقل الصلوة ادنى مراتب الاعتقاد بملاقاته تعالى وقيل الملاقات ثوابه وح يكون الظن بمعنى

التوقع لانه وان علم انه لابد من ثواب او عقاب لكن من اين يعلم ما يختم به عمله فلابد من صرف
الظن عن معنى العلم الى معنى التوقع اللازم له وبابه قوله **وانهم اليه** اي الى مشهد حكمه يوم
العرض والسؤال **راجعون** اذ لا يناسبه معنى التوقع و تقديرها مل اخر لاطلاق الظاهر
وانما ثقل على غيرهم لانهم لم يعتقدوا لها الجزاء ولم يرجوا الثواب فكانت عليهم مشقة
خالصة ولم تثقل عليه لانهم اعتقدوا المقابلة الجزاء وتوقعوا ما ادخر للصابرين على مشاقها
فداوموا عليها برغبة ونشاط وانشراح صدر واستلذوا بها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلوة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** تكرير تمهيداً لتوكيد
نعمة التفضيل وقد جاء تفصيلها في قوله تعالى واذ قال موسى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وذكر تلك النعم على
الآباء الزام الشكر على الابناء لانهم يشرفون بشرفهم ولذلك قال **واني فضلتكم** ولم يقل
فضلت اباكم والفضل الزيادة في الخير والجملة في محل النصب معطوفة على معنى ما تقدم اي
اي انعمت عليكم واني فضلتكم **على العالمين** الظاهر هو الاستغراق وقد خرج الى حيز النقض
بقوله واتاهم ما لم يؤت احداً من العالمين ولا حاجة الى الصرف الى الاستغراق العرفي
بتوجيه ان المتبادر من الموجود المعتبر في مفهوم العالم الموجود بالفعل لعدم الدلالة فيه
على التفضيل من كل جهة عموماً ولا من جهة القرب والمكانة عند الله تعالى خصوصا ولذلك
لم يكن فيه متمسكا لمن فضل البشر على الملك **واتقوا يوماً** يريد يوم القيمة وعظمه بالتنكير
ثم بالتوصيف والمقصود بيان كون ذلك معيارا للتجاوف بحيث لا يكون آن من آناته خاليا
عن الخوف وهذا جعل نفس اليوم محوفا لا ما فيه **لا تجزي نفس عن نفس شيئاً** اي لا تقضي نفس
من النفوس عن نفس اي نفس كانت حقا من الحقوق وشيئاً مفعول به ويجوز ان
يكون في موضع المصدر اي قليلا من الجزاء وعلى قراءة لا تجزي من اجزاء عنه اذا اغنى عنه
لا يكون الا بمعنى شيئا من الاجزاء والجملة في النصب صفة ليوماً والعائد محذوف اي لا تجزي
فيه وهل الحذف بتدريج ام حذف برمته ابتداء قولان **ولا تقبل منها شفاعة** اية شفاعة
كانت والضمير في منها راجع الى النفس الثانية العاصية اي ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل
منها ويجوز ان يرجع الى الاولى اي لا تجزي منها شيئا وان شفعت لها لا تقبل ونص على هذا
قوله **ولا يؤخذ منها عدل** والعدل الفدية لانها تعادل المفدي والشفاعة من الشفع كان
الجاني كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه وضمه الجمع في **ولا هم ينصرون** يرجع الى ما
دلت عليه النفس المنكرة في سياق النفي الدالة على العموم والتذكير بمعنى العباد والاناسي

والم

والنفس اخص من المعنوية لاختصاصه بدفع الضر وانما عدل عن الجملة الفعلية المعطوفة على اخواتها الى
الاسمية للدلالة على الدوام الوضعي اي ولا هم ينصرون دائما ما داموا هم وتبعاتهم اي انه بضر
غيرهم وانما قطع اطماعهم الكلية لان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم الانبياء عليهم السلام
يشفعون لهم ولما كان الخطاب لليهود كان تقديره لا تجزي نفس منكم عن نفس منكم
فلا دلالة فيه على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة مطلقا وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب
احد عن احد من كل وجه يحتمل فانه اما ان يكون باعطاء شيء او مجانا فان كان الاول فاما
ان يكون اداء ما كان عليه وهو الجزاء او غيره وهو فديته وان كان الثاني فاما ان يكون
على سبيل اللطف وهو الشفاعة او على سبيل القهر وهو النصرة انما عدل عن الترتيب
الذي هو مقتضى هذا التقسيم اختيارا لاسلوب الترقي كانه قيل النفس الاولى غير
قادرة على استخلاص صاحبتها بقضاء الواجبات وتدارك التبعات لانها مشتغلة
عنها بشانها كما افصح عنه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ثم ان قدرت
على سعي ما مثل الشفاعة فلا يقبل منها وان زادت عليها بان يضمها الفداء فلا يؤخذ منها
وان حاولت الخلاص بالقهر والغلبة واني لها ذلك فلا يتمكن منه فالترقي من السهل الى الصعب
واذ نجيناكم اذ نصب باذكر والتنجية التخليص من مكروه وشدة واصل الانجاء قيل معنى
نجيناكم القيناكم على نجوة من الارض وهي ما ارتفع منه هذا هو الاصل ثم سمي كل فائز
ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الى سعة ومعناه خلصنا اباءكم وجعل ذلك نعمة عليهم
لانهم نجوا بنجاتهم ومن عادة العرب هذا يقولون قتلناكم يوم عكاظ اي قتل اباؤنا
اباءكم وقرئ نجيتكم فوافق الضمير ضمير نعمتي وعطفها عليها كعطف جبريل وميكائيل عليهما السلام
على الملائكة او تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي عليكم والتفصيل لا يلزم ان يكون على
وجه الاستيعاب بل قد يكتفى فيه بذكر المعظمات **من آل فرعون** اصل آل اهل لان
تصغيره اهيل فابدلت هاؤه الفا وخص بالاضافة الى اعلام الناطقين دون النكرات
والامكنة والازمنة والصناعات وفرعون علم شخص يسمى به كل من يملك العمالقة وهم
جبابرة مصر وضعا ابتدائيا دل على ذلك منع صرفه وجمعه باعتبار الافراد كقيصر
لملك الروم وكسرى لملك فارس ولشهرة الفراعنة بالعتو اشتق منه تفرعن
اذا عتا وتجبر وآل فرعون المناسبون له وحقيقة الآل هم الذين يؤول امورهم اليه في
نسبة او صحبة **يسومونكم** حال من آل فرعون او استيناف حكاية حال والسوم اصله
الذهاب في ابتغاء الشيء فهو لفظ مفرد لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء فاجري

الذهاب في قولهم سامت الابل فهي سائمة ويجري في الابتغاء في قولهم سمته بكذا ومنه السوم في البيع
سوء العذاب نصب على المفعول ليسومونكم والسوء مصدر ساءه اي قبح ومعنى سوء العذاب مع
ان كله سيء اقبحه وافظعه يذبحون ابناءكم استئناف او حال من ضمير الفاعل في يسومونكم
او بدل منه او عطف عليه حذف منه حرف العطف ويؤيده ثبوته في سورة ابراهيم عليه السلام
ويستحيون نساءكم لا يستحيا استفعال من الحيوة اي يبقون بناتكم للخدمة سميت بما يؤول
اليه امرهن ولما في صيغة الاستفعال من الدلالة على ان ابقاءهن كان لمصلحتهم كان المذ
من جملة الشدائد وفي ذلكم بلاء البلاء هو الاختبار ويكون بالشر ليصبر فيكون
محنة وبالخير ليشكر فيكون منحة وكلاهما محتمل هاهنا بحسب احتمال المشار اليه ان يكون
بالشر ليصبروا مصدر انجيناكم او مصدر يسومونكم ويذبحون ويستحيون والاول
اوفق بقوله من ربكم والثاني باصل المقام فانه لتعديد النعم والثاني الصق بمقام
تفصيل المحن وانسب للتذييل بهذه الجملة الاعتراضية عظيم صفة بلاء وفيما ذكر
من المبالغة والتاكيد بالاجمال والتفصيل والتسجيل بان الذبح اشد العذاب
وافظعه ما لا يخفى ولهذا ذيله بالاعتراض تاكيدا وتقوية له واذ فرقنا الفرق والفلق
كالفصل لكن الفلق لا يكون الا في حسي والفرق يكون فيها وفي المعاني وقرئ فرقنا
على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط والباء في بكم للسببية
اي بسببكم وبسبب انجائكم ويجوز ان يكون للملابسة اي ملتبسا بكم ولا للاستعانة
اي تسلكونها وتتفرق بكم كما يتفرق الشيء بالسكين عند قطعه لان قوله تعالى ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق صريح في ان انفصال البحر بعضه عن بعض وحصول المسالك
كان بضرب العصا قبل اخذهم في السلوك فان في الفاء الفصيحة في قوله فانفلق
دلالة على عدم تراخي الانفلاق عن الضرب البحر هذا البحر كان قريبا من مصر فرعون
موسى عليه السلام يقال له اساف ويسمى اليوم بحر القلزم فانجيناكم من خطر عبور
البحر واخرجناكم من ضيق مسالكه الى سعة البر وهذه الفاء ايضا فصيحة واغرقنا غرق
في الماء من حد علم اي رسب فيه فهو غرق اذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو غريق
وجمعه الغرقى آل فرعون اتباعه فهو اول الغرقى واولى به فكان غرقه معلوما دلالة وفيما
في العدول من الضمير الى المظهر من التنبيه على ان السبب لذلك الحال كونهم اتباعه
نوع تاييد لتلك الدلالة وانتم تنظرون تقلبون ابصاركم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه
خطب او تنظرون ما يفعل باعدائكم فعلى الاول يكون النظر بمعنى طلب الابصار وعلى الثاني

بمعنى الابصار روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فاتبعهم فرعون وجنوده
مشرقين ولما تراءى الجمعان وهم على شاطئ البحر اوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها حتى جاوزوا البحر ثم وصل اليه فرعون وراءه
متعقبا فاقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
الوعد هو الترجية بالخير وعد الله تعالى موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون ان ينزل عليه
كتابا يعملون اليه ويتمسكون به وعين له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما عبر عنها
بالليالي لانها غرر الشهور وانتصاب اربعين على المفعول به اذ هي الموعودة على الاتساع
المعهود بجعل الزمان لكونه شرط الموعود موعودا ولا يجوز نصبه على الظرف لانه معدود
فيلزم ان يكون وقوع العامل في كل فرد فرد منها وليس كذلك وقرئ واعدنا وقال مكي
الزجاج هذا جيد لان الطاعة في القبول بمنزلة المطاوعة فمن الله تعالى وعد ومن موسى
عليه السلام قبول وموسى اسم اعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف روي ان القبط يقولون
للماء مو وللشجر شا فلما وجد موسى عليه السلام في التابوت عند ماء وشجر سمي موسى ثم
اتخذتم العجل اي اتخذتموه الها وحذف المفعول الثاني للعلم به ولسماجة ذكره وفيه
تفظيع لشانه حيث ترك تظهيرا اي جعلتموه لانفسكم معبودا ونسب الاتخاذ الى جميعهم
وان كان بعضهم لم يتخذوه ولم يرض به لان القبيلة قد تذم وتمدح بما وقع من بعضها وفيه
تنبيه على زيادة القبح في ذلك الاتخاذ حتى خرج البريء بمخرج الذم لمقارنته المباشر له و
التعريف في العجل للعهد والمعهود ما ذكر في قوله عجلا جسدا له خوار وثم للبعد بين
مشاهدة النعم المذكورة واتخاذ العجل معبودا لا لمعنى التراخي قد فهم من قوله من بعده
الضمير لموسى عليه السلام والمعنى بعد غيبته ومضيه الى الطور وانتم ظالمون اخبار بانه
سجيتهم الظلم يرشدك الى هذا قوله في موضع آخر اتخذوه وكانوا ظالمين والاتخاذ المذكور
يدل على انهم مجبولون عليه ثم عفونا اي تجاوزنا عنكم حين تبتم فان قلت انهم عوقبوا
بالقتل على ما ياتي عن قريب فما معنى العفو قلت العفو قد يكون قبل العقوبة وقد يكون
بعدها بخلاف الغفران فانه لا يكون مع عقوبة البتة على ان العقوبة كانت لبعضهم
واصل العفو المحو من عفت الريح الاثر اذا اذهبته لا من عفا المنزل اذا درس فانه يتعدى
ولا يتعدى وثم للبعد فان العفو بعد ارتكابهم ما هو الواجب لاشد العذاب في غاية البعد
وذلك في قوله من بعد ذلك لتعظيم الشرك اي عفونا شيئا بعد ذلك الامر العظيم البعيد عن
العفو ولعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الشكر في اللغة عرفان الاحسان بالجنان

وتشريفهم باللطف وتعريضهم للعمل بكل نعمه وترجيه لعلهم بمعنى اللغة اقتصروا في بيان معناها الحقيقي
على الترجي والاشفاق وعدم صلوحها لمجرد معنى العلية والغرضية مما وقع عليه الاتفاق
الا ترى تقول دخلت على المريض كي اعوده ولصقت الماء كي اشربه ولا يصح لعل وحملها
على الارادة انما يصح على اصل الاعتزال واما على اصل اهل الحق فلا صحة له لان ارادته تع
تستلزم الوقوع عندهم ولم يقع فلا بد من الحمل على كونهم في صورة من يرجى منه الشكر
وان لم يتعلق به الارادة **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** الواو بينهما هي التي تتوسط بين
الصفات المفيدة كون الموصوف جامعا لها اي الشيء الجامع بين كونه كتابا منزلا من عند
الله وبين كونه فرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التورية وفي توصيفه بالكتاب في هذا
مقام المدح اشارة الى نزوله من السماء مكتوبا وحمل الفرقان على النصر الذي فرق بينه و
بين عدوه كما في قوله تعالى ويوم الفرقان يعني يوم بدر لا يناسبه قوله **لعلكم تهتدون**
باتباع ذلك الكتاب المنزل والعمل بما فيه قال الله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى
ونور **واذ قال موسى لقومه** القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه ويختص بالرجال **يا قوم**
المنادى اذا اضيف الى نفسك جاز فيه حذف الياء واثباتها كما في قوله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا وفتحها كما في قراءة من فتح الياء والاجود الاكتفاء بالكسر **انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل**
اي ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها او نقصتموها ثواب الاقامة على عهدي فان الظلم
في اللغة النقص وفي العرف الضرر الخالي عن نفع يزيد عليه ودفع مضرة اعظم منه وظلم
الانسان نفسه اخس من ظلم غيرها **فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم** الفاء الاولى للسببية
لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب فان كانت توبتهم نفس القتل فقوله فاقتلوا
تفسير وتفصيل لقوله فتوبوا ولا حاجة الى تقدير العزيمة وان كانت تتمة التوبة وسبب
قبولها فمعناه توبوا فاتبعوا توبتكم القتل تماما لها والتعدية بالى لما في التوبة من معنى
الرجوع وخص البارئ بالذكر من سائر اسمائه لان البارئ هو الذي خلقهم ابرياء من
التفاوت في النوع والتشابه في التشخص وذلك من عجيب حكمته وبديع قدرته فغيرهم
على تركهم عبادة من هذا شانه الى عبادة ما هو مثل في الغباوة حتى عرضوا انفسهم لسخطه فنا
خلقهم وجمع بنيتهم باللطف فتلهم وفك تركيبهم بالقهر حيث تقابلا والنفس ههنا هي هذه
البنية الانسانية وهو القتل ازهاق الروح وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر هو البخع
اي قتل احد نفسه وتجوز ان يكون على التجوز بجعل المقتول نفس القاتل لما بينهما من التعلق و
الاتحاد في الاعتقاد قيل امروا ان يقتل بعضهم بالسيف بعضا وقيل من لم يعبد العجل

ان يقتل العبدة **ذلكم خير لكم** لما فيه تلك الطهارة والرجوع عن المتبع لكم من الحيوة بالاضافة المؤدية الى الخلد
في النار ولما كان ظهور منفعته في الآخرة لا في الحيوة الدنيا والمنفعة السرمدية مترتبة عليه قيد بقوله **عند بارئكم**
واعادة بارئكم كاعادة الحق في قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل **فتاب عليكم** اخبار بالتوبة
وعطف على محذوف اي فامتثلتم ذلك فتاب عليكم وهاتان الجملتان مندرجتان تحت الاضافة
الى الظرف الذي تقدم والتفات من الغيبة الى الخطاب حيث عبر عنهم بطريق الغيبة
بلفظ قومه واما كونه داخلا تحت قول موسى عليه السلام على تقدير شرط محذوف اي ان
فعلتم فتعبيه ان دخول الفاء الجزائية على الماضي المنصرف من غير قد غير جائز واضمارها
ضعيف وحذف فعل الشرط واداته معا وابقاء الجواب مما يتوقع في صحته **انه هو
التواب الرحيم** المبالغة في الوصف الاول لكثرة توفيقه تعالى الى التوبة وقبولها مرة بعد اخرى
والمبالغة في الوصف الثاني لعدم الاستعجال في امر العقوبة والامهال الى زمان التوبة بدءا و
عودا **واذ قلتم يا موسى** تعداد عليهم ما صدر عنهم من سوء الاقتراح وفي ندائهم موسى كليم الله باسمه
دليل على سوء ادبهم معه وقد تكرر ذلك منهم **لن نؤمن لك** تعدية الايمان باللام باعتبار
تضمينه معنى الوثوق وما قيل اي لاجل قولك بانه قوله **حتى نرى الله** لان عدم
ايمانهم لاجل قوله لا ينتهي عند رؤيته تعالى بل يستمر والرؤية بصرية واكدت بقوله جهرة اي عين
ستر عنا بشيء مبالغة في الابصار وانتصب على المصدر لانها نوع من الرؤية او على الحال
بمعنى ذوي جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر والاوجه هو ان يكون
بمعنى جهرة لان كل اسم كان ثانيه من حروف الحلق يجوز تحريكه قياسا مطردا كنهْر ونهَر و
نهر والاصل في الغرابة التواضع والجهر حقيقته في ظهور الشيء بافراط صوتا كان او عينا
والقائلون هم النقباء السبعون الذين خرج بهم موسى عليه السلام الى الطور وقيل
قاله عشرة الاف منهم والمؤمنون به ان هذا كتاب الله تعالى وانك سمعت كلامه وانه
امرنا بقبوله والعمل به **فاخذتكم الصاعقة** لا لاستحالة المسئول بل لانهم لم يسالوا سؤال
استرشاد بل سألوا سؤال تعنت واساؤوا الادب في السؤال حيث قالوا لن نؤمن لك
والصاعقة كل امر هائل مميت او مزيل للعقل والفهم غالبا والمراد الصيحة الهائلة الحاصلة
بالرجفة لقوله تعالى في سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة واصلها الاضطراب فخروا
صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون** دل هذا على انها جاءتهم معاينة بالنهار وهم
ايقاظ يبصرونها وذلك افظع واشد وقعا **ثم بعثناكم** البعث اثارة البارك والنائم
عن مكانه ونشر الميت كبعث النائم فالتقييد بقوله **من بعد موتكم** اي بسبب الصاعقة

لتعيين المراد ودفع الاشتباه **لعلكم تشكرون** نعمة البعث او نعمة الهداية بعد الضلالة **وظللنا عليكم الغمام** اي وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل في اللغة الستر والغمام جمع غمامة وهي ما ابيض من السحاب سمي بها لسترها فان كل ما يستر شيئا فهو غمة **وانزلنا عليكم المن** هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس **والسلوى** هو السماني وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم **كلوا** على ارادة القول **من طيبات ما رزقناكم** من المشتهيات الخاليات عن الادواء والمضرات وعن الحرمة واكل الحرام لان اما الاباحة لا يتناولهما **وما ظلمونا** عطف على مقدر اي فظلموا بكفرانهم هذه النعم وما ظلمونا قالوا او نقصوه ولما اخبر عن وقوع الظلم ونفى ان يصل اليه تشوقت النفس الى ذكر من وقع به الظلم واتصل به ضرره فاستدرك ببيانه فقال **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** فتقديم المفعول للتخصيص والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي **واذ قلنا ادخلوا** الدخول الانتقال من العورة الى الحصن **هذه القرية** هو كقولك هذا المال وذاك الرجل تنبيها على كماله فان الشيء اذا عظم امره يوصف باسم جنسه والقرية الابنية التي هي مجتمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اذا جمعته والمراد بالقرية ههنا بيت المقدس وقيل ايليا وهي البلدة التي فيها بيت المقدس وقيل اريحا وهي بقرب بيت المقدس امروا به بعد التيه وقد امروا بالدخول في الارض المقدسة مرة اخرى وذلك الامر قبل التيه دل على ذلك ما في سورة المائدة من ترتيب التيه على عدم امتثالهم بهذا الامر **فكلوا منها حيث شئتم** اي ابحناكم ووسعنا عليكم فتعيشوا فيها اين شئتم بلا تضييق ولا منع وذكر الاكل لانه معظم المقصود والفاء افادت سببية دخولهم للاكل منها لانه كناية عن استيلائهم عليها وهو سبب الملك المعبر عنه بالاكل **رغدا** واسعا نعت لمصدر محذوف ويجوز ان يكون في موضع الحال **وادخلوا الباب** يعني باب القرية قال مجاهد والسدي هو باب الحطة من بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة والامر على لسان يوشع بن نون عليه السلام فلا نبا في عدم دخولهم في حياة موسى عليه السلام **سجدا** امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل امروا بالدخول بخشوع واخبات **وقولوا حطة** فعلة من الحط وهو انزال الشيء من علو وحط الذنب اسقاطه وهو كالقاء الحمل عن الظهر وحط حطا متعد وحط حطوطا لازم وهي خبر مبتداء محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقرئ بالنصب على الاصل على انه مفعول قولوا

وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم** جواب الامر مترتب على دخول الباب بقيد السجود وقول حطة الغفر والغفران والمغفرة الستر ومنه جم الغفير الجمع الكثير الذي يستر بعضه بعضا والخطايا جمع خطيئة بمعنى الاثم يقال خطئ اذا اثم متعمدا واخطأ اذا لم يتعمد **وسنزيد المحسنين** ثوابا يعني من كان محسنا منكم كانت تلك الطاعة توبة له وسبب زيادة في عطائه وفي الكلام جمع وتفريق اما عدم الجزم في سنزيد مع عطفه على مجزوم فلخروجه عن صورة الجواب بدخول السين المانعة عن الانجزام ونكتة الاخراج الدلالة على انه يفعل البتة كان تلك الزيادة اذا كانت عن وعد الله تعالى كانت اقطع مما اذا كانت مسببة عن فعل **فبدل الذين ظلموا** وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التبديل ظلم او مسبب عن ظلمهم وعادتهم في وضع الاشياء غير مواضعها وان التبديل بعضهم لا كلهم **قولا غير الذي قيل لهم** اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فبدلوا به قولا معناه غيره وليس الغرض انهم امروا بلفظة معينة فجاؤوا بغيرها لانهم لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او ما اشبه ذلك لم يؤاخذوا به ولم يعذبوا وقيل قالوا مكان حطة حنطة استهزاء واعراضا عن طلب ما عند الله تعالى الى طلب ما اشتهت انفسهم **فانزلنا على الذين ظلموا** الاظهار في موضع الاضمار للتنصيص على عدم تعدي العذاب عن الذين ظلموا الى غيرهم فان منها ما يتعدى الى غير الظالم على ما دل عليه قوله تعالى فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واما الاشعار بان الانزال عليهم بظلمهم المذكور فقد حصل من الفاء الدالة على التسبب فيما تقدم **رجزا من السماء** عذابا في غاية الاشتداد خارجا عن حد المعتاد فان النسبة الى السماء للاشارة الى هذا المعنى روي انه مات منهم بالطاعون في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون وههنا وجه آخر وهو ان العذاب ضربان ضرب يحصل باسباب غير ظاهرة فلا يظن انه يمكن دفاعه كالطاعون والصاعقة وقد شاع في متعارف الناس نسبة هذا الضرب الى السماء والرجز انما يطلق على العذاب الموجب للاضطراب يقال ارتجز اذا ارتعش **بما كانوا يفسقون** بسبب اعتيادهم بالخروج عن الطاعة **واذ استسقى موسى لقومه** الاستسقاء طلب السقي او الاسقاء والسقي ان يجعل له ما يشربه والاسقاء التعريض للماء وجعل له ليتناول متى اراد فهو اخص معنى من السقي وقد دل ذلك على انهم عطشوا واشتد حاجتهم الى الماء وكان العطش والتظليل في التيه ودخول القرية بعد ولم يراع الترتيب في ذكرها لان المقصود تعديد النعم والتقريع على كفرانها نوعا على التفصيل والتقريع ادل على ذلك لانها لو ردت مرتبة كانت قصة واحدة فيظن ان المراد ذكر نوع واحد

فقلنا اضرب بعصاك الحجر كانت عصاه من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة واللام في الحجر للعهد
على ما روي انه كان حجرا اهبطه آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه
اليه مع العصا او حجر الطور او حجرا حمله معه او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى
به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرائيل عليه السلام بحمله او للجنس على ما قيل لم يأمره
ان يضرب حجرا معينا ولكن لما قالوا كيف لو افضينا الى ارض لا حجر بها حمل حجرا في مخلاته وهذا
اظهر في الحجة والاول انسب لتعريف قرينة قال ابن عطية لا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا
يطرد من كل جهة ثلثة عيون اذا ضربه موسى ع م واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت
العيون واياك ان تتوهم ان هذا من قبيل ما يستند الى الطبايع من الخواص كجذب بعض
الاحجار الحديد وحلق بعضها الشعر لانه لا يتبع الارادة والحاجة ولو ان فتح باب امثال
هذا التوجيه الباطل في خوارق العادات الصادرة عن الانبياء صلوات الله عليهم سعى في
سد طريق دلالة المعجزة على صدق النبوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف
يفصح عنه الفاء الفصيحة تقديره فضرب فانفجرت ونكتة الحذف الدلالة على سرعة الامتثال
وظهور الاثر في الحال وعلى ان المقصود بالامر اثر الضرب لا الضرب نفسه والاشارة الى ان
ترتب الانفجار وان كان في الظاهر على ضرب موسى عليه السلام لكنه في الحقيقة على امر الله تعالى
به وتعليقه عليه والفجر الشق ومنه الفاجر لانه فسق فشق عصا المسلمين بخروجه الى الفسق
والعين الينبوع وهي مؤنثة سماعية ونصب على التمييز وجاز اجتماع علامتي التانيث في اثنتي
عشرة لانهما في شيئين قد علم كل اناس الاناس اسم جمع لا واحد له من لفظه والمراد كل سبط
من اسباط بني اسرائيل وكانوا على عدد العيون مشربهم المشرب موضع الشرب والعلم بموضع
الشرب كناية عن عدم التجاوز عنه كما قال فلان يعرف حده اي لا يتجاوزه ففي الكلام ايجاز
بليغ حيث دل على سبق التعيين والتخصيص قيل كانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثني عشر ميلا كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والاوجه في هذا المقام لانهم
في التيه لما كانوا ياكلون من زرع الماء ومن من للابتداء او للتبعيض والرزق المرزوق والاسناد
الى الله تعالى لعدم التوقف على الكسب العادي والا فالرزق كله مستند اليه تعالى خلقا وايجادا
ولا تعثوا في الارض مفسدين لما كان قد تهيا لهم المأكول والمشروب من غير تعب نهوا عن
الفساد اذ كان ذلك قد يدعو اليه كما قال الشاعر ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء
اي مفسدة والعثي على ما ذكر في العين اشد الفساد والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به

وربما لا يكون منهيا بل يكون واجبا كهدم دور المشركين وحرق زروعهم ولذلك قيد بقصد الافساد
احترازا من قول مفسدين فان المفسد من باشر الفساد عمدا لا من صدر عنه الفساد مطلقا
ولو سهوا وفائدة ما في مفهوم العثي من الشرع الدال على انه اشد الفساد وغير منهي اذا كان
لمصلحة فكيف الفساد في الجملة قال الراغب والعيث والعثي يتقاربان نحو جذب وجبذ
الا ان العيث اكثر ما يقال فيما يدرك حسا والعثي فيما يدرك حكما واذ قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد يعني ما رزقوه في التيه قيل كان ينزل عليهم المن وحده ثم ملوه فارسلت عليهم
السلوى وكان هذا الكلام منهم قبل نزول السلوى وقيل اريد بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل فلا ينافي التعدد فادع لنا ربك سل لنا بدعائك اياه وفي معنى التربية
التي هي ماخذ الرب مناسبة للمقام يخرج لنا جزم على انه جواب فادع كانهم طلبوا
حصول ما طلبوه على سبيل خرق العادة كنزول المن والسلوى ولذلك قالوا يخرج اي يظهر
ولم يقولوا ينبت وانما كرر لنا مع ان في الثاني منها غنى عن الاول اظهارا لصلة الدعاء لنا
اهتماما بشانه مما تنبت الارض من للتبعيض والانبات على طبيعة الارض في تربية
البذر ومادة النبات بتسخير الله تعالى اياها وتدبيره وذلك امر آخر وراء ايجاده
وايجاد اسبابه والفعل انما يسند حقيقة الى من باشره لا الى من خلقه واوجده فالمنبت
والمولد والمصور ونحو ذلك حقيقة المباشر باسباب هذه الاعمال لا الباري تعالى وانما
نسبته اليه كنسبة القتل والقطع والكسر اليه لكونه المكون منها من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع في موقع الحال من الضمير تقديره مما تنبته كائنا
من بقلها او بدل باعادة الجار والبقل كل ما يؤكل مع الطعام من الخضر والفوم الحنطة عند
الاكثر وقال مجاهد الفوم الخبز يقال فوموا لنا اي اختبزوا وقال الفراء هي لغة قديمة وقيل
الثوم ويدل عليه قراءة وثومها عليه لان الفاء تبدل من الثاء كما قالوا مغافير ومغاثير وجدف
وجدث ولو كان المراد الثوم لكان المناسب ان يذكر بعد العدس والقثاء جمع قثاة وهي
نوع آخر من جنس الخيار واختير صيغة الجمع هنا لفصاحتها واما جنس الجمع فقد يبطل التعريف
لعدم مناسبة المقام قيل كان القوم فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه قال اي الله
او موسى عليه السلام اي دعا فاجابه الله تعالى لما دعا فقال الله تعالى او موسى عليه السلام باذنه
اتستبدلون الذي هو ادنى اي تطلبون تبديل الذي هو ادنى والمنصوب هو الحاصل و
الذي يدخل عليه الباء هو الزائل وادنى افعل تفضيل من الدنو المستعار من القرب المكاني
للخسة كالقرب المستعار للشرف والرفعة او من الدون وهو الردي فقلب او اصله ادنأ

فضلت مرتبته بانحطاط القابس الدناءة وقد قرئ بالهمزة **بالذي هو خير** يريد به المن والسلوى فانه كان خيرا لحصوله بلا تعب وبوصول من جهة الرب تشريفا وخلوصه عن شبهة الحظر وكونه ذي خطر بخلاف البقول **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه فان التيه كان على قطر كانه منصب عليه والمصر البلد العظيم اي انزلوا بعض الامصار فانكم تجدون هذه الاشياء ويحتمل ان يريد العلم اعني مصر فرعون وصرفه لعدم سبب اخر على ارادة البلد او لسكون وسطه ويؤيده انه غير منون في مصحف ابي وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقيل اصله مصرايم فعرب ولصرفه وجه اخر وهو انه لا اعتداد بالعجمة لوجوب التعريب والتصرف **فان لكم ما سألتم** لما كان هذا في قوة قوله فوجدوا ما سألوه عطف عليه قوله **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** وفي الجمع بينهما اشارة الى ان الذلة والمسكنة من روادف ما ابتغوه من الزراعة والحرث وقد جاء في الخبر والذل في اذناب البقر والكلام كناية عن كونهم اذلاء متصاغرين مبناها على الاستعارة اما في الذلة فتشبيهها بالقبة فهي مكنية واثبات الضرب تخييل واما في الفعل فعلى ضربت تشبيها لالصاق الذلة ولزومها بضرب الطين على الحائط فيكون تصريحية تبعية والذلة من الذل كانها الهيئة والحال والمسكنة من المسكين وقال الزجاج هي مأخوذة من السكون وهي هنا زي الفقر وخضوعه وان وجد يهودي غني فلا يخلو من زي الفقر ومهانته مخافة ان تضاعف جزيتهم **وباؤوا بغضب من الله** رجعوا به اي لزمهم ذلك ومنه قوله عليه السلام في دعائه ومناجاته ابوء بنعمتك علي اي اقر بها والزمها نفسي هذا على ما ذكره الفراء ان باء بمعنى رجع وقال الكسائي ولا يكون باء الا بشيء اما بخير واما بشر ولا يكون لمطلق الانصراف او حلوا مبوأهم ومعهم غضب الله اي عقوبته وقوله بغضب في محل الحال كخرج بسيفه واستعمال باء للتنبيه على ان مكانهم الموافق يلزمهم فيه غضب الله فكيف غيره من الامكنة وهذا على ما ذكره الراغب من ان اصل البواء مساواة الاجزاء في المكان خلاف النبو الذي هو منافاتها **ذلك** اشارة الى ما سبق من الضرب والبوء **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله** بسبب انهم جمعوا بين الثبات على اصل الكفر والدوام عليه وبين تجدد انواعه والمراد من الآيات المعجزات او الكتب المنزلة **ويقتلون النبيين** انهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم **بغير الحق** ليس احترازا اذ لا يقع قتل نبي الا بغير الحق فهو قيد لازم كقوله ويدعون مع الله الها آخر كقوله دعوت الله سميعا وجاء تعظيما للشنعة والذنب الذي اتوه وما قيل معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم يرده انهم كانوا يقولون هؤلاء كاذبون وما اتوا به تمويهات وليست من الله تعالى ويقتلونهم بهذا الاعتقاد الباطل **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اشارة الى السبب المذكور والباء في بما للسببية فيكون بيانا للسبب

مبالغة في وجوب اجتناب المعصية والاعتداء بانهما يفضيان الى الكفر بالآيات وقتل الانبياء نعوذ بالله من الشيخ القبائح ويجوز ان يكون ذلك تكريرا للاول دلالة على ان ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب مسبب عن امور كثيرة كل واحد منها يوجب ذلك والعصيان والاعتداء هنا من الافعال التي جعلت لازمة وتركت مفاعيلها نسيا منسيا والاعتداء وان كان في اصل وضعه تجاوز الحد في كل شيء لكن عرفه في الظلم والمعاصي والعدول عن قوله واعتدوا والمثل مما مر من النكتة في قوله بانهم كانوا يكفرون واما التأكيد فلانهم يؤمنون هنا فلان الكفر بالمعجزات الباهرة وقتل الانبياء المبعوثين بالبينات الظاهرة مظنة ان يستبعد بخلاف مطلق العصيان والاعتداء **ان الذين آمنوا** بالسنتهم من غير مواطأة القلوب لابد من هذا القيد ليدخلوا في عداد الكفرة وينتظم معهم فيصح الابدال والاخبار بان من آمن منهم ايمانا خالصا فله كذا **والذين هادوا** يقال هاد يهود اذا دخل في اليهودية ويهود من هاد بمعنى تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل **والنصارى** اختلف في اصلها والاقرب ما قيل ان المسيح عليه السلام كان من قرية يقال لها نصران فاما ان سموا باسمها ثم جمعته العرب على نصارى نحو سكران وسكارى او جعلوا منسوبين اليها ثم جمعت نحو مهري ومهارى كذا قال الراغب فالياء في نصراني للنسبة الى تلك القرية او الى ذلك الجيل او للفرق بين اسم الجمع والواحد كما في اليهود واليهودي **والصابئين** الصابئ من صبأ اذا خرج من الدين وهم خرجوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة والكواكب **من آمن بالله واليوم الآخر** في محل النصب بدل من اسم ان وما عطف عليه وخبر ان فلهم اجرهم ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط او في محل الرفع بالابتداء وخبره فلهم اجرهم عند ربهم والجملة خبر ان والمعنى من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا صادقا مصدقا بقلبه بجميع ما يجب تصديقه عاملا بمقتضى شرع نبي ارسل اليه وما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ لا يناسب المقام لما عرفت ان المراد من الذين آمنوا المنافقون والصابئون لم يثبت لهم دين سماوي ولذلك اختلف في حل مناكحتهم **فلهم اجرهم** اي ثواب ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا لانه جزاء عليه بوعده الصادق فضلا منه وترتيب الحكم على الموصول دل على ان الاستحقاق له بسبب ما ذكر في الصلة من الايمان والعمل الصالح معترض بحسبه والجملة اعتراض بين خطابي بني اسرائيل **عند ربهم** كناية عن كون ذلك الاجر مأمونا عن الضياع لكونه عند ابين حافظ **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي لا ينالهم خوف ولا يصيبهم حزن في الآخرة لانهم يصيرون

الى النعيم المقيم والانس الدائم والتنكير في الخوف للتقليل وفي قوله ولا هم دلالة على ثبوت الحزن
لغيرهم **واذ اخذنا ميثاقكم** بالعمل على ما في التورية والدليل على اختصاصه قوله **ورفعنا فوقكم الطور**
اي حتى تقبلتم واعطيتم الميثاق والميثاق مفعال من وثق يثق مثل ميزان من وزن يزن
ووحد وان اضيف الى الجمع تنبيها على ان الماخوذ على الكل ميثاق واحد قال الواحدي
الطور الجبل بالسريانية وقد تكلمت به العرب وقيل علم للجبل الذي ناجى عليه الله تعالى
موسى عليه السلام وهو المراد هنا **خذوا** على ارادة القول **ما اتيناكم** اي التورية **بقوة**
اي بجد واجتهاد اذ امتنعوا من اخذ التورية والتزام احكامها الشاقة فاكرهوا على ذلك
برفع الطور فوقهم **واذكروا ما فيه** اي تحفظوه وعدم تناسيه قولا وعملا **لعلكم تتقون** قد مر
في تفسير لعلكم تشكرون ما يغني عن بسط الكلام في هذا المقام بتوضيح المرام ورد الاوهام
ثم توليتم من بعد ذلك اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه على الكيفية المذكورة
وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاعراض بعد تاكيد الميثاق باذكرايه بعيد ورشح عبارة
ذلك **فلولا فضل الله عليكم** بقبول التوبة **ورحمة** بالعفو عن الزلة وارتفاع فضل على
الابتداء وعليكم متعلق بفضل والخبر محذوف واجب الحذف على المختار لدلالة الجواب عليه
لكنتم من الخاسرين اي من المغبونين بالوقوع في العذاب وحرمان الثواب ولولا وكثر
دخول اللام عليه اذا كان موجبا ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل
على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والتفريع المستفاد من الفاء باعتبار
ان في مدخولها دلالة على انهم كانوا على شرف الخسران لولا تدارك فضل الله تعالى وذلك
مسبب عما تقدم ذكره من احوالهم القبيحة **ولقد علمتم** اللام موطئة للقسم
لتنبيه جوابه على السامع وعلم هنا تعدى الى واحد بمعنى قد عرفتم اصحاب السبت وما
احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حين اعتدوا بالاصطياد يوم السبت فلم يكن
تاخيرنا العقوبة عن اسلافكم الذين كانوا قبلكم على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم
للعجز عن تعجيل ذلك بل فضلا ورحمة ولو شئنا لعاجلناهم بما عاجلنا به اصحاب السبت
فيكون هذا التذكير لتقرير ما ذكر من ان نجاتهم عن الخسران بمحض فضل الله تعالى ورحمته
الذين اعتدوا منكم في السبت اي الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم من ترك الصيد يوم
السبت من اسلافكم وهو يوم معروف سمي به لانه سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وتم
واصل السبت القطع ومنه السبات لانه يقطع الافعال الاختيارية واليهود يسبتون
فيه اي يقطعون الاعمال وقيل هو ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة و

[illegible]

والسبت هنا مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت تعني في السبت تعظيم يوم السبت
وتعظيمه عبارة عن ترك العادات والاشتغال بالعبادات والاعراض عما يؤدي الى
يؤذي الحيوانات داخل في ضمنه وذكر الموصول مع الصلة يفيد تعلق العلم بالوصف المذكور
الموجب للمسخ المذكور لا بذواتهم وتفصيل القصة ياتي في تفسير سورة الاعراف باذن الله
فقلنا لهم كونوا قردة بيان لتعلق ارادة الله تعالى بمسخهم في آن واحد والقردة جمع
قرد كالديكة جمع ديك والكثير في فعل الاسم فعول نحو قرود وجمعه على فعلة لا يقاس
خاسئين خبر آخر لكونوا او صفة لقردة باعتبار انهم كانوا من العقلاء اي جامعين بين
القردية والخسوء وهو الصغار والطرد وفعله خسأ يجيء متعديا ولازما والضمير في
فجعلناها للمسخ **نكالا** النكال العقوبة الغليظة المنكلة للغير اي المانعة من الذنب فان
اصله المنع ومنه النكل للقيد واللجام **لما بين يديها** من ياتي بعدها **وما خلفها** من تقدمها
وجودا والتقدم بحسب الوجود لا ينافي المتقدم عند المتاخر او ما بحضرتها وما بعدها
فظرفا المكان مستعاران للزمان وان ما اقيمت موقع من لا تحقيرا لشانهم لانه لا
المقام بل لاعتبار وصف المعتبرين **وموعظة** مفعلة من الاتعاظ والانزجار والوعظ
التخويف والعظة الاسم **للمتقين** لكل من اعتبر بها واتقى اي لم يفعل ذلك فقصد التشنيع
كفعل الاولين بل لمصلحة العباد **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة**
اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا وانما فكت عنه واخرجت اول القصة مخرج الكلام
كانه قصة مستقلة بالتقريع على القتل والتدافع والتنبيه على القدرة في احياء الميت و
الاعجاز وقدم آخرها لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر و
الاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال ولذلك لم يقل قال موسى
لقومه يا قوم كما قال فيما تقدم فانه لما كان جواب لا ابتداء خطاب لم يناسب
التصدير بالنداء ثم اضمر في الثانية ضمير البقرة ليدل بهذا الربط انها قصة
واحدة وفيما يراد منها من التقريع والتنبيه قصتان ولو اوردت مسرودة
على الترتيب لامكن ان يغفل عن ذلك وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله والبقر اسم للانثى واسم الذكر الثور مثل ناقة وجمل وقيل البقرة
واحد البقر والانثى والذكر سواء واصله من بقر اي شق فالبقر يشق الارض بالحرث **قالوا**
اتتخذنا هزوا اي اتجعلنا نفس الهزء للمبالغة او محلا للاستهزاء او اهل هزء او مكان هزء

ومثروا بنا للاختصار والايجاز واما كون المفعول الاول جماعة فلا دخل له في اقتضاء التاويل بالحذف او التجوز في المفرد او الحكم لان ما اصله المصدر يجوز ان يكون خبرا عن الاثنين وعن الجماعة كما في قوله فقولا انا رسول رب العالمين وقوله تعالى لاهن حل لهم فكيف بالمصدر ظنوا ان موسى عليه السلام يستهزئ بهم وبدا يعيم قالوا نخبرك ان رجلا منا قتل فتقول لنا اذبحوا بقرة فيحتمل ان موسى عليه السلام امرهم بذبحها ولم يبين المراد والتفرقة بينها اول الامر فلذلك وقع هذا القول منهم موقع الهزء في بادي نظرهم قيل قرئ اتخذنا بالياء اي الله تعالى ولا يناسبه قوله قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين تبرا عن الاستهزاء على وجه ابلغ حيث عده من الجهل واستعاذ منه واستفظاعا له وذلك لكونه في مقام التبليغ والارشاد فلا يناسب قصده في مقام قصده في مقام الاحتقار والتهكم بمثل تبشرهم بعذاب اليم فرجع الجهل هنا الى عدم العلم بمقتضى المقام فلا حاجة الى صرفه الى معنى السفه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا قدم نظيره عن قريب ما هي لما روا ما امروا به على حال ليست من احوال جنس البقر اشتبه عليهم وجه الامتثال فلذلك قالوا يبين لنا ما هي فان الحاجة الى البيان انما تكون في موضع الاشتباه والسوال بما هي يكون غالبا عن الجنس قال انه يقول انما زيد هذا الكلام ليتوهم ان ما ذكر قول موسى عليه السلام وقدر وعي هذه النكتة في مواضع من هذه القصة انها بقرة تكرر الاسم لتقرير المعنى المراد ودفعا لاحتمال ان يراد جنس آخر لغرابة ما ذكر من الاثر كما سبق لي وهم السايلين لا فارض ولا بكر صفة للنكرة بما دخل عليه لا كررت وكذا الخبر والحال الا ما ندر والفارض المسنة التي انقطعت ولادتها من الكبر والبكر الصغيرة التي لم تلد من الصغر عوان نصف النعل من الفارض فرضت تفرض فروضا ومن العوان عونت تعون تعوينا ولم يسمع من البكر فعل الا ان في تركيبها الاولية ومنه البكرة والباكورة وانما لم يدخل الهاء في هذه الصفات للتانيث لانها من خصايص اوصاف الاناث فصارت كالحايض والطالق بين ذلك اي بين البكر والفارض ولم يقل بين تينك ترجيحا لما عبارة ذلك من النحاة على ما في تينك من الجناس مع ما تقدم وجه التعبير عن الاثنين بذلك فافعلوا ما تومرون ما موصولة والعايد محذوف واصله ما تومرون واصله ما تومرون به لان الامر يتعدى الى المامور بنفسه والى الفعل المطلوب بالباء يقال امرته بكذا ثم حذف الجار واوصل بنفسه ثم حذف المفعول به لا مصدرية اي امركم بمعنى مامور كم لان المصدر بمعنى المفعول شايع واما المصدر بمعنى المفعول به فقليل جدا تجديد للامر وتاكيد وتنبيه على ترك التعنت والمسارعة الى الامتثال ولم يجد حيث اعادوا السوال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها النوع اشد ما يكون من الصفرة

واصفر

فان ما كان فيه من الوصل الرسول بمعنى الرسالة مجاز لتسوية فيه اذ وصف به بين الواحد والتثنية والجمع

الداعية اللطيفة

ومن قال صاحب الكشاف حيث توهم ان في العدول الى ذلك على تاويل ما ذكر اختصار افادة بيان العدول عن ان العدول في الحقيقة عن تينك لاجل الفارض والبكر

والصفرة استعماله للتاكيد يقال اصفر فاقع واحمر قاني واخضر ناضر واسود حالك وابيض يقق الوانع يدل على شدة الوصف وخلوصه ولعل ارتفاع اللون بفاقع من يدل التاكيد لذلك كانه صفراء شديد الصفرة صفرتها وعلى هذا الا تقف على صفراء لئلا تفصل بين الصفة والموصوف وان جعلت صفراء بمعنى سوداء وقفت عليها ويكون الفقوع بمعنى الخلوص صفة اللون كانه قال لونها خالص على ان فاقع واقع خبرا عن اللون فلم يقع تاكيد الصفراء حتى يبنا في تفسيرنا بالسوداء تسر الناظرين اي تروق هذه البقرة من نظر اليها وتعجب ويفرح قلبه لتمام خلقها ولطافة شكلها وحسن لونها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه او اندفاع ضر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي طلبوا تمام الكشف ببيان ما يرفع الاشتباه ويدفع الصدق على متعدد ولما ارادوا التعيين الذاتي على التعيين بالعوارض المشتركة سالوا بما هي فكانهم طلبوا في منزلة الذاتي المميز من الاوصاف المخصوصة بتخصيص بعينه ان البقر وقرئ ان الباقر قال القرطبي البقر والباقر والبيقور والبقير لغات بمعنى والعرب تذكره وتؤنثه والى ذلك يرجع القراءات في تشابه تشابه علينا اعتذار عنه وانما لم يقل ان البقرة تشابه علينا اذ لم يرد تشابه المعهود بل اريد ان الاوصاف المذكورة صدقت على جماعة من الجنس المذكور فاشكل علينا الامر فيها للتشابه والتشارك في تلك الاوصاف وقرئ تشابهت مخففا ومشددا قال القرطبي في مصحف ابي رضي الله عنه تشابهت بتشديد الشين قال ابو حاتم وهو غلط لان التاء في هذا الباب لا يدغم الا في مضارع وانما ذكر الفعل لتذكير اللفظ كقوله نخل منقعر وكل جمع حروفه اقل من حروف واحده جاز تذكيره مثل بقر ونخل وسحاب وقرئ ان الباقر ويقواسم لجماعة البقر وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها لما جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لم يقولوا ان شاء الله وانما سميت استثناء لصرفها الكلام عن الجزم وعن الثبوت في الحال من حيث التعليق بما يعلمه المستثنى وآخر الابد كناية عن المبالغة في التابيد والمعنى الى الابد الذي هو آخر الاوقات ونقدير الكلام وانا لمهتدون ان شاء الله تقدم على ذكر الاهتداء اهتماما به وحفظا لروس الآي ولا متمسك فيه لاصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى لان دلالته على ان مراده تعالى واقع واما ان الواقع ليس الا مراده فلا تعرض له ولا على ان الامر قد ينفك عن الارادة لانه محل الخلاف في الامر التكليفي وهذا الامر للارشاد على ما يرشد اليه قولهم اتتخذنا هزوا ولا خلاف فيه قال انه يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة اي لم تذلل للكراب من الذل بكسر الذال وهو خلاف الصعوبة

ولدلالته على خلاف مراده تعالى واقع ايضا على راي المصادرة والعبارة ليس مرادا بنوع لدلالة موضع الشرط عن ذلك

ذلت الدابة ذلاً بكسر الذال فهي ذلول وذل الرجل ذلاً بضم الذال فهو ذليل **تثير الارض** صفة لذلول داخلة تحت النفي والمقصود نفي اثارتها الارض **ولا تسقي الحرث** نفي معادل لقوله لا ذلول والمعنى انها لم تذلل بالعمل في حرث ولا سقي وقيل لا في قوله ولا تسقي الحرث زائدة للتوكيد وان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي الحرث والفعلان صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية فيلزم في الوصف بلا عدم تكررها ولا مقابل منفي وذلك لا يكون الا في الشعر وقرئ لا ذلول بالفتح على ان لا لنفي الجنس والخبر محذوف والجملة صفة ذلول كناية عن نفي الذل عنه كما يقال الذليل حيث هو لنا كناية عن اثبات الذل له والحرث الارض المهيأة للزرع ومعنى الاثارة ههنا قلب الارض للزراعة يقال اثرت الشيء واستثرته اذا هيجته **مسلمة** من العيوب اي سلمها الله تعالى او من العمل اي سلمها اهلها وقيل مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له اي لم يشب صفرتها شيء من الالوان ويرد عليه ان حق هذا البيان ان يعقب السؤال السابق و يذكر في اخر جوابه **لاشية فيها** اي لا علامة فيها تشينها وقيل لا لون فيها يخالف لون جلدها ماخوذة من وشي الثوب اذا نسج على لونين مختلفين يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس امرق وغراب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة ويرد على هذا ما ورد على المعنى الاخير لمسلمة **قالوا الآن** هو حد الزمانين الماضي والمستقبل بني لتضمنه معنى الاشارة تقديره هذا الوقت **جئت بالحق** اي بما تحققنا به المراد من البقرة ففيه دلالة على انهم عرفوها بعينها وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة فقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا لوالديه فشبت وكانت وحيدة بالصفات المطلوبة فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير **فذبحوها** اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وانما حذف ما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه والفاء ليست فصيحة لان شرطها ان يكون المحذوف سببا للمذكور والتحصيل ليس بسبب للذبح وانما سببه الامر به بل للتعقيب والدلالة على انهم كما حصلوها ذبحوها **وما كادوا يفعلون** يعني شيئا من الذبح ومقدماته من تحصيل المامور بذبحه وتهيئة اسبابه وبهذا الاعتبار كان المذكور ابلغ من يذبحون وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فالفعل المقرون به منفي والنفي الداخل عليه قد يعتبر سابقا على القيد فيفيد معنى الاثبات بالتكلف كما في هذه الآية وقد يعتبر مسبوقا به فيفيد البعد عن الاثبات والوقوع كما في قوله تعالى لا يكادون يفقهون قولا ومن غفل عن هذا توهم التدافع بينه وبين قوله

فذبحوها فتكلف في التوفيق واعلم انه لا خلاف في ان الظاهر اللفظ في اول الامر بقرة مطلقة مبهمة ولا في ان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة موصوفة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لم يكن مطابقا لكن اختلفوا في ان المراد به في اول الامر هو البقرة المعينة واخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ولحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في امتثالهم وكثرة سؤالهم واستكشافهم والحق هو الثاني لقوله عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وروي مثله عن ابن عباس رضي الله عنه وهو رئيس المفسرين ولان اللازم على الاول تاخير البيان عن وقت الحاجة ولدلالة قوله فافعلوا ما تؤمرون على انهم امروا بايقاع ذبح البقرة قبل بيان اللون وكونها مسلمة عن مذللة وهذا اللازم محذور عند المخالف ايضا ومن ذهب الى الاول تمسك اولا بان الضماير في الاجوبة اعني انها بقرة كذا وكذا للمعينة قطعا فكذا في السؤال للتطابق والسؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هي المعينة وجوابه انهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما هو عليه صفة الجنس فسالوا عن حالها وصفتها فوقعت الضماير لمعينة بزعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى فشدد عليهم وان لم يكن المراد من الامر هي المعينة وثانيا بانه قد دل السياق ووقع الاتفاق على انه لم يرد امر متجدد غير الاول ليس الا بالامر الاول فلزم ان لا يكون منسوخا وان يكون امرا بذبح المعينة لظهور ان الامتثال لم يقع الا بذبح المعينة وجوابه ان انتقال الحكم الى المخصوصة لا يلزمه ارتفاع حكم الامر الاول حتى يحتاج ايجاب المخصوصة الى امر متجدد بل على انه كان متناولا لها ولغيرها بمعنى حصول الامتثال باي فرد كان فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال بذبحها خاصة وكان ذبحها امتثالا للامر الاول ولم يكن هذا منافيا لنسخ الامر الاول في الجملة ولا موجبا لكون المراد به اولا ذبح المعينة **واذ قتلتم نفسا** خطاب الجمع لان القتل صدر عن جماعة وهم بنو عم المقتول **فادارأتم** اي تخاصمتم لان المتخاصمين يدرا بعضهم بعضا او تدافعتم لان كلا منهم يدفع التهمة عن نفسه الى الآخر والبراءة عن الحق الى نفسه واصله فتدارأتم فادغمت التاء في الدال لانها من مخرجها فسكنت وادخلت الف الوصل لتعذر الابتداء بالساكن وفي فيها للتعليل كما في قوله عم لتنتني فيه **والله مخرج** مظهر لا محالة حكى ما كان مستقبلا وقت التدارء فاعمل فنصب **ما كنتم تكتمون** على المفعولية كما حكى ما كان حاضرا وقت التغليب في قوله تع وكلبهم باسط ذراعيه **فقلنا اضربوه** عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض مشعر بان التدارء لا يجدي اذ الله تعالى مخرج ومظهر ما كتموه والضمير

البارز للقتيل وفي تذكيره تنبيه على ان الحكم النفس لا الجسد بعد القتل **ببعضها** اي ببعض كان
دل على ذلك الابهام **كذلك يحيي الله الموتى** خطاب لمنكري البعث من مشركي مكة او للذي
حضروا القتيل على تقدير فقلنا لهم والكاف في محل النصب على المصدر اي مثل ذلك الاحياء
العجيب الشان وذلك اشارة الى ما دل عليه المحذوف المدلول عليه بهذا الكلام وما قبله وهو
قوله فاحيي روي انه لما ضرب قام باذن الله واوداجه تشخب دما فقال قتلني ابنا عمي
فلان وفلان وسقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك **ويريكم آياته** دلايله لان
من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الكل لعدم الفرق عند العقل **لعلكم تعقلون**
تستدلون به او تعقلون على احياء نفس واحدة قدر على احياء الكل لعدم الفرق عند العقل
قضية عقولكم وقد مر معنى لعل غير مرة وانما جعل احياؤه مسببا عن ذبح البقرة وضربه ببعضها
وهو قادر على احيائه ابتداء ليعلم ان في الاسباب والشرايط حكما وفوايد كالتقرب بالقربات
والتنبيه على حسن تقديم القربة في الطلب وتحري الاحسن والغالي في الثمن وعلى وجوب
المسارعة في امتثال الامر ولو كان للارشاد وان التشديد موجب لتشديد الله تع
على من شدد وان الاستهزاء من فعل الجهال وان بر الوالدين له بركة وكذا التوكل و
الشفقة على الابناء **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** اي بعد احياء القتيل وهو امر عظيم خارق
للعادة موجب للاعتبار قيل ثم للاستبعاد وفيه ان معناها الحقيقي غير متعذر قال الواحدي
يقال قسى قلبه يقسو قسوة وقساوة وهي الشدة والصلابة واليبس وقست قلوبكم استعارة
تبعية واقعة على سبيل التمثيل وشبهت حالة قلوبهم وهي نبوها عن الاعتبار بحالة قسوة الحجارة
فانها لا تجدي فيها لطف العمل وحسن الحيل ولاعتبار هذه الاستعارة حسن التفريع والتعقيب
بقوله **فهي كالحجارة او اشد قسوة** تشبيه في القساوة بالحجارة ثم رجوع عنه بتفضيلها في القساوة
على الحجارة وبيانه وتقريبه **وان من الحجارة** لدلالته على انها في شدة القسوة متفضلة على الحجارة
لمطاوعة الحجارة لامر الله تعالى دونها وعلى هذا قوله او اشد معطوف على قوله كالحجارة من
قبيل عطف المفرد على المفرد كما يقال زيد على سفر او مقيم وقرئ اشد بالفتح عطفا على الحجارة
او مثل شيء اشد من الحجارة قال الواحدي قال المفسرون انما شبه قلوبهم بالحجارة في
الغلظة والشدة ولم يشبه بالحديد وان كان الحديد اصلب من الحجارة لان الحديد يلين
بالنار ولا تلين الحجارة بمعالجة ابدا وانتصب قسوة على التمييز ويقتضيه اشد وكاف التشبيه
وهذا التمييز الذي بعد افعل التفضيل منقول من المبتداء وهو نقل غريب وانما لم يقل اقسى لما
في اشد من المبالغة لدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها

وفي ذلك من الايماء الى الاعتناء ببيان الزيادة ما لا يخفى والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل
على زيادة واو بمعنى بل كما في قول الشاعر بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت
في العين املح اي بل انت او للابهام على المخاطب قال ابو الاسود الدؤلي احب محمدا حبا شديدا
وعباسا وحمزة او عليا فان يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ ان كان غيا ولم يشك ابو
الاسود ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل له حين قال ذلك شككت قال لا انما استشهد
بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قال او كان شاكا من اخبر بهذا **لما يتفجر منه**
الانهار التفجر التفتح بسعة وكثرة وقرئ وان مخففة من المثقلة لوجود اللام في لما **وان منها لما يشقق**
فيخرج منه الماء اصله يتشقق وقرئ به والتشقق التصدع بطول او عرض فينبع منه الماء بقلة هذا على
التنجيم دون الترقي والا لقدم المؤخر **وان منها لما يهبط من خشية الله** الهبوط التردي من علو الى
سفل والخشية الخوف عن علم وهي هنا مجاز عن الانقياد اطلاقا للاسم الملزوم على اللازم وقوله
من خشية الله متعلق بالافعال السابقة كلها ولما كانت قساوة القلوب تنشأ عنها الاعمال
القبيحة قال تعالى على سبيل التهديد **وما الله بغافل عما تعملون** وقرئ بالياء للغيبة ضما الى
ما بعده من الضماير العايدة الى اليهود **افتطمعون** الطمع نزوع النفس الى شيء ما شهوة والخطاب
لرسول الله عليه السلام والمؤمنين **ان يؤمنوا** في محل الجر اي في ايمانهم والضمير لليهود الذين
في زمن محمد عليه السلام لانهم الذين يصح منهم الطمع واللام في **لكم** للتعليل او لاعتبار معنى
الاستجابة اي ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم كما في قوله وامن له لوط للتصديق
كما في وما انت بمؤمن لنا اي مصدق لان مثله لا يوجد في الفعل وانتظامه بما قبله ان النبي
عليه السلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم لما سمعوا هذه الآيات وهي في مخاطبة اليهود طمعوا
ان يورث ذلك في قلوبهم فيؤمنوا فقال الله تعالى افتطمعون مبالغة في انكار الطمع مع كونه
كالمستحيل عادة بايراد الفاء بعد الهمزة اي بعد ما تشاهدون منهم ما يوجب الياس
من ايمانهم من فسوق القلب تطمعون في ايمانهم وهم قوم باعيانهم كما في قوله تعالى ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون **وقد كان فريق** الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب
والواو للحال اي في حال علمكم بطريقتهم وعادتهم **منهم** الظاهر رجوع الضمير الى ما يرجع الضمير
في يؤمنوا وعاد البعض انما كان منافيا لاقرار الباقين لانهم كانوا مقلدين لهم
يسمعون كلام الله ما يتلونه من التورية السماع كناية عن القبول فذكر زيادة تقبيح
لحالهم لان التحريف بعد القبول اشد قباحة ولو كان على حقيقته لما احتيج الى ذكره
لان التحريف لا يكون الا بعد السماع **ثم يحرفونه** تحريف الشيء امالته عن حاله الى حال ومنه

من قال بنا الارادة اعني به ون القلوب لامر الله فقد اخرج الكلام عن سنن الانتظام منه

تقرير الكلام او مثل شيء اشد من الحجارة ... المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعل ... الى المضاف اليه ... الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة ... المعطوف عليه مجرور واشد لا ينجر في موضع الجر بل ينصب منه

فلم يحرف اي احد شيئه ما بل فيستظم التغيير والتبديل والتأويل وما جرى فوق نعت الرسول صلى الله عليه وسلم
ونحو بعضهم كاية الرجم ويجوز ان يكون المراد من الفريق من كان في زمن موسى عليه السلام وهم
اهل الميقات والكلام المسموع كلامه تعالى بالطور وقد نقل بعضهم ما سمعوا وعلى هذا ايضا
الضمير في منهم على ظاهره ولا حاجة الى ان يكون المعنى من اسلافهم فان اسلافهم طائفة بعدون
منهم وعلى هذا يكون المعنى الاصرار على البطلان موروث لهم شنشنة اعرفها من اخزم من بعد ما
عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون اي لم يفعلوا ذلك عن خطاء
ونسيان بل فعلوا عن قصد و نحو حسدا وبغيا واذا لقوا يعني المنافقين الذين آمنوا المخلصين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا اي بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر
في التورية وانما لم ينطقوا بالمتعلق لعدم المساعدة من باطنهم وهذا غاية جبنهم واذا
خلا بعضهم الى بعض اي اذا انفردوا عن المخلصين منضمين بعضهم الساكتون وقت الملاقاة
الى الناطقين بكلمات النفاق قالوا اي الذين سكتوا عاتبين على الذين نطقوا اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم اي بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام فالاستفهام للتقريع والتشنيع واللام
في ليحاجوكم به متعلق بالتحديث ومعنى لام كي على تجوز لان التحديث ليس لذلك وان لم يقصد
كالغاية والمعنى ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه من الحجة واصله من حج اذا قصد مغالبة
خصمه عند ربكم جعلوا محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا و
يراد انه في كتابه وحكمه كذا وعلى هذا يكون عند ربكم بدلا عن قوله به اوظرفا مستقرا يعني ليحاجوكم
بما قلتم حال كونه في كتابكم وقيل المعنى عند ربكم يوم القيمة لا يقال ان اليهود يعلمون انهم يوم القيمة
محجوجون حدثوا او لم يحدثوا لان ذلك العلم العلماء لا لكلهم فلا ينافي تحذيرهم الجهال منهم بذلك
القول ابقاء لهم على اليهودية ولان احترازهم عن كونهم محجوجين من جهة الخصم فان ذلك لازم ان
حدثوا ومندفع ان لم يحدثوا في زعمهم افلا تعقلون افليس لكم عقل حتى تدركوا فساد ما فعلتم
وهذا من تمام كلام اللائمين اولا يعلمون مقابلة لهم بذلك التجهيل والتوبيخ والتعجب مع
التقرير اي انكرون عليهم ولا تعلمون ان الفساد في قولكم مضاعف ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون اي يعلمها على السواء وللتنصيص الى معنى التسوية ذكر قوله وما يعلنون مع ان
قولهم ما يسرهم يغني عنه ونظيره هذا في القصد الى المعنى المذكور قوله يكلم الناس في المهد
وكهلا وتقديم ما يسرون مع ان حقه في اسلوب السر في التأخير التسوية بينهما في
الاهتمام فان في الجمع بين العبارة والدلالة اهتماما بالثاني وفي التقديم مع ان حقه التأخير
اهتماما بالاول ومنهم اميون عاميون الامي من لا يكتب ولا يقرأ سمي به لانه على الخلقة التي ولدته

امه عليها لا يعلمون الكتاب اي التورية الا اماني الا استثناء منقطع والاماني جمع امنية افعولة من التمني
وهو التقدير ولها معان ثلثة المتمنيات لان المتمني يقدر في نفسه ما يشتهيه ويتخيله او الاكاذيب
اذ الكاذب يقدر في نفسه ويتخيل شيئا لا وجود له او المقروات لان القاري يقدر عند قراءته
في نفسه ان كلمة كذا ومنه قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فالمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
من المحرفين او نحو اعتقدوا فارغة سمعوها منهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وان النار
لا تمسهم الا اياما معدودة او ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره والامي ربما يقدر
على قراءة ما بالاخذ من افواه الرجال وان هم الا يظنون ما هم قوم يظنون والظن هنا على
بابه من ترجيح احد الطرفين ولا يلزم من الترجيح عندهم ان يكون راجحا في نفس الامر
ويجوز ان يجعل الضمير للفريقين فنفى العلم عن العلماء في قوله اولا يعلمون على سبيل الانكار حيث
لم يعملوا بموجبه وعن المقلدين بقوله لا يعلمون الكتاب ثم حكم انهم في الظن المؤدي الى
الضلال سواء فعلى هذا يكون في الآيات جمع وتقسيم جمع الفريقين في قوله افتطمعون
ان يؤمنوا لكم ثم قسمهم الى فريقين علماء معاندين وجهلاء مقلدين ثم جمعهم في
يظنون فويل اي تحسرا وهلك روى عثمان رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام الويل جبل
في النار وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي واد في جهنم وهو في الاصل مصدر لا فعل له لان
فاءه وعينه معتلتان وتنكيره للتعظيم فلم يكن نكرة محضة على ان الغرض من ان الكلام الافادة
فاذا حصلت جاز الحكم سواء تخصص المحكوم عليه بشيء اولا واما ان النكرة اذا كانت دعاء يقع مبتدأ
وان لم يتخصص فما قيل في بيانه لا يجري في ويل صرح به الرضي للذين يكتبون الكتاب يعني ما كتبوه من
التأويلات الزائغة ولذلك احتاجوا في ترويجه الى بيان نسبته الى الله تعالى ولو كان المراد
الكتاب المحرف لما احتاجوا اليه لان كون التورية من عند الله مسلم وما احدثوه من التحريف
غير معلوم لغيرهم بايديهم تاكيد للمجاز اي يتولونه بانفسهم فقد يقول الانسان كتبت الى فلان اذا امر
غيره بان يكتب عنه واذا قال كتبت بيدي فقد اخبر بانه باشر بنفسه فهو من حيث انه كناية
عن انه من تلقاء انفسهم دون ان ينزل عليهم ناظر الى ما في قولهم هذا من عند الله من دعوى
النزول هكذا مكتوبا من السماء كما هو الشأن في التورية ويجوز ان يكون لدفع احتمال الاستنساخ
فان الكتابة شايعة فيه وفائدة التنصيص بمعنى الاملاء التغليظ في الجناية حيث انضم
الى القول العمل ثم يقولون هذا من عند الله كلمة ثم للاستبعاد وعدم الفائدة في الاخبار
عن تراخي القول المذكور عن العمل المزبور كفى قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي لها في الكلام
البليغ ليشتروا به ثمنا قليلا متعلق بيقولون وفي قدمه بيان استعارة الاشتراء للاستبدال

ونكتة التعبير عن المبيع بالثمن تقدّ كن وما حصّلوا به وإن جلّ قليل بالنسبة إلى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة
فويل لهم مما كتبت أيديهم جعل بإزائه في قوله وويل لهم مما يكسبون مصدرية أولى من جعلها موصولة
لعدم الحذف ولكون الويل على الفعل أولى وأنسب من كونه على المفعول وأصل الكسب الفعل لجر نفع
أو دفع ضر ولهذا لا يوصف … الله تعالى وقيل هو اجتلاب الحظ بما هيئ له من الأسباب
وكرر الويل حتى يحقق … فلكه يترتب على كل واحد من المكتوب على حدة وقالوا لن
تمسنا النار المس أقل تمكنا من … وهو أقل درجاتها ولذلك أوثر عليها في قوله تعالى وما مسنا
من لغوب وفي قوله لم يمسسني بشر … قوله تعالى إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة
يفرحوا بها كالنص فيه إلا أياما معدودة أي قلائل وهذا لأنهم يكنون بالعد عن القلة
بناء على أنهم كانوا لا يعدون ما بلغ الأوقية ويعدون ما دونها روي أنهم قالوا
سبعة أيام وعنهم أربعون يوما عدد عبادتهم العجل ولا وجه له لأنهم تابوا عنها
عنها توبة مقبولة قل أتخذتم عند الله عهدا الألف المجتلبة ذهبت بالأدراج و
هذه الألف المقطوعة ألف الاستفهام للتوبيخ يعني أن مثل هذا الجزم لا يكون
إلا ممن وعده الله تعالى به وإنما عبر عن الوعد بالعهد إيماء إلى أن الجزم
المذكور لا بد من وعد قوي وإنما قال عند الله دون من الله تعليما للسلوك
مسلك الكناية في أمثال هذا فإن التصريح باتخاذ العهد من الله لا يخلو عن سوء أدب
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر أي إن كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده فالفاء فصيحة والجملة معترضة وإنما قلنا أن المقدر إن كنتم
اتخذتم لأن المعنى ليس على الاستقبال ثم أن هذا من جملة المواعيد فلا وجه للا
ستدلال به على عدم الخلف في وعده وعلى تقدير صحته إنما يدل على عدم وقوع
الخلف في وعده لا على استحالته أم تقولون على الله ما لا تعلمون أم إما معادلة للهمزة بمعنى أي الأمرين
كائن على سبيل التقرير لوقوع العلم بكون أحدهما أو منقطعة بمعنى بل والهمزة للتقرير
به بلى إثبات لما بعد النفي في لن تمسنا أي بلى تمسهم أبدا وتختص بجواب النفي من كسب
سيئة السيئة تأنيث السيء وهو فيعل من السوء وهو العمل الفاسد ولذلك ذكر في مقابلة
العمل الصالح والمكسوب لا يلزم أن يكون نافعا في نفس الأمر بل يكفي أنه يكون ملائما
لطبع الكاسب متوقعا عنه نافعا في زعمه وأحاطت به خطيئته قال الفعال كل ذنب خطاء
وخطيئة لأنه ليس بصواب وفي الأساس أخطأ في المسألة وفي الرأي وخطئ خطأ
إذا تعمد الذنب ووضع قوله من كسب سيئة مكان تمسكم النار أبدا للإثبات على الطريق البرهاني

لأن آية السيئة العامة أي سيئة من السيئات ثم خصصها بالكبيرة بقوله أحاطت به خطيئته
أي استولت عليه ولم يتفصّ منها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته تعريضا بكثرة خطاياهم
من الشرك والنفاق والتحريف والافتراء على الله تعالى وشبهها بالعدو المحيط به من جميع
الجهات لذلك ولغلبتها على طاعته وأشار بقوله فأولئك إلى أنه سبب استحقاق الخلود
في النار هو ذلك الكسب المعلوم أصحاب النار ملازموها في الآخرة لأنهم ملازموا أسبابها
في الدنيا وذلك لأن الصاحب مشتق من الصحبة وهي وإن كانت تعم القليل والكثير
لكن العرف خصصها لما طالت هم فيها خالدون أوقع للتأكيد كأنه قال أي كبيرة من
الكبائر استولت ورسخت بالغلبة على الطاعة استحق صاحبها الخلود في النار وقد
تقرر أن الشرك كبيرة لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به وكذا التحريف والافتراء
على الله تع لقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون
فثبت بالبرهان أنه تمسكم النار أبدا ومعنى الخلود في الأصل الثبات المديد دام أو
لم يدم لكن المراد به ههنا الدوام لما شهد له من الآيات والسنن ولك أن تقول الإحاطة
في الأصل الإحداق بالشيء من كل جانب وجوانب المكلف من حيث أنه مكلف ثلثة اللسان
كلف من جهته بالإقرار والأركان كلف من جهتها بالطاعات والجنان كلف من جهته
بالتصديق وهم لما افتروا بألسنتهم وحرفوا كتاب الله تع بأيديهم وأصروا على النفاق
معتقدين بالباطن خلاف ما أظهروه فقد تحقق إحاطة الخطيئات بهم وثبت استيلاؤها
عليهم فالآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة في النار والذين آمنوا وعملوا
الصالحات جرت عادته تعالى على أن يشفع وعده بوعيده تبشيرا للمطيع وإنذارا للعاصي
والإيمان على معناه اللغوي فلا دلالة في عطف العمل عليه على الخلافية المشهورة المذكورة
في كتب الكلام نعم يفهم منه اشتراط العمل الصالح في دخول الجنة فلمن شرط في الإيمان
المقبول الإقرار باللسان أن يحمل العمل الصالح عليه وللمخالف أن يقول إن لفظة هم للتأكيد
لا للحصر بدلالة النصوص القاطعة على عدم اشتراط العمل في النجاة عن النار وعلى أنه
لا دار ثالث للقرار أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ذكر الفاء فيما تقدم وترك ههنا للدلالة
على أن الملازمة والخلود ثمة بالاستحقاق من قبلهم بسبب إحاطة الخطيئات وههنا
بمحض فضل الله تعالى عليهما دل عليه قوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله وإذ
أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إخبار في معنى النهي كما في لا تضار والدة بولدها وفي لا تنكح
المرأة على عمتها وهو باب من أبواب البلاغة في الأمر والنهي يظهر البليغ به شدة

اعتنايه بالامتثال والانتهاء وتحريض المخاطب على المسارعة والمبادرة اليهما فانه شرع
الى الامتثال والانتهاء فخبر عنه الامر والنهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا ويدل عليه وقولوا
فيكون على ارادة [illegible] فاما ابهام المنهي مسارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه فلا يناسب
هذا المقام ولانه حمل المنهي هنا على خلاف ذلك وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما سقط
ان رفع الفعل لزوال الناصب كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها
الجاهلون وقال طرفة الا ايها الزاجري احضر الوغى يروى احضر بالرفع اي ان
احضر الوغى ولذلك عطف عليه وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويدل
عليه قراءة ان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون ان مفسرة بمعنى اي وان يكون ان مع الفعل
بدلا عن الميثاق اي اخذنا توحيدهم او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا يعبدون وقيل انه رفع في موضع الحال
في صيغة الفعل وموضعه نصب في الاسم تقول دخل عليه يتبسم اي متبسما والتقدير
هنا اخذنا ميثاقهم غير عابدين وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء
لانهم غيب **الا الله** استثناء مفرغ وفيه التفات من التكلم الى الغيبة لما في الاسم الظاهر
من الفخامة **وبالوالدين احسانا** مصدر في معنى الامر اي واحسنوا بالوالدين وتقديم المعمول
للاهتمام واحسن كما يتعدى بالى يتعدى بالباء قال الله تعالى وقد احسن بي **وذي
القربى** عطف على الوالدين اراد به الجنس ولذلك افرده واضافته الى المصدر تغني
عن صيغة الجمع **واليتامى** جمع يتيم كنديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه فانفرد عنه واليتم
الانفراد ومنه درة اليتيمة وحق هذا الاسم ان لا يزول عن الكبار لبقاء معنى الانفراد
عن الاباء الا انه غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال وعلى نحو هذا ورد
قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم وان كان المراد تعليم شريعة **والمساكين** جمع مسكين
وهو مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه عن التصرف **وقولوا للناس حسنا** قولا
حسنا وسماه حسنا للمبالغة لما امر عبادة الله تعالى بالاحسان لمن ذكر وهو
فعل اتبع ذلك بالقول ليكون الاحسان بالفعل والقول ولما كان الاحسان القولي
امرا هينا على ما افصح عنه من قال البر شيء هين وجه طليق ولسان لين كان متعلقه
الناس عموما وقرئ حسنا بفتحتين على انه صفة مصدر محذوف وحسنا بضمتين وهو
لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة** يريد بهما ما فرض عليهم في شريعتهم ومن هنا ظهر انهما منقولتان الى القدر المشترك

بين معنويهما وقد نقلتهم [illegible] كالحج والصوم وزكوتنا وزكوتهم **ثم توليتم** على طريقة الالتفات
للتعنيف في التوبيخ [illegible] لا خصوصا [illegible] ويجوز ان يكون [illegible] الموجودين
منهم في عهد الرسول عليه السلام ومن قبلهم على التغليب اشعارا بان [illegible] حصل منهم
في عهده عليه السلام ليس ببدع منهم لانه دابهم وداب اسلافهم **الا قليلا منكم**
اي اشخاصا قليلين وهم الذين اقاموا اليهودية على وجهها قبل النسخ واما الذين اسلموا
من الذين ما اقاموها فقد وجد منهم التولي والاعراض فلا وجه لاستثنائهم **وانتم
معرضون** التولي قد يكون لحاجة تدعو الى الانصراف مع ثبوت العقد والاعراض هو
الانصراف عن الشيء بالقلب فالجملة حال وليست من قبيل وتيتم مدبرين وفي اسمية
هذه الجملة الدالة على انهم قوم عادتهم الاعراض عن الطاعة والوفاء ترشيح لما تقدم من
نكتة التغليب **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم** على نحو ما سبق
في لا تعبدون والمعنى لا تفعلوا ما يؤدي الى هذين المحذورين او لا يفعل ذلك بعضكم
ببعض احل غير الرجل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ثم نسب الى نفسه ما كان
منسوبا الى الغير على التجوز لادنى ملابسة والديار مبالغة في الاقامة وقال الخليل
محلة القوم دارهم **ثم اقررتم** اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم والتزمتموه
ويحتمل هذا ان يكون من الاقرار الذي هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم هذا الميثاق
ملتزما فيقوله **وانتم تشهدون** تاسيس على هذا وتاكيد على الاول لقطع احتمال ان يكون اقر
بمعنى تكلم بما يلزم منه الاقرار **ثم انتم هؤلاء** استبعاد قوي لما نسب اليهم بعد
اداء الميثاق على الانتهاء منهم واقرارهم وشهادتهم في هؤلاء توبيخ وتعيير بليغ
وتحقير اي انتم المشاهدون المشار اليهم بنقض العهد الذين لا يمكن ذمهم بما يزيد
على ما يشاهد منهم ويشار به اليهم كقولهم في التحقير يا هذا وانتم المشاهدون اي قوم
اخرون غير اولئك المقربين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كقولك خرجت
بغير الوجه الذي دخلت به وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما
يحكى عنهم غيبا ثم فصل الابهام في اسم الاشارة للتسجيل عليهم وتشهيرهم بنقض العهد
ومخالفة الاقرار والشهادة والافراط في ذلك بالظاهر بالاثم والعدوان فقال **تقتلون انفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم** ويجوز ان يكون خبرا لانتم وهؤلاء منادى او منصوب على
الاختصاص للذم اعني هؤلاء الحاضرين او تاكيد والخبر هو الجملة او بمعنى الذين والجملة
صلة والمجموع هو الخبر ويجوز ان يكون حالا والعامل فيها معنى الاشارة **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان**

ضد الجحد وتعدى بالباء وان يكون من الاقرار الذي هو

حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون واصله التظهر وبه قرئ الا سائر
والاعتماد **وان يأتوكم اسارى تفادوهم** روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فاذا اقتتلوا عاون كل فريق حلفاءه بالقتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر
احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى
جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير كما قالوا شيخ قديم وشيوخ قدامى وهو
قليل وقال الواحدي نقله عن سيبويه قالوا كسلى شبهوه باسرى كما قالوا اسارى
شبهوه بكسالى والاسير هو المأخوذ قهرا واصل الاسر الشد ومن اخذ قهرا شد غالبا
فسمي المأخوذ قهرا اسيرا وان لم يشد وقال ابو عمرو الاسارى الذين هم في الوثاق و
الاسرى الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق وقرئ تفدوهم اي تطلقونهم بعد ان
تأخذوا منهم شيئا قال ابو علي وفاديت نفسي اي اطلقتها بعد ان دفعت شيئا وقد يجيء
فاديت بمعنى فديت اي دفعت فيه من مال نفسي ومنه قول العباس رضي الله عنه للنبي عليه السلام
فاديت نفسي وفاديت عقيلا ومما فعلان يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف جر
تقول فديت زيدا بمال وفاديته بمال قال ابو علي كل واحد من الفريقين فعل الاسر
دفع الاسير والمأسور منه دفع ايضا اما اسيرا واما غيره والمفعول الثاني محذوف **وهو
محرم عليكم اخراجهم** متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير
للشأن ومحرم خبره واخراجهم مرفوع بمحرم ويجوز ان يكون اخراجهم مبتدأ ومحرم خبر
مقدم والجملة خبر هو او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى مصدر دل عليه تخرجون و
يكون محرم الخبر واخراجهم بدل من الضمير في محرم او من هو او تأكيدا او بيانا كيلا
يذهب الوهم الى ان يرجع ذلك الى فداء الاسير وانما اكد الاخراج بالنص على تحريمه
وان كان ما سبق ايضا محرما لما فيه من الجلاء والنفي الذي لا ينقطع شره بخلاف القتل فان شره
ينقطع في الحال والمحرم الممنوع منه **افتؤمنون ببعض الكتاب** يعني الفدية **وتكفرون ببعض** يعني
حرمة المقاتلة والاجلاء والاستفهام بمعنى الانكار والتوبيخ والتهديد وذلك على التفريق
بين احكام الله تعالى فكان مرجع الانكار الى القيد المستفاد من لفظ البعض **فما جزاء من
يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا** فاذا فعلتم ذلك تسبب ان لا يكون جزاؤكم في الدنيا
الا خزي وفي قوله منكم دلالة على ان التفريق المذكور فعل بعضهم والتوبيخ للكل لعدم منع
الباقين عنه والخزي الذي من الفضيحة وقد خزي خزيا فهو خزي والخزاية الاستحياء
وقد خزي خزاية فهو خزيان قال المرزوقي واخزي يجوز ان يكون من الخزي الهوان

ويجوز ان يكون من الخزاية الاستحياء والمراد قتل قريظة فان قتل مقاتليهم وسبي ذراريهم
واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم والدنيا ما خوذة من دنا يدنو واصل الياء فيه واو
لكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات وانما تقدم ذكر الجزاء هنا للاشارة الى بقائهم احياء
على تلك الحالة مدة مديدة واخر الجزاء في الاخرة لانه عند انتهائها **ويوم القيمة يردون**
معنى الرد الارجاع ففيه اشارة الى انهم كانوا قبل ذلك مرة اخرى في اشد العذاب وهو
في القبر ثم انه بيان ما كان في الحيوة الدنيا من الخزي غير مكفر لذنوبهم **الى اشد العذاب** لانه
عذاب لا روح فيه لاتصال اجزائه وذلك لان عصيانهم اشد **وما الله بغافل عما تعملون**
تأكيد للوعيد وقرئ يردون بالياء اعتبارا بقوله من يفعل وبالتاء اعتبارا بقوله منكم
وقرئ يعملون ايضا بالياء والتاء على الاعتبارين **اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة** اي بحظوظها لا بحيوتها اذ من تفوت عنهم والاشتراء استعارة لايثار العاجل
الفاني على الاجل الباقي **فلا يخفف عنهم العذاب** اي يبقى على شدته معطوف على الصلة
من قبيل عطف الجملة فلا يشترط اتحاد الزمان **ولا هم ينصرون** بدفعه عنهم **ولقد اتينا موسى الكتاب**
التورية **وقفينا من بعده بالرسل** اي جئنا من بعده بالرسل مقتفين اثره متبعين شريعته
يقال قفا اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه ولولا اعتبار
معنى جئنا على التضمين لقال قول من بعده **واتينا عيسى بن مريم البينات** لما لم يكن عيسى عليه السلام
من جملة المقتفين اثر موسى عليه السلام المتبعين شريعته افرده بالذكر واضافه الى
امه تخصيصا لعدم نسبته الى الاب وفيه رد لقول اليهود حيث نسبوه الى الاب
وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بالسريانية الخادم وقد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد
وبالعربية كالزير من الرجال وقال ابو البقاء مريم علم عجمي ولو كان مشتقا من رام
يريم مريما بفتح الميم وسكون الياء وقد جاء في الاعلام بفتح الياء نحو مزيد وهو خلاف
القياس الايات الظاهرات من قولك بان اي ظهر وما ثبت به الدعوى من حيث افادته
البيان سمي بينة ومن حيث الغلبة على الخصم حجة والمراد المعجزات الواضحات كاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل **وايدناه** قويناه **بروح القدس**
جبرئيل عليه السلام وذلك انه تولد بنفخه وانه عصمه من اول حاله الى كبره فلم يدن منه
الشيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله والقدس الطهارة
ولو كان الاصل الروح المقدسة لكن اضيف الروح الى القدس تنبيها على زيادة اختصاص
الروح به لان من شان الصفة ان يكون منسوبة الى الموصوف فاذا عكس باضافته اليها

يريد معنى الاختصاص افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا
احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط وانما اسند الهوى الى الانفس لا الى ضمير الخطاب
اشعارا بان حق الهيئات ان تسند اليها وقوله كلما جاءكم سبب عن قوله ولقد آتينا
موسى الكتاب ولهذا دخلت الفاء عليه على تقدير نحن انعمنا عليكم ببعثة موسى عليه السلام
وايتاء الكتاب ثم اتبعناه الرسل وبايتاء عيسى عليه السلام لتشكروا الملك المنعم بالتلقي
بالقبول فعكستم بان كذبتم فريقا وقصدتم قتل آخرين ثم ادخل بين السبب والمسبب
همزة التوبيخ والتعجب لتعكيسهم فيما يجب عليهم ويجوز ان يكون استئنافا والفاء للعطف
على مقدر فعلى هذا ما عقبوا الاتيان محذوف وهو قوله فعلتم ما فعلتم وهو كناية عن
التكذيب والقتل وغير ذلك من قبائحهم وعنادهم ثم استانف الكلام موبخا لهم مصدرا
الجملة بهمزة الانكار على تقدير اكفرتم وخالفتم فكلما جاءكم رسول وبخ هذا التوبيخ بنفي التفريع
والتوبيخ اجمالا وتفصيلا استكبرتم اي عن قبول ما اتى به مما لا تحبه انفسكم على تضمين
الاستكبار معنى الاباء لا عن الايمان به لانهم كانوا مصدقين ببعض من جاء بعد موسى
من الرسل كيوشع وداود وسليمان عليهم السلام ففريقا اي فريقا منهم كذبتم يريد به التكذيب
من غير قتل بقرينة تفريق هذا عن فريق والا فتطلق التكذيب بنظمها والفاء للسببية
او التعقيب وفريقا اي فريقا آخر تقتلون حال ماضية اريد استحضارها وتصويرها لشناعة
فظاعتها وتكررها فاخرجها مخرج الحال المشاهدة او قصد الدلالة على انهم بعد فيه
لانهم كانوا حول قتل محمد عليه السلام لولا العصمة من الله تعالى ولهذا سحروه و
سموا الشاة له ثم ان فيه محافظة على الفاصلة وانما لم يذكر تكذيبهم هذا الفريق
استغناء بذكر انه القتل عن الآخر وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي
لم يختن مستعار للقلوب المغشاة بالاغطية خلقة وجبلة اي مجبولة على صفة لا
يتوصل اليها ما جاء به محمد وقد افصح عن هذا في موضع آخر بقوله قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه والقرآن يفسر بعضها بعضا وفي القراءة الشاذة غلف بضم اللام جمع
غلاف وهو الغشاء والوعاء كالشهاب والشهب معناه قلوبنا اوعية العلم نفهم و
نعي ما يقال ويخاطب به لكن لا نفهم ما تقول ولا نعقل ما تحدث فلو كان حقا وصدقا
لفهمت وفقهت ما تدعون به ابطال ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره ويأبى عن
حمل القراءة المتواترة على هذا التصريح بالمعنى الاول في مواضع آخر بل لعنهم الله بكفرهم
رد لما قالوا اي ليست قلوبهم كذلك خلقة لانها خلقت على الفطرة بل طردهم الله و

ابعدهم

ابعدهم عن قبول ذلك بسبب كفرهم واحتجابهم بالعقائد الفاسدة فهم الذين غلفوا قلوبهم بما
اسقطها عن الفطرة اثبت اللعن من نفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل السنة والجماعة
والمعنى على القراءة الشاذة بل انهم مبعدون عن حيز العلم بشؤم كفرهم لستم بعلماء
ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وعلمتم به فقليلا ما يؤمنون اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو
ايمانهم ببعض الكتاب وما مزيدة للتاكيد لا نافية لان ما في حيزها لا يتقدمها وجوزان
يكون مصدرية على ان قليلا منصوب بنزع الخافض ويجوز ان تكون المبالغة في
القلة كناية عن العدم بناء على ان القليل اذا بولغ فيه يستتبع العدم وجوز
ان يكون انتصاب قليلا على الظرفية ولما جاءهم كتاب اي القرآن من عند الله
زيادة عند لتعيين معنى النزول فان كل شيء من الله تع مصدق لما معهم من كتابهم وفي
مصحف ابي رضي الله عنه مصدقا بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وحذف
جواب لما للدلالة جواب لما الثانية عليه وقيل لما الثانية تكرار للاولى والفاء للاشعار
بانه بحيثه كان عقيب استفتاحهم به ولا بعد فيه لان ما عرفوا حاصل الكتاب
وكانوا من قبل اي من قبل مجيء الكتاب يستفتحون اي يستنصرون على الذين كفروا وهم
المشركون الذين يقاتلونهم ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة
او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة كانهم
يطلبون الفتح من انفسهم كما في استعصم ونحوه وذلك لان الفعل مع الداعي
والطلب يكون اقوى مجردة لها اولانه لما كان الفعل حاصلا يكون الطلب للزيادة
فلما جاءهم ما عرفوا من الكتاب والنبي كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة
الله على الكافرين اي عليهم على ان التعريف للعهد كما هو الاصل فلا يعدل عنه الى
الجنس الا عند التعذر على ان الفاء يابى عن الحمل على الجنس والاظهار في
موضع الاضمار للدلالة على ان استحقاقهم اللعنة لثباتهم على الكفر وكلمة على
اوقع من اللام لما فيها من الدلالة على انه تعالى جعل اللعنة متعلية عليهم جللهم
بها بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن اي
بئس شيئا اشتروا به انفسهم اي باعوها او شروا بحسب زعمهم فانهم زعموا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا والمراد كفرهم في الماضي لانه عبر عنه
بصيغة المضارع استحضارا لذلك الامر القبيح ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص
بالذم بغيا اي حسدا قال اللحياني بغيت على اخيك بغيا اي حسدته فالبغي

اصله الحسد والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسد وانما بغي بمعنى طلب فصدره بغا بضم
الباء وبغت بمعنى تجرت مصدره بغا بالكسر وهو علة اشتروا الا ان يكفروا اذ المعنى
علي ذم الكفر الذي اوثر علي الايمان بغيا لا علي ذم الكفر المعلل بالبغي واما الفصل
فليس بما هو اجنبي لان الموصوف والصفة في حكم الاتحاد وكذا التمييز والمميز
فلا يكون اجنبيا بالنسبة الي فاعل فعل الذم لا يكون اجنبيا بالنسبة الي
الفعل الذي وصف به تمييز ذلك الفاعل ثم انه لا مرية في ان ايثار الكفر علي
انفسهم بغيا وعنادا وبغيا يحتمل ان يكون لوجه يخف به استحقاق الذم فالفرق
واضح ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه علي ان ينزل الله من فضله اي بعض
فضله الذي هو الوحي او الشئ الذي هو فضلهم علي من يشاء من عباده علي من اختاره
للرسالة فباءوا بغضب علي غضب اي صاروا احقاء بغضب مترادف متراكم بعضه
علي بعض لكفرهم بنبي الحق وبغيهم عليه او كفرهم بمحمد عليه السلام بعد كفرهم بعيسي
وغير ذلك من انواع كفرهم والاستحقاق معتبر في مفهوم باء علي ما تقدم بيانه
ودلالة الفاء علي سببية الاشتراء المذكور لذلك الاستحقاق لا علي الاستحقاق
وقوله بغضب حال وعلي غضب صفة له وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم وتقديم
الجار والمجرور للتخصيص فان عذاب العاصي من المؤمنين طهرة لذنوبه واذا قيل لهم
آمنوا بما انزل الله اي بجميع الكتب الالهية قالوا نؤمن بما انزل علينا خصصوا ايمانهم
بالتوراة ويكفرون حال عن الضمير في قالوا علي حذف المبتدا وتقديره وهم يكفرون وتجوز
الواو في المضارع المثبت بما وراءه قال الازهري ان وراء يصلح لما قبله ولما بعده
لا لانه وضع لكل منهما علي حدة بل لان معناه ما توارى عنك اي استتر وهو موجود
فيهما وهو في الاصل مصدر جعل ظرفا يضاف الي الفاعل والمفعول فيل فيراد علي الاول
الخلف وعلي الثاني القدام وفيه نظر وهو الحق الضمير لما وراءه الشامل للانجيل والقرآن
وانما وحد لتوحد اللفظ مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن الرد لايمانهم بالتوراة لانهم
لما كفروا بما يصدقها حيث نزل علي حسب ما نعت فيها فقد كفروا بها والجملة حال مما وراءه
وتعريف الخبر لزيادة التوبيخ والتخجيل بمعنى انه خاصة هو الحق الذي يقارن تصديق
كتابهم ولولا الحال اعني مصدقا لم يستقم الحصر لانه في مقابلة كتابهم وهو ايضا حق
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين الفاء جواب شرط مقدر دل عليه المعنى اي قل
لهم ان كنتم آمنتم بما انزل عليكم فلم تقتلون انبياء الله فان ذلك المنزل ينهي عنه وانما قال

49

تقتلون حكاية للحال الماضية كانه قيل فلم كنتم تقتلون وانما اسند اليهم لانه فعل آبائهم
وهم راضون به عازمون عليه ويجوز ان يكون المعنى علي فلم ترضون بقتل الانبياء
وتعزمون عليه وفيه تنقيح وجه الاعتراض ولم اصله لما وسقطت الالف وهذا
السقوط خص بالاستفهامية لانها تامة فالتها طرف والاطراف محل للحذف والتغيير
من التغيير بخلاف الموصولة فانها ناقصة تحتاج الي ما توصل به كاسم واحد فالفها في
حكم المتوسطة ولقد جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة ويدخل فيها فلق البحر
وهو خارج عن الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
لان المراد منها ما جاء به موسى عليه السلام الي فرعون علي ما تنبه عليه في موضعه باذن الله
فلا حاجة لحمل البينات المذكورة علي الآيات التسع ثم اتخذتم العجل اي الها ولفظة
ثم ابلغ من الواو في التقريع لانها تدل علي انهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات
وذلك اعظم ذنبا من بعده اي من بعد مجئ موسى عليه السلام لكم بالبينات لا من بعد
مجيئه او ذهابه الي الطور لعدم انفهامه من سياق الكلام وانتم ظالمون حال اي
واضعون العبادة غير مواضعها او ظالمون بالاخلال بآيات الله تعالي ويجوز ان يكون
اتخذتم بمعني صنعه وعمله فمغايرة الحال الظاهرة لان الاتخاذ
بهذا المعني لا يكون ظلما الا حال كونه مقرونا بالعبادة وعلي الاول فايدته زيادة
للتوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم الظلم ومساق هذا ايضا لابطال
قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه علي ان طريقتهم مع الرسول عليه السلام اسلافهم
مع موسى عليه السلام لا لتاكيد القصة بالتكرير وكذا ما بعده واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ويجوز ان يكون تكرير هذا الميثاق به من زيادة ليست
مع الاولي واسمعوا اي اطيعوا فان الامر بالسماع في العرف يفيد الاجابة والقبول ومنه
سمع الله لمن حمده اي قبل واجاب قال دعوت الله حتي خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول
اي يقبل وهم حملوه علي المفهوم اللغوي تجاهلا وتعاميا عنادا منهم وقالوا سمعنا اي القول
وعصينا اي الامر قال الامام القرطبي اختلف هل صدر منهم هذا القول او فعلوا فعلا قام
مقامه فيكون مجازا او قال الامام ابو منصور قولهم وعصينا لم يكن علي اثر قولهم سمعنا لكن
بعد ذلك باوقات واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به وهذا كما يقال اشرب الثوب الصبغ اجزاءه تداخل الماء اعضاء الشارب
كانه جعل شاربا اياه وفي العدول عن الظاهر وهو اشربت قلوبهم حب العجل الي ما عليه المنزل

على التهكم

لما لا يخفى من النجاسة والابهام والتنفير منه وجها والمبالغة في الاسعاد الى الكل والدلالة
المستفاد من الظرفية وان العجل نفسه هو المشرب مبالغة في اشراب الحب الى غير ذلك
بكفرهم بسبب كفرهم لما انهم كانوا مجسمة وحلولية قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية
اذ ليس فيها عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذلك اضافة الايمان اما الثاني
فظاهر كما في قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون تحقيرا واستهزاء والاولى الدلالة على ان
مثل هذا لا يليق ان يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه استعارة تهكمية واما
الاول فلان الايمان انما يأمر ويدعو الى عبادة من هو غاية البلادة غاية التهكم والاستهزاء
سواء جعل يأمر به بمعنى يدعو اليه اولا وسواء قصد الاسناد الى السبب الباعث مجازا كما
قد يتوهم اولا كما هو الحق والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من
قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين ليس للشك من المتكلم
لاستحالته لان المأمور بهذا القول مما يصح منه الشك بل لعدم مطابقته للواقع ولا
للتشكيك اذ لم يعهد استعمال ان لتشكيك السامعين بل للتقرير والقدح في دعواهم الايمان
بالتورية وذلك ان القائل فوّه بالشرط وهو جازم بعدم وقوعه اقامة للحجة بينا من
بين كما في قولك ان كنت قلته فقد علمته وتقريره ان كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به
ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به
فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله المراد من الدار
الآخرة الجنة وانما قال عند الله تشريفا لها وتنبيها على انها في عالم الغيب خالصة صافية
عن شوب خطر التخلف لعدم احتمال الزوال لما هو سبب الاستحقاق وهو كونهم ابناء
الله واحباؤه في زعمهم اصل الخلوص الصفوة والاخلاص تصفية السر والقول والعمل
الا انه ضمن معنى الاختصاص على انها مستقر عليه وهو نصب على الحال من الدار عند
من جوز مجيء الحال من اسم كان واما عند من لم يجوزه فهو حال عن الضمير المستتر في الخبر العائد
الى الدار ومرجع الخلاف الى اسم كان هل هو فاعل اولا من دون الناس متعلق بخالصة باعتبار
تضمنه معنى الاختصاص ودون لفظ يستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول هذا لي دونك
او من دونك اي لا حق لك فيه ولا نصيب وفي غير هذا الاستعمال يأتي بمعنى الانتقاص
في المنزلة او المكان او المقدار فان قلت اللبس فقد استفيد معنى الاختصاص من تقديم
الظرف قلت نعم الا انه يحتمل ان يراد به الاختصاص بجنس المخاطبين فلا قطع فيه بالمعنى المقصود
فان قلت لا وجه لدعوى الاختصاص مطلقا لانهم لا ينكرون ان من مات قبل حدوث اليهودية

على شريعة ابرهيم عليه السلام الجنة قلت ذلك اذا كان معنى الخلوص الاختصاص واما اذا كان معناه
الصفاء عن شوب خطر التخلف فلا بعد في ان يدعوا اختصاص دخول الجنة معتدا بتلك
الحال لانفسهم مطلقا وايضا تفرع الامر بالتمني الآتي ذكره انما يصح على اعتبار الخلوص
بالمعنى المذكور والظاهر ان المراد من الناس سائر الامم لا سائرهم مطلقا حتى ينتظم
الانبياء عليهم السلام والذين لا ينكرون الانبياء المتقدمين كنوح وابرهيم واسحق
ويعقوب عليهم السلام ولا دلالة في قولهم ان يدخل الجنة الا من كان هودا على ذلك
لان المفهوم منه اختصاص الجنة بهم لا اختصاصهم بالجنة وما يصح منشأ للتمني المذكور
انما هو الثاني دون الاول على ما نبهت عليه آنفا فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب ولا يذهب عليك ان
هذا الايقان على تقدير ان يكون معنى الخلوص ما ذكرناه لا ما ذكره القوم ولن يتمنوه ابدا بما
قدمت ايديهم بما اسلفوا من الكبائر الموجبة لدخول النار وانما اسند التقديم الى اليد لانها
اعظم الاعضاء في التصرف وعن النبي عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات
مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والمراد بالتمني قول القائل ليتني مت لا معناه في
القلب دل عليه قوله عليه السلام غص بريقه وان التحدي لا يمكن بالاعمال القلبية لخفائها
ولو كان المراد المعنى القلبي لكان لهم ان يقولوا تمنينا كاذبين ولو ادعوا مع ذلك لنقل
الينا لتوفر دواعيهم على النقل مع كثرتهم ولو نقل لاشتهر وكذا قول احدهم ليتني مت لم
ينقل مع كثرة اليهود وغيرهم من الطاعنين في الاسلام وكما نقل سائر المطاعن فهذه
الجملة اخبار بالغيب صادقا كقوله ولن تفعلوا والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين وهما هم واحرص وتنكير
حيوة للدلالة على نوع من الحيوة متطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة على الحيوة
ومن الذين اشركوا اما ان يكون معطوفا على الناس محمولا على المعنى لان المعنى احرص من الناس
وان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص عليه وعلى الوجه
الاول الاولى انما خص المشركون بالذكر لاختصاصهم من بين الناس بزيادة الحرص
على الحيوة الدنيا لعدم اقرارهم بالبعث فكأنهم نوع آخر غير الناس فمعنى افرادهم بالذكر زيادة
توبيخ وتقريع لاهل الكتاب لانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين
دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ على حذف
الموصوف اي ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم على ان المراد بالذين اشركوا المجوس

لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف سنة يريد اى عش الف سنة فالجملة على هذا صفة محذوف وعلى
استيناف لبيان زيادة حرصهم لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم على طريقة الالتفات لان
لو للتمني وكان القياس لو اعمر ليطابق الحكاية المحكي الا انه جري على لفظ يود بالغيبة لقولهم
حلف بالله ليفعلن ومفعول يود محذوف كالمنسي اجراء للفعل مجرى اللازم اى يتمنى من
احدهم الودادة المطلقة فيكون لو يعمر توضيحا بعد الابهام للايقاع في النفس ويجوز ان يكون
لو حرف مصدرية بمنزلة ان للتاكيد معنى الودادة فيكون مفعولا ليود والضمير في وما هو بمزحزحه
من العذاب لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل
الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه
والزحزحة التبعيد والانجاء والله بصير بما يعملون قرئ بالياء جريا على الغيبة وبالتاء على سبيل
الالتفات وكنى بالبصير عن العليم مبالغة في ادراك الخفيات وفيه تهديد ووعيد قل من
كان عدوا لجبريل نزلت في عبد الله ابن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله عليه السلام
وسأله عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على
نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبما تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه
مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه
صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى
قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد
سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن
اربع في المشهورات جبريل كسلسبيل وجبريل بحذف الياء وجبرئل وجبريل بفتح الفاء
وكسرها وحذف الهمزة واربع في الشواذ وجبرائيل وجبرائل بالمد فيهما وحذف الياء في
الثانية وجبرال بحذف الياء وتشديد اللام وجبرين قال ابن جني العرب اذا نطقت
بالاعجمي خلطت فيه ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله ومن للشرط وقوله
فانه نزله تعليل للجزاء قام مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام اي فلا وجه لعداوته
فانه نزل اي القرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته
يدل على نفسه ويستغني بذكر شيء من صفاته عن التصريح باسمه على قلبك لانه القابل
الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وحرف الاستعلاء للدلالة على ان المنزل باخذ بمجامع قلبه

اي ارجاع الضمير لما لم يذكر فيما قبل
يدل على فخامة المرجع

وكان الظاهر ان يقول على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به
بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه حال عن ضمير القرآن وكذا وهدى وبشرى للمؤمنين
اي نحقه ان يحبوه ويشكروا الصنيعه لانزاله ما يصدق كتابهم او جميع الكتب المنزلة قبله
ويهديهم ويبشرهم اي ان كانوا مؤمنين به ويجوز ان يكون المعنى من عادي جبريل
فالسبب في عداوته انه نزل القرآن على قلبك مصدقا لما بين يديه موافقا اياه وهم يكرهون
القرآن خوفا من فوات رياستهم ولهذا يحرفون كتابهم وينكرون موافقته اياه كنو
ان عاداك فلان فقد اذيته او خوف افتضاحهم لانه تكشف عن اسرارهم من تحريف
التورية وكتمان نعت الرسول عليه السلام وعداوة المؤمنين من كان عدوا لله اراد
بعداوة الله تعالى مخالفة امره عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام
بذكره على طريقة التمهيد تفخيما لشانهم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وملائكته
ورسله من بني آدم والملائكة ولو لم يكن المراد من الرسل ما يعم الرسول من جنس الملائكة
لما حسن الفصل بها بينهم وبين اخص منهم بالذكر وجبريل وميكال خصهما بالذكر مع اندراجهما
تحت عموم الملائكة والرسل لفضلهما وكرامتهما كان كل واحد منهما جنس برأسه تنزيلا
لتغاير الوصف منزلة تغاير الموصوف وتنبيها على ان معاداة الواحد والكل سواء
في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وفي ميكائيل خمس لغات ميكائيل وميكائل بحذف
الياء وميكئيل وميكئل بحذف المد والياء عن الثانية وميكال بحذف الهمزة والياء
وانما ذكر ميكائيل مع انهم كانوا يقولون لو كان ميكائيل صاحب محمد لاتبعناه لانه
يأتي بالخصب والسلام تنبيها على ان من ابغض جبريل فقد ابغض ميكائيل لانهما قريبان
بغض احدهما يستلزم بغض الآخر فان الله عدو للكافرين مجرد المعاداة ظاهر معلوم فلا
بد من الحمل على الكناية ترتيبا للعاقبة اى من عاداهم عاقبه الله تعالى اشد العقاب
ولما كان فيه تنزيل المقدر منزلة المحقق استحق التاكيد بالجملة الاسمية وان والشدة
المذكورة معتبرة في المكنى عنه ولا تاثير فيها للتاكيد الخبر وكان الظاهر ان يقول فانه
عدو لهم والعدول عن الظاهر اولا للتهويل ولان فيه احتمال ان يذهب الوهم الى
رجوع الضمير الى مجموع ما تقدم وثانيا للدلالة على ان عداوة المذكورين كفر وان
الكفر سبب لعداوة الله تعالى اياه ولقد انزلنا اليك آيات بينات اي واضحة الدلالة لا التباس
فيها فعدم الايمان بها ليس لشبهة وما يكفر بها عطف على مقدر اى فلا يشتبه على احد
ولا يكفر بها الا الفاسقون المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع

من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من الكفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للجنس والمراد اهل الكتاب
الخارجون عن دينهم لان الآية نزلت فيهم وطرفيها الكلام في شانهم والوصف بالتمرد اليق بحالهم ففيه
دلالة على ان ذلك الخروج بسبب لكفرهم فيكون فيه مبالغة ومن ان كفر غيرهم كالعدم ومن لم يتنبه لهذا
زعم ان الاحسن ان يكون للعهد اوكلما عاهدوا عهدا الواو للعطف على محذوف اذ لا مجال للعطف على
الكلام السابق معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا والهمزة انكار للجمع بين الكفر و
نقض العهد وقرئ بسكون الواو على ان الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل الا الذين
فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة لا على ان الواو العاطفة اسكنت اسكان الهاء في
وهو لانه لم يثبت مثل ذلك في الواو العاطفة واو في مثل هذه المواضع يفيد تساوي الامرين
في الوقوع مع ان الثاني ابعد واليق بان لا يقع فيحمل على انها بمعنى بل وقد اثبتها الثقات
وشهد بها الاستعمال ودلت عليها ههنا القرينة وهي قوله بل اكثرهم لا يؤمنون ترقيا الى
الاغلظ فالاغلظ نبذه فريق منهم الرمي بالذمام ورفضه ولم يقل فيما ينسى فلذلك احتيج الى زيادة
قوله وراء ظهورهم عند ارادة معنى النسيان وانما قال فريق منهم لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم
لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وهذا على تقدير ان يكون من لم ينبذه جهارا مؤمنا
خفاء ولما جاءهم رسول تنكير الرسول للتعظيم وفي قوله من عند الله اشارة الى استحقاق التعظيم من
جهة اخرى مصدق لما معهم من الكتاب وتصديقه كونه على الوصف الذي ذكر فيه فالمراد
من الرسول محمد عليه السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية حيث لم يعملوا
بموجب ما فيها وهو الايمان بالرسول المصدق لها وراء ظهورهم النبذ وراء الظهر مثل لترك الشيء
والاعراض عنه بالكلية تمثيل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقد يكون كناية عن نسيانه
فان نبذ الشيء وراء الظهر يستتبع نسيانه غالبا ويجوز ان يستفاد النسيان للاعراض لاسيما
بكون النبذ وراء الظهر كناية عنه على انه نسيان فيكون كناية متفرعة على الاستعارة التمثيلية
ولتسمية كناية بالاستعارة وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة المنوية واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمان عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها
الشياطين وهم المتمردون من الجن يقرؤونها على عهد ملك سليمان وليست على صلة
التلاوة بل من قولهم كان هذا على عهد فلان اي في وقته وزمانه وتتلو حكاية حال ماضية
تكذيب لمن زعم ان سليمان عليه السلام يسخر الانس والجن والريح بالسحر
وان ملكه تم بهذا العلم والكناية عن السحر بالكفر للدلالة على انه كفر والاشارة الى ما يوجب

تنزهه عليه السلام عنه كأنه قال وما سحر سليمان لان السحر كفر والنبي معصوم عن الكفر ولكن
الشياطين كفروا لا نفي الكفر عن سليمان وكان الشياطين قد سخرت لسليمان عليه السلام وبتعليم
فيما يشاء فقد يتوهم انهم لم يكفروا ايضا اذ هم في خدمة نبي فاستدرك انهم كفروا باستعمال
السحر وقرأ الحسن الشياطون وقال السجاوندي خطاء الجادري ولو سلم صحته فلا خفاء في
عدم فصاحته يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن ضميره والسحر مزاولة
النفوس الخبيثة لافعال واقوال يترتب عليها امور خارقة للعادة ولا يروى خلاف
في كون العمل به كفرا او عده نوعا من الكبائر مغايرا للاشراك لا ينافي ذلك لان الكفر اعم
والاشراك نوع منه وهو في اصل اللغة الصرف حكاه الازهري عن الفراء ويونس فاطلاقه
عليها يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية وما يريك صاحب خفة اليد باعتبار
ما فيه من صرف الشيء عن جهته حقيقة لغوية وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما
واحد والعطف لانه نوع اقوى منه كانه من جنس آخر وهما ملكان انزلا لتعليم السحر
ابتلاء من الله تعالى للناس وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة ملكين
بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ويكذبه
قوله تعالى وما يعلمان من احد فانه اذا لم يكن هناك شيء منزل فالتعليم والتعلم في اي شيء
يكون ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل قال ابن مسعود رضي الله عنه هي في
سواد الكوفة ومنع صرفها للعلمية والتانيث هاروت وماروت عطف بيان او بدل للملكين
ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم
لانصرفا وقرئ هاروت بالرفع على هاروت وماروت وابدالهما من الشياطين بدل
البعض عن الكل تصحيحا لما قيل ان ما انزل نفي يرده تعلق قوله وما كفر سليمان الا به
لما قبله تعلقا خاصا بحيث لا ينتظم بدونه فان المبدل منه في حكم الساقط بحيث لو اقيم
البدل مقامه لا ينتظم الكلام معه وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة تصريح بما قدمناه من ان
انزال السحر عليهما للابتلاء اي ما يعلمان احدا حتى ينصحاه وينبهاه على انه سحر والعمل
به كفر والفتنة ما يتبين بها حال الانسان من الخير والشر يقال فتنت الذهب بالنار
اذا جربته بها لتعلم انه خالص او مشوب ومنه الفتانة وهي الحجر الذي يجرب به الذهب و
الفضة فلا تكفر بالعمل به او باعتقاد جوازه انما نحن ابتلاء من الله واختار علي رضي الله عنه
كانا يعلمان تعليم انذار لا تعليم دعاء اليه كانهما يقولان لا تفعل كذا وكذا والصحيح من
مذهب اصحابنا ان تعلمه حرام مطلقا لانه توسل الى محظور عنه غني وتوقيه

بالنجب اصلح واحوط فيتعلمون منهما عطف على يعلمان المقدر اي يعلمان فيتعلمون الكل على ان الضمير
لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي ما يحدث الله عنده التفرق بينهما وما هم بضارين به
اي بما يفرقون من احد الا باذن الله استثناء مفرغ من الاحوال فهو حال من فاعل بضارين
ومن احد في محل النصب بالمفعولية في الموضعين وفي زيادة من تاكيد لما فيها وقرئ
بضاري على حذف النون من اسم الفاعل وان لم يكن فيه ال قال ابو حيان وله نظير
في نثر العرب ونظمها واما حذفها على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه فمردود
بان الجار موثر فيه وجزء الشيء لا يوثر في الشيء ويتعلمون ما يضرهم لما عرفت ان افعال
واقوال يزاولها النفوس الخبيثة لحصولها لا يخرج عن نوع تاثير في نفس المتعلم اما قبل
لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى العمل غالبا فانما يصلح وجها لضرر العلم
لا لضرر المعلوم ولا ينفعهم نفي لاحتمال ان يكون ضرره مشوبا بنفع في الجملة وهذا كالرد على من
توهم ان في تعلمه لينتوقاه ولئلا يغتر به نفعا ما واستشهد بقول ابن نواك عرفت الشر
لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الخير وقع فيه ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه
اي استبدله بكتاب الله والضمير لما تتلوا الشياطين واللام الاولى للتاكيد القسمي والثانية
لام الابتداء لتعليق فعل العلم ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على جملة
القسم والجواب او الجواب وعطف الانشاء على الاخبار كثير وقد تقدم الكلام فيه لو كانوا
يعلمون جواب لو محذوف اي لارتدعوا عن تعلم السحر وايثار كتبه او لكان خيرا لهم والمعنى
لو اعتادوا العمل بموجب العلم كنى عن عدم العمل بموجب العلم بعدم العلم تنبيها على قوة
الملازمة بين العلم والعمل بموجبه وان عدم العمل لعدم العلم فيما يوجبه من العلم ولو انهم
آمنوا برسول الله والقرآن او التورية لان ايمانهم بها كلا ايمان واتقوا اجتنبوا اثامهم على
ما نباع السحر واستبداله بكتاب الله تعالى لمثوبة لشيء ما من الثواب من عند الله فيه
تعظيم للثواب وتنبيه على بقائه بناء على ان ما عند الله عبارة عما في عالم الغيب اعني عالم
الاخرة ودفع لما عسى ان يتوهم ان التنكير التقليلي في مثوبة للتحقير خير جواب لو و
اصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة
اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من
ان ينسب اليه ويجوز ان يكون ولو انهم آمنوا تمنيا على سبيل المجاز كانه قيل وليتهم آمنوا و
اتقوا وترك الجواب في هذه كالتلازم لكونه في معنى ليت وتقدير لو آمنوا واتقوا لكان
حسنا وايراد الجملة الابتدائية بعده كالتعليل للتمني لو كانوا يعلمون اي ثواب الله خير مما هم

المشاركة
فيه جهلهم لتركهم العمل بعلمهم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا راعنا امر من المراعاة تقتضي
غالبا اي ليكن منك راعي لنا ومنا رعي لك والرعي حفظ الغير لمصلحته نهوا ان يطلقوا اللفظ المقتضي
المشاركة مع من يعظم وتضمن هذا النهي عن كل ما يكون فيه استواء مع النبي عم وروي ان
المسلمين كانوا يقولون للرسول عم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما نلقنا حتى نفهمه وسمع
اليهود فافترصوا وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا
يحتمل التلبيس وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ وأنظرنا من النظرة اي امهلنا حتى
نحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى
الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعنا فتسبب للسب واسمعوا ما يكلمكم به رسول الله
سماع تيقظ حتى لا تحتاجوا الى المراجعة وطلب المراعاة او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى
لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم في تركها وللكافرين اي الذين تهاونوا بالرسول عم
وسبوه عذاب اليم بسبب كفرهم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين المودة محبة الشيء
مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل
الكتاب والمشركون ولا مزيدة للتاكيد نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة
المؤمنين ويدعون انهم يودون لهم الخير ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى
مزيدة للاستغراق بعد النفي والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم
به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة والوجه تعميمه للكل لانه نكرة في
سياق النفي بالواسطة والله يختص برحمته من يشاء على مقتضى حكمته وتقديم اسم الله على الفعل
للتاكيد والتخصيص ثم وضع المظهر موضع المضمر للتعظيم وتربية معنى الاضافة بالانفراد
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل العظيم والله هو صاحبه دون غيره ما ننسخ
من آية او ننسها وقرئ ما ننسخ من انسخ وننسها بالتشديد من التنسية وننسأها بالهمزة
وننسها وننسيها من نسي وانسى على خطاب رسول الله عم وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها
وما ننسخ من آية او ننسكها والنسخ في اللغة هو النقل والتحويل ومنه انتساخ الكتاب هو نقل
من نسخة الى اخرى ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او حكمها او بهما جميعا وانساخها
الامر بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها وتنسيتها ان يذهب حفظها
عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية او ننسها مجزوم ايضا للعطف
على المجزوم وجزمه بحذف الياء منه والآية على المعنى اللغوي وهو جماعة من الكلام بقال خرج القوم

الاخرى

بابهم اي بجماعتهم اذ الاختصاص للنسخ بتمام الآية المصطلحة نأت بخير منها بما هو انفع لكم في الدنيا او في
او مثلها في النفع في واحدة منهما نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر
ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ففي الآية دلالة على جواز النسخ بل على وقوعه قيل وذلك لان الاحكام
شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف
باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره
وكان هذا القائل غافل عن قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم او عن دلالته على ان النسخ قد يكون غضبا على قوم ثم ان قوله وذلك يختلف باختلاف
الاعصار ابي سناه المنقول عن ان النسخ قد يكون قبل العمل بالمنسوخ الم تعلم الخطاب لكل
احد لان الامر عظيم شامل والتيقظ له ضروري للكل فيصلح ان يخاطب به كل احد ان الله على كل
شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير ويجوز ان يكون الخطاب لمحمد
تعريضا للمشركين او اليهود كما ان قوله اانت قلت للناس اتخذوني في خطاب لعيسى عليه السلام
يوم القيمة تعريضا للنصارى الم تعلم تأكيد لما مر وجعله استفهاما تخصا ومعادله ام تريدون
قول من لم يذق فصاحة كلام العرب ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويليها
ويدبرها فيتعبدكم بما يشاء مما يرى فيه مصلحتكم وما لكم من دون الله من ولي من يلي اموركم
ولا نصير من ينصركم عليه وفي اظهار اسم الله في من دون الله ما مر آنفا لما قرر عليهم انه مالك
امورهم ومدبرها بحسب مصالحهم وانه لا ينزل عليهم الا ما هو خير لهم اراد ان يوصيهم
بالثقة به فيما ينزل عليه ويدبر به امورهم ويتعبدهم به وان لا يكونوا كقوم موسى عليه السلام
في السؤال عن امور عادت عليهم وبالا فيسألوا رسولهم ما يضرهم ولا ينفعهم فقال
ام تريدون ان تسألوا رسولكم ام هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة فمعنى بل اعراض عن اعتراضهم
على القرآن بالنسخ وطعنهم وغفلتهم عن حكمة الله تعالى ومعنى الهمزة انكار لما سبق من اقتراحهم
على النبي كما اقترحهم على موسى عليه السلام وفيه مبالغة في النهي حتى كانهم كانوا بصدد الارادة
فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال يعني من شان العاقل ان لا يتصدى لارادة ذلك
ويجوز ان يكون متصلة بهمزة محذوفة اي اتعترضون عليه بالنسخ وتطعنون فيه ام تريدون
ان تسألوا وقوله كما سئل موسى من قبل بلفظ المبني للمفعول ترشيح لهذا المعنى يعني ان من يسأل
مثل هذا السؤال حقيق بان يصان عن ذكره المقال والا فالمناسب ان يشبه سؤالهم بسؤال
قومه او سؤال نبينا بسؤال موسى عليهما السلام على المصدر المبني للفاعل ثم ذيل الكلام بقوله
ومن يتبدل الكفر بالايمان اي من ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل

سواء السبيل الطريق المستقيم اضاف الوصف الى الموصوف ليفيد بعد الانحراف ويكون اولا يطرق
سمعهم بعد الضلال هو الاستواء فينتهوا على انهم اخطأوا الاستقامة في طريقهم فيرجعوا
وهو ابلغ من قولك فقد ضل الطريق المستوي ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم
تمنوا ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون العمل من بعد ايمانكم كفارا حال او
مفعول ثان على ان يضمن يرد معنى يجعل حسدا مفعول او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين
لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره والتمني ان يزول عنه الى من عند انفسهم متعلق بحسدا
اي حسدا ناشيا من عند انفسهم يعني حسدا منبعثا عن اعتقاد انيالا يمكن ازالته لا عرضيا حائر
الزوال والا فحسدهم لا يكون الا من عند انفسهم ويجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ارتدادكم
من قبل انفسهم وشهوتها لا من جهة التدين والميل الى الحق لانهم تمنوا ذلك بعد ما
تحققوا انكم على الحق من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية ومعنى
النداء في فاعفوا واصفحوا السببية يعني اذا علمتم ان ودادتهم المؤكدة انما هي لحسدهم لا للدين
ملتبس بكتبهم ان النها فلا سبيل لكم الا وهو الترك والصفح وهو الاعراض حتى يأتي الله بامره
من قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بالجزية وفي التعبير بما في نسبة الاتيان اليه
من التعظيم والتهويل ولذلك عدل عن الاصل وهو حتى يأتي امر الله ولما كان مظنة ان يسبق
الى الوهم ان ذلك التوقف لعدم القدرة على الانتقام على الفور تدورك دفعه بقوله
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم اي وقت شاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ
باية السيف والغاية التي يتعلق بها الامر اذا كانت لا يعلم الا شرعا لم يخرج ذلك الوارد
من ان يكون ناسخا الا يرى ذلك انفساخ حكم التورية والانجيل بظهور نبينا عليه السلام مع ما فيهما
من بيان انتهاء حكمها بظهور النبي الامي واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم
بالصبر والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير اي شيئا قليلا من جنس الخير
تجدوه جاء في الاحاديث الصحاح ان الاعمال نفسها تجسد يوم الجزاء ويوجد نفسها عند
الله فلا حاجة الى تقدير ثوابه ان الله بما تعملون بصير وعد يتضمن الوعيد على عدم الاخلاص في العمل وقرئ
بالياء فيتمحض وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا
من كان هودا جمع هائد كعائد وعود وهو جمع لا ينافي افراد فاعل وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر
باعتبار اللفظ والمعنى او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا او نصارى
ايجازا اعتمادا على فهم السامع وامنا من الالباس لشهرة تباين الفريقين والتعادي تلك
امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا

وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة
اعتراض وقد مر ان الامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة والتمني تقدير الشيء في
النفس وتصويره فيها ولما كان اكثره عن تخمين صار الباطل له املك قل هاتوا برهانكم
اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة والبرهان مشتق من البره وهو القطع او من
البرهنة وهي البيان ان كنتم صادقين في دعواكم فان قلت هلا يجوز ان يكون واحدا منا
صادقا في دعواه ومع ذلك يكون عاجزا عن اثباته قلت يجوز ذلك في العقليات واما الذي
مداره على السمع فلا يجوز بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه اخلص
نفسه لله لا يشرك به غيره عبر بالوجه عن الجملة اذ هو اشرف الاعضاء وفيه الحواس ولان اثر
الانقياد والخضوع يظهر فيه وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد على عمله عند ربه لا يضيع
ولا ينقص ويجوز ان يكون بلى وحده ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ والجملة جواب
من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط وان يكون
من موصولة فاعل فعل محذوف دل عليه بلى اي يدخلها من اسلم وجهه لله ويكون قوله
فله اجره معطوفا على يدخلها من اسلم ولا يخفى ما في الشرطية العامة من التعريض بانهم لا يدخلون
الجنة لانتفاء الاوصاف الموجبة للاجر بحكم الوعد الصادق والترغيب في سلوك طريق الدخول
ولم يجزم بان غيرهم موصوف بذلك لانه على اسلوب الكلام المنصف واوجه الوجوه انه يقدر
بلى يدخلها غيرهم فقيل من هو فقيل من اسلم ويكون قوله فله اجره من التتميم علما انه زيادة على
دخول الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قدم تفسيره وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء هو في غاية المبالغة لان الشيء يتناول المعدوم والممكن
والمحال فاذا سلب الشيئية لم يبق من المبالغة حذور اه ومن قبيل قول بعضهم فقد اظل بها [illegible]
لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وارتفعت اصواتهم فقالت
اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عم والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى
والتورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ذلك وحالهم من اهل العلم والتلاوة
والكتب وحق من يتلو بعض كتب الله الايمان بالباقي لان بعضها مصدق للبعض كذلك اي مثل ذلك
القول البعيد عن الصواب قال الذين لا يعلمون اي الجهال من المعطلة والدهرية والمشركين الذين لا كتاب
لهم مثل قولهم لم يقل مثل قولهما لان المنظور هنا جهة اتحادهم وهي كونهم اهل الكتاب وهو بيان
لقوله كذلك لما فيه من الابهام او بدل منه ويجوز ان يكون كذلك مفعولا به اي كلاما مثل ذلك الكلام
الشنيع الذي سمعت به قال الجهلة قولا مثل قولهم صادرا عن عناد وجهل بلا حجة فيكون مثل

نصبا

نصبا على المصدر وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فالله
يحكم بينهم اي بين اهل الكتاب لا بين الفريقين والا لقيل بينهما او بينهم وبين الجهلة ايضا
يوم القيمة اي يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا فيظهر المحق من المبطل
والفاء فصيحة كانه قيل اذا لم يرضوا بحكم الكتاب في الدنيا فالله يحكم الآية فيما كانوا
فيه يختلفون من الدين والكتاب والنبي ومن اظلم ممن منع مساجد الله اي لا اظلم منه دلت على ذلك
صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الانكاري وهذا لا ينافي لكون المشرك اظلم لان
فضله في الظلم لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير سبب نزولها ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وقيل منع المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وكيف كان فالاعتبار
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذلك اي لقصد تعميم الحكم قيل مساجد الله مع
ان المنع والتخريب انما وقع على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام
ان يذكر فيها اسمه مفعول ثان لمنع ويجوز ان يكون على تقدير من اي من ان يذكر وحذف
حرف الجر مع ان قياس ويمكن ان ينصب مفعولا له اي كراهة ان يذكر وسعى في خرابها
بالهدم او التعطيل وسعى كلمة يختلف معانيها باختلاف مصادرها يقال سعى
يسعى سعيا اذا عمل واذا كسب واذا عدا وسعى سعاة اذا جاد وتكرم وجمع السعاة
الساعي وسعى سعاية اذا اخذ الصدقات وهو عاملها وكذا سعى به الى السلطان
سعاية اذا وشى به وكذا سعى المكاتب ومعنى البعض في اداء ما عليه سعاية و
ساعى الرجل الامة اي فجر بها مساعاة ولا يقال ذلك في الحرة وفائدة زيادة سعى
ههنا قطع احتمال السبب اولئك المانعون ما كان لهم ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا
خائفين اي وجلين من عقابه تعالى فكيف لهم الجراءة على تخريبها فعلها كان لهم في
علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم
وفيه نظر لان تخريبهم ومنعهم دل على انه قد كان في علم الله تعالى وقضائه ان يدخلوا
غير خائفين وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد وفيه ايضا نظر لان النهي
عن تمكينهم من الدخول مطلقا لا عن تمكينهم منه غير خائفين لهم في الدنيا خزي اي قتل
وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بسبب ظلمهم العظيم وانما اعيد
لهم تنصيصا على ان المعذبين في الآخرة هم المعذبون في الدنيا وليس عذابهم في الدنيا
مكفرا لذنوبهم حتى يكون احد العذابين لبعضهم والآخر للباقي ولله المشرق والمغرب [illegible]

عن ناحيتي المعمورة والمراد بهما الأرض كلها فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة
بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله
أي جهته التي أمر بها الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا إلى الاسم والمعنى أنكم إذا
منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام وفي بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا في أي
بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا تختص
إمكانها بمسجد دون مسجد ولا بمكان دون مكان إن الله واسع بالرحمة يريد التوسعة على
عباده عليم بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها وعن ابن عمر رض أنها نزلت في صلاة المسافر
على الراحلة وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا
تبينوا خطأهم فعذروا أي في النفل وأما وجوب القضاء وعدمه فأمر آخر والظاهر
أنه مستطرد عند ذكر المساجد وتمهيد لذكر نفي الولد لأن من له الجهات كلها تعالى
عنها يستحيل أن تماثله ذو جهة والولد جنس الوالد لا محالة وقالوا اتخذ الله ولدا
أي الذين قالوا عزير ابن الله والذين قالوا المسيح ابن الله والذين قالوا الملائكة بنات الله
قالوا اتخذ الله ولدا فالضمير لمن سبق ذكرهم من اليهود والنصارى والمشركين الذين
لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف كأنه سئل هل انقطع حبل أقوالهم على الله
أو امتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا أعظم من ذلك وأقطع سبحانه تنزيه له عن ذلك إعراض
بل له ما في السموات والأرض رد لما قالوه وتنبيه على فساده والمعنى أنه خالق ما في العالم كله ومن
جملته عزير والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل
ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لأن من حق
الولد أن يجانس والده وإنما جاء بما للعموم وقانتون لتغليب العقلاء وهذا التغليب
أتى عن قصد التحقير بإيرادها وتنوين كل عوض من المضاف إليه أي كل ما في السموات والأرض
والآية تدل على فساد ما قالوه بثلاثة أوجه ومبنى تضمنه الاحتجاج بالوجه الأول على ثبوت
التنافي بين ولدية أحد للآخر ومملوكيته له إذ لا تصريح بهذا فيما ذكر فالاحتجاج به على أن
من ملك ولده عتق عليه بناء على ذلك المبنى لا يخرج عن مصادرة بديع السموات والأرض يقال بدع الشيء
فهو بديع كقولهم ظرف فهو ظريف وبديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها
أي بديع سمواته وأرضه أو بديع في السموات والأرض كقولك فلان ثبت الغدر أي ثابت فيه
والمعنى أنه تعالى عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع فيكون مضافا إلى المفعول
وقال ابن معتصم يجوز أن يكون العين بدلا عن الهمزة والبديع والمبدع كالبدئ والمبدئ

فإنه جاء على فعل وأفعل جميعا والإبداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وعلى هذا المعنى لا يكون إلا
مبدعا وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا بوجه آخر تقريره أن من قدر على خلق السموات
والأرض من غير شيء كيف لا يقدر على خلق مثل عيسى عم من غير أب وقرئ مجرورا على البدل
من الضمير في له ومنصوبا على المدح وإذا قضى أمرا أي أراد شيئا لقوله تعالى إنما أمره إذا أراد
شيئا أن يقول له كن فيكون وأصل القضاء إتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك أو فعلا
كقوله فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعلق الإرادة الإلهية لوجود الشيء من حيث
أنه يوجبه فإنما يقول له كن فيكون من كان التامة أي أحدث فيحدث أي لا يدخله تأخير
عن وقته ولا يمتنع عليه شيء ولا يلحقه به تعب ولا يحتاج إلى استعمال آلة ومن أوله
جعل استعارة تمثيلية شبهت الحالة التي تتصور من تعلق إرادته تعالى بشيء من المكونات
وسهولة إيجاده إياه من غير امتناع ولا توقف بحالة أمر الآمر النافذ تصرفه في
المأمور المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال وأطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل
في تلك من غير أن يكون هنا قول وأمر وهذا أقرب ما يتأتى لنا به المعنى المقصود فلا
يتجه المناقشة بأن وجه الشبه في المشبه أقوى وحق التشبيه عكس هذا وذهب
بعضهم إلى أنه حقيقة وقد جرت السنة الإلهية بأن تكون الأشياء بكلمة كن فيكون المأمور
هو الحاضر في العلم والمأمور به الدخول في الوجود وقرئ برفع فيكون أي فهو يكون و
بالنصب على جواب الأمر وفيه نظر لمعنى إبداع وتأكيد لاستبعاد الولادة المدلول
عليه بقوله سبحانه وأما ما قيل إنه حجة أخرى وهو أن اتخاذ الولد مما يكون بالأطوار
ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك فيرد عليه أنما يكون بالأطوار ومهلة هو تكون الولد
على مجرى العادة فللمخالف أن يقول اتخاذه الولد على سبيل خرق العادة ثم إن فعله تعالى
قد يقارن المهلة لحكمة وإن كان مستغنيا عنه كيف وقد كان خلقه السموات والأرض
في ستة أيام ومن هنا ظهر أن من اعتبر في التمثيل المذكور الحصول بلا مهلة لم يصب
وقال الذين لا يعلمون أي الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم
لم يعملوا به سواء تجاهلوا أولا بأن أظهروا أو علمهم لولا هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة
وموسى عم ويأمرنا وينهانا بالذات وهذا استكبار منهم عن اتباع بشر مثلهم أو تأتينا آية
من الله تعلم بها أنك رسول الله وهذا استهانة منهم بالمعجزات الباهرة وإنكار الآيات
الظاهرة كذلك قال الذين من قبلهم يعني اليهود حيث قالوا أرنا الله جهرة وأما قول الحواريين
هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء فليس من هذا القبيل على ما نقف عليه

في موضع مثل قولهم قدره بتغييره والمماثلة بين القولين في كونهما تحكما وعنادا تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء
ومن قبلهم في العمى والعناد اعتراض وقرئ بتشديد الشين وطأة العرب فانه لا ذلك انما يجوز
في المضارع بمعنى تتشابهت فيدغم احدى التائين في الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون ذوي بصائر
يوقنون انها آيات يجب الاكتفاء بها عن غيرها واصل البيان الذي يقع به الالزام يعم الكل لكن
تخص الموقنين في حق النفع واليقين ابلغ علم واوكده لا يكون معه مجال عناد واحتمال زوال
ولذلك قال في حق ابرهيم عم وليكون من الموقنين ولوضح ان يتخلف عنه الاذعان لكان
درجة فوق الايقان فكان من المذعنين ابلغ من الموقنين واللام في الآيات للاستغراق
اي كل الآيات او الماهية اي ما يعرفه العقلاء انها آيات وتنكير قوم للتعظيم اي قوم اي
قوم صفتهم الايقان وفيه تعريض بانهم ارذال اهل الظن والتقليد وايذان بان الايمان
لشأن انا ارسلناك بالحق متصحوبا به لا يفارقك بشيرا ونذيرا للمطيع والعاصي فلا عليك الا
البلاغ المبين ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما بالهم لم يؤمنوا اذا بلغت وبلغت في دعوتهم جهدك
وقرئ ولا تسأل على النهي تعظيما لما فيه الكفرة من العذاب كما تسأل عمن وقع في بلية و
يقال لك لا تسأل عنه اي هو في حالة لا يحتمل سماعها لفظاعتها واجابتها السامع او ارق
او اجزع ان اتكلم بها فلا تكلفني او اعظم ان يكتنهها او يعرب عنها عبارة قيل لما امر
بتبشير المؤمنين وانذار الكفار كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل وقال يا رسول
الله اين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عم ان والدك ووالدي ووالد ابرهيم
في النار فنزل القول المذكور فلم يسأله شيئا من بعد ذلك والجحيم النار الشديدة الالتهاب
والجاحم المكان الشديد الحر ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم لف بعد النشر على
عكسها في قوله تع وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى حكى الله تع كلامهم ولا بد
من الحمل على هذا الطباق قوله قل ان هدى الله فانه يقتضي سابقة قول ممن ذهب عليه السلام
الى حجاجهم بنوع من تمادي لجاجهم والملة من املت الكتاب وهي اسم لما شرعه الله تع لعباده
على لسان نبيه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه والدين مثلها لكن الملة يقال باعتبار الدعاء
اليه والدين باعتبار الطاعة والانقياد له ثم يقال الملة والدين لما لم يكن من قبل الله تع
على التقييد كقولك ملة مزدك ودينه قيل كان عليه السلام يجتهد في طلب ما يرضيهم
ليدخلوا في الاسلام فقال له دع طلب ما يرضيهم الى ما امرتك به من مجاهدتهم فليس فيه
اقناط عن اسلامهم قل ان هدى الله هو الهدى بالغ في تعظيم دين الاسلام بتسمية الهدى
واضافته الى نفسه وحصر الهدى فيه بان والضمير واللام اي دين الاسلام الذي هو الهدى

المخصوص بالله هو الذي يستأهل ان يسمى هدى وهو الهدى كله لا غيره فيلزم ان ما عداه ليس بهدى
بل هوى او كل قول لا حجة معه ولا عن علم فهو هوى فلهذا قال على سبيل الفرض ولئن اتبعت
اهواءهم اراءهم الزائغة فان الهوى رأي عن شهوة داع الى الضلال وانما سمي بذلك لانه
يهوي صاحبه في الدنيا الى كل واهية وفي الآخرة الى الهاوية بعد الذي جاءك من العلم ابهم ثم بينه
للتعظيم اي من الدين المعلوم صحته بالبرهان ما لك من الله جواب للقسم قد سد مسد جواب
الشرط من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه
حال مقدرة من هم او من الكتاب لانهم لم يكونوا وقت ايتائه تالين له او خبر حق تلاوته
نصب على المصدر اي تلاوة كما يجب ان يتلى لا يحرفونه ولا يكتمون شيئا منه كنعت الرسول
وغيره اولئك اي تالون على ما يجب يؤمنون به بكتابهم دون غيرهم من المحرفين ومن يكفر به بالتحريف
والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون المخصوصون في الخسران باشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما ذكر
هم النعمة اولا وخصهم بالخطاب من بين بني آدم وحضهم على اتباع من هو رحمة للعالمين
فانتموا الى من قبل ومن انى فضلهم اخر ان خاطبهم على سبيل الالتفات بمثل الاولى
خطابا مناطا للعز بعقبتين عوداً على بدء تخيرا لمن سبا وتخبيرا لمن كبا وعلم من ذلك ان
التكرير ليس لمجرد التغرير وفيه حسن التخلص الى حديث جدهم ابرهيم عم على وجه يؤكدها
يد نوالية واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات باوامر ونواه واعلم ان الابتلاء والبلاء بتضمنا مريت
تعرف ما يجهل من حاله وظهور جودته ورداءته بعده فربما قصد الامران معا وربما قصد
احدهما فاذا انتسب الى الله تع فهو للامر الثاني وليس هذا من ابتلاء الله بكذا اذا اصابه
بما يكرهه ويشق عليه لان حمل الاوامر والنواهي على المكاره وعدها من البلاء يالبس
بمناسب وابراهيم تغييره بالسريانية اب راحم وذلك لرحمته بالاطفال قبل جعل هو
وزوجته سارة كافلين لاولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة فاتمهن
اي قام بهن حق القيام وعطاهن احسن الطاعة كقوله وابراهيم الذي وفى قال
استئناف فالعامل في اذ محذوف اي هو العامل به اذ والواو داخلة عليه عطفا عليها
قبله عطف القصة على القصة المشار اليها اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا اني جاعلك
من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى اثنين اماما الامام اسم لمن يؤتم به كالازار لما يؤتزر به
واماميته عم مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان مأمورا باتباعه واما عمومها فيما في قوله

اعطيت حما قال ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي واستعمال صيغة الامر في موضع الالتماس سائغ شائع
وهو اولى من المصير الى عطف التلقين لانه للبحث عن سؤال ادب وذرية الشخص نسله قال لا
ينال عهدي الظالمين اي من كان ظالما من ذريتك لا ينال عهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان
عادلا والنيل اللحوق واختلف في المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلا دلالة في الآية
على ان الفاسق لا يصلح للامامة واذ جعلنا البيت البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة
للناس المثابة كالمباءة صيغة ومعنى اي مرجعا يثوبون اليه بعد التفرق عنه وامنا اي
موضعا في غاية الامن لا يتعرض لاهله لقوله حرما آمنا ويتخطف من حولها قيل
آمنا من حاجه من عذاب الآخرة ونظر فيه لان الحج لا يجب ما قبله من المظالم و
قيل لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج ونظر فيه ايضا نظر لانه يلجى الى الخروج فلا يبقى
امنا واتخذوا على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراضا تقديره توبوا اليه
واتخذوا وعلى هذا الواو فصيحة من مقام ابرهيم مصلى موضع صلوة تصلون فيه وهو
على وجه الاستحباب دون الوجوب وهو الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان
فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي
انه عليه السلام اخذ بيد عمر رض فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر رض افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر رض انه عم لما فرغ من الطواف عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرئ
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي
واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها ويحتمل ان يكون امرا
على صيغة الخبر للتاكيد فيتوافق القراءتان وعلى هذا ينبغي كون الامر للايجاب
وعهدنا امرنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا اي بان طهرا بيتي من الاوثان والانجاس ويجوز
ان يكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول والمعنى امرناهما بتطهيره والمراد ان ينقياه على
الطهارة لان لا يكون فيه نجاسة فيزيلاه وهو كقوله لهم فيها ازواج مطهرة اي مبقاة
على الطهارة الاصلية للطائفين اي للطائفين حوله والعاكفين العاكف من لزم الشيء واقام عليه
والركع السجود جمع راكع والساجد اي المصلين والصلوة تشتمل على افعال اقربها الى الخشوع
هذان وترك العاطف بينهما لكمال الاتصال واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا اي هذا البلد او هذا
المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا من فيه عربيا كان او من اهله كقولك
ليل نائم والبلد الاثر في الجلد وغيره وانما سمي البلد بلدا لما فيه من الاثار وارزق اهله

58

من الثمرات الثمرة هي جميع ما يخرج من الارض والاشجار فهو سؤال الطعام والفواكه وذلك لانه اسكن
بواد غير ذي زرع ولا ضرع وانما قال اهله دون اهلي تعميما للدعاء كما هو اللائق لشان
الانبياء من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله اي وارزق المؤمنين من اهله خاصة
قالوا قاس ابرهيم عم الرزق على الامامة فخص الرزق المطلوب بالمؤمنين وهذا القياس
لا يليق بشانه عم لظهور الفرق بينهما عند من له ادنى تمييز فالوجه ان يقال انه عم ابى عن تعميم
الدعاء للكفار لان الكافر لا يدعى له بل يدعى عليه قال عم اللهم اشدد وطاتك على مضر وقال
موسى عم ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وخشي ان يخرج ذلك مخرج المعونة على
العصيان او اراد ان يجعل ذلك آية ترغيب الكفار في الاسلام قال ومن كفر مبتدا تضمن معنى الشرط
وجوابه وخبره مقدر تقديره فلا اهلكه والفاء في قوله فامتعه فصيحة وجعله جوابا وخبرا
يأباه الفاء فان الكفر لا يصلح سببا للتمتيع لا كثيرا ولا قليلا نعم يصلح لتقليله لكن صرف النظم
اليه لا يخلو عن تعسف واما عطف من كفر على من آمن ففيه ان العطف يقتضي التشريك
في العامل فيصير التقدير قال ابرهيم وارزق من كفر ولا يناسبه السباق واللحاق
ومن هنا ظهر ما في قراءة الحبر بن على لفظ الامر على انه من دعاء ابرهيم عم من القصور
كيف والمناسب له عليه السلام طلب الهداية الى الاسلام لمن كفر لا طلب ختمهم على الضلالة
قليلا نصب على المصدر اي تمتعا قليلا او على الظرف اي زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب
النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وقرئ فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا
اطجع نقل سيبويه عن بعض العرب مطجعا في مضطجع وقال ومضطجع اكثر فدل على ان مطجعا
كثير فلا يكون لغة مردولة وبئس المصير مصيرهم فحذف المخصوص بالذم واذ يرفع ابرهيم
يرفع حكاية حال ماضية او ربما مع اذا استحضارا لها لعظم وقعها في النفوس ولذا
ابهم القواعد بالاطلاق ثم بينها بالتقييد بقوله من البيت تفخيما لشان المبين والقاعدة
هي الاساس والاصل لما فوقه وهي من الصفات الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفع
القواعد هو البناء عليها لانها بالبناء عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و
اسمعيل عطف على ابرهيم فهو شريك له في الرفع ربنا اي يقولان ربنا والجملة حال منهما
تقبل منا اي هذا العمل الذي قصدنا به رضاك انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا
واجعلنا عطف على الدعوة السابقة وتكرير ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع بالربوبية مسلمين
لك مخلصين لك من اسلم وجهه او منقادين من اسلم بمعنى استسلم والمراد طلب الزيادة
على ما كان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان التثنية من مراتب الجمع وقيل ارادوا انفسهما

وهاجر **ومن ذريتنا** خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة واتيا بمن للتبعيض لانه تعالى كان اعلمهما
ان في ذريتهما من لا ينال العهد لكونه ظالما واما ما قيل ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص
والاقبال الكلي على الله تع فانه مما يشوش المعاش فلا يصلح وجها لما ذكر كما لا يخفى **امة مسلمة لك**
الاسلام هو الانقياد والخضوع **وارنا** من الرؤية بمعنى الابصار او المعرفة ولذلك لم يتجاوز على الاقتصار
على احد المفعولين والاخبار ان يقرا بكسر الراء وهي قراءة الجمهور لانها كسرة جعلت الى
الراء وسقطت الهمزة فلا ينبغي ان يسكن فيها كما على تخفيف في فخذ كما فعله ابن كثير لئلا يجحف
بالكلمة ويبطل الدلالة على الهمزة **مناسكنا** متعبداتنا في الحج قال الزجاج كل متعبد منسك
والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة او مذابحنا
فان النسك خص بالذبح وتعورف فيه حتى قيل نسك فلان اذا ذبح **وتب علينا** التوبة
منا رجوع الى الطاعة عن العصيان ومن الله تع رجع بالاحسان ولهذا يتعدى بعلى وذلك
ان تاب بمعنى رجع فكما ان رجع لازم ومتعد كذلك تاب لازم ومتعد وانما قالاه ذلك
هضما لانفسهما او استتابة عما فرط منهما سهوا او ارشادا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم** لمن
تاب **ربنا** تكرير لما مر **وابعث فيهم** اي في ذريتهما لا في الامة المسلمة لعدم الدلالة على انهم امة
ذلك الرسول **رسولا منهم** البعث فيهم لا يستلزم ان يكون منهم كالعكس ولهذا جمع بينهما **يتلو**
يقرا **عليهم اياتك** المراد بالايات المعجزة الواضحة الدلالة وفي عبارة التلاوة اشارة الى انه
اراد ان يكون للرسول المسؤول معجزات من جنس الكلام **ويعلمهم** اي يلطفهم في التفهيم شيئا
فشيئا **الكتاب** كلام الله تع المنزل عليه عليه السلام وهو اعم من القران لاشتماله على منسوخ
التلاوة الخارج عن القران **والحكمة** السنة ذكره قتادة ووجه المناسبة بينهما ان الحكمة
تنتظم العلم والعمل كما ان السنة تنتظم القول والفعل **ويزكيهم** يطهرهم اي يحليهم بالفضائل
ويخليهم عن الرذائل وانما قدم الاول لان علم القبائح يكون سببا لتركها والجامع لما ذكر
انما هو محمد ء وقد روي انه ء قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة اخي عيسى ورؤيا امي امنة
انك انت العزيز الغالب الذي يفعل ولا يفعل به **الحكيم** المحكم له **ومن يرغب عن ملة ابرهيم** الرغبة سعة
الارادة ومنه يقال رغب اي فهم ومتى عدي بعن اقتضى صرف الارادة عن ذلك الشيء وذلك
بالزهد فيه ومن للاستفهام على وجه الاستبعاد والمراد الجحد على وجه ابلغ اي لا يزهد
في ملة ابراهيم **الا من** الا الذي **سفه نفسه** اذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب ان سفه بكسر
الفاء يتعدى كسفه المشدد ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص
الناس والمستثنى في محل الرفع بدلا من الضمير الذي في يرغب وهو اجود من النصب على

المستثنى

الاستثناء **ولقد اصطفيناه في الدنيا** اي جعلناه صافيا من جميع ما لا يليق بخلة الحق والاصطفاء في الاصل تناول
صفوة الشيء كما ان الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جابيه اي وسطه وهو المختار
وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من الثابتين على الصلاح في الدنيا حتى يكون كذلك في العقبى فكم من صالح
في اول حاله ذهب صلاحه في مآله فهو في مقام التعليل لاصطفائه في الدنيا كما انه في
مقام التعليل لما سبق من انه حقيق بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل
نفسه بالجهل والاعراض عن النظر **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت** العامل في اذ قال اسلمت اي
حين امره الله تعالى بالاسلام قال اسلمت استئناف تعليلي لما تقدم من الفلاح في
الدارين وانما زاد قوله **لرب العالمين** لبيان ان المراد من الاسلام هو الانقياد عن
عرفان بما يوجب الاذعان لا مجرد الاقرار باللسان **ووصى بها** اي بملة الاسلام المذكورة
ابرهيم بنيه والتوصية التقدم بفعل فيه صلاح دين او دنيوي وقرئ واوصى والاول ابلغ
واشتقاقه من وصاه اي وصله ويقاربه قضاه اي فصله **ويعقوب** عطف على ابرهيم
اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم وانما منع عن
الصرف للعجمة والعلمية **يا بني** على اضمار القول او متعلق بوصى لانه نوع منه وباعتباري
الفعل والقول يجوز اثبات ان وحذفها كما في الرسالة والابلاغ والانذار والوعد
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله **فلا تموتن الا وانتم مسلمون**
كناية عن الثبات على الاسلام وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان العبرة للخاتمة **ام كنتم
شهداء** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين **اذ حضر يعقوب الموت** وقال
لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه روي ان اليهود قالوا للرسول ء الست تعلم
ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت والشهود حضور بالذات او
بالعناية او بالمقال والحضور اكثر ما يقال بالذات كذا قال الراغب وتقديم المفعول
وهو يعقوب لشدة الاهتمام به لانهم يدعون عليه اليهودية **اذ قال لبنيه** بدل من اذ حضر
ما تعبدون من بعدي لم يعن به العبادة المشروعة فقط بل عن جميع الاعمال فكانه دعاهم
ان لا يعتدوا في اعمالهم غير وجه الله تع ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما
خاف ان يشغلهم دنياهم ولهذا زادوا في الجواب قولهم ونحن له مسلمون اي منقادون
له في جميع الافعال والاحوال **قالوا نعبد الهك واله ابائك** اي نقتدي بك كما اقتديت
بابائك وللاشعار بهذا الاعتبار المناسب للمقام زادوا في الكلام على قدر الحاجة
في الجواب وقرئ واله ابيك على انه جمع اب على السلامة او مفرد وابراهيم عطف بيان

ابرهيم واسمعيل واسحق بدل من قوله آبائك وابرهيم عليه السلام كان جده والجد اب قال الله تعالى
كما اخرج ابويكم من الجنة واسمعيل عليه السلام كان عمه والعم عند العرب يسمى ابا قال النبي
في حق العباس رضه ردوا على ابي وانما قدمه على ابيه اسحق لانه كان اكبر سنا منه
الها واحدا بدل من اله ابائك ويجوز ان يكون واحدا حالا والها توطئة والفائدة
التنصيص على ان معبودهم واحد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف واما النصب
على الاختصاص فيرده نص النحاة على ان المنصوص على الاختصاص لا يكون نكرة
ولا مبهما ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويجوز ان يكون جملة
معطوفة على نعبد او اعتراضية تلك امة الاشارة الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة
اهل الملة الواحدة وهي في الاصل المقصود من امه كالعرف من عده وسميت بها الجماعة
لان الفرق تامها قد خلت اي مضت وصارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها و
يلزمه الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد
منه لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الكسب اجتلاب النفع بعلاج وحراسة ولذلك لا يجوز
في صفة الله تعالى واذا قيل في المضرة فعلى طريق الاستعارة وتقديم لها ولكم
للتخصيص والجملة استيناف لبيان ان الانتفاع بالاكتساب لا بالانتساب
ولا تسئلون عما كانوا يعملون تتميم لما تقدم اي لا يثاب ولا يعاقب احدهما كان من
الاخر على ان المراد سؤال المواخذة وقالوا اي رؤساء اليهود ونصارى نجران كونوا
المامورون من اسر بن سول الله هودا او نصارى كان الظاهر ايراد اداة الجمع لا
لان الكلام المجموع مجموع الكلامين الاانه اراد ان يصحح الكلام ببيان انقسام المقال
على الانفصال الحقيقي فاتى باداة الجمع تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم اي قل يا محمد
جوابا عن قيلهم بل نكون اهل ملة ابرهيم على حذف المضاف وقرئ ملة بالرفع على معنى
بل المهتدي ملة ابرهيم حنيفا حال من المضاف او المضاف اليه والحنيف المائل والمراد
الميل عن الاديان كلها الى دين الحق كان يقال في الجاهلية لمن كان على دين ابرهيم
حنيف ليميلهم عن طريقتهم الى طريقه غيرها وما كان من المشركين تعريض الى ان كلي الطا
فتين اشركت قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين على ان المراد
بقوله بل ملة ابرهيم بل كونوا اهل ملته لتكونوا مهتدين فيكون قولوا بيانا له آمنا
بالله اي بالوهيته ووحدانيته وسائر صفاته ومن جملتها كلامه فكان الايمان به
مستلزما للايمان بجميع ما انزل من عنده فلهذا لم يفصل بينهما باداة التعدية الدالة

على الاستقلال وما انزل الينا القرآن قدمه لان التصديق به اتم واتم وما انزل على ابرهيم من الصحف
واسمعيل واسحق ويعقوب عطفوا على ابرهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة
عليه كانها منزلة اليهم والاسباط اولاد يعقوب عم جمع سبط وهو في الاصل كالطائفة
والفرقة والاسباط في اولاد اسحق عم كالقبائل في اولاد اسمعيل عم وهم جماعة من
اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها اغصان كثيرة وما اوتي موسى وعيسى التورية
والانجيل والايات البينات ولهذا اتى هنا بعبارة اوتي ولم يكرر ما اوتي لان شريعة
عيسى عم هي شريعة موسى عم الا في النذر وافردهما بالذكر لوقوع النزاع فيهما وما اوتي
النبيون تعميم بعد التخصيص من ربهم اي منزل من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا نكون كما
آمنوا ببعض وكفروا ببعض من اليهود والنصارى واحد عام فساغ ان يضاف اليه
بين وعمومه ليس من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما هو السابق الى الوهم بل لانه
موضوع له في النفي يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ولو قال بينهم كان
اوجز الا انه لما كان القصد الى ان يبين ان لا نفرق بين واحد وواحد ذكر لفظ احد
ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فان الفاء لترتيب الكلام على ما تقدم آمنوا اي اليهود
والنصارى بمثل ما آمنتم به اي بمثل ايمانكم فما مصدرية وبه بدل من بمثل بعيد التوكيد
وكذا الباء المزيدة ويجوز ان يكون للآلة والمعنى ان تحروا بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم
فان وحدة المقصد لا يابي تعدد الطرق او المثل مقحم كما في قوله تع وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة بما آمنتم به وبالذي آمنتم به فقد اهتدوا اي
اصابوا الصراط السوي وان تولوا يقال تولاه اي اتخذه وليا قال تعالى لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم واذا وصل بالى يكون بمعنى الاقبال عليه قال تعالى ثم تولى الى الظل واذا
وصل بعن يكون بمعنى الاعراض وهو المراد هنا اي ان اعرضوا عن الايمان بما آمنتم به او عما
تقولون لهم فانما هم في شقاق اي ما هم الا في شقاق عظيم وهو المناواة والمخالفة لاهل الحق
فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين
للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر والسين اشارة الى كون الوعد محقق الوقوع في
وهو السميع العليم حذف المفعول للتعميم او ترك تنزيلا للمتعدي منزلة اللازم لايهام المبالغة
وعد للمؤمنين ووعيد للكفار صبغة الله انتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون
الجملة من قوله قولوا آمنا اي صبغنا الله تع بالايمان الفطري صبغة وهي فطرة الله
التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا

الله تع هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ
على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الثوب وقيل انه كلام وارد على طريق المشاكلة وذلك
انه كان للنصارى صبغ يسمونه المعمودية وهو ماء اصفر كانوا يغمسون اولادهم فيه يزعمون انه
تطهير لهم ويقولون للمغموس الان صار نصرانيا حقا ومن احسن من الله صبغة اي لا احد
احسن من الله صبغة ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله او على قوله ونحن له مسلمون وهو
حال من آمنا بالله وفيه تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم قل اتحاجوننا المحاجة المغالبة
في اظهار الحجة المبينة للحجة اي المقصد في الله في شانه واصطفائه نبيا من قريش روي
ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا
وربكم لا اختصاص له ببيته بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تع فكذلك لنا اعمال ونحن له مخلصون اي
في الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف تكونون افضل منا واولى كما هو زعمهم على كل مذهب
ينتحلونه انتحالا وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تع على من يشاء والكل فيه
سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
على القراءة بالتاء الفوقانية يحتمل ان يكون ام متصلة معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي
الامرين تاتون المحاجة في الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء عليهم السلام
وان يكون منقطعة وعلى القراءة بالياء التحتانية لا يكون الا منقطعة لان المقصد تنتفي
المساواة بين ما يلي الهمزة وام ولا مساواة وح معنى الاستفهام الانكار وعلى تقدير
اتصال ام انكار الامرين جميعا وكذا على تقدير انقطاعها وفي القراءة الثانية اعراض
عن الخطاب لهم استجهالا لهم بما كان منهم وفي قل ءانتم اعلم ام الله انكار للقسم الاول
وتقرير لكذا اي الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله وما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين اتفاقا ومن اظلم ممن
كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله اي شهادة الله تع في حق ابراهيم عليه السلام التي
ثبت عنده في كتابه الذي يتلوه والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا
الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض لهم بكتمانهم شهادة الله تع
لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وغيرها وقد مر في تفسير قوله تع ومن اظلم ممن
منع مساجد الله ما يتعلق بهذا المقام من بيان وجه هذه الطريقة من الكلام

من العرب قاصي

وما الله بغافل عما تعملون وقيل لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما
كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء و
الاتكال عليهم سيقول السفهاء من الناس قد مر معنى السفه والمراد المنكرون لتغيير القبلة
من المنافقين والمشركين واليهود وفائدة تقديم الاخبار به مع انه نوع من الاعجاز تو[طين]
النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس
والقبلة وان كانت في الاصل اسما للحال التي عليها الانسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة
فقد صارت في التعارف للمكان المتوجه نحوه للصلوة اليها قل لله المشرق والمغرب كني بها
عن الجهات كلها اي نسبة جميع الجهات اليه تعالى على السواء فلا يختص بامره مكان دون
مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم هو ما علم الله تع صلاحهم واستقامة امرهم فيه من توجيههم الى بيت
المقدس تارة والى الكعبة اخرى وكذلك اي ومثل ذلك الجعل العجيب والاشارة الى جعل المدلول
عليه بجعلناكم لا الى الجعل المفهوم من الآيات المتقدمة وانما جيء بما يدل على البعد تفخيما والكاف
مقحم للمبالغة جعلناكم امة وسطا خيارا لكونهم عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم
للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول كالنقطة
من الدائرة ولسان الميزان من العمود فجعل عبارة عن العدل وشبهه بكلاهما وقع بين طرفي
افراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم جعل عبارة عن
المختار من كل شيء حتى قيل فلان من اوسطهم نسبا فاستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كساير الاسماء التي يوصف بها لتكونوا شهداء يعني الانبيا عليهم السلام يوم القيمة على الناس
على الكفار ويكون الرسول هو محمد عليه السلام عليكم خاصة شهيدا معدلا مزكيا والشهيد كالر[قيب]
والمهيمن عدي بعلى لاستعلائه على المشهود له روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء
عليهم السلام فيطالب الله تعالى الانبياء عليهم السلام بالبينة على انهم بلغوا وهو اعلم فيؤتى
محمدا عليه السلام ويلتمس كل رسول منه طائفة من امته يشهدون فيشهدون فيقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تع في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تع فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واستدل بالآية المذكورة على ان الاجماع
حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم ولا يخفى ضعفه اذ غاية ما لزم خطاؤهم
في الاجتهاد ولا ينثلم به العدالة كيف والخطاء في الاجتهاد مما يثاب عليه لا يكون قادحا في العدالة

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة كان عليه السلام يصلي اليها بمكة
ثم امر بعد الهجرة بالصلوة الى الصخرة بيت المقدس تألفا لليهود لانه مردود بالحصر المستفاد
من نظام الكلام الآتي ذكره فانه صريح في ان جعل الكعبة قبلة ليس تألفا لغير شيء على هذا الوجه
وان جعل الصخرة قبلة ليس تألفا لليهود على الوجه الآخر ثم حول الى الكعبة فالمعتاد ذلك الى
الكعبة وذلك لا يقتضي ان يكون القبلة المفعول الاول والتي كنت عليها المفعول الثاني كما توهم بل
يجوز ان يكون القبلة على العكس اي صيرنا الجهة التي كنت عليها اولا ثم صرفت عنها الى بيت المقدس
قبلتك او الصخرة فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا امتحانا وابتلاء للناس وعن ابن عباس رض
كانت قبلته عليه السلام بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه ولا دلالة في هذا
على احد المعنيين المذكورين بخصوصه كما لا يخفى الا لنعلم من يتبع الرسول ليظهر علمنا ظاهرا للرسول
والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه وانما عبر عن الظهور المذكور بالعلم
المسند الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده تعظيما لهم وبهذا اندفع ما قيل كيف يكون علمه تع
غاية الجعل وهو لم يزل عالما واما التأويل بانه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى
ليتعلق به علمنا موجودا في وقت وجوده لم يزل ايضا فانه تع كان عالما في الازل بهم وبكل حال
من احوالهم التي تقع في زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذي يقع فيه تلك ممن
ينقلب على عقبيه من التردد الذي يرتد بادنى سبب لقلقه نصوبه لسوء حالهم في الارتداد
بانقلاب الوجوه فان الانقلاب على العقب اسوأ احوال الراجع في مشيه وفي تثنية العقب تقوية
لشأنه والعقب على ما قال الاصمعي ما اصاب الارض من مؤخر الرجل الى موضع الشراك الذي ذكر
من بعض الحكم والغايات التي يترتب عليها المصالح لا من قبيل الاغراض وقرئ الا ليعلم على
البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك
علمت ازيد في الدار ام عمرو وان كانت لكبيرة شاقة لان من الف شيئا ثم فارقه شق عليه ان هي المخففة
من المثقلة واللام هي الفاصلة وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما
جعلنا القبلة التي اي الجعلة او التحويلة او الردة ويجوز ان يكون للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون
كان زائدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الا على الذين استثناء من محذوف اي
لكبيرة على الناس الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الاسلام والاتباع وما كان
الله ليضيع ايمانكم ثباتكم على الايمان في الاتباع بل شكر صنيعكم واعد لكم الاجر العظيم وقيد الايمان المستفاد
من لفظه كان معتبرة الاعتبار على النقل او صلوتكم الى بيت المقدس اي ايمانكم بسببه الصلوة الى فانها

قبل التحويل ما صحت الا باستقباله قال ابن عباس رض لما وجه رسول الله عم الى الكعبة قالوا
كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله فيه معنى التعليل والاظهار
في مقام الاضمار للتعميم بالناس على الاطلاق فكيف بالمؤمنين منهم لرءوف رحيم فلا يضيع
اعمالهم ولا يخل بما يصلح احوالهم وانما قدم الرءوف على الرحيم لان الرأفة انما يكون باعتبار
افاضة الحفظ والصيانة عن الآفات والنقائص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار
افاضة الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية
من باب التحلية الآتية بعد التزكية قد نرى قد للتقليل وقد استعمل هنا في مقام التكثير كما
في قوله قد اترك القرن مصفرا انامله يعني انك تفعل كثيرا على ما دل عليه عبارة تقلب وهو
في قوله قليل بالنسبة الى ما تهتم به وتريد وفي البيت يدعي قلة الترك بالنسبة الى ما
في نفسه وما يريده وهو كثير في حد ذاته تقلب وجهك تقلب الوجه ابلغ من تقلب العين
على ان الوجه يريد به التوجه كقولك وجهي الى فلان في السماء اي في جهتها تطلعا للوحي
كان رسول الله عم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وذلك
يدل على كمال ادبه عم حيث انتظر ولم يسأل كما فعل ابوه ابراهيم عم حيث قال حسبي من
سؤالي علمه بحالي فلنولينك فلنجعلنك تلي قبلة من وليته كذا اذا جعلته واليا له
او فلنجعلنك تلي سمتها من الولي ترضاها تحبها وتميل اليها لمصلحة دينية هذا القيد للدلالة
على ان التولية كانت رعاية لرضاه عم فلا دلالة فيه على كراهة القبلة الاخرى
فول وجهك فاجعل وجهك يلي شطر المسجد نحوه وجانبه الشطر في الاصل لما انفصل
عن الشيء من شطر اذا انفصل عن الشيء ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل وزيادته ليست
لانه عم كان بالمدينة والبعيد يكفيه رعاية الجهة لان التعميم المستفاد من قوله
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثانيا بل للدلالة على القبلة من الجوانب ولا دخل
فيها للبناء الحرام اي المحرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وهذا الوصف
هو الباعث لايثار المسجد على الكعبة فان الحكم المذكور لا اختصاص له بها لانه لا
في استقبال عينها حرجا لانه قد اندفع بزيادة عبارة الشطر روي انه عم قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره خص الرسول عم بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب

ليعلمون انه الحق من ربهم اجمالا لعلمهم بان عادته تع تخصيص اهل كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه ع‍م يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين وفي قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب اللام موطئة للقسم بكل آية اي برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق بعد قوله ليعلمون انه الحق دلالة على ان امتناعهم عن التوجه اليها ليس عن شبهة بل عناد ومكابرة فلا ينجع البرهان فيهم قطعا ما تبعوا اي كلهم فلا ينافي اتباع بعضهم قبلتك جواب القسم المضمر وهو مع جوابه ساد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا وقبلة الكافرين وان تعددت لكنها متحدة من جهة البطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود يستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس فلا يرجى توافقهم فلا وجه للتوجه الى احدى تينك القبلتين ارضاء لاحد الفريقين مع ما فيه من سخط الآخر ولئن اتبعت اهواءهم اي ولئن اتبعتهم في موافقة الهوى فرضا وفي العدول عن الظاهر التنبيه على ان قبلتهم لما انتسخت لم يبق فيها الا جهة الهوى والميل الى مقتضى النفس لبطلان وجه الحق من بعد ما جاءك من العلم اي بسببه وهو الوحي انك اذا لمن الظالمين في الآيات الثلث الجمية والموطنين للقسم في الجمل الثلث والتكرير في قوله قل وقوله اسع النعيم فى حينما والتاكيد بان واللام والوعيد في قوله وما الله بغافل وايراد الجملتين المنفيتين وهما وما انت بتابع وما بعضهم بتابع اسميتين وتاكيد النفي بالباء فيهما وايراد كلمة الشك في قوله ولئن اتبعت بعد القطع في قوله وما انت بتابع ليدل على الفرض والتقدير كالمحالات وتقوية ذلك المعنى بقوله من بعد ما جاءك من العلم وذكر الاهواء والتاكيدات الاربعة في جوابه مبالغة عظيمة في ان كل واحد من المحق والمبطل في غاية التصلب والتشدد في مذهبه وامتناع رجوعه عنه اما المحق فلقوة يقينه ووضوح برهانه وكونه على بينة من ربه واما المبطل فلشدة شكيمته في عناده ومكابرته وتعظيم للحق المعلوم وتحريض على اقتفائه وتحذير عن متابعة الهوى واستفظاع لصدور الذنب عن الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب ابناءهم ودراسة وهم الاحبار يعرفونه الضمير للرسول ع‍م وقد سبق ذكره في قوله تع انك اذا لمن الظالمين وهذا الكلام غير منقطع عند الآية التفت من الخطاب الى الغيبة ثم منها الى الخطاب في قوله وهم يعلمون الحق من ربهم كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه ع‍م معرفة لا شبهة فيه بالوصف الذي يعينه كما يعرفون البنين على التعيين لا اشتباه في معرفتهم اياهم بغيرهم وانما خص الابناء

بالذكر لان اختلاطهم بالآباء اكثر فعدم الاشتباه فيهم اظهر روي عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ع‍م فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رض راسه وان فريقا منهم التنوين للتحقير والالف في فلة قدرهم بالنسبة الى المطهرين منهم ليكتمون الحق اي كونه النبي الموعود وكان الظاهر ان يقال ليكتمونه والعدول عنه للتنبيه على ان المراد من فيه ع‍م بذلك الوصف لا معرفة ذاته وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال او الحق مبتدا خبره من ربك واللام اما للعهد والاشارة الى ما يكتمونه اي الحق الذي يكتمونه هو الحق من ربك او الى الحق الذي عليه رسول الله عليه السلام واما للجنس اي الحق من ربك لا من غيره اي ماهية الحق ما ثبت انه من ربك يعني الذي انت عليه وما لم يثبت انه من ربك كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل كما تقول الرجل زيد اي ما عداه ليس بالرجل وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين النهي عن الكون على صفة ابلغ من النهي عن تلك الصفة ولذلك كثر في القرآن النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها والامتراء من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها واستعير للتردد في الامر وهو لا يكون بقصد واختيار فالنهي المذكور للحث على محافظة الاسباب المزيلة والتحذير عن الغفلة عنها والرسول ع‍م احق بها من امته ولقد احسن من قال ان الله تع يحذر نبيه من اتباع الهوى اكثر مما يحذر غيره لان ذا المنزلة الرفيعة الى تجديد الانذار احوج حفظا لمنزلته وصيانة لمكانته وقد قيل حق المرآة المجلوة ان يكون تعهدها اكثر اذ كان القليل من الصداء عليها اظهر ومن ذهب عليه هذا قال ليس المراد به نهي الرسول ع‍م عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار ولانه غافل عنه لا صحة للكلام على ظاهره وبعد الصرف عنه لا مانع عن كون الخطاب له ع‍م ثم انه لا اختصاص للنهي بالمتوقع الا يرى ان الجهل غير متوقع من نوح ع‍م وقد وقع التحذير عنه في حقه في قوله تع اعظك ان تكون من الجاهلين وفائدة نهيه ع‍م مع ان النهي غير متوقع منه المبالغة في حق من يتوقع منه ذلك ولكل وجهة اي ولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة وقبل المعنى ولكل امة من اهل الاديان المختلفة جهة وقبلة ولا ينتظم وجه التفريع الآتي ذكره وقرئ اي قبلة والتنوين عوض عن الاضافة هو موليها هو اما راجع الى كل اي هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او الى الله تع اي الله تع موليها وجهه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة اي وكل وجهة الله تع موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل

وقرئ مولاها اي مولي تلك الجهة ولما كان في التوسعة المستفادة من الكلام السابق اراحة العذر
في التوقف والتاخر رتب عليها الامر بالمبادرة بقوله فاستبقوا الخيرات اي بادروا الي
اداء الصلوة في اوايل اوقاتها والسبق التقدم والاستباق من الاثنين ومن الجمع
التسابق وكذا التبادر والابتدار والتناضل والاقتتال وفي التعبير بالخير عن الصلوة
دلالة على تفوقها في الخيرية على ساير الاعمال الصالحة فان النوع الخاص اذا عبر عنه
باسم الجنس دل على تفوقها فضله على ساير الانواع اينما تكونوا يات بكم الله اي في اي
موضع كنتم احضركم الله المحشر للثواب والعقاب استيناف تعليلي للامر المذكور وانما
قال جميعا لان نكال العاصي على رؤس الاشهاد يكون اشد فظاعة والاحسان للمطيع في تلك
الحال يكون اقوي تاثيرا في تحسير العاصي ففيه تاكيد التحذير وقيل المعني اينما تكونوا
من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الي جهة واحدة وتاباه
قوله ان الله على كل شيء قدير اذ لا دخل لشمول القدرة وكمالها في المعني المذكور فان مبناه
على الرخصة والتوسعة في امر التكليف لا على القدرة في امر التكوين ومن حيث ومن اي
مكان خرجت سواء كان للسفر او لامر آخر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت
وانه وان هذا المامور به للحق من ربك تاكيد على ابلغ الوجوه وما الله بغافل عما تعملون
وقرئ بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد حكمه فانه تعالى ذكر لتحويل القبلة ثلث فوايد
تعظيم الرسول عم بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة و
صاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما سناتي بيانه و
قرن بكل حكم حكمته تقريبا وتقريرا على ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الشبه
والفتن ومحال تسويل الشيطان فيحتاج الي التاكيد والتشديد ليتحققوا انه ليس بالبداء
لئلا يكون للناس عليكم حجة تعليل لقوله فولوا يعني ان في التولية عن الصخرة الي الكعبة
دفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا عم يجحد ديننا ويتبعنا
في قبلتنا واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابرهيم عم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم
الظالمون المستثنون من الناس هم المعاندون من اليهود والقائلون ما ترك قبلتنا
الي الكعبة الا ميلا الي دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم السلام
واهل مكة من العرب الذين قالوا بدا له فرجع الي قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الي
دينهم فلا تخشوهم ولا تبالوا بهم فان قولهم عناد وطعن ليس بحجة فلا يضركم وان ساقوه

مساق الحجة ولذلك استثناه من الحجة بناء على زعمهم وقراءة زيد بن علي رض الا الذين ظلموا وافقا
على حجة مستانفا للجملة مصدرة بالا للتنبيه دلت على كونه ليس بحجة فلا تخشوهم واخشوني ولا تخالفوا امري
ولكون الموصول متضمنا معني الشرط وكون الخبر جملة انشائية دخل الفاء في الخبر اي ينبغي ان
تخشوهم ويجب ان تخشوني لان الجملة الانشائية لا تقع خبرا الا على تاويل الخبرية ولاتم
نعمتي عليكم معطوف على علة محذوفة اي واخشوني لاعصمكم منهم في الدنيا ولاتم نعمتي عليكم
في الآخرة بان ادخلكم الجنة ولعلكم تهتدون الي الله وفي الحديث اتمام النعمة دخول
الجنة وعن علي رض اتمام النعمة الموت على الاسلام او على لئلا يكون او معلله محذوف اي ولاتم
نعمتي عليكم واراد في اهتداؤكم امرتكم بذلك كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متعلق بما قبله مصدرا
اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده
اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة وانما جمع بين فيكم ومنكم لان كلا منهما
واقع نافع ولا يغني احدهما عن الآخر يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به
ازكياء قدمه هنا باعتبار القصد واخره في قصة ابرهيم عم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب
والحكمة قد مر تفسيرهما ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الي معرفته سوي الوحي
وتكرير الفعل للدلالة على انه جنس آخر فاذكروني الذكر حضور الشيء للقلب كني به عما يتلوه من
الطاعة وفيه تنبيه على ان العصيان للنسيان حقيقة او حكما اذكركم كني به عن الاحسان وذلك
مشهور في كل لسان واشكروا لي يقال شكرته وشكرت له والثاني افصح ولا تكفرون حذفت الياء
من آخره ليستوي الفواصل والشكر اظهار النعمة بالاعتراف بها او بما هو كالاعتراف من القيام
بحقها والكفران ستر نعمة المنعم بالجحود او بما هو في حكمه من العمل يا ايها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر والصلوة قد تقدم الكلام فيهما حث الله تع على الصبر لانه ذريعة الي كل خير واول
كل فضل وعلي الصلوة التي هي ام العبادات القلبية والقالبية ان الله مع الصابرين يعني
ان النصر مع الصبر فمن لازمه فقد فاز بالنصر ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اي في الجهاد
لانه طريق الي ثواب الله تع ورحمته اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن
لا تشعرون كيف حيوتهم وكيف حالهم في حيوتهم اي ليس ذلك مما يدرك بالمشاعر اي الحواس
وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح و
الفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في
شهداء بدر وفيها وما روي عنه عم انه لما قتل من صناديد قريش يوم بدر من قتل جمعهم
في قليب ثم اقبل يخاطبهم بقوله هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا

فقيل له عليه السلام اتخاطب جيفا فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب دلالة على ان
الارواح مطلقا جواهر قائمة بانفسها دراكة مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت
دراكة وعليه جمهور الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وبه نطقت الايات والاثار وعلى
هذا فتخصيص الشهداء بالذكر لاختصاصهم بمزيد الزلفى ولنبلونكم لنجازيكم مجازاة المبتلى معيارا كالمحك
يظهر به جوهر النفس هل تصبر وتثبت اي لنصيبنكم بمكروه اصابة تشبه فعل المختبر بشيء ابراد
شيء وتنكيره لتقليل الابتلاء ايذانا بان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل
هو بالنسبة اليه ويخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم حتى في حال
البلاء فلو عرفوا ذلك لشكروا في موضع الصبر ولهذا شكر العرفاء وحمدوا الله على البلاء
كما شكر غيرهم على النعماء وقدمر في تفسير الفاتحة ان نعمة الدفع يتنظم العزيزين في
الدار الاخرة كما انتظمها نعمة النفع في هذه الدار وانما وعدهم ذلك ليعلموا ثواب الصبر
ويوطنوا عليه نفوسهم من الخوف والجوع اي خوف الاعداء والقحط ونقص تقليل
من الاموال بالهلاك والخسران والانفس بالقتل والموت والثمرات بالجوائح و
قلة النبات وانقطاع البركات وبشر من الخطاب المتوجه الى كل واحد ممن يتاتى
منه البشارة عند البلغاء لتعظيم الصبر وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب يستحق صاحبه
ان يبشره كل واحد الصابرين الحابسين لانفسهم على مكروه الذين اذا اصابتهم
مصيبة المصيبة ما يصيب الانسان من مكروه روي انه طفئ سراج رسول الله عليه السلام
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة
قالوا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك
وليس الصبر بالاسترجاع باللسان فقط بل لا بد معه من الاذعان بالجنان والمبشر به
محذوف دل عليه قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل
الدعاء ومن الله تعالى افاضة الكمالات والسعادات فهي من باب التحلية كما ان السلام وهو
التطهير والتجريد من باب التزكية والتخلية وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد
بالرحمة اللطف والاحسان واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
واستسلموا لقضاء الله تعالى عظم الله تعالى الصبر بوجوه بالبشارة العامة وبقوله اولئك
بعد وصفهم بما وصفهم اشعارا بان ذلك الوصف يوجب هذه الكرامة المذكورة بعده وبتكرير
اولئك وبتقديم عليهم اي عليهم خاصة وبتنكير صلوات وجمعه اي امداد راءفات متصلة
متتالية وتنويرات لا يعرف كنهها ولا يقدر قدرها وبتقييدها بقوله من ربهم ورحمة

اية رحمة وتوسيطهم وتعريف المهتدون بلام الجنس ان الصفا والمروة الصفا الحجر الصلب الاملس الذي
لا يخالطه طين ولا تراب ولا رمل ماخوذ من الصفوة وهي الخلوص والمروة هي الحجر اللين وقيل
الحجر الابيض الذي يبرق ثم جعلا علمين للجبلين بمكة من شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة
اي من اعلام مناسكه ومتعبداته من موقف ومسعى ومنحر لما ارادوا ازالة الكراهة عن انفس
الساعين بين الصفا والمروة على ما سيأتي في بيانه مهد لذلك كونهما من شعائر الله تعالى مؤكدا
بان لنفي التردد الذي فيهم اي من اعلام دينه تعالى ومعالم نعمته فثبتت عند رفع الجناح عن
الساعين بينهما فلذلك اورد فاء السببية قوله فمن حج البيت او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان
فلا جناح عليه الجناح الميل الى الاثم اصله من الجناح ونفيه ابلغ من نفي الاثم ان يطوف بهما التطوف
الدور والتطوف تكلفه واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف روي انه
كان على الصفا ونائلة على المروة وهما صنمان وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء
الاسلام وكسرت الاصنام وتحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت واحتمال الجناح لا
يندفع بالوجوب فان اليمين على المعصية يجب نقضه وفيه جناح ولهذا يلزمه الكفارة ومن
هنا اتضح وجه الحاجة الى الاخبار عن عدم الجناح في الطواف المذكور بعدما بين انه من معالم الدين
واعلم انه لا خلاف في انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجه شرعيته فعن احمد انه
سنة وبه قال انس رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى فلا جناح فان الظاهر المتبادر منه التخيير المنافي للوجوب
وقد سبق وجه دفعه ولا تصريح في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما لما ذكر
لان موجب تنزيهه على ما تقدم ان يكون لا زايدة لعدم تسبب انتفاء الجناح عن عدم الطواف
بهما لما ذكر بل هو موجب تنزيهه عما تقدم من كونهما من شعائر الله وعند ابي حنيفة واصحابه انه
واجب يجبر بالدم وبه قال سفيان الثوري وعامة اهل العلم وعند مالك والشافعي ركن لقوله عليه السلام
اسعوا فان الله تعالى قد كتب عليكم السعي ويرد عليه انه دال لكنه على الوجوب دون الركنية ومن
تطوع اي فعل طاعة فرضا كان او واجبا او نفلا او زاد على فرض عليه من حج او عمرة او طواف
خيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل او بحذف
الجار وايصال الفعل اليه لانه ليس بمتعدي فلا يصل اليه الا بضرورة وقرئ يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف فان الله شاكر مثيب على الطاعة عليم لا يخفى عليه شيء ان الذين يكتمون من احبار
اليهود ما انزلنا في التورية من البينات البينات على امر محمد عليه السلام والهدى اي اتباعه والايمان
به من بعد ما بيناه وشرحناه للناس في الكتاب في التوراة من نعته ووصفه بما لا ابهام

علبه السلام

…لا للتخيير

فيه ولا اشكال ولا اشتباه على احد فكتموه ولبسوا على الناس فمن قوله من البينات والهدى توجيه لهم الزام
ببيان استحقاقهم للعن مسجلا لما عندهم من السبب بالابهام والتبيين لانهم اعتقدوا انها آيات
بينات وهدى ثم كتموها وكذلك يلعنهم الله تعالى ويلعنهم اللاعنون احياء واذا ماتوا على الكفر والكتمان
ولم يتوبوا خص بهم اللعنة بسبب ذلك ابدا سرمدا اولئك يلعنهم الله اللعن الابعاد على وجه
الطرد وصار في التعارف دعاء ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة
والمؤمنين والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما
افسدوه من احوالهم وبينوا ما كتموه من نعته عم كما بين عبد الله بن سلام واضرابه فاولئك
اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار اي الذين ماتوا على الكفر من هولاء الكاتمين اولئك الموصوف بالكفر الثابتون
عليه حتى الموت عليهم لعنة الله والملائكة هم المخصوصون باللعنة الابدية احياء واموات اورد
في الاولى الجملة الفعلية الدالة على الحدوث المسبب من الكتمان لامكان التوبة والفعل المضارع
الدال على التجدد المترتب عليه وقتا بعد وقت متتابعا في الازمنة المتتالية وفي الثانية الجملة الاسمية
مع تقديم الخبر المشعرة للاختصاص على الدوام واللام في والناس اما للماهية والتاكيد بقوله اجمعين
لله والملائكة والناس واما للاستغراق والتاكيد لهم او للكل ثم انه يحتمل العموم لان الكفار يوم القيمة
يلعن بعضهم بعضا والخصوص من يعتد بلعنه وهم المؤمنون كان من عداهم ليسوا بالناس
او لا اعتداد بهم عند الله تعالى وقرئ والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله
لانه فاعل في المعنى كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو اي من ان ضرب زيد وعمرو او فاعلا
لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار وانما اضمرت بلا ذكر تفخيما
لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون
او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد اي المستحق للعبادة
منكم واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها والخطاب عام لا اله الا هو تقرير
للوحدانية ودفع لتوهم ان يكون اله ولكن لا يستحق العبادة منهم الرحمن الرحيم اي المنعم على
خلقه بادرار رزقه واسباغ فضله فهو مولى كل مضطر وغياث كل قانع ومعتر ولا دلالة له
فيه على ان ما سواه اما نعمة او منعم عليه فهو يكون كالحجة على الوحدانية وهما خبران آخران لقوله الهكم
او لمبتدا محذوف او صفة لقوله والهكم وفصل بالخبر ولا آله جبرا ان او اعتراض
ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات بخلاف
الارض واختلاف الليل والنهار باقبال احدهما وادبار الآخر وبالنور والظلمة والطول والنقص

والتساوي

والتساوي وقدم الليل لسبقه في الخلق والفلك السفينة المدورة يقال للواحد والجمع وقد
يعتبر على الاصل التي تجري وهو ثقيل كثيف والماء خفيف لطيف يثقل ويدبر بريح واحدة
بما ينفع الناس ما موصولة اي بالذي ينفع الناس مما يحمل فيها او مصدرية اي بنفع الناس
وما انزل الله من السماء من ماء بيان للموصول والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا
به الارض بعد موتها الاحياء والموت استعارتان للطيفان لتزيين الارض بالنبات
واخضرارها وغوها وكونها صعيدا جرزا وانما قال بعد موتها دون اماتتها تنبيها على انه مقتضى
طبعها وبث فيها البث اظهار ما كان خفيا عن الحاسة حدثنا كان او سما او غيرهما من كل
دابة الدبيب اصله حكاية صوت حركة المشي ثم قيل دب اذا مشى ويقال للكل ما يمشي دابة
وانما عطف بثها على احياء الارض لانه لا يكون الا باحيائها بالنبات والحبات وتصريف الرياح
اي صرفها الله تعالى او صرفها السحاب من جهة الى اخرى والسحاب السحب جر الثوب
والسحاب ما يجره الريح المسخر يعني للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تعالى يمطر حيث يشاء
ويرشدك الى هذا ذكره عقيب صرف الرياح ولولا ذلك لكان حقه ان يذكر قبل قوله وما
انزل الله واما ما قيل يتنزل ولا ينتشع مع ان الطبع يقتضي احدهما منظور فيه لان بعض المركبات
لا يرسب في الماء ولا يخرج منه ولا يتغير حاله فلم لا يجوز ان يكون بعض كائنات الجو شانه كذلك
والتسخير التهيئة على الفعل وهو ابلغ من الاكراه فانه حمل الغير على الفعل بلا ارادة منه
كحمل الوحي على الطحي لآيات لقوم يعقلون يتفكرون بعيون عقولهم ويعتبرون وفيه تعريض
بجهل المشركين الذين اقترحوا على الرسول عليه السلام آية في صدق قوله والهكم اله واحد
اذ لو عقلوا الكفارهم بهذه التصاريف آية ومن الناس لا يخفى على الخبير باتي هذا التعبير
من التخيير من يتخذ من دون الله من لابتداء الغاية متعلق بيتخذ او حال من
انداد او ثاني مفعولي يتخذ اندادا امثالا من الرؤساء الذين يتبعونهم ويطيعونهم
في اوامرهم ونواهيهم وقيل من الاصنام ولا يلايمه قوله اذ تبرا الذين اتبعوا
الخ يحبونهم حال من فاعل يتخذ او من مفعوله كحب الله في محل النصب على
المصدر من الفعل المبني للمفعول اي محبة كما يحب الله او المبني للفاعل اي
كمحبتهم الله اي يسوون بينهم وبين الله تعالى في الحب لانهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون اليه والذين آمنوا اشد حبا لله في موقع الحال وانما قيل حبهم اشد لانهم
لا يعدلون عنه تعالى الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن رؤسائهم الى
الله تعالى عند الشدائد وكذا يعدلون عنهم والى غيرهم والمحبة ميل القلب من

الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها و رسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي **ولو يرى الذين ظلموا** ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد **اذ يرون العذاب** اذ عاينوه عند الموت او بعد الحشر لو واذ في المستقبل استعارتان لتحقق الوقوع كانه قد وقع واخبر عنه كقوله ونادى اصحاب الجنة وحذف جواب لو ايذانا الى انه لا يمكن التعبير عنه اما لكونه ادى على العبادة او كونه ممتنع الاكتناه اولا يحمل المعنى لغاية الضجر والجزع والتعجب عليه او المستمع وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول او كل مخاطب على ما ذكر من التحتم ومعناه لو رايت امرا عظيما لا يمكن وصفه وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول **ان القوة لله جميعا** ساد مسد مفعولي يرى اي ولو يعلمون حين يعاينون العذاب يوم القيمة ان القدرة المطلقة على كل شيء من الثواب والعقاب كلها لله تعالى دون من سواه من الانداد وغيرهم **وان الله شديد العذاب** للظالمين لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الحسرة والندم على ظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار و قرئ ان في الموضعين بالكسر على الاستيناف او على اضمار القول **اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا** بدل من اذ يرون العذاب اي اذ تبرأ المتبعون من الاتباع و قرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في **ورأوا العذاب** للحال و قد مضمرة اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب و قيل عطف على تبرأ **وتقطعت بهم** عطف على تبرأ **الاسباب** الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والانساب و المحاب وسائر انواع الاتباع والاستتباع واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر **وقال الذين اتبعوا** على من قرا فيما سبق بالعكس ان يتبرأ هنا على البناء للمفعول **لو ان لنا كرة** الكرة الرجوع عن الشيء **فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا** نصب بفاء الجواب لما في لو من معنى التمني اي ليت لنا كرة فنتبرأ منهم واستعيرت لامتناع التمني والتبرء الانفصال ومنه برأ من مرضه اذا انفصل منه بالعافية **كذلك** نصب على المصدر من يريهم اي مثل ذلك الاراء الفظيع **يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم** يقال حسر يحسر حسرة وحسرا اذا اكد على الشيء الفائت و تلهف عليه وهي عن الندم واشد منه حالا لان رؤية الاعمال تكون بالبصر على ما نطق به الخبر عن خير البشر وبه فسر ابن عباس رضي فقال اراد به الاعمال التي عملوها من الحسنات

الدوام بعد

بزعمهم يرونها حسرات عليهم حيث احبطوها وهم في **وما هم بخارجين من النار** لحمل الجلا اسمية بحسب العرف كما في قوله وما هم بمؤمنين اي وما هم بخارجين من النار دائما مادام هو هم ولتخصيص السلب بهم اي بالمشركين من بين المكلفين لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي هم خاصة ليسوا بخارجين من النار كقولك هم الفقوم كل القوم يا ام خالد لا لسلب التخصيص فان ارادة السلب متاخرة عن اداة التخصيص معنى وان تقدمت عليها لفظا والباء في الخبر لتاكيد النفي **يا ايها الناس كلوا** الاكل هو البلع عن مضغ ومن في قوله **مما في الارض** ان كانت لابتداء الغاية فقوله **حلالا** مفعول وان كانت للتبعيض فما مفعول وهو حال او صفة مصدر محذوف وهذا اوجه الاوجه لان حل الاكل يستلزم حل الماكول دون العكس فان الحلال قد يوكل على وجه يحرم او يكره كالاكل فوق الشبع او صائما او في مجلس الفسق **طيبا** طاهرا عن كل شبهة والى هذا اشار من قال الحلال ما ليس بمحظور والطيب ما ليس بمحذور والاية نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس والامر في الماكول امر في الملبوس دلالة **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** اي لا تقتفوا اثاره اعتقادا او قولا وعملا وقد اجتمع هذه الثلثة في سبب النزول ومن فسره بالنهي عن مطلق الاتباع فقد ضيع ما في عبارة الجمع من الاشارة اللطيفة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته وقرئ خطوات بضمتين وضمة وسكون الطاء وبفتحتين وفتح وسكونها والخطوة بالفتح المرة من الخطو وهو نقل قدم الماشي والخطوة بالضم اسم ما بين قدمي الخاطي وهما كالقبضة والقبضة **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة عداوته لهم لا تنافي ولايتهم اياه المفهومة من قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت حتى يحتاج الى التكلف في التوفيق بان يقال سمي وليا لاظهاره الموالاة لمن يغويه **انما يامركم** استيناف لبيان وجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي ما يامر الا بالشر استعير الامر لوسوسة الشيطان وتزيينه تشبيها في تسلطه عليهم بامر مطاع وتشبيها في قبولهم لها وطاعتهم له بالطبع بمطيع ليتاتوا ويرتدعوا **بالسوء والفحشاء** ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباح الشرع اياه وقيل الفحشاء ما يظهر قبحه من المعاصي او ما يجاوز الحد في القبح من العظائم وبرده قوله كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه

احد وان تقولوا على الله القول اذا تعدي بعلي يكون بمعنى الافترآء اي وان تفتروا عليه تعالى فلا تعرض
في الآية لاتباع الظن ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات والافترآء عن جهل
محض ابلغ من الافترآء عن ظن فاسد واذا قيل لهم الضمير للناس على طريقة الالتفات و
السر فيه انهم وقعوا في حد البعد والغيبة في طاعة الشيطان وانهم في غاية الجموح و
الضلال الى حد لا يستاهلون للخطاب اذ لا ضال اضل من المقلد للباطل كانه يقول
للعقلاء انظروا الى هولاء الحمق ماذا يجيبون الداعي اتبعوا ما انزل الله في عبارة
ما انزل اشارة الى وجه وجوب الاتباع قالوا بل نتبع ما الفينا ما وجدنا عليه آباءنا
لانهم كانوا اخيرا مما نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله
من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد والهمزة في اولو كان آباؤهم للرد والتعجب و
الواو للحال اي يتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون جملة لا يتفكرون في امر الدين شيئا
ولا يهتدون الى الحق لو في مثل هذا التركيب يجيء تنبيها على ان ما بعدها غير مناسب لما قبلها
كما في قوله اعطوا السائل ولو جاء على فرس والمعنى على كل حال وذلك انها تجيء لاستقصاء
الاحوال التي يقع عليها الفعل ويدل على ان المراد بذلك وجود الفعل في كل حال
حتى في هذه الحال التي لا يناسب الفعل واذا قصد التوبيخ والتعجب كما في
هذه الآية لا يكون ايرادها لاستقصاء الاحوال ولما كانت الواو للحال لم يحتج لو الى
جواب لان الشرط انما يقع حالا اذا انسلخ عن معنى الشرط ولا دلالة في الآية
على المنع من التقليد لمن قدر على النظر بل الظاهر منها انه انما ينكر اذا كان المقلد
ضالا ومثل الذين كفروا قدر معنى المثل وفيه اضمار تقديره ومثل داعي الذين
كفروا كمثل الذي او مثلهم كمثل بهائم الذي والاضمار في الكلام من الايجازات
المعتبرة في البلاغة لتنبيه الذكي عند الخلل المعنوي في الحمل على الظاهر على المضمر
ثم على خصوصيته بالقرائن اللفظية او المعنوية فيتشبث في التدبر ويتفهم بفضل
التفكر فيتحقق المعنى هذا انما يجب بحسب جليل النظر والذي يجب بحسب دقيق النظر كما
في نظيره او كصيب من السماء من ان التشبيه التمثيلي لا يلزمه ان يكون ما يلي
اداة التشبيه هو المشبه به فلا حاجة الى تقدير شيء ينعق بما لا يسمع قال صاحب
العين نعق الراعي بالغنم اذا صاح بها زجرا الا دعاء ونداء الدعاء للقريب والنداء
للبعيد ولذلك قال الاعرابي اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه صم هم
صم ترفع على الذم بكم عمي اي ومثل داعيهم الى الايمان كمثل الناعق بالبهائم في انهم

لا يسمعون

لا يسمعون الا دعاء الداعي وتصويته من غير فهم المعنى وتعقله او بالاصم الذين لا يسمع من دعاء
الرافع صوته بكلامه الا التصويت والنداء من غير تمييز الحروف وادراكها وقيل مثلهم
في تقليدهم اباءهم واتباعهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم معناه
فكذلك يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون ما هم عليه احق هو ام باطل فهم لا يعقلون
اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس
كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا الطيبات
مما رزقوا ونبه على ان الطيب اخص من الحلال وان يعتنوا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما رزقكم واحل لكم ولما تضمن الامر الاول الامتنان ناسبه الخطاب وما في
الامر الثاني من التنبيه على استحقاقه تعالى للشكر ليس لكونه رازقا لهم ومبيحا
لطيبات الرزق بل لكونه خالقا للعالم ومتدبرا فيه جميع ما يستوجب الشكر اقتضى
العدول عن الخطاب الى الغيبة وعن التفريع بالفاء الى العطف بالواو ان كنتم اياه تعبدون
فان عبادته لا تتم الا بالشكر وتقديم المفعول لها فقط الفاصلة كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا
تعبرون اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليل وذلك ان تقول كان الظاهر ان يقول ان كنتم
تعرفون انه مولى النعم كلها الا انه كنى عنه بلازمه وهو تخصيص العبادة اياه تعالى انما حرم
عليكم الميتة قرئ حرم وحرم وحرم بالتخفيف والميتة بالتخفيف والتشديد وكلمة انما قد
لا يكون للقصر كما في قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الآية فلا حاجة الى ان يقال ان
ما ابين من حي في حكم الميتة بالحديث وان المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه مطلقا
وانما لم يستثن السمك والجراد من الميتة والكبد والطحال من قوله والدم وان احلت علينا
قال رسول الله عم احلت لي ميتتان ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد
والطحال بناء على انها يتعارفه الناس ويتفاهم في العادة ولما كان المتبادر من الحرمة المضافة
الى العين حرمة التصرف فيه مطلقا زاد عبارة اللحم في قوله ولحم الخنزير قرينة صارفة عنه دالة
على ان المحرم اكل العين المذكور لا الانتفاع به مطلقا حتى يلزم انفساخ النص بالحديث في جلد
الميتة وانما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وهذا
الوجه ايضا لا يساعد تقيد والانتفاع العام للاكل وغيره وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه لغير الله تعالى صنما كان او نارا او غير ذلك وما ذكر معناه الاصلي على ما نص عليه الجوهري
والهلال غرة القمر انما سمي به لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير فمن اضطر غير باغ على مضطر آخر
بالاستيثار ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه في تناوله دل بمفهومه على ثبوت الاثم في

تناوله غير مضطر وبهذا الاعتبار صح تفريعه على ما تقدم فيه وليس على اعتبار المفهوم كما هو مذهب الامام
الشافعي فانه لولا اعتباره لما صح تصدير الكلام المذكور باداة التفريع ان الله غفور اي يغفر
المعاصي فاولى ان لا يؤاخذ بما رخص فيه او غفور لما عسى ان يفرط عند العمل بالرخصة رحيم
بالرخصة فيه فهو متعلق بالاول ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قد مر تفسيره وبيان ما
في عبارة الشراء من المزية على عبارة الشري والعوض ونحو ذلك قليلا ليس المراد به انهم اذا اشتروا
به ثمنا كثيرا كان جائزا بل المعنى ان كل ما ياخذونه في مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل اولئك
ما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه قال الشاعر كلوا في
بعض بطنكم تعفوا فمرادهم من الاكل في البطن الاكل في جميع البطن والظاهر ان التعدية
بفي لتضمين معنى الاستقرار المناسب للمقام فان الاكل قد يعقبه الدفع خصوصا
اذا كان الماكول غير ملائم للطبع وذكر الاكل لكونه المقصود الاول من تحصيل المال
وذكر في بطونهم تنبيها على شرههم وتقبيحا لتضييع اعظم النعم لاجل المطعم الذي هو اخس مطلب
من الدنيا الا النار مجاز من باب اطلاق اسم المسبب على السبب او الغاية على الشيء
لتلبسه بها فانهم اذا اكلوا السحت وهو الرشى على الكتمان لزمهم عقوبته التي هي النار
فكانهم اكلوا النار ومنه قولهم اكل الدية التي هي بدل منه ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم
عبارة عن غضبه تعالى عليهم لان من غضب على صاحبه صرمه وقطع كلامه وقيل تعريض
بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله تعالى اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء ولهم عذاب اليم
مولم وتقديم الجار والمجرور رعاية للفاصلة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا
والعذاب بالمغفرة في الاخرة والحاجة الى المغفرة اشد من الثواب فالحرمان في فقدها اقوى
ولهذا آثرها عليه مع انه انسب لان يذكر مع العذاب لفظا ومعنى فما اصبرهم على النار
تعجب من حالهم في ارتكاب موجبات النار والتباسهم بها من غير مبالاة منهم به كما
تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن يريد انه لا يتعرض
لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص
قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر
محذوف ذلك اي العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق اي نزل ما نزل
من الكتاب متلبسا بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب الظاهر ان المراد به القرآن
واللام اشارة الى انه الجنس المسمى كتابا اي الكامل في كونه كتابا كان ما عداه من الكتب
لا يستاهل بعده ان يسمى كتابا والاظهار في موضع الاضمار للتعظيم وترجيه

فائدة اللام وبيان ان الاختلاف فيه عظيمة من العظائم ولهذا فسره في الاول بالحق واختلافهم
فيه قول بعضهم سحر وقول بعضهم شعر وقول بعضهم اساطير الاولين لفي شقاق بعيد عن الحق
والشقاق اخبار كل من المخالفين عن شق صاحبه للخلاف وطلب كل منهما ما
يشق على الاخر ليس البر البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير ان تولوا وجوهكم
الخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت قبل المشرق
اي مقابله كفعل النصارى والمغرب اي قبل المغرب كفعل اليهود وذلك منسوخ فهو
اثم لا بر وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرئ بان تولوا بالباء لتاكيد
النفي ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر اي بالمبدا والمعاد والملائكة والكتاب والنبيين
اي بالشرائع المتحققة في اصول الدين المنزلة على الانبياء عليهم السلام بواسطة الملك
وللتنبيه على جهة الاتحاد قال والكتاب دون الكتب وانما قال والملائكة دون والملك
لان سفير الوحي وان كان واحدا الا انه قد انزل بعض الكتب وانما قال والملائكة
دون بل بعض سور القرآن بجم غفير من الملائكة تعظيما لشان المنزل والمعنى واسم
ولكن البر هذه العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة والوصف كما يذكر في مقام الموصوف
بلا حذف ولا تجوز بحسب اللفظ كما في قولك رجل عدل فان التجوز فيه في الاسناد
دون المسند كذلك يذكر الموصوف في مقام الوصف بلا حذف ولا تجوز بحسب اللفظ
كالذي نحن فيه تنزيلا للموصوف منزلة ولا يخفى ما فيه من المبالغة في شان
ذلك الوصف وتعظيمه على عكس ما في المثال المذكور فان المبالغة فيه في شان الموصوف
ولدقة الفرق بين الاعتبارين ذهب على كثير من الحذاق وفي المصير الى التقدير
في مثل هذا المقام تنزيل للكلام عن منزلته الرفيعة وتغيير لصورته البديعة على
انه اذا قيل ولكن البر من آمن يفهم منه عدم الاعتبار لبر من قصر في بعض تلك
الاعمال واذا قيل ولكن ذا البر من آمن الخ يخرج الكلام عن سنن الانتظام و
ايضا لو قصد هذا لكان المناسب ان يقال ولكن البر بفتح الباء وآتى المال على حبه
اي على حب المال والشح به كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت
صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى الايتاء اعم من الصدقة
فلا يشترط فيها الفقر وقد فسره بالزكوة فانصرف الى المندوبات من الصدقات
وقدم ذوي القربى لانهم احق بالاحسان قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى

ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة **والمساكين** جمع مسكين وهو الدايم السكون الى الناس لشدة فقره او الدايم السكون في البيت لعدم اللباس او لعدم القوة كالمسكير الدايم السكر **وابن السبيل** المسافر المنقطع به وجعل ابنا للسبيل لملازمته له **والسائلين** المستطعمين **وفي الرقاب** اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى وفي العطف بعبارة الجمع اشارة الى فضل التشريك الى هذه الانواع **واقام الصلوة** مفروضة كانت او واجبة **واتى الزكوة** المفروضة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** عطف على من آمن **والصابرين** نصب على المدح لبيان فضيلة الصبر في الشدايد ومواطن القتال واظهار الفضل الصبر على ساير الاخلاق والاعمال **في البأساء** في الفقر والشدة **والضراء** المرض والزمانة **وحين البأس** وقت مجاهدة العدو **اولئك الذين صدقوا** كانوا صادقين في الدين جادين **واولئك هم المتقون** اي هم الموفون حق الصدق قولا وفعلا وعقدا وحق التقوى خطرا او كراهة وندبا والصدق فيما يفعل والتقوى فيما يترك فالآية جامعة للكمالات الانسانية باسرها واليه اشار النبي عم في قوله من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص** تخصيص الخطاب بالمومنين لا لاختصاص الحكم المذكور بهم بل للتنبيه بخطابهم بوصف الايمان عند ايجاب القصاص عليهم بقتل العمد الذي هو من الكباير التي ورد فيها اشد وعيد وتهديد على ان الكبيرة لا تزيل الايمان واصل الكتابة الخط وكنى بها عن الالزام وهذا الوجوب على الناس كافة فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو السلطان اذا طلبه الولي ومنهم من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل ومنهم من يلزمه المعاونة او الرضا به ومنهم من يلزمه ان لا يتعدى بل يقتص او ياخذ الدية او يعفو والقص قطع الشي على سبيل الاحتذاء ومنه قص شعره وقص اثره وقص الحديث اقتطع كلاما حاذيا اخذ وغيره والقصة اسم منه وحقيقة القصاص ان يفعل بالقاتل او الجارح مثل ما فعل فيه اشارة الى ان القصد بالآية منع التعدي فان اهل الجاهلية كانوا يتعدون في القتل وكلمة في **في القتلى** للتسببية كمن في قوله لمتنني فيه والقتلى جمع قتيل والاتيان بصيغة الجمع للاهتمام في المنع عن التعدي فانه اذا كان ممنوعا في قتل جماعة فالمنع عنه في قتل واحد بطريق الاولى **الحر بالحر** اي يقتص الحر القاتل بالحر المقتول ولا يتعدى من الحر الى العبد لخساسة ولي المقتول ولا من واحد الى اثنين لشرفه **والعبد بالعبد** ولا يتعدى من العبد الى الحر لشرف مولى المقتول وقبيلته **والانثى بالانثى** ولا يتعدى من الانثى الى الذكر لشرف المقتول كان بنو النضير يقولون

لبني قريضة اذا قتلتم منا عبدا قتلنا منكم حرا واذا قتلتم منا امراة قتلنا منكم رجلا واذا قتلتم منا حرا قتلنا منكم حرين وكانوا على ذلك فيلاظهور النبي عم فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباووا ولا دلالة فيها على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا دلالة على عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص وجه سوى اختصاص الحكم وقد ظهر هنا وجهه فلا متمسك للقائلين بحجية المفهوم في هذه الآية لاثبات ما قالوا من عدم قتل الحر بالعبد **فمن عفي** تفريع على ما في عبارة القصاص من الاشارة الى ان المكتوب حق العبد سقط باسقاطه **له** مفعول به لكن لكونه بواسطة حرف الجر كان مساويا للمصدر وغيره في جواز الاسناد اليه **من اخيه** اي جهة اخيه يجوز ان يتعلق بالفعل وان يكون حالا من شي يعني ولي الدم وانما ذكره بهذه العبارة تذكيرا لما بينهما من الاخوة الدينية والجنسية ليرق له ويعطف عليه فيتساهل **شيء** اي شي من العفو بان كان للقتيل اولياء فعفا بعضهم فصار نصيب الباقي مالا وهو حصتهم من الدية فهو في موقع المفعول المطلق المقيد الموصوف مثل ضرب ضربا شديدا لما في تنكير شي من الدلالة على ذلك وفايدة الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص ولا يصلح ان يكون شي مفعولا به لان عفي لا يتعدى بنفسه الى المفعول به لكن يعدى الى الجاني باللام وكان اصله في الآية فمن عفي له عن جنايته من اخيه فاستغنى بذكر القصاص في القتلى عن ذكر الجناية واما عفى بمعنى ترك المتعدي بنفسه الى المفعول به فلم يثبت وانما ثبت اعفى ولما انقلب حق يا في الورثة في الصورة المذكورة من القصاص الى الدية قال **فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان** اي فعلى الولي اتباع بالمعروف بان لا يتجاوز عن حد المعهود في الدية باخذ الزيادة عن حصته منها ومن مماطلة وجه التعنيف في المعروف وعلى الجاني اداء اليه باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه على ان كلا منهما مبتدا او فاعل للظرف او فليكن اتباع من الولي واداء من الجاني على الفاعلية فيهما او فعلى الولي اتباع وامر الجاني اداء على الخبرية فيهما وفي هذه التوصية لهما ترتبية لفايدة الاخوة **ذلك** اشارة الى المذكور صريحا وهو العفو المستلزم للدية وضمنا وهو العفو العاري عنها وذلك ان عفو بعض القصاص لما كان مشروعا لكونه حق العبد علم منه بطريق الدلالة ان عفو كله ايضا مشروع **تخفيف** تسهيل بدفع القصاص عن الجاني **من ربكم ورحمة** بنفع الولي حيث لم يضع حقه والفصل بينهما بقوله من ربكم للايذان بتعلقه بهما كما في قوله تع لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قال ابن عباس والحسن البصري

كان في شريعة موسى ع العفو لا غير وفي شريعتنا القصاص ثابت والعفو حسن او الصلح جائز على
جائز على حسب ما يراه العبد انفع له واشفى لغليله واوفق لمراده ومن قال خيرت هذه
الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو لم يصب اذ ليس الكل منها باختيار الولي لانه
بدل صلح لا يمكن الا برضاء الجاني بقي هنا شيء وهو ان قولهما في شريعة موسى ع القتل
لا غير محل بحث فان ما يأتي في تفسير قوله تع في سورة الاعراف يأخذوا باحسنها ان
الحسن هو الاقتصاص والاحسن العفو صريح في ان ذلك في التورية اذ ضمير احسنها للالواح
فمن اعتدى بعد ذلك الحكم والتخفيف فتجاوزه بقتل غير القاتل او القتل بعد العفو او اخذ الدية
فله عذاب اليم نوع من العذاب اليم شديد الالم ولكم في القصاص حيوة كلام كامل في الفصاحة وعالي
الطبقة في البلاغة لم يوجد اقل مسموعا واجل مفهوما منه مع اشتماله على الغرابة التي هي من
نكت البلاغة وذلك ان القصاص قتل وتفويت للحيوة فجعل محل الحيوة وعرف ونكر
حيوة وقدم الخبر وخصص الخطاب باولي الالباب بقوله يا اولي الالباب اشعارا بانه
لا يفهم معناه الا ذو اللب اي لكم خاصة ايها العقلاء في هذا الجنس من الحكم نوع من الحيوة او
حيوة عظيمة لا يقدر قدرها اذ لو لم يشرع وكان ما كان في الجاهلية من قتل غير القاتل
وقتل الجماعة بواحد لوقع الهرج والمرج بين الناس وهاجت الفتن والحروب وارتفع الامن
من الناس فانقطعت تلك النائرة بشرع القصاص وارتدع كل من هم بالقتل لعلمه بذلك
فسلم المقتول من القاتل والقاتل من القود ولم يجترئ احد من اولي الالباب على القتل فان
الناس وتلك حيوة للخلق كثير في امن وسلامة وسعة فضلا عن النفسين فلذا قال لعلكم تتقون
القتل بغير الحق اي اريتكم ما فيه من الحيوة لكي تتقوا ويجوز ان يختص الخطاب بالائمة وهم
اولوا الالباب اي لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به كتب عليكم امر الوصية
لا بد في اقامته من جماعة فلهذا اتى بصيغة الجمع هنا اذا حضر احدكم الموت اي قرب منه بظهور
اماراته ان ترك خيرا اي مالا طيبا وكان هذا القيد لا بد منه لان المال الخبيث لا يجوز الوصية
به لما فيها من الاثم والتنوين للتكثير لما روي عن عايشة رض ان رجلا اراد ان يوصي فسالته
كم مالك فقال ثلثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تع
ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين الوصية
فاعل كتب وتانيثها ليست بحقيقية فيجوز تذكيرها ولا حاجة الى ما قيل وتذكير الفعل
للفاصل او لانها بمعنى ان يوصي ولهذا ذكر ضميرها في قوله فمن بدله والعامل في اذا
مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها بالمعروف بالعدل المعهود وهو ان لا يوصي للغني ويدع

الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين كان هذا الحكم في بدء الاسلام
فنسخ بعد نزول آية المواريث بقوله عم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
فانه وان كان من الاحاد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر ولعلهما لانهم لا
يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته فمن بدله اي قول الموصي بعد بينة قوله بعد
ما سمعه اي غيره عن وجهه من الاوصياء والشهود والحكام ولا حاجة الى ان يقال ان كان
موافقا للشرع لان الذي لا يوافقه مردود لا مبدل فانما اثمه اي اثم التبديل او الايصاء
المبدل على الذين يبدلونه لا على الموصي والموصى له وانما اتى هنا بصيغة الجمع لان التبديل انما
يتيسر بالاتفاق فان الوصي مثلا انما يقدر على التبديل بمساعدة الشهود ولو بالسكوت
وكذا الحال في غيره ان الله سميع بقول الموصي عليم بفعل الوصي وغيره من الذين يبدلون
الوصية ظاهره الاخبار وباطنه الوعيد للمبدل ومن يساعده فيه فمن خاف يراد بالخوف
في مثل هذا ما يلزمه من التوقع والظن الغالب اذ لا خفاء في انه لا معنى للخوف من الجنف
والاثم بعد الوقوع من موص جنفا ميلا عن الحق او اثما تعمد الحيف قال الربيع الجنف في الخطاء و
الاثم في العمد فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون او بين الموصى لهم والورثة
بردهم الى الحق وجاز اضمارهم لانفهامهم من سياق الكلام بمعونة المقام قال الراغب ولا فرق
بين ان يخاف منه ذلك قبل موت الموصي فيرشده او بعد موته فيصلحه وليس الاصلاح مقصورا
على ايقاع الصلح دون استعمال الصلاح بل يتناولهما فلا اثم عليه اي على المبدل لانه تبديل
باطل بحق وانما قال هذا لانه لما خوف في الآية الاولى من تغيير الوصية بين ان النهي عن تغييره
فيما لا جنف ولا اثم فيه فاما اذا كان فيه شيء من ذلك فلا شيء في تغييره ولما كان ما تضمنه الكلام
السابق من الوعيد باعتبار احاطته تع بالظواهر والسرائر علما ناسب ان يرتب على ما في هذا
الكلام من الوعد لمن قصد بتغيير الوصية الصلاح فصدره باداة الترتيب وبين بقوله ان الله غفور
انه يتجاوز عما عسى ان يسقط من المصلح مما لا يجوز رحيم بالرخصة فيما ذكر يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم
تخصيص الخطاب بالمؤمنين لا لاختصاص الكتاب المذكور بهم بل لاشتراط صحة المكتوب بالايمان
فلا متمسك فيه لمن قال ان الكفار غير مخاطبين بالعبادات الصيام الصوم قال الخليل الصوم قيام
بلا عمل والصوم الامساك عن الطعم وفي الشرع الامساك بالنية في النهار الشرعي عن المفطرات كما كتب
نصب على المصدر اي كتبا كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن
آدم ع م يعني انه عبادة قديمة ما اخلى الله تع امة من افتراضها عليهم ففيه توكيد للحكم وترغيب
على الفعل وتطييب على النفس والتشبيه في اصل الوجوب فقط دون في الاصل والقدر والوقت

الا وصية لوارث

من غفل عن هذا قال ما قال

جميعا **لعلكم تتقون** الله بالمحافظة عليها لقدمها واصالتها فانها ما فرضت عليكم وحدكم او تتقون المعاصي
لان الصيام اردع لنفسه فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبداها كما اشار اليه عم بقوله فان
الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين فان الصوم شعارهم **اياما معدودات** موقتات
بعدد معلوم او قلائل لقوله تع دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد
والكثير يحثى حثيا نصبها على الظرفية للصيام وقد جوز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل
وان لم يجز في غيره والمراد بها ما وجب صومه قبل فرضية رمضان ونسخ به وهو عاشورا
او ثلثة ايام من كل شهر ويجوز ان يراد بها رمضان والاول اولى اذ الانسب على الثاني ان يقال
شهرا معلوما كما قيل الحج اشهر معلومات وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي ان
رمضان كتب على النصارى فوقع في حر او برد شديد فحولوه الى الربيع وازدادوا عليه عشرين
كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم **فمن كان منكم مريضا** ذهب بعضهم الى ان كل مرض
يبيح للافطار اخذا باطلاق النص وبعضهم الى ان المراد المرض الذي يضر الصوم او يعسر معه
لقوله تع يريد الله بكم اليسر **او على سفر** لم يقل مسافرا ليتناول من دخل بلدة ومكث فيها اياما
لا بنية الاقامة فان ما ذكر يطلق عليه دون ما ترك **فعدة من ايام اخر** اي فعليه صوم عدة
ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها
كذا قالوا وفيه ان وجه التعليل المذكور ظاهر في حذف المضافين لانه يحكم قانون العربية
واما في حذف الشرط فلا لانه يحكم الشرع ولم يعلم بعد انه حتم او معلق بشرط وكذلك قال بعضهم
يكون عليهما ان يفطروا ويصوموا عدة من ايام اخر ولعله حذف مساغا للاجتهاد فيه وقرئ فعدة
بالنصب اي فليصم عدة **وعلى الذين يطيقونه** اي المطيقين للصيام ولا عذر لهم ان افطروا و
قرئ يطوقونه على البناء للمفعول تفعيل من الطوق بمعنى الطاقة اي يكلفونه او القلادة اي
يقلدونه ويقال لهم صوموا وقرئ يتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء
في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل
من الطوق فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء كقولهم ديار المكان وما بها ديار وهو
اما بمعنى يطيقونه او يقلدونه ويتقلدونه واما بمعنى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم
الشيوخ ويجوز ان يكون معنى يطيقونه ايضا هذا اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فدية
طعام مسكين** نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز قيل
رخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوا ثم نسخ وقد نبهت
فيما تقدم على انه لا حاجة الى المصير الى النسخ وقرئ فدية منونا وطعام مرفوعا بدلا منه فدية

ومسكين من داوجها وقرئ بالاضافة والجمع وتبين بقراءة الافراد ان الحكم لكل يوم يفطر فيه طعام مسكين
فمن تطوع خيرا بان زاد في الطعام للمسكين او في عدد من يلزمه اطعامه وانتصابه خيرا على
انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على اسقاط الحرف اي بخير لانه غير قياسي ومن
قراءة من جعل تطوع ماضيا يحتمل الموصولة والشرطية وفي قراءة من قراها بجزم وما شرطية
فهو اي فالتطوع **خير** اي اكثر خيرا **له** من الاقتصار على القدر المفروض **وان تصوموا** ايها
المطيقون او المطوقون **خير لكم** من الفدية على اي وجه كان **ان كنتم تعلمون** جوابه محذوف
دل عليه ما قبله اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك **شهر رمضان**
مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن او فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط
وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه او بدل من الصيام في قوله
كتب عليكم الصيام والذي انزل صفته او خبر مبتدا محذوف اي هو او هي الايام المعدودات
وقرئ بالنصب بدلا منها او على صوموا شهر رمضان ولا يجوز ان يكون مفعولا لتصوموا
اذ يلزم الفصل بين المعمول وعامله بالخبر والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك
لارتماضهم فيه من حر الجوع والظما او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة وقد يحذف المضاف لامن الالتباس عليها جاء في الحديث من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه **الذي انزل فيه القرآن** اي ابتداء فيه انزاله وكان
ذلك في ليلة القدر وقيل انزل الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن
وهو قوله تع كتب عليكم الصيام **هدى للناس** الى الحق حال **وبينات** واضحات عطف عليه
من الهدى من جملة ما يهدي الله به الناس **والفرقان** وما يفرق به بين الحق والباطل من وحيه
وكتبه السماوية الهادية الفارقة بينهما **فمن شهد منكم الشهر** اي فمن شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صليتها وعلى هذا ينتظم الامر المريض و
المسافر ولا بد منه لان اصل الوجوب ثابت في حقهما والساقط بالرخصة المستفادة من قوله
ومن كان مريضا او على سفر انما هو وجوب الاداء فلا وجه لان يكون شهد بمعنى حضر لاستلزامه
اختصاص الامر بالمقيم ولا صحة له اذ يلزم ان يكون المذكور في حق المسافر عزيمة وعلى
تقدير حمل الوجوب المستفاد من الامر على وجوب الاداء لا وجه لتخصيص المقيم بالذكر دون
الصحيح ثم ان اختصاص وجوب الاداء بما عدا المريض والمسافر قد علم من قوله فعدة
من ايام اخر فالوجه ان يحمل ما قبله على اصل الوجوب لان الافادة خير من الاعادة **فعدة من**

أيام أخر الملاء إذا اقتضى التخيير بين الجمع والتفريق ولا يجوز تقييده بالتتابع بخبر الواحد لأن التقييد نسخ ولا يجوز نسخ الكتاب بأخبار الآحاد **يريد الله بكم اليسر** برخصة الإفطار بعذر المرض والسفر **ولا يريد بكم العسر** بإيجاب القضاء متواليا وبلا تأخير عنه وزوال العذر وفي عبارة يريد الله إشارة إلى أن الله سبحانه تعالى الإفطار عند أحد هذين العذرين لما في مقابلة عدم قبول الإحسان والامتنان به وقد نبه النبي عليه السلام على هذا بقوله ليس من البر الصيام في السفر وما في الأداء في رمضان من الفضيلة لا تعارض هذا الاستحباب والله تعالى أعلم **ولتكملوا العدة** يجوز أن يعطف على علة محذوفة أي لتعلموا ما شرع لكم ولتكملوا العدة أو على اليسر أي يريد بكم اليسر ويريد لتكملوا العدة كقوله يريد الله ليذهب عنكم الرجس **ولتكبروا الله** قيل هو تكبير يوم الفطر وقيل عند الإهلال ضمن فعل التكبير معنى الحمد فعدي بعلى فكأنه حامدين **على ما هداكم** على ما هداكم **ولعلكم تشكرون** أي إرادة أن تشكروا بجاز الإشراك المرجو والمراد في الترجي والأفصح أن يجعل ولتكملوا العدة إلخ علة لفعل محذوف مدلول عليه بما ذكر من قوله فمن شهد منكم الشهر أي ولهذه الأمور شرع ذلك فقوله ولتكملوا العدة علة للأمر في قوله فعدة ولتكبروا الله على ما هداكم علة للأمر بصوم الشاهد في الشهر وإفطار المسافر والمريض وما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر أي ولتعظموا الله وتثنوا عليه ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يطلع عليه إلا الحذاق من علماء البيان **وإذا سألك** مرتبط لما تقدم من جهة أنه لما حث على تكبيره وشكره بين أن الذي يذكرونه ويشكرونه قريب منهم ولهذا فصله به بين حكم رمضان **عبادي** شرفهم بالإضافة إلى نفسه **عني** أي عن صفتي ومعاملتي معهم إذا دعوني **فإني قريب** لم يقل فقل إني قريب كما في سائر سؤالاتهم لأنه تعالى تولى جوابهم حيث كان عنه سؤالهم فتقدير الكلام فقل إني قريب روي أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت تمثيل الحال في إجابة الداعي بحال من قرب مكانه من مكانه فيلبيه إذا دعاه لأنه تعالى عن المكان فإنه كان ولا مكان وهو الآن على ما كان **أجيب دعوة الداع إذا دعان** تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة مقرونا بشرائطه بالإجابة من الوجوب وهو القطع فإجابة السائل القطع بما سأل لأن سؤاله على الوقف أيكون أم لا يكون **فليستجيبوا لي** أي أنا أجيبهم فيما دعوني فعليهم أن يجيبوني فيما دعوتهم إليه بالائتمار فيما أمرته والانتهاء عما نهوا عنه قال أبو عبيدة الاستجابة واحد كالإنابة والاستنابة وأنشد لكعب بن سعد الغنوي ۝ وداع دعا يا من يجيب إلى الندى ۝

فلم يستجبه عند ذاك مجيب ۝ أي لم يجبه هذا ما بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيقه وهي إنما قال فليستجيبوا ولم يقل فليجيبوا اللطيفة وهي أن حقيقة الاستجابة طلب الإجابة وإن كان قد يستعمل في معنى الإجابة فبين أن العباد متى تحروا إجابته بقدر وسعهم فإنه قد يرضي عنهم هذا فيما يتولاه الجوارح من الأعمال وأما الذي يتعلق بالإذعان القلبي والإيمان فلا بد فيه من حقيقة الإجابة ولهذا أفرده بالذكر بقوله **وليؤمنوا بي** مع انتظامه بما تقدم بحسب جليل النظر **لعلهم يرشدون** راجين الرشد وهو إصابة الخير ونقيضه الغي وقرئ بفتح الشين وضمها أما الأول فمن الرشد بالفتح يقال رشد يرشد رشدا فهو رشيد من حد علم وأما الثاني فمن الرشد بالضم يقال رشد يرشد رشدا بالضم فهو راشد من حد دخل وقرئ بالكسر أيضا **أحل لكم ليلة الصيام** نصب على الظرف وإنما لم يقل ليالي الصيام اكتفاء لدلالة الكلام ولا يخفى لطفه على ذوي الأفهام **الرفث إلى نسائكم** روي أن المسلمين كانوا إذا صلوا العشاء أو ناموا حرموا عليهم المفطر إلى القابلة وإن لم يفطروا ثم إن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم وأتى النبي عليه السلام واعتذر إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت والرفث في الأصل هو قول الفحش ثم جعل اسما للإفصاح بما يجب أن يكنى عنه عند النساء من معاني الإفضاء إليهن يرشدك إلى هذا قول ابن عباس رضي الله عنه حين أنشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ۝ إن يصدق الطير ننك لميسا ۝ فقيل له رفثت إنما الرفث ما كان عند النساء وإنما عدي بإلى لما في مفهومه من معنى الإفضاء ثم إنه كني بمجموع قوله الرفث إلى نسائكم عند الجماع فقد كني عن الجماع في جميع القرآن بلفظ مستحسن لا يدل على معنى الفحش مراعاة للأدب ولا أدب كأدب التنزيل كقوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن إلا ههنا فإنه كني عنه بما دل على معنى الفحش استهجانا واستقباحا لما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** استئناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة وفي تقديم هن لباس لكم نوع تأييد حيث كان لزيادة الشغف من جانبهم شبهت الرجل والمرأة في تعانقهما واشتمال كل منهما على صاحبه في عناقه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي ۝ إذا ما الضجيع ثنى عطفها ۝ تثنت فكانت عليه لباسا ۝ وأفرد اللباس لأنه كالمصدر **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم** تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب لتضمنه القصد والزيادة والخيانة ضد الأمانة وقد

وقد اثنى الله تعالى على عباده على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر فقد خانوه وفي زيادة كنتم دلالة على انهم يجبولون على ذلك ففيه نوع اشارة الى وجه قبول توبتهم ولهذا اتى باداة التفريع في قوله فتاب عليكم اى لما تبتم مما اقترفتموه من المحظور وقد مر تفسير التوبة وعفا عنكم ومحا اثر ذلك عنكم بالتجاوز فالآن ان اصله فعل بمعنى حان ثم جعل اسما للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبني على الفتح والمراد ليلة الصيام باشروهن لما نسخ عنكم حكم التحريم ولا دلالة فيه على انتساخ السنة بالقرآن لاحتمال ان يكون المنسوخ حكمه من كلام الله تعالى المنسوخ تلاوته واصل المباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد كنى بها عن المجامعة واللام للاباحة وابتغوا الابتغاء الطلب للبغية ما كتب الله لكم ما قدره الله تعالى من الولد اي لا تباشروهن لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل لبقاء النوع الى غايته وهذا يتضمن النهي عن العزل واتيان المحل المحرم وكفى في الابتغاء المذكور كون الولد مقدرا للجملة ولا يلزم ان يكون مقدرا لكل واحد منهم وكلوا الظاهر انه كلام مبتدا لا معطوف على باشروهن وانما زيد قوله واشربوا اهمالا للدلالة فانه على تقدير اعمالهم لم يبق حاجة الى تلك الزيادة وانما اهملت لانها تنتظم الوقاع وهو لا يجوز ان يتصل الى طلوع الفجر اذ لا ينقطع اثره المفسد للصوم في الحال بخلاف الاكل والشرب حتى يتبين لكم التبين تميز الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود شبه اولا ما يبدو من بياض الفجر المعترض في الافق بالخيط الابيض وما يمتد معه من غلس الليل بالخيط الاسود اختلف مشايخ اصحابنا في ان العبرة لاول طلوعه ام لاستطارته وانتشاره وقال شمس الائمة الحلواني الاول احوط والثاني اوسع ونحن نقول ان التشبيه بالخيط للتنبيه على ان العبرة لاول طلوعه فلا مساغ للاختلاف المذكور من الفجر بيان لهما اما كونه بيانا للاول فظاهر واما كونه بيانا للثاني فلانه باعتبار انتهائه اليه واتصاله به بعد منه ومثل هذا التوسع في البيان ليس بعزيز ولهذا قدم الخيط الابيض على قرينه فانه على تقدير اختصاص البيان لم يحسن التاخير عنه ومن هنا اتضح انه لا وجه لان يكون من المذكورة للتبعيض وبالبيان المذكور خرج الكلام من احتمال الاستعارة وانما زيد مع ان الاستعارة ابلغ من التشبيه لفقد شرطها وهو تعذر الحقيقة قال سهل بن سعد الساعدي نزلت هذه الآية حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل قوله من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم برجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له منهما فانزل الله

تعالى بعد ذلك قوله من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وهذا حديث صحيح عند ائمة الحديث كالبخاري ومسلم الا انه غير مقبول عند ائمة البلاغة لان الكلام المذكور بدون البيان المزبور ساقط عن درجة البلاغة على ما نبهت عليه آنفا وعند عامة الاصوليين لما فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز تكليف المحال وانما الخلاف في التاخير عن وقت الخطاب قيل في تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل عنه ويلزمه صحة صوم المصبح جنبا وبناه الغفول عما قدمناه من اهمال الدلالة ثم ان تمام الاستدلال المذكور على تحقق المنافاة بين اباحة المباشرة الى آخر الليل ووجوب الاغتسال فيه وذلك غير مسلم فان وجوب الصلوة مع كونها مشروطة بالطهارة قد اجتمع مع اباحتها في آخر جزء من اجزاء وقت صلوة المغرب ثم اتموا الصيام تمسك اصحابنا بهذا في جواز النية بالنهار في صوم رمضان ولا وجه له بل هو ظاهر فيما ذكره المخالف حيث قال الله تعالى ثم اتموا الصيام ولم يقل ثم صوموا ولولا ما فيه من محذور الدلالة على تراخي الشروع في الصوم عن طلوع الفجر لما عدل عن الاخصر الاظهر الى الليل بيان آخر وقت الفرض واخراج الليل عن حد الصوم لا يستلزم اخراجه عن محلية الصوم مطلقا فلا دلالة فيه على نفي صوم الوصال ولا تباشروهن المراد بالمباشرة الوطي والنهي عنه لا لعينه بل لانه سبب للجنابة المانعة لصحة الاعتكاف فانه في الشرع لبث المسلم العاقل الطاهر في المسجد بنية القربة فينتظم النهي في معناه من الملامسة بالشهوة مع الانزال وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والعكوف في اللغة الاقامة بين ان المباشرة تحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف فانها تفسد الاعتكاف عن قتادة رضه كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وانما زاد قوله في المساجد للاشارة الى ان الاعتكاف انما يكون في المسجد وصيغة الجمع لدفع وهم العهد فيفهم منه عدم اختصاصه بمسجد دون مسجد تلك اشارة الى التقديرات الواقعة في الاوامر والنواهي المذكورة المانعة عن التجاوز عنها حدود الله اصل الحد المنع ومنه الحداد للبواب وحدود الشرع موانع عن الجنايات وحدود الدار موانع عن الاختلاط فلا تقربوها نهي اشفاق يتضمن نهي التحريم عن التجاوز عنها على وجه ابلغ كما في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة قال النبي عم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ومن هنا ظهر وجه النهي المذكور كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته الدالة على سائر شرائعه للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم نصب على الظرف او الحال من

الاموال بالبيع لما كانوا يتعاطونه من المنكر في ذلك مع اطلاع بعضهم على مال بعض بالباطل بالجهة التي
ليست مشروعة كما في العقود الفاسدة والاكتساب الخبيثة واموال الغنيمة قبل القسمة هذا
هو الظاهر من قوله اموالكم وقيل اي لا تأكلوا بعضكم مال بعض ولا يخفى ما فيه من الصرف عن الظاهر
بلا داع اليه وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي اي ولا تدلوا او منصوب باضمار ان والمعنى
لا تجمعوا بين الاكل بالباطل والادلاء الى الحكام والنهي عن الجمع بينهما لا يستلزم النهي عن كل منهما
وكل منهما حرام فحقه ان ينهى عنه منفردا عن الآخر فيفهم منه النهي عن الجمع بينهما بطريق الدلالة
على آكد وجه وابلغه والادلاء ارسال الدلو في البئر واستعير للتوصل الى الشيء لتأكلوا
بالتحاكم فريقا من اموال الناس الفريق القطعة المعزولة من الشيء بالاثم اي بما يوجب الاثم كشهادة
الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون وانما قيد به لان حصول
الاثم مشروط بالعلم المذكور وقيل ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اعظم وصاحبها بالتوبيخ
احق والاول اولى كما لا يخفى روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي ارضا
غصبا في يده واختصما الى النبي عم فقال لعبدان ألك بينة قال لا قال لك يمينه فقال اذن
يذهب بارضي فقال عليه السلام ليس لك الا ذلك فحلف كاذبا بالله ما له قبله حق فنزلت
الآية فاقر عبدان ورد ارضه اليه واعطاه ارضا اخرى ايضا مكان ما اخذ منها يسألونك
عن الاهلة الاهلة جمع هلال وهو لليلة او لليلتين سمي به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته
روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري رض سألا فقالا ما بال الهلال يبدو
دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ومن ها هنا ظهر
وجه الاتيان بصيغة الجمع فانهما لما سألا عنها في اول الشهر وعنها في آخره كان المناسب ان
يعبر عن المسؤول عنه بصيغة الجمع قل هي مواقيت جمع ميقات وهو مفعال من الوقت
معناه ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من
يريد دخول مكة محرما والوقت والمدة والزمان يتقارب لكن المدة المطلقة او سعها فانها
امتداد حركة الفلك اي اتصالها من مبدئها الى غايتها والزمان مدة مقسومة من مطلق المدة
والوقت الزمان المفروض للعمل للناس والحج اي لما يتعلق به من امور المعاملات ومصالحهم
وبيت بذلك الحج على ما يتعلق به من العبادات ولكن ذكرا عظمها اثرا فان الحج يراعى في ادائه و
قضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التي يصح في قضائها وقت معين كان
السؤال عن السبب العادي لاختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه واجيب على
اسلوب الحكيم ببيان الحكمة في هذا الاختلاف للتنبيه على ان المناسب لحال السائل ان يسأل

عن ذلك لا عن السبب لانه ليس مما يطلع عليه بسهولة ولا يتعلق به غرض في مسائل من وظائف علم الهيئة
وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى لما بين انهم عكسوا الحال في
السؤال عن حال الهلال مثل حالهم في السؤال عما لا ينبغي بحالهم في الاحرام بالحج وجريهم على خلاف
ما يجب ان يكونوا عليه وهو ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا من البيوت
من بابه فان كانوا من اهل المدر نقبوا نقبا في ظهر بيتهم منه يدخلون ويخرجون او اتخذوا
سلما يصعدون فيه وينزلون وان كانوا من اهل الوبر دخلوا وخرجوا من خلف الخباء فقيل
لهم ليس البر بتحرجكم من دخول البيت ولكن البر الانقاء من محارم الله تع وهذا مع كونه نهيا
لهم عن عادتهم الردية في باب الحج على سبيل الاستطراد لذكر الحج وبيان مواقيته بيان
لتعكيسهم في السؤال وهو ان يسكتوا عما يهمهم ويسألوا عما لا يعنيهم اي ما انتم في سؤالكم عن
سبب نقصان الاهلة وكمالها وترككم ما يهمكم من فوائدها الا كمن تحرجتم عن دخول
البيوت من ابوابها واتيانكم من ظهورها حاسبين ذلك برا وما هو من البر في شيء وتركم
التحرج عما يجب عليكم اتقاؤه واجتنابه وهو البر ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي باشروا الامور
من وجوهها والمراد توطين النفس على ترك الفضول من السؤال والفعال واجتناب ما
يجب اجتنابه والتزام ما اوجبه الشرع من غير شك وشبهة فان في السؤال امارة الشك
واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالبر وقاتلوا في سبيل
الله اي جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه والقتال محاولة القتل ممن يحاوله والقتل
نقض بنية الحيوة الذين يقاتلونكم عن الربيع بن انس رضه هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة
وكان رسول الله عم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف اي قاتلوا الذين يناجزونكم القتال
دون المحاجزين فعلى هذا يكون منسوخا بقوله تع وقاتلوا المشركين كافة او الذين
يناصبونكم القتال دون غيرهم كالشيوخ والنساء والصبيان والرهبان او الكفرة كلهم لانهم
اعداء المؤمنين قاصدون لقتالهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا فيكون غير منسوخ
وقيل انما قصد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رض عام الحديبية وصالحوه
على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلث ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي
لهم قريش ويقاتلونهم في الحرم وفي الشهر وكرهوا ذلك فنزلت لهم قاتلوا الذين يقاتلونكم
فيها ولا تعتدوا بابتداء القتال على الاول والرابع او بقتال غير الناصبين كالشيوخ والصبيان
والنسوان والرهبان والذين بينكم عهد على الثاني او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة على الثالث
ان الله لا يحب المعتدين عدم الحب كناية عن الكراهة فهم في معرض المؤاخذة بسبب الاعتداء

واقتلوهم حيث ثقفتموهم في حل او حرم تقول ثقفته ثقفا اذا ظفرت به ومنه قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم وقول الشاعر فاما تثقفوني فاقتلوني فان اثقف فسوف ترى بالي
واما الحذاقة في الاخذ فغير معتبر في مفهومه واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل من باب التتميم لا ندراج الخاص
فيه اي المحنة والبلاء الذي يعذب به الانسان اشد عليه من القتل قيل لبعض الحكماء ما اشد
من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها
الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد الزاف
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتل وهتك حرمة المسجد الحرام الحرم كله
قال تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام وانما صدوهم عن الحرم كله حتى يقاتلوكم فيه الى هنا بعبارته
فيه دون عبد للدلالة على انه لا رخصة للقتال بمقاتلتهم عند المسجد الحرام بل لا بد من اول الامر
من الالتجاء اليه بالدخول فيه فان انتهوا عن القتال والا فلهم ان يقاتلوهم بعد ذلك وهذا
لرعاية حرمته مهما امكن وفيما تقدم اي بعنده دون فيه لان النهي عن القتال عند المسجد الحرام
يستلزم النهي عن القتال فيه بدون العكس فكل من العبارتين اصاب بحرها فان قاتلوكم فاقتلوهم
فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وهذا تصريح بمفهوم الغاية وبشارة بالغلبة
حيث قال فاقتلوهم دون فقاتلوهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع
القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم
تقتل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر والقتال فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف
ويرحمهم في المؤتنف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة عدوان وتفسيرها بالشرك يأباه العطف بالواو في
قوله ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا اي عن العدوان و
الفاء للتعقيب فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا عدوان عليهم فاراد ان ينبه على قبح
العدوان وانه ظلم وان مقاتلة المنتهين عدوان لحصر العدوان في اضدادهم وسجل على ان
العدوان الظلم ووضع الظالمين موضع ضمير العادين فدل بالنحوي على ان المنتهين هم العادلون
الذين لا عدوان عليهم وسمى القتل عدوانا مجازا من حيث كان عقوبة على العدوان كما قال
وجزاء سيئة سيئة مثلها وحسن ذلك لازدواج الكلام ومزاوجته ههنا على اعتبار الغد
لما عرفت ان تقديره وان انتهوا عن العدوان لا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام
قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
فيه وكراهتهم القتال الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر فهتكه بهتكه فلا تبالوا به

والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيها القصاص فلما
هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم
واكد معنى القصاص بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الاعتداء بمجاوزة حد ما وذلك
قد لا يكون مذموما بخلاف الظلم فانه وضع الشيء في غير الموضع الذي يحق ان يوضع فيه وهذا
في كل حال مذموم فلا يقال من ظلمك فاظلمه الا بطريق المشاكلة بخلاف ما في الآية المذكورة واتقوا
الله في حال كونكم منتصرين منهم فلا تزيدوا على المثل فتعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله
مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع اسباب المعاش فان المال وقاية النفس فتضييعه
يفضي الى تضييعها او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطه
عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه نحن اعلم بهذه الآية فانها نزلت
فينا صحبنا رسول الله واقمنا معه فلما فشا الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اصلاح الاحوال وتركنا القتال بعد ما فشا الاسلام وكثر اهله وانها
النهي في الفساد وقد سمي الموت هلاكا عن ابي عبيدة الهلكة والهلاك والهلك واحد
والالقاء اطلاق الشيء الى جهة السفل ونقيضه الامساك وتعديته بالى لما فيه من معنى الانتهاء
والمراد بالايدي الانفس فان اليد يعبر بها عن النفس كما في قوله تعالى تبت يدا ابي لهب
والباء مزيدة واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين
يريد بهم الخير واتموا الحج والعمرة لله انما قال فيهما اتموا كما في الصوم دون اقيموا كما في الصلوة
تنبيها على انهما يجبان بالنية كالصوم فيلزم اتمامهما بعد النية كما يلزم اتمام الصوم بعدها
بخلاف الصلوة فانها لا تجب بالنية فلا يلزم اتمامها بعدها بل يجوز ان يترك وهذا
انفع وجه تخصيص هذه الثلثة من بين العبادات بالامر بالاتمام ومن لم يتنبه لهذه
الدقيقة الانيقة قال في تفسيره ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك فدلالة على ان من
شرع فيهما لزمه اتمامهما من جهة الاركان والشرائط وبه تقول ان العمرة تجب بالشروع
وكذا الحج مطلقا انما يجب به فلا متمسك فيها لمن قال بوجوب العمرة وقراءة واقيموا
الحج والعمرة شاذة فلا تنهض حجة وما روي عن جابر رضي الله عنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج فقال لا ولكن ان تعتمر واجزاء لكم نص في هذا الباب ولا يعارضه ما روي ان رجلا قال
لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك
لان الاثر لا يعارض الخبر على انه ليس في كلامه ترتيب الاهلال على الوجدان بل الظاهر منه
بيان سبب الوجدان على سبيل الاستئناف بيته لوجه الله تعالى عن علي وابن عباس وابن مسعود

ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل ان تفرد لكل منهما سفرا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية وقرئ والعمرة لله على الابتداء، فان احصرتم اي منعتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تع للفقراء الذين احصروا في سبيل وقال ابن قتادة • وما هجر ليلى ان يكون تباعدت • عليك ولا ان احصرتك شغول ويقال اذا حبسه عدو عن المضي او سجن هذا هو الاكثر في كلامهم وقد نص عليه الخليل حيث قال الحصر الحبس والاحصار ان يحصر الحاج عن بلوغ المناسك بمرض او غيره وهو فقه قول الكسائي وابو عبيدة وقال الفراء، وابو العمرو الشيباني هما بمعنى المنع في كل شيء مثل صد واصد وعن جماعة من الصحابة رض من كسر او عرج فقد احصر وهو مذهب اصحابنا وقال الشافعي لا يكون الاحصار الا عن عدو فان احصار النبي م كان بالعدو ولانه تع قال فاذا امنتم وذلك بزوال خوف العدو قلنا العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واللفظ لما قلنا لغة والامن يكون عن العلل ايضا قال النبي م الزكام امان من الجذام فما استيسر من الهدي في محل الرفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او النصب على فاهدوا ما استيسر واستيسر بمعنى تيسر كاستغنى وتغنى واستعجل وتعجل وكذا قالوا والظاهر ان زيادة السين لزيادة اليسر فالمراد الشاة لان الهدي من الثلث من الابل والبقر والغنم وايسرها الشاة والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه حيث حصر عند الشافعي فان النبي م احصر بالحديبية وذبح هناك وتحلل وعند ابي حنيفة لا يذبح الا بالحرم ويبعثه ولا يتحلل حتى يبلغ محله ويعين المبعوث على يده يوم امارة ويدل عليه قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فان بلوغ المحل يدل على ما بين موضع الحصر وبين المحل وكذا قوله تع والهدي معكوفا ان يبلغ محله والخطاب في ولا تحلقوا للمحصرين اي ولا تحلقوا حتى تعلموا بلوغ الهدي محله ومحل مكانه الذي يجب فيه نحره او ذبحه كمحل الدين وهو الوقت الذي يجب فيه قضاؤه وانما نحر الرسول م في موضع الاحصار لان محصره كان طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم قال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وعن الزهري ان رسول الله صلعم نحر هديه في الحرم فمن كان منكم مريضا الفاء للتعقيب وفايدتها دفع ذهاب الوهم الى العطف على ان احصرتم على تقدير التصدير بالواو فانه يلزم اخراج المريض

عن حد المحصر ولا وجه له والخطاب في منكم للذين بعثوا الهدي من المحصرين فالمعنى فمن كان بعد البعث مريضا يحوجه الى الحلق والتنكير للتقليل فينتظم المرض المرضي ما في الراس من الجراحة والقرحة او به اذى ما هو يؤذيه اي يتعبه ويشق عليه من بخار في الراس وقمل وللتعميم لكنه قال من راسه اي من جهتها وهي في راسه ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة رض اذ مر عليه والقمل تتهافت في وجهه لعلك اذاك هوامك فقال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم ثلثة ايام وتصدق بفرق على ستة مساكين او انسك بشاة والفرق ثلثة اصوع واو للعطف على وجه التنويع وبيان عدم خلو الواجب عن احد الانواع الثلثة المذكورة للفدية والتخيير يلزم هذا البيان ضرورة لا لانه معناها الوضعي والنسك جمع نسيكة وهي الذبيحة واختير الجمع هنا لتعدد انواعها وقرئ او نسك بالتخفيف كان مقتضى الظاهر البداية بالاشق وهو النسك وانما عدل عنه بالبداية بالصيام تطييبا لقلوب الفقراء العاجزين عن النسك باظهار العناية والاهتمام في شان الصيام بتقديمه على الباقين والتقديم لا يخرج عن التعظيم فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي استمتع بها الى وقت الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه اذا حل من عمرته باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج وقيل بالتقرب الى الله تع قبل الانتفاع بتقربه اليه بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم بسبب التمتع هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رض لا يذبحه الا يوم النحر ويأكل منه وجبران عند الشافعي يجوز ذبحه اذا احرم بحجته لان السبب هو التمتع ولا يتحقق الا به ولا يأكل منه لانه دم جناية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام اي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام عند الشافعي وعند ابي حنيفة في وقت الحج اي في اشهره ما بين الاحرامين وافضله اليوم السابع ويوم التروية وعرفة ولا يجوز في ايام النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من افعال الحج وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام اذ تقديره فصوم ثلثة تلك عشرة فذلكة الحساب وفايدتها امران احدهما ان يعلم جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب قال الفرزدق • ثلث واثنتان فهن خمس • والثاني نفي توهم الاباحة فان الواو قد يجيء لها كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين ويرد على الاول

انه لا يناسب بلاغة القرآن لان المراعي فيها مقتضى المقام نظرا الى الخواص دون العوام وعلى ان
ان الاباحة توجب صيغة الامر والواو للتشريك في الحكم فقط واما ارادة الكثرة من السبعة
دون العدد فلا يذهب اليه وهم عند ذكرها مع الثلثة فلا حاجة الى دفعها وعندي ان
صيام ثلثة ايام لما كان قبل تعذر الاصل ودخول وقته احتمل ان يذهب الوهم الى عدم
اعتباره في اصل البدل فاتي بالعدلكة المذكورة دفعا لذلك الوهم كاملة صفة مؤكدة
تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي
الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي كذا قيل والاوجه
انها مقيدة تفيد كمالها في الثواب والاجر ودفع ذهاب الوهم الى ان صوم
السبعة ليس كصوم الثلثة في الاجر للتفاوت في زمانهما ذلك اشارة الى التمتع عند
ابي حنيفة واكثر الائمة لانه مختص بالآفاقي عندهم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام اي للذي لا يسكن ثمه وانما ذكر الاهل لان الظاهر ان الانسان يسكن
حيث سكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه وقد مر ان مسجد الحرام
هو الحرم كله وحاضر والمسجد عند ابي حنيفة هم اهل مكة ومن كان منزله داخل الميقات
وعند الشافعي اهل مكة ومن كان من الحرم على مسافة القصر عنده وعند مالك
اهل مكة واهل ذي طوى واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب بشدة عقابه على المخالفة
الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران لما امر باتمام الحج والعمرة ثم اقتصر على بيان وقت
الحج علم منه بطريق البيان السكوتي وقت الحاجة ان العمرة غير موقتة وهذا من جملة
وجوه الاعجاز ارتقى به القرآن الى ذروة الاعجاز ولم يتنبه له الناظرون معلومات هي
شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة خلافا للشافعي في يوم النحر وذو الحجة كله عند مالك
وبناء الخلاف ان المراد وقته وقت افعاله او وقت احرامه او ما لا يحسن فيه غيره
من المناسك مطلقا وانما لم يبينها باعيانها لانها كانت معروفة عندهم مليا تواريثوه
الا انهم كانوا يدخلون فيها النسيء فنبهوا على انها هي او فاته دون غيرها والاشهر
على الحقيقة وانما التجوز من جعل بعض الشهر شهرا وانما اطلاق الجمع على ما فوق الواحد
فلا يناسب المقام لما فيه من اخراج بعض الشهر الثالث من حد الحرام ثم ان الاستدلال
على الاطلاق المذكور بقوله تعالى فقد صغت قلوبكما ليس بشيء لانهم صرحوا بان مثل هذا
ليس من المتنازع فيه فمن فرض فيهن الحج الزمه نفسه بالاحرام ولا خلاف فيه

انما الخلاف بيننا وبين الشافعي في ان الاحرام يتم بالنية او لا يتم بل لا بد من التلبية معها
او من سوق الهدي ولا دلالة فيه على خروج يوم النحر من وقت الحج لان معنى من فرض
فيهن من فرض في كل من الاشهر المذكورة لا من فرض في كل يوم من ايامها نعم
فيه دلالة على كراهة تقديم الاحرام عليها فانه لو جاز ذلك لضاع قوله فيهن
واما ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فقد دل عليه قوله تعالى اتموا الحج والعمرة بظاهره
فلا رفث فلا جماع فانه مفسد للحج وقيل لا فحش في الكلام ولا فسوق ولا خروج عن
حدود الشريعة بالسباب والتنابز بالالقاب لقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب
بئس الاسم الفسوق ولا جدال ولا مراء ولا شقاق مع الرفقاء والخدم والخدو
وغيرهم وانما نهى عنه مع كونه منهيا عنه لكونه في الحج افحش كلبس الحرير في الصلوة
في الحج في اثناء اقامة لاداء ايامه مطلقا منه مناسكه بعد الاحرام وانما نفي الحقيقة
في الثلثة المذكورة للمبالغة في النهي اي فلا يكونن هذه الاجناس واذا وجب
انتفاؤها وكانت حقيقة بان لا يكون لزم الانتهاء عنها ضرورة وقرئ الاولان
بالرفع على معنى النهي اي فلا يكونن رفث ولا فسوق والاخير بالفتح على معنى الاخبار
بانتفاء الجدال اي الخلاف وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب في
الحج فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب بعرفة وكانوا يؤخرون الحج سنة ويقدمونه
سنة وهو النسيء فرد الوقوف الى عرفة والحج الى وقت واحد فاخبر الله تعالى انه قد
ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال
بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال
وما تفعلوا من خير التنكير للتقليل يعلمه الله حث على الخير بعد النهي عن الشر وبناه على
الكناية بعلمه بما يفعل من افعال العباد عن ترتب الجزاء عليه ولا يخفى ما في ضمن
هذا الوعد من الوعيد وبه يتم حق المقام والمراد بالخير بقرينة سياق الكلام
ان ياتوا بالكلام الحسن مكان القبيح والبر والتقوى مكان الفسوق وبالثناء والمدح مكان
السباب والتنابز وبالوفاق ومحاسن الاخلاق مكان الجدال ويجوز بقرينة لحاق ان
يراد بفعل الخير ضبط انفسهم عما نهوا عنه وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا
زادكم في الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها والزاد الطعام الذي
يتخذ للسفر وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون ونحن
نحج بيت الله افلا يطعمنا ويكونون كلا ثقيلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه

وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد الاجتناب من ذلك
واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب ايها الذين منت عليهم بالعقول التي هي افضل ما
حصل في الخلق فان لب الشيء هو خالصه فيه اي جعلت فيكم العقول التي هي آلات التمييز و
التدبر فيسهل معها التحري والتفكر ليس عليكم جناح حرج ان تبتغوا في ان تبتغوا
اي تطلبوا فضلا من ربكم زيادة عطاء وهو الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام
تأثموا منها فنزلت فرفع عنهم الجناح في ذلك وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة
الواجبة فاذا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء اي صبه بكثرة واصله افضتم
انفسكم وترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا والفاء للتعقيب
لما بين وقت الحج وذكر ما نهي عنه في الاحرام وما ندب اليه وما ابيح فيه عقبه ببيان
ما يجب ان يفعل بعد الفراغ عن اقامة ركنه وهو الوقوف من عرفات علم للموقف سمي
عن الجمع كأذرعات والظاهر انه جمع عرفة جمع عارف والا فهو من الاسماء المرتجلة اذ
لا يعرف النقل في اسماء الاجناس منصرف لان تاءه مع الالف علامة جمع المؤنث لا التاء
التي هي علامة التأنيث المعنوي فقدر باعتبار المعنى والموقف ليس بمؤنث فليس فيه
الا العلمية فلا تمنعه الصرف وصرفها وانما سمي الموقف بها لان آدم ع م وحواء التقيا فيه
فتعارفا والناس يتعارفون فيه وكان جبرائيل ع م يدور بابرهيم في المشاعر اراه اياه فقال
عرفت وقيل وصف له ع م فلما رآه عرفه وليس هنا دليل على وجوب الوقوف فيه فاذكروا الله
عند المشعر الحرام بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعاء وقيل بصلوة المغرب والعشاء
فانهما يجمعان بالمشعر الحرام وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل ما بين
جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر
والصحيح انه الجبل لما روى جابر رض ان النبي ع م لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب
ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه
معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه وذلك
للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب
المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر واذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية
حسنة الى المناسك وغيرها او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وان هي المخففة

من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب
مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا
بان يساووهم فليس فيه ايجاب الاضافة حتى يدل على وجوب الوقوف بعرفة
بناء على ان الافاضة لا تكون الا بعده بل بيان اختصاص شروعها بالوجه المذكور
وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم من مزدلفة
الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي
يريد آدم ع م من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف وغيرها من افعال الجاهلية وعاداتهم ان الله
غفور يغفر الذنوب رحيم بالمذنبين يدعوهم بجميل احسانه الى بابه ويرغبهم في جزيل
ثوابه ولهذا اي ولتضمنه الترغيب المذكور اتى باداة السببية في قوله فاذا قضيتم
مناسككم اي فاذا اتممتم امور حجكم فاذكروا الله كذكركم آباءكم اي فاذكروا الله في
ذكرا كثيرا او بالغوا فيه كما تفعلون في ذكركم آباءكم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بين المسجد بمنى والجبل ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم فنزلت اي
اكثروا ذكر الله تعالى ودعاءه ولا تطلبوا بالذكر اغراض الدنيا كالذاكرين آباءهم او اشد
ذكرا في موضع الجر عطف على الضمير المضاف اليه الذكر في قوله كذكركم اي او قوم اشد ذكرا
من ذكرا آبائكم او في موضع النصب عطف على آباءكم اي او اشد ذكرا من آبائكم على انه من
الفعل المبني للمفعول اي مذكورية ويجوز ان يكون معطوفا على الكاف في كذكركم اي ذكرا
مثل ذكركم او ذكرا اشد ذكرا من آبائكم على ان الذكر ذاكرا اشد من ذكرهم كقولهم جد جده
وشعر شاعر واو هنا ليست للتخيير بل للنقل عن الاول قال القفال ومجاز اللغة
في مثل هذا معروف يقول الرجل لآخر افعل كذا الى شهر ثم يقول او اسرع منه وانما
يريد به النقل عن الاول الى ما هو اقرب وقتا منه فمن الناس من يقول الخ مسبب
من تقسيم يتضمنه الكلام السابق فانه يشتمل على ذكر المفيضين من عرفات الذاكرين
من المزدلفة الذاكرين له بانهم فعقب التقسيم الكلا بانهم الطالبون بحظوظ الدنيا واما
القسم الاول الجامعون بين الامرين فاولئك هم اهل الفلاح والفوز ربنا آتنا
في الدنيا اي اجعل ايتاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق الخلاق نصيب الانسان
من افعاله المحمودة التي تكون خلقا له وقد يراد به النصيب من الخير على وجه الاستحقاق
وهو المراد ههنا ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة من الصحة والكفاف والتوفيق للخير

وفي الآخرة حسنة من الثواب والكرامة والقربة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة أولئك اشارة الى الفريق الثاني او اليهما لهم نصيب النصيب في الاصل المنصوب وجعل السهام الفرز نصيبا مما كسبوا اي من جنسه من الاعمال الحسنة وهو الثواب الحسن في الآخرة والمنافع الحسنة في الدنيا او من اجل ما كسبوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه في الدنيا والآخرة لان الدعاء من الاعمال الحسنة والاعمال توصف بالكسب فسمي كسبا او من جنس ما كسبوا على ما يقتضيه مشيئة الله تعالى وحكمته والله سريع الحساب وعد اي سريع حسابه للخلائق مع كثرة اعدادهم واعمالهم لكمال علمه وقدرته فيجب الحذر منه او حث على العبادة اي سريع وقوع حسابه ان يتم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة واذكروا الله في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعند ذبح القرابين وغيرها فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق قبل طلوع الفجر عندنا وبعد رمي الجمار عند الشافعي فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر اي في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال فلا اثم عليه قال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه قبل الزوال وهو مخير بين النفرين فلذلك سوى بينهما بنفي الاثم عن صاحبها وفيه رد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المستعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير من الاحكام لمن اتقى لانه حذر متحذر عن كل ما يريبه او لانه هو الحاج عند الله تعالى بالحقيقة واتقوا الله في المحافظة على هذه الاحكام ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون وعيد شديد اي اليه لا الى غيره حشركم ويجازيكم على حسب تقواكم واصل الحشر ضم المتفرق وسوقه من جهات مختلفة ومن الناس من يعجبك قوله والتعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ومعنى اعجبني كذا ظهر ولم اعرف سببه في الحيوة الدنيا يتعلق بقوله اي يقوله في باب الدنيا وشانه او بمراده احراز حظوظ الدنيا لا ثواب الآخرة كما يراد بايمان الحقيقي والمحبة الصادقة وقيل بيعجبك اي يعجبك في الحيوة الدنيا لفصاحته وحلاوته لا في الآخرة لما يرهقه هناك من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه ويحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من المحبة والاسلام وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين واضافة الالد بمعنى في على ان الخصام بمعنى المخاصمة كقولك ثبت الغدر وانما وصف بكونه الد للمبالغة وجعل خصامه لشدته كانه في نفسه خصم الدو فيكون جمع خصم كصعب وصعاب

اي هو اشد الخصوم خصومة روي انه نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى سعى التولي الانحراف عن الشيء الى خلاف جهته والسعي الاسراع في المشي اي اذا انصرف عنك وذهب مسرعا في الارض ليفسد فيها كما فعل الاخنس بثقيف وقيل اذا صار واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الافساد والظلم ويهلك الحرث والنسل حقيقة او حكما بان يمنع الله تعالى القطر بشوم ظلمه وفساده فيهلك الحرث والنسل والحرث هو الزرع واصله الشق والنسل ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوان والله لا يحب الفساد عدم الحب كناية عن البغض فيه وعيد بليغ ويتضمن التعليل لما سبق على المعنى الثاني والافساد في الحقيقة اخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو امر به ولا يحب له وما تراه في فعله فسادا فهو بالاضافة الينا والاعتبار بنا فاما بالنظر اليه فكله صلاح واذا قيل له اتق الله اي واذا خوف ذلك المنافق بالله تعالى اخذته العزة بالاثم اي حملته العزة على ذلك من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه وفيه مبالغة شديدة كان العزة التي فيه اي حمية الجاهلية والترفع حاكم مسلط عليه يلزمه ارتكاب الاثم الذي ينهى عنه لجاجا واصرارا او على رغم الواعظ ورد قوله فحسبه جهنم اي كافيه جزاء جهنم وهو استعظام لما حل به وجهنم اسم علم للنار وهي ماخوذ من قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر وامتنعت من الصرف للتانيث والعلمية يعني ان جهنم نصيبه الكافي وجزاؤه الوافي ثم دل على مآل جهنم بقوله ولبئس المهاد جواب قسم محذوف وحذف المخصوص بالذم للعلم به والمهاد ما يوطأ للجنب وهي للنوم ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها بالجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه والله رؤف بالعباد اي هو في غاية الرحمة لهم ولهذا عوضهم النعيم المقيم على عمل منقطع عقب ذكر المذموم من اعدائه بذكر المحمود من اوليائه ترهيبا وترغيبا يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاسلام والطاعة وكافة اسم للجملة من الكف كانهم كفوا باجتماعهم عن ان يخرج منهم احد حال من فاعل ادخلوا او من السلم وتانيثها بعد النقل لم يبق للتانيث والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جميعا ظاهرا وباطنا على ان الخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره على ان الخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم

عن السبت وحرموا الاكل والبانها او في شرايع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء عليهم السلام والكتب جميعا
على ان الخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها على
ان الخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفريق والتفرق وقد مر ما يتعلق به وبقوله
انه لكم عدو مبين فقد مر فان زللتم عن الدخول في السلم اصل الزلل في القدم يقال زل يزل
زلا وزللا اذا دحضت قدمه ثم استعمل في الاعتقاد والراي بطريق الاستعارة
من بعد ما جاءتكم البينات الحجج والشواهد على ان ما امرتم بالدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله
عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يهمل وان كان يمهل على مقتضيه الحكمة هل
ينظرون ما ينظرون الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره لقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الملائكة او ياتي امر ربك وانما اسند الاتيان اليه تعظيما وتهويلا تنبيها على انه ياتي
الامر الذي لا يدافع كان امره هو لوجوبه واكد التهويل وشدة العذاب بمباديانه
من الغمام الذي هو مظنة الرحمة لكونه امطع فان الشر اذا جاء من حيث يحتسب الخير
ولهذا كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث
في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما يستظل به وقرئ ظلال جمعها كقلة وقلال او
جمع ظل من الغمام قال الثعالبي في سر الادب اول ما ينشأ هو النشء فاذا انسحب
في الهواء فهو السحاب فاذا تغيرت له السماء فهو الغمام انتهى فالغمام اقرب من
السحاب ظلمة فكان انسب لعبارة الظلل من السحاب والملائكة وقرئ بالجر عطفا
على ظلل او الغمام وقضي الامر اي قضى امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه عبر بالماضي
عن المستقبل لدنوه او تيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله
ترجع الامور قرئ على البناء للمفعول على انه من الرجع وعلى البناء للفاعل على انه
من الرجوع سل بني اسرائيل حذف الهمزة في الكلام المبتدأ وثبت في العطف مثل قوله
واسئل القرية والسؤال للتقريع لكل احد او للرسول كم آتيناهم من آية بينة على ايدي
انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وحقيته
وكم خبرية او استفهامية للتقرير ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته اذ
هي اجل نعمة من الله تعالى بان يجعلها اسباب الضلالة وهي اسباب الهدى والنجاة
منها لقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم او يحرفها كما حرفوا الآيات الدالة على نبي محمد
من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما

عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب
اعظم جريمة والعقاب ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشي بالمجازاة له في آثار عقبه
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا التزيين هو التحسين المدرك بالحس دون المدرك بالعقل
ولهذا جاء في اوصاف الدنيا دون اوصاف الآخرة والمزين في الحقيقة هو الشيطان
فانه حسن الدنيا في اعينهم وحببها اليهم وقراءة زين على البناء للفاعل والحيوة بالنصب
على الاسناد المجازي فانه تعالى امهل المزين فجعل امهاله تزيينا او زينها حتى استحسنوها
واحبوها ومن قال المزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله اخطا في الرأي
وما اصاب في الدليل اما الاول فلان التزيين صفة تقوم بالشيطان والفاعل المنبع لصفة
ما تقوم به تلك الصفة وليت شعري ما يقول هذا القائل في الكفر والضلالة واما الثاني
فلان مبناه عدم الفرق بين الفاعل النحوي الذي كلامنا فيه والفاعل الكلامي الذي
بمعزل عن هذا المقام ويسخرون من الذين آمنوا اي يهزؤون من فقراء المؤمنين الذين لا حظ
لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم رض على رفضهم الدنيا واقبالهم على
الآخرة قال القرطبي سخرت منه وسخرت به وضحكت به وهزئت منه وهزئت به كل ذلك
يقال حكاه الاخفش والاسم السخرية والذين اتقوا اي الذين اتقوا الدنيا واختاروا
الفقر من المؤمنين هم اهل الزلفى والكرامة عند الله تعالى وضعوا موضع الذين
آمنوا لانهم يسخرون منهم دون الاغنياء تنبيها على انهم اهل السعادة الكبرى عند الله
وتحريضا للمؤمنين على التقوى فوقهم يوم القيمة لانهم كانوا في درجات الجنة وهم
في دركات النار قيما دونهم ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله والله يرزق
من يشاء يعني في الدنيا لان مساق الكلام فيه بغير حساب بغير تقدير اي يوسع
بحسب الحكمة والمشية التابعة لها على عباده فمنهم من يكون التوسعة عليه استدراجا
كهؤلاء الكفرة وقارون واضرابهم ومنهم من يكون التوسعة عليه كرامة له كاغنياء
المؤمنين وسليمن وداود عليهما السلام وامثالهم كان الناس امة واحدة على الفطرة متفقة
على دين الاسلام فيما بين آدم ونوح ع م قيل فيما بين آدم وادريس ع م قال القرطبي
وفيه نظر لان ادريس ع م بعد نوح ع م على الصحيح وقيل هم نوح ع م ومن معه في السفينة
فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله فحذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه عليه وفي قراءة عبد الله فاختلفوا فبعث الله ولقوله تعالى وما كان الناس الا
امة واحدة فاختلفوا ولما كان سبب البعثة الاختلاف لم يبق احتمال لان يكون المراد من

الامة المذكورة المتفقين على الجهالة والكفر **مبشرين ومنذرين** من عصى **وانزل معهم الكتاب** اي الكتب واسم الجنس يصلح للجمع ومعهم حال مقدرة من الكتاب فيتعلق بمحذوف وليس منصوبا بانزل ولا يريد به انه انزل مع كل واحد منهم كتاب يخصه لا لان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم بل كانوا ياخذون بكتب من قبلهم لان المعنى ح مع كل واحد من الذين لهم كتاب وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة القرينة بل لان بعض الكتاب المخصوص لمن معه لا يشتمل الاحكام كالزبور فلا يصلح لما ذكر بقوله ليحكم بين الناس غاية له **بالحق** حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق **ليحكم بين الناس** اي النبي الذي معه الكتاب **فيما اختلفوا فيه** من امر الدين **وما اختلف فيه الا الذين اوتوه** اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف ومعناه زاد اختلافهم بسبب الكتاب حتى كان الاختلاف الاول بالنسبة اليه لا اختلافا وما كان الاختلاف الا الذي حدث بعده كان الاختلاف الموجب لنزول الكتاب اتفاقا في جنبه لشدة عنادهم **من بعد ما جاءتهم البينات** الدلائل الشاهدة على حقية الدين المتفق عليه **بغيا بينهم** وحسدا وقلة انصاف منهم لحرصهم على الدنيا وتهالكهم **فهدى الله** بسبب تلك البينات **الذين آمنوا** منهم **لما اختلفوا فيه من الحق** بيان لما اختلفوا فيه **باذنه** بتيسيره وتوفيقه اياهم **والله يهدي** دون غيره **من يشاء** من اهل العناية بمقتضى الحكمة **الى صراط مستقيم** صراطا لا يعرف كنهه وهو طريق التوحيد **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والحسبان كالظن يستعمل في المرجح لما ذكر حال الامم الخالية واختلافهم على النبيين بعد مجيء البينات وانكارهم شجع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واغراهم على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له خاطبهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ **ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** حالهم التي هي مثل في الشدة ولما للتوقع في النفي كقد في الاثبات ومعناها ان اتيان ذلك متوقع منتظر ولم يقع بعد **مستهم** بيان للمثل على الاستئناف **البأساء** الشدة من الخوف والجوع والفاقة **والضراء** الآلام والامراض **وزلزلوا** اي ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع **حتى يقول** لتناهي الشدة وتماديها في العظم بحيث تنقطع حبال الصبر **الرسول** مع كونه في كمال الثبات والصبر وضبط النفس والوقار الى غاية لا يقدر قدرها **والذين آمنوا معه** الصابرين في البأساء والضراء وقرئ يقول بالرفع على معنى الحال ومن حكاية حال ماضية وبالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال **متى نصر الله** معناه استبطاء النصر

82 وطلبه وتمنيه واستطالة زمان الشدة **الا ان نصر الله قريب** استئناف على ارادة القول اي فقيل لهم اجابة لهم الى طلبهم من عاجل النصر واعطاء لسؤالهم **يسألونك ماذا ينفقون** لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا جاء عمرو بن الجموح الانصاري وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كم ننفق وعلى من ننفق فنزل جواب السؤالين في آيتين من هذه السورة جواب قوله كم ننفق في قوله قل العفو وجواب قوله على من ننفق في قوله **قل ما انفقتم من خير** اي من شيء انفقتم من مال والمال يسمى خيرا قال تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير وقال وانه لحب الخير لشديد وانما سماه خيرا هنا لانه مذكور في موضع الصرف الى الخير **فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل** ابتداء في المصرف بالاقرب فالاقرب ثم بالاحوج فالاحوج **وما تفعلوا من خير** في معنى الشرط **فان الله به عليم** جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه والفعل اعم من الانفاق وغيره سأل واعتى خاص واجاب بخاص ثم اتى بالعموم في افعال الخير قيل كان هذا للايجاب ونسخها الامر بالزكوة وقيل كان للاستحباب وهو باق **كتب عليكم القتال** اي فرض عليكم الجهاد **وهو كره لكم** من الكراهة لقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف للمبالغة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرئ بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لفرط كراهتهم له وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق معنى العبودية اذ فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع واما كراهة الاعتقاد فهو من صفات المنافقين ونبه بقوله **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم** بالطف وجه على ان ما كتب عليهم من القتال خير لهم واوضح دلالة ومعناه اذا جاز ان يكون منكم كراهية لامر وفيه الخيرية فيجوز ان يكون كراهتكم لما كتب عليكم من القتال كذلك واذا جاز ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فيجوز ان يكون محبتكم لما اجتنبوه شرا ثم نبه على ان هذا الجائز كونه عندكم واجب كونه في نفسه بقوله **والله يعلم وانتم لا تعلمون** وقد قضى بان ذلك خير واذا كان خيرا فيجب ان تحبوه ولا تكرهوه فالخير يجب ارادته والشر يجب كراهته والمحبة ميل النفس الى ما تراه وتظنه خيرا والارادة لا يلزمها ان تطلب الخير ولهذا قيل ان تحبوا دون ان تريدوا ولم يراع حق المقابلة مع قوله ان تكرهوا وعسى كلمة تجري مجرى لعل وهي من العباد للترجي ومن الله تعالى للترجية قيل جميع ما كلفوا به من قبيل الاول وجميع ما نهوا عنه من قبيل الثاني وفيه نظر **يسألونك عن الشهر الحرام**

نزلت في اول سرية في الاسلام واغاروا على عير قريش قافلة من الطائف وقتلوا عمرو بن
عبد الله الحضرمي في اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فعيّرهم اهل مكة
باستحلاله قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفائدة الابدال ان في ذكر الشهر اولا تنبيها
على ان السؤال عن القتال لاجل الشهر لا لغيره قل قتال فيه كبير ذنب كبير والاكثر
على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء ولا وجه لمنع
دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا بناء على ان النكرة في حيز الاثبات
لا تعم لانها اذا لم تكن موصوفة وقد مر ما يؤيد هذا وصد الصد ناحية الشعب
والوادي المانع للسالك وصده عن كذا كأنما جعل بينه وبين ما يريد صدا يمنعه
والصديد ما حال بين الجلد واللحم من الدم والقيح كذا قال الراغب عن سبيل الله
اي ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات وكفر به اي بالله تعالى عطف على صد وقد
عطف عليه قبل تمام المعطوف عليه لشدة الاعتناء عند ذكر الله تعالى بان الكفر به اكبر
الكبائر وانها والذي اندرج فيه جميع الاكابر والا كان حقه ان يؤخر عن قوله و
المسجد الحرام لما اشرنا اليه من انه تمام قوله وصد عن سبيل الله واخراج اهله منه اكبر
عند الله خبر عن الاشياء المعدودة يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلعم والمؤمنون
منه اكبر عند الله مما فعلته السرية على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة اكبر من القتل
وما ارتكبوه من الصد والاخراج والكفر اكبر من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم اي
يداومون على عداوتكم ولا ينفكون عن مقاتلتكم حتى يردوكم عن دينكم حتى للتعليل
كأن في قولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول
الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي مع وثوقه بانه لا يظفر به وايراد ان في موضع
اليقين للتهكم والبناء على ظنهم الفاسد ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
ومن يرجع منكم عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردهم اياه اليه ولم يتب فيمت
على الردة اولئك حبطت اعمالهم اي حسناتهم لانها هي الاعمال في الحقيقة اذ
السيئات مما ينبغي ان لا تعمل ويقال لمن عمل ما لا ينتفع به لم يعمل شيئا في الدنيا
لفوات ما لهم من المسلمين من ثمرات الاسلام باحداث الردة وفي الآخرة لفوات
ما لهم من الثواب لو لم يرتدوا والموت عليها والحبط فساد يلحق الماشية في
بطونها من اكل الكلأ واستعير لفساد العمل واولئك اصحاب النار ملازموها

يقال فلان صاحب فلان اذا كان ملازما له هم فيها خالدون اي دائمون فيها لا يموتون ولا يخرجون منها
ثم الطاعة تحبط بنفس الردة عندنا لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والموت
عليها ليس بشرط وقال الشافعي شرط ويتمسك بهذه الآية وقلنا انما جعل الموت على الكفر شرطا
جميع ما ذكر في هذه الآية من حبوط العمل والخلود في النار وبه نقول كذا قيل وبانا نكرير
اولئك لما فيه من الدلالة على اعتبار الشرط المذكور في كل واحد من الحكمين المذكورين
فالصواب في الجواب ان يقال انما اعتبر الشرط المذكور في حبوط عمل الدنيا فانه ما لم يستمر
على الردة الى آخر الحيوة لا يحرم عن ثمرات الاسلام ان الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية
المذكورة لما قال بعض الناس فيهم ان لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر والذين هاجروا اي
من مكة الى المدينة وقيل اي فارقوا اعمال السوء واصحابها فتحقق فرضيتها والثاني فرضية
باقية وجاهدوا في سبيل الله اي قاتلوا الكفار وقيل استفرغوا المجهود في طاعة الله تعالى و
تكرير الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله
في الدنيا والآخرة نفعا ودفعا وفي عبارة الرجاء مدح لهم باستقصارهم اعمالهم
استشعارهم آمالهم خائفين ردة راجين قبولا قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجلة والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب ولا
لاحسن المآب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله تعالى
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم
حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رض قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما
مذهبة للعقل ومسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم
وتركها آخرون والخمر ما خمر العقل اي ستره كانها سميت بالمصدر للمبالغة ومنه الخمار لما
يستر الرأس وقال ابن الانباري سميت خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه قال
عمر رضي الله عنه في خطبته ايها الناس فانه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب و
العسل والتمر والحنطة والشعير والميسر القمار وقال الازهري الميسر الجزور الذي كانوا
يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يجزئ اجزاء فكانه موضع التجزئة وكل شيء جزأته فقد
يسرته والياسر الجازر لانه يجزئ لحم الجزور قل فيهما لما كانا سببا للاثم وسببا
للمنافع جعلهما سبحانه وتعالى فيهما تنبيها على كونهما في المشتبه والسببية فلا حاجة الى
تقدير المضاف بل لا وجه له فلا دلالة في هذا على ان السؤال عن تعاطيهما اثم الاثم ما يستحق
فاعله بالعقاب فيختص ما يكون عمدا بشركة اليه ذكره في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة

او اثماً في مقابلة الخطيئة **كبير** من حيث انه يؤدي الى الانكباب عن المامور وارتكاب المحظور **ومنافع** من الطرب والالتذاذ وكسب المال ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة **للناس** في عبارة اسم الجنس اشارة الى عموم المنافع لما تحته من الاصناف والافراد وفيه وفي جمع المنفعة تمهيد لتعظيم الاثم بها ضرورة ان تعظيم المفضل عليه يستلزم تعظيم المفضل **واثمهما اكبر من نفعهما** يعني ان الاثم المترتب على المفاسد التي تنشأ من كل منهما اعظم من المنافع المتوقعة منه قال الحسن هذه الاية تدل على تحريم الخمر لانه ذكر ان فيهما اثما وقد حرم الله تع الاثم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم على انه قد وصف فيهما من الاثم بالكبر والكبير منه حرام بلا خلاف وقوله حسن وان كان مخالفا لما روي فيما سبق **ويسئلونك ماذا ينفقون** قد مر ان سائله ايضا عمرو بن الجموح **قل العفو** العفو نقيض الجهد وهو القصد في الانفاق بحيث لا يبلغ الجهد واستفراغ الوسع **كذلك يبين الله لكم الايات** اي مثل ما بين من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف وتوحيد العلامة على تاويل القبيل **لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة** متعلق بتتفكرون اي لعلكم تتفكرون في امر الدارين وما هو اصلح لكم فيهما فتختارونه وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر **ويسئلونك عن اليتامى** الحال تشهد بان السؤال ليس عن اعيانهم بل عن كفالتهم ومخالطتهم والافصاح بامثال هذه يخالف عن طريق البلاغة لانه لا يخلو عن غباوة او تعمية وسوء ادب وكلام الله تع مبرأ عن كل هجنة روي انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تحاموا عن اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بمصالحهم واموالهم والاهتمام باحوالهم فشق ذلك عليهم وكادوا يوقعهم في الحرج فذكر لرسول الله صلعم فنزلت وعلى هذا السؤال في سبب النزول فالوجه ما قاله مقاتل من ان المسلمين اشفقوا من مخالطة اليتامى فعزلوا بيت اليتيم وطعامه فشق عليهم فقال ثابت بن رفاعة للنبي صلعم قد انزل الله في اليتيم ما انزل فعزلناهم والذي لهم واعتزلنا والذي لنا فشق علينا وعليهم وليس كلنا يجد سعة فهل يصلح لنا مخالطتهم فيكون البيت والطعام واحدا لانذا رهم شيئا الا ان يعود عليهم بافضل منه فنزل قوله تع **قل اصلاح لهم خير** اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم **وان تخالطوهم فاخوانكم** حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين وحق الاخ ان يخالط اخاه الخلط الجمع بين اجزاء شيئين سواء كان مما يتميز او غير ما يتميز فهو اخص من المزج

والله يعلم المفسد من المصلح والله يميز المخالط بالافساد من المخالط بالاصلاح ولا يخفى عليه فيجازي بحسبه فلا تفسدوا في مخالطتهم الا الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة ومنعكم عن المخالطة فوقعتم في الحرج **ان الله عزيز** غالب يقدر على الاعنات **حكيم** لا يكلف الا ما يسع طاقتهم ويصلح حالهم **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** اي ولا تزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين المشركات والمشركة تعم الكتابية لقوله تع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها الكتابيات الذميات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وبقيت الحربيات في عموم هذه الاية روي انه صلعم بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا نخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله فاستامره صلعم فنزلت **ولامة مؤمنة خير من مشركة** يعني ان المؤمنة ولو كان معها خساسة الرق خير من الكافرة ولو كان معها شرف الحرية فان شرفها لا يجدي نفعا مع الكفر ودناءة الرق لا يضر مع شرف الايمان **ولو اعجبتكم** جملة اعتراضية وجواب لو محذوف لدلالة ما قبلها عليه وكذا ولو اعجبكم اي ولو احببتموها واعجبكم حسنها كانت المؤمنة مع ذلك خيرا لكم **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** ولا تزوجوهم المؤمنات وهو على عمومه **ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم** وضع اللازم مقام الملزوم في الموضعين للتنفير والترغيب فقال **اولئك** اي المشركون والمشركات **يدعون الى النار** اي الشرك المستلزم لدخول النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا **والله يدعوا الى الجنة والمغفرة** اي الايمان المستلزم لدخول الجنة واورد الله مكان المؤمنين لاختصاصهم به وتعظيمهم حثا على مصاهرتهم وموالاتهم وايثارهم على غيرهم **باذنه** بتيسيره وتوفيقه لما يستحق به الجنة والمغفرة من الايمان والعمل الصالح **ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون** لكي يتذكروا او يكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول السليمة من الميل الى نيل الخير والاجتناب عن مظان المضار **ويسئلونك عن المحيض** المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كما يقال جاء مجيئا روي ان اهل الجاهلية لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة رض عن ذلك فنزلت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك في المواضع الثلثة بغير واو وفي المواضع الثلثة بعدها مع الواو لان الاول ليس بطنه

للواو وكانت الاسولة عن الحوادث الاول في احوال متفرقة فلكل واحد منها سؤال مبتدأ و
الاسولة عن الحوادث الاخر مع ثالثة الاول كانت في وقت واحد وليس مبنى هذا على ان
الواو حرف الجمع لان الجمع الذي هو مدلول الواو اعم من المعية بل على ان ترك الواو
دلالة على الاستقلال وفي ذكرها دلالة على خلافه قل هو اذى لما كان الموضع موضع
الكناية والمجاز لكون التصريح والحقيقة لا تخلو عن سوء ادب سلك طريقة التعريض و
التشبيه باحسن الوجوه فكنى عن الحيض المستقذر الذي ينفر منه الطبع بالاذى وهو اسم
لما ينال منه النفس مكروه وعن اجتناب المجامعة بقوله فاعتزلوا النساء في المحيض
ولا تقربوهن واصل الاعتزال العدول عن الشيء ولما كان الانسان قد يتحمل الاذى ولا يراه
يحرم ما صرح بالحكم ولم يكتف بذكر العلة وانما اكد بصيغتي نهي وامر مبالغة في المنع لما
ان الزوجين يجمعهما غالبا ومعهما داعيان اليه ظاهرا والدليل على ان المراد الاجتناب
عن مجامعتهن قوله عم انما امركم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن
كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعون
ولا يبالون بالحيض حتى يطهرن بيان لغاية اي يخرجن من الحيض بانقطاع الدم واذا
كان ايامها عشرة فكما انقطع حل وطؤها واذا كانت دون ذلك وانقطع واغتسلت
فكذلك اذا لم تغتسل ومضى عليه وقت صلوة فكذلك حلا فالزفر والشافعي فانهما قالا
لا يحل بحال قبل الاغتسال واحتجا بقراءة التشديد فان التطهر الاغتسال ونحن نعمل
بالقرائتين في حالتين وفيه نظر لان شرط العمل بالمفهوم ان لا يكون مخالفا للمنطوق
ومفهوم قراءة التخفيف مخالف لمنطوق قراءة التشديد ونحن نقول ليس العمل بقراءة
التخفيف بطريق المفهوم بل بطريق المنطوق فان الدلالة على انتهاء الحكم عند الغاية بحسب
الوضع ثم ان قوله فاذا تطهرن فأتوهن ظاهر في تاخير جواز الاتيان عن الغسل
من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل انما زيد هذا وكان الكلام
تاما بدونه للنهي بطريق المفهوم عن اتيانهن في الدبر فان الله تعالى حرم الاتيان في ايام
الحيض للاذى فيحرم اتيان الدبر في الاحوال كلها لما فيه من الاذى ومن هنا ظهر وجه
تصدير الكلام المذكور بالفاء النهي بعينه ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم
من ارتكاب ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتي نساؤكم حرث لكم اشارة الى ان
الغرض الاصلي من الاتيان المأمور به طلب النسل لا مجرد قضاء الشهوة والى وجه

معوض

النهي

البذر بالقاء

النهي الذي قصد بطريق المفهوم شبههن بالمحارث تشبيها لالقاء النطف في الارحام للنسل
في الارض للزرع ولما كان التشبيه المذكور مترتبا على هذا التمثيل المتروك ترتب اللازم على
الملزوم لم يبعد ان يسمى تمثيلا على سبيل الكناية والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل
فأتوا حرثكم انى شئتم كما يأتي الحراثون محارثهم من اي جهة شاؤوا بعد رعاية موضع
الحرث عبر به عن وجوه الاتيان المختلفة مع اتحاد المأتي تمثيلا لحالهم بحالهم روي ان
اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول
فذكر ذلك لرسول الله عم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم الخير والذخر بطاعة
الله تعالى فيما امر به ونهى عنه في هذه الآية وقيل التسمية الخالصة اي لا تقتصروا على قضاء الشهوة
ولكن اقصدوا التعفف والولد واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي واعلموا انكم
ملاقوه فلا تجترؤا عليه بمخالفته وتزودوا لما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين
للمدح والكرامة بترك القبائح والفواحش ولا تجعلوا الله عرضة العرضة فعلة بمعنى
المفعول كالغرفة يطلق لما يعرض دون الشيء لايمانكم يتعلق بعرضة اي حاجزا لايمانكم اذ في
العرضة معنى الاعتراض والمنع او بالفعل اي لا تجعلوا الايمانكم حاجزا ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس عطف بيان لايمانكم اي للامور المقسم عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس
ويجوز ان يكون اللام للتعليل وان تبروا وما عطف عليه متعلقا بالفعل اي ولا تجعلوا الله
عرضة لان تبروا والاجل ايمانكم به او بعرضة اي ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف
ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهيكم عنه ارادة
بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا
يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح البين نزلت في الصديق رض لما حلف ان لا ينفق
على مسطح لافترائه على عائشة رض وقيل في عبد الله بن رواحة رض حين حلف ان لا يكلم
ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فيجازيكم
بحسبها او هو وعيد على كثرة الحلف وعلى جعله مانعا بشيء من انواع البر والتقوى لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم اللغو الشيء الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره فاللغو من اليمين
هو الذي لا عقد له كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب وغيرهم
في اثناء الكلام للتاكيد لا والله وبلى والله ولا يخطر ببالهم الحلف بدليل قوله ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وهو قصد القلب لعقد اليمين والمعنى
لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بواحد منهما بما قصدتم

من الايمان وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما
اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها ولا يساعده ظاهر قوله ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف و
تعديته بعلى الا انه ضمن في هذا القسم معنى الامتناع فعدي بمن اي يمتنعون من نسائهم
مقسمين ويجوز ان يكون المقسم عليه محذوفا والمراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر
كقولك لي منك كذا والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع
اي للمولي التلبث في هذه المدة فلا يلزمه شيء فيها وهذا لا ينافي وقوع الطلاق البائن
عند مضيها كما قال ابو حنيفة ولا يقتضي ان يكون مدة الايلاء اكثر مما ذكر كما قال الشافعي
ولا دلالة في الفاء في قوله فان فاؤا على ذلك لانها للتعقيب فان التفصيل بالفيئة وان
كانت قبل مضي المدة او وقوع الطلاق يعقب المفصل والفيء الرجوع اي ان رجعوا عن
هذا الاضرار بترك الحنث بان يقربوا في المدة فان الله غفور يغفر للمولين ما ارادوا
به اضرار النساء لاجل الفيئة التي بمثابة التوبة رحيم حيث اجاز لهم الحنث وقبل منهم
الكفارة ودفع منهم الذنب وان عزموا الطلاق العزم هو العقد على الامضاء فان الله سميع
بما جرى بينهم عليم بما قصدتموه والمطلقات يعني اللاتي من ذوات الاقراء بقرينة الخبر
عام مخصص بالمدخول بهن من الحرائر بالنصوص الدالة على اختصاص الحكم الاتي ذكره بهن
يتربصن اخبار في معنى الامر وانما عدل عن الظاهر للتاكيد واظهار الاعتناء بالمبادرة
الى الامتثال والمسارعة كانهن امتثلن واخبر عنه موجودا كما يقال في الدعاء رحمك
الله تفاؤلا بالاجابة وثقة بها كان الرحمة وقعت فاخبر عنها وبناؤها على المبتدا زاده
فضل تاكيد لم يكن لو قيل ويتربص المطلقات وفي قوله بانفسهن زيادة تحريض وبعث
وتهييج لهن على التربص وقمع الانفس وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فاذا
امرن ان يقمعنها ويغلبنها على الطموح يستنكفن فيحملهن على التربص بها ثلثة قروء انتصب على
انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي
يتربصن مدة ثلثة قروء والقروء جمع القرء بالضم والفتح وهو لفظ مشترك بين الحيض
والطهر باجماع اهل اللغة ورد الشرع في كل واحد منهما قال عم لامراة دعي الصلوة
يوم قرئك اي حيضك وقال عبد الله بن عمر رضه ان من السنة ان يطلقها في كل قرء تطليقة اي
في كل طهر وقال ابو حنيفة ان المراد من القرء هنا الحيض وقال الشافعي المراد الطهر وقوله

ثم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان صريح في الاول والثاني والمميز على جمع الكثرة دون القلة
التي هي الاقراء اعتبارا لما في المطلقات من معنى العموم فان المعنى ليتربص كل واحدة من المطلقات
ثلثة قروء فلما اسند الى جماعتهن والواجب على كل واحدة منهن ثلثة اتى بلفظ القروء
ليدل على الكثرة المرادة واما الانفس فكانت النكتة في تقليلها الايماء الى ان التطليق
ينبغي ان يكون قبل الوقوع من الرجال ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد
بان يكتمن حملهن استعجالا للطلاق مخافة ان ينتظر الزوج لطلاقها ان تضع او يشفق
على الولد فلا يطلق وقيل من الحيض بان تقول طهرت وهي حائض استعجالا للفراق
ويجوز ان يكون الكتمان كناية عن ارادتهن اسقاط ما في ارحامهن من الاجنة فلا يعترفن به
وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن و
انهن اي لا يفعلن ذلك من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ولا يجترئ على مثل هذه
العظائم وبعولتهن اي ازواج المطلقات والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع
وانما سمي زوج المراة بعلا لانه سيدها ومالكها ذكره الازهري ومن هنا تبين وجه التعبير
عنه بالبعل فان الحكم الاتي ذكره مخصوص بصورة الطلاق الرجعي الذي لا يزول به ملك
النكاح وفي عبارة البعل اشارة اليه احق بردهن اي برجعتهن ومعنى احق ان الرجل
اذا اراد الرجعة وابتها المراة فهو احق بقول قوله لا ان لها حقا في الرجعة في ذلك
اي في زمان التربص ان ارادوا اي بالرجعة اصلاحا بينهم وبينهن لا اضرارا والمراد التحريض
عليه والمنع من قصد الاضرار لا بيان اشتراط صحة الرجعة بقصد الاصلاح ولهن اي
من الحقوق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع و
العادة الجميلة اي لا يكلف احد الزوجين صاحبه ما لا يستحق في الشرع ولا يعنف به
ولكن يسامح ويسهل والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب والمستحب بالمستحب
لا الاتحاد في الجنس وللرجال عليهن درجة الدرجة نحو المنزلة لكن يقال اذا اعتبرت بالصعود
دون الامتداد على البسيط كدرجة السلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة اي زيادة فضيلة
يقيامهم عليهن وانفاقهم في مصالحهن بعد ما تسابقوا في نيل اللذة والله عزيز على الانتقام
ممن خالف الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم يعني التطليق الشرعي كرتان على التفريق تطليقة بعد تطليقة يعقبها
رجعة لا تطليقتان على التثنية والارسال دفعة واحدة ولا التطليق البائن واحدا
كان او اثنين لقوله فامساك اي فامر الزوج بعدهما امساك او فعليه امساك ولا يخفى

ما في عبارة الامساك من الدلالة على استدامة الملك وهي لا تبقى بعد البائن بمعروف بحسن عشرة وما يعرف شرعا من القيام بمواجبها او تسريح بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة باحسان بان لا يراجعها مراجعة يريد بها الضرار وتطويل العدة عليها وقيل التسريح ان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان فظاهر الآية حجة على الشافعي في قوله لا باس بارسال الثلث ولا متمسك له في حديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه لعدم الدليل بتاخره عن نزول الآية ولا يحل لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما آتيتموهن من الصداق شيئا قليلا الا ان يخافا الا ان يخاف الزوجان استثناء مفرغ وان يخافا في موضع نصب على الظرف او مفعول له التفات كانهم اذا رضوا بالخلع وهموا بالاخذ وفقوا في صد البعد ولم يستاهلوا للخطاب لعدم انصافهم وعدالتهم واحتياجهم الى الائمة والحكام فخوطبوا غائبا في ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للحكام وان لم يكن الاخذ والايتاء منهم لانهم الامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة حدود الله في ما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فان خفتم اي الحكام الا يقيما حدود الله بترك اقامة حدود الله في المذكورة فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على الزوج فيما اخذ وعلى المراة فيما بذلت وافتدت به نفسها واختلعت من الصداق او الزيادة عليه على كره روي ان جميلة اخت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام ومن يتعد حدود الله عدل عن الضمير الى الظاهر للتفخيم فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد اي من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج زوجا غيره

والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج يقال فلانة ناكح في بني فلان وتمسك ابن المسيب رحمه الله به على انتهاء الحرمة بتزوجها زوجا آخر في الاقتصار على العقد في التحليل فان قلت اليست الحرمة باقية الى ان يطلقها وتنقضي عدتها قلت بل ينتهي تلك الحرمة بالعقد وتحدث حرمة اخرى من اثره والجمهور على انه لا بد من الاصابة لحديث العسيلة ويجوز به انتساخ حكم الغاية وان كان ثبوته منطوقا لا مفهوما لانه حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومنهم من دفع وقال ان شرط الدخول ثابت بنص الكتاب لان المراد من التزوج الاصابة على انها كناية عن حظها من الشرط المذكور او الكلام على الغالب كقوله اذا دخلت الخاتم في الاصبع والمعنى حتى ينكحها زوج آخر ولا بد من المصير الى احد هذين الوجهين كيلا يضيع قوله زوجا والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق فان طلقها اي الزوج الثاني وانقضت العدة وهذا القيد معلوم من مواضع اخر ولهذا لم يذكروا الفاء لتفريع صحة المراجعة بعد تطليقه اياها على ما تقدم من ثبوت التحليل والتزوج به فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من الزوج الاول والمراة الى صاحبه بالمزاوجة ان ظنا ان يقيما حدود الله حقوق المعاشرة وما يجب عليهما من حسن المصاحبة ومن فسر الظن بالعلم فقد وهم من جهة اللفظ والمعنى لانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وان المستقبل غيب فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا الظن ليس بشرط في صحة النكاح بل في اباحته ورفع الماثم لان العقد صحيح وان ظنا ان لا يقيما حدود الله وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بموجب العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اريد بالاجل آخر المدة وبالبلوغ مشارفته والقرب منه على الاتساع لقوله فامسكوهن بمعروف اذ لا امساك بعد البلوغ حقيقة او سرحوهن بمعروف لما اعيد ذكر الرجعة علق التسريح بالمعروف تنبيها على انه ان لم تراعوا في تسريحها الاحسان فراعوا فيه المعروف كما قال بعض الناس لسلطان ان لم تحسن فعدلا وهذه الآية ظاهرها اعادة حكم ما تقدم الا ان الاولى لبيان جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين وهذه لبيان جواز الرجعة ما دامت العدة وانما خص المشارفة بالذكر لانهم كانوا يطلقون المراة فيتركونها حتى تشارف انقضاء العدة ثم تراجعونها اضرارا بها فنهوا عنه بقوله ولا تمسكوهن ضرارا بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على انه مفعول له اي للمضارة او حال اي مضارين لتعتدوا لتظلموهن بتطويل العدة او الجائها الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييد ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض

عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كني بالنهي عن الهزؤ
عن الامر بالجد وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية الى الاسلام وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من ذكرها مقابلتها بالشكر
والقيام بحقها وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على انها نعمة جليلة بحيث تذكيرها
كاف في ايجاب شكرها والقيام بحقها والمانع عنه ليس الا الغفلة عنها وما انزل عليكم
المنزول على النبي الا انه لما كان لمصلحتهم نزل منزلة النازل عليهم من الكتاب والحكمة الكتاب
والسنة وقد مر وجه مناسبة الحكمة بالسنة وانما افردهما بالذكر لشرفهما يعظكم به
بما انزل عليكم واتقوا الله اي لا تخالفوا امره ونهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم وعد ووعيد
وتاكيد وتهديد والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اي انقضت عدتهن لقوله فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن العضل المنع مع تضييق
يقال عضلت الدجاجة ببيضها والمراة بولدها والخطاب لا يجوز ان يكون للازواج
بدلالة ما روى البخاري والترمذي وابو داود ان الاية نزلت في معقل بن يسار
وكانت اخته تحت ابن عم له فطلقها طلقة فلما انقضى عدتها خطبها وهي تريد ان ترجع
اليه فقال معقل لا ازوجكها ابدا فانزل الله تعالى هذه الاية فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه
فقال سمعا لربي وطاعة والحكم الوارد في سبب لا يصلح ان يكون السبب خارجا عنه
وان اريد معه غيره ولا ان يكون للاولياء لما فيه من تنافر الخطاب من الازواج قبل
تمام الكلام الى الاولياء فان خطاب اذا طلقتم لا يصلح للاولياء قطعا فالوجه ان يكون
للناس ليتناول عضل الازواج والاولياء جميعا مع السلامة عن المحذور المذكور والمعنى
لا يوجد بينكم عضل ايها الناس ولا يخفى ما فيه من تهويل امر العضل من حق الاولياء
ان لا يحوموا حوله وحق الناس كافة ان ينصروا المظلوم اذ ذاك ولا متمسك
للشافعي في الاية على ان النكاح لا ينعقد بعبارة النساء اذ لا يلزم من قدرة الاولياء
على منعهن ان يكون النكاح بعبارتهم وقوله ان ينكحن صريح في انه ينعقد بعبارتهن
اذا تراضوا بينهم اي اذا تراضى الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن
بالمعروف بالوجه الجميل في الدين والمروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف ذلك الاشارة الى ما مضى ذكره والخطاب لكل احد او
للرسول للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد ويجوز ان يكون

الكاف

الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى انفع لكم
واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم
والوالدات يرضعن اولادهن اخبار في معنى الامر للمبالغة في الحث على الارضاع فان الامر لما كان
للاستحباب دون ما دل عليه التعليق بالارادة احتيج الى المبالغة فيه والحمل على الوجوب
والتخصيص بما اذا لم ترضع الصبي الا الام او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار
يأباه تعيين المدة والتعليق المذكور حولين صفة مؤكدة لحولين كما في قوله تلك عشرة كاملة
لانه مما يتسامح فيه كما في قوله اقمت عنده حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة وقيل متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له
وفيه ما مر من ان التعليق بالارادة لا يناسب الوجوب وقد نبه على هذا من قال ودل
هذا على ان النقصان عن ذلك والزيادة عليه عند وقوع الكفاية بما دونها والحاجة الى
الزيادة جائزان حيث علق ذلك بالارادة وعلى المولود له اي الذي حكم له الولد شرعا
بموجب قوله عليه السلام الولد للفراش وان لم يكن والده حقيقة وله في محل الرفع على الفاعلية
نحو عليهم في غير المغضوب عليهم والفرق بين المولود والوالد باختصاص الاول بالصغر
على ما ذكره المطرزي تبين لطف موقعه ثم ان في العبارة المذكورة اشارة الى علة بناء
الحكم كما في قوله وراودته التي هو في بيتها لان الذي ولد له وجب عليه الرزق والكسوة
اذا ارضعت ولده كالظئر بناء على ما تقرر من ان الغنم بالغرم وعلى هذا يكون مؤنتها
على المولى اذا ولد الولد من جاريته التي تحت نكاح الغير لانه المولود له حقيقة في هذه
الصورة ومن هنا اتضح ان المولود له اعم من الوالد لانتظامه ما لا يكون والدا من
صاحب الفراش والمولى رزقهن وكسوتهن اراد بالرزق الماكول والمشروب ولهذا
ذكر الكسوة بعده بالمعروف اي من غير اسراف ولا تقتير نظرا الى الجانبين لا تكلف نفس
الا وسعها الوسع ما احتملته الطاقة اي لا يحمل احد الا ما يطيقه فلا يكلف المولود له ما لا
يطيق من الاجر ولا الوالدة ما لا تستطيع من العمل ولا الرضا بما لا يكفيها من الاجر
وهذه الاية كالتي في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن الى قوله
لا يكلف الله نفسا الا ما آتيها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما تقدم و
تقرير له اي لا يضار واحد منهما الآخر بسبب الولد واضافة الولد اليها تارة
واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه

والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار
ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ
لا تضار بالفتح على النهي وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر
الوالدان بالولد فيفرطا في تعهده ويقصرا فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على
قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما معترض والمراد بالوارث وارث
المولود له على العموم او الصبي نفسه او وارث الصبي على العموم او يقيد ان يكون ذا
رحم محرم من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والاخرى انثى
او يقيد ان يكون احد اصوله من الاباء والامهات والاجداد والجدات او يقيد ان يكون
من عصبته واما جعل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة فغير متعلق في هذا المقام اذ ليس
لقولنا فالنفقة على الاب وعلى من بقي من الاب والام معنى يعتد به وذلك اشارة الى
ما يوجب على المولود له من الرزق والكسوة **فان ارادا فصالا** تفريع على ما تقدم
من تعليق اتمام الحولين على الارادة وتصريح بالتوسعة بعد التحديد والفصال الفطام
سمي به لانه فصل بين الغذا والصبي **عن تراض منهما وتشاور** اي صادرا عنهما
والتراضي اجتماعهما على الرضى والتشاور اجتماعهما في المشورة وهي استخراج صواب
الراي باشارة المستشار من شور العسل وهو اجتناؤه وانما اطلقه لينتظم
تشاور احدهما الاخر وتشاورهما الثالث ممن له خبرة في تربية الاطفال وتدبيرهم
وانما اعتبرهما لان الفطام قبل تمام الحولين مظنة لحوق الضرر فلا بد من اتفاقهما
اما المولود له فلانه حقه واما الام فلانها اعلم بحاله وتربيته والدليل على ان المراد الفطام
قبل التمام قوله **فلا جناح عليهما** اذ لا يتصور الجناح بعد تمام مدة الرضاع **وان
اردتم ان تسترضعوا** اي المراضع **اولادكم** يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه
كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول استغناء عنه لعدم
القصد الى خصوص المرضعة **فلا جناح عليكم** فيه وفيه دلالة على ان للاب ان
يسترضع الولد ويمنع الام عن الارضاع **اذا سلمتم** الى المراضع **ما آتيتم** ما
التزمتم ايتاءه وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي ما
آتيكم الله واقدركم عليه **بالمعروف** متعلق بسلمتم اي سلمتم على الوجه الجميل بالطلاقة
والبشاشة من اطيب ما يكون من اموالكم على احسن ما يكون من وجوه الاعطا لتكون

لتكون طيبة النفس منفعة على الرضيع وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم
شرطا للجواز الاستحباب بل هو مندوب اليه لتطيب نفس المرضعة ولهذا قيد بالمعروف
واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في الاسترضاع **واعلموا ان الله بما تعملون بصير**
حث وتهديد **والذين يتوفون منكم** اي يقبض ارواحهم بالموت واصل التوفي اتمام
القبض وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اعمارهم وهو كناية عن الموت **ويذرون
ازواجا** اي يتركون زوجات ويذر مستقبل اميت ماضيه ومصدره وكذلك يدع **يتربصن**
ينتظرون **بانفسهن** تقديره يتربصن لوفاتهم دل عليه يتوفون وبه يحصل الربط
بين المبتدا والخبر **اربعة اشهر وعشرا** اي يعتددن هذه المدة ولا حاجة الى التاويل
في عشرا لما نقل عن ائمة النحاة اذا كان المعدود مذكرا وحذفته فلك فيه وجهان
احدهما وهو الاصل ان تبقي العدد على ما كان عليه لو لم تحذف المعدود فتقول صمت
خمسة تريد خمسة ايام والثاني ان تحذف منه كلمة التانيث فتقول عشرا على احد الجائزين
وحسنه هنا انه مقطع كلام يشبه بالفواصل واطلاق اللفظ يقتضي عدم الفرق بين
المسلمة والكتابية والحرة والامة والحائل وغيرها الا ان القياس اقتضى تنصيف المدة
للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن **فاذا
بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن تفريع على التحديد المذكور **فلا جناح عليكم** ايها الائمة
وجماعة المسلمين **فيما فعلن في انفسهن** من التعريض للخطاب **بالمعروف** بالوجه
الذي لا ينكر شرعا ودل بالفحوى على انهن لو فعلن ما ينكره الشرع كان عليهم ان يكفوهن
وان فرطوا كان عليهم الجناح **والله خبير بما تعملون** وعيد لهن في ارتكاب المنكر والائمة
في التقصير عن المنع **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به** التعريض ايهام المقصود بما لم يوضع
له حقيقة ولا مجازا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض **من خطبة النساء**
الخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة
والمراد بالنساء المعتدات وتعريض خطبتها ان يقال لها انك جميلة او نافعة ومن
غرضي ان اتزوج ونحو ذلك **او اكننتم في انفسكم** او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا
تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** اي ستظهرون رغبتكم فيهن لقلة صبركم عن النطق به
وفيه طرف من التوبيخ على الشره ابتداء عما ابيح لحكمة **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك
عن محذوف دل ستذكرونهن عليه اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية
عن النكاح بمعنى الوطء لانه مما يستر ثم عبر به عن النكاح بمعنى العقد لانه سبب فيه **الا ان تقولوا**

الا ان تقولوا قولاً معروفاً استثناء مفرغ وان تقولوا نصب على المصدر اي لا تواعدوهن مواعدة
الا مواعدة معروفة
وهي بالتعريض او لا تواعدوهن بوجه الا بان تقولوا قولاً معروفاً غير منكر في الشرع ولا يجوز
ان يكون استثناء منقطعاً لفساد المعنى وهو واعدوهن التعريض وليس المراد مواعدة
التعريض بل مواعدة النكاح بالتعريض وقيل لا تواعدوهن في السر لان مسارتهم في الغالب
انما هي بما يستحيي من المجاهرة به لاستهجانه الا وقت ان تقولوا قولا جميلا غير منكر
في الشرع فعلى هذا ان تقولوا في محل النصب بالظرف ويكون المفعول محذوفا اي لا تواعدوهن
النكاح في السر ولا تعزموا عقدة النكاح اي لا تقصدوا عقد النكاح قصدا جازما ولا تترددوا
معه هو عن العزم ليكون ابلغ في منع الفعل وتقدير المضاف لان العزم انما يكون على
الفعل كالعقد لا على نفس العقدة وقيل العزم القطع والمعنى لا تقطعوا عقدة اي لا تبرموه
ولا تلزموه ولا تقدموا عليه فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده حتى يبلغ الكتاب اجله
حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز شرعا فاحذروه
اي فاحذروا مؤاخذته لما هي الصادرة عن عزيمة ولما كان السابق الى الفهم مما
تقدم المؤاخذة بالعزائم على المناهي دفعه بقوله واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل
خشية من الله حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بعدم المؤاخذة بالعذاب عاجلا
لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ولزومه ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن المس كناية عن
الوطء لان حقيقة المس لا يوجب المهر اذا لم توجد خلوة صحيحة او تفرضوا لهن فريضة
اما جزم عطف على تمسوهن اي او لم تفرضوا لهن فريضة او نصب بمعنى الا ان او الى ان
تفرضوا وفرض الفريضة تعيين المهر وهي بمعنى المفروضة وفريضة نصب على المفعول به
فعيلة بمعنى مفعول والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر وانما اعتبر القيد
المذكور لانه انما يجب مهر المثل بالمس وان لم يفرض لها شيئا ويجب نصف المسمى اذا طلقها
وان لم يمسها ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن اي ملكوهن ما يتمتعن به
وسمي ذلك متعة واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا قليلا غير باق بل ينقضي عن قريب
وضمير النصب عائد على المطلقات قبل المسيس وقبل الفرض والحكمة في امر المتعة جبر ايحاش
الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
يقال اوسع الرجل اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى والمقتر المقل من اقتر اذا افتقر وقرئ
قدره بفتح الدال وبسكونها وهما المقدار اي على كل من الذي له سعة ومن الفقير الضيق الحال
قدر يساره واعساره اي يطيقه ويليق به لان الحد الذي يطيقه هو الذي يختص به ويدل عليه

قوله

قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأة المفوضة قبل ان يمسها متعها ولو بقلنسوتك اما انها لا تساوي
شيئا ولكن احببت ان احيي السنة متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع
والمروة حقا صفة لمتاعا اي تمتيعا واجبا او مصدر مؤكد اي ذلك حقا على المحسنين
اي على الموصوفين بالاحسان اصحاب المروات او الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع و
سماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا ولما اتى بعبارة ظاهرة في الوجوب تاكيدا في
الحث واهتماما في الترغيب دفع ذهاب الوهم الى معنى الايجاب حقيقة بعبارة المحسنين
بما فيها من الاشارة الى انه بطريق الاحسان لا بطريق الالزام ومبنى هذه الاشارة
على ما في قوله تعالى وما على المحسنين من سبيل من التنصيص على عدم الايجاب فيما يكون احسانا
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم
فيه دلالة على ان الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون
الاستثناء مفرغ وان يعفون نصب على الظرف اي فعليكم او فالواجب نصف ما فرضتم
لا يحل لكم متعة ابدا الا وقت ان يعفون والنون ضمير المطلقات في طلقتموهن ومحلها الرفع
بالفاعلية والواو لام الفعل وقد يشتبه في اللفظ بفعل جماعة الذكور يقال الرجال يعفون
والفرق ان الواو ضمير الرجال والنون علامة الرفع والفعل على الاول مبني ولذلك لم
يؤثر فيه ان ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج لان
الطلاق بيده فكان ابقاء العقد بيده والمراد ان يعطيها المهر كله واطلاق العفو عليه بطريق
المشاكلة وقيل هو ولي الصغيرة والبكر والعفو حقيقة وهذا لا يصح لانه لا يملك التبرع بحق
الصغيرة ولا بحق الكبيرة بغير رضاها وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للازواج وكذا
قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم اي فضل الرجال على النساء ندب الزوج الى اكمال المهر
اظهارا للمروة واعتبارا للفتوة ان الله بما تعملون بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم
حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها والامر بها في تضاعيف احكام
الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي المتوسطة بين
الصلوات الخمس ثنتان يوميتان وثنتان ليليتان وهي صلوة العصر لما روي انه عليه السلام قال
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وانما
افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل لكونها اشق لاشتغال الناس في
وقتها بتجاراتهم وقيل معنى الوسطى الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وقرئ والصلوة
الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى

في قيامكم والقنوت الذكر في القيام وقال زيد بن ارقم كنا على عهد النبي ع يكلم احدنا صاحبه في الصلوة
بحاجته حتى نزل قوله تع وقوموا لله قانتين اي ساكتين فان خفتم من عدو او غيره فرجالا
اي فحافظوا عليها في حال الخوف ايضا ولا تؤخروها وصلوا رجالا وهي جمع راجل وهو
القايم على الرجل او رجل بمعناه ويجوز لهم اداؤها بالجماعة او ركبانا هي جمع راكب ولهم
ان يصلوا وحدانا بالايماء ويسقط عنهم التوجه الى القبلة ولا يجوز ان يصلوا بالجماعة
عندنا ولا في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال
اخذا بما في هذه الاية من الاطلاق فاذا امنتم اي زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلوة
الامن والذكر اسم للصلوة كما علمكم اي صلوا طائفة واحدة من غير انصراف وفي
حالة الخوف يصلون طائفتين وينصرف كل طائفة الى العدو وعند تمام ركعة عليها باتي
بيانه في سورة النساء باذن الله تع ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا قدمر تفسيره وصية لازواجهم قرئ وصية بالنصب على تقدير حق الذين
يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة كتب عليكم
الوصية لازواجكم الخ وقرئ بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او حكم الذين
يتوفون وصية او والذين يتوفون منكم اهل وصية او كتب عليهم وصية متاعا الى الحول
نصب بيوصون ان اضمرت والا فالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ متاع لازواجهم
لانه بمعنى التمتيع غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من
متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون عن ازواجهم
ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركتهم
ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تع اربعة اشهر وعشرا
ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع او الثمن والناسخة وان كانت متقدمة في التلاوة
لكنها متاخرة في النزول والسكنى لها بعد ثابتة عند الشافعي خلافا للحنفية فان خرجن
من البيت من غير اخراج الورثة او من العدة بانقضاء الحول فلا جناح عليكم ايها الائمة
فيما فعلن في انفسهن من معروف من التزين لطلب الزوج على وفق الشرع وهذه الاية متقدمة
في النزول وان تاخرت في الترتيب ولهذا جاء المعروف منكرا هاهنا ومعرفا فيما سبق
وفيها دلالة على انها لا يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه بل هي مخيرة بينها واخذ
النفقة وبين الخروج وتركها وهذا بيان لما كان في بدء الاسلام والله عزيز اي منتقم ممن
عصاه حكيم مصيب فيما حكم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين عم المطلقات بالمتعة

المتعة لهن بعد ما خص واحدة منهن به وهي غير المدخول بها كذلك اشارة الى ما سبق من احكام
والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه تع يبين لعباده ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا
من الاحكام ودلايلها لعلكم تعقلون لتعقلوا اي لتستعملوا عقولكم في قبولها والتفكر
فيها لاستنباط غير المخصوص من المنصوص ألم تر كلمة تجري مجرى المثل في التعجب يخاطب
بها من لم ير ولم يسمع ما بعدها وهي تقرير لمن سمع بالقصة من اهل الكتاب واخبار الاولين
وتعجيب من شانهم والخطاب لكل احد الى الذين خرجوا من ديارهم روي ان اهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيه الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويعلموا ان لا مفر من حكم الله تع وقضائه وقيل قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ثم احياهم وهم الوف كثيرة
واختلف في عددها بالا يجدي وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة بان
الموت اذا لم يندفع بشيء ولم يكن منه بد فاولى ان يكون في سبيل الله والدليل عليه
الامر بالقتال بعده وهم الوف الواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا
اي اماتهم الله تع بالامر التكويني دفعة واحدة على خلاف العادة ثم احياهم اي اماتهم موت
عقوبة او تنبيه لا موت انقضاء اجال ثم اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم ان الله لذو
فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون من اقتصاص خبرهم كما بصر
هؤلاء بالاماتة والاحياء او حيث احياهم ليعتبروا ويتقنوا بالبعث ولكن اكثر الناس
لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وكان
مقتضى الظاهر الاضمار وانما اعيد اسم الظاهر لما فيه من الايماء الى سبب الغفلة عن النعمة
وقاتلوا في سبيل الله عطف في المعنى على الم تر لانه في معنى انظروا وتفكروا وقيل لما بين ان
الفرار عن الموت غير نافع وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي
سبيل الله والا فالنصر والثواب ويرد عليه انه تع نهى عن لقاء النفس بالمهلكة ولو لم يكن
في الاحتراز نفع لما نهى عنه واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون
عليم بما يضمرونه فيجازيهم بحسبه من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء
وذا خبره والذي صفة ذا او بدل واقراض الله تع مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا حسنا بخلوص النية وطيب النفس بلا من ولا اذى او مقروضا
حسنا بكونه حلالا طيبا وقيل المراد من القرض الانفاق في سبيل الله تع ويؤيده انها
نزلت في ابي الدحداح حين تصدق بحديقة له فيضاعفه فيضاعف جزاءه له اخراج على صورة

المغالبة للمبالغة وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب **أضعافا** جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني على تضمين مضاعف معنى تصيير والمصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع **كثيرة** كثرة لا يقدر قدرها الا الله **والله يقبض ويبسط** لتحصي ويبسط لآخر ويقبض في حال ويبسط في اخرى حسبما اقتضته حكمته يقبض اذا قبض حتى لا طاقة ويبسط اذا بسط حتى لا فاقة اي لا تخافوا الاقلال بالانفاق ولا تظنوا بقاء السعة بالامساك فان الله هو الموسع والمضيق لا الامساك والانفاق سهل هذا عليهم الاقراض **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم وفيه تنبيه على ان الغني يفارق ماله بالموت فليبادر الفوت **الم تر الى الملأ من بني اسرائيل** الملأ الجماعة الاشراف يجتمعون للتشاور وقيل هو من الملاءة التي هي القدرة فهم قوم لا حاجة الى الزيادة عليهم فيما اجتمعوا له لقدرتهم عليه لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض **من بعد موسى** اي من بعد وفاته ومن للابتداء **اذ قالوا لنبي لهم** اختلفوا فيه والاشهر الاظهر انه اشموئيل من نسل هارون عم **ابعث لنا ملكا** انهض لنا اميرا **نقاتل في سبيل الله** نقاتل بالنون والجزم جواب الامر وقرئ بالرفع حالا اي ابعث لنا مقدرين القتال او استئنافا كانه قيل كيف تصنعون بالملك فقالوا نقاتل في سبيل الله وقرئ بالياء والجزم جوابا وبالرفع صفة لملكا **قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا** معنى الاستفهام في هل التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في ظنه وتوقعه كما في قوله تع هل اتى على الانسان وخبر عسيتم الا تقاتلوا والشرط اعتراض بينهما وجوابه محذوف مدلول عليه بقوله عسيتم اي ان كتب عليكم القتال خفت ان تجبنوا ولا تقاتلوا اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا اي اتوقع منكم الجبن عن القتال فادخل هل للتقرير السابق ذكره **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا** اي داع لنا الى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه من الاخراج عن الديار **وابنائنا** اي منفردين منهم على تضمين الاخراج معنى الانفراد والديار الخ من الاوطان لما في الاخراج عنها من الدلالة على استيلاء العدو واملاكهم واما ذكر الابناء دون الاولاد والمتناول للبنات فلعدم اعتنائهم من العرب بهن فلا يشق الانفراد عنهن بل بهم ومن لم يتنبه لما ذكرناه ورد في تفسيره الاوطان بدل الديار والاولاد بدل الابناء ولم يدر ما فيه من سوء الادب حيث اوهم فضل البدل على المبدل منه ومن احسن من الله قيلا وليس لكلام المعجز بديل بقي ههنا شيء آخر لا بد من التنبيه له ايضا وهو انهم عللوا القتال بما يرجع الى حظوظهم فخذلوا ولو قالوا كيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخرجوا

من ديارنا

رد

الروم

بلاده وقهروا عباده لو فقوا روي ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل البحر بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم **فلما كتب عليهم القتال تولوا** لما قالوا ذلك دعى نبيهم الله تع وسأل لهم ملكا فاجابه تع الى ذلك ونصب لهم طالوت ملكا وفرض عليهم القتال وكان فيهم طاغية هو الذي دعاهم الى ذلك فتابعوه وكانوا يرجون ان يملك عليهم فلما ملك الله تع غيره نكصوا على اعقابهم وكرهوا فالفاء في قوله فلما كتب عليهم القتال فصيحة والقول الآتي ذكره متقدم وقوعا وان كان مؤخرا ذكرا **الا قليلا منهم** ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل البدر **والله عليم بالظالمين** وعيد لهم وتسجيل عليهم بالظلم في القعود عن القتال ولذلك وضع الظاهر موضع المضمر **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث** صرح بنسبة البعث الى الله تع تعظيما لشان المبعوث ودفعا لذهاب الى ان يكون تعيينه عن ميل ونسبة اليه **طالوت** علم عجمي كجالوت فامتنع عن الصرف للعلمية والعجمة وقيل انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم وامتناعه عن الصرف يأبى عن ذلك الا ان يقال اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالا اسما رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو على هذا فعلوت من الطول اصله طولوت كما لو كان عربيا **ملكا** روي ان نبيهم دعى الله تع حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يتملك عليهم فلم يساوها الا طالوت **قالوا انى يكون له الملك علينا** انى بمعنى كيف كما في قوله انى يؤفكون استبعدوا تملكه عليهم والواو في **ونحن احق بالملك منه** واو الحال وفي **ولم يؤت سعة من المال** عاطفة فانتظمت الجملتان في حكم الحال اي والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له حتى يتشرف به اذا فاته نسب الملوك وانما قالوا ذلك لان الملك كان في اولاد يهودا وكان فيهم من سبط خلق كثير اغنياء وطالوت كان فقيرا من سبط ابن يامين ولم يكن فيهم الملك ولا النبوة فانهما كانا في اولاد لاوي ذكروا العلة عن استحقاق الملك عليهم وجهين احدهما في الخارج والآخر في نفسه وقدموا ما في الخارج اخذ الطريق الترقي **قال ان الله اصطفاه** اختاره **عليكم** اصل الاصطفاء اخذ صفوة الشيء والقاء ما سواه اي انه لم يكن له نسب ولا نشب فله فضيلة ذاتية علينا نبه عليه بقوله **وزاده بسطة في العلم** قدمه لكونه اقدم في الاعتبار **والجسم** طولا وعرضا لما انكروا تملكه عليهم اجابهم بالجملة التأكيدية المصدرة بان وقدم المسند اليه وهو الله على الفعل للتخصيص وتأكيد النسبة الى الله تع هو الذي اصطفاه عليكم دون غيره وهو اعلم بمصالحكم منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر خصلتين كالبرهان وبيان حكمه في اختياره بما اقوى في باب الملك واولى بالحاجة من النسب والمال وهما العلم والجسامة ليتمكن من معرفة

امور السياسة ويكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب الملوك العلم ووصفه بالبسطة فيه وفي الجسم ليندرج تحته العلم الذي طلبوه لاجله وهو المعرفة بامر الحرب والله يؤتي ملكه من يشاء قدم المسند اليه لافادة الاختصاص اي الملك له خاصة غير منازع فيه فهو يؤتي ملكه من يشاء دون غيره بسبب استصلاحه لذلك والله واسع اي واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه من الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وان لم يكن من نسل الملوك فقوله واسع رد لقولهم ولم يؤت سعة من المال كما ان قوله ان الله اصطفاه رد لقولهم ونحن احق بالملك منه يعني انه مصطفى مثل نسبوبه اليه وليس المالك كالمستعمر وقوله عليم تكميل حسن يدل على ان اصطفاه وابتاه عن علم وحكمة لا عن جهل وسفه وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت التابوت صندوق التورية فعلوت من التوب بمعنى الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشياء فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يترك المعروف اليه ومن قراه بالهاء فلعله ابدله من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة فيه سكينة ما به تسكنون اليه من ربكم اي من فضله والضمير للتابوت لا للاتيان لقوله وبقية فانها تأبى عنه والبقية مثل في الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وذلك لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون والآل مقحم لتفخيم شانهما كما في قوله عم يا ابا موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود تحمله الملائكة حال من التابوت قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عم فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه ان في ذلك اي في اتيان التابوت والملائكة تحمله لآية عظيمة لكم ان كنتم مؤمنين من تمام كلام النبي عم لان المقام لا يحتمل الخطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قبل هذا جملة محذوفة اي فجاءهم التابوت واقروا لطالوت بالملك وتاهبوا للخروج فالفاء فصيحة والباء في الجنود للملابسة اي ملتبسا بالجنود سواء كان فصل لازما بمعنى انفصل عن بلده او متعديا بمعنى فصل نفسه عنه فان الفصل في المتعدي والفصول في اللازم لغتان مثل وقفه وقفا ووقف وقوفا والجنود جمع الكثرة للجند والاجناد جمع القلة له والجند الجيش الاشداء ماخوذ من الجند وهو الارض الغليظة الشديدة روي انهم لما فارقوا بلدهم سلكوا مفازة وكان الوقت قيظا فسالوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة مختبر بما اقترحوه كان في جند طالوت المخلص والمنافق فيميز بينهما بالماء كالذهب والفضة فيها الخبث فيميز الخالص من غيره بالنار والنهر بفتح الهاء وتسكينها المجرى الواسع للماء وكل ثلاثي حشوه حرف حلق فتسكينه وفتحه لغة كالشعر والنحر والدأب فمن شرب منه فليس مني اي فليس متصلا بي ولا متحدا معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جلتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني الطعم الذوق ويقع على الاكل والشرب الا من اغترف غرفة بيده الغرف اخذ الماء بالة كاليد والغرفة بالفتح المرة من هذا الفعل والغرفة بالضم قدر ما يغرف بالكف من الماء واصل الكرع القطع ومنه الغرفة التي هي العلية قطعة من البناء استثنى من الشرب الممنوع هذا النوع وانما قدمت عليه الجملة الثانية لان مدلولها مفهوم منه بطريق الدلالة وانما ذكرت تتميما للجملة الاولى بما فيها من الترغيب الى الانتهاء بالنهي المذكور فحقها ان تذكر عقيبها قبل الاستثناء المزبور وطالوت ان كان نبيا فله ان يعرف ذلك بالوحي والا فبالالهام او باخبار النبي عم فشربوا منه اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بواسطة وتعميم الاول ليتصل الاستثناء وقرى الا قليل بالنصب على الاستثناء وبالرفع على انه تابع للضمير قبله لان الكلام اذا كان موجبا جاز فيما بعد الا النصب وهو الافصح والاتباع بما قبله ان رفعا فرفع او نصبا فنصب او جرا فجر وليس هذا من مواضع الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا والقليل على ما قيل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما جاوزه هو اي قطع طالوت النهر والذين آمنوا معه اي القليل لم يخالفوه وفي التعبير عنهم بما ذكر دلالة على ان المخالفين لم يكونوا مخلصين في دعوى الايمان فاما زاد قوله معه لافادة معنى المتابعة اياه والموافقة له ولما افترقوا فرقتين قال كل فرقة ما يليق بشانه وعدم العطف بين القولين لعدم جمعهما مقام واحد وسياق كلام واحد قالوا اي الذين انخذلوا على ما نص عليه ابن عباس رضه كانهم قالوا اما قالوا اعتذارا في التخلف وتخذيلا للمقدمين على القتال لا طاقة لنا اليوم بجالوت اي بقتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم وفي عبارة الجنود دلالة على هذا علمها بيناه فيما سبق قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله الظن على حقيقته ومعنى ملاقوا الله انهم يستشهدون في ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال وصدقهم في عزمهم او بمعنى الايقان اي يوقنون بالبعث على ان معنى ملاقوا الله انهم راجعون اليه في القيمة ويجزون باعمالهم يومئذ وعلى هذا المعنى من الملاقاة يجوز ان يكون الظن على اصله ويكون القصد الى انه يكفي في هذا القول يكيف باليقين كم من فئة قليلة كم كلمة تكثير ومن مبينة او مزيدة للتاكيد والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اي شققته او من فاء اذا رجع غلبت فئة كثيرة كم مبتدا خبره غلبت

باذن الله بتيسيره وهذا تحريض على القتال واستشعار بالنصر والله مع الصابرين بالنصر والاثابة
تحريض على الصبر في القتال ولما برزوا لجالوت وجنوده المبارزة في الحرب ان يظهر المحارب لقرنه
بحيث يراه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الافراغ صب الشيء استعير للاكمال والاكثار وثبت
اقدامنا اي في المعركة لئلا نزل ولا نزول وانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم وانهم منا التجاوا
الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك
الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا
ثم اشاروا بتوصيف القوم بالكافرين الى يطلبون النصر لا للانتقام منهم بتعلقهم بهم بل لانهم
كفار واعداء لربهم فهزموهم الفاء فصيحة وقبله مضمر اي فاستجاب الله دعاءهم ونصرهم
والهزيمة دفع الشيء بقوة حتى يدخل بعضه في بعض والمهزام خشبة يحرك بها الجمر ويدفع بعضه
على بعض باذن الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت لم يبين الله تعالى كيفية القتل الا انه اشار
في سياقه الى انه كان بسهولة واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود
على ملك والحكمة النبوة اذ بها وضع الامور مواضعها فاتاه ملك طالوت ونبوة نبيهم وجمع
له كليهما وكان قبله الملك في سبط والنبوة في سبط وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام
الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا انه تعالى يدفع بعض
الكفار ببعض ويمنع فسادهم بذلك لفسدت الارض لعم فسادهم الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين ولكن الله بسط الفضل على العالمين بنصر المصلحين على المفسدين تلك آيات الله
اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة
وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالصدق واليقين الذي لا ريب فيه لاهل الكتاب
اذ هي في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير قراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك
الرسل اي المذكورة في السورة كلها او المعلومة لك بالوحي فضلنا بعضهم على بعض بحسب
درجاتهم في الزلفى وتفاوت مراتبهم في الاصطفاء منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل اي
خاطبه الله بكلامه الازلي بلا واسطة وهو موسى عم لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما ورفع بعضهم
درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وهو مراتب متباعدة وهو محمد عم المفضل عليهم
حيث اوتي ما لم يؤت احد منهم والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن
التعيين وتنكير درجات بعضه في تعظيم شانه واتينا عيسى ابن مريم البينات خصه بالتعيين لافراط
اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيل لانها آيات ظاهرة وبينات
باهرة لم يستجمعها غيره وايدناه بروح القدس قدم تفسيره ولو شاء الله ان لا يقتتلوا ما اقتتل

الذين

الذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء الرسل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات الواضحات لاختلافهم في
وتشعب مذاهبهم وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا اي ما شاء لما اقتضيه حكمته فمنهم من آمن
لالتزامه دين الانبياء عليهم السلام بتوفيقه ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء
الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد لكون الامور بمشية الله تعالى ولكن الله يفعل ما يريد من تخصيص بعضهم بالشقاوة
والايمان وبعضهم بالشقاوة والكفر فان قلت الاستدراك بعد استعمال كلمة لو فيها عرف
العربية ان يذكر انتفاء الشرط ليثبت انتفاء الجزاء اي لكن لم يشأ عدم الاقتتال فاقتتلوا
على قاعدة الاستدلال لا ان يذكر انتفاء الجزاء ليعلم انتفاء الشرط اي لكنهم اقتتلوا فيعلم
انه لم يشأ عدم الاقتتال فما وجه قوله ولكن يفعل ما يريد قلت معناه لكنه لم يشأ بعموم الا
بل بنوبة فتثبت لانه يثبت ما يريده ابدا ما كان قبل يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا ويرد عليه انه يكون الخذلان عن باعث فيتقيد ارادته المتعلقة به وبإباءه النعيم
المستفاد مما ذكر والآية دليل على ان الانبياء عليهم السلام ولو كانوا اولي العزم من المرسلين
متفاوتة الاقطار واما انه يجوز تفضيل بعضهم على بعض على التعيين فلا دلالة عليه في الآية
نعم يجوز ذلك اذا وجد دليل قاطع لانه مما يتعلق بالاعتقاد دون العمل حتى يكتفى فيه بالظن
وانه ما تعلق به ارادة الله تعالى فعلا كان او تركا خيرا كان او شرا يقع واما ان كل ما يقع
انما يقع بارادته تعالى فلا دلالة عليه فيها انما علم ذلك من موضع آخر يا ايها الذين آمنوا
انفقوا مما رزقناكم اراد به الواجب من الزكوة لظاهر الامر واتصال الوعيد به من قبل ان ياتي
يوم لا بيع لا كسب فيه لانه يوم الجزاء لا يوم عمل وعبر عن كل المكاسب بحلها ولا خلة
لان الاخلاء بعضهم لبعض عدو يومئذ فان قلت اليس زمرة المتقين مستثنا
منهم قلت بلى ولكن الوعيد في حق من ترك الانفاق الواجب فالاستثناء المذكور
لا يجديه ولا شفاعة يعني ان تدارك ما فاتكم من الانفاق اما بالاداء بعد الحصول
بطريق المعاملة او المجاملة واما بالابراء ولا سبيل الى شيء من ذلك اذ لا كسب ولا خلة
ولا شفاعة خصوصا في اسقاط حقوق العباد واما ان الشفاعة لا تكون الا
في زيادة الفضل فطريقة الاعتزال موضع بيانه وماخذ عيانه علم الكلام وانما رفعت
ثلثها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد
فتحها من فتحها على الاصل والكافرون اي التاركون للزكوة وانما عبر عنهم بالكافرين
تغليظا عليهم وزجرا لهم كما في آخر آية الحج تشبيها فعلهم الذي هو ترك الزكوة بالكفر
او جعل مشارفة على الكفر او تعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل ترك الزكوة

في موضع آخر من صفات الكفار ولوازمه فهو على الاول استعارة تبعية او مجاز مرسل وعلى
الثاني كناية او مجاز لزوم **هم الظالمون** هم الذين ظلموا انفسهم بترك الانفاق الواجب
صرف المال على غير وجهه ووضعه في غير موضعه **الله لا اله الا هو** مبتدا وخبر والمعنى
المستحق للعبادة هو لا غيره وقيل خبره **الحي القيوم** ولا اله الا هو معترض بينهما والمراد
من الحيوة في حقه تع البقاء الذي لا سبيل اليه للفناء مجازا وذلك ان الحيوة بحسب
اللغة عبارة عن قوة مزاجية تقتضي الحس والحركة ولا صحة لها في حقه تع فلا بد من
المصير الى المعنى المجازي المناسب له وهو البقاء وانما وصفناه بما ذكر لانه مستند الى
ذاته تع فلا يمكن زواله واما الذي ذكره المتكلمون بقولهم الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر
فمعناه الاصطلاحي الحادث فلا مساغ لحمل ما في الكلام القديم عليه حيث لا يعرفه
اهل اللسان وقت نزول القرآن وقد رد صاحب الكشاف مثل هذا في تفسير قوله
تع يجعلون اصابعهم في آذانهم وجوزه هنا والقيوم القائم بذاته المقوم لغيره وقيل
الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيقول من قام بالامر اذا حفظه **لا تاخذه**
الاخذ التناول ومنه اخذ الشارب قصه وقطع شيئا من شعره **سنة** السنة
ثقلة من النعاس وفتور يعتري المزاج قبل النوم وليست بداخلة في حد النوم
على ما دل عليه قول عدي بن الرقاع ° وسنان اقصده النعاس ° فرنقت في عينه
سنة وليس بنائم ولا دلالة فيه على ان السنة هي النعاس كما توهم **ولا نوم** النوم
حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا لا يعتريه ما يعتري المخلوقين من
الغفلة والملال والفتور في حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة
الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة فالجملة بيان للقيوم بانه مهيمن على غيره من
بقومه غير غافل عنه وتاكيد للكونه حيا فان من اخذه سنة او نوم كان موقوف
الحيوة ولذلك ترك العاطف فيه وتقديم السنة على النوم على قياس المبالغة
والترقي فان سلب السنة وان كان ابلغ سلب النوم لكن سلب احدهما ليس
بابلغ من سلب اخذه لما فيه من القوة في القوة على دفعها فقد لا يقدر على دفع
فمن وهم ان قياس المبالغة عكسه فقد وهم لم يفرق بين سلبها وسلب اخذهما
وايضا السنة من طلايع النوم ومقدمات سببه السابقة عليه فنفي النوم بعد نفيها
باعتبار انه يستلزم نفي سببه يكون ابلغ واما نفي التشبيه فقد حصل بالحي القيوم

ملكها

على المعنى المراد منهما **له ما في السموات وما في الارض** بيان وتقرير بنفي السنة والنوم لان الذي
ما فيهما يحفظها وما فيهما بتدبيره فلا يمكن ان ينام والا لزال عن النظام ولهذا
ترتب عليها قبله من غير حرف عطف ولو كان تقريرا للقيومية كما قيل لا لجميع
ما قبله في هذه الجهة فكان حقه ان يترتب عليه بحرف عطف والمراد فيهما ما
وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله
له ملك السموات والارض وما فيهن ولما ذكر مالكيته للكل بين ذلك بقوله **من ذا**
الذي يشفع عنده الا باذنه اي بلغ مالكيته وكبرياؤه ان لا يتمالك احد ان يتكلم يوم القيمة
الا من اذن له لقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ثم بين ذلك بقوله **يعلم ما بين**
ايديهم وما خلفهم اي ما كان قبلهم وما يكون بعدهم فكيف يجاهل ومن احاط
علمه باحوال الخلق كلها يعلم المستوجب للشفاعة وغيره والضمير لما في السموات
والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الانبياء والملائكة **ولا**
يحيطون بشيء من علمه اي معلومه فان اسم المصدر يقع على المفعول يقال في الدعاء
اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده
بعلم من يستحق الشفاعة وغيره وانما فصل المعطوف عليه عما قبله لما اشرنا
اليه من انه مبين لما قبله واما على ما قيل ان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي
التام الدال على وحدانيته فلا يظهر وجه الفصل المذكور كما لا يخفى **الا بما شاء** ان يعلمهم
به من المعلومات **وسع كرسيه السموات والارض** بيان لشمول علمه واحاطته وسعته
وبسطته وانه لم يضق عن السموات والارض على سبيل التمثيل والتخييل وتصوير
امر المعنوي بالصورة الحسية ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله تع والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي
ويمين فيل تصوير لعظمته وتمثيل وعلى هذا لا يظهر وجه الفصل عما قبله وعلى ما
ذكرنا قد ترتب الجمل الخمس هناك ترتيبا متسقا تقع كل منها تبيين ما ترتبت عليها
مقررة لمعناها فلا سبيل للعاطف بينهما لكمال الاتصال بين معانيها وعن الحسن
الكرسي هو العرش وقيل انه تع خلق كرسيا بين يدي عرشه دون السموات
والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعرش الخلق للجلوس عليه والكرسي
لوضع القدمين عليه وتعالى الله تع عن ذلك علوا كبيرا كما ان بيت الخلق للسكنى
فيه والله تع جعل الكعبة بيته وتعالى ان يسكنها انما المراد بيان ان ما في السموات و الارض

لا يعزب عنه كما لا يغيب عمن جلس على السرير ما تحت قدميه واصل الكرسي في اللغة هو المتراكب
والكراسة سميت بها لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرس البعر والبول اذا تلبد
بعضه على بعض **ولا يؤده** ولا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** حفظ السموات والارض وانما
ثنى مع ان السموات جمع رد الى الجنس والاود الاعوجاج الذي يعرض من
الاعتماد عليه بالثقل **وهو العلي العظيم** اسمان جامعان لكمال التوحيد فالعلي هو
المتعالي عن الصفات التي لا يليق به والعظيم هو الموصوف بكل الصفات التي
يليق به قيل تذاكر الصحابة رض افضل ما في القرآن فقال لهم علي رض اين انتم
عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله ع م يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب
محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن
البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وفيه نظر لان قوله سيد البشر آدم وسيد العرب
محمد يفصح عن تفضيل آدم ع م على محمد ع م وهو خلاف ما انعقد عليه الاجماع و
ما ورد في الحديث من قوله ع م انا اكرم الاولين والآخرين على الله تعالى ولا فخر
ويمكن ان يقال ان آدم ع م سيد البشر في الدنيا ومحمد ع م سيد البشر في الآخرة
على ما افصح عنه بقوله انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي اخرجه صاحب المصابيح
عن ابي سعيد الخدري ولا خفاء في ان السيادة في الآخرة راجحة على السيادة في
الدنيا فالفضل لنبينا عليه وعلى سائر الانبياء السلام وانما سميت آية الكرسي لاشتمالها
على توحيد الله تعالى وصفاته كما فضلت سورة الاخلاص لافصاحها عن التوحيد
الذاتي وان شرف العلم بشرف المعلوم والموضوع ولا معلوم اجلى واعلى من الله
ولا مذكور اعظم ولا اجل منه فلا ذكر اشرف ولا افضل منه **لا اكراه في الدين** اي
لا الزام على الدين الحق وهو الاسلام بما يضطر الى قبوله اذ الاكراه في الحقيقة
انما يكون بحمل الغير على ما لا يرى فيه خيرا فعلا كان او تركا **قد تبين الرشد من الغي**
استئناف تعليلي فلا وجه لتقديره ولكن ان تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة
ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي
الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا
للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي

اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم او خاص باهل الكتاب لانهم حصنوا انفسهم واموالهم باداء الجزية وروي انه
كان لانصاري ابنان تنصرا قبل ان يبعث رسول الله ع م ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله ع م فقال الانصاري
ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما والغي ضد الرشد تقول غوي
يغوي غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد **فمن يكفر بالطاغوت** بكل معبود
سوى الله تعالى ولا يلزم اطلاق الطاغوت على عزير وعيسى والملائكة ع م لانّ عبادة
ما عبدوهم في الحقيقة بل عبدوا الشيطان على ما يأتي تفصيله في تفسير قوله تعالى انكم و
ما تعبدون من دون الله حصب جهنم وبهذا التفصيل اتضح فساد ما قيل
والطاغوت كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم في نفسه ولا يرد عليه عيسى ع م
لانا قيدنا بالذم لعدم الحاجة الى زيادة القيد المذكور بل لا وجه له كما لا يخفى
ويتبين الخلل فيما قيل بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد
عن عبادة الله والطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد في الشر واصله
طغووت وهو مقلوب من طغووت على وزن فعلوت قلبت ثم جعلت الواو
الفا لفتحة ما قبلها **ويؤمن بالله** عدي فعل الايمان بالباء والمقصود التصديق
وهو متعد بنفسه لانه نقيض الكفر المتعدي بالباء ومن دأبهم حمل النقيض على النقيض
فقد استمسك اي تمسك عن قصد وطلب والفعل الاختياري اذا كان مسبوقا
بذلك يكون حصوله على اكد وجه ولهذا يؤثر هذه الصيغة في مقام المبالغة ومن لم
يتنبه لهذا قال في تفسيره طلب الامساك من نفسه **بالعروة الوثقى** بما هو اوثق من
المتمسكات المحكمة المامون انقطاعها والظاهر ان الاستمساك بالعروة الوثقى
كالاعتصام بحبل المتين مثل في كل اعتقاد مطابق لا يحتمل النقيض فهو تشبيه
للمعقول المعلوم بالبرهان بالمحسوس المشاهد ولا مجاز ولا استعارة في مفرداته والقول
بالاستعارة في العروة تنزيل للكلام عن الدرجة العليا الى الدرجة النازلة كما لا
يخفى على من له كعب عال في صنعة البلاغة **لا انفصام لها** الفصم بالفاء القطع
بلا ابانة والقصم بالقاف مع الابانة ونفي الاول ابلغ من نفي الثاني كما ان اثبات
الثاني ابلغ من اثبات الاول فتأمل **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالعزايم و
العقايد وهو ابلغ وعد ووعيد في عامة الكلام وبتعريض تحته التهديد في حق المنافق

الله ولي الذين آمنوا ناصرهم ومتولي امورهم يخرجهم بالتوفيق والتأييد من الظلمات ظلمات الشبه
والشك والضلالة الى النور الى نور اليقين والمعرفة والهداية والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت الشياطين يخرجونهم بالاغواء والوسوسة من النور الى الظلمات من نور البينات الى الظلمات
الى ظلمات الشك والشبه او ولي الذين ارادوا الايمان يخرجهم بالهداية والتوفيق من ظلمات
الكفر الى نور الايمان والذين ارادوا الكفر يخليهم مع شياطينهم الذين يوالونهم يخرجونهم
من نور البينات والدلائل الواضحة الى ظلمات الكفر والشبه جمع الظلمات ووحد النور
لان الباطل متعدد والحق واحد اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير وفيه دلالة
على ما في مقابله من الوعد والتبشير ولهذا اكتفى به عنه وانما لم يعكس محافظة على
الفاصلة الم تر الى الذي حاج ابراهيم تعجيب من محاجة نمرود في ربه يجوز
ان يعود الضمير على ابراهيم عم الا ان الراجح ان يعود على الذي حاج لان مساق
الكلام فيه على وجه التعجيب عن حاله يقتضي ذلك ان آتاه الله الملك مفعول له اي
لان آتاه الملك يعني ابطرته النعمة وحمله الملك على العتو والكفر فحاج لذلك او وضع المحاجة
مكان ما وجب عليه من الشكر نعكس الامر والتعجيب على هذا الوجه اقوى او ظرف
اي وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر
من المعتزلة والجواب بان المراد ايتاء الاسباب لا يشتبه كما لا يخفى على ذوي الالباب
وكذا ما قيل ملكه امتحانا اذ ما من قبيح الا ويمكن ان يكون فيه غرض صحيح مثل الامتحان
اذ قال ابراهيم نصب على الظرف بحاج على الاول وبدل من ان آتاه الله على الثاني ربي الذي
يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحياء قال انا احيي واميت اي اعفو
عن القتل واقتل فاعرض ابراهيم عم عنه وان كان يتيسر عليه ان يقول له ليس هذا
باحياء ولا اماتة لكن لما كان هذا عند ملأ من الناس وفيهم الضعفة فاراد ابراهيم عم
ان يفضحه فضيحة ظاهرة لا تخفى على احد فجاء بما لا يمكنه المعارضة بالتلبيس وبهذا التفصيل
اندفع ما قيل ما كان ينبغي للنبي ان ينتقل بل كان عليه ازاحة الشبهة دفعا لوهم الافحام
واجيب بان ذلك انما يكون اذا كانت للشبهة قوة والتبس على الناس معنى واما في
الشبه الواهية فيحسن الاعراض عنها وعدم الالتفات سيما مع المجادل الاحمق
على انه عم ما اعرض من الاعتراض اعراضا كليا بل تعرض له اجمالا قال ابراهيم فان الله
يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب جيء بالفاء الفصيحة عن كلام مقدر
يناسب المقام كانه قال لا يجديك هذا التلبيس في المادة المذكورة فان الله تعالى

منزه بفعل لا مجال للتلبيس في معارضته ولا مجال له لان يقول انه ليس من فعل ربك
ايضا كما انه ليس من معطلي لانه ليس من الدهرية بل معترف بالحاجة في العالم الى
الرب ولهذا ادعى الربوبية فبهت الذي كفر يقال بهته اي حيره والبهتان على انه
هو الافتراء الذي يحيره اي انقطع في هذا الالزام الظاهر متحيرا قيل كان انقطاعه
في الالزامين جميعا في الاول عند العقلاء وفي الثاني عند الكل فان قيل هلا قال نمرود
لابراهيم عم فليأت بها ربك من المغرب قلنا لانه خاف انه لو سأل ذلك
فعل الله لما رأى منه بعض الخوارق فان هذه المحاجة كانت بعد خلاصه عم
من النار فعلم الملعون ان من قدر على ذلك قدر عليه قال الحسن قال الله تعالى
وعزتي وجلالي لآتين بها من المغرب تصديقا لقول خليلي والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج وفيه
انه يوهم ان يكون لنمرود طريق الى المعارضة في الكلام الثاني لم يهتد اليه كما زعم من
قال ان الله تعالى انساه ذلك نصرة لنبيه او كالذي مر على قرية اصله او رأيت
مثل الذي مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يكون من الكلام
المحمول على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارأيت الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية
وانما زيد هاهنا حرف التشبيه لانه سلك طريقة المرتبة في التعجيب ولا يخفى ان قولك
هل رأيت هذا ومن لم يتنبه لهذا التزم زيادة الكاف واما قصد التكثير بها فلا
يناسب المقام انما المناسب له ما ذكرناه والقرية مجمع الناس من قولك قريت
الماء في الحوض اي جمعته والمراد ايليا بلدة بيت المقدس وكانت بخت نصر البابلي
خربها وهي خاوية ساقطة يقال خوي البيت بكسر الواو يخوي خوى مقصورا اذا
سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدودا اذا خلا فلا يجوز الجمع بينهما والاول متعين
للارادة لقوله على عروشها سقوفها واحدها عرش اي سقطت السقوف ثم
وقعت الحيطان عليها كما هو الغالب في خراب البيوت قال قيل ظاهر الكلام ان
المار القائل كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك واحد ولكلمة الاستبعاد
وانتظامه مع ابراهيم عم في مثل حاله وهي طلب معرفة احياء الموتى ترجح انه كان مؤمنا
وقوله انى يحيي على هذا استعظام لقدرة المحيي واعتراف بالعجز عن معرفة طريق
الاحياء ولهذا اشتهر انه كان عزيرا وقيل الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد
بصيرة كما اراد ابراهيم عم ويؤيد هذا ذكر الله واضافة الاحياء اليه في قوله هذه الله

بعد موتها فانه لو كان الغرض انكار البعث لكان حقه ان يقول الذي يحيي هذه بعد موتها وانى في محل
النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف والاشارة الى اهل القرية قال هذا القول
ربط حماره ونام فنزع الله فيه الروح منه مائة سنة فالفاء في قوله تعالى فاماته الله سببية
لا تعقيبية وحماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى العيون عن رؤيته مائة عام اي
فالبثه ميتا مائة عام او فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت
روي انه ناداه مناد من السماء وقيل القائل هو الله تعالى ويأباه الفصل فان حق النظم
في الوصل بالفاء او ثم قال لبثت يوما او بعض يوم انما تردد لان نومه كان اول النهار و
بعثه قبل الغروب ولم يدر انه ذلك اليوم او ما بعده وحمل او على الاضراب تكلف مستغنى
عنه قال المنادي بل لبثت مائة عام فانظر لما كان الامر بالنظر للتنبيه على خارق
العادة وكان ذلك مبنيا عليها تقدم صدر باداة الترتيب والتفريع الى طعامك كان
طعامه عنبا او تينا وشرابك يعني العصير لم يتسنه لم يتغير مع انه في صدد الاخبار
عن التغير ورد الضمير الى افرادها ذكر لانه اسم نعيرا فاكتفى بذكر حاله عن ذكر حال
قرينه والمعنى لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام
السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وانظر الى حمارك الامر بالنظر الى الحمار لطاه
في انه يرى منه على هيئة الحمار غير متغير كالطعام والشراب ولما كان بقاؤه حيا بلا ماء
ولا علف ابعد واغرب اعاد فيه الامر بالنظر واخره على طريقة الترقي وقيل والاول على
الحال والاوفق لما بعده ان يكون المعنى كيف تفرقت عظامه ويرد عليه انه لا دلالة فيه على
اللبث مائة سنة فان الزيادة في الدلالة وما بعده ذو الوجهين فلا ترجح من تلك الجهة
وفي نظم الامر بالنظر الى الحمار مع الامر بالنظر الى الطعام والشراب دون الامر بالنظر
الى العظام حيث فرق بينها بقوله تعالى ولنجعلك آية للناس اي فعلنا ذلك لتتبين
تلك الحال ولنجعلك عبرة للناس ودالا لهم على البعث اشارة ظاهرة الى ان الحمار
من جملة الباقين كما كان لم يمت مع صاحبه على ما نقل عن السدي وبه اخذ كثير من
المفسرين وانما قلنا ان الواو للعطف على المقدر لان المقام مقام التفصيل للتباين بين الجملتين
انشاء واخبارا ومن لم يتنبه له قال اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية فان قلت لابد
للحذف من قرينة قلت نعم وكفى قوله فلما تبين له قرينة له روي انه اتى قومه على حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخ فاذا حدثهم بحديث قالوا

حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها بالزاي المعجمة
اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وقرئ بالراء المهملة
من الانشار وهو الاحياء واحياء العظم جعلها مادة الاحياء ولما كان اللحم فضلة لا يتوقف عليه
بنية الحيوة نبه عليه بكلمة التراخي في قوله ثم نكسوها لحما نلبسها وهو مجاز عن سترنا به
وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد
مشاهدة وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة كذا
قيل والاوضح ان يكون في موقع البدل من العظام والتقدير وانظر الى العظام كيفية
انشازها على نمط قول الشاعر الى الله اشكو بالمدينة حاجة وبالشام اخرى كيف يلتقيان
اي اشكو هاتين الحاجتين كيفية التقائهما فلما تبين اي الحال على ما دل عليه سياق
المقال له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره وعلم من
قوله اعلم دون علمت انه متعجب دون منكر وقرئ اعلم على الامر والآمر مخاطبه واذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى استعطاف بين يدي السؤال كان موقنا بايقان غيب
فاحب ان يوقن به ايقان عيان قال اولم تؤمن الواو للعطف على مقدر اي انقول
ذلك ولم تؤمن باني قادر على احياء الموتى باعادة التركيب والحيوة قال بلى آمنت ولكن
سألت ليطمئن قلبي ليزيد سكونا بتظاهر الادلة ومضامة علم الضرورة علم الاستدلال
فانه لا مجال للتشكيك في الضروريات بخلاف الاستدلال والطمأنينة السكون والمطمئن
من الارض المنخفض منها وحكمة خطاب الله تعالى اياه قطع اوهام الجهال بحوله كيلا يظنوا به
عليه السلام شكا فيه ولقد اجاد فيما افاد من قال الظاهر انه سأل عن كيفية الاحياء
لا عن انيته وهي غير معلومة لا استدلالا ولا ضرورة نعم العلم الاجمالي بان لا بد له من
كيفية حاصل وقوله تعالى اولم تؤمن اشارة الى ان العلم الاجمالي كاف فيما يجب ان يعتقد
ويؤمن به في هذا الباب وقوله م في الجواب ولكن ليطمئن قلبي اشارة الى ان العلم
التفصيلي اقوى وفيه حظوة خاصة للعارف وان العيان وراء ما يدل عليه البرهان
ومن هذا النمط يتلوح تفاوت ما بين كلمتي الخليل وعزير عليهما السلام قال فخذ اربعة
من الطير قال في المغرب الطير اسم جمع مؤنث وقد يقال للواحد عن قطرب وكذا حكاه ثعلب
عن ابي عبيدة وجمعه طيور وعليه قول محمد في الرجم يذبح الطير المسرول وانما خص الطير
من بين سائر الحيوانات لان للطائر ما للسائر وله زيادة الطيران ولانه هوائي وما دونه ارضي
فكانت الاعجوبة في احيائه اكثر ولهذا قال عيسى م اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير

فصرهن إليك أملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الإحياء
وقرأ ابن عباس رض فصرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صرّ إذا جمعه
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال وعبارة
كل في مثل هذا للمبالغة كما في قوله تع وأوتيت من كل شيء فلا حاجة إلى تقييد الجبال
بالتي بحضرتك ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله تع يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في
مشيهن على أرجلهن أو في طيرانهن والتجوز في سعيا عقلي للمبالغة كما في عدل في رجل
عدل روي أنه عم أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط
سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل كذلك فجعل كل جزء إلى الآخر
حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه دلالة على أن الضراعة في
الدعاء وحسن الأدب في السؤال وعلى فضل إبراهيم عم على عزير عم حيث أراه
في الحال أيسر الوجوه ما أراد أن يراه وأراه عزيرا عم بعد أن أماته مائة عام واعلم
أن الله عزيز لا يعجز عن شيء بل يتصرف في كل شيء بالقدرة حكيم ذو حكمة بالغة في
أفعاله فلا يصدر عنه خوارق العادات إلا فورما يقتضيه الحكمة البالغة مثل الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله أي على وجه يتوسل به إلى رضاه تع كمثل حبة أي مثل نفقة الذين
كمثل حبة أو مثل الذين كمثل باذر حبة واعتبار حذف المضاف وتقديره في جانب
المشبه والمشبه به ليحصل ملاءمة المثل للمثل وإن كان التشبيه من المركب الذي لا
عبرة فيه بتشبيه المفردات أنبتت الإنبات فعل الله تع وإنما أسند إلى الحبة مجازا
لكونها من الأسباب سبع سنابل يراد جمع الكثرة في موضع تمييز السبع مكان جمع القلة
وهو سنبلات قدر توجيهه في ثلثة فروع في كل سنبلة مائة حبة يعني يخرج منها ساق
يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
على أنه قد يكون في الذرة والدخن وغيرهما في الأراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت أحوالهم ونياتهم في أعمالهم ومن أجل
ذلك تفاوت الأعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به
من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر المنفق الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
نزلت في عثمان رضي الله عنه فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها و
عبد الرحمن بن عوف رض فإنه أتى النبي عم بأربعة آلاف درهم صدقة ثم لا يتبعون
ما أنفقوا منا ولا أذى المن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه والأذى أن يتطاول

عليه بسبب ما أنعم عليه والتنكير في الموضعين للتقليل وثم للتراخي في المعطوف باعتبار الانتهاء
وفائدته الدلالة على لزوم الاستمرار على عدم إتباعهم ما أنفقوا بالمن والأذى
في استحقاق الأجر المذكور ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الأنيقة قال إنها للتفاوت
بين المعطوفين لهم أجرهم قيل لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه معنى
الشرط إيهاما بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا ومنشاه الغفلة
عن الفرق بين مطلق الثواب والذي يعطى أجرا فإن الأول لا يتصور بدون العمل
عند ربهم أي مهيئا محفوظا لا يحتمل الضياع ولا المراد الانتظار لتحصيله وقت الحاجة
ولا خوف عليهم من العذاب والتنكير للتقليل ولا هم يحزنون لنقصان في الثواب
قول معروف أي كلام جميل في رد من التمس منك صدقة ومغفرة أي تجاوز عنه إذا
أساء السؤال أو ستر عليه حاله فلا تعيره بفقره ولا تهتك ستره عند الناس سأل
أعرابي قوما بكلام فصيح فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب
يمنع من الانتساب خير من صدقة يتبعها أذى خبر عن مجموع القول والمغفرة والتوصيف
مما يصحح الابتداء بالنكرة والعطف على المخصص مخصص والله غني عن كل شيء من صدقة
وغيرها وإنما دعاكم إليها لينفعكم بها حليم لا يعجل بالعقوبة على سوء صنيعكم في
معاملتكم من الغير خصوصا مع الفقراء التائبين وعيد شديد وسخط بليغ وورد
في الحديث القدسي نعوذ بالله من غضب الحليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم لا تحبطوا
أجرها وتخصيص الخطاب بالمؤمنين لعدم الاحتمال للإبطال في صدقات غيرهم
لأنه فرع الاستحقاق للأجر وهو مفقود فيها بالمن والأذى أي بذاك ولا بهذا
كالذي أي مماثلين الذي ينفق ماله رئاء الناس تشبيه من جهة المعنى فإنما
تقدم في معنى لا تضيعوا أموالكم بصدقات بالمن مشوبة وبالأذى مصحوبة وهذا
في معنى كالذي يضيع ماله بالإنفاق رئاء والمشبه به أقوى لأنه ضيع ماله ابتداء فمن وهم
أن فيه إبطالا لا فقد وهم والرئاء مصدر راءى من الرؤية وهو أن يري الناس ما
يفعله من جنس البر حتى يثنوا عليه ويعظموه ويظنوا أنه من أهل الخير وممن ينفق
لوجه الله تع وانتصب رئاء على أنه مفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو مصدر أي
إنفاقا رئاء ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر أي لا يعتقد بالمبدأ ولا بالمعاد
فلا حاجة في دفعه إلى الزاد وإنما قيده به مع تمام الغرض من التشبيه بما تقدم
فإنه لا ثواب للإنفاق رئاء وإن المنفق مؤمنا تغليظا في الزجر للمنفق المؤذي

المثان وايا الى ان تلك الحال لا يليق بمن يعتقد بالمعاد والاحتياج الى الزاد وانما تخصيص المراد بالمشبه به بالمنافق فلا يقتضيه المقام ولا قرينة له في الكلام **فمثله** اي لما كان حال المنفق ريا كذلك فمثله **كمثل صفوان** حجر املس **عليه تراب** تقديم الجار والمجرور لان بيان محله اهم **فاصابه وابل** اي مطر شديد الوقع كبير القطر **فتركه صلدا** املس نقيا من التراب **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** استيناف كانه قيل ما بال المنفقين ريا مثلوا بالصفوان المذكور فقيل لا يقدرون الى آخره اي لا ينتفعون بشيء منه وعلى هذا لا حاجة الى التاويل بان الذي ينفق في معنى الجمع او بان من والذي يتعاقبان انما الحاجة اليه على تقدير ان يكون لا يقدرون حالا من الذي ينفق **والله لا يهدي القوم الكافرين** اي لا يوفقهم بعد الهداية حتى يهتدوا فالهداية في حقهم في حكم المعدوم وعلى هذا قوله تعالى هدى للمتقين والا فالهداية الى الخير والرشاد يعم الفريقين لقوله تعالى وهديناه النجدين وقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وفيه تعريض بان الريا والمن والاذى على الانفاق من اخلاق اهل الكفر والنفاق فلا بد للمؤمن ان يجتنب عنها **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله** اي لطلب رضاه **وتثبيتا من انفسهم** كلمة من اما للتبعيض كما في قولهم هز من عطفه اي ليثبتوا بعض انفسهم فان من بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه لان المال شقيق الروح ومن بذل ماله وروحه معا فقد ثبتها كلها واما لابتداء الغاية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم اي تثبيتا للايمان صادرا من انفسهم لان الانفاق امارة ان الايمان من اصل النفس ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم وهذا يمشي على التبعيض والابتداء وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق وتزكية المنفق نفسه عن البخل وحب المال فانه راس كل خطيئة **كمثل جنة بربوة** بموضع مرتفع من الارض والربو الزيادة ومنه الربوا واصابه ربو اذا زاد نفسه في جوفه على عادته اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكا لمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرئ كمثل جنة بربوة بالحركات الثلث **اصابها وابل** قد مر تفسيره **فآتت** اي اعطت وحذف المفعول لان المقصود ذكر ما يتم لا لمن يتم **اكلها** الاكل بالضم الطعام الذي يؤكل والمراد الثمر **ضعفين** مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل وانتصابه على الحال اي مضاعفا والضعف يراد به الواحد كما يراد به الزوج قال الله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثال ونسبة الايتاء اليها مجازية والفاء سببية

فان

فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ولطافة هوائها والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم ومثل حالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى ويبذل فيه الوسع زاكية عند الله تعالى زائدة في زلفاهم وحسن حالهم **والله بما تعملون بصير** ترهيب عن الريا وترغيب في الاخلاص وانما قال بصير دون خبير تنزيلا لسرايرهم منزلة الظواهر لعدم التفاوت بالنظر الى الله تعالى **ايود احدكم** الهمزة فيه للانكار **ان تكون له جنة من نخيل واعناب** النخيل جمع نخل كالعبيد جمع عبد والنخل يكون واحدا فيذكر قال تعالى اعجاز نخل منقعر ويكون جمعا للنخلة كالنمل جمع نملة فيؤنث قال تعالى اعجاز نخل خاوية والاعناب جمع عنب **تجري من تحتها** اي من تحت تلك الاشجار **الانهار** الجاري في الحقيقة مياهها فلا بد من التجوز في المسند او في الاسناد او بالماء تمامها **له فيها** اي في تلك الاشجار **من كل الثمرات** كلمة كل للمبالغة في التكثير لا للتحديد والمراد من الثمرات المنافع وقيل ضمير فيها للجنة جعلها من النخيل والاعناب مع ما فيها من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على ساير انواع الاشجار وعلى هذا يكون له فيها الخ صفة اخرى للجنة من قبيل الصفة الاولى ولا يناسبه الفصل بينهما بقوله تجري من تحتها الانهار اما اذا كان الضمير للاشجار فظاهر واما اذا كان للجنة فلانه صفة من جنس آخر **واصابه الكبر** اي كبر السن واصابته كناية عن العجز عن الكسب فان الفاقة والعالة في زمان العجز عن الكسب اشد والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كان له جنة واصابه الكبر **وله ذرية ضعفاء** صغار لا قدرة لهم على الكسب **فاصابها اعصار** عطف على اصابه او على يكون على اعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء ملتفة في الهواء حاملة للتراب مستديرة كالعمود **فيه نار فاحترقت** اي الجنة بالنار فصارت ثمرها الى الذهاب واصلها الى الخراب فكما يبقى هو وذريته في الحسرات لتقطع الاسباب فكذا الكافر والمنافق والمرائي والمنان والمؤذي يتحسرون على صدقاتهم يوم يقوم الحساب حين فاتهم الثواب وحق عليهم العذاب **كذلك يبين الله لكم الآيات** بضرب الامثال لانه اوضح بيانا وافصح تبيانا لما فيه من تصوير المعقول بصورة المحسوس المشاهد عيانا **لعلكم تتفكرون** اي تتفكرون

فيها والتنكير فيها كناية عن الاعتبار بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الطيب وراء الحلال لان الحل يجامع الكراهة والطيب ما لا حظر فيه لا بسبب الحرمة ولا بسبب الكراهة وما كسبتم يتنظم الانواع ما يملك باسباب الكسب من التجارة والزراعة وغيرهما ومما اخرجنا لكم من الارض يعني بلا مؤنة كسب منكم دل على ذلك اضافة الاخراج الى نفسه تع دون المنفقين وقد اغنا قرينة السابق اليهم والمراد منهم المباحات التي ملكوها بالاحراز ولا حاجة فيه الى قيد الطيب لعدم الحظر فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال وما عطفا له على الطيبات دون ما عطفا له على مدخولها ومن لم يتنبه لهذا قال اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوبات والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولم يدر انه تخ حقه عدم زيادة من كيلا يحتاج الى التقدير ولا يخفى انه من قبيل التطويل المخل للبلاغة لا من قبيل الاطناب المفيد ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوه وهو ابلغ من ولا تنفقوا الخبيث ومعناه الردي وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير لانه يعني الردي وهو ينتظم الحرام والمكروه منه تنفقون في محل النصب على الحال والضمير البارز للخبيث وتقدم الجار والمجرور للتخصيص اي تخصون بعضا منه بالانفاق لان شح النفس وحب المال يقتضي تخصيص شي من الردي وما يشبه حاله بالانفاق وهو مناف لتحصيل البر قال الله تع لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفيه توبيخ وتعيير وتعريض بما كانوا يفعلون ويجوز ان يكون الضمير المذكور للمجموع المكسوب والمخرج كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق وتنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ولستم بآخذيه الاخذ كناية عن الاختيار ضرورة انه ما هو ذخيرته لما عرفت انه مكسوب او محرز اي وحالكم انكم لا تختارونه لانفسكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه في محل النصب على الظرف اي الا وقت ان تغمضوا اي تتسامحوا في اخذه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض وتوجدوا مغمضين روي انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد مستحق للحمد على الامر بذلك مع استغنائه عنه لينفعكم ذلك في الدارين الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد على الاطلاق يستعمل في الخير كالوعد في الشر ويستعمل في الشر ايضا اذا قيد بها به ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم والضمير في منه لله تع وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم في الدنيا او ثوابا في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم

بانفاق

بانفاقه يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالثاني ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود وقرئ بالكسر اي ومن يؤته الله تع فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير للتعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر اي وما يتعظ بما ذكر من الآيات الا اولو الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى الهوى والمراد به الحث على العمل بما تضمنت به الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق رياء او لوجه الله تع او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه وعد ووعيد على ابلغ وجه لان العلم في مثل هذا المقام كناية عن العمل بوجبه يقال فلان لا يعلم الاحسان اي لا يعمل بمقتضاه وما للظالمين اي الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم رياء او مع المن والاذى او لوجه الله تع وابتغاء مرضاته او يقصدون الانفاق بالخبيث الردي او ينفقون في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي فان الظلم وهو في الاصل وضع الشي في غير موضعه المستحق له عبارة جامعة لهذه الاحوال كلها من انصار ينصرهم من الله تع ويمنعهم من عقابه والعدول عن نفي المفرد وهو ابلغ من نفي الجمع بحسب جليل النظر رعاية لمقابلة الجمع بالجمع والتوزيع اي لا ناصر لظالم قط وهذا ابلغ بحسب دقيق النظر ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي نعم شيئا ابداؤها فوضع هي موضع ابداؤها اي الصدقات المبداة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اعتبر هذا القيد هنا ولم يعتبره فيما سبق اذ لا تاثير له ثمه فان الصدقة نعما هي سواء كانت للفقير او للغني انما تاثيره في كون اخفائها خيرا من ابدائها وذلك عند كونه للفقير لما فيه من ستر حاله وصونها عن شوب الرياء فانه لا بد منه اذا كانت لوجه الله تع وذلك اذا كانت للفقير واما اذا كانت للغني فلا يكون لوجه الله تع فلا حاجة الى الصون المذكور ولا الى الستر المزبور فهو اي فالاخفاء مع اصابته موضع الاخفاء خير لكم هذا في المندوبات واما في الواجبات فالاظهار افضل عن ابن عباس رض صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كان اظهار الفرايض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل والاعمال بالنيات ويكفر عنكم قرئ بالنون مرفوعا عطفا على ما بعد الفاء فيكون جملة فعلية في حكم الجزاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة فعلية مبتداة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب

الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات وقرئ بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان
يكفر عنكم من سيآتكم من للتبعيض اي يكفر بعض سيآتكم وذلك لان ما هو حقوق العباد
لا يتعلق به المغفرة بدون ارضاء الخصم قال الامام المطرزي في المغرب الكفر في الاصل
الستر يقال كفر وكفره اذا ستره ومنه الحديث في ذكر الجهاد هل ذلك مكفر عنه خطاياه
يعني هل يكفر القتل في سبيل الله تعالى ذنوبه فقال نعم الا الدين اي الا ذنب الدين فانه
لا بد من قضائه والله بما تعملون خبير فلا يتفاوت الاظهار والاسرار وفيه ترغيب في
في الاسرار ليس عليك هديهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى امتثال ما امروا به و
الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والرياء والانفاق من الخبيث وغير ذلك مما من
وما عليك الا ان تبلغهم فحسب ولكن الله يهدي من يشاء استدراك عما يقتضيه
الكلام السابق وينتظم به من تعليله كانه قيل لانك لا تقدر عليه ولكن الله قادر على الهداية
المنجية عن الضلال فيخص بها من يشاء وفيه دلالة على ان الهداية الموصلة الى البغية
من الله تعالى وبمشيئته واما انها مخصوصة بقوم دون قوم فهو اظهر من ان يخفى والحاجة
الى الدلالة فيما يشتبه فيه الحال وما تنفقوا من خير فلا نفسكم اي فانتم تنتفعون به وانما قال
من خير دون من مال لانه لو لم يكن طيبا لا ينتفع به المنفق بل يتضرر فالعبارة المذكورة
ضمنها الاشارة الى النهي عن انفاق المال الخبيث وعن المن على الفقير والاذى له على ابلغ
وجه واما انه لا ينتفع به غيركم فلا يقتضيه المقام ولا هو المناسب لان يقصد بالكلام
المذكور وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال كانه قال وما تنفقوا من خير فلا نفسكم
غير منفقين الا ابتغاء وجه الله تعالى وطلب ثوابه وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه
اضعافا مضاعفة فلا تتركوه وانفقوا من احسن الاموال على احسن الوجوه فهو تاكيد
للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لدعوة الملك القائل اللهم اجعل لمنفق
خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا
ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة
صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره وانتم لا تظلمون حال حالية اي لا تنقصون شيئا
مما وعد من الثواب جزاء لاعمالكم فان نقص الاجر الموعود ظلم وان لم يكن نقص الثواب
مطلقا ظلما للفقراء الجار متعلق بمحذوف تقديره اعدوا للفقراء او اجعلوا نفقتكم للفقراء
كقوله تعالى في تسع آيات اي اذهب في تسع آيات او خبر مبتدا اي صدقاتكم للفقراء

الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد والاحصار منع النفس عن التصرف لا يستطيعون ضربا
في الارض ذهابا فيها للكسب تقول ضربت في الارض ضربا اذا سرت فيها اي يكرهون المسير
لاجل لئلا يفوتهم صحبة رسول الله صلعم والخروج في سرية وهذا كقوله تعالى لا يستطيعون
سمعا اي يكرهون سماعه ولهم الات السماع ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في وصفهم مما
قيل لا يستطيعون لاشتغالهم بالجهاد وقيل هم اهل الصفة وكانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة
وافواتهم من فضل الاغنياء وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلعم
يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء وانما قال من التعفف اي من اجل تعففهم عن السؤال
دفعا للاحتمال ان يكون حسبانه من الاغنياء وفي اطلاق اسم الجاهل عليه على الاطلاق
ما لا يخفى من الذم وذلك الاستحقاق لان الغافل عن حالهم لا يكون من اهل الصحبة
والوفاق والتعفف تفعل من العفة يقال عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه
عن طلبه تعرفهم الخطاب لمن يستحق التوصيف بعرفانهم من الاصحاب رضي الله عنهم
ومن حذو حذوهم في سلوك طريق الصواب بسيماهم بعلامتهم من صفرة الوجه ورثاثة
الحال لا خفاء في ان لسان الحال انطق من لسان القال وبيان الدلالة اصدق
من بيان العبارة فالعارف يجد من رثاثة الحال والجاهل يستدل بعموم السؤال
ومعنى لا يسألون الناس الحافا نفي السؤال والالحاف جميعا كقولهم لا ترى الضب
بها ينجحر اي لا ضب فيها ولا انجحار ولا يخفى ان هذا المعنى ادخل في التعفف وفي ان
يحسبوا اغنياء فيكون انسب للمقام واجلب لمزيد حسن في الكلام كيف وفي هذا
النوع من التركيب دقيقة انيقة وهي انه لما جعل نفي الاول تمهيدا لنفي الثاني
جعل الاول مسلما لا نزاع فيه اذ من حق الدليل ان يكون اوضح من المدلول ولهذا
قال ابن عباس رض في تفسيره لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف وقيل ترك غير
الالحاف ذكر للايماء الى اطلاق السؤال عند الحاجة ورفع الاثم عن فعله مضطرا والا
لزوم السؤال من الالحاف الذي يلازم الملتحف به والجمل الاربع بعد الصلة مترتبة
عليها بمنزلة البيان لها فلا سبيل للعاطف بينها لشدة اتصال كل منها بالاخرى
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق لان علم الله تعالى كناية عن انه لا
يضيع ولهذا زاد قوله من خير فانه اذا اريد علمه تعالى به على حقيقته تكون تلك الزيادة
خلوا عن الافادة الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون

الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم عليها فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت في ابي بكر الصديق رض وقيل في علي كرم الله وجهه وقيل نزلت في علف الخيل وارباطها في سبيل الله **فلهم اجرهم عند ربهم** اي ثابتون عن الضياع خبر الذين واذا اريد كون الصلة سببا لحصول الخبر للموصول ضمنت معنى الشرط وادخل الفاء في الجزاء وان لم يقصد ذلك فلا كقوله تع الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولهذا جوز الوقف على قوله وعلانية **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** قد مر تفسيره **الذين يأكلون الربوا** اي يتمتعون به فان التعبير بالاكل عن مطلق التمتع على طريق العبارة عن كل وجوه الشيء بجلها شايع في الالسنة وانما كتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها لها بواو الجمع لزيادة التفخيم ومعناه لغة الزيادة المطلقة وشرعا الزيادة في القدر او في الاجل على الوجه المذكور في كتب الفقه **لا يقومون** يوم القيمة **الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان** الا قياما كقيام الذي يتخبطه المصروع من الجن والخبط الضرب باليد كيف يقع والوخز بالرجل والزبن بالركبة والتخبط تفعل الخبط والمراد الزيادة فيه **من المس** يتعلق بيقوم او يتخبط والمس الجنون يقال مس على ما لم يسم فاعله فهو ممسوس كما يقال جن فهو مجنون والجنون قد يكون بصرب الشياطين من الجن ولذلك سمي مجنونا وهو بتسليط الله تعالى اياهم على الناس كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع وله ان يفعل في ملكه ما يشاء اي لا يقوم آكل الربوا من قبره في يوم القيمة الا كما يقوم الذي ضربه الجن فخبله فصار كالمصروع فهو يقوم ويسقط ليس كسائر الناس لانهم يخرجون من الاجداث سراعا وهذه عقوبة لهم بها يعرفون يومئذ وقد ثقل بطونهم ما اكلوه من الربوا **ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا** اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد وقاسوا احدهما على الآخر يعني ان البيع يكون مثل الربوا في اشتماله الفضل ولو كان ذلك سببا للحرمة لحرم البيع لكنه حلال فثبت انه ليس بسبب للحرمة فالربوا ليس بحرام وشبهتهم ان بيع السلم وغيره قد يكون المشتري فيه بدرهم يساوي درهمين فيكون اذكى من الربا ولم يثبته لما قررناه زعما انهم بالغوا في وصف اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه اصلا في القياس وشبهوا البيع به مع ان الكلام في الربوا والبيع اصل في الحل على طريقة قول الشاعر ● وبلدة مغبرة ارجاؤها ● كأن لون ارضها سماؤها ●

اي في وصف السماء بالاغبرار حتى شبهت الارض بها وفي التعبير عن اعتقادهم هذا بالقول ما لا يخفى من المبالغة في انه لا حقيقة له اصلا ثم انكر تسويتهم بينهما بقوله **واحل الله البيع وحرم الربوا** وفيه دلالة على ان القياس يهدمه النص حيث نقل قياسهم وابطله بمجرد القول المذكور من غير تعرض لفساد القياس من حيث ان الفضل في الربوا محقق وفي البيع متوهم واما ما قيل هو ابطال للقياس لمعارضة النص فيرد عليه انهم قاسوا قبل ورود النص الفارق بينهما فلا معارضة وقتئذ **فمن جاءه موعظة من ربه** فمن بلغه وعظ من الله تع وزجر بالنهي عن الربوا وفي عبارة الرب ايماء الى انه تع يربي عبده بفضله بلا توقف على كسبه كيف وقد رباه وهو جنين فحقه ان لا يتجاوز في طلب المكسب عن حد الرخصة **فانتهى** فاتعظ به وتبع النهي **فله ما سلف** اي فلا يؤاخذ بما مضى منه وله ما اخذ لانه قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولا وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وانما ذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي مع ان فيه فاصلة فلا حاجة الى التأويل بانها في معنى الوعظ **وامره** في ذلك **الى الله** يحكم في شأنه ما يشاء يوم القيمة لا الى غيره فلا تطالبوه بشيء **ومن عاد** الى الربوا بعد النهي عنه **فاولئك اصحاب النار** لاصرارهم عليه **هم فيها خالدون** اذا اعتقدوا احلها لانه كفر والكفر يوجب الخلود في النار **يمحق الله الربوا** المحق نقصان الشيء حالا بعد حال حتى يذهب كله كما في محاق الشهر وهو حال اكل الربوا فان الله تع يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه **ويربي الصدقات** اي ينمي ويزيدها بان يضاعف عليها الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط لا يقال الكلام في اربا ما يتصدق به وهذا ليس منه لانا نقول وقوع زيادة المال والبركة فيه بسببه فضيلة تزيد اربا له كتضاعف الثواب بسببه **والله لا يحب** عدم المحبة كناية شايعة عن البغض **كل كفار** باستحلال الربوا **اثيم** باكله بدون المبالاة يحمل على التعميم بعد السلب حتى يكون سالبة كلية دون العكس اذ ح يكون رفع الايجاب الكلي وهو لا يناسب المقام ولا يبعد فيما ذكرنا لان العبد المعدم ذكرا وقد يعتبر مؤخرا معنى وفي صيغة المبالغة تغليظ بليغ في شأن المستحل للربوا لما فيه من الايذان بتجدد كفره في كل ان **ان الذين آمنوا** بالله ورسله والايمان بالرسول لا يتم الا بالايمان بجميع ما جاء منه **وعملوا الصالحات** من الفرايض والواجبات والمندوبات **واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة** عطفهما على ما يعمهما لفضلهما على ساير الاعمال

الصالحة لكونهما اتم العبادات البدنية والمالية لهم اجرهم عند ربهم قد مر تفسيره ولا خوف عليهم
من آت ولا هم يحزنون عليها فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا واتركوا ما بقي من الربوا
بقايا ما شرطتم على الناس منه وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء
ساكنة ان كنتم مؤمنين بقلوبكم دليل امتثال ما امرتم به وفي اطلاق مؤمنين في الذكر عن القيد
المذكور دلالة على ان المؤمن حقيقة من آمن بقلبه روي انه كان لثقيف وكان لهم
على قوم من قريش مال فطالبوه عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا لم يرد
مطلق الترك بل اريد الترك في ضمن الابرآء فلهذا قيل لم تفعلوا دون لم تتركوا فأذنوا
بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم من الاذن
وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة والتنكير
في حرب للتعظيم من الله ورسوله الحرب يكون من الرسول بامر من الله تع فذكره في
للتمهيد وحرب منه ابلغ من حرب به لما في التنكير من التهويل اي بنوع من الحرب لا يقبل
التعريف لعظم شانه وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء
الى امر الله تع كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا
بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء ومن زاد على هذا قوله واعتقاد
حله فكانه غفل عن قوله بان سياق الكلام لا يقتضي كفره فان قلت اليس يفهم من قوله
فلكم رؤوس اموالكم اصولها واما الارباح فطوارئ عليها لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالنقصان والمطل انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رؤوس اموالهم قلت ذلك وهم
سبق الى فهم من قال انه يكون مالهم فيئا للمسلمين وتبعه القائل وهو سديد على ما
قلنا اذ المصر على التحليل مرتد والحق ان الظاهر منه بطريق المفهوم هو انه ان
لم يتوبوا لا يصل ايديهم الى رؤوس اموالهم وذلك لانهم يقتلون كما يقتل الباغي
وان كان اي وجد غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة
فنظرة فالحكم نظرة او فليكن نظرة او فعليكم نظرة وهي الانتظار وقرئ فناظرة
على الخبر اي فصاحب الحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب
وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة وقرئ بضم السين وفتحها وهما لغتان بمعنى
يسار وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة وان تصدقوا بالابرآء خير لكم
اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد
بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة

بعث لهم على التصدق بالدين كله او بعضه على من اعسر من غرمائه او على الامهال الى وقت اليسار
ان كنتم تعلمون كنى بالعلم عن العمل لانه اذا كان نافعا فلا يتخلف عن عمله فهذه الكناية باعتبار
مبنانا تاكيد لما تقدم من الخيرية على ابلغ وجه ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره ما فيه من الذكر
الجميل والاجر الجزيل ثم انه يورد ان الذكر الجميل لا يصلح وجها للحث على الصدقة اذا كانت
الحث من الله تع لان الصدقة المرضية عنده تع ما لا يشوبها غرض دنيوي واتقوا يوما
يوم القيمة والتنكير للتعظيم وللاشارة الى انه لا يقبل التعريف ترجعون من الرجع
وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم من الرجوع وقرئ بالياء على الالتفات فيه الى الله
للحساب والجزاء والامر بالاتقاء كناية عن الامر بموجبه وهو التاهب للمصير اليه
ثم توفى التوفية والايفاء الاكمال كل نفس كاسبة ما كسبت اي احرزت من
جزاء الاعمال الموعود فان الكناية بالكسب عن الاحراز شايع في الالسنة كلها وانما
وصفنا الجزاء بالموعود لان الظلم بنقص الثواب انما يكون بذلك الاعتبار وهم لا يظلمون
لا بنقص الثواب ولا بزيادة عقاب عن ابن عباس رض انها آخر آية نزل بها جبرائيل
وقال ضعها في رأس المائتين وثمانين من البقرة وعاش رسول الله عم بعدها احدا و
عشرين يوما وقيل اقل وقيل اكثر يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم اذا داين بعضكم
بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا
بعته او باعك واما كونها نسيئة فغير معتبر في المداينة وارادتها في المقام لذكر الاجل وانما
قال بدين مع انه مستفاد من التداين للتعميم اي اي دين كان قليلا او كثيرا ولقطع
احتمال معنى آخر فان المداينة قد يراد بها المجازاة واما تنوعه الى المؤجل والحال فيعلم
من قوله الى اجل ومرجع الضمير في فاكتبوه لا يلزم ان يكون مذكورا بل يكفي ان يكون
مفهوما في ضمن الكلام السابق هذا كله بحسب جليل النظر وهو الذي بحسب دقيق وهو
انه لا بد من ذكر الدين ليتعلق الجار به فانه لو لم يذكر يفهم تعلقه بالتداين ولا وجه له
فان المبايعة الى اجل غير مشروعة مسمى معلوم موقت بالسنة والشهور والايام
المعينة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج ونحو ذلك مما لا يتعين فاكتبوه بناء على
انقسام الدين الى حال ومؤجل وامر بكتابة المؤجل على سبيل الندب والارشاد لانه
اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم
وقال لما حرم الله تع الربوا اباح السلم وسيأتي ما يتعلق بهذا المقام من الكلام
وليكتب بينكم قيده بقوله بينكم ليكون ابعد عن الاشتباه والتهمة والتنكير في كاتب للتنبيه

علي ان المعتبر كون الكتابة علي الوجه المعهود لا كون الكاتب معهودا ولهذا قيدها بقوله **بالعدل**
واطلق الكاتب اي وليكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد عليها يجب ولا ينقص عنه وهذا يدل
اقتضاء علي ان الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما بالشروط حتي يكون مكتوبه معدلا بالشرع
فيحصل ما هو المقصود من الكلام علي تقدير تعلق القيد المذكور بالكاتب واما الذي ذكرناه
فمفهوم فالراجح تعلقه بالفعل والامر في الحقيقة للمتداينين باختيار كاتب فقيه
دين حتي يجيء مكتوبه موثوقا معدلا بالشرع **ولا يأب** ولا يمتنع **كاتب** احد من الكتاب
ان يكتب فان تنكير كاتب بعد النهي يفيد العموم **كما علمه الله** مثل ما علمه من كتبة الوثائق
اولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كما قال الله تعالي واحسن كما احسن
الله اليك **فليكتب** تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا وهذه الفاء
الفاء تدل علي الترتيب علي السابق ولان ورود الامر عقيب ذلك النهي تاييدا له يشعر
بذلك الاشعار ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة
ثم الامر بها مقيدة وهذا الوجه احسن من جعل الاول تمهيدا له لما فيه من تدريج وتفخيم شان
الكتابة علي النهج المذكور وفي تقديم كما علمه الله مبالغة حسنة والاول اظهر واقرب تناولا
وليملل الذي عليه الحق الاملاء والاملال الالقاء علي الكاتب للكتابة والذي عليه
الحق هو الذي عليه الدين وانما كان الاملاء اليه لانه المقر المشهود عليه **وليتق
الله ربه** اي الكاتب لا المملي عليها ... عليه جمع بين اسم الذات والوصف
تذكيرا لكونه مربيا له مصلحا له **ولا يبخس منه شيئا** اي ولا ينقص مما املي عليه قليلا
ولما كان الامر بما لا تفاهم تمهيدا للنهي عن النقص المذكور لم يوت بينهما باداة الترتيب
فان كان الذي عليه الحق دل هذا علي توجه الامر والنهي الي الكاتب فانهما لو توجها الي
المملي لكان حق الكلام في هذا المقام الاكتفاء بالضمير وتصديره بالفاء لترتبه علي ما تقدم
سفيها محجورا عليه للجهل بالتصرف او التبذير **او ضعيفا** لصغره او كبره والمراد
ضعف التوي لا ضعف النهي لانه من اسباب الحجر فيندرج تحت السفه **او لا يستطيع
ان يمل هو** او غير مستطيع بنفسه لعي او خرس **فليملل وليه** اي الذي يلي امره وصيا
كان او وليا او وكيلا او ترجمانا **بالعدل** فيه دلالة علي جواز النيابة في الاقرار بالدين والله اعلم
واستشهدوا شهيدين اي واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان **من رجالكم** اي من المؤمنين
البالغين اما البلوغ فلا بد منه قطعا واما الاسلام فلا بد منه ايضا ان كان المديون
مسلما وان كان كافرا فاعتباره احتياطا لانه يحتمل ان يسلم فلا دلالة في الاية علي انه

لايبع شهادة الكفار بعضهم علي بعض ثم ان المقصود بيان النصاب لا بيان الشرايط فلهذا لم يتعرض
والعقل **فان لم يكونا رجلين** فان لم يكن الشهيدان رجلين **فرجل وامرأتان** فليشهد رجل و
امرأتان من قال هذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصوص عند ابي حنيفة
فكأنه ذهل عن الكلام في الاشهاد علي الدين فان قلت اليس كل منهما نصاب الشهادة بلا
تفاوت بينهما ولا توقف لصحة الثاني علي عدم الاول نعم لا توقف لصحة الثاني علي عدم الاول و
لهذا لم يقل فان لم يوجدا فرجل وامرأتان واما عدم التفاوت بينهما فممنوع فان الاصل
هو الاول وهو الراجح ولهذا اصدر الشرطية المذكورة باداة الترتيب **ممن ترضون من
الشهداء** اي من العدول المرضيين من الشهود **ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخري** علة لاقامة
شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد والضلال بمعني النسيان مجاز لانه سببه
كما في قوله تعالي فعلتها اذا وانا من الضالين فان قيل كيف قال ان تضل وانما الاقامة المذكورة
للاذكار لا للضلال قلنا اجاب عنه سيبويه بان الضلال سبب الاذكار فقدم عليه
لانه سبب العلة لا لانه العلة كما يقال اعددت هذا الحائط ان يميل فادعمه وانما
اعددته للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل لانه سببه والعدول عن الظاهر للاعتناء
بشان التذكير فان افضاء الفعل اليه وكونه مقصودا من الفعل بلغ مبلغا صار
المرهوب عنه مطلوبا لاجله ومن حيث كونه مفضيا اليه واجاب عنه الفراء بان معني
الجزاء وتقديره ان تذكر احديهما الاخري ان ضلت الا انه لما قدم ان اتصل بما قبله
من العامل فانفتح ويؤيده قراءة ان تضل بكسر الالف علي الشرط فتذكر بالرفع وقري
ان تضل علي البناء للمفعول اي ان توصف بالضلال من الاضلال الذي هو نسبة للوجدان
نحو احمدته بمعني وجدته محمودا ولا يخفي ما في التعليل المذكور من الدلالة علي ضعف
حفظهن وقلة ضبطهن وليس ذلك الا لنقصان عقلهن **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا**
اي لا يمتنع المدعوون لتحمل الشهادة عن الحضور ليتحملوا الشهادة وكان تسميتهم شهداء
قبل التحمل تنزيلا للشارف منزلة الكائن او لا يمتنع المتحملون اذا دعوا الي اداء الشهادة
ليؤدوها والنهي علي الاول تنزيه وعلي الثاني تحريم **ولا تسأموا** نهي عن الضجر والملل
من كثرة المداينات **ان تكتبوه** اي لا تملوا ان تكتبوه الدين او الحق او الكتاب كذا قالوا
ويرد عليه ان الضجر والملل انما يكون بعد الشروع فيه والاكثار منه والمراد هنا
النهي عن السامة من ان يكتب ابتداء فالوجه ان يكون السامة كناية عن الكسل والمصير الي
الكناية لا لان صيغة المنافي في افادة لا يجدي تغيير التعبير بل لان تلك العبارة كانت دائرة

علي السنة المنافقين فصارت من شعارهم ولذلك قال عم لا يقول المؤمن كسلت استعمالا للقوم صغيرا او كبيرا حالان منه اي لا تسأموا كتابة الحق او الدين على اي حال كان من صغر او كبر او لا تسأموا ان تكتبوه مختصرا او مشبعا على ان الضمير للكتاب الى اجله الى وقته الذي عينه المتداينان ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اقسط اكثر قسطا عند الله اي في حكمه واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها واقسط مبني من قاسط بمعنى النسب اي ذي قسط واقوم من قويم ويجوز عند سيبويه ان يبني افعل التفضيل من غير الثلاثي فيكونان مبنيين من اقسط واقام وادنى الا ترتابوا واقرب لانتفاء الريبة في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك والمفضل عليه محذوف وحسن حذفه وقوع افعل خبرا للمبتدا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء منقطع اي لا تتركوا الكتابة وقتا ما او لعلة ما الا وقت كونها تجارة ناجزة يتعاطونها بينكم يدا بيد او لان تكون تجارة ناجزة على ان ما بعد الا نصب على الظرف او على المفعول له وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على انها كانت التامة او الناقصة واسمها تجارة وخبرها تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين والمفهوم من تفريع نفي الجناح وهو الاثم على الشرط المذكور في المستثنى ثبوت الاثم في عدم الكتابة على تقدير فقد ذلك الشرط وموجبه ان يكون الامر بالكتابة فيما تقدم للوجوب فالقائلون بتجويز المهو لا بد لهم من القول بوجوب الكتابة ثمه واشهدوا اذا تبايعتم في العاجل والاجل جميعا والامر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول جميعا والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمراد نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التغيير بالزيادة والنقصان او نهي المستكتب والمستشهد عن الضرر بهما بان يعجلا عن مهم او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يكلف الشهيد مؤنة التعلم مسافة بعيدة وامثال ذلك وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اي وان تضاروا او ان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله ثلث مرات في الايات وكان الثالث موضع كناية ولهذا الباب قانون

يعرف به المستحسن من المستقبح وهو ان كل تكرير على طريق تعظيم الامر او تحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها فلذلك غير مستقبح واذا كان ذلك في جملة واحدة او في جمل في معنى واحد او لم يكن فيه التعظيم او التحقير فذلك مستقبح وهذا ظاهر في الاية فان الجملة الاولى منها حث على التقوى والثانية تذكير بنعمه والثالثة تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد وقصد تعظيم كل واحد من هذه الاحكام فاعيد لفظة الله فيها وان كنتم على سفر لم يقل مسافرين لما بينهما من الفرق الظاهر فان من دخل مدينة ولم ينو الاقامة مسافر ولكنه ليس على سفر والمناسب لان يذكر تمهيد القوله ولم تجدوا كاتبا هو الثاني دون الاول فرهان خبر مبتدا محذوف اي فالذي يستوثق به رهان وهي جمع رهن وهو العين المقبوض بالدين توثيقا وقرئ فرهن وهو جمع جمع قال الجوهري كانه رهن على رهان ثم يجمع على رهن مثل فراش وفرش ولا يجمع فعال على فعل الا قليلا شاذا مقبوضة نعت للرهان ودل ذلك على ان حكمه دوام الحبس فانه لا يصير رهنا الا بابتداء القبض فذكر الرهن ذكر لذلك القبض ثم وصفها بالمقبوضة بعد ذلك اشتراط الدوام القبض فيها وليس الغرض تخصيص الرهن بالسفر شرطا في جوازه لكن لما كان السفر مظنة اعواز الكاتب والشهيد ارشد المسافر الى حفظ المال بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية وليس بشيء لان رسول الله عم رهن درعه في الحضر واما القبض فلا بد من اعتباره على ما نبهت عليه انفا وعليه الجمهور وقال مالك رض يصح الرهن بمجرد الايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته اي فليجب على المديون اداء امانة الذي ائتمنه عليها بان لم يرتهن منه شيئا حملا على ان يكون عند ظنه به وفي تسمية الدين امانة ايضا حث للمديون على ادائه وان كان مضمونا بخلاف الامانة والديانة والاستغناء عن الارتهان منه وليتق الله ربه نهي عن الخيانة وانكار الحق على ابلغ وجه وقدره والجمع بين اسم الذات والوصف ولا تكتموا الشهادة خطاب للشهود ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبر ان وقلبه فاعل اثم اي فانه يأثم قلبه او قلبه مبتدا واثم خبره والجملة خبر ان وقرئ قلبه بالنصب كقوله تع سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اسند الاثم الى القلب لكونه ابلغ من وجوه احدها ان يعلم ان الاثم الذي اضمرها ولم تؤد الى اللسان ليظهرها فالقلب هو المقترف فيكون صاحبه قاصد

للذنب لا للقلب فيكون كالبوادر والثالث ان الفعل اذا اسند الى الجارحة التي عمل بها كان ابلغ واكد
كما اذا اردت التاكيد قلت هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي الثالث ان القلب
هو الرئيس والاصل في البنية فاسناده اليه افادة انه تمكن في اصل نفسه وملك اشرف
محل فيه ورسخ في ذاته الرابع ان الاثام المتعلقة بالاعضاء الظاهرة اسهل واخف واسرع
زوالا ما دام القلب سليما واما القلبيات فيكون اشد واغلظ وابعد عن العفو الخامس الايذان
بان الكتمان من الكبائر المتعلقة بالعقايد كالكفر والنفاق والشرك وامثالها ولهذا
قال ابن عباس رض اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تع فقد حرم عليه الجنة وشهادة
الزور وكتمان الشهادة السادس القلب هو الاصل الذي يتقوم به ساير الاعضاء
فافعاله من الاصول التي تتشعب منها افعال الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات في
السيئات الايمان والكفر فهو الذي اذا صلح صلح الكل واذا فسد فسد الكل فاذا اثم
القلب اثم الكل **والله بما تعملون عليم** وعيد وتهديد **لله ما في السموات والارض** ناسب ختم
هذه السورة من الكلام المشتمل للاحكام العديدة والتكاليف الشديدة بذكر ان
له ما في عالمي الملك والملكوت فهو يكلف من يشاء بما يشاء ولما كانت التكاليف محل
اعتقادها الا نفس قال **وان تبدوا ما في انفسكم** من السوء **او تخفوه** ولا يدخل فيه
الوساوس وحديث النفس اذ ليس في وسعه الخلو منه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
ولكن ما اعتقد او عزم عليه **يحاسبكم به الله** قال الحسن ليس يعاقب الله تع يوم القيمة
اسرّ عملا او اعلنه وحركة في جوارحه او هم في قلبه دون ان يعرفه اياه يوم القيمة
حتى يقرره ثم يغفر ما يشاء لمن يشاء ويعذب من يشاء بما يشاء **فيغفر لمن يشاء** من اهل
المغفرة **ويعذب من يشاء** من اهل العقوبة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب
وفي الاية دلالة على وقوع الحساب فيكون حجة على من انكره من المعتزلة والروافض
قرئ فيغفر ويعذب بجزم بين على جواب الشرط وبرفعهما على الاستيناف
وتقديره فهو يغفر ويعذب وقرئ يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم
بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال ومعنى الابدال تفصيل للاجمال الذي في الحساب
لان التفصيل ابين واوضح فكل ما يحتاج الى البيان يجري فيه هذا البدل اسما كان او
فعلا اذ الفعل قد يحتاج اليه احتياج الاسم والقراءة اظهار الراء في الجزم وادغام الباء
ومن روى ادغام الراء في اللام عن ابي عمرو فهو مخطئ مرتين حيث لحن لحنا فاحشا
اذ الراء لا تدغم الا في مثلها ثم نسبه الى اعلم الناس بالعربية والسبب عدم ضبط الرواية

لعدم الدراية كذا قيل وفيه بحث يطلب من تفسير ابي حيان **والله على كل شيء قدير** فلا يعجز عن الاحياء
والمحاسبة وما يعقبها من المغفرة والتعذيب **آمن الرسول** تنصيص من الله تع على صحة ايمانه عم
والاعتداد به **بما انزل اليه** روي عن ابن عباس رض ان جبرئيل عم انزل على محمد عم جميع
القرآن الا هذه الايات الثلث فان الله تع اوحاها اليه عم ليلة المعراج وبه قال الحسن
ومجاهد وابن سيرين **من ربه** في عبارة الرب اشارة الى ان في الانزال المذكور تربية
له عليه السلام ولهذا كان تدريجا **والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته** ان عطف والمؤمنون
على الرسول كان التنوين في كل عوضا عن الضمير الراجع الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
آمن ووحد ضمير كل في آمن ليتناول كل واحد فيكون ابلغ من الجمع وان جعل مبتدأ
كان الضمير للمؤمنين دون الرسول وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ
ويكون افراد الرسول عم بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان و
ايمانهم عن نظر وبرهان فكأنهما جنسان **وكتبه ورسله** ذكر الكتب بين الملائكة والرسل
باعتبار انها تصل منهم اليهم وقرأ ابن عباس رض وكتابه يريد القرآن او الجنس و
عنه الكتاب اكثر من الكتب لما ذكر من تناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب فان
تناوله وحدان الجمع **لا نفرق بين احد من رسله** اي يقولون لا نفرق وقرئ يفرق
بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد
في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما وراءه وهذا العموم غير العموم المستفاد من وقوع النكرة في
سياق النفي يدل عليه انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسول الا بتقدير عطف
اي رسول ورسول والمراد الفرق بالتصديق لا الفرق مطلقا فان الفرق بالتفضيل
والبعثة بالشريعة غير منهي عنه **وقالوا سمعنا** اي فهمنا كما في قوله تع ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي كان اطاعتنا عن ادعان وقبول لا عن تقليد على العمى
او طمعا في متاع الدنيا وقيل اي اجبنا وفيه ان قوله **واطعنا** يغني عنه والافادة
خير من الاعادة ويجوز ان يكون المراد سمعنا قولك فيما كلفتنا واطعنا امرك في ذلك
غفرانك ربنا منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك
اي من التقصير في حقك وفي عبادتك التي لا نوفي حقها **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** الا ما يتسع
فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورأفته كقوله
يريد الله بكم اليسر لانه كان في طاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج

التيسير

الاضداد

الكرس حجة وفيه دلالة على عدم وقوع التكليف بالمحال واما انه ممتنع فلا دلالة عليه بل الظاهر من عدم وقوعه امكانه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر ونقديم لها وعليها على الكسب والاكتساب للتخصيص اي لا ينتفع بخيرها ولا يواخذ بشرها غيرها بل يختصان بها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير وفيه التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل حيث يثيب على الخير كيفما وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه وقوة التصرف ربنا اي يقولون ربنا كما تقدم وما بينهما اخبار من الله تعالى والاعتراض قبل تمام الكلام كثير في القرآن لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا النسيان والخطا مجازان من باب اطلاق السبب على المسبب اي لا تواخذنا ان فرط منا ذنب بسبب النسيان او الخطا او من باب اطلاق اسم المسبب على السبب اي لا تواخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطا من تفريط وقلة مبالاة ويجوز ان يكون على حقيقتهما اذ لا يمتنع المواخذة بهما عقلا لكنه تعالى وعد التجاوز عنهما رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه وقوله عم رفع عن امتي الخطا والنسيان يحتمل المعنيين ايضا لان المرفوع اثمهما لا نفسهما وعلى هذا يصح ان يراد المعنى الاول ربنا تكرير للنداء فلا يخل بعطف قوله ولا تحمل علينا على قوله لا تواخذنا اصرا الاصر العبء الذي يأصر للمبالغة في الطلب لا في المطلوب انتفاؤه كما حملته حملا مثل حملك اياه على الذين من قبلنا من الامم او مثل الذي حملته عليهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوات في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بالامم السالفة طلبوا الاعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل بهم من العقوبات لتفريطهم في المحافظة عليها وقيل هو تاكيد للاول بالتكرار والمراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا دليل على جواز التكليف بما لا يطاق ولم يتعين هذا المعنى مرادا من الآية حتى يتم الدلالة فيها على جوازه والتشديد هنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا قال الازهري كل من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه لفظ اللازم والمتعدي سواء يقال عفا الله عن العبد عفوا وعفت الرياح الاثر عفاء فعفا الاثر عفوا واغفر لنا واستر ذنوبنا ولا تفضحنا بكشف عيوبنا والعفو لا يستلزم الستر فلا تكرار وارحمنا تعطف بنا و

شر

وتفضل علينا انت مولينا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء او فان ذلك من امورنا التي تتولاها ختمت السورة الكريمة بمثل ما بديت به من اثبات توحيده وصفات جلاله والنبوات والمعاد والقضاء والقدر في ضمن ذكر المؤمنين السامعين المطيعين وهم المتقون الذين جعل الكتاب هدى لهم وبيّن شمول لطفه في شان هذا النوع وخصوصا هذه الامة وجعل ختام ذلك كله ما يدل على ان كمال حال المؤمن المطيع ان لا يزال مستمدا من بحر جوده بالسنة الاستعداد والحال والمقال فبذلك ارتقاؤه في مدارج الكمال ومعارج الجلال والجمال والله اعلم بالصواب

سورة آل عمران مكية في قول عكرمة والحسن البصري ومدنية في قول عامة اهل التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الافصح ان يوقف على ميم كما وقف على الف ولام كما هو قراءة ابي بكر في رواية عن عاصم واطبق ساير القراء على فتح الميم بطرح الهمزة للتخفيف والقاء حركتها عليها وهي في حكم الوقف والهمزة في حكم الثابت واما قراءة الكسر فما جوزها الاخفش ولم ينقل عن احد من السبعة ومن قال ان الحركة لالتقاء الساكنين لم يرد بالساكنين الياء والميم من الف لام ميم في الوقف بل اراد بهما الميم ولام التعريف نظيرهما النون واللام في من الرجل فكذا رد عليه انه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام لما عرفت انه اعتبر التقاء الساكنين من كلمتين فما ذكر ليس نظيره لانه في كلمة واحدة والوقف واضح الحي القيوم اسم الله الاعظم بدلالة ما روي انه عم قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن منجما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره ومواعيده او بالبينات المحققة انه من عند الله تعالى وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية المنزلة على الانبياء السالفة ام الحاضرة عند نزوله وانزل جملة التورية والانجيل اسمان عبرانيان فلا يدخلهما اشتقاق عربي بنص النحاة ثم تكلموا فيهما على تقدير كونهما عربيان فالتورية فوعلة او تفعلة بكسر العين او تفعلة بفتحها من الوري والانجيل افعيل من النجل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم واختصاص الكتابين المذكورين ببني اسرائيل من جهة التكليف لا ينافي عمومهما لجنس الانس من جهة الهداية فان من تعبد بهما قبل الانتساخ فقد اهتدي وان لم يكن من بني اسرائيل على ان كونهما هداية الى اصول الدين لا يختص ولا يقبل النسخ ولهذا قال الله تعالى فبهديهم اقتده وانزل الفرقان

بالذات

رابع الكتب الاربعة وهو الزبور لان الظاهر من العطف خصوصا مع اعادة لفظ انزل التغاير
وانما خص بعبارة الفرقان جبرا للنقصان المتوهم من جهة تأخيره ذكره عن قوله هدى للناس
نكاته قيل في الكتب الثلثة شرايع بين هدى للناس وفي هذا الكتاب حكم يفرق بها بين الحق
والباطل ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من المعجزات لهم عذاب شديد
مخصوص بنوع لا يعرف كنهه من العذاب الشديد والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب
ذو انتقام له انتقام تنكيره دل على قوته كما وقد اقترن بصفة العزة فدل على قوته كيفما
حيث لم يتصور اندفاعه فهم من الجملة معنى قوله لا يقدر على مثله منتقم والنقمة مطلق
العقوبة لا عقوبة المجرم خاصة وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو
العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
عبر عن العالم بقطريه وتقديم الارض لان المقصود بالذكر ما اقترف فيها كائنة قيل يعذبهم
الله الذي له كمال القدرة والغلبة والعلم باحوال العباد هو على الانفراد والتعيين
الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة فهو في موضع الظرف اي في اي صورة
وعلى اي هيئة يشاء يصوركم وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو
اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز المنيع في ملكه وحكمه الحكيم في قوله
وفعله قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى عم كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه
رسول الله عم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم
واجاب عن شبهتهم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات في موضع النصب بالحال من
من الكتاب او كلام مستأنف موضع الحال محكمات احكمت بظهورها لانها على المعنى
المراد هن ام الكتاب اي اصله الذي يحمل المتشابهات عليه ويرد اليه وانما افرد
الام تجديدا للكلام للدلالة على ما يساق له واخر متشابهات محتملات لاكثر من معنى واحد
او غير ظاهر الدلالة وفائدته بعث النفوس على النظر والتفكر وتحريض القلوب
على التأمل والتدبر لتمرينه الاستدلال واستخراج الدقائق وابراز مكنونات
الحقائق ويزداد حرصهم على تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد من المتشابهات
والتوفيق بينها وبين المحكمات فان الانسان بذلك ينال من الثواب والدرجات ما لا
ينال بالتقلب في العبادات والمواظبة على سائر القربات ومن وجهه انه لو كان كله
محكما لتعطل الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله تعالى الا به فقد يلزم من
ترك التأمل في معرفة معاني الالفاظ تركه في ترتيب البعض على البعض واستنباط ما فيها من

العلم

العلل والنكات والفروع وغير ذلك واما المراد من المحكم في قوله احكمت آياته المحفوظ من فساد المعنى وركاكة
اللفظ ومن المتشابه في قوله كتابا متشابها المشتبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ
فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الصواب وتحرف الحق تفريع على ما فهم مما تقدم
من ان في المتشابهات مجال الصرف عن الحق كما ان فيه مجال الرد اليه واما التفصيل حال
الفريقين اعني السالكين مسلكي الصرف عنه والصرف اليه واما اقتصر على ذكر الاول منهما لكن هو
حال الثاني فيتعلقون الى المحكمات ولكن حقهم ان يتبعون ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا
الناس ويضلوهم عن الحق وابتغاء تأويله بما يطابق عقيدتهم قدم الاول لانه الغرض وهذا
وسيلة اليه وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون والذين رسخوا
اي ثبتوا وتمكنوا او لم يطلع عليه احد الا يقال لو لم يكن للراسخين حظ من علم المتشابه الا
ان يقولوا آمنا بالله كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم ايضا يقولون
ذلك لانا نقول ليس الكلام في اثبات الفضيلة لهم بل في بيان اختصاص علم المتشابهات
بالله تعالى فالمعنى ان الراسخين مع ما فيهم من المزية والفضل يقفون عند التصديق الا
جمالي ولا يتجاوزون عنه الى حد التفصيل بالتفسير او التأويل فكيف من دونهم يقولون
آمنا كلام مستأنف موضح لحال الراسخين او حال منهم وخبر ان جعل والراسخون
مبتدأ به بالمتشابه او بالكتاب كل من عند ربنا اي كل من المحكم والمتشابه منزل
من اللوح المحفوظ عنده تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب مسرود على سبيل المدح
للراسخين المتحققين في العلم وايماء الى انهم جردوا عقولهم من قشر الاوهام والخيالات
وشوب الاهواء والعادات فهم اهل اللب الخالص لا يحوم غيرهم حول التذكر
والتفكر ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وما بينهما اعتراض ويحتمل
الاستئناف على اضمار قولوا والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل
باطل قال عم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على
الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلاء تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى
الحق ويندرج فيه الايمان بالقسمين اذ زمانا او لياذ وبعد نصب على الظرف واذ في
موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة ترشدنا بها
الى كل خير وصلاح وتعصمنا بها عن كل شر وفساد انك انت الوهاب كثير الهبة وهي
ما ليس على الفاعل فعله ولا داخل فيه على ما هو الحق في الخلافية المشهورة لان المعتزلة
لا يمكنهم الانفصال بعد اذ الواجب ربنا انك جامع الناس ليوم المراد من اليوم واقعه

القيامة والتنكير للتهويل لا ريب فيه في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد اي للداعين بالاجابة و للطمعين بالاثابة
او في اقامة القيامة كما وضع اولوا الالباب موضع اولئك للمدح والتسجيل بالالتفات على
طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة وضع ان الله موضع انك للتعظيم واما افادة
معنى التنافي بين الالوهية وخلف الميعاد فمداره على التعبير بالاسم المذكور لا على
الالتفات غايته وجد التعبير المذكور ههنا في ضمنه ان الذين كفروا يعني برسول الله ﷺ
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من جهة رحمة وطاعة كأنه قال لا تقوم بدل رحمته
او طاعته يغني عنهم اغناءها واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل
وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد
باولئك او استئناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب
وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه ثم غلب استعماله في معنى الشأن والذين
من قبلهم عطف على آل فرعون او استئناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد
او استئناف بتفسير حالهم وخبر على تقدير الابتداء بالذين والله شديد العقاب
تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا اي لمشركي مكة وقيل لليهود
ستغلبون يوم بدر او بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية
على من عداهم وتحشرون الى جهنم وقرئ بالياء فيهما على الغيبة الاخبار بمعنى كلام الله
وعلى الخطاب بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف اي بئس المهاد جهنم
او ما مهدوا لانفسهم وفي عبارة المهاد تهكم بهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش
او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
الابتداء بالنكرة لانه في موضع تفصيل او ثمة صفة محذوفة تقديرها فئة مؤمنة تقاتل
في سبيل الله واخرى معطوفة على فئة تقديره واخرى كافرة تقاتل في سبيل
الطاغوت كما قال الله تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت حذف عن الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية
ما اثبت مقابله في الاولى وهذا من الاختصارات البليغة يرونهم مثليهم اي
يرى المشركون المؤمنين مثلي عددهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر او مثلي المشركين
وكانوا قريب الف وهذا ينافي قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم
في اعينهم لانه يجوز ان يكون التقليل من جهة العدد فلا ينافي التكثير من جهة العدد
ويكونان في حالة واحدة كيلا يجبنوا كل الجبن فيجوا عن القتال ولا يجترؤوا كل الجرأة

فيشتد

فيشتد الامر وهذا اولى من التوفيق بينهما بان التقليل كان في اول الملاقاة والتكثير بعد ذلك
او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر
الموعود في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والقراءة بالتاء الفوقانية يؤيد هذا
ان كان الخطاب للمؤمنين ويؤيد المعنى الاول ان كان الخطاب لقريش وقرئ بهما على البناء
للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وقرئ فئة بالجر على البدل من فئتين والنصب
على المدح واخرى كافرة بالنصب على الذم او حال من فاعل التقتا رأي العين لا يحتمل
صرفه من ظاهره لان الرؤية بمعنى الابصار لا يتعدى الى المفعولين ومثليهم مفعول ثان
لا حال لعدم ثبوت تلك الحالة في الواقع لواحدة من الفئتين فالمراد معناه المجازي
وهو العلم الحاصل بسبب رؤية العين والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر
ان في ذلك اي فيما ذكر من غلبة المسلمين على قلتهم وضعفهم الكافرين على كثرتهم و
شوكتهم بالكيفية المذكورة لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي البصائر او لمن ابصرهم
زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا
في محبتها حتى احبوا شهواتها وهي توقان النفس الى الشيء والمزين في الحقيقة هو الشيطان
لان التزيين صفة تقوم به لمن قال المزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي
فقد اخطأ في المدعى وما اصاب في الدليل على ما سبق تفصيله في تفسير سورة البقرة
وانما سلطه الله تعالى على تزيين ما ذكر لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة القناطير جمع القنطار وهو المال الكثير والمقنطرة ماخوذة منه
للمبالغة اي من شأن العرب ان يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه
ما يتبعونه به تأكيدا او تنبيها على تناهيه من ذلك ظل ظليل وداهية دهياء وبدرة
مبدرة ويحتمل ان يكون من قنطرة الشيء اذا احكمه ومنه القنطرة لانها بناء مشيد
من الذهب والفضة والخيل المسومة والخيل الفرس سميت خيلا لاختيالها في مشيها
والمسومة هي المعلمة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة اي تامة
الخلق من السومة لانها علم في الحسن او من السوم في البيع لانها تسام كثيرا
والانعام الابل والبقر والغنم والحرث وهو القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاته
وانباته ولهذا قال الله تعالى افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع ذلك اشارة الى ما ذكر متاع الحياة الدنيا المتاع
ما يستمتع به مدة ثم يفنى والله عنده حسن المآب المرجع وفي الاشارة بذلك اشارة

الى بعد تلك المشتهيات من الله تعالى وتقديم اسم الله تعالى عليها عند من تغير بذلك البعد تخصيص عنده
وذكر الحسن وتقديم الظرف عليه اشارة الى ان الحسن يختص بالعندية وايماء الى قبح الشهوات
البعيدة والمقصود التحريض على ايثار ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية على
الشهوات الناقصة الفانية **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم** تقرير لخيرية ما عند الله تعالى من
مستلذات الدنيا **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** استيناف لبيان ما
هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها
بدلا من خير **وازواج مطهرة** قد سبق تفسيره في سورة البقرة **ورضوان من الله** جمع بين
التكبير المستفاد من التنكير والتشريف المستفاد من قوله من الله فهو ابلغ ورضوان
الله **والله بصير بالعباد** اي يثيب ويعاقب على استحقاقهم او بصير بالذين اتقوا
وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات على حسب درجاتهم **الذين يقولون ربنا اننا آمنا**
نصب على المدح او رفع عليه او جر صفة للمتقين او العباد **فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار** في ترتيب السؤال على مجرد الايمان دلالة على انه وسيلة كافية في طلب المغفرة
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فانه
معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل
وحبسها على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي
وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما
الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها
للدلالة على انهم جامعون لها او لدلالة على استقلال كل من المعطوفين بغير مسلك فانه
ولالتها على الانضمام على ما ياتي في تفسير سورة التوبة وتخصيص الاستغفار بالاسحار لانها
اصفى اوقات العباد فانهم كانوا يتهجدون فقوا مين بالليل يتقربون الى الله تعالى فيكون
طلب الحاجة بعده احسن واقرب الى الاجابة لتعاضد الامرين صفاء الوقت والتقرب
بالطاعة اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه **شهد الله انه لا اله الا هو** بين وحدانيته
بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها **والملائكة** بالاقرار **واولوا العلم**
من الثقلين بالاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد والدلالة
والاقرار والاحتجاج من افراد معنى مجازي هو الامر المشترك بالشهادة لا معان مجازية
ليمتنع الجمع بينها في الارادة وانما لم يعتبر تقدير فعل آخر ليكون الاول مجازا والثاني حقيقة
لان ظلال الظاهر مع الغنية عنه بالمجاز المستفيض **قائما بالقسط** مقيما للعدل في قسمة

الارزاق والاجال والعقاب وتعيين الشرايع والاحكام بين العباد وانتصابه على الحال من هو والعامل
معنى الجملة اى تفرد قائما وهذا اوجه الاوجه لانه اقرب وادل على المقصود اعني دخول التعديل
تحت الشهادة كالتوحيد واوفق بما عليه غالب الاستعمال من كون الحال المؤكدة
عقيب الجملة الاسمية واما انتصابه على المدح فكرة والمنتصب عنه معرفة فيمنعه العياس
ولم يرد به الاستعمال وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف **لا اله الا
هو** كرره ليؤكد المشهود به على ما هو عليه في مثل الامر ويقرر ان الاصل في الدين هو التوحيد
والعدل لازم له لزوم الظل للذات ولهذا اكده بقوله **العزيز** اي الغالب بوحدته على
كل شيء لا يغالبه شيء فيكون الها **الحكيم** الذي يوفي كل ذي حق حقه ولا يعدل عن العدل
في افعاله فهما صفتان مقررتان لهما ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد
ان الدين عند الله الاسلام كلام مستأنف لانه لما قرر اصل الدين واساسه باطنا وظاهرا
وهو التوحيد والعدل اتجه ان يقال فما الدين الذي يجب ان يتبع بعد هذا الاصل
فاجيب بان الدين الذي يستأهل ان يسمى دينا ويعتد به عند الله ويقبل هو الشرع الذي جاء به محمد
وقرئ بالفتح على انه بدل من انه بدل الاشتمال وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى **الا من بعد ما جاءهم العلم** من بعد ما تمكنوا
من العلم بحقيقة الامر بالآيات البينات لا خفاء في ان المراد اختلافهم فيما بينهم على ما
دل عليه قوله **بغيا بينهم** حسدا وطلبا للرياسة انقسمت اليهود الى قرائين وربانيين وسمرة
وانقسمت النصارى الى ملكية ويعقوبية ونسطورية وكل طائفة يكفر من خالفها بعد ان كانت
اليهود امة واحدة والنصارى كذلك وقد تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالكتب المنزلة عليهم
من التوراة والزبور والانجيل **ومن يكفر بآيات الله** يرشدك هذا الى ان المراد من مجيء العلم
مجيء ما يفيده من الآيات **فان الله سريع الحساب** اي لا يهمل في جزائه ولا يمهل فان الحساب كناية
من عدم الاهمال في الجزاء وسرعته كناية عن عدم الامهال في الايصال وهذا ايذان ووعيد
شديد في الغاية **فان حاجوك** فان جادلوك ولم يتعلقوا فيما ذكر بشبهة من الجواب انه في الدين
فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره فالوجه مجاز عن نفس
الشيء وذاته كما في ويبقى وجه ربك او عن جملة الشخص تعبيرا عن الكل باشرف الاجزاء
والمقصود المبالغة بجعل كل البدن محلا للاخلاص والفاء للترتيب على انهم لما تقدم من
ان اختلافهم في الدين لغرض دنيوي لا لاظهار الحق وازالة الشبهة فلا يجدي المجادلة

معهم والاحتجاج عليهم ولهذا امره عم بالجواب المفصح عن الاعراض عن محاجتهم ومن اتبعن في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره اسلم وجهه لله ولا يجوز عطفه على الضمير في اسلمت لاستلزامه المشاركة في المفعول ولا صحة لها وحمل الواو على معنى مع لا يفضي الى ذلك الان حق مع ان يدخل المتبوع وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب فيهم كمشركي العرب ءاسلمتم استفهام فيه استقصار وتعيير بالمعاندة اي قد جاءكم من البينات ما يوجب الاسلام ولم يبق معه شبهة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وعنادكم فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم باخراجها من ظلمة الضلالة الى نور الهدى وان تولوا فلم يضروك فانما عليك البلاغ فان الرسول ما عليه الا البلاغ وقد ابلغت في الجد والله بصير بالعباد وعد للرسول عم ووعيد لهم ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق في سورة البقرة بغير الحق اي بغير الحق الذي حده الله تعالى واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك الحقوق ويقتلون الذين يامرون بالقسط قرا رسول الله عم هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى وفي شرح البيان بقوله تعالى من الناس للتنبيه على انهم قتلوا الامرين بالقسط لا لخصوصية فيهم ووجه المضارع الدال على الاستقبال او الحال مع ان قتل الانبياء انما كان فيما مضى ان اوايل اهل الكتاب قتلوا الانبياء واتباعهم الامرين بالقسط والمعاصرين راضون بذلك وقاصدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك في حكم القتل فكانوا مستمرين على قتل الانبياء واتباعهم فصح المضارع الدال على الاستمرار ويكون الحكم بالقتل على المعاصرين بتوبيخ قوله فبشرهم بعذاب اليم لا على المجموع ليلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز على ان الماضين قد اتصفوا والمعاصرين ملتبسون بالاستمرار على القتل في الكل ايضا مجاز فلا جمع وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولهذا قيل الخبر اولئك حبطت اعمالهم كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق ان ان لا تغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل في الدنيا والاخرة اي لا ينالون بها نفعا لا في الدنيا ولا في الاخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واعتبر مقابلة الجمع بالجمع والا فنفي المفرد ابلغ الم تر تعجيب من حيلهم وتنبيه على سوء صنيعهم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود فانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية لافادة التنكير التكثير واللام

للعهد والمعهود التورية ومن اما للتبعيض لان ما فهموه مع وفوره ليس الا البعض منها لتعذر احاطة البشر بكنه كلام الله تعالى واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر الذي اوتوه هو التورية وعلى هذا فالانسب ان يفسر الايتاء بالانزال عليهم واطلاعهم عليها لا بالتحصيل ويجوز ان يكون اللام للجنس ومن للابتداء او للتبعيض وان يكون للعهد والمعهود اللوح ومن للابتداء والنصيب التورية ووصفها بالعظم انسب من وصفها بالكثرة يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم حال اذا سنينا فكتاب الله هو التورية وذلك ان رسول الله عم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد على اي دين انت فقال عم على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم ان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض اعتراض لا حال لعلة فائدة تقييد التولي به واذا استغنام ان يكون حالا مؤكدة وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلافات والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله عم ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ والسبب في الحقيقة زعمهم اياه الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا لمعتقدهم الفاسد منزلة العقايد الفاسدة الى منزلة الاقوال الباطلة التي لا طائل تحتها وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم الاولياء يشفعون لهم اي غرت الضعفاء قول الكبراء والغرور الاطماع فيما لا يصح وانما سماه افتراء وهو اختلاق الكذب على الغير لانهم اضافوا القول الى التورية فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما اعد لهم من العقاب وتهويل لهم اي فكيف يصنعون او كيف يكون حالهم اذا وقعوا فيما لا حيلة لهم في دفعه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت قيل فيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص ويرد عليه انا لا نسلم ذلك فانه يجوز ان يكون فيها بتخفيف العذاب وقبلها بدفع بعض الاهوال عند موقف الحساب والمرور على الصراط وهم لا يظلمون من نقص ما او عدم اجورهم الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولهذا لا يجتمعان وذلك بعض خواص هذا الاسم

كدخول تاء القسم وبامع حرف التعريف وقطع همزته مالك الملك اللام للاستغراق بقيد العموم وهو منادى
ثان عند سيبويه لان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء اللام هنا وفي قوله وتنزع الملك
ممن تشاء للمهية التي تحصل بوجود فرد منه فهما خاصان اي تؤتي من تشاء النصيب الذي قسمت له
منه وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا بالنصر والادبار
وفي الآخرة بالتوفيق والخذلان بيدك الخير انما خص الخير بالذكر لعدم نسبة الشر اليه تع على ما وقع
التصريح به في الحديث النبوي حيث قال والخير في يديك والشر ليس اليك ولما احتمل ان يظن
ان الشر خارج عن حيز قدرته دفعه بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب لما ذكر قدرته في ايتاء الملك والنزع
والاعزاز والاذلال بحسب المشية عدد آيات القدرة الباهرة ذكر الليل والنهار وزيادة
كل منهما بنقص الآخر وذكر الحي والميت واخراج كل منهما من الآخر وذكر سعة فضله
دلالة على ان من قدر على هذه الامور العظام المحيرة للعقول والاوهام ثم قدر على ان
يرزق من يشاء من عباده بغير حساب فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم
ويؤتيه العرب ويعزهم ويرزقهم بغير حساب ~~فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم~~
والولوج الدخول في شيء بكلفة واستعير هنا للحوق قدر من الليل بالنهار وقدر من النهار
بالليل بالقسر على وجه يكون اللاحق من جنس الملحوق والمراد من اخراج الحي من الميت
وعكسه انشاء النسمة الحية من النطفة الميتة والنطفة الميتة من النسمة الحية وقيل هو
اخراج المؤمن من الكافر وعكسه وفيه انه ليس من الآيات الباهرة التي ينبغي ان
يستدل بها على ما ذكر وذكر فيه مع ان الرزق غير مخصوص بذوي العقول للتنبيه
على ان رزق هذا الجنس وهو اقل افراد الجنس الآخر اذا كان خارجا عن حد الحد فالموج
عنه في الجنس الآخر وفي الكل بطريق الاولى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم
لقرابة او صداقة ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو
وساير الامور الدينية من دون الله اي لا تتخذوهم اولياء مجاوزين ولاية المؤمنين
فان لهم في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم بالولاية ومن
يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء فليس من ولاية الله في شيء يطلق عليه اسم الولاية
فان ولاية العدو عداوة وهم اعداء الله تع الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم
امرا يجب اتقاؤه في محل النصب على الظرف اي الا وقت ان تتقوا قيل بمعنى تخافوا وتحذروا
فتعدى بمن كان هذا القائل ظن ان اتقى وكذا حذر لا يتعدى بنفسه ولم يصب

دله

113

ويكون تقاة نصبا على المصدر بمعنى متقى وقرئ تقية فعيل بمعنى مفعول او تسمية بالمصدر ايضا ويجوز ان يكونا
مصدرين ان جعلا مفعولا به ففيه مبالغة شديدة حيث كان الرخصة معلقة بشدة الخوف
حتى ان المحذور من غاية كونه مخوفا كانه نفس الحذر وفيه التفات ولا يخفى ما فيه من اللطف فانهم
لما نهوا عن فعل ما لا يجوز جعل ذلك في اسم غايب فلم يواجهوا بالنهي ولما وقعت المسامحة
والاذن في بعض ذلك وجهوا به ايذانا بلطف الله تع بهم وتشريفا بخطابه اياهم ويحذركم الله
نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وعيد شديد مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح
وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة
والى الله المصير ومن غيره فلا تعرضوا له ولا يمكنكم الحذر ابعاد بليغ عند مخالفته ثم بين قوله
ويحذركم الله نفسه بقوله قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله وهو بيان مرتب النعيم
كاقامة البرهان اي ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار وغيره مما لا يرضى الله به او
تبدوه يعلمه الله تع ويستوي عنده الاخفاء والابداء فذكر قوله او تبدوه بعد قوله ان تخفوا
مع انه مغن عنه لتقرير معنى التسوية المذكورة فهو كقوله وكهلا في قوله ويكلم الناس في المهد
وكهلا ويعلم اي وكيف لا وهو يعلم ما في السموات وما في الارض فانه مطلع بالذات على الاشياء
كلها سرها وعلنها والله على كل شيء قدير فهو القادر على عقوبتكم وفي اظهار ذكر الله في المواضع
الثلثة وتعذيبه على المصير مع ان الموقع موقع الاضمار ايعاد شديد وتربية للعلم
والقدرة والمهابة بانه هو العالم القادر دون غيره ولا يختص علمه وقدرته ببعض المعلومات
والمقدورات دون بعض فيجب ان يحذر ويتقى يوم تجد نصب بمضمر نحو اذكر لا بتوقع
اذ لا يصح توصيف اليوم بوجدان كل نفس ما عملت من خير محضرا بل نحل اذ لا يصلح منشأ
لتلك الودادة والاصل في مثل ذلك هو المنشأ لها كل نفس اي كل نفس عاملة للخير وهي
النفس المؤمنة لعدم الخير للكافر وحذف الوصف لدلالة قوله ما عملت من خير محضرا عليه
وفيه اشارة بشارة للمؤمن لانه ذكر انه يجد الخير محضرا ولم يذكر في حقه احضار الشر لانه
ما يعفى فلا يحضر قال تع اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم والظاهر
حضور العمل بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر فلا يجوز الصرف عنه بلا صارف
وما عملت من سوء مبتداء خبره تود لو ان بينها وبينه اي تحب متمنيا ان بينها وبين ذلك اليوم
لسهولة ولا يجوز ان يكون تود حالا من الضمير في عملت لان عملها ليس في حال الودادة
المذكورة وعلى قراءة ودت يجوز ان يكون ما شرطية وكذا على قراءة العامة عند التحقيق
ولا يأباه رفع يود لان الشرط اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم ولكن

ردة
فيه نكتة فانه اذا كان المراد ودادة بعد
تلك اليوم غير حاصل بل مستقبل اي بعد
منه دكثيرة لعمل اعمالا صالحة ويجتهد في اقتراف
خيرات ليراها محضرا عنده في ذلك اليوم ويكف
عن السيئات بالكلية لئلا يراها فيظهر
عدم فتياء ذلك التوصيف على ان
نيل الصالحين لراتب النعيم ونكاله على
الكافرين
ردة

الحمل على الجملة الاسمية او وقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم امدا بعيدا والامد المسافة او الزمان
ويحذركم الله نفسه ذكره فيما سبق للمنع عن موالاة الكافرين وذكره هنا للحث على عمل الخير والمنع
عن عمل السوء فلا تكرار والله رؤف بالعباد يعني ان المبالغة في تحذيرهم واستيقاظهم عن
الغفلة وتذكيرهم كمال علمه وقدرته واحاطته بهم من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا
تنبهوا وعرفوه حق معرفته حذروا سخطه وطلبوا رضاه فنجوا او يجوز ان يريد انه مع
كونه محذورا لاحاطة علمه وكمال قدرته وقوة قهره مرجو لسعة رحمته ورأفته ولطفه
كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة امر وجداني
لا يمكن تعريفه بحسب الحقيقة كما قيل حقيقة الحب لا تحكي لفاقدها والواجد استغنى
عن التعريف بالنقل لا يعرف الشمس الا من يشاهدها لكن في تعريفها عبر بتعليل و
اثرها الحادث في القلب ميل الى المحبوب لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه
ومحبة الله تعالى تقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة
الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على طاعته يحببكم الله
جواب للامر اي يرضى عنكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه
عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة والمشاكلة ويغفر لكم ذنوبكم ما سلف
من ذنوبكم والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته ومتابعة نبيه قل اطيعوا الله والرسول
ذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بالتبعية وتعظيما لكون الطاعة مكان المتابعة كأنه
قال فان لم تتبعوني فاطيعوني ونوه به بذكر الرسول والالتفات واكد تعظيمه فان
تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب
الكافرين اثبت الكفر لتاركي طاعة الله تعالى والرسول ع م بوضع الظاهر موضع المضمر
تسجيلا عليهم بالكفر وحصر الكفر فيهم فافادة انهم جنس الكفار ليعلم ان تارك
المتابعة ليس بكافر ما دام مطيعا لانها لا تتيسر لكل واحد من آحاد المسلمين وهو بيان
الى ان الذي لم يتيسر له المتابعة في سلوك طريقته فعليه بالطاعة كما امر والا كان
كافرا ان الله اصطفى آدم ونوحا بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية
الجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها
الجالبة لمحبة الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وآل ابراهيم اسمعيل
واسحق عليهما السلام واولادهما وقد دخل فيهم الرسول ع م وآل عمران موسى وهارون ع م
والمراد عمران بن ماثان وآله عيسى ومريم بنت عمران المذكور على العالمين ذرية بعضها حال او

بدل من الآلين او منهما ومن نوح وآدم اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض والذرية
لما كانت مشتقة من الذرء وهو الخلق شملت الكل لان الاب خلق منه الولد والولد خلق من
الاب وقيل بعضها من بعض في الدين والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان
مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب
اني نذرت لك ما في بطني فتنتصب اذ بسميع ومنع بوصفه عن العمل عند مسلم وقيل بنصبه باضمار
اذكر محررا نصبه على الحال اي معتقا لخدمته مخلصا للعبادة لا اشغله بشيء قيل كان
بنو اسرائيل لم يكن لهم غنايم اعدائهم فلم يكن لهم مماليك يعتقونه وكانوا يحررون
اولادهم تقربا الى الله تعالى ويقطعون منافعهم عن انفسهم ويفرغونهم لخدمة بيت الله تعالى
فتقبل مني ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على الرضا به انك انت السميع لقولي العليم بنيتي
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كانت انثى حتى يكون كقولك
وضعت انثى انثى بل نظرا الى الحال او على تاويل النفس او النسمة وانثى حال من وضعتها
وطوبق ضميره ما في بطني للحال لان الحال وذا الحال كشيء واحد وانما قالته تحسرا وتحزنا
الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والله اعلم بما وضعت
اي بالشيء الذي وضعته وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها
وقرئ وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله تعالى فيها سرا او الانثى كان
خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي
وهبت لها بيان لقوله والله اعلم بما وضعت والتعريف فيهما للعهد قيل ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون التعريف للجنس واني سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض ارادت بذلك التقرب الى الله تعالى والعصمة لها لان
مريم في لغتهم بمعنى العابدة فلعل الله يصدق فيها ظنها ويجعلها طبقا لاسمها فتقوم مقام ما
نذرته الا تراها كيف اتبعته بقولها واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان
الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها والحديث مذكور في الصحيحين ولا اصابة
عن ظاهره فمن ردد في صحته ثم اوله فقد ضل واضل فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان
الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها
قبل ان تكبر وتصلح للسدانة ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن
وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن

وانبتها نباتا حسنا اي انشاها ورباها على احسن وجه خلقا وخلقا وكفلها زكريا وقرئ بتشديد الفاء اي جعل الله زكريا كافلا لها وضامنا مصالحها كلما دخل عليها زكريا المحراب قال الاصمعي المحراب الغرفة اي الغرفة التي بنى لها وقال الزجاج المحراب اشرف المجالس ومقدمها وقيل المساجد عندهم تسمى المحاريب وهو مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه وتنكير رزقا للتنويع اي نوعا غريبا من الرزق روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك استفيد الاوصاف من اسم الاشارة المستعملة لكمال العناية بالتمييز لما له من الاوصاف العجيبة الشان قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير مجازاة على عمل من جملة كلامها او من كلام الله تعالى هنالك في ذلك المكان دعا زكريا ربه لما كان المحراب مكان عبادة وكرامة لمريم دعا فيه ان يهب له ذرية طيبة قال تمهيد للدعاء رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي تفضل علي باعطاء ولد وابقائه كما وهبت لامراة عمران وهي عجوز عاقر يفهم هذا من قوله من لدنك فان فيه اشارة الى ان تلك الهبة على خلاف العادة قيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال والذرية الولد يقع على الذكر والانثى والواحد والجمع وتانيث الطيبة للفظ الذرية والطيب هو الذي يستطاب فلا يكون فيه امر يسخط ويعاب انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة كان النداء من جبرئيل عم وحده وانما ذكر جمعا لانه اذا نزل لامر خارق كان معه جماعة من الملائكة تعظيما لذلك الامر وهذا كما يقال لحضر زيد احد خواص السلطان يدعوه اليه وان كان الذي خاطبه بالدعوة واحد منهم وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال عن الضمير في قائم دل على ان المراد تطلب بالصلوة وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات ان الله يبشرك قرئ ان بالفتح لوقوع فعل النداء عليه وجعل النداء في معنى الاعلام وبالكسر على ان في النداء معنى القول وقرئ يبشرك بالتشديد من التبشير وبالتخفيف من البشارة وقد سبق تفسيره

115

في سورة البقرة يحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى عم مؤمنا به سمي بذلك لانه وجد بامر الله تعالى بلا اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدة وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا على الناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا ممتنعا من النساء مع القدرة عليهن والحصر الحبس والمنع وهو فعول بمعنى الفاعل وقيل هو المبتل الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عم او كائنا من الصالحين وفي توصيفه بالصلاح بعد توصيفه بالنبوة ما لا يخفى من التعظيم للصلاح قال رب انى يكون لي غلام استعظاما وتعجبا وفي عبارة الغلام دون الولد تقوية له وذكر الغلام كان في البشارة على ما ذكر في سورة مريم وترك هاهنا اختصارا والاستبعاد بحسب العادة لا يناسب الحال وسياق المقال الاعلى قول من قال كان دعاؤه عم قبل بشارته باربعين سنة فلذلك نسيها سال ربه حتى قال ما قال على ان الاستعظام ينتظم اذا اقتضاه المقام واما الاستفهام عن كيفية حدوثه فلا يناسبه تمام الكلام ولا ينتظم الجواب حق الانتظام وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون ولهذا قال وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك تعظيم اي مثل ذلك الفعل العظيم العجيب الشان البعيد عن العقل والعادة يفعل الله ما يشاء من الافاعيل العجيبة وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر وكذلك نصب على المصدر او خبر مبتداه الله اي على مثل هذه الصفة الله وقوله يفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الهبة لاستقبله بالبشارة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ان لا تقدر على تكليم الناس وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة لما اطلع الله تعالى على انه طلب الآية لاداء الشكر جعل الآية نفس الشكر فان اخلاص المدة لذكره دون شغل لسانه بغيره من احسن انواع الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال كانه قال آيتك ان لا تقدر الا على شكره ثلثة ايام من غير خرس ولا آفة لقوله في موضع آخر سويا اي سليم الاعضاء وذكر الايام هنا

واللّيالي هناك ولا تنافي بينهما لان ذكر احدهما جمعا يقتضي دخول الاخرى فيها لغة وعرفا الا رمزا الرمز الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجب والعين واليد والرأس و الاول اغلب واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والكلام ينتظم الرمز لان المراد منه ما دلّ على الضمير قال جويبر بن عابد كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهرير فالاستثناء متصل وقرئ رمزا بضمتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه والكثرة قيد المأمور به لا قيد الامر فعلى تقدير دلالة الامر على التكرار فائدته تكرار الذكر الكثير وسبح بالعشي والابكار في طرفي النهار رخصهما بالذكر لانهما مجمع ملائكة الليل والنهار وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين اي بكرة واذ قالت الملائكة يا مريم لما فرغ من قصة زكريا ءم وكان قد استطرد من قصة مريم اليها رجع الى قصتها والمقصود تنزيهها عما رمتها به اليهود وفي نداء الملائكة لها باسمها تأنيس لها وتوطئة لما يلقيهم اليها ودفع لاحتمال ان يكون ذلك بطريق الالهام لا على وجه المشافهة بالكلام او لانواع الكرامة واختصك بتقبلك من امك وتربيتك ورزق الجنة وتبص القدرة ان الله اصطفاك وطهرك مما يستقذر وتجنب من الافعال ويدخل فيه ما قذفها به اليهود دخولا اوليا واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى ءم من غير اب كان تلك المخاطبة كرامة لها للاجماع على انه لم يتنبأ امرأة واما قوله تع وما ارسلنا قبلك الا رجالا فلا دلالة فيه على المطلوب لان الرسول اخص من النبي ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء العام يا مريم اقنتي اخلصي الغرض او ادامي الطاعة لربك واسجدي اي صلي النافلة وحدك واركعي مع الراكعين اي صلي الفرض مع المصلين في بيت المقدس جماعة وانما خص السجود من بين اركان الصلوة بالذكر في مقام التعبير عن الكل بالجزء لان تمام الصلوة به ولهذا يحنث من حلف لا يصلي اذا اتم سجود ولا يحنث قبله وخص الركوع بالذكر في مقام التعبير عن الصلوة بالجماعة لان شرط صحة الاقتداء ادراك الامام في الركوع ذلك اشارة الى ما ذكر من نبإ زكريا ويحيى ومريم وعيسى ءم من انباء الغيب نوحيه اليك مما يوحى اليك من الغيوب وما كنت لديهم الضمير عائد على ما دل عليه المعنى اي وما كنت لدى المتنازعين اذ يلقون اقلامهم قراحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا بها و المراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكره كانه قيل انه ءم يخبركم عما لا سبيل اليه

الى النبي لنظر العقل وانتم تنكرون الوحي وتعترفون بعدم السماع فلم يبق لنا بمقتضى عقولكم ما يحتاج سوى المشاهدة التي هي اظهر الامور انتفاء ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على انه وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه قد سبق تفسيره اسمه الضمير للكلمة وانما ذكر باعتبار المعنى المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك فهو من الالقاب المشرفة كالصديق وعيسى معرب ايشوع وانما قالوا عيسى ابن مريم والخطاب لها للتنبيه بنسبته الى الام انه يولد من غير اب لان النسبة اليها انما تكون عند فقد الاب وقد كان في قولهم بكلمة منه تمهيد لهذا التنبيه ولما كان الاسم علامة يعرف به المسمى ويتميز عن غيره قيل اسمه اي ما يعرف به ويتميز مجموع هذه الثلثة تعظيما له وتنويها بذكر اللقب والصفة مع الاسم وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس بالمعجزات وفي الآخرة علو الدرجة والشفاعة ومن المقربين من الله تع حال اخرى وقيل اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس حال آخر والعدول الى الفعل لانه صفة متجددة بخلاف السابق واللاحق وذكر الناس لبيان ان المراد التكلم المعتاد فان الصبي قد يقدر على التكلم مع ابويه وهو طفل فتكلمه مطلقا في تلك الحال ليس بخارق للعادة في المهد حال من يكلم وكهلا عطف عليه اي طفلا وكهلا وانما عدل عنه الى المهد تصويرا لحال صغره المنافي للقدرة على التكلم كما ينبغي والمعنى يكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء وفيه بشارة لامه بعيشه وبقائه الى الكهولة وهي ما بين الشباب والشيب واستدل به على نزوله من السماء لان رفعه اليها كان قبل ان يصير كهلا والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه تسمية بالمصدر ومن الصالحين حال رابع من كلمة او ضمير الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد تعجب ناش من استبعاد عادي لا استفهام عن ان يكون بتزوج او غيره لان قوله ولم يمسسني بشر ظاهر في ان الطريق عنده منحصر في التزوج قال جبريل ءم بامر الله تع كذلك الله يخلق ما يشاء قد سبق تفسيره اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون بيان لقوله يخلق ما يشاء واشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك

ويعلمه الكتاب كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت بيقينها انها تلد
من غير زوج والكتاب الكتبة وقرئ ونعلمه بالنون على الالتفات من الغيبة الى الخطاب لتربية
الاعتناء بامره ويجوز ان يراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان في قوله والحكمة
والتورية والانجيل لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم منصوب بمضمر اي ويجعله
رسولا او رسولا يتضمن معنى كأنه قال ورسولا ناطقا باني قد جئتكم بآية ويجوز ان يكون
التقدير ويقول ارسلت رسولا ولا يخفى ضعفه اذ فيه اضمار شيئين القول ومعموله والعطف
على الاحوال المتقدمة يأباه الفصل بقوله قال رب انى يكون لي ولد الى آخره فانه
ينبغي ان يؤخر هذا القول عن ذكر الاوصاف والاحوال والاهتمام بلا علة لا يصلح
باعثا لتقديم ما حقه التأخير فانه لا يكون سلامة الامير وتخصيص بني اسرائيل لخصوص
بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين في محل النصب
بدل من اني قد جئتكم او الجر بدلا من آية او الرفع على هي اني وقرئ اني بالكسر على الاستئناف
كهيئة الطير اي اقدر لكم واصور لكم شيئا مثل صورة الطير اصل الكلام كالطير في
الهيئة وانما عدل عنه الى المنزل اشارة الى انه لم يكن منه عم تصرف الا في الهيئة فلا
مماثلة بينهما في المادة انما المماثلة في الصورة فقط فانفخ فيه الضمير للكاف اي
في ذلك المماثل فيكون طيرا اي يصير حيا طائرا باذن الله نبه به ان احياءه كان من
الله تع لا منه وفي عبارة الاذن دون الامر اشارة الى تهوين امر كونه طيرا قيل نوا الما
النقل عن المفسرين ان الطائر الذي خلقه عم كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه
فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهذا وجه
زيادة لكم في قوله اي اخلق لكم ووجه التهوين الذي اشير اليه بعبارة الاذن وابرئ
الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى وقيل الممسوح العين واحيي الموتى باذن الله كرره دفعا لتوهم
بوطلب قدرة العباد وقيل وجهه انه علم انه يعبد ويتخذ الها فنفى عن نفسه الالوهية
قطعا لحجتهم عند الله تع وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي
لا تشكون فيها ان في ذلك الاشارة الى مجموع ما ذكر لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين
للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين
يدي من التورية عطف على رسولا او على بآية تقديره قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا ولاحل
لكم ولابين الحل واعلمه معطوف على محذوف تقديره لاخفف عنكم ولاحل لكم او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك او مردود على قوله جئتكم بآية

117

المعمول له لعطف

اي بنظم معه معطوف عليه ظاهر الكلمة في التحقيق من عطف الجمل اي وجئتكم بآية لاحل اذ لا وجه
على المفعول به وذلك ان نجعل الكل في معنى الحال فيستقيم العطف اي جئتكم ملتبسا بآية ومصدقا
لما بين يدي وطالبا لاحل بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عم كالشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وذلك لا ينافي كونه مصدقا للتورية لان النسخ
في الحقيقة بيان لانتهاء حكم المنسوخ وجئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما
ذكرت لكم ومما لم اذكر من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد وغير ذلك وقرئ بآيات
من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم به ثم ابتداء فقال ان الله
ربي وربكم اي تلك الآيات واسمعوا هذه فانها اعظمها وهو التوحيد الذي تطابق
عليه الرسل كلهم وهو مبنى دين الكل واسه فاعبدوه تخصصوه بالعبادة وقرئ ان الله
بالفتح ومعناه ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تع لايلاف قريش ايلافهم
فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية عظيمة ما اعظمها دالة على ان الله تع ربي
وربكم وما بينهما اعتراض للتأكيد هذا صراط مستقيم اشار بقوله ان الله ربي وربكم
الى استكمال القوة النظرية باعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وبقوله فاعبدوه
الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء
عن المناهي ثم قدر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
فلما احس عيسى منهم الكفر نزل الكفر منزلة اثارة المحسوسة من سببه وطلبه للقتل
مبالغة في قوة تأثيره وشدة ظهوره ثم كنى باحساسه عن التأثر به والخوف منهم ولذلك
طلب الانتصار ومن وهم ان الاحساس مستعار للعلم اليقيني الذي لا شبهة فيه
فقد وهم لان فيه تشبيه القوي بالضعيف فان الاحساس كثيرا ما يقع فيه الغلط
نعم لو قيل شبه الكفر المعقول بالمحسوس في قوة الظهور واضاف اليه الاحساس
على طريقة الاستعارة بالكناية لكان له وجه والفاء فصيحة ترتيبها على محذوف يفهم
من سياق الكلام وسياقه قال من انصاري جمع النصير كالاشراف جمع الشريف او جمع ناصر
كالاصحاب جمع صاحب الى الله في محل النصب متعلق بحال محذوف اي سائرا
الى الله او ملتجئا او صلة لانصاري مضمنا معنى فعل متعد بالى اي من الذين يضيفون
انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني الله قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته
من الحور وهو البياض الخالص سمي به اصحابه عم لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم نحن انصار
الله اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون تأكيد لاسلامهم لان الرسل يشهدون

لصفته

يوم القيامة لتوبيخهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء
الذين يشهدون لاممهم او مع امة محمد عم لانهم شهداء على الناس او مع الشاهدين بالوحدانية
ومكروا اي الذين احس عيسى عم منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان
رفعه عم والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل وحقيقة المكر اظهار امر يعتقد فيه
الناظر اليه الجاهل حقيقته بضد ما هو وكذلك الاحتيال والخديعة والسخرية ومن قصد
بشيء من فعل ذلك امرا قبيحا يكون مذموما وان قصد به فعلا جميلا يكون بخلافه جميعا فالله
الراغب فلا شيء في اسناده الى الله تع كما لا شيء في اسناد الكيد اليه ومنهم من زعم
انه لا يسند اليه تع الا على سبيل المقابلة والازدواج فقد وهم ولكانه غافل عن قوله
افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والله خير الماكرين اقواهم
مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله
ظرف لمكر الله او لخير الماكرين لان نفيه كونه تع خير الماكرين بالظرف وليس بسديد
يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من
قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما
وقيل اماته الله ورفعه الى السماء ثم احياه واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل
كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من خبث صحبتهم وسوء جوارهم او قصد جورهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم
المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه و
كذبوا عليه من اليهود والنصارى الى يوم القيامة الى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم
ولم يتفق لهم دولة وملك ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى عم ومن تبعه ومن كفر به و
غلب المخاطبين على الغائبين بعد ما التفت من الغيبة الى الخطاب ليكون الاخبار
ابلغ في التهديد واشد زجرا فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والتفت
من الغيبة الى التكلم مسند الحكم الى نفسه ليعلم ان الحاكم هنا ولا يخفى عليه خافية
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وبداء بذكر الكفار لان ما
تقدم من الجمل انما ذكر على سبيل التهديد والوعيد لهم والاخبار بجزائهم وقوله وعملوا
الصالحات لم يذكر على انه قيد احترازي بل ذكر للتنبيه على ان الايمان الصحيح يتبعه
العمل الصالح ان لم يمنعه مانع والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم فانه من الكنايات الملحقة

بالحقيقة

بالحقيقة في جميع الالسنة ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى عم وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك
وقوله من الآيات حال من الهاء او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون من
الآيات خبرا ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان ينتصب ذلك بمضمر يفسره
نتلوه وان يكون بمعنى الذي ونتلوه صلته والخبر من الآيات والذكر الحكيم هو القرآن
وصف بصفة من هو له على طريقة قولهم شعر شاعر او لكثرة حكمه كانه حكيم ناطق بالحكمة
او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه ان مثل عيسى عند الله اي شانه الغريب في ولادته
من غير نطفة كمثل آدم كشانه الغريب في خلقه في انه وجد وجودا خارجا عن العادة
بان خلقنا من غير نطفة نظيرا ان لا مزية لاحدهما في نفس ذلك المعنى ففيه التشبيه بلا
اشتباه واما كون عيسى عم مخلوقا من غير اب وآدم عليه السلام مخلوقا من غير اب
وام فخارج عن مدلول الكلام وان كان مقصودا في تشبيه ما سبق له ذلك ملحوظا من
عرضه بمعونة المقام فان الغرض دفع استغرابهم خلق عيسى عم من غير اب فيما حظه
من خلق من غير اب وام يتم ذلك الغرض على وجه اقوى ولهذا تعرض لبيان حاله
بقوله خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه اي خلق جسده قالبا من عالم
الخلق وهو عالم الملك وعالم الشهادة ثم اوجد روحه بامر كن وهو من عالم الملكوت
وعالم الغيب على ما افصح عنه بقوله ثم قال له كن وفيه دلالة على ان الانسان كانه
مرة بعد اخرى على ما صرح به في قوله ثم انشاناه خلقا آخر فكلمة ثم للتراخي حقيقة فيكون حكاية
حال ماضية استحضارا لتلك الحالة العجيبة وبيانا لسرعة حصول المراد فان الفاء
للدلالة على عدم التراخي الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك اي ثابتا منه
على انه حال مؤكدة وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي المذكور من الله تع وتعريف
الحق للعهد الذهني اي ايجاد عيسى عم من غير اب هو الحق الذي تعرفه فلا تكونن من الممترين
الخطاب للنبي عم وفائدة النهي عن الامتراء هو التثبيت على اليقين والطمانينة والا
الى ان المراد هو الذي لا يعرف الحق اي قدرة الله تع على الايجاد من غير اب والا فرسول
الله اجل من ان يمتري حتى ينهى عنه فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى عليه السلام
من بعد ما جاءك من العلم اي البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم
بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس تنبيها على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وتقدمون على الانفس كيف والرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل من الابتهال

صلى الله عليه وسلم

بفتح الباء وضمها وهي اللعنة واصل الابتهال الالتعان ثم استعمل في كل دعاء يجتهد الانسان فيه
وان لم يكن التعانا والمباهلة الملاعنة اي نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان قد طول المفسرون في قصة المباهلة وحاصلها انه
لما دعاهم اليها وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم الى الميعاد نكلوا عن ذلك ان هذا
لما قص من نبأ عيسى عم ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبران او هو فصل يفيد ان
ما ذكر في شانهما حق دون ما ذكروه وما بعده خبر وحق اللام ان يدخل المبتدا فلما دخل
ان ازيلت عنه الى الخبر او الواسطة لمزيد التاكيد واذا جاز تاخيرها الى الخبر فلان
يجوز الى الواسطة التي هي اقرب الى المبتدا اولى وما من اله الا الله زيادة من هنا في
افادة معنى الاستغراق والتاكيد في النفي كالبناء على الفتح في لا اله الا الله والمراد الرد
على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم دخول ان واظهار اسم الله وتوسيط هو
للفصل وادخال اللام عليه وتعريف العزيز الحكيم مبالغات وتاكيدات في التوحيد و
نفي الشرك وان العزة اي الغلبة والقهر مخصوص بالله تعالى ليس لغيره فيها نصيب وان
فهو انما يكون بالحكمة فلا يشبهه الا الكافر بالغ في الابعاد بقوله وان تولوا اي عن التوحيد
فان الله عليم بالمفسدين وادخال الفاء في ان الله اشارة الى ان الوعيد مسبب عن الاعراض
ووضع المفسدين موضع ضميرهم تسجيل عليهم وتنبيه على ان حقيقة الفساد هو التولي
عن التوحيد وان الوعيد المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
مخصوص بهم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران وقيل يهود المدينة
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اذ لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا نعبد الا الله
ان نوحده بالعبادة ولا نشرك به شيئا لم يرد به الشرك في العبادة لان الوصل يأباه
بل اراد به ما ذكر بقوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله
بزعمهم وهذا لشركائنا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي لا نتخذ الاتباع الرؤس
اربابا من دون الله فيطيعونهم كطاعة الله تعالى نهي عن اطاعتهم الاحبار فيما احدثوا من
التحليل والتحريم لا عن قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله لان مرجعه الى ما تقدم من
توحيده تعالى بالعبادة فان تولوا عن التوحيد الذي هو اصل دين الكل فقد لزمتهم الحجة
بانهم ليسوا على دينهم فقولوا اشهدوا بانا مسلمون دونكم لانكم خالفتم كتابكم ونبيكم ويجوز
ان يكون من باب التعريض اي اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطا
عليه الرسل ولا يخفى ما في نظم هذه القصة من المبالغة في الارشاد ولطف التدرج في الحجاج

وحسن المقطع عند ظهور اللجاج يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم عم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا
الى رسول الله صلعم فنزلت يعني انكم معترفون بحدوث اليهودية والنصرانية بنزول التورية
والانجيل ونزولها بعده عم فكيف يكون يهوديا او نصرانيا ولا يرد الالزام علينا في قولنا
انه عم كان على دين الاسلام لانا لا نقول بحدوث دين الاسلام بنزول القرآن افلا تعقلون
حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم
به علم ها حرف التنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى
اي تنبهوا ايها الغافلون انتم هؤلاء الحمقى على هذه الصفة التي انتم عليها مما لا يمكن دعكم بما
هو ابلغ منه فانتم الاشخاص المتعينة المشار اليهم في الحماقة وفي حرف التنبيه مبالغة
في غفلتهم وفي هؤلاء الذم بالجهل وحاججتم كشف لجهلهم وسخافة عقولهم اي ان
حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم من التورية والانجيل من حال محمد عم فلم تحاجون
فيما لا ذكر له في كتابكم به من حال ابرهيم عم والله يعلم ما حاججتم فيه فيعلمنا وانتم لا تعلمون
وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرر من البرهان ولكن كان
حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا على ملة الاسلام وما سبق الى بعض الاوهام
من الاشتراك في اللازم فقد اندفع بما قدمناه من الكلام وما كان من المشركين تعريض بانهم
مشركون لاشراكهم به تعالى عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم
ان اولى الناس بابراهيم ان اقربهم الناس منه واخصهم به من الولي وهو القريب للذين
اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته لموافقتهم له
في اكثر ما شرع له اصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في واتبعوه وبالجر عطفا
على ابرهيم والذين آمنوا على قراءة النصب عطف على الذين اتبعوه وعلى قراءة الجر يحتمل
العطف على النبي وعلى الذين اتبعوه وهذا اوجه والله ولي المؤمنين بنصرهم ويجازيهم
الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة
وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم اي وما يتعدون
على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم او وما يعود وبال اضلالهم الا
عليهم فان الوبال يضاعف عليهم بضلالهم واضلالهم وما يشعرون ذلك يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله بما في التورية والانجيل من الآيات الناطقة بنبوة محمد عم
وانتم تشهدون انها آيات الله تعالى او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون

بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورة الحق
وقرئ تلبسون بتشديد الباء اي تكتمون الحق مع الباطل كقوله م كلابس ثوبي زور وتكتمون
الحق نبوة محمد م ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب المراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وكعب بن اسيد قالوا لاصحابهم لما حولت
القبلة آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا كان حقه ان يقول بالذي انزل على محمد وانما عدل عنه
الى المنزل لعدم المساعدة من باطنه على التكلم به وجه النهار اوله قال من كان سرورا بقتل
مالك فليأت نسوتنا بوجه النهار اي اظهروا الايمان بما نزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها اول النهار واكفروا آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون ظانين بانكم رجعتم
لخلل ظهر لكم وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار
ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في
كتابنا لعل اصحابه يشكون فيه فيرجعون ولا تؤمنوا ولا تعزموا على تصديق قلب الا لمن
تبع دينكم الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم
ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء من الايمان او يثبته عليه الهدى اسم
ان وهدى الله بدل منه وان يؤتى احد مثل ما اوتيتم خبره واللام في الهدى للمهية و
فائدة الابدال تعظيم الهدى بنسبته الى الله تع اي ان حقيقة الهدى ومهية الهدى
الالهي الذي ليس وراءه هدى بل لا هدى الا هو لان ما عداه من هدى الخلق ليس
بهدى وعلى هذا او في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى لان المحاجة نفسها لا تصلح لذلك الا
مرتبطة بالاتيان مرتبة عليه او هدى الله خبران وان يؤتى علة فعل محذوف دل عليه ما
قبل من اظهار ايمانهم ورجوعهم لتغرير من اسلم من اصحابهم اي لان يؤتى احد كتابا
موافقا لكتابكم مصدقا له منزلا من عند الله او لمحاجة اهله اياكم عند ربكم دبرتم ما دبرتم
وقلتم ذلك لاصحابكم وانما اتى باو تنبيها على ان كل واحد منهما مستقل في اغاظتهم وحملهم
على الحسد حتى دبروا ما دبروا ولو اتى بالواو لما وقع هذا الموقع للعلم بان الكل يلزم الاول
فلم يكن فيه فائدة زائدة واما اذا اتى باو فقد اشعر بان كلا مستقل في الباعثية على
الحسد والاحتشاد في التدبير والحمل على معنى حتى ليس له موقع بروع السامع وان كان
وجها ظاهرا ويؤيد هذا الوجه قراءة أان يؤتى بهمزة الاستفهام اي الان يؤتى احد
ولانه يحاجوكم فعلتم ذلك ويجوز ان يتعلق ان يؤتى بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيدوا ثباتهم ولا الى المشركين

لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل
وقرئ ان يؤتى بكسر الهمزة على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يؤتى والضمير فيه لاحد على ان المراد به المنزل عليه وامته قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء اي لا بايديكم وبدعائكم فمن يؤته ويوفقه لم يكن لاحد دفعه
وهو الاسلام فيكون تاكيدا لقوله قل ان الهدى هدى الله ويجوز ان يكون اعتراضا
آخر لتقرير امر الايتاء في قوله ان يؤتى احد اي النبوة والوحي الذي هو الفضل كل الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء لا يمكنكم دفعه ولا ينفعكم الحسد ولا يضره والله واسع عليم
واسع الرحمة عليم بالمصلحة فمن صلح لذلك من غيركم فهو يؤتيه متفضلا عليه يختص
برحمته من يشاء تاكيد وتاييد لقوله ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم فيه دفع وهم القصور في افضاله المتبادر الى الفهم من اختصاص من يشاء برحمته
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه
قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا
فجحده الا ما دمت عليه قائما في محل النصب على الظرف اي الا وقت دوامك عليه قائما على
راسه بالمطالبة والتقاضي والتعنيف او بالبينة عليه عند المرافعة الى الحاكم ذلك
اشارة الى عدم الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا
بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا ذم ولا عتاب في شان
الاميين اي الذين ليسوا من اهل الكتاب ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا الظلم من
خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم
سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستانفة مقررة للجملة التي
سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من او الى الله تع ويقوية بعهد الله بعده
والضمير الراجع من الجملة الجزائية الى من بعموم معاملة المتقين لعمومه يشمله
اي كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الخيانة والغدر فان الله تع يحبه ويستلزم ان
يبغض الغادر الخائن فللذم والعتاب عليهم سبيل في الاميين وفي غيرهم ووضع
المتقون موضع الضمير للدلالة على ان التقوى توجب محبة الله تع لصاحبها و
ان الموفي بالعهد هو المتقي فالغادر هو الفاجر بدلالة الفحوى وتعميم الحكم لعموم

والمنفين يفيد انهم لو وفوا بعهودهم واتقوا الخيانة لوفوا بالعهد الاعظم وهو ما اخذ الله عليهم
في كتابهم من الايمان برسول مصدقا لما معهم واتقوا الكذب على الله وتحريف كلمه فكانوا
مسلمين محبوبين بمتابعة حبيب الله لقوله فاتبعوني يحببكم الله ثم صرح بما عرض به من
تطرق الذم والعقاب الى الخائنين بقوله ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما
عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من
قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق
لهم في الآخرة قد سبق في تفسير سورة البقرة ما يتعلق به ولا يكلمهم الله اصلا وان الملائكة
يسالونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى والظاهر انه كناية عن سخطه وشدة
غضبه عليهم او مجاز لان الغاضب لا يكلم المغضوب عليه ولا ينظر اليهم يوم القيمة
كناية عن الاستهانة بهم واذلالهم او مجاز عن ترك احسانه اليهم ولا يثني عليهم هذا غير
متقيد بيوم القيمة فيفيد فائدة زائدة ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت
في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت الرسول وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك
رشوة وان منهم من المحرفين لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف وحيي بن
اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب فعلى هذا الباء صلة كما تقول لوى لسانه بالشعر اذا قاله
مع ثقل وفيه اضمار او سمي كتابا تهكما او على زعمهم لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير راجع الى
شبه الكتاب والعدول في قوله من الكتاب عن الضمير الى المظهر لتفخيم فان المقام مقام
تعظيم جريمة التحريف وذلك بتفخيمه وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله اي ليس هو نازلا من عنده وفيه دفع احتمال ان لا يكون
من الكتاب ومع ذلك يكون من عند الله كالاحاديث القدسية فهو تاسيس لا تاكيد
لقوله وما هو من الكتاب وتسجيل عليهم بالكذب وتشنيع عليهم باجترائهم على الله تعالى والعدول
عن الضمير الى المظهر في قوله من عند الله لتعظيم هذا الامر وبيان انهم لفرط دعارتهم يصرحون
بذلك ولا يحذرون ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله
والتعمد فيه ما كان لبشر ما صح له وما استقام اني ثم وهي للمهلة تعظيما لهذا القول واذا انتفى
هذا القول بعد المهلة كان انتفاؤه بدونها اولى واحرى اي ان هذا الانبياء لا يجامع
هذا القول وان كان بعد مهلة كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ

الله ان امر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت ويأباه قوله بعد اذ انتم مسلمون
وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد
لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد غير الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولا
يناسب هذا قوله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب
الى الرب وزيادة الالف والنون للمبالغة كما في اللحياني والرقباني وهو الكامل في
العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فالباء متعلق بكونوا فالمطلوب هو الربانية المسببة عن العلم
وهذا الغاية يدل على ان الربانية والتمسك بطاعة الله اذا لم يكن مسببة عن العلم لا يكون معتدا
بها واقعة على وفق المامور به لا على العكس وان كان الامر كذلك في نفس الامر وقرئ
تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى
درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا قرئ بالنصب عطفا
على يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر لبعد العهد وتخلل
الاستدراك او غير مزيدة على انه ليس لنبي ان يدعو العباد الى عبادته وينهاهم
عن عبادة الملائكة والنبيين وبالرفع على الاستيناف وهو الظاهر ويؤيده قراءة
وان يامركم أيأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل هذا ظاهر واذا كان هذا حكم الانبياء عليهم السلام كان الامم به اولى وقيل
معناه ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل
اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي
وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب
والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما شرطية ومفعول لآتيتكم وجواب القسم لتؤمنن وما بعده جواب لشرط محذوف
لدلالة جواب القسم عليه وقدم الايمان لانه الاصل في النصرة لانه فرعه ويجوز
ان يكون ما خبرية وقرئ لما بكسر اللام للتعليل على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي

ءاتاكم الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم او موصولة لان ثم لما آتيتكم من الكتاب والحكمة
ثم لمجيء رسول مصدق له وقرئ لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقل ثلث ميمات
لان النون ما لم تقلب ميما لم تدغم في الميم فحذفت احديها فصارت لما اي لمن اجل ما
آتيتكم لتؤمنن به قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر
اي يشد ويعقد وقرئ اصري بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر واما جمع اصار قالوا
أقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على
اقراركم وتشاهدكم شاهد وهذا استيناف معناه التوكيد والتحذير وقيل الخطاب للملائكة
فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون اي
المتمردون من الكفار أفغير دين الله يبغون الفاء عاطفة على الجملة اي فاولئك
هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما للانكار ويجوز
ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول
لتوجيه الانكار الى كون دين غير الله مطلوبا فان المقصود الاهم بالانكار هو المفعول
ويجوز ان يكون التقديم للتخصيص لا بمعنى ان التخصيص منكر فيلزم جواز طلب دين
باطل مع طلب دين الله بل للمبالغة في الانكار مع التشنيع والتوبيخ حيث لا يرضون
بطلب دين باطل الى دين الله بل يخصون الدين الباطل بالطلب وقرئ تبغون بالتاء
وترجعون بالياء لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الكفار وله اسلم
من في السموات والارض طوعا بالادلة او كرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق
الجبل فوق بني اسرائيل وانتصابهما على المصدرية او على الحال ومن قال او مختارين
كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على ان يمتنعوا عما قضي عليهم
فكانه ذهب الى مذهب الجبرية واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن
قل آمنا بالله وما انزل علينا الخطاب له ع لفظا وله ولامته معنى ولهذا قال في موضع
آخر قولوا آمنا الخ وجاء الكلام في آمنا وعلينا بلفظ الجمع امر الرسول ع بان يخبر
عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن وان كان منزلا عليه خاصة لكن نزوله عليه
لما كان لتبليغه اليهم صح نسبته اليهم ايضا وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد
ينسب اليهم ويجوز ان يكون مأمورا بان يتكلم على طريقة التواضع ارشادا له عليه السلام
الى ادب المحاورة وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب قدم المنزل عليه ع على المنزل

على الانبياء ع لانه المنزل له والمدار عليه والنزول باعتبار انه من فوق يعدى بعلى وباعتبار
انه ينتهي الى المرسل اليه يعدى بالى ولهذا قال في موضع آخر وما انزل الينا وما
انزل الى ابرهيم ووجه التخصيص ان الخطاب هنا للرسول ع والنزول من السماء كان
عليه والخطاب ثمة للمسلمين ولا نزول عليهم حقيقة بل انتهى التبليغ اليهم ولا يبعد المناقضة
بقوله بما انزل اليك ولو نزلنا اليك الكتاب وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا
لان النكتة الزائدة على اصل البلاغة الحاصلة بمطابقة الكلام بمقتضى المقام لا
يلزمها الاطراد ولهذا يتفاوت المكررات في القرآن بحيث يكون بعضها افصح
من بعض وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان
امرهما بالاضافة اليهما مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما والنبيون من ربهم وفي
موضع آخر وما اوتي النبيون لما تقدم هنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب او اكتفى به عن اعادة وما اوتي ولم يتقدم ثمة مثل هذا فلم يكن فيه ما يغني
عن التوكيد باعادته لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام غير اسلام الوجه لله اي التوحيد دينا
تمييزا فلن يقبل منه في الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران
مطلقا من غير تقييد للشياع ولا دلالة فيه على ان الايمان ليس غير الاسلام انما
دلالته على انه ليس دينا غير الاسلام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات هم اليهود آمنوا بالنبي ع حين عاينوا
ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وتحققوا منها ومن كتابهم انه حق ثم كفروا به وقيل
نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف استبعاد
لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له لما علم من عنادهم ومكابرتهم وامتناع قبولهم
اياه بغيا عليهم وتوبيخا لهم فلا دلالة فيه على عدم قبول توبة المرتد وشهدوا
عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد
كفروا والمراد من ايمانهم تصديقهم بالله تعالى وعلى تقدير ان يراد منه التصديق
بالرسول ع لا دلالة في الآية ايضا على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة
الايمان المصطلح عند اهل الشرع انما دلالتها على انه خارج عن الايمان بمعنى التصديق
بالله وبرسوله وليس هذا مما يقبل النزاع والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم

بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاء الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استحق عليهم لعنة الله ومن يعتد
بلعنته من خلقه وان لا ينهم منطوقه على عدم استقرار اللعن على غيرهم لا على غيرهم لا على عدم
جوازه في حق غيرهم فالمراد من الناس المؤمنون ويجوز ان يراد العموم لان الكافر ايضا
يلعن منكر الحق ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او في النار واضمارها
قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر رحمة الا الذين تابوا اي رجعوا عن الارتداد من بعد ذلك
الاشارة الى الكفر لتعظيمه وشدته وغاية بعده عن الصواب والعقل واصلحوا ما
افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه ان الذين
كفروا بعد ايمانهم كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد الايمان بموسى عليه السلام والتورية
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد عليه السلام والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ايمانهم قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق والسخرية بكل
ما نزلت من الآيات او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص
بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم فقد عرفت
ان التعريف في الذين كفروا بعد ايمانهم للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين والا
فكل كافر اذا تاب قبلت توبته وان ازداد كفرا الى كفر فان اريد بهم المرتدون الذين
قالوا او في واولئك هم الضالون للحال اي لن تقبل توبتهم في حال كونهم على ضلالهم الذي
هم ثابتون عليه لكون توبتهم نفاقا وان اريد بهم اليهود فكذلك وفيه وجهان
آخران احدهما ان يكون اخبارا بالغيب على طريقة قولهم لا يرى الضب بها ينجحر اي
لن يتوبوا فلا توبة ولا قبول واولئك هم الضالون اعني اي والموصوفون بما
ذكر اولئك هم الثابتون على الضلال المطلق والثاني ان يكون كناية عن موتهم على الكفر
اي يموتون وهم كافرون على ما صرح بعده والفائدة فيها التغليظ في شانهم وابراز
حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة التي اغلظ الاحوال واشدها ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار لفظ الذين ههنا عام فيمن كفر ومات على الكفر فكذلك دخلت
الفاء في قوله فلن يقبل من احدهم تضمينا للموصول معنى الشرط على ان الموت على الكفر
سبب لامتناع قبول الفدية وانما ترك الفاء في الكلام السابق لفقد السببية وابراد
المسند اليه موصولا لتحقيق الخبر ملء الارض ذهبا ملء الشيء ما يملأه وذهبا

بعض البدل
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف وفيه انه لا بد من تقدير وصف
ولا دلالة عليه والثاني انما يحسن اذا جعلت الجملة صفة او حالا ولا يخفى ضعف ولو افتدى به
اعتراض اي ولو فرض انه افتدى به على ان الافتداء ثمة محال وتقدير الكلام ان الذين ماتوا
على الكفر فلو افتدى احدهم بملء الارض ذهبا لم يقبل منه فلما كان الجزاء ام الافتاط و
البعث على الرجوع عن الكفر الى الايمان قبل الموت قدم وجعل جزاء الشرط الاول واورد
لن للتاكيد واخر الشرط فلزم الواو للربط وقيل محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا اولئك لهم عذاب اليم تتميم لمعنى الاقناط
لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن
مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر وهو ما يتقرب به الى الله من
اعمال الخير وقيل لن تنالوا بر الله اي ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون من اموالكم التي تحبونها
او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله
ومن هنا للتبعيض يدل عليه قراءة حتى تنفقوا بعض ما تحبون وفي قوله وما تنفقوا من شيء
لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام هو ما يطعم ماكولا كان او مشروبا والمراد تناولها كان حلا على
ذرية ابرهيم عليه السلام لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب عليه السلام كلحوم
الابل والبانها وكان تحريمه ذلك بالنذر ولذلك قيل على نفسه ثم اتبع حرمته على
اولاده على ما دل عليه الاستثناء المذكور فلا متمسك فيه لمن جوز للنبي ان يجتهد من
قبل ان تنزل التورية متعلق للمستثنى منه وفائدته بيان حل ما عدا لحوم الابل والبانها
في شريعة ابرهيم عليه السلام حتى ينبت تحريم بعض ما كان حلا لا لبني اسرائيل بنزول التورية
وبه يحصل الالزام لليهود ويتم الرد عليهم في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية
بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم عليه السلام ومن بعده
حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن
في دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابرهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها لا للمستثنى
بيانا لكون التحريم المذكور قبله اذ لا فائدة فيه اصلا قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين في زعمكم انه تحريم قديم امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان تحريم ما حرم

عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما زعموا روي انهم لم يجسروا علي اخراج التورية
وبهتوا وفي ذلك برهان قاطع علي صدق النبي عم وحجة بينة علي جواز النسخ فمن افترى
علي الله الكذب ابتدع علي الله تع بادعاء ذلك كان محرما علي بني اسرايل قبل انزال التورية
من بعد ذلك من بعد ما الزمهم بالبرهان القاطع فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين
لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الي البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت
ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون لما عرض بكذبهم لزمهم اتباع محمد عم والايمان
بالقرآن فعبر عن ذلك بقوله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل
ملة ابرهيم ولما نسب دينه وملته الي ابرهيم عم كان اكسر لنخوتهم واقرب الي قبولهم
كانه قال فاذا ظهر بالحجة البينة كذبكم فيما زعمتم وثبت صدق كتاب الله وظهر
بطلان دينكم الذي اضطركم الي تحريف كتاب الله والافترآء علي الله لتسوية
اغراضكم فاتبعوا الحق الذي هو ملة ابرهيم وهي ما عليه محمد ومن معه وانتصاب حنيفا
علي الحال وقد سبق تفسيره في سورة البقرة وما كان من المشركين اراد استمراره
النفي لا نفي الاستمرار قد لو كان معتبرا في الاعتبار وفيه تعريض بشرك اليهود
واشارة الي ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين ان اول بيت
وضع للناس اي جعله الله تع متعبدا لهم للذي ببكة للبيت الذي بمكة وهي لغة في
مكة كالنبيط والنميط وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او دقه
فانها تدق اعناق الجبابرة مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف
دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين سبب هدايتهم لانه
قبلتهم فيه آيات بينات حال اخرى مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات
وحده لغنا انه مقام آيات كثيرة يدل على هذا قراءة آية بينة ولا يخفى ما فيه من
التمحل لشانه كانت لظهور اعجازه وقوة دلالته علي قدرة الله تع ونبوة ابرهيم
بمنزلة آيات عظام كثيرة ويؤيد ذلك التعظيم البالغ تنكير آيات ووصفها بالبينات
وهو في التعظيم قوله تع ان ابرهيم كان امة ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية
كان الحرام آمنا في الجاهلية ومفزع كل خايف وملجا كل جان وقال ابن عمر لو وجدنا
قاتل ابينا في الحرام لم نقتله وقيل المراد الامن من العذاب يوم القيمة وفيه
ان مدار هذا الامن على الدخول فيه علي ما افصح عنه قوله عم من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة آمنا لا علي دخوله ولله علي الناس حج البيت الذي يكون من الالفاظ

الدالة

الدالة علي الالزام كلمة علي فانها علم فيه والحج كاخواته من المنقولات الشرعية وله فرايض وواجبات
وسنن وشرايط بعضها للوجوب وبعضها للاداء ومعناه اللغوي القصد علي جهة التعظيم
والمراد معناه الشرعي فاضافته الي البيت للملابسة فان طوافه احد ركنيه او احد
اركانه علي الاختلاف في الاحرام فانه ركن عند الشافعي وشرط عند ابي حنيفة ومن
قال في تفسيره قصد للزيارة علي الوجه المخصوص فقد زاد علي معناه اللغوي و
قصر علي معناه الشرعي وقري حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل
من الناس مخصص له وفيه ايراد المراد في صورتين مختلفتين علي وجه تشويق ووجدان
بعد شغف وطلب وتنكير سبيلا وتقديم اليه عليه اي سبيلا ما اي سبيل يتيسر
علي اي وجه يكون قريب وبعيد بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الي غيره وكل ما اتى الي
الشيء فهو سبيله وقد فسر رسول الله عم الاستطاعة بالزاد والراحلة وما فرع
عليه اللام استطاعة السبيل الي البيت المذكور في القرآن لا استطاعة الحج فانها
لابد فيها من صحة البدن ايضا فلا دلالة فيه علي احد القولين المذكورين في المسئلة الخلافية
المشهورة ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا
علي تارك الحج وتشديدا عليه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او
نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة علي وجوبه بصيغة الخبر وابرازه
في صورة الاسمية وايراده علي وجه يفيد انه حق واجب لله تع في رقاب الناس
وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كالايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية
ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في مثل هذا الموضع مما يدل علي
المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة علي الاستغناء
عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر
النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال علي الله تع دفعه
ههنا دقيقة انيقة وهي ان اللام في قوله ولله مظنة ان يكون في الحج نفع له تع دفعه ببيان
غناه عن العالمين روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلعم ارباب الملل
فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل
فنزل ومن كفر الاية قل يا اهل الكتاب تخصيص اهل الكتاب بالخطاب لان كفرهم افحش
واما الدلالة علي انهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما
فله تاثير فيها للتخصيص المذكور لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة

عن صدق محمد عم فيما اتى به من الاوامر والنواهي ومعنى الاستفهام في لم انكار لكفرهم وتعجب منه
مع وجود المانع وهو كون الحق شهيدا على اعمالهم **والله شهيد على ما تعملون** اي والحال ان الله
شهيد اي مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاسرار وهذه الحال
توجب الايمان به فما حملكم على الكفر باياته واظهار اسم الله تع والمقام مقام الاصدار
للتخويف والتربية للمهابة **قل يا اهل الكتاب** اعيد الخطاب لان الاول في الضالين
وهذا في المضلين فلا تكرار وكون كل واحد من الامرين مستقبحا في نفسه مستقلا
في استجلاب العذاب مما لا حاجة الى الاشعار به لعدم الخفاء فيه **لم تصدون**
معنى الاستفهام انكار لقصد الصد وطلب العوج في الطريق المستقيم مع كونهم علماء
شهداء بان ليس فيه عوج وان الصاد عنها ضال مضل والتوبيخ هنا اشد لمعنى المكابرة
فيه **عن سبيل الله** دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قدم للاهتمام على المفعول
الاول وهو قوله **من آمن** كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج
فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون
لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم فعلى الاول يكون التجوز في الصد
وعلى الثاني في آمن **تبغونها** في محل النصب بالحال **عوجا** مفعول تبغون والضمير منصوب
بنزع الخافض وتعدية الفعل اي فيها والعوج بكسر العين الميل والانحراف في المعاني
وبفتحها في الجثث اي تطلبون اعوجاجا وميلا عن الاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى
توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى عم لا تنسخ وبتغيير صفة رسول
الله صلعم ونحوهما **وانتم شهداء** عالمون انها سبيل الله لا يصد عنها الا ضال كما قالوا
عدول بين اهل دينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم لكونكم
احبارا **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد بالغ والختم بهذا يناسب المقام لان الكلام
في صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه وفيما تقدم في كفرهم
وهم يجهرون به فكان المناسب له الختم بقوله والله شهيد على ما تعملون **يا ايها الذين آمنوا**
خاطبهم الله بنفسه بعد توسيط الرسول عم في مخاطبة اهل الكتاب اظهارا لجلالة
قدرهم واشعارا بان لهم منزلة عند الله تع دون اهل الكتاب **ان تطيعوا فريقا من**
الذين اوتوا الكتاب نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس
بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكر
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع

القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم
رسول الله عم واصحابه رض وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله عم والتعبير عن شاس
ومن اعانه فيه بالفريق يناسب قصدهم ايقاع الفرقة بين جمع المؤمنين **يردوكم**
اي عن الهدى الى الضلالة على ما دل عليه قوله **من بعد ايمانكم كافرين** ورد يتعدى الى مفعولين
قال الشاعر فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا **وكيف تكفرون**
وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام الانكار والتعجب
من تطرق الكفر اليهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن
الكفر وانما اخر قوله وفيكم رسوله مع ان حقه التقدم لان التلاوة المذكورة هو
اخراجها عن حيز الوساطة الى منزلة الاستقلال في السببية كانه قيل والحال
ان آيات الله تع تتلى عليكم معجزة رادعة عن الكفر وفيكم الرسول واعظا زاجرا
لكم ناهيا عنه **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره
فقد هدي الى صراط مستقيم انما يورد قد في جواب الشرط عند مضيه معنى
والقصد هنا الى تحقيق الوقوع يعني فقد حصل له الهدى كانه قد حصل فهو يخبر
عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ان المعتصم بالله متوقع للهدى **يا ايها الذين آمنوا**
اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب
المحارم ويدخل فيه الاحتراز عن طاعة اهل الكتاب دخولا اوليا **ولا تموتن الا**
وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى الاسلام حتى الموت فالمنهي
كونهم على حال غير الاسلام عند موتهم لا موتهم هذا ما عندهم والذي عندي هو ان
النهي المذكور للتحذير عن الموت على حال سوى الاسلام والحذر عنه انما يكون
بالاحتراز عما يفضي اليه فيرجع الى الثبات على الاسلام في جميع الازمان على
ابلغ وجه وعلى هذا لا عدول عن الظاهر بخلاف ما قالوه **واعتصموا بحبل الله** يحتمل التمثيل
بان يمثل صورة حالهم في اعتصامهم ووثوقهم بالله تع وحمايته واتكالهم عليه
بصورة حال المتدلي من مكان مرتفع متمسكا بحبل وثيق يأمن انقطاعه والاستعارة
بان يستعير الحبل لعهده او كتابه ويجعل الاعتصام ترشيحا لها بما يناسب الحبل
جميعا اي اجمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به او اجتمعوا على التمسك بعهده

اليكم ان تؤمنوا به ولا تعبدوا الا اياه او بمكانه بقوله عم القرآن حبل الله المتين ولا تفرقوا
ولا تتفرقوا كما كنتم متفرقين في الجاهلية يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او لا تفعلوا
ما يوجب التفرق ويزيل الالفة من القول والعمل واما التفرق بالاختلاف في الدين
كاليهود والنصارى فهو مضمون قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا واذكروا
نعمة الله عليكم اراد نعمة الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل
اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف اوقع الالفة بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته بسبب تلك النعمة اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله
واصبح اصله دخل في الصباح ثم اطلق على الصيرورة اي وقت كان فنفيه باعتبار
اصله دلالة على خروجهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية قيل كان الاوس
والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة
وعشرين سنة حتى اطفاها الله تعالى بالاسلام والف بينهم برسول الله صلعم
وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين عليها بالكفر اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة
لصادفتم الفقر حفرة من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم
كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها ويجوز ان يكون
الضمير للشفا وتانيثه لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها واصله
شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ان تثبتوا على الهدى او تزدادوا
هدى ولتكن منكم امة من للتبيين بمعنى وكونوا امة كقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفايات فهو واجب على كل الامة بدليل انه لو ترك اثم الجميع وان سقط بفعل
البعض لحصول المقصود فلا بد من توجيه الخطاب الى الكل فمن قال من للتبعيض
ثم علل بما ذكرناه آنفا فقد اختار المذهب المردود وهو ان يكون الوجوب على البعض
من غير تعيين واما الاستدلال على انه لا يجب على الكل بعدم الوجوب على الجاهل
فمردود لانه اذا ترك بالكلية فذلك الجاهل ايضا اثم ولولا الوجوب عليه لما اثم
كمن وجب عليه الصلوة وهو محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل واما من اجاز
ان يكون من للتبعيض معللا بما تقدم ثم قال خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل
على انه واجب على الكل فقد خبط حيث خلط بين المذهبين ثم انه لم يدر ان الوجوب

على الكل معناه الطلب من الكل لا الخطاب للكل فان الخطاب بدون الطلب بمعزل عن الدلالة
على الوجوب يدعون الى الخير بمعنى الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فيتناول الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فقوله ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من قبيل
عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح
والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به وكذلك النهي عن
المنكر فانه يكون واجبا ان كان المنهي عنه محرما او مكروها كراهة تحريم ويكون مندوبا
ان كان المنهي عنه مكروها كراهة تنزيه ثم وهم ان جميع ما انكره الشرع حرام فقد
وهم والعاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه كما يجب عليه تركه يجب عليه انكاره
ونهي الغير عنه الا ان الكل على طريق الكفاية والانكار في قوله تع اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم مرجعه الى العبد ولا تكونوا كالذين تفرقوا اي بالعداوة واختلفوا
اي في الديانة وهم اليهود والنصارى وانما قال من بعد ما جاءهم البينات اي
الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه لان الاختلاف في موضع الاجتهاد
ليس بمنكر كيف وقد قال عم اختلاف امتي رحمة ولا اختصاص لواحد من الامرين
بالاصول والفروع فان في الاصول ايضا موضع الاجتهاد كما ان في الفروع
ما لا مساغ فيه له واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه
بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل وبياض الوجه
وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف فيه ويجوز ان يراد بالبياض
والسواد حقيقتهما فاما الذين اسودت وجوههم ابتدا بهم في مقام التفصيل
للاهتمام بالتحذير من حالهم ولمجاورة قوله وتسود وجوه وليكون الابتداء بالمؤ
والاختتام بحكمهم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب كفروا وكذبوا رسول الله
بعد ايمانهم به قبل بعثته وقيل هم المرتدون وقيل هم جميع اهل الكتاب لاعراضهم عما
اوجبه الاقرار وكفرهم بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم على ما افصح عنه قوله
الست بربكم قالوا بلى فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم
والجمع بين الصيغة الدالة على التجدد وزيادة الكون الدالة على الاستمرار للمطا
بين العمل والجزاء المذكور مفصلا في قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب والله اعلم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ففي نعمة من الثواب

المخلد جمع للمعنى الاول بين التخفيف بالقول والعذاب وهنا جعلهم مستقرين في الرحمة فهي ظرف لهم
واشار بها الى السابق عناية بهم وان العبد وان كثرت طاعته لا يدخل دار الثواب الا برحمة
الله واضافها الى نفسه دون العذاب تعظيما لجانب الثواب وهم فيها خالدون اخرجه
مخرج الاستئناف لبيان ان ذلك الاستقرار هو على سبيل الخلود لا زوال منه ولا انتقال
وهو تأكيد لقوله الذين وفيها تأكيد لقوله ففي رحمة الله ولم يذكر الخلود للكفار اكتفاء
بذكره في قرينه ولم يعكس اذ لا يفهم من دوام العدل دوام الفضل بخلاف العكس ثم انه لما
ذكر العذاب علله بفعلهم ولم يذكر هنا سبب كونهم في الرحمة اشعارا بان رحمته
لا يحتاج الى السبب تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك بالحق ملتبسة
بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مسيء
على ما يستحقه او ينقص من الثواب الموعود للمحسن وتقديم واسمه على فعل الارادة
بعد النفي يفيد ان الذي يظلم ويريد الظلم غيره لا هو اي هم الظالمون على انفسهم لا غيرهم ونفي ارادة
الظلم تأكيد بليغ في نفي الظلم اي انتفى ارادة الظلم عنه فضلا عن الظلم وتنكير ظلما وتعميم
للعالمين معناه لا يريد شيئا من الظلم احقر ما يكون لاحد من العالمين كما بينا وكان
ومن قال في تعليل ما ذكر اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحجر عليه شيء فيظلم بنقصه و
لا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق لم يرد انه على تقدير ان يكون
الظلم منه مستحيلا لا يناسب نفي ارادته فضلا عن المبالغة فيه اذ ليس من شانها
التعلق بما ليس بمقدور له بل الظاهر منه انه مقدور له الا انه لا يريده لانه لا يليق
بشانه والتعليل المذكور قاصر لانا نعلم قطعا ان النقص عن الثواب الموعود وبعض
الاعمال من قبيل الظلم كنقص حق الاجير وهو من جملة المحتملات والله تعالى قادر له الا انه
لا يفعله ولله ما في السموات وما في الارض استئناف في معرض التعليل لما تقدم كانه يقول
ارادة الظلم امارة الحاجة والرغبة الى ما ينقصه بالظلم والله تعالى منزه عنهما لانه مالك ملك
السموات والارض والى الله خاصة ترجع الامور فالملك في دار الآخرة ايضا له تعالى والعدول
عن الضمير الى الاسم الظاهر للاشعار بان ما ذكر من شان الالوهية ولوازمها وانما قال
ترجع لانها قد زالت بهلاك ما سواه كنتم خير امة دل على خيريتهم ولم يدل على انهم لم
يكونوا خيرا فصاروا خيرا او انقطع ذلك عنهم لان كان الناقصة لا دلالة فيها على عدم
سابق ولا على عدم الدوام فلذلك تستعمل فيما هو حادث مثل كان زيد راكبا وفيما هو
دائم مثل كان الله غفورا رحيما ومن قال كانه قيل وجدتم خير امة فكانه زعم انها تامة

وان خير امة حال ويرده عدم من قبيل وكان الله غفورا رحيما اخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر استئناف يبين به كونهم خير امة وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن
به لان الايمان به تعالى انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره
وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا
بالله وتصديقا به واظهارا لدينه والتعريف في الموضعين للعهد والمعهود المعروف
الشرعي والمنكر الشرعي ومن وهم انه للاستغراق فقد وهم واستدلاله به على حجية الاجماع
ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان
خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون اراد
الكافرون والتعبير عنهم بالفاسقين للتنبيه على ان المؤمنين المذكورين عادلون لا حظ لهم
من الفسق وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى
ضررا يسيرا كالطعن والتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر
ثم لا ينصرون لا يكون لهم نصر من احد في اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وانما عدل به
عن حكم الجزاء والعطف عليه الى الاخبار لئلا يكون انتفاء النصر مشروطا بالشرط مقيدا بالمقا
تلة وتولية الادبار بل مطلقا اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون بوجه ما قاتلوا او لم يقاتلوا ويبقون
في الخذلان والذل والعجز لا ينهضون بجناح ولا يرجع اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بني قريظة
والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر وثم للاستبعاد للتراخي في الرتبة فان الاخبار بالخذلان
المطلق وانتفاء النصر بالكلية اعظم من الاخبار بالانهزام وعدم المقاتلة ضربت عليهم
الذلة فقد سبق تفسيره في سورة البقرة اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
في محل النصب على الحال اي الا متمسكين او معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين والظاهر
من تكرار الحبل تعدد الذمتين معنى فالمناسب ان يحمل الاولى على الذي نص الله تعالى
عليه في قوله حتى يعطوا الجزية والثانية على الذي يراد الامام من اعطاء الامان في
مقابلة اخذ مال او لمصلحة اخرى والاستثناء من اعم الاحوال اي لا عز لهم الا بهذا
العز وهو على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم لان التمسك باحدى الذمتين
غاية الذل ومن فسر احدى الذمتين بدين الاسلام والاخرى بسبيل المؤمنين اجراء
للاستثناء على ظاهره يرد عليه ان سبيل المؤمنين هو دين الاسلام بعينه فلا
يناسبه تكرير ذكر الحبل وباؤوا بغضب من الله ورجعوا مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة

لم يقل ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قال في سورة البقرة لانه اراد تفصيل حال ذلتهم بالمبالغة فيها
بخلاف حال مسكنتهم فانها باختيار منهم في الغالب فان الاغنياء كثير في اليهود الا انهم لا يظهرون
غناهم **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة **بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق** قد تقدم تفسيره في سورة البقرة **ذلك** اي الكفر
والقتل **بما عصوا وكانوا يعتدون** بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي
الى الكفر وقيل كرر الاشارة والمشار اليه واحد اشارة الى ان كل واحد من الامرين
مستقل بايجاب الامور المذكورة من الذلة والمسكنة والبوء بغضب عظيم من الله لو لم يكن
الآخر فكيف والامران متعاضدان واريد بالامرين الكفر ويندرج فيه قتل الانبياء ع م
والاستمرار على عدم الامتثال بالتكاليف وبني هذا على انهم مخاطبون بالفروع ايضا
ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب **من اهل الكتاب امة** كلام مستأنف
لبيان قوله ليسوا سواء كقوله تأمرون بالمعروف لبيان كنتم خير امة **قائمة** مستقيمة
عادلة من قولهم اقمت العود فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم **يتلون آيات الله**
صفة لامة وكذا يؤمنون **آناء الليل وهم يسجدون** يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة
في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح ويجوز ان يكون قائمة احد تفاصيله
اي قائمة في حال تلاوة الآيات بالليل وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب
لا يصلونها على ما ورد في حديث ابن مسعود رض وقوله **يؤمنون بالله واليوم الآخر** في
عداد خصائص المؤمنين تعريض آخر بان ايمان اليهود بالامرين ليس بشيء لاشراكهم بالله
عزيرا ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته وكذا **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** تعريض
بانهم مداهنون **ويسارعون في الخيرات** تعريض بانهم متباطئون عنها لقلة رغبتهم فيها
اذ كل من رغب في شيء يسارع في توليه والقيام به والمسارعة المبادرة والخيرات عامة
يتناول هذه الاوصاف السابقة وايرادها على صيغة المضارع للدلالة على التجدد
والتكرر **واولئك** اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف **من الصالحين** جمع صالح
من انتفاء الفساد عنه بالكلية وهو نهاية كمال الوصف بالمحاسن وهو مما مدح
الله به انبياءه ع م لما عدد الخصائص التي يستحق بها الثواب بالغ في تعظيم
جزائها للترغيب فيها بقوله **وما تفعلوا من خير** حيث اتى بالتنكير للتقليل اي وان كان
قليلا وجعلها نعمة فاستعمل في مقابلتها انتفاء الكفران ليكون من الاستعارة بالكناية

ويستلزم كون الله تعالى شاكرا **فلن يكفروه** فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة تضمن الكفران معنى الحرمان
فعدي الى مفعولين وفي هذا التضمين زيادة تنزيه ان ينسب اليه تعالى معنى الكفران لان تقديره
لن يحرموه مكفورين **والله عليم بالمتقين** وعد وبشارة لهم بالفوز والثواب الجزيل واشعار
بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا**
من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
دون فساق المؤمنين **مثل ما ينفقون** ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون
رياء وخوفا **في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر** برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كما
في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كما في قولك برد بارد **اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم** بارتكاب المعاصي **فاهلكته** عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط
اشد اراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث من يستحق العقوبة ضربته صر فاستاصله
ولم يبق لهم فيها منفعة ما وهو من التشبيه المركب ولا يلزم فيه ان يكون ما يلي الاداة هو المشبه
به الا ان تشبيه المثل بالمثل يستدعي ان يراعى فيما اضيف اليه المثل في الجانبين المناسبة
عليها وزر في مثل الذين كفروا والمثل الذي ينعق ولهذا قيل تقدير الكلام كمثل مهلك ريح
وهو الحرث **وما ظلمهم الله** بعدم قبول نفقاتهم **ولكن انفسهم يظلمون** بحيث بناتهم او ما
ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ
ولكن بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز اعمالها في ضمير الشان المحذوف على
تقدير ولكنه انفسهم يظلمون لان ذلك لا يجوز الا في الشعر **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** وليجة
وهو الذي يطلعه على باطنه ويثق به شبهه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في
قوله ع م الانصار شعاري والناس دثاري **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق
بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم **لا يألونكم خبالا** لا الخبال
الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى باللام ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا
الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص **ودوا ما عنتم** تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر
والمشقة وما مصدرية **قد بدت البغضاء من افواههم** لانهم لامتلائهم بالبغض لا يتمالكون ان
يكتموا ولا ينفلت من افواههم ما يفهم به بغضهم وعداوتهم مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم
عليها وسعيهم في الاخفاء وذكر الافواه دون الالسنة اشعارا بان ما لفظوا به ملء
افواههم كما يقال قال كلمة تملا الفم اذا تشدق بها **وما تخفي صدورهم اكبر** مما بدا وفي
نسبة البدو الى البغضاء والاخفاء الى صدورهم اشعارا بانهم مطبوعون على النفاق

قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
ان كنتم تعقلون ما بينت لكم والجمل الاربع مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول
صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ها تنبيه على خطائهم واولاء تحقير لهم وتعيير
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله يحبونهم ولا يحبونكم بيان
لخطائهم في موالاة من يبغضهم وهو خبر ثان او خبر اولاء والجملة خبر انتم او صلة او حال
والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون
الجملة خبرا والواو في وتؤمنون بالكتاب كله واو الحال تقديره وانتم تؤمنون والعامل
لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله او بجميع الكتب وفيه توبيخ
شديد اي لا يحبونكم مع كونكم تؤمنون بكتابهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم فهم في
باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ من اجل تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل
موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته والمراد به زيادة ما يغيظهم من قوة
الاسلام وعز اهله المستلزم لذلهم وتبارهم فهو من كناية بالواسطة عبر بدعاء
موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم الى حد الهلاك وبه عن
ملزومه الذي هو قوة الاسلام وعز اهله وذلك لان مجرد الموت بالغيظ وازدياده
ليس مما يحسن ان يطلب ويدعى ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان يكون معنى الامر بالقول
طب نفسك وكن مستبشرا بان الله تعالى يعز الاسلام ويذل الكفر بحيث يزداد غيظ
الكفار الى حد الهلاك على ما سبق من طريق الكناية واصل الكلام استعارة تمثيلية شبه
طيب النفس واستبشاره بذلك بتحديثه نفسه واعلامها بذلك والله عليم بذات الصدور
الاسرار التي لا تنكشف اصلا كنى باللزوم للصدور عن عدم الظهور البتة والظاهر انه
تذييل لمجموع ما سبق من قوله ها انتم الى قوله بغيظكم فهو وعيد على اضمار سوئهم بعد النهي
وتعيير لاطلاع الله تعالى على بواطنهم واطلاعه رسوله عليه السلام عليها وتحذير لهم ايضا
كي يرجعوا عن نفاقهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها التنكير
في الحسنة للتحقير وفي السيئة للتعظيم والمس مبني عن ادنى مراتب الاصابة فالمعنى
ان الحسنة اي قدر كان ولو مسا ما يسوءهم واما الفرح بالسوء فلا يكون الا بالوصول
التام بحيث يعتد به لان مقام مبالغة الحسد والغيظ يقتضي ذلك فمن وهم ان المس
مستعار للاصابة فكان المعنى واصدا فقد وهم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا موالاتهم

لا يضركم

لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه ~~وان تصبروا~~ من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه
واذ غدوت اي اذكر اذ غدوت من اهلك اذ خرجت غدوة من وطنك منزل عائشة
الى احد تبوئ المؤمنين تسوي لهم وتهيئ ويرشد اليه القراءة باللام مقاعد للقتال
مواقف واماكن له والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وفيه وعيد للمنافقين اذ همت
بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا
جناحي العسكر ان تفشلا اي قصدت ان تفعلا فعلا من فشل وهو الانصراف
وترك القتال وهو للخطرة ههنا لا للعزم لقوله والله وليهما اي عاصمهما من اتباع
تلك الخطرة وكان ذلك عند تخذل ابن ابي في ثلثمائة من قومه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون تقديم على الله للتخصيص اي فلا يتوكل المؤمنون الا على الله لينصرهم كما نصرهم
يوم بدر وانما جمع بين الحرفين في عطف الجملة لتقدم العلة للاختصار فالواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان كونه تعالى وليهم سبب للتوكل عليه خاصة والعدول
عن الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم المناسب لمقام الامر بتخصيص التوكل عليه ولقد
نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افاده التوكل على الله تعالى وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما اورد اذلة على صيغة جمع قلة ليدل على انهم
مع ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال لقلة المركوب والسلاح والمال
فاتقوا الله بالثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقويكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم
الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لكونه سببا له اذ تقول
للمؤمنين ظرف لنصركم او بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط
الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم ينزل
الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة
آلاف من الملائكة وتأكيد النفي بلن اشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم
وشوكته كالآيسين من النصر قيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف ثم صاروا ثلثة ثم
صاروا خمسة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقرئ منزلين بكسر الزاء
اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد ان اي بلى يكفيكم ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من
ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعيرت للسرعة في الامر

فغلبت ثم سميت به الحالة التي لا لبث فيها ولا تعريج لصاحبها على شيء والمعنى ان ياتوكم في الحال **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة** في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تاخير **مسومين** معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرئ مسومين بكسر الواو **وما جعله الله** وما جعل الوعد والامداد ومن قال وما جعل الامداد فكانه غفل عن ان البشارة قد حصل بالوعد بالامداد **الا بشرى لكم** الا بشارة لكم بالنصر هذا غاية للوعد وقوله **ولتطمئن قلوبكم به** اي ولتسكن اليه من الخوف غاية الامداد والتنبيه على انهما غايتان لامرين مختلفين غير الاسلوب وفصل بينهما بحرف التعليل هذا ما بحسب البلاغة والذي بحسب النحو هو انه لما وجدت شروط المفعول من احد من اتحاد الزمان والفاعل في الاول دون الثاني دخل عليه اللام ولم يدخل على الاول **وما النصر الا من عند الله** لا من العدد والعدد وفيه تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مددهم الآن عادته جرت بان ينصر باعداد الاسباب وامداد الاصحاب ولو بتكثير السواد على ما اشار اليه بقوله **العزيز** الذي لا يغالب في اقضيته **الحكيم** الذي يفعل على مقتضى الحكمة بامداد واعداد وفي التنبيه المذكور ادمج الاشارة الى ان الملائكة ما نزلوا للقتال بل لمجرد تكثير السواد ولذلك احتيج الى الكثرة والا فملك واحد كاف في اهلاك الكل **ليقطع طرفا من الذين كفروا** متعلق بقوله وما النصر الا من عند الله اي ليهلك طائفة منهم ويذل بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديد قريش ورؤسائهم **او يكبتهم** يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة **فينقلبوا خائبين** غير ظافرين بمطلوبهم **ليس لك من الامر شيء** اعتراض **او يتوب عليهم او يعذبهم** عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم روي ان عتبة ابن ابي وقاص شجه عم يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت فانهم **فانهم ظالمون** قد استحقوا التعذيب بظلمهم **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا وملكا فله الامر كله **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** صريح في نفي وجوب شيء من المغفرة والتعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له وتقديم المغفرة للاشارة الى سبق الرحمة على الغضب **والله غفور رحيم**

لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم قيل انه عليه السلام ان يدعو عليهم يوم احد فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن فنزلت **يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة** لا تزيدوا زيادات مكررة والتخصيص بحسب الواقع وان يدل له من نكتة ولعلها تشبه ما قصد بتخصيص الخطاب بالمؤمنين مع عدم اختصاص النهي بهم من التنبيه على ان المؤمن بارتكاب الكبيرة لا يخرج عن الايمان **واتقوا الله** فيما نهيتم عنه **لعلكم تفلحون** راجين الفلاح **واتقوا النار التي اعدت للكافرين** تخصيص بعد التعميم فان اتقاء الله تعالى ينتظم اتقاء سخطه في الدارين ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة في التهديد على الربوا حيث اوجل في فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق امكان الفلاح ورجائه بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه وتقوه مع ايمانهم ثم اوعد عليهم بالنار التي اعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين وما اشد من تغليظ عليه ثم امد التغليظ بالامر بطاعة الله تعالى ورسوله عم تعريضا بان آكل الربوا منهمك في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين لرحمته بطاعة الله تعالى ورسوله عم اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فانظر كيف درج التغليظ في التهديد حتى الحقه بالكفار في الجزاء والعقاب واما قيل فيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة فمبناه على ان يكون المراد نار جهنم مطلقا وذلك غير مسلم وقد نبهت فيما تقدم على ان المناسب للمقام حملها على نار مخصوصة بالكفار **واطيعوا الله** في نهيه عن الربوا مجملا **واطيعوا الرسول** في بيانه ذلك المجمل **لعلكم ترحمون** اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له **وسارعوا** بادروا واقبلوا **الى مغفرة من ربكم** الى ما يستحق به المغفرة من الاسلام والتوبة والاخلاص ترك الملزوم واقيم اللازم مقامه للتشويق والتحريض على ما يوجبه وليكون سرعة الاقبال عليه بالنشاط مع خفته على النفس **وجنة عرضها السموات والارض** اي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في موضع آخر عرضها كعرض السماء والارض قال ابن عباس والحسن ان السموات والارض اذا ضم بعضها الى بعض فعرض الجنة مثلها فاما الطول فاكبر من ذلك لان طول كل شيء يزيد على عرضه وقيل العرض هو السعة قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل اي واسعة **اعدت للمتقين** هيئت لهم صفة اخرى للجنة وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة والا انها خارجة عن هذا العالم فلا دلالة عليه فيه اذ يجوز ان يكون فوق السموات دون

العرش وقد جاء في الحديث سقف الجنة عرش الرحمن الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب
او مرفوع في السراء والضراء اي في حال الرخاء واليسر وحال الضيق والعسر يهملون انفاق
ما تيسر لهم او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما من
انفاق ما قدروا عليه من القليل والكثير وقدم الانفاق على سائر خصال المتقين
لكونه اشق على النفس وادل على الاخلاص والتوكل ولانه كان اعظم اعمال البر في ذلك
الوقت للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين المتجرعين
يقال كظم البعير جرته اذا ردها الى جوفه الغيظ وهو توقد حرارة القلب من
الغضب يقال تغيظت الهاجرة اذا اشتد حرها ويجوز ان يكون من كظمت القربة اذا شددتها
على ملئها والاول ابلغ ومن قال في تفسيره الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه
لم يصب في اعتبار القيد الاخير لانه غير لازم في كظم الغيظ على ما يفهم من قوله عم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا والعافين المتجاوزين عن الناس اي عن
الجاني كائنا من كان والله يحب المحسنين يحتمل الجنس فيدخل المذكورون تحته والعهد فيكون
الاشارة اليهم فيكون تسجيلا عليهم بالاحسان وبشارة لهم بكرامة محبة الله تع اياهم والذين
اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان
وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما لا يتعدى
ذكروا الله تذكروا حقه الموجب للخشية والحيا عنه او تذكروا عقابه او وعيده او نهيه فاستغفروا
لذنوبهم فتابوا عنها نادمين ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراض بين المعطوفين تصويبا
للتائبين المستغفرين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته تع بسعة الرحمة والمغفرة
وتحريضا لهم على التوبة وبعثا على الرجاء وردعا عن الياس ومعنى الاستفهام تقرير انه تع
وحده مخصوص بموجبات المغفرة ومقتضيها من الفضل والكرم والعفو والرحمة الزائدة ولم يصروا
على ما فعلوا ولم يقيموا على افعالهم السيئة غير مستغفرين اي تداركوا بالاستغفار وكلما عادوا
الى الذنب عن النبي عم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون
حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب لهما معا اي ليسوا مصرين على الذنوب وهم يعلمون
كونها منهيا عنها لانه قد يعذر من لا يعلم قبحها وكونها معاصي اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة
لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ومن ادعى اللحوق وانصف وتجنب
عن التعسف والتعصب انصف علم ان ليس في هذه الآيات سوى ان الجنة اعدت

رد

رد على الكشاف

للمتقين والتائبين او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة اما مع سكوت عن حكم المصرين
او دلالة ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع في ان الجنة ليست معدة لهم ولا جزاء لهم لكن
من اين البيان القاطع انهم لا يدخلون البتة وانه لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان على
ان الكلام وارد لترهيب اكلة الربوا اولا وترغيبهم في الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد بعدم
الاصرار ليلائم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة وهو ان لا يظهر فائدة اخرى وتنكير
جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة
في الآية المتقدمة وكفاك فرقا بين القبيلتين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون
لمحبة الله تع وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل
آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت
على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر
لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
يرجع الى وقعة احد وما نابهم فيها فقال قد خلت من قبلكم سنن اي امم المكذبين من الوقائع
كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ويجوز ان يكون اعتراضا للتحريض
على الايمان والتصديق بما نعتهم اي مضت على هذا المنهاج سنن من الانبياء السابقين
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين عاقبة تكذيبهم حتى تعتبروا بما ترون من آثار عذابهم
فتنزجروا عن التكذيب وتصدقوا والفاء لتضمن الكلام معنى الشرط اي ان شككتم فسيروا
هذا بيان للناس اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي ايضاح لسوء عاقبة
ما هم عليه من التكذيب وهدى وزيادة تثبيت وموعظة للمتقين للذين اتقوا من
المؤمنين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية
للرسول عم والمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم اي لا يورثكم ذلك وهنا وجبنا
عن الجهاد وحزنا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم
لله تع ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر وقتليكم في الجنة وقتليهم
في النار او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالعلو والغلبة في العاقبة ان كنتم
مؤمنين متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم فان صحة الايمان توجب الثقة بالله تع وقوة
القلب وصحة العزيمة والتوكل عليه او حذف جوابه لدلالة النهي عليه تقديره ان كنتم مؤمنين فلا
تهنوا او بالاعلون اي انتم الغالبون ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به والله اعلم

يض

ان يمسسكم قرح قرئ بالضم والفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالضم للجراح وبالفتح الالم وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم فقد مس القوم قرح اي ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بذلك فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلاه المسّين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عم وقوله مثله لا ينافي المعنى الاول لقوله وانتم الاعلون لان الاصابة ينتظم الاسر والمماثلة في مس الجرح وما يترتب عليه من القتل فقط وتلك الايام تلك اشارة الى مبهم فسر بالايام وهي الوقايع العظام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديلها لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر اي فوافق علينا ووافقة لنا ووقت نساء ووقت نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله فالواو العاطفة للايذان بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلمه وفيه تسلية لهم عما جرى عليهم وتبصر بان العبد ربما يسوءه بشيء ويجري عليه من المحاب ولا يدري انه خير له او الفعل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه تع ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه بطريق البرهان ويتخذ منكم شهداء وليكرم قوما منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون اعتراض بين التعليلات للتسجيل على من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله تع المخصصين من الذنوب بالظلم والتنبيه على ان ظلمهم اوجب ان يبغضهم الله تع والتعريض بانه يحبهم لاجل تلك الصفات وليمحص الله الذين آمنوا المحص التطهير والتصفية والتخليص وصيغة التفعيل للمبالغة اي وليطهركم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين يهلكهم ان كانت عليهم والمحق افناء الشيء حالا بعد حال كمحق الهلال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو للحال بتقدير المبتدا ولما كلمة في نفي الماضي الا ان فيه معنى التوقع في المستقبل فدل على نفي الجهاد في الماضي مع توقعه في المستقبل لان معنى ولما يعلم الله ولما تجاهدوا لان وقوع الشيء يستلزم كونه معلوما لله تع ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم فنزل نفي العلم

منزلة في الجهاد للتاكيد والمبالغة لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وقيل اشعار بالاشياء على ما هي عليه ضروري وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم على ارادة التاكيد بالنون الخفيفة اي ولما يعلمن فحذفت ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا تجمعوا بين الجهاد والصبر يريد وجوب الجمع بينهما وقرئ بالجزم على العطف وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي لقاء العدو فانه من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا او تمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلعم شهدا ليكون لهم يوم كيوم بدر او تمنوا الشهادة فيه لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه فقد رايتموه حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وانتم تنظرون معاينين له مشاهدين اياه على غفلة واشتغال امر سواه ففيه تاكيد وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب والحاحهم على رسول الله صلعم في الخروج ثم قلة صبرهم عليه وعدم ثباتهم له وانهزامهم عنه عند مشاهدته او على تمنيهم الشهادة ثم توليهم مدبرين ومن وهم ان في تمني الشهادة غلبة الكفار فقد وهم فانه يقصد الى نيل كرامة الشهادة ولا يخطر بباله غلبة الكفار وما محمد الا رسول قصر الموصوف على الصفة يستلزم نفي ساير الصفات التي فوق الرسالة المقتضي لتبدله فيمضي كما مضت الرسل من قبله وما كان مضيهم سببا لانقلاب اتباعهم عما كانوا عليه فسبيلكم ان تتمسكوا بدينه وطريقته في الجهاد وغيره كما تمسك اتباع الرسل بعدهم بما كانوا عليه فان المقصود من الرسالة التبليغ لا البقاء بين الامة وقد بلغ ثم عنفهم ووبخهم على ما كان منهم بقوله افان مات اتى بكلمة ان وقد علم انه يكون تنزيلا للسامع منزلة المتردد لاستعظامه وذكر القتل بقوله او قتل انقلبتم على اعقابكم فحوى الكلام تفريع الانكار على ما تقدم اي قد علمتم مضي الرسل وتمسك اممهم بعدهم باديانهم فكيف صح انقلابكم بمضيه بالموت او القتل الا انه قدم ما حقه التاخير لاقتضاء اداة الاستفهام الصدارة في الكلام لا انكار التفريع على ما تقدم لان ذلك التفريع بمعزل عن مذهب الاوهام فرده لا يناسب المقام كما لا يخفى على ذوي الافهام ومن ينقلب على عقبيه قد سبق بيانه في سورة البقرة فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه رض وما كان لنفس اي وما صح لها ان تموت الا باذن الله لملك الموت في قبض روحه لما كان السابق الى الوهم والمتبادر الى الفهم من اسناد الموت

المتيقن طبيعة مقتضى

اي الميت في قوله افان مات بهوان يكون الموت الواقع بلا سبب ظاهر من المرض والقتل
دفعه ببيان ان الموت مطلقا لا يكون الا بقبض الروح وهو باذن الله تعالى وليس فيه تحريض
وتشجيع على القتال بناء على ان الاجل المقدر لا يتاخر بالحذر كيف وهو خلاف المامور
في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما الوعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل فلا
يفهم منه اصلا كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا
له اجل معين ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وحذف المفعول الثاني في الموضعين لابهام الجزاء تعظيما اي
جزاء لا يوصف كنهه وكاين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين
اثبت في الخط على غير قياس وقرئ كائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة فصار
كيائن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من
نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير الربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على
القياس والكسر والضم من تغييرات النسب وقرئ قتل والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه
ربيون حال عنه اي قاتل كائنا معه ربيون وهو الاول لانه قرئ بالتشديد فما وهنوا فما
افتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم في سبيل الله من الشدة وغلبة العدو وقتل الاخوة
او قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده لقوة اليقين والثبات في الدين وما استكانوا وما خضعوا
للعدو قيل استكان افتعل من سكن والالف للاشباع لان معناه خضع وتذلل والخاضع
يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده وقيل استفعل من كان التامة كان الخاضع يطلب من نفسه
ان يكون ويثبت على ما يريد به صاحبه والاول اقوى من حيث المعنى ولكن لا يساعده وجه
الاشتقاق والتصريف والثاني اصح لفظا واضعف من حيث المعنى وهذا تعريض بما اصابهم
عند الارجاف بقتله من الوهن والضعف عن الجهاد والاستكانة للمشركين حتى هموا
ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين
فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا قراءة العامة قولهم بالنصب وانما جعلوه
خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ربنا اغفر لنا
ذنوبنا واسرافنا في امرنا الاسراف مجاوزة الحد وذكره بعد ذكر الذنوب للمبالغة
في الاعتراف بالذنوب وسوء الظن بانفسهم وثبت اقدامنا على جادة الجهاد وانصرنا على
القوم الكافرين وهو مدح لهم انهم مع حسن العمل استغفروا من الذنوب والخلل اي وما كان
قولهم الا هذا القول اي الاستغفار عن الذنوب والاسراف واضافتهما الى انفسهم ف

انما يكون

طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو معتقدين ان الخذلان وتزلزل القدم
لذنوبهم تقديم الاستغفار منها هضماً لانفسهم واستقصاراً مع كونهم ربانيين ليكون
الدعاء مع الخضوع وزكاء النفس فيقترن بالاجابة كما جاء بعده فآتاهم الله بسبب الاستغفار
واللجاء الى الله في ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الآخرة
من الجنة وما فيها من النعيم وخص ثوابها بالحسن اشعاراً بفضله وانه المعتد به عنده تعالى
والله يحب المحسنين اي هم محسنون والله يحبهم ويحسن ثوابهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين عند الارجاف ارجعوا
الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبياً لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه
وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه
يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم دون غيره فلا تميلون الى ولاية غيره ونصرته
وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فهو احق ان يستعان به
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد بيان قوله وهو خير الناصرين والرعب الخوف الذي
يملأ القلب يقول وان نالكم للحال بعض الشدة بعصيانكم سنلقي في قلوبهم الرعب فيكون
العاقبة لكم باياكم وقد حقق هذا الوعد فالقى في قلوب ابي سفيان واصحابه الرعب
فلم يجيئوا في بدر الصغرى بعد ان وعدوا ذلك وقيل يريد به ما قذف في قلوبهم من الخوف
يوم احد حتى تركوا القتال واتوا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة ولا يساعده
عبارة سنلقي بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به باشراكهم سلطانا حجة يعني
على معنى نفي الحجة والانزال جميعاً كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر وذكر الانزال لان شان الحجة
الالهية ان تنزل من السماء فعبر بكم باتهم واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله
والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار اي مرجعهم جهنم في الآخرة وبئس مثوى الظالمين اي
مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده
اياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى كما مر في قوله ان تصبروا وتتقوا الى آخره وكان كذلك حتى
خالف الرماة اذ تحسونهم تقتلونهم من احسه اذا ابطل حسه باذنه بتيسيره حتى اذا
فشلتم الخطاب للكل والمراد بعضهم على طريقة العرب في نسبة ما يقع من البعض الى الجميع
على سبيل التجوز الفشل الجبن والضعف وحتى حرف جر بمعنى الى داخل على اسم هو اذا وقد
عرفت ان يعني صدق الوعد النصر والاظفار فلا يرد انه لا يصلح غاية لان وعده تعالى لا
ينقلب كذبا وانما قدم ذكره وهو مؤخر وجودا اعني التنازع والعصيان للدلالة على ان الوعد

لهيئة بتنازعهم وعصيانهم ما لم يجبنوا فالغاية في الحقيقة جبنهم وهذا يرجح الوجه المذكور على ما قيل
ان اذا لم يجرد عن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه ثم صرفكم اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر
يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون في اول الوهلة فقال بعضهم فما موقفنا ههنا الغنيمة
وقال آخرون لا نخالف امر الرسول عم فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون
للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من الغنيمة وفيه تنبيه على عظم معصيتهم
وتشنيع لهم حيث آثروا الغنيمة على الجهاد ومن زاد على ما ذكر الظفر وانهزام العدو فقد
فوت النكتة منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم
التاركون محافظة على امر الرسول عم ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال
ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما فرط
منكم من عصيان امر رسول الله عم لما علم من ندمكم عليه والله ذو فضل على المؤمنين في جميع الا
حوال
وتارة يتفضل عليهم بالنصر وادالة على عدوهم لتقوية الدين وتارة يتفضل بالابتلاء
وادالة العدو عليهم لظهور الصفات الكمالية الكائنة منهم ونيل درجات الشهادة وتارة
يتفضل بالعفو وتمحيصهم من الذنوب وكلها رحمة منه عليهم وفضل بحسب اقتضاء احوالهم
ذلك اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الابعاد في الذهاب
في الارض وقال صاحب الديوان الاصعاد في الارض والتصعيد في الجبل والصعود في السلم
وقرئ تصعدون وقرئ اذ تصعدون يعني في الوادي ويحتمل انهم ذهبوا في الوادي ثم صعد بعضهم
الى الجبل ملتجئا به ولا تلوون على احد ولا يلتفتون على احد من الاحاد من قولك لوى جيده
اليه اذا التفت اليه وهو اخبار عن غاية خوفهم من العدو والرسول يدعوكم وكان يقول
الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام
بالقتل والجرح وغلبة المشركين والارجاف بقتل الرسول عم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه
رسول الله عم بعصيانكم له والثواب الجزاء كيف ما كان والاثابة الاعطاء قال عم الواهب احق
بعطائه ما لم يثب منها الا ان الثواب اذا اطلق يراد به الجزاء في الخير وعلى هذا يكون
فاثابكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على تجرع
الغموم وتعتادوا بالصبر واحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد ما فاتكم من الفوائد
ولا ما اصابكم من المكاره وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاتاكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما

فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وما قصدتم بها وهذا ترغيب في الطاعة
وترهيب عن المعصية ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال
منه او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ
امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن اي انزل الله عليكم الامن وازال الغم والخوف حتى نعستم
يغشى طائفة منكم اي النعاس عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان
السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وقرئ تغشى بالتاء ردا على
الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة قد اهمتهم انفسهم وهم المنافقون يظنون بالله او قعتهم
انفسهم في الهم والحزن لعدم اليقين او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها لا هم الدين
ولا هم رسول الله صلعم والحصر مستفاد من المقام غير الحق صفة اخرى لطائفة
او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وظن الجاهلية نصب على المصدر اي يظنون بالله
غير الحق الذي يجوز ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
واهلها وفي الابدال مبالغة في كشف خطاء الظن واشعار بان ظن الجاهلية علم في
البطلان يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل
لنا مما امر الله تع ووعد من النصر والظفر نصيب قط قل ان الامر كله لله اعتراض اي الغلبة
الحقيقية لله ولاوليائه والله تع فان حزب الله هم الغالبون فلا معنى لنفي الامر بمعنى النصر
والاظهار عنهم وقرئ كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير
يقولون وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له وهو اجود اي يظهرون
هل لنا من الامر شيء سؤال المؤمنين المسترشدين ويقولون في انفسهم او بعضهم لبعض
مبطنين لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا منكرين لقولك ان الامر كله لله تعالى اي لو كان
الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم هم الغالبون لما غلبنا قط وما قتل من
قتل من المسلمين في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد منهم لان العلم الازلي لا يتخلف عنه ولزمهم ذلك
لان العلم تابع للمعلوم فلا تاثير له فيه بل لان الله تع قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا
معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لمصالح جمة
وللابتلاء وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان والله عليم بذات الصدور [illegible]

والعزائم وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه تع غني عن الامتحان وانما فعل ذلك ليميز المؤمنين ويظهر
حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان يعني
ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا
ذنوبا فلذلك منعهم الله تع التاييد بالنصر وتقوية القلوب حتى تولوا او قيل استزلال
الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى
الذنب كالطاعة تجر الى الطاعة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول
الله صلعم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله
معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية ولقد عفى الله عنهم
لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم والمراد بالاخوة
الصداقة او الاتفاق في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا
للتجارة وسائر المهام واذا بمعنى اذ قالوا لمجرد الظرفية على حكاية الحال الماضية او كانوا
غزا او نهضوا للغزاء غزى جمع غاز كعفى جمع عاف لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول
قالوا وهو يدل على ان اخوانهم قد ماتوا بعد ان غابوا عنهم ليجعل الله ذلك حسرة في
قلوبهم اي قالوا ذلك معتقدين ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام للعاقبة ويجوز
ان يتعلق بالنهي اي لا تكونوا مثل الكفار في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله
حسرة في قلوبهم خاصة ويصون قلوبكم منها ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل
عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم
اياهم في قولهم واعتقادهم مما يغيظهم ويغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم وتخطئة
لمعتقدهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد وبالعكس
كما يشاء والله بما تعملون بصير تهديد لهم على ان يماثلوهم وعلى القراءة بالياء وعيد
للكفار وصدر الجملتين بالقسم للتاكيد والتحقيق ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
في سبيل الله متعلق بالمعطوف كمن قتل في قوله تع لم تكن آمنت من قبل او كسبت في
ايمانها خيرا فلا حاجة الى تقديره بعد قوله او متم وقرئ بكسر الميم من مات وتقديم القتل لانه
الغالب في الجهاد وبخلاف غيره ولهذا اخر فيما ياتي لان المقتول احق بالمغفرة واجدر
والميت في الحضر اكثر فتدبر لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وساد مسد
جواب الشرط وتنكير مغفرة للتعظيم وكذا تنكير رحمة كون الكافرين اولا في زعمهم

وظالم في اعتقادهم ونهي المسلمين عن ذلك لكونه اعتقادا باطلا موجبا للتقاعد عن الجهاد
ثم قال ولئن وقع ما تحذرونه فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة والثواب العظيم خير مما
يجمعون من منافع الدنيا لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى
الله تحشرون لا الى معبود كم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لاجله لا الى غيره لا محالة تحشرون
فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم ولو وقع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه شأن لا يخفى وكذلك
عدل عن الضمير اليه فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد وتقديم الظرف للدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله تعالى وتنكير رحمة للتعظيم اي بحظ وافر لك من رحمة الله تعالى
لنت لهم وتلطفت وما عنفتهم على مخالفتهم اياك وتركهم اياك بين الكفار بل واسيتهم
بالغم واغتممت لاجلهم والفاء للترتيب على ما دل عليه سياق الكلام من انهم كانوا مستحقين
للعتاب البليغ وان المرجو منه عليه ما هو مقتضى الطبع البشري ان يعنف عليهم ويغلظ
في مخاطبتهم ولو كنت فظا اي الغليظ في الخشن الخلق غليظ القلب قاسيه لانفضوا
من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك ولما بين فائدة حسن الخلق وآفة الغلب رتب
عليه الامر بقوله فاعف عنهم فيما يختص بحقك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى
اتماما للرأفة بهم وشاورهم في الامر اي امر الحرب وغيره مما لم ينزل عليك فيه وحي لما في مشاورتهم
من الروح في اقدارهم وتطييب قلوبهم والاستظهار برأيهم وعن الحسن رض قد علم الله تعالى
انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده فاذا عزمت فاذا قطعت
الرأي على شيء بعد الشورى والفاء التعقيبية للدلالة على ان حق المشاورة ان تنتهي
الى العزم على احد الامرين ولا يبقى التردد بينهما فتوكل على الله في امضاء امرك
على ما هو الارشد الاصلح فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا
عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه
احدا ان الله يحب المتوكلين اي يرضى عملهم ويهديهم الى الاصلح وينصرهم ان ينصركم الله
كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا يغلبكم احد وان يخذلكم اي ان ترك نصرتكم كما تركها
يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه وترتيع
من قولهم ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان وهو تنبيه على المقتضي للتوكل عليه تعالى
وتحريض على ما يستحق به النصر وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اي لما علموا ان لا ناصر سواه فليخصوه بالتوكل عليه والتفويض اليه وفي عبارة المؤمنون
اشارة الى وجه يؤيد التخصيص المذكور وهو ان الايمان الحقيقي يقتضي رؤية فناء التوكل

والقدر كلها بقوته تعالى وقدرته فلا ناصر سواه وما كان وما صح لنبي من الانبياء فكيف لمن هو
افضل الرسل ان يغل الغلول اخذ المال من الغنيمة في خفاء فقدت قطيفة حمراء من الغنائم يوم
بدر فقال من كان مع النبي صلعم لعل رسول الله اخذها فنزلت وقايل ذلك مؤمن لم يظن
في ذلك حرجا برأه الله تعالى من ذلك ونزهه ونبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيا
لئلا يظن ظان في حقه شيئا منه ولا يسترب احد وقرئ ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح
له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالشيء الذي غله
بعينه فيفتضح به على رؤس الاشهاد هذا ما يقتضيه سياق الكلام واما حمله على عنقه كما ورد
في بعض الاحاديث فغير منظور اليه في هذا المقام ثم انه مخصوص بما لا يثقل على ما يفهم من قوله عم
لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد بلغتك
[illegible] لا تخبان من اخذ شيئا من الغنائم اذا تخرج يوم القيامة وهو متعلق بتنا بك
ولو كانت ابرة فلا ابحاه لما نقل عن بعض الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية
فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطي جزاء ما كسبت وافيا
كان الظاهر ان يقال ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله يأت بما غل لفظا وانما عدل عنه وعمم ليدخل
تحته دخولا اوليا فيكون ابلغ واثبت بالبرهان لانه لما علم الغال ان كل نفس موفى جزاء
ما كسبه خيرا كان او شرا علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما كسبه فاتصل به معنى
وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم ولما عم كل كاسب خير
وشر وكلا المتنافيين من النبي والغال فقال منكرا افمن اتبع رضوان الله الهمزة
للاستفهام مبالغا بايرادها على الفاء العاطفة ما بعدها على مقدر دل عليه ما قبلها مؤكدا
بها المنافاة بين النبي والغال كانه قال ابعد النبي ممن اتبع رضوان الله بالطاعة يعني النبي
ومن تابعه كمن باء رجع بسخط عظيم من الله بالعصيان كالغال ومن دان بدينه وبئس المصير
الفرق بينه وبين المرجع ان المرجع هو انقلاب الشيء الى حال كان عليها والمصير انقلابه
الى خلاف الحال التي كان عليها هم درجات تشبيه بليغ اي هم متفاوتون كما يتفاوت
الدرجات وقيل على حذف المضاف اي هم ذوو درجات وانما قال عند الله تعظيما للتفاوت
والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين خصهم
بالذكر لانهم هم المنتفعون بمبعثه عليه السلام والمنة هنا الانعام وقرئ لمن من الله على
انه خبر محذوف مثل منه او بعثه ويجوز ان يكون اذ في قوله اذ بعث في محل الرفع بانه
مبتدأ اي وقت بعثه لمن من الله وانما قال فيهم لانهم كانوا عارفين باحواله ومعناه
وصدقه وامانته وطهارة اخلاقه فاندفع بذلك كثير من الخواطر رسولا التنكير للتعظيم

رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم يسهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه لاتفاقهم في اللسان وقيل من نسبهم يعني
من ولد اسمعيل عم كما انهم من ولده ولما كانت الجنسية اكثر كان المن اوفر لما بينهم اباه و
سهولة قبولهم منه وعلى هذا يكون المراد من آمن من قومه عم وتخصيصهم بالمن لزيادة
انتفاعهم ببعثته عم وعلى كلا الوجهين لا اختصاص لمن آمن معه عم وقرئ من انفسهم اي من
اشرفهم لانه عم كان من اشرف شعوب العرب وافخاذهم **يتلو عليهم آياته** من الوحي
المتلو بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي **ويزكيهم** من دنس الكفر
والخبائث وغواشي الطبيعة والرذايل **ويعلمهم الكتاب والحكمة** اي القرآن والسنة الشاملة
لاقسام الحكمة وان في قوله **وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين** هي المخففة من الثقيلة ومن قبل
مبني على الغاية واللام هي الفارقة اي وان الشان كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر لا شبهة فيه
اولما اصابتكم مصيبة ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم **قد اصبتم مثليها** يوم بدر
من قتل سبعين واسر سبعين والهمزة للتقرير والتقريع به ولما نصب بقلتم في قوله **قلتم انى
هذا** واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره وقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب على انه
مفعول قلتم والواو عاطفة للجملة على قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف
اي افعلتم وقلتم حينئذ انى هذا اي من اين هذا **قل هو من عند انفسكم** اي استوجبتم لما اصا
بكم ناشئ من عند انفسكم فانزل الله بكم ذلك فلا ينافي كونه من عند الله اي السبب العادي
انتم لتخليتكم المركز وميلكم الى الغنيمة فان وعد النصر كان مشروطا بالثبات والمطاوعة واما
اختيار الخروج من المدينة فبعيد لان الله تع وعدهم النصر بعد ذلك بشرط الثبات واختيار
الفداء يوم بدر ابعد منه **ان الله على كل شيء قدير** فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم
تارة ومنكم اخرى ولا تاثير للاسباب العادية فقد دفع وهم العجز عنه بعدم شرط الثبات
وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد **فباذن الله** فهو كائن
بتخلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه **وليعلم المؤمنين** عطف على باذن الله والباء واللام
كلاهما للسبب **وليعلم الذين نافقوا** اي وليتميز المؤمنون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة **تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا** قسم الله عليهم بين ان
يقاتلوا لما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم ان لم يكن
لهم همة في الله وفي الآخرة **قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم** ابوا القتال وجحدوا عن القدرة عليه
رأسا لنفاقهم على ما روي ان عبد الله بن ابي انخذل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك ويجوز
ان يكون المعنى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء

بالنفس الى التهلكة يريد تخطئة رأيهم لان رأيه كان في الاقامة بالمدينة او ادفعوا العدو بتكثيركم
سواد المجاهدين وان لم يقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر قلبه بقي ههنا شيء وهو
ان مقتضى ترتيب الكلام على الوجه الاول ان يعطف قالوا لو نعلم قتالا على نافقوا بالفاء و
انما اخرج مخرج الاستيناف على انه جواب سؤال اقتضاه دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فاخرجهم
عن الدعاء كانه قيل فماذا قالوا لما قيل قالوا لو نعلم ليتبين على ظهور امارة النفاق منهم لتثبطهم
وتعللهم بعد الدعاء الذي كان يجب عليهم اجابته ويجوز ان يتصل الصلة على نافقوا ويكون
وقيل لهم كلاما مبتدأ عطفا على جملة وما اصابكم باذن الله **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان**
لانخذالهم وقولهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم والظرف كلها متعلقة
باقرب لما فيها من الاتساع لكن تعلق الكفر باعتبار الزيادة وتعلق للايمان من حيث المفعولية
كانه قيل قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان وصلة القرب يكون من او الى يقول
العرب يقرب منه واليه ولا تقول له فاللام بمعنى الى وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل
الايمان اذا كان انخذالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين **يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم** اي يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان والعرب تستعمل
القول في غير الكلام فيقول قال بيده اي اهوى بها وقال برأسه اي اشار فقوله بافواههم
لتخصيص القول بالكلام وايثار الافواه على الالسنة لانها اوسع دائرة فان من الحروف ما لا
دخل في تلفظه للسان **والله اعلم بما يكتمون** من النفاق وتخذيل المؤمنين وتخطئة رأيهم وذمهم
فيما بينهم والشماتة بينهم وغير ذلك وانما قال اعلم لانهم يعلمون بعض ذلك علما بمجمله بامارات
والله تع يعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته **الذين قالوا** بدل من ضمير يكتمون مرفوع المحل او
نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين قالوا او نصب بدل من الذين نافقوا او جر بدل
من الضمير في افواههم او قلوبهم **لاخوانهم** اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم
او من جنسهم **وقعدوا** حال اي قالوا وقد قعدوا عن القتال **لو اطاعونا** في القعود
ما قتلوا كما لم نقتل **قل فادرءوا عن انفسكم الموت** جواب شرط مقدر يدل عليه **ان كنتم
صادقين** ان كنتم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت فانه احرى
بكم يعني ان القعود غير مغن فان اسباب شتى والقتال قد يكون سببا للنجاة والقعود
سببا للهلاك **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله** نزلت في شهداء احد والابلغ ان يجعل
الخطاب لكل احد لانه امر خطير يجب ان يبشر به كل احد ليتوفر دواعيهم الى الجهاد وليتيقنوا
بحسن الجزاء وقرئ بالياء اي حاسب وقرئ بالتشديد لكثرة المقتولين **امواتا** اي بل

بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم عندهنا بمعنى القرب شرفا اورتبة
يرزقون يعني في الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين حال من يرزقون بما آتاهم الله من فضله
وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة
معجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين
الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم
ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم
وهو انهم سيلحقون بهم في امن وفرح ورغد عيش وفيه تحريض لمن بعدهم على الطاعة
والجهاد والرغبة في نيل درجة الشهادة وبشارة للمؤمنين بالفوز وحسن المآب واحماد
لمن يرى نفسه بخير فيتمنى مثله لاخوانه ويستبشر به لهم والآية تدل على ان روح الانسان
جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك
قوله تعالى النار يعرضون عليها وما روى ابن عباس رضي الله عنه قال ارواح الشهداء في اجواف
طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش يستبشرون
كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الخ من ذكر
النعمة والفضل وهو بمعنى الحزن وعدم ضياع اجرهم بمعنى الخوف لان الاول على الواقع
والثاني على المتوقع ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم وفي تقديم
الاستبشار بحال اخوانهم ارشاد الى موجب الصدق في الاخوة الدينية وهو ان
يكون صلاح حال اخيه اهم عنده من صلاح نفسه بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل
زيادة كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين وقرئ ان الله بالكسر على ان الجملة ابتدائية على سبيل الاعتراض للاشعار بان
ذلك اجر لهم على ايمانهم وان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها ويعضده قراءة والله
لا يضيع المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول اجابوا رسول الله صلعم وذكر الله
تمهيد لبيان ان دعوته عم دعوة الله تعالى فكان اجابته اجابة الله من بعد ما اصابهم
القرح اي الجرح في غزوة احد وبهم اثر ذلك ويجوز ان يكون الذين محفوظا نعتا للمؤمنين
وان يكون منصوبا على المدح وان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره للذين احسنوا منهم
واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا
التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون قيل لما كان يوم الاحد من غزوة احد
قال رسول الله صلعم رحم الله من انتدب لطلب العدو حتى يعلموا انا لم نستاصل وان فينا

بقية

بقية وقال لا يخرج معنا الا من شاهدنا بالامس فانتدبوا وبهم الجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وهي
على ثمانية اميال من المدينة واقام بها ثلاثة ايام ثم انصرفوا وقد فاتهم العدو فنزلت الذين
قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي
واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولانه
انضم اليه ناس من اهل المدينة واذاعوا كلامه ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه
فالمعرفة وان اعيدت معرفة فليس الثاني عين الاول ولا اللام العهدية اشارة
الى ما ذكر صريحا بل الى ما يعرفه المخاطبون قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان
نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء
الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له
ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب
ان يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيما وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت احد منكم الا شريدا
افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو
لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم
ايمانا الضمير المستكن للمقول اي زادهم ذلك الكلام او للمصدر اي فزادهم قولهم
والبارز للمتدينين مع الرسول عم لا للمقول لهم لما عرفت ان اكثرهم كرهوا الخروج
معه عم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم
واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان بمعنى التصديق
يزيد وينقص ومن انكره قال ان ذلك بحسب المتعلق اعني ما يؤمن به واما الايمان
الشرعي فدائرة الخلاف فيه واسعة لان من المخالفين من قال بدخول الطاعات فيه ومنهم
من انكره وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه
بمعنى المحسب قولهم هذا رجل حسبك على انه صفة للنكرة لكون الاضافة غير حقيقية
ومن اضافه اسم الفاعل الى مفعوله ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا
من بدر الصغرى سالمين غانمين وهو ما ذكره بقوله بنعمة من الله نعمة عظيمة وهي
السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا
سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء لم ما يسوءهم من الضرر بدنيا كان او ماليا
والتنكير للتحقير واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم

ومن وجهم والله ذو فضل عظيم بتوفيقهم لما فعلوا والتفضل عليهم بسعادة الدنيا والآخرة
من الربح والرضوان وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم
الشيطان ذلكم مبتدا خبره الشيطان ابدا انما ذلكم المثبط هو الشيطان وما بعده بيان لشيطنته
او صفة وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف ای انما ذلكم
قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول عم او يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول
وللاولياء على الثاني وخافون من مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يرجح خوف الله تع على كل خوف ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون
فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم المنافقون وقوم من اليهود والمعنى لا يحزنك
خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء
الله بتلك المسارعة وانما يضرون بها انفسهم وانما اضاف الضرر الى نفسه تشريفا
لاولياءه وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وتنكيره للتحقير يريد الله ان لا يجعل لهم حظا
نصيبا في الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة
اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان
مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مكان
الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين وقوم من اليهود فيتناولهم ويكون كالبرهان على ان وبال
كفرهم وضرره لا يعود الا اليهم وان لهم عذابا مولما مع عظمه ولا يحسبن الذين كفروا الذين
كفروا انصب على المفعولية على قراءة لا تحسبن بالتاء والخطاب للكل من تحسب وقد
نبهت فيما سبق على ان هذا المعنى من تخصيص الخطاب بالرسول عم وقوله انما نملي لهم
خير لانفسهم بدل منه على الاشتمال وما مصدرية وحقها ان تكتب منفصلة ولكنها وقعت في
خط الامام متصلة فاتبع سنة وانما اقتصر على احد المفعولين مع امتناع ذلك في افعال
القلوب لان الاعتماد على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ليس بمقصود فالبدل وهو ان مع
اسمه وخبره ينوب عن المفعولين ويجوز ان يقدر اي ولا تحسبن حال الذين كفروا الخ وعلى
قراءة بالياء فالذين كفروا رفع على الفاعلية والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل
تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما
جملة استئنافية لتعليل الحكم السابق وما كافة واللام للتعليل فان القائلين بان الجبه

والنشر بارادة الله تع يجوزون التعليل بمثل هذا اما لانه غرض والغرض لا يلزم ان يكون مطلوبا
بل يكفي جعله غاية للفعل واما لانه مراد مع الفعل تشبيها بالعلة ومن الذين لا يجعلون فعل الله
معللا بالغرض وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين
كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خيرا اعتراض
معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على
هذا يجوز ان يكون حالا من الواو في ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله
ارادة استمرار النفي لا نفي الاستمرار فنفي كان متقدم في الاعتبار واللام في ليذر المؤمنين لتاكيد
النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين بالمنافقين حتى يميز بينهم والخطاب
للمؤمنين المخلصين لانه ... عليهم والموصوفون بالطيب وقوله ليطلعكم حتى يميز الخبيث
من الطيب تسجيل على المنافقين بالخبث وعلى المؤمنين بالطيب اي حتى يعزل المنافقين
عن المخلصين لئلا يعدي خبثه اليه والالتفات الى الخطاب تقريب للمؤمنين وتخصيص
والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافقين من المخلص
بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا تصبر عليها ولا يذعن لها الا المخلص
المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقائدكم
وما كان الله ليطلعكم على الغيب من مضمرات القلوب وغيرها فان ذلك مما استاثر الله تع به
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلمه بعض المغيبات بالوحي او بطريق آخر وليس هذا من قبيل
الاطلاع ولذلك قطع الاستثناء فآمنوا بالله بان تعرفوه حق معرفته وتعلموه وحده
مطلعا على الغيب ورسله بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله تع ولا يخبرون
الا بما اخبرهم الله به من الغيوب بالوحي وليسوا من علم الغيب في شئ قيل قال الكافرون
ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وقيل انه عم قال عرضت
على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم من يؤمن به ومن
يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم
لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
القراآت فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير الرسول او حاسب ومن
جعل فاعله الذين يبخلون جعل مفعوله الاول ما دل عليه يبخلون اي بخلهم وسوغ حذفه
لذلك وهو فصل وقرئ بغير هو بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم

سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله هو شر لهم والتطويق يستعار للالزام تشبيها
لما لا ينفك عن الرجل بالطوق اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وقيل يجعل ما بخلوا به من
الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الي قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك
ولله ميراث السموات والارض ما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بما له من ملكه ولا ينفقونه
في سبيله والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرئ تعملون بالتاء على الالتفات وهو
ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود
لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا وعيد بليغ وقد اكده بالقسم في ولقد اي لم يخف عليه
وانه اعد لهم العقاب عليه وكذلك سنكتب ما قالوا كما يقول المهدد لمرتكب الجرائم اذا وقف
منه على جريمة جديدة لقد سمعتها وساكتبها مع صواحبها يريد ما نسيت جرائمك جميعها
ولكن احدها بالاخرى محفوظة مكتوبة عندي حتى اواخذك بالكل فالكلام على طريقة
الاستعارة التمثيلية ومعناه انه على حفظ منها والسين لتاكيده لانه ثبات كما ان لن لتاكيد
النفي ايها ليكون الوعيد على طريق التاكيد كما في الاخبار بوجود السماع لان الجريمة عظيمة
اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن وقتلهم الانبياء هذا العطف تذكير لهم لما يستحقون من
اشد العقاب باظهار الشنيع العضب وتوبيخ شديد اي هذه عظيمة مثلها ولهم
سوابق في ذلك ومن ارتكب قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول
ولا احتمال لان يكون قتل الانبياء بحق فقوله بغير حق بيان للواقع زيادة في التقطيع
ونقول ذوقوا عذاب الحريق تتمة للوعيد مع تهكم بالعذاب اي ننتقم منهم بهذا القول وذق
كلمة يقولها المنتقم للمنتقم منه اي ذوقوا كما اذقتم المسلمين الغصص ذلك اشارة الي ما مر
من عذاب الحريق تهويله وتعظيما والذوق ادراك الطعم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
المحسوسات والحالات والتهكم به لان سبب العذاب قولهم الناشئ عن البخل والتهالك
على المال وغالب الحاجة اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر
ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الي العذاب بما قدمت ايديكم من قتلكم الانبياء وقولهم
هذا وساير معاصيهم ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل وان كان بالقلب او
اللسان وساير الجوارح عملا بالايدي على سبيل التغليب ولان اليد مظهر القدرة والة
المباشرة نسبوا الكسب اليها كانه ارادوا اكتسب النفس وحدها بلا مشاركة احد فيه وان
الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت اي ذلك بسبب كسبكم بانفسكم وبان الله عادل
لا يجازيكم الا بما كسبتم و قضية العدل عقاب المسيء وثواب المحسن وصيغة المبالغة للتنبيه

على ان مثل ذلك البلوغ الي الغاية في كل وصف يتصف به فعلى تقدير اتصافه بالظلم يلزم ان يكون ظلاما
الذين قالوا هم كعب بن الاشرف واحزابه ان الله عهد الينا يعني امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن
بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لبني اسرائيل وهو ان يقرب
بقربان فيقوم النبي فيدعو فينزل نار سماوية فتاكل اي تحيله الي طبعها بالاحراق قل قد
جاءكم اي جاء اسلافكم الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تبكيت الزام لهم بان رسلا جاءوهم قبلي كزكريا ويحيى بمعجزات موجبة للتصديق
وبهذه الاية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين في ان الايمان يلزمهم باتيانها واما
ما قيل ان هذه الاية ما اوجبت التصديق والايمان الا لكونها اية ومعجزة فهي اذن وساير
الايات سواء في ذلك فلا يجدي نفعا في دفع ما قالوا لانهم ادعوا العهد من الله تعالى فيه فانه
اسند الي ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه رسول مني فلا تصدقوه حتى ياتيكم
بالقربان تاكله النار من السماء حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان
بغير قربان فما ذكره ليس من متفق بانهم بل من محرفاتهم فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاءوا بالبينات تسلية للرسول من تكذيب قومه وتكذيب اليهود والزبر والكتاب المنير الزبر جمع
زبور وهو المكتوب يقال زبره اي كتبه والجمع يدل على الكثرة فالمراد منه الصحف ومن الكتاب المنير
التورية والزبور والانجيل وقرئ وبالزبر وبالكتاب باعادة الجار فيهما للدلالة على انها مغاير
للبينات بالذات وان الكتاب مغاير لها كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق و
المكذب وهو من تمام التسلية اذ تذكر الموت والفكر فيه يهون ما يصدر من الكفار من التكذيب
وغيره وفيه دلالة على ان النفس غير البدن وانها لا تموت بموته وقرئ ذائقة الموت بالنصب
مع التنوين على الاصل وعدمه لالتقاء الساكنين وانما توفون اجوركم تعطون ثواب اعمالكم
تاما وافيا ومن قال جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا فكانه لم يفرق بين الاجر والجزاء يوم
القيمة يعني في دار الاخرة ولفظ التوفية انه لم يشعر بانه قد يكون في هذه الدار بعض الاجور
فلا يدل على عدمه فلا ينافي عليه ما يدل على وقوعه من الاخبار كقوله عليه السلام الصدقة والصلة تعمر
الديار وتزيدان في الاعمار واما ما يعطي في القبر فما يوفى في الدار الاخرة لان الموت بابها في
العقبة اول المنازل فمن زحزح عن النار اي بعد عنها وقد سبق في سورة البقرة وادخل الجنة
فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها
الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له
فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان وانما هذا التشبيه تنفير وتحذير لمن اثرها

بالآخرة وبؤثرها عليها واما بالنسبة الى من باعها بالآخرة وعلى سرعة نفادها وانحذ منها زاده وتركها واحتار الباقية فهي متاع العبور لا الغرور والغرور مصدر والاضافة للكلية لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجرح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول صلعم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها فيفوتهم الصبر والاجر والكرامة وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون منكم وقطعه عليكم وبالغ فيه والعزم القطع قال عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يبت ولا اختصاص له بالراي واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرئ بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وما عهد اليهم وراء ظهورهم تشنيع على اهل الكتاب وبالغ في توبيخهم بانهم اذا اخذ الله ميثاقهم وعهد اليهم واكده بالقسم ان يظهروا الكتاب واوجب عليهم بالتاكيد بيان ما فيه واجتناب كتمانه فتغافلوا مبالغة في ذلك بالمبالغة في اطراحه وتركه فان النبذ وراء الظهر مثل في الطرح بالكلية وترك الاعتداد بالشيء النبذ الرمي والابعاد وفي الحديث انه مر بقبر منتبذ عن القبور اي منفرد بعيد عنها والوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الامام فاضافته الى الظهر لتعيين معنى الخلف واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وان لا يكتموا مما علموا شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلعم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والفاء للاشعار بان افعالهم المذكورة علة لنفي الحسبان والنهي عنه والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء

بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجوة منه وقرئ بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة وقيل المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول وفيه ان التاكيد للفعل والفاعل فقط اذ ليس المذكور سابقا الا الفعل والفاعل فقط اذ ليس المذكور سابقا فالضمير المنصوب بالتاكيد هو المفعول الاول ولا صدق ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلعم سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل غير ذلك والحق انه شامل لكل من اتى بحسنة ففرح بها فرح اعجاب واحب ان يحمده الناس بما ليس فيه من الفضيلة وبما لم يفعل من انواع البر واوهم ولبس وان كان السبب خاصا ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلالات واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول الخالصة عن شوائب الاوهام والعادات الصافية عن شوب الهوى والخيالات المدركة للحقائق بنظر الاعتبار المتدبرة للمعاني بصواب الافكار وعن النبي صلعم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها لانه اما ان يكون في الاحوال الخارجة عن الشيء كتغير الافلاك او في جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او في ذاته كتغير الليل والنهار ووجه الترتيب ظاهر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم محله نصب على الحال عطفا على اخويه اي قائمين وقاعدين ومضطجعين يعني يذكرون الله ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع ويتفكرون في خلق السموات والارض اي في خلق العالم استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه عمل القلب والمقصود من الخلق وفيه اشعار بان ذوي الالباب بيانهم وتفسيرهم الذين يذكرون الله دائما على اي حال كانوا المتفكرون في خلقه ربنا ما خلقت هذا باطلا مفعول قول مقدر اي يقولون وهو في موضع الحال يعني يتفكرون قائلين وباطلا صفة مصدر محذوف اي ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة او حال من هذا وهو اشارة الى ما عبر عنه بقطريه وهو عالم الملك وفيه ضرب من التعجب وظهور امره في العظمة وكما ان ذلك يستعمل في التعظيم لبعد المرتبة وعلو القدر فكذلك هذا يستعمل لظهور امره في ذلك المعنى وتعينه وانفراده بذلك اي ما خلقت هذا العالم العجيب الشان النير البرهان المتفرد بالعظمة وغاية الابداع باطلا وفي التكو

على هذا القدر من البيان ولا لدلالة على قصور العبارة عن بيان فوائده ومنافعه سبحانك تنزيها لك من فعل العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه ولكون الدلالة على وجوب الاعتبار به واجتناب الغفلة عنه ماخوذة في ربنا ما خلقت هذا باطلا حسن تعقيبه بهذا الكلام والفاء للسببية اي اذا ذكرناك واقررنا بك فقنا ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء وهذا مستفاد من جعل الجزاء امرا ظاهر اللزوم للشرط بحيث لا فائدة في ذكره ما دام محمولا على الاطلاق فيحمل على اخص الخصوص ليفيد والمراد به ما هو بل المستفاد منه قال ابن السكيت خزي يخزي خزيا اذا وقع في بلية فلا اشعار فيه بان العذاب الروحاني افظع وقد تمسك بهذه الآية اصحاب الوعيد وقالوا من دخل النار ينبغي ان لا يكون مؤمنا لقوله فقد اخزيته فان الله تعالى يقول يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والجواب ان المراد من الذين آمنوا معه الاصحاب رضي الله عنهم لا الذين آمنوا مطلقا وما للظالمين من انصار اللام للعهد والاشارة الى من يدخل النار والاعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اذا اريد تخصيص سماع القول بمن سمع منه اوقع الفعل على ما سمع منه وحذف المسموع ووصف المتكلم الموقع عليه الفعل بما سمع منه او جعل حالا عنه بتقدير الوصف او الحال مسرحا تقول سمعت رجلا يقول وسمعت زيدا يتكلم وذكر النداء مطلقا ثم قيده بالايمان تعظيما للمنادي وهو الرسول وتفخيما لشانه والنداء والدعاء ونحوهما يعدي بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا بربكم فآمنا فامتثلنا والفاء للعطف على سمعنا او سببية عن آمنوا اي تسببت ايماننا ربنا فاغفر لنا الفاء للسببية اي اذا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر تجاوز عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة وفي تخصيص كل من التعديتين بمعناه نوع اشارة الى ان المراد من الذنوب الكبائر كما ينبئ عنه معناها وما تعلق بها من الفعل بحسب معناه وجواز استعماله في غيره وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم ولا دلالة فيه على طلب التوفي حتى يكون فيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله تعالى والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا عطف على الدعوات السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع بالمربوبية وكذا جميع التكرارات في الآية ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك من الثواب قيل لما اظهروا امتثال ما امر به سالوا ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين

لسوء عاقبته او قصور في الامتثال ويرد عليه انه على تقدير وقوع ما خافه لا يكون السؤال المذكور مناسبا لحاله وعلى تقدير عدمه لا حاجة الى السؤال فالوجه ان يقال انه تعبد واستكانة ويجوز ان يكون التقدير منزلا على رسلك او على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي فاستجاب لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لفرط الاتصال والاتحاد لانهما من اصل واحد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة تبين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الاوطان والعشائر واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله ذكرا اولا بالخاص وهي الهجرة وهي اشق شيء على النفس ونبه باعم منها فان الخروج من الديار لا يستلزم الهجرة الى المدينة كخروج من خرج الى الحبشة والى جذي وايتا ثالثا بذكر الايذاء به وهو اعم من ان يكون باخراج من الديار وبغيره وارتقا بعد هذه الاوصاف السنية الى رتبة الجهاد فقال وقاتلوا الكفار وقتلوا في سبيل الله وقرئ بالعكس ولا منافاة لان الواو لا يوجب الترتيب والثاني افضل لاشعاره بانه قتل بعضهم وقاتل الباقون ولم يضعفوا وقرئ قتلوا بالتشديد للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم كفر اذا عدي بعن يفيد معنى تجاوز ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبنهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه بالغ في جزائهم بالتاكيد القسمي وايراد المصدر المؤكد وتنبيه بالعندية بعد الاطلاق والالتفات في عند الله واظهار اسمه في الجملة بعده وجعل الجملة الظرفية خبرا غاية في البلاغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ظاهر النهي للتقلب وحقيقته للمخاطب وهو رسول الله صلعم تثبيتا له على ما كان عليه كما في قوله ولا تطع المكذبين او لكل احد ليفيد نفي السبب وهو باب تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب اي التغرير يستلزم امتناع المسبب الذي هو الاغترار مبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه

من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي التقلب متاع قليل وصف بالقلة بالنسبة الى ما فاتهم من نعيم الآخرة او بالنسبة الى ثواب المؤمنين او اراد قلته في نفسه ودنو قدره لسرعة انقضائه وزواله ثم مأويهم جهنم عطف على محذوف كانه قيل يتوصلون به يوم القيمة ثم مأويهم جهنم وثم للتراخي في الرتبة وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم فالمخصوص بالذم محذوف لكن الذين اتقوا ربهم اي خافوه ولم يخالفوا اوامره ولا نواهيه لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها قابل جهنم بالجنات وقلة متاعهم بالخلود في النعيم فوقعت لكن احسن موافقتها لانه آل معنى الجملتين الى تعذيب الكفار والى تنعيم المتقين فهي واقعة بين الضدين نزلا من عند الله النزل بسكون الزاء وضمها ما يقام للنازل عند نزوله من القرى وفيه تنبيه على ان وراء ذلك ما هو اعظم منه كرامة وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل الظرف اي حاصلة لهم الجنات نزلا او على انه في معنى مصدر مؤكد لقوله لهم كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله اوجز في بيان مال الذين كفروا بحذف المبتدأ والمخصوص بالذم واقتصار الكلام للتحقير والازدراء وعدم الاعتداد بهم وبمتاعهم واطنب في وصف المتقين اظهارا للعناية بهم وبشأنهم وما لهم اولا بقوله لكن ليتدارك ما لهم المخالف لما لهم المباين له بالابلوصف بوته ثم بقوله ربهم وتنكير جنات للتعظيم ووصفها للابهام والتوضيح وتقوية الاسناد اليهم بتكرير النسبة في لهم والجملة الظرفية والتقييد بالحال والتاكيد بقوله نزلا من عند الله والجملة الاعتراضية اي وما عند الله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل غير ذلك وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله خائفين خاضعين حال من فاعل يؤمن وجمع هنا وفي اليهم باعتبار المعنى بعدما افرده باعتبار اللفظ لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم اولئك الموصوفون بما ذكر لهم اجرهم الذي يختص بهم وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لان علمه محيط بكل شيء ولا يشغله شأن عن شأن والمراد ان الاجر سريع الوصول فان

سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب ولا يكونوا اقل صبرا منهم وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته وصعوبته ورابطوا اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه لعلكم تفلحون لكي تفلحوا والفلاح الامن مما يخاف والوصول الى ما يرام والحمد لله على التمام والصلوة على نبيه سيد الانام وعلى آله وصحبه الكرام ما تعاقب الليالي والايام

سورة النساء مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب عام يتناول الموجودين في زمان الخطاب ومن بعدهم دون المنقرضين اتقوا ربكم في مخالفة اوامره ونواهيه الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام ترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على قدرته على اهلاكهم وانشاء خلق آخر على اسهل وجه لما فيها من الدلالة على القدرة العظيمة والا لكان خلق السموات والارض احق بالذكر وما في ذكر الرب من الاشارة الى نعمة التربية الموجبة للطاعة لتضمين الترهيب مع الترغيب وخلق منها زوجها يعني حواء خلقها من ضلع من اضلاع آدم عم بيان لخلقهم من نفس واحدة على وجه الاستينا ف كانه قيل انهم خلقوا من ذكر وانثى لا من ذكر وحده فاجيب بان تلك الانثى قد خلق منه قالوا واستينا فية لا عاطفة لما عرفت ان مدخولها مقرر ومبين لما تقدم والعاطف لا يتخلل بين الشيء ومقرره وعلى تقدير العطف على محذوف اي خلقها وخلق منها زوجها يندفع المحذور المذكور الا انه لا دخل للمقدر في تقديره ماذكر ومن شرائط البلاغة تجريد الكلام عما لا يقتضيه المقام وبث منهما اي نشر من النفسين المذكورين من جهة التناسل والتوالد اراد بيان كيفية توالدهم ولذلك قال رجالا كثيرا ونساء دون ذكورا كثيرا واناثا ومن لم يتفطن لهذه الدقيقة الانيقة قال في تفسيره بنات وبنين كثيرة وذكر كثيرا حملا على معنى الجمع وحذف وصف النساء لدلالة وصف قرينها عليه وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره هو خالق وباث واتقوا الله الذي تسائلون اي يسأل بعضكم بعضا به فيقول اسألك بالله او تسألون عنه كم فجئ بتفاعلون موضع يفعلون للكثرة وبعضده قراءة يسألون واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرئ بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور وينصره قراءة تسألون به وبالارحام او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور

وما ذهب اليه البصريون من امتناع العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار والضعف في اعتباره مردود

هذه القراءة الثابتة بالتواتر فانها مما يحتج به لا مما يحتج عليه الا عند من لا اعتماد له على
القراءات الثابتة ولا اعتداد لزعمه الفاسد وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره
والارحام كذلك اي مما يتقى او مما يتساءل به وقد نبه تعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها
بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه
الله **ان الله كان عليكم رقيبا** حافظا مطلعا **وآتوا اليتامى اموالهم** اي كما بلغوا ان اونس منهم الرشد
ولذلك امر بابتلائهم صغارا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اذا انفردت في صدفها اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس
وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من
باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار
والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ
الرجال فاذا بلغوا زال عنهم هذا الاسم وعلى هذا ورد عرف الشرع قال عليه السلام
لا يتم بعد الحلم اي لا يجري عليه احكام اليتيم ولا يحتاج الى الولي والمراد في الآية البلغ على الاتساع
لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا
الاسم روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منعه
فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب** اي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من
المكاسب والتفعل بمعنى الاستفعال كثير وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا
الخسيس مكانه ورد بانه تبديل لا تبدل فان في التبدل وكذا في الاستبدال ما دخلته
الباء متروكة وما تعدى اليه الفعل بنفسه ماخوذ وفي التبديل بالعكس **ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم** اي لا تضموها الى اموالكم في الاكل ودل قوله الى اموالكم على ان المخاطبين اغنياء
وذلك لانه اذا كان فقيرا يجوز ان ياكل بالمعروف وفيه تعريض بانهم كانوا يفعلون كذلك
بكون اجرهم ولهذا عدل عن مقتضى الظاهر وهو نهي الغني عن اكل مال اليتيم مطلقا
انه الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما والحوب مطلق الاثم قال ام رب تقبل توبتي
واغسل حوبتي اي اثمي ولو اعتبر فيه العظم لما وصف بالكبير فتدبر وقرئ حوبا وهو مصدر
حاب وكذا حابا وقد قرئ به ايضا كقال قولا وقالا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال و
جمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف

هذا هو الوجه المناسب المطابق لما نزل والذي ذكره [illegible]
لا يطابقه كما لا يخفى والاوجه الاخر
المذكوران في الكشاف وغيره [illegible]
فلا يخفى بعد ما [illegible]

لضعفهن وفقدهن من يغضب لهن اذا ظلمهن وحقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم **وان خفتم الا
تقسطوا في اليتامى** اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن **فانكحوا ما طاب
لكم من النساء** تزوجوا ما حل لكم من غيرهن واما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة وقرئ تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم اي ان خفتم ان تجوروا **مثنى وثلاث ورباع**
منصوبة على الحال من فاعل طاب معدولة عن اعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلثة ثلثة واربعة
اربعة غير منصرفة لوجود العدل والوصف فانها بنيت صفات وان كان اصولها لم تبن لها
ومعناها الاذن في الجمع بان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا
هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افرد كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد
دون التوزيع ولو عطف باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد **وان خفتم الا تعدلوا**
فيما فوقها **فواحدة** فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه
فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة **او ما ملكت ايمانكم** يستوي
بين المنكوحة الواحدة وبين الاماء مطلقا واحدة كانت او متعددة بلا حصر ولا تعيين
عدد في السبي والترخص لخفة مؤنتهن وعدم شرط العدل بينهن لا في القسم ولا في العزل ونسبة
هذا الملك الى اليمين للفرق والتفاوت بينه وبين تلك اليد **ذلك** اشارة الى اختيار الواحدة
والتسري **ادنى الا تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا فتجوروا يقال عال الميزان اذا مال
وعال الحكم اذا جار وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم
فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة الا تعيلوا من اعال الرجل
اذا كثر عياله ووجه على تقدير ان يكون الاشارة الى التسري ان العزل يجوز فيه فهو
مظنة قلة الولد **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا
ياخذون مهور موليتهم **نحلة** عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن
طيب نفسه بلا توقع عوض ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء وقيل معناه نحلة
من الله اي عطاء من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل ديانة على انه مفعول له او حال
من الصدقات اي دينا من الله شروعا مفروضا **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** الضمير في
منه جار مجرى اسم الاشارة في التذكير على ما ذكر رؤبة وقد سبق في تفسير سورة البقرة
كانه قيل عن شيء من ذلك اي ما ذكر من الصدقات او يرجع الى ما دل عليه الصدقات
من الصداق ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان اعطين لكم من الصداق
عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز

وفيه دليل على وجوب الاحتياط في ذلك وصيق المسلك في قبول شيء من الصداق منهن لانه بني الشرط على طيب النفس الذي هو امر خفي يطرق بها ان تدعي انها ما طابت نفسا ان ندمت ولهذا لم يقل فان وهبت او سمحت اشعارا بان الشرط تجافي نفسها عن الموهوب من طيبه لا من ضرورة ثم قال عن شيء منه بعثا لها على تقليل الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** اما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حالان من ضمير كلوه في حالة كونه هنيئا مريئا والهنيء ما يلذه الاكل والمريء ما يحمد عاقبته وقد سبح ما في الاكل من الدلالة على سائر وجوه الانفاق روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** السفهاء هم الذين ينفقون اموالهم فيما لا ينبغي من وجوه التبذير ولا يمكنهم اصلاحها بالتثمير والتصرف فيها بالتدبير والخطاب للاولياء بدلالة السباق واللحاق واضافة الاموال اليهم لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم او لانه لم يقصد بها الخصوصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب ومن هذا المعنى لا يختص باليتامى كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم قصدا الى جنس النفوس وهذا اوفق لقوله **التي جعل الله لكم قياما** اي يتقومون بها وينتعشون وعلى الاول يأول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** الظرف متعلق بالمعطوف فيئ كما في قوله تعالى لم تكن آمنت من قبل او كسبت وانما قال فيها ولم يقل منها تنبيها على انه امر ان يجعلوا اموال اليتامى محلا للتجارة لا يأكلها الذكورة فعلى هذا يكون الرزق والكسوة من الارباح لا من اصل المال فيأكله الانفاق **وقولوا لهم قولا معروفا** كلاما يونسهم ويولف قلوبهم ومنه عدة جميلة وكل ما سكنت اليه النفس واستحسنته لحسنه عقلا او شرعا او عرفا فهو معروف وكل ما نفرت منه عدة جملة وكرهته فهو منكر **وابتلوا اليتامى** واختبروا عقولهم بتصرفاتهم قبل البلوغ **حتى اذا بلغوا النكاح** بلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح النكاح عنده **فان آنستم منهم رشدا** الايناس الابصار فان تبينتم منهم رشدا اي اهتداء الى مصالحهم وقرئ احستم بمعنى احسستم **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن وقت البلوغ وتنكير الرشد معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد حتى لا ينتظر الى تمامه جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم لهم بشرط ايناس الرشد منهم ويجوز ان يكون اذا لمجرد الظرفية ليست متضمنة معنى الشرط اي ابـ

ابتلوهم الى وقت البلوغ وفي الآية دلالة على انه لا يدفع اليهم مالهم قبل البلوغ واما عدم دفعه اليهم بعد البلوغ قبل الايناس فلا دلالة عليه اما منطوقا فظاهر واما مفهوما فلان مفهوم قوله فان آنستم رشدا عدم الدفع على الفور لا عدم الدفع مطلقا **ولا تأكلوها اسرافا** اي مجاوزة عن الحد **وبدارا** اي مبادرة وهي المسارعة **ان يكبروا** ان بلغوا اي لا تأكلوا مسرفين ومبادرين كبرهم وهي كقولك بادرت مجيء زيد اي فعلت قبل مجيئه والمعنى لا تأكلوا قبل بلوغهم واسترداده ما لهم منكم وليس هذا قصر التحريم على الاسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرهما بل هو ذكر غالب الحال كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا **ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** في تقييد النهي بالاسراف والبدار ايماء الى ان للاولياء حقا فقسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فامر الغني بالاستعفاف من اكل مال اليتيم الى ماله وترك الطمع في مال اليتيم والاقتناع بما رزقه الله تعالى من ماله اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير بالاكل بالمعروف اي يأكله قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة لقيامه عليه بحفظه وتثميره وعلى اليتيم بتسديده وتدبيره وفي الاستعفاف مبالغة كانه مامور بطلب زيادة العفة ولو قال فليعف لم يكن فيه ذلك **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لئلا يتوجه اليمين عليكم عند التناكر ولتظهر امانتكم وتبرأ ساحتكم عن التهمة فالامر بالاشهاد هنا كالامر في قوله واشهدوا اذا تبايعتم فلا دلالة فيه على ان الغني لا يصدق في دعواه الا بالبينة **وكفى بالله حسيبا** كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا يحاسبكم بالبراءة وعدمها والقبض وعدمه فعليكم بالتصادق واياكم بالتكاذب **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان** يريد بهم المتوارثين بالقرابة قيل كان اليونان يعطون جميع المال للبنات لان الرجل لا يعجز عن الكسب والمراة تعجز وكانت العرب لا يعطون البنات فرد الله تعالى على الفريقين فكان المقام مقام التفصيل والاطناب وفي عبارة الرجال اشارة الى ان قدرتهم على الكسب غير مانع لاستحقاقهم فاذا كان الرجل مع قدرته على الكسب مستحقا للنصيب فالصبي مع عجزه عنه يكون مستحقا له بطريق اولى **مما قل منه او كثر** بدل مما ترك باعادة العامل وتقديم الظرف على المبتدا في الرجال والنساء تخصيص لكل واحد من القبيلتين بنصيب مفروض عليهما فرض الله تعالى يؤذن بان لا بد لكل منهم ما خصه الله تعالى به لا يستأثر به غيرهم ولا يغلبه عليه ثم اكده بقوله **نصيبا مفروضا** نصب على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا واجبا او على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله تعالى كانه قيل قسمة مفروضة او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب واعاد كن

النصب على الايهام لان التعيين خارج عما سبق له الكلام في هذا المقام وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولو القربى ممن لا يرث
واليتامى والمساكين من الاجانب فرق بين من لا يرث من الاقارب وبين من يرث بقوله
فارزقوهم منه حيث لم يعين لهم نصيب وندب الى ان يرضخوا بقليل منه اياهم الى ان الحق
لهم فيه الايدي كيف جعل اموال اليتامى للسفهاء مكان رزقهم حيث قال وارزقوهم فيها
لا نهاختصهم وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا
عليهم والامر للندب والمأمور البلغ من الورثة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ولو
اجمالا كالمتعة حيث قال على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر الاوصياء بالخشية متمثلين في انفسهم حال
اليتامى بحال اولادهم على الصفة المذكورة ليخشوا الله في رعايتهم او الكلا لهم او ممثلين
المتوفى وايتامه بحالهم وذرياتهم خلفهم على تلك الصفة فيرفقوا بهم وهذا الوجه
هو الانسب الاليق بنظم الكلام من بين الوجوه المذكورة في التفاسير فيكون قوله
ان الذين يأكلون الخ تتمة له وتصريحا بحال الاوصياء لو خالفوا مقتضى الشفقة واكلوا
مال اليتيم وتهديدا لهم على ذلك ولو بما في حيزه صلة للذين اي وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع لفقد
كافلهم وكاسبهم وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث
على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع
الاول بدون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم
ملء بطونهم نارا تهويل في الردع ومبالغة في التهديد بجعل بطونهم ظرفا مملوة
نارا ولما اراد ان يصور سرعة جر ما يأكلون انفسهم الى النار جعلهم يأكلون كانه نار
بالحقيقة ونكرها اي نارا شتعالها عن الوصف وقواه بتنكير سعيرا في قوله وسيصلون
سعيرا اي سعيرا لا يحتمل سماع وصفه فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار بمعنى الهبتها
وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها تقول صلى النار قاسى حرها
وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم
في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين التعريف في الموضعين للعهد

والمعهود

146

والمعهود الذكر والانثيين من الاولاد ولا حاجة الى تقدير منهم وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه
لتفضيله على الانثى وانما لم يقل للذكر مثلي حظ الانثى او مثل حظي الانثى لانه لا يعلم عدم نقصان الابن
عند تعدد البنت فانها اذا تعددت ينتقص حصته سائر العصبات فيجوز العقل ان ينتقص حصته
ايضا اذا تعددت واما العكس فغير محتمل فبعبارة المنزل علم حصة الابن مع البنتين وبدلالته
علم حصته مع الواحدة وادنى الاختلاط ان يجتمع ابن وبنت وللابن الثلثان فعرف
بهذه الاشارة ان للبنتين الثلثين في الجملة وليس ذلك الا في حال انفرادهما عن الابن ولما
كان حكم الانثيين حالة الانفراد معلوما بهذه الاشارة رتب عليه بيان حكمها اذا كانت فوق
اثنتين بقوله فان كن نساء كن ضمير الاولاد وطابق به الخبر كما في قوله هذا ربي او على تاويل
المولودات اي ان كانت الاولاد نساء خلصا ليس معهن رجل فوق اثنتين خبر ثان لكان
او صفة للنساء اي زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم يدل عليه المعنى وان
كانت اي المولودة واحدة فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والنصب اولى
لقوله فان كن نساء ولا يجوز ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين مفسرين بنساء
وواحدة منصوبين على التفسير على ان كان تامة لان كان ليست من الافعال التي يكون
فاعلها مضمرا يفسره ما بعده بل هذا مختص من الافعال بنعم وبئس وما حمل عليهما
اختلف في الثنتين فقال ابن عباس رض حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما
وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لما قررناه فيما سبق وقوله تعالى فان كن نساء فوق
اثنتين لبيان ان كثرة عددهن لا يزيد على ما لهن عند التعدد والانفراد عن الذكور فشرط
المفهوم مفقود على انه لا يعارض المنطوق والوجه الذي قدمناه من قبيل المنطوق واما
ما قيل ان البنتين امس رحما من الاختين اللتين تحرزان الثلثين فهما اولى بذلك الاحراز فيرد
عليه ان الابن مع كونه امس رحما من الاب الاخ قد لا يحرز ما يحرزه كما اذا كانت البنت فوق
الاربع واذا جاز ذلك في العصبة والمعتبر فيه قوة القرابة فلان يجوز فيمن لا يعتبر فيه
تلك القوة من اصحاب الفرائض بطريق الاولى وكذا ما قيل ان الاخت اذا كانت مع اخيها
وجب الثلث فبالاولى ان يجب لها ذلك اذا كانت مع اخت اخرى مثلها غير تام لان
مبناه ايضا على ان من اخذ سهما مع وارث يأخذ ذلك السهم مع وارث آخر دونه بطريق
الاولى وقد عرفت عدم صحة ذلك المبنى ولابويه اي ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس
بدل منه بتكرير العامل وفائدة التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال للتأكيد السدس مبتدأ ولابويه خبره والبدل متوسط بينهما للبيان

مما ترك اي من جملته ان كان له اي للميت ولد ذكرا او انثى و ولد الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي بالاجماع غير ان الاب يأخذ مع الانثى ما بقي من الفروض بالعصوبة بعد اخذه فرضه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب ولم يعكس مع كونه احق ببيان نصيبه اصالة لفضله لانه يلزم ان يكون هو صاحب فرض وصاحب عصبة وهو خلاف وضع الشرع والمعنى العبرة انه اذا ورث مع ابويه احد الزوجين لم يكن لها الثلث مما ترك بل ثلث ما بقي بعد فرضه كما هو مذهب الجمهور خلافا لابن عباس رض والمعنى ان الابوين اذا انفردا بالارث تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الا[نثيين] ولذلك لزم انهما اذا كانا مع احد الزوجين كان لها ثلث ما بقي والا انقلب التفاضل مفضولا فيما اذا كانا مع الزوج لان فرضه النصف فلو فرض لها الثلث بقي للاب السدس مع كونه اقوى وكونه ذا فرض وتعصيب فان كان له اي للميت والفاء هنا ايضا للترتيب احد القسمين على الآخر اخوة المراد منها ما يعم الاخوات على طريقة عموم المجاز لا على طريقة التغليب اذ لا يتناول الاخوات المنفردة وهذا التعميم وصيغة الجمع ما يتناول المثنى وفيه خلاف لابن عباس رض والاطلاق الاخوة يدل على انهم يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون كما اذا كانوا مع الاب وعن ابن عباس رض انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان الاثنين من الاخوة او من الاخوات او منهما سواء كانا من الاعيان او من العلات او من الاخياف متفقين او مختلفين محجوبين يردونها من الثلث الى السدس من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بجميع ما تقدم من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في التقدم على القسمة مجموعين ومنفردين وان لم يكونا متساويين في التعلق بالتركة فان الدين لا يسقط منه شيء بذهاب بعض المال بخلاف الوصية وانما قدمت على الدين وهي متأخرة عنه في الحكم لانها مظنة الاشتباه تقديمها فكانت يحتاج الى البيان ولكونها مشبهة بالميراث فيشق اخراجها على الورثة فانه ينتظم بعض الحقوق كالوصية للحج ثم اكد امر الوصية ورغب فيها بقوله آباؤكم وابناؤكم معترضا اي من ينفعكم واهل شفعتكم ومحبتكم لا يدرون يعلم الاخبر اعمالهم على امضائها مبينا ذلك المعنى بقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم من اوصى منهم ام من لم يوص

لان من اوصى عرضكم لثواب الآخرة بامضائها وهو وان كان آجلا فهو بالحقيقة اقرب لكم نفعا لانه خير وابقى ومن لم يوص ابقاكم على حب الدنيا وهو وان كان عاجلا لكنه في الحقيقة ابعد نفعا واقرب ضرا واقل جدوى لانه سيزول ويفنى آباؤكم وابناؤكم خبر مبتدأ محذوف اي هم آباؤكم وابناؤكم لا تدرون بيان لحالهم او مبتدأ خبره لا تدرون ايهم فريضة من الله في موضع المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا او حال مؤكدة بمعنى مفروضة اي لكم الانصباء المذكورة بيناها مفروضة ولما فرض انصباءهم واثبت الوصية وسلب علمهم به قال ان الله كان عليما اي بمصالح دنياكم واخراكم حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وحكم به من الوصية وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم وولد الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي في الحجب الزوج عند عدمه بالاجماع من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين يستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن فرض للرجل بحق الزوج ضعف ما للمرأة كما في النسب قيل وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وفي الحصر نظر فان الابوين ايضا من هذه الجملة وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة لرجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني المفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال فاستعيرت للقرابة لا بعادها النسبة لانها كالة ضعيفة بالنسبة الى التي يقاربها النسبة ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي اي من ذي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كانه من غاية الضعف نفس الكلالة او امرأة عطف على رجل وله اي ولواحد منهما فلا ضرورة للحمل على الاقتصار كما ذهب اليه من قال اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه انه قرئ وله اخ او اخت من الام وقد ذكر في آخر السورة ان للاخت الواحدة النصف وللاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وما قدر هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث

سوى بين الذكر والانثى لان الادلاء بمحض الانوثة وقد عرفت ان الكلالة استعيرت لقرابة لا بعاد بها
النسبة فينتظم قرابة الام والجدة دون البنت وبنت الابن لان النسب الى الاباء دون الامهات
فلا تخصيص في مفهوم الآية من بعد وصية يوصي بها او دين غير مضار اي لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على
الثلث او يوصي الثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته لا وجه الله تع وعن الحسن المضارة في
الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار اعتبر المضارة في الدين ايضا بناء على تاخير
الحال عنهما واعتبر الايصاء فيه ايضا بناء على عطفه على وصية كانه قيل او دين يوصى
بها فاعترض تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه وصية من الله مصدر مؤكد او
منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده القراءة باضافة مضار الى وصية اي غير
مضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصيته منه بالاولاد بالاسراف
في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بمن جار ومن عدل في وصيته حليم عن الجائر
اذ لا يعاجله بعقوبة وهذا وعيد بليغ تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر
اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز
مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار حملا على
لفظ من في قوله يطع ويدخله فافرد ثم حمل على المعنى في قوله خالدين فيها فجمع وانتصابه على
الحال المقدرة ويجوز ان يكون صفة لجنات على مذهب الكوفيين وبه اخذ الزجاج هنا
ولا يحتاج الى ابراز الضمير عندهم اذا لم يلتبس وذلك الفوز العظيم الذي يستحقر
دونه الدنيا وما فيها ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين
زاد ههنا على العصيان تعدي الحدود وهو في الاعمال صرفا للعصيان الى ما يكون في
العقايد وفائدة التنبيه على ان المراد من الاطاعة في ضمنه ما يكون في العقايد و
ان الموعود من دخول الجنة ليس مشروطا بالعمل الصالح وذلك في مقابلته الا انه
لا يتعداها الا من اعرض عن سبيل الايمان والمراد عاينها وهذا مستفاد
من توصيف العذاب به فانه ظاهر بحيث لا فائدة في ذكره ما دام محمولا على الظاهر فهو
محمول على الكمال ليفيد وافردها خالدا وجمع فيما قبله اشارة الى ما في حق المطيعين
من لذة روحانية وهي حظ الاستيناس وما في حق العاصين من الم روحاني وهو
عذاب الوحشة واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم يفعلن الفعلة القبيحة والمراد الزنا
لزيادتها في القبح على كثير من القبايح فاستشهدوا عليهن اي فاطلبوا ايها الائمة
الذين اليكم اقامة الحدود اربعة منكم من الرجال المؤمنين ليشهدوا عليهن بالزنا

فان شهدوا عليهن به فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في البيوت حتى يتوفاهن
يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل
الاسلام فنسخ بالحد او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني
عن السفاح واللذان ياتيانها يعني الزاني والزانية وصفا بما يوصف به الذكور تغليبا
للذكر على الانثى والظاهر من زيادة منكم تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات هنا ومن زيادة في
من نسائكم فيما سبق فآذوهما بالتوبيخ والتقريع قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى
ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة وقال الضحاك كان الرجل
اذا زنى بامراة وكانا بكرين حبس كل واحد منهما في بيت ثم لا يؤتى بهما ما دام الا اذا ايهما
بالتعيير وعلى هذا يكون الاذى مع الحبس مشروعين في وقت واحد في حق الرجل
والمراة جميعا وقال مجاهد الآية الاولى في الرجلين اي الذكر يفعل ذلك بالذكر وهو
اللواطة وقال ابو منصور هذا يكون حجة لابي حنيفة في انه يعزر ولا يحد بالجلد او
الرجم فان تابا عن المعصية واصلحا وغيرا الحال الى العفاف فاعرضوا عنهما بالاغماض
والستر واقطعوا عنهما الاذى ان الله كان توابا يقبل التوبة التائب رحيما فلا
يعذبه وهو علة الامر بالاعراض وترك المذمة انما التوبة على الله من تاب عليه
اذا قبل توبته لا من تاب العبد اذا رجع اليه للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها
وليست من عدم العلم بانه ذنب لانه عذر لكنها ترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله
ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله عم ان الله يقبل
توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب وفي عبارته ثم اشارة
الى انه لم يرد من القرب القرب من عمل السوء حقيقة فاولئك يتوب الله عليهم وعد
بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وفائدة اولئك والفاء
انهم اذا تابوا في هذا الزمان تسبب توبتهم للقبول ومعنى الحصر في انما التوبة التي
كتب الله على نفسه قبولها ليست الا هذه قيل ثم ان لا يقبل غيرهما ولهذا فصل الآية
بقوله وكان الله عليما اي بالتوبة الموصوفة بما يقتضي القبول والتي لم يتصف به حكيما
لا يقبل الا الاولى فانه تهديد ووعيد وما يناسب القبول ترغيب ووعد فلو
لم يكن الحصر والسببية لكان ينبغي ان يقول وكان الله غفورا رحيما ولذلك والفرق
بين التوبتين صرف المعصية هنا بتوحيد السوء والتقييد بالجهالة اي الغفلة لحال
التوبة بالقرب وعطفها في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن

ولا الذين يموتون وهم كفار حيث جمع السيئات وبعد مجال التوبة بحرف الغاية واضاف الى المحتضر
لانها وزاد قول الآن وسوى بين الذين سوفوا توبتهم الى ذلك الامد البعيد مبالغة
في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة واكد الوعيد بقوله **اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما** اي
الموصوفون باضداد الوصفين التوبة وقت الاحتضار والموت على الكفر استحقوا
عذابا اليما بسبب اتصافهم بما ذكر وتحقق وعيدهم بتقديم الظرف وتنكير العذاب ووصفه
بالالم فافهم والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت
الدال الاولى تاء وانما لم يقل اذا حضرهم الموت لان المتبادر منه الموت الغادر وهو ان
يموت جماعة معا وذلك لا يناسب مقام التغليظ للتقصير **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها** كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء
تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي
بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوها على سبيل الارث
كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه والتقييد بالكره لتعيين
الاخذ على سبيل الارث واظهار ما فيه من القبح فلا دلالة فيه على جوازه اذا كان طوعا وقرئ
كرها وهما لغتان فيه وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه **ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن** تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل وهو الحبس و
التضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه
كان احدهم اذا تزوج امرأة ولم يكن من صاحبة حبسها مع سوء العشرة معها وشكاسة
الخلق حتى تفتدي منه بمالها وتختلع فمنعوا عنه وقيل لهم ولا تحبسوهن لتأخذوا منها
بعض ما آتيتموهن من الصداق والواو لعطف الجملة على الجملة واما عطفه على ان ترثوا على
ان يكون الخطاب لمن خوطب فيما سبق فيأباه قوله ببعض ما آتيتموهن ولا ينتظم مع قوله
الا ان يأتين بفاحشة مبينة الاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن
للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بالفاحشة والمراد
بها شكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن
عليكم **وعاشروهن بالمعروف** بالانصاف في الفعل والاجمال في القول **فان كرهتموهن فعسى ان
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** قوله فعسى الخ علة للجزاء اقيم مقامه لاستلزامه اياه اي فلا
تفارقوهن لكراهة النفس واصبروا واحبسوا عليهن مع الكراهة فعسى ان تكرهوا شيئا و
هو خير لكم ونوّن خيرا تعظيما ووصفه بالكثرة مبالغة **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج** اي ان اردتم

ان يكون

على ان تتزوجوا بزوج مكان زوج مستبدلين بها اياها وتصوير الكلام في هذه الصورة لتعيين
التطليق لرغبة في تجديد الفراش لا بسبب من جهتها فانه يجوز اخذ المال في مقابلة الطلاق
وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس **قنطارا** مالا كثيرا
ضمن الكلام الاشارة الى جواز المغالات في الصدقات ولهذا تعرض لكثرة ما اعطى والاشارة
الى جواز الاستبدال مع تعددها ولهذا ادى بعبارة تفصح عنه وكان يكفي ان يقول وآتيتم
اياها **فلا تأخذوا منه** من القنطار **شيئا** قليلا **أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** باهتين وآثمين
والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتفعلون هذا مع ظهور قبحه وقيل يحتمل انتصابهما على العلة
وان لم يكن غرضا كقولهم قعدت عن الحرب جبنا وفيه ان الاثم ليس بعلة للاخذ بل الامر
بالعكس وتخصيص البهتان بالذكر لانهم كانوا اذا ارادوا تزوج جديدة بهتوا التي تحتهم بفاحشة
حتى يلجئوها الى الافتداء منهم بما اعطوها ليصرفوه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يبهت لانه اذا كان عن قصد يكون افكا والافك اذا كان على الغير يكون افتراء و
الافتراء اذا كان بحضرة المقول فيه يكون بهتانا لانه يبهته ويتركه متحيرا من بهت
اذا دهش وتحير **وكيف تأخذونه** انكار لاسترداد المهر **وقد افضى بعضكم الى بعض** والحال
ان معكم ما يصرف عنه والافضاء هو الخلوة من الفضاء وهو المفازة الخالية كذا فسره
الكلبي وهو حجة اصحابنا في ان المهر يتأكد بالخلوة الصحيحة من غير وطء **واخذن منكم ميثاقا
غليظا** الميثاق العهد الوثيق والغليظ المبالغة فيه وهو قوله تعالى فامساك بمعروف
او تسريح باحسان والله تعالى اخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كأخذهن وقيل هو قول
الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وكان
ذلك معتادا في السلف **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم** وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة
وقيل مصدرية على ارادة المفعول من المصدر وفيه اباه البيان بقوله **من النساء** وزانه
وزان في الارض في قوله وما من دابة في الارض فانها تأكيد لما في ما نكح من العموم **الا ما
قد سلف** قيل استثناء من المعنى اللازم للنهي كانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح
آباؤكم الا ما قد مضى قبل التحريم او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما
قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف
لا مؤاخذة عليه لانه مغفور وتعقب على ان هذا هو الوجه **انه كان فاحشة** علة للنهي
وزيادة كان للدلالة على انه لم يرخص فيه في شريعة من الشرائع **ومقتا** ممقوتا والمقت

عبارة القاضي لانه مقرر والصواب ما قدرنا على ما ... عليه

البغض باستحقار وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله كانوا ينكحون زوجات ابائهم وناس من ذوي مروآتهم يمقتونه ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يسمى المقتي ولذلك قيل فاحشة ومقتا اي فاحشة في دين الله تع مفرطة القبح مقتا في المروة والعرف ولا مزيد عليها بجمع التقبيح شرعا وعرفا وبه تزاد على الزنا فانه تع قال فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت** اراد تحريم التمتع بهن لان المفهوم في العرف من حرمة عين حرمة ما هو المقصود منه ويلزمه حرمة النكاح لانه موضوع لملك المتعة فلا يصح دونه والام حقيقة هي الوالدة وفي معناها كل امرأة ترجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك والبنت هي كل ابنة ولدتها وفي معناها كل انثى ترجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او ذكور والاخت كل من جمعك واياها صلب او بطن والخالة كل من جمع اباك واياها صلب او بطن وفي معناها من جمع جدك قريبا كان او بعيدا واياها صلب او بطن والخالة من جمع امك واياها صلب او بطن وفي معناها من جمع جدتك قريبة كانت او بعيدة واياها صلب او بطن وبنوا فل الاخ والاخت وان بعدت داخلات في الحكم بالذكور يدلين او بالاناث والاخوة من اي جهة كانت **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله تع الرضاعة منزلة النسب حتى يسمى المرضعة اما والمراضعة اختا فلزم منه ان زوج المرضعة ابوه وابويه جداه واخته عمته وكل ولد وولد ولد من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومنه قوله ع م يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا الحرم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطوه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع وفي الحصر نظر لان ام النافلة وجدة الولد ايضا يحرمان من النسب لان ام النافلة زوجة الابن وجدة الولد ام الزوج ولا يحرمان من الرضاع كمن ارضعت ولد ولدك وكام اجنبية ارضعت ولدك هذا بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه ان الحرمة في الصور المذكورة بالمصاهرة دون النسب فلا حاجة الى الاستثناء اصلا **وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لانها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من اخر سمي به لانه يربيه كما يربي ولده

في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما لولد المرأة وان لم يربه وقوله في حجوركم كناية عن كونهن في ولايتهم وحمايتهم وقالوا ان ذكره خرج مخرج العادة لا مخرج الشرط ولهذا اكتفى في موضع الاحلال بنفي الدخول وهذا بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه هو انه تقوية العلة وتكميلها والمعنى اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او من شانهن وحقهن الكون فيه قوي الشبهة بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان يجروا مجراهم وعلى هذا اي على تقدير ان يكون المعنى على ما قرر من تعميم المراد للتي من شانها ان يكون في احتضانهم كما هو مقتضى كون الوصف الذي لتقوية العلة يكون ذلك الوصف تقييد اللحرمة والاكتفاء في موضع الاحلال بنفي الدخول لا يستلزم انتفاوه انتفاؤه ومن نسائكم حال من ربائبكم او صفة او من جملة الصلة اي اللاتي من نسائكم وهو اولى بنظم الكلام والمعنى ادخلتموهن الستر وهي كناية عن الجماع وعندنا يقوم اللمس مقامه ولا يجوز ان يكون اللاتي وصفا لنسائكم من قوله وامهات نسائكم لعدم الحاجة في افادة المعنى المراد الى قوله من نسائكم والكلام البليغ يجب صونه عن الحشو والباء في بهن للتعدية والرسول ع م فرق بين ام المرأة وبنتها فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وهذا الدخول شرط بالاجماع بخلاف كون الربائب في حجورهم فانه خرج على الاغلب وليس بشرط عند عامة العلماء **فان لم تكونوا دخلتم بهن** اريد استمرار النفي لا نفي الاستمرار نفي الكون معدوم في الاعتبار **فلا جناح عليكم** اي في نكاح الربائب وهذا البيان مهم عند من لا يقول بحجية المفهوم وعند من قال بها فائدته دفع القياس **وحلائل ابنائكم** زوجاتهم سميت حليلة لحلها لزوجها او لحلولها معه في محل **الذين من اصلابكم** بالذات او بالواسطة احترز به عن المتبنى لانهم يجعلونه كولد الصلب لا عن الابن عن الرضاع **وان تجمعوا بين الاختين** في محل الرفع عطف على ما قبله من المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين في التمتع ويلزمه حرمة الجمع بينهما بالنكاح لما قدمناه دون ملك اليمين لانه يجامع حرمة التمتع كما في الامة المجوسية والاخت رضاعا ولا دلالة في قوله تع او ما ملكت ايمانكم على حل المملوكة على كل حال فلا يعارض هذا القول الدال على حرمتها في بعض الاحوال حتى يحتاج الى الترجيح **الا ما قد سلف** استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف منكم مغفور لقوله **ان الله كان غفورا رحيما** وروي هشام عن محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب ونكاح الاختين معا فلذلك قال هنا كـ ولا تنكحوا ما نكح

آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف وقالهمنا وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف والمحصنات من النساء
بفتح الصاد اي اللاتي احصنهن التزويج وقرئ بكسرها اي اللاتي احصن فروجهن بالتزويج والاحصان
العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام الا ما ملكت ايمانكم يعني من اللاتي سبين
ولهن ازواج بدون ازواجهن فان الفرقة انما تقع بتباين الدارين لا بالسبي ولا تحل العدة و
تحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء ولا مساغ لاخذه على عمومه فانها ان كانت مجوسية او محرمة
بسبب الرضاع او المصاهرة او بسبب آخر او مشتراة وهي ذات زوج لا تحل لمالكها فلا يكون
حجة على ابي حنيفة في قوله لو سبي الزوجان معا لا يرتفع النكاح ولا تحل للسابي كتاب الله عليكم
مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وهو تحريم ما حرم واحل لكم عطف على كتب المقدر
الناصب يدل عليه قراءة كتب الله عليكم واحل لكم وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه
فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول عطفه على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى
المذكور من الاصناف المحرمة بالنسب او الرضاع او المصاهرة او الجمع وما ثبت حرمتها بالسنة
ليست بخارجة منها الكاف والميم في ذلكم خطاب للرجال والذال اشارة الى المذكور قبله
من المحرمات ولو اشار اليها لقال وراء تلكم ان تبتغوا باموالكم مفعول له اي لان تبتغوا
باموالكم ما احل لكم من النساء ويجوز ان يكون بدلا من وراء ذلكم على الاشتمال والا
ان لا يقدر المفعول اي ليصدر منكم الابتغاء باموالكم وهو اخراجها في مهور النساء واشتراء
الاماء محصنين حال غير مسافحين صفة او حال اخرى والسفاح الزنا من السفح وهو صب
الماء باطلا وسمي السفاح وهو المسرف في القتل وفي الزنا تضييع الماء لعدم ثبوت النسب
والمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم لاجله تضيعوا اموالكم فيما لا يحل لكم فتخسروا في دنياكم ودينكم
وتجمعوا بين الخسرانين وفي الآية دلالة على انه لا نكاح الا بمهر من جنس المال فما استمتعتم
به منهن من جماع ودواعيه والخلوة الصحيحة اقيمت مقامه ولفظة ما يدل على ان يسير
النفع يوجب ايتاء الاجر فآتوهن اجورهن مهورهن والاجر بدل منافع العين في الاجارة
وبدل منافع البضع في النكاح فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او مصدر وضع
موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة مفروضة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من حط شيء منها او هبتها كلها منه او زيادة
عليها او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت
ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت وهي عقد النكاح الموقت على ما بين في محله ان الله كان
عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واصله الفضل

والزيادة

والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات لان ينكح الحراير لقوله فمن ما ملكت ايمانكم يعني الاماء المؤمنات
قال الشافعي لا يجوز نكاح الامة الكتابية بناء على مفهوم الوصف ولا نكاح الامة المسلمة عند القدرة
على مهر الحرة ونفقتها بناء على مفهوم الشرط وكلا المفهومين ليس بحجة عندنا على ان اللازم على
تقدير حجية المفهوم عدم اباحة نكاحها ويجوز ان يكون ذلك لكراهته لا لعدم صحته ونحن لا
ننازع فيها والله اعلم بايمانكم تانيس بنكاح الاماء وازالة للاستنكاف منه اي اعلم بتفاصيل
ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان فربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وايمان المرأة ارجح
من ايمان الرجل ولا ينبغي للمؤمن ان يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام
لا بالاحساب والانساب وقوله بعضكم من بعض تاكيد لذلك المعنى اي انتم وارقاؤكم متواصلون
ومتناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن اي مواليهن اعتبارا اذنهم دون
مباشرتهم ظاهر في انعقاد النكاح بعبارتهن اذ لو كانت مباشرتهم او مباشرة وكيلهم شرطا
لكان المهم ذكرها لا ذكر الاذن لان ذكره لا يغني عن ذكرها وذكرها يغني عن ذكره وآتوهن اجورهن اي
وآتوا مواليهن مهورهن فحذف لانهن وما في ايديهن ملك الموالي فكان الاداء اليهن اداء الى
الموالي وقال مالك ليس للسيدان ياخذ مهر امته ويدعها بلا جهاز بالمعروف بغير مطل وضرار
ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان
اخلاء في السر كان زنا هن في الجاهلية من وجهين بالسفاح وهو بالاجر بكل من رغب فيها
والمخادنة في صديق لها على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثاني سرا فاذا احصن
بالتزويج فان اتين بفاحشة بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحراير من العذاب اي ما على
الحراير من الحد وهو الجلد لان الرجم لا ينتصف والعذاب المعهود ههنا هو الحد قال تعالى
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وقوله فاذا احصن ليس لنفي الحد عنها اذا
لم تنكح بل لبيان انها بالنكاح لا يزداد حدها ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت
منكم خاف الاثم الذي قد يقع فيه من غلبة الشهوة العنت في الاصل انكسار العظم بعد
الجبر مستعار لكل مشقة فادحة لاشتراكهما في الضرر والالم ولا ضرر اعظم من مواقعة
المأثم بالتحنث القبايح وقيل المراد الحد اخذ الشافعي بظاهر الآية وقال لا يجوز نكاح
الامة الا بثلث شرايط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث في
المنكوحة وهي ان يكون مؤمنة وهذه الاشياء عندنا للاختيار لا للاشتراط وان
تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء خير لكم لان فيه ارقاق الولد وقال عم الحراير
صلاح البيوت والاماء هلاك البيوت والله غفور للزنا باقامة الحد اذا احتسب في ذلك

رحيما اذا جعل العذاب عليه الحد في الدنيا لا العقوبة في الآخرة يريد الله ليبين لكم
ما هو خفي عنكم من مصالح دينكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد ارادة
التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب لا لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة
فانه لا ينبغي ان يخطر بالبال في مثل هذا المقال ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقتهم ويتوب عليكم ويقبل توبتكم اذا رجعتم اليه
بسلوك مناهجهم والله عليم بمصالح عباده حكيم فيما شرع لهم والله يريد تقديم اسم الله
على الفعل للاختصاص مع تقوي الاسناد اي والله خاصة يريد ارادة تامة ان يتوب عليكم
بسلوك طريق الحق التي هديكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة اتباع الشهوة في
كل حال مذموم لان ذلك ايتمار لها من حيث ما دعت الشهوة اليه اما اذا كان الاتباع
من حيث العقل او الشرع فذلك هو اتباع لهما لا للشهوة وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم
يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا الى الباطل عن القصد و
الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات ميلا التنكير للتكبير عظيما توصيفه بالعظم للمبالغة
فانه فوق الكبير وهو المناسب لمقام التنفير والتحذير ولقوة ارادتهم وضعف ارادتهم
واستلزامها للمراد وتخلف مرادهم عن ارادتهم قدم على الفعل واخرهم عنه يريد الله ان
يخفف عنكم باحلال نكاح الاماء وسائر الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوة ولا
يتحمل مشاق التكاليف يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الغير المشروع
كالشركة والمضاربة الفاسدتين والربوا والقمار واما السرقة والغصب ونحوهما فلا يناسب
قوله بينكم الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن
تراض غير منهي عنه اي اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة تجارة اي تجارة صادرة
عن تراض المتعاقدين وخص التجارة بالذكر لانها اكثر اسباب الرزق يتعلق بها وقرئ
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة
ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين فانهم كنفس واحدة او لا تقتلوا
انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن
العاص تاوله في التيمم لخوف البرد ولم ينكر عليه النبي عم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها جمع
في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها
استبقاء لهما ريثما يستكمل النفوس ويستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار
اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما ما نهيكم عما يضركم الا لرحمة عليكم وقيل معناه ان الله كان بكم

بالامة

بالامة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى قتل النفس اي
ومن يقدم على قتل النفس عدوانا وظلما لا اقتصاصا وعدلا والمراد من العدوان التعدي على الغير
ومن الظلم الاتيان بما لا يستحق فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى
وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء على ان الضمير لله تعالى او لذلك
من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه الاجتناب التباعد والكبائر جمع كبيرة وهي الفعلة العظيمة الاثم وقد اضيفت
الى جميع المنهيات وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر نستر عنكم سيئاتكم من الصغائر واضيف
السيئات الى المخاطبين لان المراد الذنوب التي فعلوها ولم يضف الكبائر اليهم لان المراد منها
ما اجتنبوا عنها وفي عبارة الاجتناب اشارة الى تلك الكبائر مما يعترض الناس في طريق
معاشه ومكاسبه ومعاملته فالاحتراز عنها لا يخلو عن مشقة وكلفة فتلك الكفارة جزاؤه ولو
قيل ان لم تفعلوا لفاتت تلك الفائدة والكبيرة والصغيرة وصفت كل واحدة منهما بالقياس
الى صاحبتها فكل ما كانت المخالفة فيها اكثر والنهي عنها اغلظ كان اكبر وبالعكس والتكبير
مبالغة في سترها بجعلها كان لم يكن حيث لا عقاب عليها وعن امير المؤمنين علي رض الكبائر
سبع الشرك بالله والقتل والقذف والربوا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب
بعد الهجرة وزاد ابن عمر رض السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رض ان رجلا قال
له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وفيه ما فيه وقيل اراد بها ههنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء وفيه نظر وكان هذا القائل غافل عن الفرق بين ما دون ذلك وبين
غير ذلك ولم يتنبه لوجه العدول عن الثاني مع كونه اخصر واظهر الى المنزل وندخلكم مدخلا كريما
بضم الميم وهو مصدر او مكان الادخال وهو الجنة وبفتحها وهو مكان الدخول او مصدر منصوب
بفعل محذوف تقديره فيدخلون مدخلا حذف لدلالة الفعل المصاحب عليه ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض نهوا عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض الكمال من الجاه والمال والعلم
مع قطع النظر عن كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى على ما
اقتضته حكمته فليرض كل واحد بما قسم له علما بانه هو الذي فيه صلاحه ولا يذهب عليك
ان موجب هذا ان يكون التمني المذكور منهيا سواء كان مقارنا للطلب او لم يكن فمن وقف
بالتعليل المذكور ثم قال وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمنيه ما لم
يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب

ضايع وباطل لم يكن على بصيرة ثم ان قوله معارضة لحكم القدر مبناه الغفول عما بين في موضعه من انه
لا حكم للقدر والا يلزم الجبر وبطل التكليف ثم ان التمني الاختياري في معرض المنع اذ يحتمل ان يكون
ما قدر له بغير كسب منه وطالبا بالتمني فلا يلزم المحذور المذكور **للرجال نصيب مما اكتسبوا**
وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء نصيب مقدر على ما يقتضيه الحكمة
فلا ينبغي للمفضول ان يتمنى نصيب الفاضل ونسب الكسب اليهم وجعل النصيب منه لانه جعل
سعيه سببا لوصول ما قدر له اليه **واسئلوا الله من فضله** اي لا تتمنوا انصباء غيركم
من الفضل فانه طلب للمحال ولكن سلوا الله من خزائن جوده التي لا تنفد **ان الله كان بكل**
شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيتفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت
ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم
فنزلت **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون** مما ترك صفة
لكل مبينة له اي لكل شيء مما ترك الوالدان جعلنا وراثا يلونه ويحرزونه ولكل احد
مفعولي جعل وصفة لمحذوف على ان جعلنا موالي صفة لكل اي ولكل قوم جعلناهم موالي
نصيب مما ترك الوالدان والراجع محذوف وهو احد مفعولي جعل ولكل خبر مبتدا محذوف
وهو نصيب ولا يجوز ان يكون المعنى ولكل ميت جعلنا وراثا مما تركه اذ لا يلزم ان يكون لكل
ميت وارث فضلا ان يكون وراثا من الوالدين والاقربين **والذين عقدت ايمانكم** موالي
الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة اذا تعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق
الموالاة خلافا للشافعي وحمله على الازواج على ان العقد عقد النكاح يأباه قوله ايمانكم
وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره **فآتوهم نصيبهم** او منصوب بمضمر يفسره ما بعده
كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عما تقدم والضمير
للموالي وقرئ عقدت بمعنى عاقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى **ان الله كان على كل شيء شهيدا** تهديد لمن خالف
الامر **الرجال قوامون على النساء** يقومون عليهن آمرين ناهين كالولاة وعلل ذلك بامرين
موهبي وكسبي فقال **بما فضل الله بعضهم على بعض** بسبب تفضيله الرجال على النساء والتعبير
عنه على وجه الابهام للايهام بان هذا التفضيل من جملة التفضيلات الواقعة في القسمة الازلية
على مقتضى الحكمة المذكورة فيما تقدم بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وفيه دليل
على ان الرجال انما يستحقون الولاية عليهن بالفضل لا بالتغلب والقهر وهو كمال العقل

وحسن التدبير وقوة العزم والحزم ومزيد القدرة على الطاعات وسائر الاعمال ولذلك خصوا بالنبوة والولاية والامامة
واقامة الشعائر ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها **وبما انفقوا** وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم في مهورهن ونفقاتهن روي ان سعد بن ربيع نشزت عليه امرأته فلطمها
فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد
الله امرا والذي اراد الله خير ثم بين ان النساء نوعان فالفاء في قوله **فالصالحات** لتفصيل
المجمل المفهوم مما تقدم **قانتات** اي النساء الموصوفات بالصلاح هن المطيعات لله القائمات
بحقوق الازواج **حافظات للغيب** اي لغيبة الازواج والمعنى لموجب الغيبة اي يحفظن في
غيبة الازواج ما يجب عليهن حفظه من الفروج والاولاد والبيوت والاموال وقيل لما
غاب من الحسن من اسرارهم والوجه هو الاول لما روي عنه عليه السلام خير النساء امرأة ان
نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا
الآية **بما حفظ الله** بحفظ الله اياهن يعني ان حفظهن للغيب ليس من قبل انفسهن بل ذلك
بحفظ الله تعالى اياهن لذلك وقيل بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد ويرد
عليه انه لا اختصاص لحفظ الله تعالى بهذا المعنى بالنوع الاول منهن ومن لا من الاصلاح نوبا
قوله والتوفيق له لم يجد ان الذي زاده وجه مستقل ومعنى تام وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على ان ما موصولة اي بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن
والشفقة على الرجال **واللاتي تخافون نشوزهن** عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج
من النشز **فعظوهن** قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية
ويرغب الطبائع النافرة وهو بتذكير العواقب **واهجروهن في المضاجع** اي اذا لم ينفع
الوعظ وظهر النشوز فادبوهن بالهجر وهو القطع والمضاجع جمع مضجع وهو موضع
وضع الجنب للنوم ولم يرد به التبعد عن مضجعه ولذلك لم يقل عن المضاجع بل اراد ان
لا يلاطفها وهما في مضجع واحد اعلاما بالعتب والموجدة **واضربوهن** اي اذا لم ينفع الكف
بالهجران فادبوهن بالضرب لاصرارهن على النشوز وهو ضرب لا جارح ولا فاحش
ولا شاين وما ذكر من الترتيب مع النظم بالواو مستفاد من قرينة المقام وسوق الكلام
للرفق في اصلاحهن وادخالهن تحت الطاعة **فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** فلا تتعرضوا
لهن بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد الرجوع الى الطاعة وترك النشوز
ان الله كان عليا كبيرا يعني انكم تعصون الله تعالى مع علو شانه وكبرياء سلطانه ولا يواخذكم
باول الحال ويدعو الى التوبة ويقبل اذا تاب ولا يواخذ بما قد كان والعبد احق بذلك

وفي ذكره علوه وكبره تحذير للعبد ومنع عن مجاوزة الحد فيما يعيبه عليها على وجه التأديب وان خفتم
الخطاب للولاة الامر شقاق بينهما خلاف بين المرأة وزوجها اضمرهما قبل الذكر لذكر ما يدل عليهما
واصل الشقاق ان تصير احدهما في شق والآخر في شق بالمخالفة والمباعدة واضافته
الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهاره صائم
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين
رجلا عدلا مرضيا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها لان الاقارب
من الطرفين اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وتسكن اليهم نفوس الزوجين وتبرز
ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وهذا
على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات
ولا يساعده نظم الكلام كما لا يخفى على ذوي الافهام واختلف في انهما يليان الجمع
والتفريق بينهما بحسب ما رأيا او لا الا باذن الزوجين والاصح ان ذلك اليهما وما
جعلا حكمين الا وإليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وبه استدل على جواز التحكيم
ان يريدا اي الحكمان اصلاحا لذات البين يوفق الله بينهما اي اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين انما ذكر ارادة الاصلاح والتوفيق بينهما واهمل ذكر التفريق مع كون الحكمين
منصوبين لما رأيا من الامرين جميعا حثا لهما وبعثا للزوجين على الوفاق والجمعية و
الالفة وردعا لهما عن الخلاف والتقاطع والفرقة وترجيحا للاول على الثاني وقيل
الضميران كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل
مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اريدا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما
الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان
الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الاشياء في العبادة او شيئا من الاشراك جليا او
خفيا وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى بكل من بينكم وبينه
قرابة من الجار ليفيد ان احسان ذي القربى بالاصالة لا بالتبعية واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى الذي قرب جواره وليس له اتصال نسب والالما فصل بينه وبين ذي القربى بالاجنبي
وقرئ الجار ذا القربى نصبا على الاختصاص تعظيما لحق الجوار والجار الجنب الذي بعد جواره
ولا قرابة له قال النبي عم الجيران ثلثة جار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار المشرك وجار
له حقان حق الجار وحق الاسلام وهو الجار المسلم وجار له ثلثة حقوق حق الجار وحق الاسلام

وحق القرابة وهو الجار المسلم القريب والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا
في سفر او شريكا في تعلم علم او حرفة وابن السبيل المسافر والضيف في حكمه وما ملكت ايمانكم من العبيد
ان الله لا يحب من كان مختالا تياها يتكبر عن اكرام اقاربه وجيرانه واصحابه وما ملكه فلا
يلتفت اليهم وقد سبق ان عدم المحبة عبارة عن البغض فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون
بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل امر ارشاد ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم بدل
من قوله من كان او صفة لمن قال مختالا لا حملا على لفظه من ثم قال الذين حملا على المعنى
او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين
يبخلون ويأمرون ويكتمون احقاء بالمقت والتعذيب واعتدنا للكافرين عذابا مهينا يهانون
به في الآخرة غاية الاهانة وهذا يستفاد من جعل الوصف امرا ظاهرا للزوم للموصوف
بحيث لا فائدة في ذكره ان لم يحمل على المبالغة والمعنى اعتدنا لهم ومنهم الذين قالوا الله
فيهم واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه
والعدول عن المضمر الى الظاهر للاشعار بان من هم الناس بالبخل واخفائهم ما انعم الله تعالى عليهم
من المال وسعة الحال اثر الكفر وفيه تنبيه على ان الكفران لنعمة الله تعالى من وادي الكفر قال
طاوس البخل هو ان يبخل الانسان بما في يده والشح هو ان يشح بما في ايدي الناس فهم جامعون
بين البخل والشح والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى
عطف على الذين يبخلون وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا
على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان الخ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا
بالانفاق مراضيه وثوابه ونفقة من لا يؤمن لا يكون لرضاء الله تعالى بل يكون لتزيين الشيطان
ولذلك ختم الآية بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل رذيلة
او حين يقترن بهم في النار فيكون وعيدا لهم في فساء ضمير مبهم قرينا تفسيره وبيانه
والمخصوص بالذم محذوف اي الشيطان وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ على الجهل بمكان
المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وايهام انهم في الاعتقاد بالرذايل والشغف
بالكفر والقبائح كانهم يعتقدون انهم معاقبون على ذلك ومعاقبون على اضدادها من الفضائل
والايمان والمحاسن وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد
الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف

اذا نقص المنافع ولما قصد في الآية الاولى ذمهم بالانفاق رياء لكونهم غير مؤمنين قدم ذكره وجعل ولا يؤمنون في موضع الحال تنبيهاً على ان ذلك منهم لكونهم غير مؤمنين ولما حثهم في هذه الآية على ما يجب ان يجدوه ابتداء بذكر الايمان تنبيهاً على ان انفاقهم غير معتد به الا بعد الايمان **وكان الله بهم عليما** اي اشتاتهم على علم بانهم لا يؤمنون ليعلم الخلائق ان تخالفهم اياه لا بضرة **ان الله لا يظلم مثقال ذرة** لا ينقص من الثواب الموعود ولا يزيد في العقاب شيئاً اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويدل عليه قراءة مثقال نملة والمثقال مفعال من الثقل وفيه تنبيه على ان الاعمال صور ومثالية لها ثقل وخفة وايماء الى الميزان **وان تك مثقال ذرة حسنة** وتانيث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحرف العلة وقرئ حسنة بالرفع على كان التامة **يضاعفها** يضاعف ثوابها وقرئ يضعفها والمعنى واحد **ويؤت** اي صاحبها **من لدنه** من عنده تفضلاً وفيه تنبيه على ان اطلاق الاجر عليه بحسب الوعد لا بناء على كونه تفضلاً في الحقيقة **اجراً عظيما** ما وصفه الله تعالى بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلاً وسمى هذا التفضل عظيما **فكيف** حال هؤلاء الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم **اذا جئنا من كل امة** من الامم السالفة **بشهيد** يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وذا اشارة الى وقت المجيء بالرسل للشهادة والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء** اي هذه الامة **شهيدا** لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود الذين كفروا** بالله **وعصوا الرسول** اي خالفوا امره ونهيه **لو تسوى بهم الارض** بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول في ذلك الوقت ويتمنون ان يسوى بهم الارض بان يكونوا من جملة الارض تراباً قال تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً وهذا لان الارض انما تسوى بشيء منها **ولا يكتمون الله حديثا** عطف على يود اي يودون ذلك ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم بذلك وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثاً ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض **يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى** اي لا تقربوا الى مواضع الصلوة وهي المساجد حالة السكر لعطف قوله ولا جنبا عليه وهو نهي الجنب عن قربان المساجد لان الاستثناء بقوله الا عابري سبيل في حق المساجد دون الصلوة ولا يجوز ان يكون معناه الا في السفر لان السفر

ليس يرخص فيه والمصير الى ان المعنى اذا لم يجد الماء وتيمم ارتكاب لتعسف ظاهر ثم انه على تقدير اعتبار الشرط المذكور لا يبقى فرق بين المسافر والمقيم والنهي عن قربان المساجد حالة السكر نهي عن الصلوة في تلك الحالة على ابلغ وجه بطريق الدلالة لان حرمة موضعها لحرمتها فما ذكر يطلق على سبب النزول دلالة وان لم ينطبق عليه عبارة وهو ما روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي صنع مادبة ودعا نفراً من الصحابة رض حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت ثم ان النهي ليس عن الصلوة لانها عبادة لا ينهى عنها بل هو نهي عن الافراط في الشرب في وقت يلزمه اداء الصلوة حالة السكر وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انه صفة الجماعة والسكر من السكر وهو السد **حتى تعلموا ما تقولون** بين ان السكر المانع هو ان يصير بحال لا يعلم ما يقول **ولا جنبا** عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة مع الواو في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر **الا عابري سبيل** متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال الا في حال العبور وصفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل قيل في نزوله ان رجالاً من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممراً الا في المسجد فانزل الله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل واضافة العابر الى السبيل لتخصيص الرخصة بحالة الضرورة بان لا يكون له سبيل الا في المسجد ولهذا قال ابو حنيفة لا يجوز المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق **حتى تغتسلوا** غاية النهي عن القربان حال الجنابة والتيمم بدل عنه فذكر الاغتسال يغني عن ذكره **وان كنتم مرضى** مرضاً يمنع عن استعمال الماء حقيقة كما اذا لم يكن عنده ماء ولا يقدر على الحركة وليس عنده ما يأتي به او حكماً كما اذا كان مرضه يشتد باستعمال الماء او يمتد **او على سفر** اي مسافرين اراد به البعد من العمران ومواضع الماء ولم يرد به كمال مدة السفر ولانه مسافر يجد الماء ولما ثبت ان الحكم لم يتعلق بعين المرض والسفر بل بمعنى فيهما وهو العجز عن استعمال الماء وانما علق بهما ظاهراً لان العجز عنه يقع فيهما غالباً ثبت ان الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز وظهر به صحة قول ابي حنيفة في اجازة التيمم للجنابة في المصر اذا عدم الماء الحار وخاف ان يضره الاغتسال بالماء البارد **او جاء احد منكم من الغائط** الغائط المكان المطمئن من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة قبل اتخاذ الكنف في البيوت والمجيء منه كناية عن الحدث ولما كان الاجماع في السفر منه وبخلاف التغيط فان الحدث

الانزاد عن الاسلوب ولم يقل او جنتم من الغائط واما قوله او لامستم النساء فمطابقة مقابله بالجمع فنبه ايضا روعي ايضا ما هو المندوب وقرئ لمستم اي جامعتم فاجنبتم قال ابن عباس رض الملامسة واللمس والمباشرة والافضاء كناية عن الجماع فلم تجدوا ماء حقيقة او حكما اذا لم يكن متعذر الاستعمال لمانع او يكون في استعماله نوع حرج لضرر بدني او مالي بقي ههنا اشكال وهو ان الجمع بين الامور المذكورة في الشرط المرتب عليه جزاء واحد وهو الامر بالتيمم عند فقد الماء مع ان سببية الاوليين انما هي للترخص والثالث لوجوب الوضوء والرابع لوجوب الغسل وليس الامر بالتيمم معنى واحدا يعم الكل ووجه حله هو ان القصد الى الترخص في التيمم بالتراب لكل من وجب عليه التطهر ولم يجد الماء فيتقيد عدم الوجدان راجع الى الكل وقيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة الذين هما من اغلب اسباب وجوب التطهر معتبر في الكل حتى المرضى والمسافرين وذكرهما تخصيص قبل التيمم بناء على زيادة استحقاقهما للترخيص بغلبة المرضى والسفر على سائر اسباب الرخصة فكأنه قيل اجاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء ولم تجدوا ماء خصوصا المرضى والمسافرين فتيمموا او وجه سببية مضمون الجزاء ظاهر فتيمموا صعيدا طيبا التيمم القصد والصعيد وجه الارض والطيب الطاهر ويجوز التيمم بكل ما كان من اجزاء الارض عند ابي حنيفة رض لزق بالكف او لم يلزق عملا باطلاق النص وعند محمد كذلك لكن اذا لزق بالكف لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وعند ابي يوسف الصعيد هو التراب والرمل وعند الشافعي هو التراب لا غير والطيب المنبت من الارض عنده واللائق بموضع الطهارة انما هو المعنى الاول وشرط من التبعيضية وهو وضع بعض موضعها منتف ههنا اذ لو قيل فامسحوا وجوهكم وايديكم بعضه افادت الخط جعل الصعيد ممسوحا والعضو من الة وهو فاسد بالاتفاق فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق لانه بدل عن الوضوء فيتقدر بتقدير الاصل والاية تيمم ومسح يده الى مرفقيه ومسح الشيء امرار اليد على الشيء فتقول مسحت برأسي ومسحت رأسه بيدي ان الله كان عفوا غفورا اشارة الى وجه الترخيص والتيسير لان من كانت عادته العفو والخطايا والغفران عن المذنبين فلان يكون ميسرا غير معسر احرى الم تر الى الذين اوتوا كلمة تعجب عن امر قد يلمع المخاطب فيخرج مخرج التذكير او لم يبلغه فيخرج مخرج التعليم من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وتعديته بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا حظا وتنكيره يحتمل التعظيم والتحقير من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان يشترون الضلالة يستبدلون اليهودية التي هم عليها بالهدى الذي هو دين الاسلام لتمكنهم منه بعدما تبين لهم

156

من علم الكتاب انه الحق ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق وتنخرطوا في سلكهم والله اعلم منكم باعدائكم اخبركم بعداوتهم وما يريدون بكم فتحذروا اياهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا ينصركم عليهم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانه متناول لليهود والنصارى والجمل الثلث توسطت بينه وبين المبين على سبيل الاعتراض الاولى للتصريح بالاولى الى سببه لان المخالفة في الدين سبب العداوة والباقيتان لتشجيعهم وتقوية قلوبهم في عدم المبالاة باعدائهم ولذلك كرر وكفى بالله لتقرير معنى كفاية الله تعالى عنهم في نفوسهم وان ولاية الله تعالى بالانفراد كافية لهم كما ان نصرة الله وحدها كافية او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض ويجوز ان يكون صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا او كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه والكلم والكلمة كالتمر والتمرة على انه اسم جنس فرق بينه وبين واحده بالتاء لا على انه جمع ولهذا ذكر ضميره واما جمع المواضع فلتكرره في التورية في مواضع بحسب الجنس وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام على انه جمع كلمة تخفيف كلمة وتذكير الضمير على هذه القراءة لارادة جنس الكلم ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك ينبو عنه فيكون مفعولا به واما ما قيل واسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه فيأباه السياق وكونه على قصد النفاق لا يحتمله السياق لانهم بقولهم وعصينا اظهروا الخلاف والشقاق وراعنا انظرنا نكلمك ونفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها وطعنا في الدين كانوا يقولون له السام عليك فيخرجون ويقولون لو لا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان هو على الدين الحق فلماذا يعذبنا الله بهذا ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا انهم قالوا فاعل فعل محذوف دل عليه معنى الثبوت والتحقيق في ان اي ولو ثبت انهم قالوا يعني ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوا والضمير المستكن في لكان يرجع الى هذا القول خيرا لهم واقوم واعدل ولكن لعنهم الله خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بكفرهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل ويجوز ان يراد بالقلة

العدم لانه رديفها في الغالب اي لا يؤمنون الا ايمانا معدوما على طريقة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال كقوله
ما بعد الا موافقا لما قبلها في المعنى ولا يجوز ذلك في الاستثناء وكذا لا يجوز ان يكون المعنى الا قليلا
منهم آمنوا او سيؤمنوا لعدم صحة نسبته عما تقدم فافهم **يا ايها الذين اوتوا الكتاب** خطاب
لليهود والنصارى **آمنوا بما نزلنا** وهو القرآن **مصدقا لما معكم** من الكتاب الذي انزل على
نبيكم يعني التورية والانجيل متضمنا صفة النبي عم وصحة ما جاء به **من قبل ان نطمس وجوها فنردها**
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها
في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس محو الاثر وازالة الاعلام وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة
الصورة ويطلق القلب في التغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب
وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات
الشام يعني اجلاء بني النضير او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم
الاسماع عن سماع الحق بالطبع ونردها عن الهدى الى الضلالة **او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت**
نخزيهم بالمسخ كما اخزينا اصحاب السبت به او باللعن المتعارف والضمير لاصحاب الوجوه
لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به
الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا
ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم
ايمانهم وقد امن بعضهم **وكان امر الله** بايقاع شيء **مفعولا** كائنا انما المنتظر ابداؤه بالنظر الى
المعتد به حتى لا ابداع عند المجرد عنه **ان الله لا يغفر ان يشرك به** لانه بت الحكم على خلود
عذابه وبتاركه في الحكم المذكور ما في منزلته وهو سائر وجوه الكفر فان الحكم على خلود عذا
بها ايضا قد بت ولوجود هذا القسم قال **ويغفر ما دون ذلك** ولم يقل يغفر غيره مع انه اخصر
واظهر دلالة على المراد على تقدير عدم قسم آخر فتدبر والله الهادي الى الرشاد وانما قال
لمن يشاء مع انه معلوم ان المغفرة لا تكون الا بمشيئة الله للدلالة على انها لا تعم والاشارة
الى ما دون الشرك بخلافه من حيث ان المشيئة لا تتعلق بمغفرته اصلا **ومن يشرك بالله**
فقد افترى فقد ارتكب مفتعلا ما لا يصح كونه **اثما عظيما** يستحقر دونه الآثام
ويجوز ان يكون المعنى فقد افترى امرا عظيما وذلك الامر لكونه سببا للاثم عبر عنه بالاثم
مبالغة كما عبر بالنار عن موجبها في قوله فاتقوا النار وهذا الحمل وجه اشارة الى المعنى الفارق
بينه وبين سائر الذنوب **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه

ولن

ولن تمسنا النار الا اياما معدودة وانا نعلم ابناءنا الصغار النورية فتكفر بذلك ذنوبنا فتصيبها كانتنا
لا ذنب لنا وفي ذلك غض على من يزكي نفسه بزيادة الطاعة والتقوى **بل الله يزكي** بل اضراب
من تزكيتهم انفسهم وانما قدم الله على الفعل للتخصيص اي لا يزكي احد نفسه ولا غيره
فانه غير معتبر ولا معتد به اذ لا علم لاحد بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح بل الله خاصة
يزكي **من يشاء** من المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء واصل التزكية نفي ما يستقبح
فعلا او قولا **ولا يظلمون فتيلا** اي ادنى قليل من الظلم والفتيل وهو ما يفتل من الوسخ عند
ذلك الاصبع بالاصبع مثل في القلة اي يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم الموعود شيء
انظر كيف يفترون على الله الكذب بقولهم نحن عند الله ازكياء **وكفى به** بافترائهم هذا **اثما**
مبينا من جملة آثامهم **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا** قد سبق تفسيره في هذه السورة **يؤمنون بالجبت والطاغوت**
الجبت في الاصل اسم صنم ثم اطلق على كل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وكل رأس في
الضلال نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد
ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم **هؤلاء** اشارة اليهم **اهدى من الذين آمنوا** اخذوا المفعول
لا احتضانا بل احتقارا **سبيلا** ارشد دينا واقوم طريقا **اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله**
فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بالنصرة والخطاب لكل احد **ام لهم نصيب من الملك** ام منقطعة
ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك والتنكير في نصيب للتحقير فعبه حجة على
ابلغ وجه لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم **فاذا لا يؤتون الناس نقيرا** النقير
النقرة في ظهر النواة اذ انه لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير
لفرط بخلهم وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنكم
بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز
فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ لا يؤتوا على النصب ثم انتقل من هذه الخصلة
الذميمة الى خصلة اشد منها وهي الحسد فان البخل منع الخير وصول خير من نفسه
الى الغير والحسد تمني زوال ما اعطى الله للغير من الخير فقال **ام يحسدون الناس** انكار
لحسدهم رسول الله عم والمؤمنين على ما اتاهم الله به من النصرة والغلبة وازدياد
العز والقوة والتقدم كل يوم واللام في الناس للعهد كانهم الناس بالحقيقة وما عداهم
من اليهود ليس بالناس **على ما آتاهم الله من فضله** يعني النبوة والكتاب والنصرة و
الاعزاز **فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما** الزام لهم بما عرفوه من ايتاء
الله من الكتاب والنبوة والملك العظيم الى ابرهيم الذي هم اسلاف محمد عم وانه ليس ببدع

ابو نبوة الله مثل ما اوتي اسلافه فمنهم من اليهود من آمن به بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم
من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او فمنهم من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل
ابرهيم عم من آمن بنبوته ومنهم من كفر فلا تتعجب من قومك فان احوال جميع الامم
هكذا وذلك تسلية له عم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها ان لم يعجلوا
بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كالبيان والتقرير لذلك وتنكير نارا للتعظيم قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد
والوعيد وقد ترد في الوعد ايضا كلما نضجت جلودهم اي بلغت الى حد لا تتأثر من
الاحراق بدلناهم جلودا غيرها اي اعدنا تلك الجلود غير محترقة قال ابن عباس رضي الله عنه
يوم تبدل الارض غير الارض ان الارض تلك الارض لكن بدلت آكامها وجبالها وانهارها
وانهارها والجملة في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب في نصليهم ليذوقوا العذاب
ليتجدد لهم ذوق العذاب ولما كان تأثر الذائقة اسرع واقوى من تأثر اللامسة
استعير الذوق لادراك اللامسة مبالغة في التأثر عن العذاب وقيل يخلق مكانه جلد
آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان
عزيزا حكيما العزيز القادر الغالب والحكيم الذي لا يفعل الا الصواب انما قال لانه قد
يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص الضعيف الى هذا الحد العظيم
ابد الاباد فقيل ليس هذا بعجب لانه القادر على ذلك وكما انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضي
ذلك والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات الوعد والوعيد معا فبان في الذكر غالبا
وقدم الوعيد ههنا لان الكلام في الكفار تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد سبق
تفسيره لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال
ليل اليل ويوم ايوم وهو ما كان مطبقا لا فرجة فيه ودائما لا ينسخه وسجسجا لا حر فيه
ولا برد ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة كان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة
ولهذا جعلوه كناية عن الراحة قال عم السلطان ظل الله في الارض فلا يتجه السؤال بان يقال
اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل ان الله يأمركم ان تؤدوا بان
تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان كان سبب النزول خاصا
اخذ رسول الله عم مفتاح الكعبة من سادنها ورده لهم بعد نزول هذه الآية واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل والعدل يقابله الجور والانصاف يقابله الظلم ان الله
نعما يعظكم به ما في نعما نكرة موصوفة منصوبة اي نعم شيئا يعظكم او معرفة موصولة مرفوعة

اي نعم الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي ذلك يعني المأمور به من اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل
ان الله كان سميعا باقوالكم واحكامكم بصيرا بما تعملون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا كرر لفظ
اطيعوا تعظيما لامر الرسول عم ولهذا اي لما ذكر من ان تكريره للتعظيم ترك اعادته في قوله واولي الامر
فرقا بين الطاعتين في التعظيم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل امر الناس بان
يطيعوهم ويمتثلوا امرهم والمراد بهم امراء المؤمنين القائمون بالعدل الثابتون على الحق
لا امراء الجور دعليها ستقف على وجهه وفي قوله منكم تمهيد للرخصة في المنازعة المفروضة
في قوله فان تنازعتم لما كان في الامر بالطاعة لاولي الامر اشعارا باشتراط العدالة وكونهم على
الحق وفيما تقدم من قوله واذا حكمتم الآية نوع تمهيد لذلك رتب الشرطية المذكورة على ما
قبله في شيء من امور الدين وامور الدنيا فردوه فراجعوا فيه الى الله اي كتابه تعالى
والرسول الى سنته قولية كانت او فعلية او تقريرية وهذا بنظمها لتجويزه ومبانيه ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان بالمبداء والمعاد يوجب ذلك صدر الامر بطاعة
اولي الامر بامرهم بالحكم بالعدل وقيدت بجمعهم مع الله ورسوله في العطف وتخصيصهم بقوله
منكم وذنبه بالامر بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل واختلف فيه اعلم ان طاعة
المتغلبة من امراء الجور الذين هم على خلاف ذلك ليست بواجبة بل الواجب مخالفتهم و
عصيانهم فيما لا يطابق الكتاب والسنة من احكامهم واحتج بالآية المذكورة منكروا القياس
حيث حصر المرجع اليه في الكتاب والسنة ولم يذكر القياس لكنها حجة عليهم لا لهم لانه تعالى
في كل متنازع فيه الرد اليهما ولا يوجد في كل حادثة نص ظاهر فعلم انه امر بالنظر في نصوصهما
والعمل بدلولاته ومقتضياته ذلك خير لكم واحسن تأويلا عاقبة الم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رض
ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عم ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف
ثم انهما احتكما الى رسول الله عم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي
لعمر رض قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رض اكذلك قال نعم فقال
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال
هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عم ان عمر فرق بين الحق
والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
سمي بذلك لفرط طغيانه ولتشبهه بالشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به
وقرئ بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ويريد الشيطان ان يضلهم

ضلالاً بعيداً قيل كانه الآية يدل على انه كان المخاصم منافقا من اهل الكتاب كان يظهر الاسلام على سبيل النفاق
لان قوله يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق وانما
صيغة الجمع فلعلها لدرج امثاله فيما ذكر فانهم في صدد ذلك وان لم يظهر منهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما
انزل الله والى الرسول لما بين رغبتهم في التحاكم الى الطاغوت بين هنا رغبتهم عن التحاكم الى الرسول
وقد سبق الكلام في تعالوا في سورة آل عمران رايت المنافقين يصدون عنك في موضع الحال صدودا اي
يعرضون عنك اعراضا فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر رض المنافق او النقمة من الله
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك عطف على اصابتهم اي بعدما
اصابتهم جاؤك للاعتذار او على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا
احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر رض الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق
بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم في الدنيا لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم
وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وهذه المخاطبة لا ينافي الاعراض عن المعاتبة وقل لهم في انفسهم بما
يحل بهم من العذاب ان لم يرجعوا او يصل اليهم من الثواب ان رجعوا قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر
فيهم امره بالتجافي عن معاتبتهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترهيب والترغيب كما هو مقتضى شفقة الانبياء
وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيه يجوز على اصل الكوفيين خلافا للبصريين
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع بتيسيره وتوفيقه للطاعة اذ بسبب اذن الله في طاعته اي بامره المبعوث
اليهم ان يطيعوه لانه مبلغ عن الله وخليفة له فطاعته طاعة الله تعالى لما امر النبي عم بوعظهم والبلاغ في
القول فيهم امرهم بطاعته فيما امرهم وانما ظهم بالوعظ ولا دلالة فيه على ان من لم يطعه ولم
يرض بحكمه كان كافرا مستوجبا القتل فان الكفر لا يستوجب القتل البتة كيف والذمي والمستأمن
كافران ولا يجب قتلهما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين منه وهو
خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله مخلصين له معتذرين اليك مما ارتكبوه من رد قضائك حتى
استغفرت لهم ولما كان تحاكمهم الى الطاغوت اساءة على الرسول وادخالا للغم في قلبه لزمهم الاعتذار
لديه وطلب الاستغفار منه وانما قال واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تعظيما لشانه
تفخيما لاستغفاره وتنبيها على ان من كان رسول الله تعالى فاستغفاره وشفاعته من الله بمكان
وان قبول عذر التائب فلا دخل فيه لوصف الرسالة فلا وجه للتنبيه عليه بالالتفات
لوجدوا الله توابا رحيما فاتلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة توابا حال ورحيما بدل منه او حال من الضمير فيه

فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات
كقوله لا اقسم بهذا البلد وفي اضافته الى نفسه البهاء في القسم رفع مقداره حتى يحكموك غاية
متعلقة بقوله لا يؤمنون فيما شجر فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه و
اختلافها في الجهات ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت مما حكمت به او من حكمك وانما
قال ثم لان المحتمل الغالب وجدان ذلك بعد زمان ويسلموا تسليما وينقادوا انقيادا
بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا
او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل حين استتابهم من عبادة
العجل من قتلهم انفسهم واخراجهم من ديارهم ما فعلوه الضمير للمكتوب الذي دل عليه
كتبنا الا قليل قوم قليل منهم وهم المخلصون وهذا توبيخ بليغ لهم لما بين ان ايمانهم لا يتم
الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم وقرئ بالنصب على
الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته
في اوامره ونواهيه بلا اعتراض وشبهة في انفسهم لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم و
اشد تثبيتا لايمانهم وانفسهم وابعد اضطرابا ونصبه على التمييز وهذه الآية ايضا نزلت
في شان المنافق واليهودي وقيل غير ذلك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال
مقدر وجزاء المحذوف معطوف على الجملة الشرطية قبلها اي ولو ثبتوا لآتيناهم وفي قوله
من لدنا الدال على انه على سبيل التفضل دفع لتوهم الوهم من الاجر الى معناه الحقيقي
فان الثواب لكونه موعودا للعمل يتوهم انه الاجر ولهديناهم صراطا مستقيما اي وفقنا
لطريق التوحيد وزيادة الخيرات والاستقامة في الاحوال ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق
واعظمهم قدرا من النبيين بيان للذين حال منه او من ضميره والصديقين هم الصادقون
في اقوالهم واعمالهم ونياتهم واحوالهم المتقدمون لغاية الصدق في تصديق الانبياء
من افاضل اصحابهم والشهداء الباذلون للارواح لله تعالى لغاية حضورهم وشهودهم
والصالحين هم اهل الاستقامة الى الله تعالى بالاعمال المقربة او في الله بالتخلق باخلاقه
والاتصاف بصفاته وليس المراد من المعية في الدرجة فان ذلك غير ممكن بل المعنى ان
الارواح الناقصة اذا استكملت علاقتها مع الارواح الكاملة في الدنيا بقيت بعد
المفارقة تلك العلائق فينعكس الشعاع من بعضها على بعض فتصير انوارها في غاية القوة
وحسن اولئك رفيقا بتنبيه التعجب كأنه قيل وما احسن اولئك رفيقا ورفيقا منصوب على التمييز

ولذلك لم يجمع إذ لم يقصد الأنواع ويجوز أن ينتصب على الحال ذلك إشارة قصد بها التعظيم الفضل
صفته من الله خبره أو الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الإشارة وفيه تنبيه على أن ما أعطي
المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم فضل خاص منه تعالى لا عدل يستحقونه بإزاء طاعتهم
بل هو زيد عليه من عنده وتفضل به عليهم تكملة لثوابهم وإكراما لهم وكفى بالله عليما بجزاء من
أطاعه لعلمه بأحواله وما يقتضي هذا الفضل من استعدادهم بحسب العناية الأولى في حقهم فهو
يوفقهم على حسب تلك العناية يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم أي احذروا واحترزوا من
العدو ولا تمكنوه من أنفسكم كأنهم أمروا بأن يجعلوا الحذر آلتهم التي يتقون بها أنفسهم ويعصمون
بها أرواحهم والحذر والحذر بمعنى كالأثر والإثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من
المخوف فانفروا يقال نفر القوم إذا نهضوا لقتال عدوهم وخرجوا للحرب ثبات نصب
على الحال أي جماعات متفرقة سرية بعد سرية جمع ثبة من ثبت على الرجل إذا أثنيت عليه كأنك
جمعت محاسنه أو انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتفرقوا ولا تتخاذلوا فتلقوا بأيديكم
إلى التهلكة والآية نزلت في الحرب ولا دلالة في لفظها على وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها
وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر الرسول عليه السلام المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم
تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ وهو لازم أو بطأ غيره كما فعل ابن أبي يوم
أحد واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن أقسم بالله
ليبطئن ووجوه التأكيد لتحقيق حال المنافقين وأنهم على خلاف ما يظهرون من الإيمان
فإن أصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال أي المبطئ قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا حاضرا
فيصيبني ما أصابهم وإذ لم أكن ظرف ناصبه أنعم بمعنى من ولئن أصابكم فضل من الله من الفتح والغنيمة
ليقولن ذلك المنافق أكده لفرط تحسره وقرئ بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأنه في
معنى الجماعة كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بينه وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت
معهم فأفوز فوزا عظيما حكى الله به سرور المنافقين عند نكبة المسلمين ثم أراد أن يحكي حزنه عند
دولتهم بسبب فوات الغنيمة فقيل أن يذكر الكلام بتمامه ألحق هذا القول البين للتعجب
كأنه يقول انظروا إلى ما يقول هذا المنافق كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ومخالطة أصلا
والذي حسن موقع الاعتراض كونها بعد ما فاصلة وهي ليست بفاصلة أو حال من الضمير في
ليقولن أو داخل في المقول أي يقول المبطئ لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا و
حسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد عليه السلام مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت

معهم وكأن مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة
والمنادى في يا ليتني محذوف أي يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب
التمني وقرئ بالرفع على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت أو العطف على كنت معهم لينتظم الفوز
مع الكون معهم في حكم التمني فيكونا متمنيين جميعا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالآخرة إن جعل يشرون بمعنى يبيعون فالأمر للمؤمنين أي إن صد هؤلاء المبطئون
عن القتال فليقاتل الثابتون في الإيمان المخلصون الذين يبيعون الآخرة على الدنيا و
يستبدلونها بها وإن جعل بمعنى يشترون فالأمر للمبطئين الذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة
وعظوا بأن يغيروا ما بأنفسهم وما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في سبيل الله فالفاء على الأول شرط مقدر وعلى الثاني للتعقيب يعني ينبغي أن يعقبوا ما صدر
منهم من التثبيط عن القتال والثبات على النفاق بالتحريض على القتال ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل أو يغلب لم يقل فيغلب أو يغلب ادخ يندرج في الأول الفار من الزحف ولا
أجر له ولم يقل فيقتل أو يقتل للتنبيه على أنه يستحق الأجر بالغلبة قتل أو لم يقتل وعلى أنه
حقه أن لا يقصد بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين وتقديم الأول للدلالة
على أنه أولى وأحق بالأجر والاقتصار عليهما للتنبيه على أن حق المجاهد أن يثبت في المعركة
ولا يبرح حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة فسوف نؤتيه أجرا عظيما قيل
وعد له الأجر غلب أو غلب ترغيبا للقتال وتكذيبا لقوله قد أنعم الله إذ لم أكن معهم شهيدا
وفيه أنه لم يصب في قوله غلب على ما نبهت عليه آنفا وكذا في قوله وتكذيبا لأن مراد ذلك المنافق
من القول المذكور مطابق للواقع وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل
فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين مجرور عطف على سبيل الله أي في سبيل الله
وفي خلاص المستضعفين أو نصب على الاختصاص أي وأخص من سبيل الله خلاص المستضعفين
فإن سبيل الله عام في كل خير ومن أعظم الخيرات خلاصهم من أيدي الكفار وهم الذين
أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين من الرجال والنساء
والولدان جعل الولدان من جملة المستضعفين تسجيلا على الظلمة بإفراط الظلم حتى بلغ أذاهم
الصبيان إرغاما وإيذاء لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة وإيلاما لهم ويجوز أن يكون ذكر
الولدان مع المستضعفين لأنهم أشركهم الأطفال في الدعاء استنزالا من الله تعالى بدعاء الصغار
الذين لم يذنبوا ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر وبالولدان العبيد و
الإماء لأن العبد يدعى بالوليد فغلب الذكر وأطلق عليهما الولدان كما يقال الوالدان والله أعلم

الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اراد بالتوصيف التنبيه على ان طلبهم الخروج منها لظلم اهلها والا فهي وطنهم واشرف البقاع لا يريد من الخروج منها بلا اضطرار ولما كانت المراد من القرية مكة شرفها الله تجنبوا عن المبالغة في ظلم اهلها بنسبة الظلم الى القرية ولم يسلكوا مسلك قوله وكاين من قرية عتت وكم اهلكنا من قرية بطرت واجعل لنا من لدنك وليا وهيئ لنا من عندك من يتولى كفاية امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا من ينصرنا ويمنعنا عن عدونا فاستجاب الله تع دعاءهم جعل رسول الله صلعم وليهم وعتاب بن اسيد ناصرهم فاعطا فكان يستنقذ واحدا واحدا منهم وبعثه على بدو من بعد الى المدينة الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله تع والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما حرضهم على القتال في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين شجعهم ورغبهم فيه ترغيبا باخبارهم انهم يقاتلون في سبيل الله فالله وليهم وناصرهم والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي كيده للمؤمنين في جنب كيد الله تع للكافرين اضعف شيء واوهنه فلا تخافوا اولياءه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون على ما طبع عليها البشر من المخافة لا على المخالفة وذلك ان المسلمين كانوا بمكة مكفوفين عن القتال وكانوا يتمنون ان يوذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة احجم فريق منهم خوفا من الموت وضنة بالارواح وجبنا عن الاخطار بها لا ريبة في الدين اذا للمفاجاة جيء بها في جواب الشرط مع الجملة الاسمية بدل الفاء وفريق مبتدا تخصص بالصفة ومنهم خبره خشية الله كخشية الله في موضع النصب صفة للمصدر المحذوف اي خشية مثل ما يخشى الله فهو مضاف الى المفعول او على الحال من ضمير يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله او اشد خشية نصب عطف على المصدر اي خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله على ان الخشية خاشية او جر عطف على خشية الله او على الله على ان الخشية من الفعل المبني للمفعول اي كخشية الله او خشية من اشد في كونه مخشيا من الله كما ذكر في اشد ذكرا او نصب على العطف على محل الكاف والخشية في الاصل الخوف مع تعظيم المخوف منه والمراد هنا المبالغة في الخوف وكلمة او للدلالة على تفاوته في الخشية فان خشية بعضهم كان مثل خشية الله تع وخشية بعضهم كان اشد منها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال هذا المقال لا يناسب حال الصحابي الراسخ قدمه في الايمان المنشرح جنانه بالاسلام الذي يرى الوصول الى الدار الاخرة خيرا من القرار في الدار العاجلة ولهذا قيل هم المنافقون والاولى بانهم ما تفوهوا به ولكنهم

قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم مع انه بعيد لم يعهد مثله في القرآن لاجوبي نفعا لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت كانهم حسبوا القتال قتلا فتمنوا تاخير الاجل وهذا اية غاية جبنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى اي المعاصي ولا تظلمون فتيلا شيئا يسيرا من قصر على الاول فقد بالنقص عن الثواب الموعود ولا بالزيادة على العقاب المعهود وقد تقدم تفسير الفتيل وفيه ترغيب في التحمل على مشاق القتال وترهيب عن مخالفة الامتثال لامر الجهاد وقرئ ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت اي لا خلاص لكم من الموت والجهاد موت يستعقبه سعادة اخروية فاذا كان لا بد من الموت فالموت في سبيل الله اولى وقرئ يدرككم بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون وعلى هذا اين ظرف مكان لا اسم شرط وانتفاء الظلم في الدارين ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبرج في الاصل بيت على طرف القصر واصل البروج الظهور ومنه من تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها وقرئ مشيدة وصفها بوصف فاعلها كقولهم شعر شاعر ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة نعمة كخصب يقولوا هذه من عند الله اي ينسبوها اليه تع نسبة مجردة عن توسط كسب العبد وان تصبهم سيئة بلية كقحط الحسنة والسيئة كما يقعان على الطاعة والمعصية كذلك يقعان على النعمة والبلية يقولوا هذه من عندك اي اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبقدر الله واقع على حسب سنته في خلقه قال الله تع وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ولما كان هذا تفصيل ذلك المجمل المنزل ظهر حسن الموقع للفاء في قوله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن وتنكيره للتعظيم والتنبيه على انه لا حاجة الى الاشارة عند الاطلاق ومساعدة السياق في المقاربة وهو ابلغ من نفي الفعل ما اصابك خاطب النبي عم ليعلم حال ما اصابك غيره بطريق الدلالة من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود وكيف يقتضي غيره وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك يعني هو وان كان من عند الله بايجاده الايجاد والفاعلية لكن لما كان السبب القابل المقتضي لذلك فعلك واستحقاقك فهو منه

عندك وما كسبت يداك واسند بك اياه اخلت بك لقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير لا ما نسبوا النعمة الى الله تعالى والبلية الى النبي عليه السلام على ما زعموا فنا الرد عنه قوله فمن
نفسك وارسلناك للناس رسولا جميعا لا للعرب خاصة كما زعمه بعض المنكرين وهذا المعنى مستفاد
من ذكر اسم الجنس بمساعدة المقام رسولا حال قصد بها التاكيد ويجوز نصبه على المصدر
كقوله ولا خارجا من في زور كلام ولا يجوز تعلق الجار بها لانه يفهم منه اختصاص رسالته
بجنس الانس وكفى بالله شهيدا على ذلك بنصب المعجزات فوجب على الكل طاعتك و
اتباعك ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع الله لا لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو
الله تعالى لانه لا ينتظم الطاعة في غير الاحكام الشرعية بل لانه تعالى ارسل وامر بطاعته والعدول
عن الضمير الى المظهر للاشعار بترتب ايجاب الطاعة على وصف الرسالة روي انه عليه السلام
قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن
تولى اي عن طاعته حذف جزاؤه وهو فاعرض عنه واوقع ما هو سبب له موقعه
فقيل فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ
وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم امرا او نهيتهم عن شيء طاعة
اي امرنا طاعة اي لك واصلها النصب على المصدر والعدول الى الرفع للدلالة على الثبات
فاذا برزوا خرجوا من عندك اي غابوا عنك والفاء للدلالة على عدم التراخي بين قولهم
الموافق وفعلهم المخالف بيت طائفة منهم اي زورت وسوت غير الذي تقول
خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة
لان الامور تدبر بالليل او من البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرئ بيت طائفة
بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف
اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتب في جملة ما يوحي اليك فيطلعك عليه فلا يخفى عنهم اسرارهم
فاعرض عنهم ولا تشتغل بالانتقام منهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم
وكفى بالله وكيلا لمن توكل عليه فهو الرافع كيدهم عنك والمنتقم منهم لك افلا يتدبرون القرآن
الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف اي ايعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه لانهم
لو تدبروه حق التدبر لم يكن لهم شك في توافق معانيه وتناسق نظمه والتدبر اثارة
المعاني بغوص الافكار واستخراج جواهر المعاني برقائق الاعتبار وهو في الاصل النظر
في ادبار الامر اي عاقبته ثم استعمل في كل تامل ونظر سواء كان في حقيقة الشيء واجزائه

واسبابه او لواحقه واعقابه وفيه باعتبار اصله اشارة الى ما في مقاطع الكلام
في بادي الراي التي تزول عند التامل وتدقيق النظر والواو في قوله ولو كان من عند غير الله للحال
وغير الله يتناول الجن والملك وفيه دلالة على انه كلام الله وانما اعجازه فالثابت به انه ليس
كلام البشر ولا يلزم منه ان يكون كلام الله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من جهة فصاحة
اللفظ وبلاغة النظم وصحة المعنى لان الخطيب الفصيح البليغ اذا انشا كلاما اختل نظامه و
اختلف اقسامه خصوصا اذا تطاولت في تعاريض كلامه ايامه لنقصان قدرة غير الخالق
القوي والقدر وما يوجد فيه من الاختلاف في الاحكام لاختلاف الاحوال في الحكم لا اللتنا
في الحكم واذا جاءهم امر من الامن او الخوف من الاستيلاء و بيان الامر لمجموع الامن والخوف لانه
ما يوجبها لا باحدهما على سبيل البدل فكلمة او للتنويع لا لمنع الجمع اذاعوا به فعلوا الاذاعة
به وهو ابلغ من اذاعوه لدلالته على انه يوجد نفس الحقيقة كما في يبطر ويمنع ولما فيه من
الابهام والتفخيم والاذاعة الاشاعة والافشاء كان يفعل قوم من ضعفة المسلمين اذا
بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول عليه السلام بما اوحي اليه من ظفر بالعدو او
تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه اي الامر الى الرسول اي
لم يحدثوا به حتى يكون النبي عليه السلام هو الذي يحدث به والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة رضي الله عنهم البصراء
بالامور او امراء السرايا لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره
بتجاربهم وانظارهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول
ما يحفر وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يصح ان يذاع
لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول والى الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب الموعودون بما انزل من الهدى واظهر من كيد
الشيطان والمنافقين لاتبعتم الشيطان ودمتم على الكفر عن القتال والاصغاء الى المنافقين
المبطلين الا قليلا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستنبطين وفيه تحريك من حمية الضعفة
مع لطف واحماد لحال الاقوياء ثم قال فقاتل في سبيل الله اي فاذا كان الامر كذلك من
انك او تثبت الفضل والرحمة مع ما وقفت له من سابقة القدم في التخلف عن اتباع الشيطان
فقاتل في سبيل الله واعلاء كلمة الرحمن ولا تبال بكيد المنافقين واستجرارهم الضعفاء وما
يحصل من مشرق الاذاعة فانه لا يضرك خذلان خاذل قوي او ضعيف فالله ناصرك
بالعلاء باسه ممن يعاديك لا تكلف الا نفسك نصب على الحال من فاعل فقاتل اي فقاتل

غير تكلف الا نفسك وحدها يعني لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك
احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عم دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف
بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلف الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض
المؤمنين على القتال وما عليك الا تحريضهم فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا اي
كفار قريش وقد كف فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب فرجع بهم والله اشد
باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وفيه تقريع لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة
وهي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا وجلب بها اليه خيرا لا في حد من حدود الله
او حق من حقوقه طلبا لرضاء الله لا لغرض من اغراض الدنيا والسمعة بخلاف ذلك يكن له
نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة
للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تع وعن النبي عم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا
من اقات على الشيء اذا قدر عليه او شهيدا حافظا من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب
اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وذلك
لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها او رده بان
يقول وعليك ان بلغ المسلم نهايته لما روي ان رجلا قال لرسول الله عم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله وتلا الآية فقال عم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فكلمة او
للتنويع لا للتخيير لما عرفت ان كلا من الزيادة ورد المثل مشروط بشرط ينافي شرط الآخر
فلا يجتمعان وايضا التخيير بين امرين احدهما ايسر من الآخر لا يكون على وجه الوجوب على ما
تقرر في موضعه وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة و
قراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية تفعلة من حيي يحيي تحية وكانت تحية
العرب عند اللقاء حياك الله اي اطال الله حياتك ونقل ذلك في الاسلام الى السلام وبقي
الاسم كذلك ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله مبتدأ لا اله الا هو

خبر او اعتراض والخبر ليجمعنكم اخبر بجمعه العالم يوم القيمة للمجازاة وانما قال الى يوم القيمة
تنبيها على ان جمعهم بطريق الحشر والقيام والقيامة كالطلاب والطالبة وهي قيام الناس من
قبورهم او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ولما
ذكر الجمع متضمنا عليه اردفه بقوله ومن اصدق اي لا احد اصدق من الله حديثا فانه لا يتطرق
الكذب الى خبره بوجه لانه نقص ينافي الالوهية فما لكم الفاء للترتيب على ما فهم مما تقدم من
ان ما نزل في حق المنافقين وبيان احوالهم حق مطابق للواقع في المنافقين فئتين اي فما لكم
تفرقتم في امر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم الذي نطق به المنزل وذلك ان ناسا
منهم استاذنوا رسول الله عم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين
مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل غير ذلك وفئتين
نصب على الحال من الضمير في ما لكم والعامل فيها في الظرف من معنى الاستقرار كقولك ما لك قائما وفي
المنافقين حال من فئتين اي متفرقتين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى
الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم ردهم في حكم المشركين اصل الركس رد الشيء
مقلوبا بما كسبوا من لحوقهم بهم واحتيالهم على رسول الله او ردهم في الكفر بسبب
مرض قلوبهم وسوء عقيدتهم جملة اعتراضية منبهة لوجوب اتفاق المؤمنين
على نفاقهم ودافعة لاختلافهم في ذلك معترضة لمعنى الانكار الذي في ما الاستفهامية
او حال مبينة اتريدون ان تهدوا الى الحق من اضل الله عن طريق الحق ومعنى الهمزة انكار
ارادتهم هداية من اضل الله لكونه مستحيلا ولذلك قال ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
اي الى الاهتداء او لن تجد لهدايته سبيلا لاستحالة وقوع ما اراد الله خلافه تقريرا
لانكار ارادتهم المتعلقة بالمحال ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا راغبين في ان يكفروا
ككفرهم الكون اداتهم لكفرهم بلو وبقوله كما كفروا اي لا يرضون بانشائكم الكفر بل تمنوا
كفركم كفرا بالغا اصلا راسخا مثل كفرهم ثم بالغ في ذلك بقوله فتكونون سواء لا يترجح
كفرهم عطف على تكفرون اي ودوا كفركم وكونكم مستوين معهم في الضلال ولو نصبه
على جواب التمني فلا تتخذوا منهم اولياء فلا تتولوهم وان اظهروا الايمان حتى يهاجروا
في سبيل الله حتى يظاهروا الايمان بهجرة صحيحة في سبيل الله بنية صادقة لله ولرسوله
لا لغرض من اغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا فان اعرضوا عن
الهجرة المستقيمة التي تصدق ايمانهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم اي حكمهم
حكم سائر المشركين في وجوب قتلهم حيث وجدوا في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا

اي وان بذلوا لكم الولاية والنصرة ولا تقبلوا وجانبوهم مجانبة كلية الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق" استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون
وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم فانهم في حكمهم في الميثاق وهم من وادع
رسول الله صلعم وقت خروجه الى مكة على ان لا يعينوه ولا يعينوا عليه ومن لجأ اليهم فله
من الجوار مثل ما لهم او جاؤكم عطف على صلة الموصول اي او الذين جاؤكم كافين عن
قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور بالاخذ والقتل من ترك المحاربين ولحق
بالمعاهدين ومن جاء المؤمنين وكف عن قتال الفريقين لا على صفة قوم لان الاستثناء
يدل بان سبب ترك التعرض لهم امران احدهما الاتصال بالمعاهدين والآخر الاتصال
بالكافين عن القتال ان كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال ان كان
العطف على الصلة وقوله فان اعتزلوكم يرشد الى ان الكف وقوى بعين العاطف على
انه بيان ليصلون او بدل او استئناف حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد
يدل عليه قراءة حصرة صدورهم وحصرات وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة
لموصوف اي او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا الى
رسول الله صلعم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
عن ان يقاتلوكم صلة لحصرت او كراهة ان يقاتلوكم مفعول له ولو شاء الله لسلطهم عليكم
اي ولو شاء الله ان يبتليكم بهم لابتلاكم بتسليطهم عليكم وهذا بيان القدرة ولا لكن
الموافقة للحكمة فانها تستتبع الوقوع دون القدرة فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان
اعتزلوكم فلم يقاتلوكم اي فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في قتلهم واخذهم ستجدون آخرين يريدون ان
يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة [illegible]
واظهروا الاسلام فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال
المسلمين اركسوا فيها ردوا فيها وقلبوا اخبث قلب واشنعه لغمهم الكفر الى العدو
ونقض العهد فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد ويكفوا
ايديهم عن قتالكم كلاهما معطوفان على يعتزلوكم في حكم الجزم بلم اشارة الى ان الموصوفين
بدوام نقض العهد والخيانة مرة بعد اخرى في جميع الاوقات انما يستحقون تسليط الله اياكم
عليهم واظهاركم بالحجة لهذه الصفات جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في
التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور حالهم في الكفر والعداوة والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذن

لكم في قتلهم اي انما اقتدرتم عليهم وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا اي ليس من شأنه ولا يليق بوصف الايمان
ان يباشر بقتله من عند نفسه بلا ايجاب الشرع ولا رخصة فيه الا خطأ مفعول له اي
لعلة ما الا للخطأ وحده او حال بمعنى مخطئا اي ليس له قتله في حال من الاحوال الا في
حال الخطأ او صفة مصدر محذوف اي الا قتله خطأ وهو ما لا يصاحبه القصد الى
الفعل او الشخص مما لا يقصد به زهوق الروح غالبا من قبيل الاول لانه ما قصد
الى الضرب وما لا يقصد به محذور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه من
قبيل الثاني لانه ما قصد الى الشخص المسلم في زعمه بل قصد الشخص الكافر والمعتبر في القصد
زعم القاصد واما غير المكلف فالشرع لم يعتبر قصده فاعطاه حكم الخطأ وقرئ خطاء
بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل
من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير جعل الانسان حرا
كالاعتاق جعله عتيقا والحر والعتيق الكريم لان الكرم من الاحرار كما ان اللوم
في العبيد وحر الوجه اكرم موضع منه والرقبة يعبر بها عن النسمة كما يعبر عنها بالرأس
مؤمنة كبيرة كانت او صغيرة ذكرا كان او انثى ودية عطف على تحرير مسلمة مؤداة الى
اهله يصرف الى ما يصرف اليه تركته فالاهل يشمل الوصي وامين بيت المال ولم يعين
الله تع في كتابه ما يعطي في الدية ولم يبين فيه ان ايجابها على العاقلة او القاتل و
انما اخذ ذلك من السنة الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية واصلها على القاتل
وتحملها العاقلة تخفيفا عليه وسمي العفو عنها بالتصدق حثا عليه وتنبيها على فضله وعن
النبي صلعم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى
اهله الا حال تصدقهم اياها عليه فهو في محل النصب على الحال من القاتل واما انتصابه
على الظرف فقيل انه يخالف لنص النحويين على منع قيام ان وما بعدها مقام الظرف فانه
مما اختص به ما المصدرية فان كان اي ان كان المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين
وهو اي المقتول مؤمن يعني اذا اسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم
ولم يعلم باسلامه ولافادة هذا القيد صدر الكلام بالفاء المرتبة له على ما تقدم وفيه الكفارة
لا غير وهو قوله فتحرير رقبة مؤمنة فقط دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون
وكان هذا القائل غافل عن العموم المذكور فيما سبق في مصرف الدية والشافعي حمله على
مؤمن اختلط باهل الحرب ويأباه قوله من قوم لانه لا يكون منهم وان كان من قوم بينكم

وبينهم ميثاق بنظم عهد الامان وعقد الذمة فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي حكمه حكم المسلم
في وجوب الكفارة والدية وتقديم الدية ههنا اهتماما لرعاية حكم الميثاق قيل هذا في مشركي العرب
الذين كان بينهم وبين النبي عم عهد على ان يسلموا او يؤذنوا بحرب الى اجل معلوم فمن قتل منهم
وجبت الدية والكفارة ثم نسخ بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين اما
ما قيل ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا وكان له وارث مسلم فلا صحة له اما اولا فلان قوله
وان كان من قوم صريح في كون المقتول معاهدا فلعله لم يصب محزه واما ثانيا فلان دية الذمي
توضع لبيت المال اذا لم يكن له وارث ودية الحربي انما تعطى بحكم العهد فهو لمن كان له وارث
مما لا وجه له فمن لم يجد اي الرقبة المؤمنة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها او لم توجد في داره
فصيام شهرين فعليه او فواجب صيام شهرين متتابعين توبة مصدر مؤكد اي تاب الله عليه
توبة او مفعول له اي شرع ذلك توبة منه من الله صفتها وكان الله عليما بالاحوال ويندرج
فيها حال القاتل دخولا اوليا حكيما في الافعال ومنها ما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا
عدل ههنا عن الماضي الى الصيغة المستقبلة استبعادا لوقوع هذا النوع من القتل فجزاؤه جهنم
اقتصر ههنا على بيان حكمه الاخروي لانه بين حكمه الدنيوي في سورة البقرة خالدا فيها المراد
بالتخليد المكث الطويل دون التابيد ولهذا لم يقل ابدا لان الدلائل متظاهرة على ان عصاة
المسلمين لا يدوم عذابهم وقيل انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه
واما تخصيصه بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ففيه انه تخصيص بلا مخصص فان سبب
النزول لا يصلح له وهو ان مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر
قاتله فاخذ منهم الدية بامره عم ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا اذ لا تصريح
فيه بقتله مستحلا وقد تقرر في الاصول ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب و
مراد ابن عباس رض من قوله لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا التشديد اذ روي عنه
خلافه وغضب الله عليه ولعنه اي انتقم منه وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما
لاجترائه على الله تع لما كان قتل النفس المحرمة اكبر الكبائر بعد الشرك بالغ فيه بان جعله
منافيا للايمان حيث قال ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا اي منافيا في وصف الايمان قتل
المؤمن ثم بتنكير مؤمن اي ليس لاي مؤمن كان ثم بحذف الخبر المقدم لشدة العناية
بالتصريح بالكفارة ثم بايجاب الدية والكفارة على قاتل الكافر المعاهد حرمة لها وان
كانت كافرة لمجرد العهد ثم بالوعيد مع التوبة بقوله وكان الله عليما حكيما لانه عظم الاثم
بعلمه بين والا لقال غفورا رحيما اعتدادا بالتوبة وتعظيما لها فحق التوبة في جنب الاثم

مع كونه خطا لما عسى يقع من تفريط فيما يجب عليه من الاحتياط والتحفظ ثم بالتهديد العظيم
والايعاد والابراق الشديد والارعاد على قتل العمد العدوان بالوجوه المذكورة من دخول
جهنم والخلود فيها واستحقاق الغضب ثم العذاب العظيم كل ذلك تغليظ للدلالة على
غلظ الامر وعظم الخطب يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله اذا غزوتم وسرتم الى الجهاد فتبينوا
وقرئ فتثبتوا وتفعل بمعنى استفعل الدال على الطلب اي فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا
تعجلوا فيه وقد قوبل البيان بالعجلة في قوله عم التبيين من الله تع والعجلة من الشيطان ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية السلام وقرئ السلم اي الاستسلام والانقياد و
فسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح من آمنه
اي لا نؤمنك تبتغون في محل النصب على الحال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل
لهم على العجلة اي لا تقولوا ذلك مبتغين عرض الحيوة الدنيا الغنيمة التي هي حطام سريع
النفاد فتتركون التثبت والتفحص عن حال من تقتلونه لاجله فعند الله مغانم كثيرة
تغنمونها تغنيكم عن مثل هذه الفعلة الشنيعة والفاء لتعليل النهي كذلك كنتم من قبل اول
ما دخلتم في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت بها دماؤكم واموالكم من غير
اطلاع على قلوبكم ومواطاتها لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والتصلب في الدين
والاشتهار بالايمان والتقدم فيه والفاء للعطف على كنتم فتبينوا فافعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء
الف كافر اهون عند الله تع من قتل امرئ مسلم وتكرير الامر بالتبيين والابعاد بقوله
ان الله كان بما تعملون خبيرا للتاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر في التحذير عن مثل
ما فعلوا اي كونوا محترزين محتاطين مجتهدين لاعلاء كلمة الاسلام واعزاز الدين لا
لطلب الغنيمة والمال فان الله مطلع على ما في ضمائركم خبير باعمالكم وما يبتني عليها من
نياتكم فيؤاخذكم بها فلا تتهافتوا في القتل روي ان سرية لرسول الله عم غزت اهل
فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله
اسامة رض واستاق غنمه فنزلت ولا دلالة فيه على صحة ايمان المكره وان ما روي
ليس من الاجتهاد المعهود في شيء لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع
الحال من القاعدين او من الضمير فيه غير اولي الضرر بالرفع بدل من القاعدين او صفة
لهم لانه لم يقصد بهم قوم باعيانهم ولان غير قد يتعرف اذا وقع بين ضدين وقرئ

بالنصب على الحال والاستثناء، وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه. روي انها نزلت ولم يكن فيها
غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فنزل القيد المذكور والضرر النقصان بدنيا
كان كالعمى والعرج او ماليا كعدم الاهبة ولما كان مساق الكلام للتحريض على الجهاد كان الاستثناء
المذكور لبيان انهم غير مرادين بالتحريض وغير المكلفين بالخروج اليه لانهم كالمجاهدين في
الاثابة والتفضيل **والمجاهدون في سبيل الله باموالهم** اي لا مساواة بينهم وبين القاعدين عن الجهاد
بلا عذر وفيه تذكير بما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة
عن انحطاط منزلته **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة** نصب على المصدر
وتنكيرها للتعظيم والمعنى على القاعدين اولي الضرر نص على ذلك الامام الواحدي في الوسيط
ثم قال وذلك ان المجاهدين مباشرون للطاعة فلهم فضيلة على القاعدين من اهل العذر
وان كانوا على نية الجهاد وقصده وتفصيله ان المراد بقوله لا يستوي الى قوله وانفسهم
ان بين المجاهدين والقاعدين الاصحاء هذا البون البعيد ولكن بينهم تفاوت ايضا
وكان هذا المعنى محتاجا الى البيان فبينه بقوله فضل الله وبما عطف عليه من قوله
وفضل فكلتا الجملتين بيان له لا الجملة الاولى فقط فتبين بالكلام الاول انهم مفضلون
على اهل العذر درجة ثم قال **وكلا** يعني المجاهد والقاعد المعذور كذا نقل في الوسيط عن
مقاتل **وعد الله الحسنى** المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في الزيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب ثم بين بقوله **وفضل الله المجاهدين على القاعدين** ان المجاهدين
مفضلون على القاعدين من غير عذر بدرجات وقوله **اجرا عظيما** نصب على المصدر لان
فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القا[عدين]
اجرا عظيما **درجات منه ومغفرة ورحمة** كل واحد منها بدل من اجرا او ينتصب درجات نصب
درجة كما تقول ضربت سوطا او سوطات اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضلات واجرا
حال عن درجات مقدمة عليها لكونها نكرة وينتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما اي وغفر [لهم]
مغفرة ورحمهم رحمة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة
وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم **رحيما** بما وعد لهم **ان الذين توفاهم الملائكة** يجوز ان يكون ماضيا
وان يكون مضارعا بحذف التاء اي تتوفاهم ويؤيده قراءة توفتهم بتاء التانيث على الماضي وتوفاهم
على المضارع المبني للمفعول من وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي
يمكنهم من استيفائها فيتوفونها **ظالمي انفسهم** في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة
الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة **قالوا** اي الملائكة

للتوبيخ وهو خبر ان اي قالوا لهم حذف الراجع **فيم كنتم** باي شيء كنتم على ما كنتم عليه من مخالطة المشركين
وموافقتهم ولفظة في هنا كالتي في قوله لتشتغي فيه قيل اي في اي شيء كنتم من امر دينكم ولا
ينتظم الجواب **قالوا كنا مستضعفين في الارض** اي في ارض مكة اجابوا اعتذارا مما وبخوا به بضعفهم
عن مقاومة المشركين وعدم قدرتهم للمخالفة قيل وعجزهم عن الهجرة ولا ينتظم الرد
قالوا اي الملائكة ردا لهم **الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها** الى قطر اخر فتتخلصوا عن ايدي
المشركين كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة هذا السؤال والذي يسوق بدلالة
على انهم ماتوا مسلمين ظالمين لانفسهم في تركهم الهجرة فانهم لو ماتوا كافرين لكان التوبيخ
على كفرهم **فاولئك ماويهم جهنم** لتركهم الواجب ومساعدتهم المشركين وهو جملة معطوفة
على جملة قبلها مستنتجة منها **وساءت مصيرا** مصيرهم او جهنم كانت الهجرة من فرايض
الاسلام بعد هجرة النبي صم ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عم لا هجرة بعد الفتح وكانه غافل
عن هذا من قال وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من
اقامة دينه والاشارة الى القوم المذكورين على العموم ولهذا استثنى منهم المستضعفين الا
حقيقة بقوله **الا المستضعفين من الرجال والنساء** قيل لما نزل الوعيد المذكور قال المسلمون
هلك اخواننا الذين بمكة فنزلت الا المستضعفين الاية وذكر الولدان ان اريد به
المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو
استطاعها غير المكلف لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة اذا بلغوا
حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوها وبان الجري ينبغي ان يكون كجري الولدان
وقيل لتحقيق خروج الرجال والنساء عن الوعيد عند عدم الاستطاعة فانهم حينئذ
كالولدان في عدم الاثم **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا** صفة للمستضعفين كقوله
ولقد امر على اللئيم يسبني او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل **فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم** عسى ذلك دليل الوقوع لانه اطماع والكريم اذا اطمع انجز وفي لفظ العفو
ايذان بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا ياس ويترصد الفرصة
ويعلق بها قلبه **وكان الله عفوا** بالتخفيف عن العاجزين **غفورا** للقادرين الذين
اخروا الهجرة بعد وجوبها الى نزول الوعيد فبقي الفرقة الثالثة وهم القادرون الذين
تركوا الهجرة تحت الوعيد **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا** متحولا يهاجر اليه
على رغم من يفارقه او طريقا يراغم بسلوكه انوف قومه المفارق بهم والرغم الذل

والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله قوله الى الله ذكر تمهيد الذكر الهجرة الى الرسول عليه السلام تعظيما له
وتنبيها على قصد اختصاصه بالله تعالى ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان والجمهور على ان هذا في الواو والفاء في غير جواب
الاشياء الثمانية ضرورة فكيف في ثم فقد وقع اجره على الله فقد ثبت وتحقق بموجب وعده
قال ابن عباس رضه لما نزلت آية الوعيد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها الى مسلمي مكة
فقال جندب بن ضمرة لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق
وكان شيخا كبيرا فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم فبلغ الاصحاب
موته فقالوا لو لحق بنا لاتم الله اجره فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته الآية واعلم انه
لا يخيب من التجى رضاه وكان الله غفورا يغفر له ما كان من القعود الى ان يخرج رحيما
يرحمه باكمال اجر المهاجرين له واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من
الصلوة بتنصيف ركعاتها والقصر رخصة عند الشافعي لان نفي الجناح في الرخصة لا في العزيمة
قلنا في الآية بيان حكم الخوف فتوقف حكم حالة الامن على قيام الدليل وقد ورد ذلك في
الحديث بلفظ الصدقة ولو بقي فرض الاربعة فالتصدق تمحض وهم ان الآية تخالف
قول عمر رضه صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم وقول عائشة رضها اول ما فرضت
الصلوة ركعتان فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فقد وهم وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى
قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة
من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اي ان خفتم ان يقصدكم الكفار بما يكره من
قتل او جرح او اخذ والخوف شرط لجواز القصر عند الخوارج اخذا بمفهوم هذه الآية وعند الجمهور
ليس بشرط اما عند من لم يقل بحجية المفهوم فظاهر واما عند من قال بها فلانها مشروطة
بعدم معارضة منطوق نص وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم
ان الكافرين كانوا لكم عدوا اي اعداء والعدو يستوي فيه المفرد والجمع وانما قال مبينا
على اللفظ فانه للمفرد في الوضع وفيه اشعار بان وصف الكفر الجامع لهم الباعث للعداوة
جهة وحدتهم واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة وهي صلوة الخوف وتعلق بالشرط المذكور
من خصها بحضرة الرسول قائلا انها على خلاف القياس فلا يتعدى مورد النص والجمهور
على انها غير مخصصة به عليه السلام فان الائمة بعده نوابه لحضورهم حضوره فيتناولهم النص بطريق
الدلالة لا بطريق القياس فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه

العدو وانما جعلهم طائفتين فمفهوم اقتضاء وليأخذوا اي المصلون اسلحتهم ولا يجوز ان يكون الضمير للطائفة
الاخرى لانه يتحقق ينفرق الضمائر فيفوت رعاية النظم الذي هو من اعجاز القرآن ومراعاته اهم
ما يجب على المفسر فاذا سجدوا عبر بالسجدة عن الركعة فليكونوا من ورائكم اي اذا صلت
هذه الطائفة التي معك ركعة تامة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو وفي وراءكم تغليب
المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى هذا الاظهار دليل ظاهر على ان الضمائر فيما سبق
للطائفة الاولى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك الركعة الثانية وليأخذوا
حذرهم ما يتحذرون به من العدو من الترس والدرع والمغفر واسلحتهم ما يقاتلون
به من السيف والرمح والقوس كذا فسر الامام ابو منصور والذي يناسب بلاغة القرآن هو
انه جمع بين الحذر والاسلحة في وجوب الاخذ ايذانا للغازي بانه يجب عليه ان يجعل الحذر
آلة للحرب كالاسلحة فجعلا ماخوذين جمع بينهما في الامر ههنا مبالغة في الاحتياط
لانه مظنة هجوم العدو فان تنبههم لكونهم في الصلوة يكون بعد سجودهم ذكر صلوة
طائفة ركعة مع النبي عليه السلام صلوة طائفة ركعة معه عليه السلام ولم يبين اتمام الطائفتين
واختلفت الاخبار في ذلك واختلف باختلافها العلماء فعند ابي حنيفة رحمه الله صلوة ان كانت
ركعتين ثم يقف هذه بازاء العدو وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بغير قراءة لانهم لاحقون
ويتمون الصلوة ثم يحرسون وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة لانهم مسبوقون
ويتمون الصلوة كذلك رواه ابن مسعود رضه وابن عمر رضه والسجود مجاز عن
الركعة على ما نبهت عليه فيما سبق لا على ظاهره ود الذين كفروا لو تغفلون اي احب الكفار
غفلتكم عن اسلحتكم وامتعتكم تمنيا ذلك فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة
واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى تعب لم يقل او مرض لعدم دلالته على العموم وهو المراد ان تضعوا
اسلحتكم لما كانت حالة المرض مما يشق حمل السلاح فيها وحالة المطر ما يثقل العدو ويمنعه
من خفة الحركة للقتال رخص لهم فيها وضع السلاح وفي قوله ولا جناح دلالة على ان
الامر بالاخذ للايجاب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ
الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ولما كان الامر بالحذر مما يتوقع غلبة العدو وقوته
وان الله وكلهم الى انفسهم ولم يكلهم ازال ذلك الوهم بقوله ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا تقوية لقلوبهم وتشجيعا وتبشيرا بان الله هو الذي يهين عدوهم
ويخذله وينصرهم عليه واعلاما بان الامر بالحذر انما هو تعبد لا تخلية بينهم وبين عدوهم

مراعاة لحكمة الله وسنته فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
فدوموا على الذكر في جميع الاحوال وهو الذكر باللسان والدعاء بالنصر فانه حال ملاقاة العدو
وهو كما قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقيل فاذا اردتم اداء
الصلوة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم
عن القعود بسبب الجرح اي ادوها على حسب الوسع وهذا عند اشتداد الحرب بقرينة
قوله فاذا اطمأننتم اي سكنت قلوبكم من الخوف وعلى كلا التفسيرين لا دلالة فيه على
صحة الصلوة في حال المسايفة فاقيموا الصلوة فعدلوا وادوها تامة بطابقة وامره
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا مفروضا محدودا باوقات معينة فلا يؤخرونها
بسبب الخوف فهو كالتعليل لما سبق واما انه لا يؤخر عنها بسبب من الاسباب فلا
دلالة عليه في الكلام فلا يكون دليلا على وجوب ادائها في حال المسايفة والاضطراب
في المعركة واما عدم دلالته على ان المراد بالذكر الصلوة فظاهر وانما قال على المؤمنين
لان الكلام في ادائها والايمان شرط صحتها وان لم يكن شرط وجوبها عند القائلين بان
الكفار مخاطبون بالعبادات المفروضة ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب
الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون به اي لا تتوانوا بسبب الالم والجراح ثم علل النهي فانهم
يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون اي فان الالم ليس مختصا بكم بل هو مشترك
بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون مع ذلك وانتم اولى بالصبر منهم لانكم ترجون من الله الثواب
العظيم في الآخرة باظهار دين الله واعزازه وهم لا يرجونه فما بالكم لا تصبرون وفيه طرف
من التوبيخ والتقريع على التواني فيه وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى لان تكونوا وكان الله
عليما بمصالح العباد حين دعاهم الى الجهاد حكيما في تدبير امورهم في المبدأ والمعاد
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به لتحكم بين الناس روي ان طعمة بن ابيرق سرق
درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان وخباها عند يهودي فحلف طعمة ما لي بها
علم فاتبعوا اثر الدقيق الى دار اليهودي فقال اليهودي دفعها الي طعمة واختصموا الى رسول
الله م فجاء اليهود وشهدوا على براءة اليهودي وجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة وشهدوا بالسرقة
على اليهودي فهم النبي م ان يعاقب اليهودي فنزلت بما اراك الله بما عرفك الله و
اوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة وقومه الذين شهدوا زورا على اليهودي خصيما للبراء وهو
اليهودي واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين

يختانون انفسهم يخونونها فانه وبال خيانتهم يعود عليها او جعل معصية العاصين خيانة منهم لانفسهم
كما جعلت ظلما عليها وضمير الجمع وان كان للخائن طعمة وحده ليشمل كل خائن لعموم الحكم ولان قومه
شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء في الاثم ان الله لا يحب يكني بعدم المحبة عن البغض
في جميع الالسنة من كان خوانا مبالغا في الخيانة بالاصرار عليها اثيما منهمكا فيه وانما اورد
صيغة المبالغة فيهما تعريضا بحال طعمة وافراطه في الخيانة حيث سرق ورمى بالسرقة
يهوديا وحلف كاذبا وقد كان سارقا في الجاهلية يستخفون من الناس يستترون منهم
خوفا وحياء ولا يستخفون من الله اي لا يقدرون على الاستخفاء منه تعالى اذ لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء ويجوز ان يكون الاستخفاء كناية عن الاستحياء لانه من اسبابه
اي لا يستحيون منه تعالى وهو احق بان يستحيى منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون سرا واصله
ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور
وكان الله بما يعملون محيطا اي عالما بكل وجوهه ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر وفيه مبالغة
عظيمة في التوبيخ اي مثل البكم في الجدال بالباطل لا يمكن ذمكم بازيد مما انتم عليه
فانتم انتم لا نشهيركم بوصف اظهر في التوبيخ مما اتصفتم به وتعينتم من بين سائر
الناس ثم اكده بالتنبيهين والاجمال في اسم الاشارة والتفصيل في بيانه والايذان
بان الجدال بالباطل لا يجدي في الآخرة انما هو في الدنيا لكونها موضع التلبيس والاشتباه
ولا يغني عنهم شيئا عند الافتضاح على رؤوس الاشهاد وانتقام العزيز القهار وان
دفع الفضيحة في الدنيا والعقوبة فيها فقوله جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة
ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره
او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه غيره ثم يستغفر الله بالتوبة وفي كلمة ثم اشارة
الى ان الاستغفار لا يكون نافعا اذا لم يؤد الى الاصرار يجد الله غفورا لذنوبه رحيما
بقبول توبته وامهاله الى ان يتوب وفيه حث للمذنبين على الاستغفار ويدخل فيهم
طعمة وقومه دخولا اوليا ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اسأتم
فلها وكان الله عليما به حكيما في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
او اثما كبيرا او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما فعل طعمة وقومه الضمير للخاطئة او فقد احتمل
اي بسبب الكاره ورميه به بريئا بهتانا برمية البريء فذمته لانه افظع واحتمل

الى من حمل لان ما فعل فيه التسبب **واثماً مبيناً** بتبرئة النفس الخاطئة وليس فيه التسوية بين الكاسب[ين]
بل تشريكهما فيما احتملاه بسبب ما فعلاه بعد الكسب **ولولا فضل الله عليك** اي عصمته عن الخطاء
ورحمته بما اوحي اليك من الاطلاع على سرهم **لهمت طائفة منهم** من بني ظفر او من الناس
والطائفة بنو ظفر **ان يضلوك** عن القضاء بالحق مع علمهم بان الجاني صاحبهم والجملة جواب
لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى المبالغة في نفي تاثيره بتنزيله منزلة العدم **وما
يضلون الا انفسهم** لانهم ما ازلوك عن الحق وعاد وباله عليهم **وما يضرونك من شيء** لان
الله تع عاصمك يحول بينك وبين الخطاء في الحكم وما خطر ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الامر
لا ميلاً في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئاً من الضرر **وانزل الله عليك
الكتاب** القرآن **والحكمة** السنة المنقسمة الى القولية والفعلية كالحكمة وقيد تنبيه على ان
السنة التي هي احدى اركان الشريعة من قبيل الوحي الغير المتلو **وعلمك ما لم تكن تعلم** من خفيات
الامور او من امور الدين والاحكام **وكان فضل الله عليك عظيماً** اذ لا فضل اعظم من الرسالة
العامة **لا خير في كثير من نجواهم** من تناجيهم **الا من امر** الا نجوى من امر على حذف المضاف
وهو في محل الجر على البدل من كثير او في محل النصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من امر
بصدقة او معروف وهو عام في كل جميل شرعاً وعقلاً وعرفاً **او اصلاح بين الناس** او اصلاح
ذات البين **ومن يفعل ذلك** اي يامر بالخير لان الفعل كثيراً ما يطلق على القول والامر **ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً** ويجوز ان يرتب الوعد على الفعل تحضيضاً للآمر بالخير على فعله
وتنبيهاً على ان الامر بفعله دون فعله لا يستحق بل الامر به دليل على ان فعله اهم وانما يوجب
الثواب لاضافته اليه فثوابه تبع لثواب فعله وانما شرط ان يكون لطلب مرضاة الله تعالى
لان الاعمال بالنيات فاذا لم تقارنه النية او عرض لصاحبه الرياء والسمعة فليس بخير بل
هو الى الشر واستجلاب العقاب اقرب ووصف الاجر بالعظيم تنبيهاً على حقارة ما
فات في جنبه من اعراض الدنيا **ومن يشاقق الرسول** يخالفه من الشق فان كلاً من
المخالفين يكون في شق غير شق الآخر **من بعد ما تبين له الهدى** ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات
ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك هو السبيل الذي اتفقوا على صحته من الدين الحنيفي القيم فيندرج فيه
الاجماع والاجتهاد فانه ايضاً مما اتفقوا على صحته وعلى كون الثابت به من الدين وهذا كالبيان
لمخالفة الرسول م فان من اتبع الاجماع او اجتهاد مجتهد والياً لما تولاه من الضلال
بان نخلي بينه وبين ما اختاره **نوله ما تولى** [**ونصله جهنم**] وندخله فيها اي نخذله في الدنيا ونعذبه بالنار
في الآخرة وقرئ نصله بفتح النون من صلاه **ونصله جهنم** جهنم قيل تدل الآية على حرمة
وساءت مصيراً

[illegible]

مخالفة

[illegible]

مخالفة الاجماع لانه تع رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما
او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد
وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً
كان اتباع سبيلهم واجباً ومبناه على ان لا يكون قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين لتقرير
المخالفة المذكورة وبيانها وذلك غير مسلم **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** كرره
لقصة طعمة وانصاله بها انه اشرك بعد الايمان وليس للشرك غفران قال اسماعيل فخرج
طعمة من مكة ولحق بحرة بني سليم فعبد صنمهم حتى مات على الشرك فنزل فيه الآية فتبين ان
طعمة لو لم يشرك لكان في سعة رحمة الله تع ان يغفر له **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً**
اي تناهى عاديه في الضلال اذ لا جهل اخفى من الجهل بالله وانما ذكر في الآية الاولى ومن
افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان افتراؤهم وهو دعوى التبني
على الله تع وهذه في شان من ليس من اهل الكتاب ولا علم عنده فناسب وصفه بالضلال
وايضاً فقد تقدم ذكر الهدى وهو ضد الضلال **ان يدعون من دونه الا اناثاً** يعني
اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويلبسونه انواع الحلي ويسمونه
انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم
الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث
كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على
قلب الواو لضمتها همزة **وان يدعون** وان يعبدون بعبادتها **الا شيطاناً** لانه هو الذي بعثهم
على ذلك ودعاهم اليه فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة **مريداً** عاتياً خارجاً عن طاعة الله
ظاهر الشر كالغلام الامرد والشجرة المرداء التي سقطت اوراقها وظهرت عيدانها **لعنه
الله** صفة ثانية للشيطان **وقال لاتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً** صفة اخرى له والواو للجمع اي جامعاً
بين لعنة الله وهذا القول الشنيع في لاتخذن وما بعده من الافعال الدالة على فرط عداوته
للناس والمفروض المقدور اي نصيباً قدر لها وقدر من قولهم فرض لي في العطاء
ولاضلنهم عن الحق **ولامنينهم** الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال **ولآمرنهم
فليبتكن آذان الانعام** البتك القطع والتفعيل للتكثير والتكرير اي يقطعونها للتحريم ما احله وهي
عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق
كاملاً بالفعل او بالقوة **ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه
ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر وعموم اللفظ يمنع التغيير مطلقاً

ولكن خص منه البعض كالختان بالنص ثم الفقهاء خصوا منه خصاء البهائم للحاجة بالقياس واما هو من
انواع الكفر كعبادة الشمس والقمر وكباير المعاصي كاللواطة فقد اندرجت تحت قوله ولاضلنهم
والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله** بمجاوزة
عن طاعة الله تع الى طاعته وايثاره ما يدعوه اليه على ما امر تع به **فقد خسر خسرانا مبينا** اذ ضيع
راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار **يعدهم** ما لا ينجز **ويمنيهم** ما لا ينالون
وما يعدهم الشيطان الا غرورا باظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان
اوليائه **اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا** اسم مصدر من حاص يحيص اذا خلص
وتجاوز عنها حال منه وليس صلة له لان المصدر لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون اسم مكان اي
معدلا ومهربا بالغ في التنفير عن الشرك بوجوه اولها تحقير معبوداتهم ونقصها بالانوثة
وثانيها ان دعائهم وعبادتهم اياها انما هو دعوة الشيطان وعبادته وثالثها وصف
الشيطان بالمرادة واللعن والتمنية والدعوة الى القبايح وفنون الاغواء والاخبار
عن نفسه بذلك على التاكيد القسمي ورابعها الاخبار بان ولايته توجب الخسران الظاهر
وخامسها تكرار اسم الشيطان في ثلث مواضع وترك اضماره الى اظهار اسمه الدال على البعد
والطرد وسادسها تكرار تنبيه الكاذبة والاخبار بان وعده ليس الا تغريرا محضا وتمويههم
اياه غرورا باطلا وسابعها ان المشركين المطيعين له في الشرك وارتكاب تلك المعاصي
مأويهم جهنم ولا يجدون عنها مخلصا ثم قابل ذلك التنفير بالترغيب في الايمان والتوحيد بقوله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قد تقدم تفسيره **وعد الله حقا** مصدران مؤكدان الاول لنفسه اي وعده وعدا لان مضمون
الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني لغيره اي وحق ذلك حقا ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل
يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال
من المصدر **ومن اصدق من الله قيلا** توكيد ثالث على سبيل الاعتراض والمقصود من الآية معارضة
المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا
للعباد في تحصيله **ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب** اسم ليس وعد الله اي ليس وعد الله
من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح
وقيل الخطاب مع المشركين ويعضده تقدم ذكرهم ثم قدر ذلك وقال **ومن يعمل سوءا يجز به** عاجلا
او آجلا ويدل على التعميم للعاجل قوله تع والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا
سمى القطع جزاء وقوله عم في جواب ابي بكر رض اذ قال كيف الصلاح بعد هذه الآية غفر الله لك يا ابا بكر

السنة مرض تصيبك اللاواء فهو ما يجزون **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله
ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه **ومن يعمل من الصالحات** من للتبعيض لان المكلف
لا يطيق عمل كل الصالحات والطاعة بحسب الطاقة **من ذكر او انثى** في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان **وهو مؤمن** حال قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لا نفعا ولا دفعا والعمل الصالح
لا يكون الا المؤمن فزيادته لبيان ان المراد من عمل صالحا وهو ثابت على الايمان ولا بد من
هذا القيد في تحقق ما اخبر به بقوله **فاولئك يدخلون الجنة** ولا عبرة لايمان اقترن بالعمل الصالح
ثم زال **ولا يظلمون نقيرا** لا بالنقص عن الثواب الموعود ولا بالزيادة على العقاب المعهود فهو
متعلق للوعيد ايضا المذكور بقوله من يعمل سوءا يجز به **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله**
استفهام معناه النفي اي لا احد احسن دينا منصوب على التمييز وكنى بالوجه عن الانسان اذ
كان اشرف الاعضاء ومعنى اسلم لله انقاد لامره وشرعه **وهو محسن** جملة حالية مؤكدة
وكون الغير احسن دينا منه لا يستلزم بلوغه منتهى المراتب البشرية **واتبع ملة ابراهيم**
الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها فانه عم بعث على ملة ابرهيم عم وزيد له اشياء
حنيفا مايلا عن ساير الاديان حال من المستكن في اتبع **واتخذ الله ابراهيم خليلا** مجاز
عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وهي جملة اعتراضية
فايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى والكرامة عند الله تع الى ان اتخذه
خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وبان من اتبعه كان من احسن الناس دينا وانما عاد ذكره
ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا
وملكا يختار منهما من يشاء وقيل من تتمة ذكر العمال الصالحين والطالحين مقرر لوجوب
طاعته عليهم وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال **وكان الله بكل شيء محيطا** احاطة علم
وقدرة وعد ووعيد **ويستفتونك في النساء** في ميراثهن اوفيه نزلت **قل الله يفتيكم**
يبين لكم حكمه **فيهن** والافتاء تبيين المبهم **وما يتلى عليكم في الكتاب** في محل الرفع بالعطف الى الله
يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى على ان **في يتامى النساء** صلة يتلى وجاز ان يكون
بدلا من فيهن او ما يتلى مبتداء وفي الكتاب خبره والجملة اعتراضية او في محل الجر على القسم
وفي يتامى النساء على الوجهين بدل من فيهن واضافة يتامى الى النساء بمعنى من والكتاب
على الوجه الثالث هو اللوح المحفوظ وفايدة الاعتراض تعظيم المتلو وخاصة حكم اليتامى اي المتلو
عليكم في باب يتامى النساء حكم مثبت عند الله في اللوح حقيق ان يراعى ويحافظ عليه فانه من

فانتبها ما ذكرناه الا ان ذكر الاعمال ... عن خصوص الوعد كما توهم الغالب

عظايم الامور عنده كان فائدة العطف في الوجه الاول تعظيمه بالاختصاص بالله وان حكمه حكم الله
الموطئة تفخيم شان الموطاله وكذلك فائدة القسم في الوجه الثالث فان الاقسام بالشيء تنويه
باسمه وتعظيم لشانه اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون
ان تنكحوهن كان الرجل منهم يضم اليتيمة وما لها الى نفسه فان كانت جميلة تزوجها واكل
مالها وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها فيجوز ان يكون المعنى في ان
تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن والظاهر الاول لقوله لا تؤتونهن اي لا تؤتونهن
مالهن ولا تنكحوهن والواو للعطف دون الحال لانه مضارع مثبت فلا يدخل عليه الواو
الا بتاويل لا حاجة لنا به ههنا وظاهر النص يدل على صحة تزويج الصغيرة لغير الاب
والجد ولا يعارضه احتمال ان يكون المعنى ان تنكحوهن اذا بلغن لان الاصل في المطلق
ان يجري على اطلاقه والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب كانوا
لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وكذا قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف عليه اي
وفي ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا
على موضع فيهن ويجوز ان يكون منصوبا باي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة
في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما ذكر العلم بعد العمل ابلغ وعد ووعيد واعلى اشارة وتهديد وان امراة
فاعل فعل يفسره الظاهر خافت توقعت من بعلها لما ظهر لها من المخايل نشوزا
تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها
فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله
وقرئ ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او محذوف وقرئ يصلحا
من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة
او من الخصومة في كل شيء او انه ابعث على التوافق والتسالم مما اذا قيد بحالها او خير
من الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور وجملة اعتراضية اكدت باعتراضية اخرى
وهي قوله واحضرت الانفس الشح اي لا تخاصمام او عنها فان النفوس مجبولة على الشح كانها
الزمته وجعلت حاضرة له لا تنفك عنه فان هي لا تسمح بقسمها او بما يرحقها او بعضها
تلاه بغضب الزوج عليها وليسا بمحلها فان الشح كالامر الطبيعي للنفوس لما ذكر ولسامح
ولا تباغضا وتنتنا فاوان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وتتقوا النشوز والاعراض

مراعاة الحقوق الصحبة حض الخطاب بالازواج اشارة الى انهم اولى باقامة حقوقهن والاحسان والتقوى
فانهن ناقص العقول فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيجازيكم عليه ويثيبكم
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء حتى لا يقع بينكم زيادة ونقصان فيما يجب لهن البتة ولو حرصتم
من جهة التكلف ومراعاة العدالة في الحقوق فان ذلك امر طبيعي غير اختياري فوقع لذلك
عنكم تمام العدل والتسوية في شيء وما كلفتم الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم
فلا تميلوا كل الميل الى المحبوبة المرغوبة فيها عن المرغوب عنها فتمنعوها قسمتها من غير رضى
منها فان في وسعكم فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة فيه
ضرب من التوبيخ وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل من
مثل ذلك فان الله كان غفورا رحيما غفر الله لكم الماضي ورحمكم بالتوفيق للعدل في المستقبل
وان يتفرقا اي يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن صاحبه وكفاه امره بدونه
من سعته من سعة رحمته وكان الله واسعا من جهة الانفصال بل من جميع جهات الفضل و
الكمال حكيما لا يامر عباده الا بما هو مصلحة وحكمة ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال
سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم
عطف على الذين اوتوا ان اتقوا الله اي بان اتقوا الله او تكون ان المفسرة لان التوصية
في معنى القول واللام في الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية لان المراد ولقد وصينا
الامم السالفة كلها ووصيناكم اي هذه التوصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده
لستم مخصوصين بها فان السعادة في التقوى وبه تنجح لاهل التقوى وان تكفروا فان
لله ما في السموات وما في الارض جملة معطوفة على ان اتقوا الله لان المعنى امرناهم واياكم
بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله الخلق كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم بين بقوله وكان الله غنيا
عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ان خلقه العالم ليس لحاجته
ومصلحة فانه كان غنيا قبل خلقه حميدا قبل حمد الحامدين ولله ما في السموات وما في الارض
تكرير لبيان عظمته وغناه وتقرير لوجوب تقواه فتقديمه على التوصية تمهيد لعظمته
ومالكيته وكونه اهلا لان يتقى ويطاع والثاني لبيان غناه وتاكيد الاول في تقرير معناه
والثالث تقوية لما ذكر من كونه حميدا بالنسبة الكل وكون الاشياء كلها في طاعته
وحده وعبادته فلا يضره كفركم وكفى بالله وكيلا اعتراض مؤكد لمالكيته و
مدبرية للكل ببيان انه لم يكل امورهم الى غيرهم فعليهم ان يطيعوه ويتوكلوا عليه

وفيه تسلية للرسول عم وللمؤمنين وفيما بعده تخويف وتهويل شديد وابعاد وتهديد بليغ لاعدائهم
إن يشأ يذهبكم أيها الناس اي يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ومفعول يشاء محذوف
دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم يوالونه ويؤمنون به والخطاب
بمن يعاديه من كفار العرب وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا اذ لا يمتنع شيء
على قدرته وارادته ويروي انها لما نزلت ضرب رسول الله عم يده على ظهر سلمان
وقال انهم قوم هذا يعني ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يطلب الغنيمة بجهاده
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فلا وجه لارادته فعند الله ثواب الدارين فما له يطلب
الاخس ويترك الاشرف وفي الحديث ان الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي على نية
الدنيا فان الاشرف يستتبع الاخس دون العكس فمن جاهد لوجه الله لم تخطئه
الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة بجنبه كلا شيء فليطلب خيرهما وكان الله سميعا
بحاجات نفوسكم بصيرا بنياتكم وارادتكم في اعمالكم وفيه وعيد لمن وقف مع هوى
نفسه واختار الاخس الفاني ووعد لمن اخلص وجهه لله تعالى وطلب الاشرف الباقي
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ملازمين للعدالة دائبين القيام بها شهداء لله
لوجه الله تعالى وهو خبر ثان او حال لانهم مامورون بكونهم قوامين بالقسط مطلقا فلا وجه
لتقييده بحال الشهادة ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها
فان الشهادة بيان الحق سواء كان على نفسه او على غيره أو الوالدين والأقربين احرج
ولم يسلك طريقة التي في المكان قوله إن يكن اي المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تمتنعوا
عن اقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا لغناه او ترحما لفقره فالله أولى بهما فالغني
والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب
اقيمت مقامها والضمير في بهما ليس للمذكور اعني احد الجنسين حتى يلزم افراده بل للمدلول
عليه المذكور اعني مجموع الجنسين فان في اشتراط احد الامرين دلالة على وجودهما في الجملة
وبهذا القدر من البيان لا يتم الكلام في هذا المقام بل لا بد من بيان وجه العدول
عن الظاهر وجعل الضمير للمدلول دون المذكور وهو انه للقصد الى تعميم اولويته وان
لا يتوهم انها بالنسبة الى الواحد فقط وقراءة اولى بهم شاهدة على ارادة الجنس
فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن
الحق على ان يكون علة للنهي وطلب الترك اي انهاكم عن اتباع الهوى ارادة لعدلكم
او كراهة لعدولكم وإن تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا

اي

اي وان وليتم احدهما من اقامة الشهادة والحكومة أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او عن الحكومة بالعدل
فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا أيها الذين آمنوا آمنوا اي دوموا على الايمان بالله ورسوله
والخطاب للمسلمين او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض مع الكفر
الباقي كلا ايمان والخطاب لمؤمني اهل الكتاب ويشهد له انه روي ان ابن سلام واصحابه
قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
وبما بعده التفصيل في قوله والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن فانه انزل منجما ولهذا قال
نزل بخلاف سائر الكتب والكتاب الذي انزل من قبل اريد به الجنس وذكر المنزل عليه في الاول
بوصف الرسالة والاضافة الى نفسه تعالى ما لا يخفى من التشريف والتعظيم له عليه السلام
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك وفي التعبير عنه
بالوجه المنزل تنبيه على ان الايمان بتلك الجملة في حكم الايمان بشيء واحد فالكفر ببعضه
حكم الكفر بكله فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه إن الذين آمنوا
ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني المنافقين او من المنافقين عبثوا بالدين بالكفر بعد اخرى
والاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ولذلك جاء بعده بشر المنافقين اظهارا
لحالهم واخبارا عن مآلهم لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس في عادته تعالى ارادة المغفرة لهم
ولا ليهديهم سبيلا لان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق وخبر كان في
امثال هذا محذوف تعلق به اللام اي لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بأن لهم عذابا
اليما وضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب على الذم
لا نعت لوجود الفاصل فلا يرتكب حيث لا ضرورة او في محل الرفع على الذم أيبتغون عندهم
العزة الهمزة للانكار اي كيف يطلبون العزة عند من ضربت عليهم الذلة ثم بين
امتناع حصول مطلبهم بحصر العزة في اولياء الله تعالى مع التأكيد بأن وجميعا بقوله فان العزة
لله جميعا اي ما العزة الا لاولياء الله الذين اعزهم بنصره وكتب لهم العزة كما قال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة الى عزتهم وقد نزل عليكم في الكتاب
يعني القرآن والخطاب للمؤمنين والمنزل عليهم ما نزل بمكة من قوله تعالى فاذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقرئ نزل والقائم مقام
فاعله أن اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم آيات الله وهذا
على طريقة قولهم سمعت فلانا يقول فالمسموع هنا استهزاؤهم بآيات الله لا الآيات
يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات والاولى مقيدة للثانية تعظيما لامر الاستهزاء بالقرآن

وانما جي به لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم الضمير لما دل عليه قوله يكفر بها من الكفرة
حتى يخوضوا في حديث غيره اي غير ما خاضوا فيه والخوض الشروع وحتى غاية للنهي وانما جعل غاية الخوض
في حديث غيره دون السكوت عنه لانه لا يدل على الاعراض عنه بخلاف الخوض بحديث آخر انكم
اذا مثلهم اي اذا امكنتم معهم فانتم مثلهم في الوزر لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار
عليهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه لان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية
او عدم الانكار عليهم لا يدل على الرضا وعلى تقدير تسليم الدلالة عليه فالرضا بكفر الغير ليس بكفر
اذا لم يكن مع استحسان له وتخصيص الخطاب بالمنافقين لا يساعده السياق ولا يقتضيه اللحاق
عليها ستقف عليه باذن الله تعالى واذن ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها
الفعل وافرد مثلهم كانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على
البناء لاضافته الى مبني قيل لما نزلت هذه الآية وكانوا اذا خاضوا في ذلك قام المخلصون
فعلم المنافقون بذلك فكانوا يكثرون الخوض فيه قصدا الى تفريقهم ومن هنا ظهر وجه
انتظام قوله ان الله جامع المنافقين والكافرين اي جامع لذينك الفريقين في جهنم وقوله
جميعا لاحاطة افرادهما وسياق الكلام لذم المنافقين وموجب ذلك ان لا يجمع الله
من مخلصي المؤمنين مع الكفار فيها وذلك بخروجهم قبل ان يحلوا الذين يتربصون بكم
ينتظرون تجدد حال بكم وهذا بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين خاصة او ذم
مرفوع او منصوب وجوز ان يكون مبتدا والخبر قوله فان كان لكم فتح من الله ويضعف
لنبو المعنى عنه ولزيادة الفاء في غير محلها لان هذا الموصول غير ظاهر الشبه باسم الشرط
قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب
فانها سجال واما سمي غلبة المؤمنين فتحا وغلبة الكفار نصيبا تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا
لحظ الكافرين لان ظفر اهل الاسلام امر عظيم يفتح له ابواب السماء وينزل النصر على اوليائه
واما غلبة الكفار فما هي الا حظ دني كنار الوغى قالوا للكفرة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن
من قتلكم واسركم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء
استروح واستصوب ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم و
توانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني ان ما في حقهم
من الامهال في الدنيا استدراج لهم لا اهمال لامرهم والفاء السببية للدلالة على ان الحكم
الموعود عليهم لا لهم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اي في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة
فلا متمسك فيه لاصحاب الشافعي على فساد شراء الكافر المسلم ولا للحنفية على حصول

البينونة

البينونة بنفس الارتداد ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اوائل سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان اي متثاقلين كالمكره على الفعل يراءون الناس ليخالوهم
مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله
وهو يريه استحسانه كسالى ويراءون منصوبان على الحال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا
لاشتغالهم بامور الدنيا وتهالكهم عليها اما عطف على يراءون واما حال من ضميره قيل اذ المرائي
لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله ويأباه العطف بالواو وحقه العطف بالفاء
مذبذبين بين ذلك مترددين بين الكفر والايمان من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا و
اصله الذب بمعنى الطرد حال من ضمير يذكرون او يراءون او منصوب على الذم وقرئ بكسر الذال
اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ
بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة واخرى في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية وفي ذمهم بهذا الوصف دلالة على ان النفاق من
الكفر الصرف ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب اعتراض لبيان ان تلك
الذبذبة من الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين
وديدنهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل ظاهر
على النفاق والهمزة للانكار والتقرير ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهي الطبقة التي
في قعر جهنم وهو اشد عذابا ولذلك يقول الكافرون ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين والنار سبع دركات سميت بذلك لانها
متداركة متتابعة بعضها تحت بعض والمنافقون اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر استهزاء
بالاسلام وخداعا للمسلمين ولذلك استحقوا اشد العذاب واما قوله ثلث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان فمن باب التغليظ وقرئ في الدرك بسكون الراء وهو لغة كالسطر و
السطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا
عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من احوالهم واسرارهم في حال النفاق واعتصموا بالله
تمسكوا ووثقوا به كما يثق المؤمنون الموقنون واخلصوا دينهم لله بالبراءة عن الرياء وتخصيص
العبادة به تعالى وابتغاء وجهه بالطاعة فاولئك مع المؤمنين اي اصحابهم ورفقاؤهم في الدارين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ويشاركونهم في الاجر ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم انكار لانتفاعه تعالى بعذابهم اي منزه عن الاغراض التي انما يعذب

الملوك لاجلها لا يتشفى به من غيظ ولا يدرك به ثارا ولا يستجلب به نفعا ولا يستدفع به ضررا كما يفعله الملوك
لانه الغني المطلق الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما العذاب مقتضى حكمته فان شكرتم نعمه باستعمالها
فيما يجب وتوسلتم بها الى معرفته وآمنتم به فقد ابعدتم استعدادكم عن استحقاق العقاب
وكان الله شاكرا مثيبكم بابقاء اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم وانما قدم الشكر على الايمان لان
اعظم الشكر هو الاستدلال بالنعمة على المنعم الموصل الى معرفته ثم استعمالها في طاعته والاستدلال
مقدم على الايمان لا يحب الله الجهر بالسوء من القول انما ذكر هذا الوصف مع انه لا يحب
السوء مطلقا لانطباقه في سبب النزول روي ان رجلا اضاف قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا
فعوتب على الشكاية فنزلت الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم وذكره بما فيه من السوء
فالاستثناء متصل وقرئ ظَلَم على البناء للفاعل على انه منقطع اي ولكن الظالم يجهر بالسوء
فاعلا ما لا يحبه الله او على البدل من الفاعل اي لا يحبه الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني
زيد الا عمرو ومعنى ما جاءني الا عمرو ومنه قوله تعالى لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
وكان الله سميعا يسمع قول المظلوم عليما يعلم فعل الظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه
سرا او تعفوا عن سوء خص العفو بالذكر مع انه يلزم القسمين لكونه المقصود على اي وجه كان
وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا
يكثر العفو عن العصاة مع كمال القدرة على الانتقام فعليكم ان تقتدوا سنته وتخلقوا
بخلقه لحث العفو بجعله صفة لله تعالى وبالحث على الاتصاف به وتعظيم صاحبه بانه سميه ان الذين
يكفرون بالله ورسله قوله بالله توطئة لرسله بدليل قوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي
بالايمان بالله والكفر بالرسل والمراد بالتوطئة بيان ان الكفر بالرسل كفر بالله فالتفريق
خطاطة اذ لا واسطة بين الكفر والايمان ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض
الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر
ادمج في اول الآية ان الكفر بالبعض كفر بالكل وصرح به في آخرها بقوله اولئك هم الكافرون
على سبيل الحصر بتوسيط الضمير وتعريف ما بعده اي الكاملون في الكفر وبالتاكيد بالمصدر
فان قوله حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا
اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اراد الاهانة في الغاية والا فمعلوم ان العذاب
لا يكون الا مهينا اضدادهم ومقابلوهم وقد سبق وجه دخول بين على احد في آخر سورة
البقرة اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة
على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرئ يؤتيهم بالياء على تلوين الخطاب اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا ر

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم

ص

لما فرط منهم معجبا بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود
اذ قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما قال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما كانت التورية او كتابا الينا باعياننا كما قال
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة او كتابا نعاينه حين ينزل كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب لشرط محذوف دل عليه يسألك اي ان
سألوك ما كبر عليك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك اي فلك في الانبياء اسوة ولهم في ذلك سابقة
وانما قال فقد سألوا والسائلون اسلافهم لانهم على طريقة واحدة وربما كانوا عن كابر
منهم وانهم قوم واحد على مذهب واحد في التعنت وعن فهم راسخ في ذلك فقالوا ارنا الله
جهرة اي ارناه نراه جهرة عيانا او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من
السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السؤال فلا دلالة فيه على استحالة
الرؤية ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية لانه اتاها
بعد ذلك فعفونا عن ذلك اي تابوا فعفونا فالفاء فصيحة يرشدك اليه قوله في سورة البقرة ثم
عفونا عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة
عن اتخاذهم العجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا
الباب اي باب ايليا سجدا متطامنين عند الدخول او ساجدين وقلنا لهم على لسان داود
ويجوز ان يكون موسى عم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ في زمن داود
لا تعدوا في السبت وقرئ لا تعدّوا على اصله لا تعتدوا وادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا
على قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم متعلق بمحذوف اي بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم
وكذا وكذا فعلنا بهم من تحريم الطيبات عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم وحذف لدلالة ما
بعده عليه واما بقولنا حرمنا واعتدنا على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله
فبنقضهم وما عطف عليه وما مزيدة للتاكيد وتحقيق ان تحريم الطيبات عليهم واعتداد العذاب
الاليم لهم لم يكن الا بنقض العهد وما يتبعه من الكفر بالآيات وقتل الانبياء عم وغير ذلك و
الفاء فصيحة عاطفة على محذوف تقديره ثم نقضوا الميثاق فبسبب نقضهم الميثاق فعلنا
بهم ما فعلنا وكفرهم بآيات الله بما في كتابهم وقيل بالقرآن وقيل الخ حقه ان يؤخر عن قوله
وقتلهم الانبياء بغير حق قد سبق تفسيره في سورة البقرة وقولهم قلوبنا غلف معناه مغشاة باغطية
خلقية لا يصل اليها شيء من الذكر والموعظة بل طبع الله عليها بكفرهم رد لما قالوا اي
لم يخلق قلوبهم غلفا بل طبع الله عليهم وخذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم فلا يؤمنون الا قليلا

قيل اوعية للعلوم ولا تكتسب قوله

إيمانًا قليلًا لا عبرة به لنقصانه ويجوز أن تكون القلة كناية عن العدم وقد سبق وجهها في
وأمّا ما قيل المعنى إلا قليلًا منهم كعبد الله بن سلام فيأباه النظم بل على ما تقدم وبكفرهم
يعني بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على قوله
فبما نقضهم ويجوز أن يكون يعطف مجموع هذا وما عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر
الكفر إيذانًا بتكرر كفرهم فإنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم
على مريم بهتانًا يعني نسبتها إلى الزنا والقول إذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافتراء ونصب
على تضمين معنى باهتين وقوله عظيمًا تأكيد لما في تنكير بهتانًا من التفخيم وقولهم إنا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه استهزاءً كما قال فرعون إن رسولكم الذي
أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يكون استئنافًا بأن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم
القبيح في الحكاية عنهم رفعًا لعيسى عليه السلام عما يذكرونه به وعيسى بدل من
المسيح أو عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز أن يكون صفة أيضًا وأجاز أبو البقاء
في رسول الله هذه الأوجه الثلاثة لأن البدل في المشتقات قليل وقد يقال إن
رسول الله جرى مجرى الجوامد وما قتلوه وما صلبوه تخصيص بعد التعميم لكونه محل
الاهتمام أو نفي لما ظنهم من أنهم قتلوه ثم صلبوه ولكن شبّه لهم شبّه مسند إلى الجار
والمجرور كأنه قيل وقع لهم التشبيه أو إلى ضمير المقتول المدلول عليه بقوله إنا قتلنا كأنه
قيل شبّه لهم من قتلوه روي أنه دخل رجل من اليهود بيتًا كان هو فيه فلم يجده وألقى
الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق لا تستغرب
في زمان النبوة وقيل إن رهطًا من اليهود سبّوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأصحابه أيكم يرضى أن
يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وإنما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات
الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسبانهم وإن الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى عليه السلام
وذلك أنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه كان كاذبًا فقتلناه
حقًا وتردد آخرون فقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه أن الله تعالى يرفعني إلى السماء إنه رفع إليها
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه من أمره والمراد من الشك
التردد ولما احتمل أن يكون الوقوع في الشك لأكثرهم دفعه بقوله ما لهم به من علم من جنس العلم

إلا اتباع الظن استثناء منقطع والمعنى أنهم مستمرون على الشك لكن قد يلوح لهم أمارة فيظنون
ثم يزول ويعود الشك وهذا أدل على شدة الحيرة من استمرار الشك بلا انقطاع هذا بحسب جليل
النظر والذي يجب تدقيقه أن المراد من الشك ما يلزمه من الحيرة التي لا يحصل لهم عنها في
عبارة في الدالة على الثبوت والتقرر إنما تساعد هذا وما قتلوه يقينًا صفة مصدر محذوف
أي وما قتلوه قتلًا يقينًا أو حال أي وما قتلوه متيقنين فيما ادعوا من قولهم إنا قتلنا
المسيح أو تأكيد لما قتلوه كأنه قيل وما قتلوه حقًا أي حق انتفاء قتله حقًا وهو تأكيد لغيره
بل رفعه الله إليه رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه إليه إلى منزلة عالية مما كان فيه
وكان الله عزيزًا لا يغلب على ما يريده حكيمًا في تدابيره ويدخل فيه دخولًا أوليًا ما دبره في أمر
عيسى عليه السلام وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لأحد
ويعود إليه الضمير الثاني والأول لعيسى عليه السلام أي ما من يهودي ولا نصراني إلا ليؤمنن قبل
أن يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه إيمانه بأن عيسى عليه السلام عبد الله تعالى ورسوله
ويؤيد ذلك أنه قرئ إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لأن أحدًا في معنى الجمع وهذا
كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطروا إليه ولا ينفعهم إيمانهم
وقيل الضميران لعيسى عليه السلام والمعنى أنه إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعًا فتكون
الملة واحدة وهي ملة الإسلام وهذا يقتضي تخصيص أهل الكتاب بالذين هم يوجدون
عند نزوله عليه السلام وتعميم الحكم لغير الكتابي أيضًا فعلى ما ذكر يكون في المنزل تخصيص في موضع التعميم
وتعميم في موضع التخصيص ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا تقديمه للتخصيص فيشهد
على اليهود بالتفريط في حقه وعلى النصارى بالإفراط فيه فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الآية والتنكير في بظلم
للتعظيم وتقديمه على ما تعلق به يفيد التخصيص وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا أناسًا
كثيرًا أو صدًا كثيرًا وإنما أعيدت الباء هنا دون في وأخذهم وما بعده للفصل بين المعطوف
بما ليس معمولًا للمعطوف عليه بخلاف الفصل فيما بعده فإن الفاصل ثمة بالمعمول للمعطوف عليه
وأخذهم الربا وقد نهوا عنه أي نهي تحريم بدلالة السياق فلا دليل فيه على أن النهي المطلق
يدل على التحريم وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة وأعتدنا
للكافرين منهم دون من تاب وآمن عذابًا أليمًا في الغاية لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله
بن سلام وأصحابه والمؤمنون أي منهم أو من المهاجرين والأنصار يؤمنون بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلاة نصب على المدح لبيان فضيلة الصلاة أو عطف

علي ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا الخبر اولئك سنؤتيهم **والمؤتون الزكوة** رفعه لاجل الاوهم **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لان المقصود من الآية **اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما** على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح** بدا به لانه اول من شرعت له الشرايع وسنت له السنن **والنبيين من بعده** جواب لاهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبياء **واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان** خصهما بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم لان ابراهيم اول اولي العزم وعيسى آخرهم والباقون اشراف الانبياء ومشاهيرهم وانما لم يذكر موسى هنا لان له طريقة مخصوصة في الوحي على ما سياتي التصريح بها وايضا قد انزل عليه كتاب من السماء دفعة واحدة فلا يناسب ذكره في الرد على ما طلب مثل ذلك **وآتينا داود زبورا** وقرئ زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور **ورسلا** منصوب بمضمر دل عليه اوحينا او بما يفسره **قد قصصناهم عليك من قبل** من قبل هذه السورة او اليوم **ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما** وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم قوله تكليما لدفع المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا يحققه بالمصدر فاذا حقق به لم يكن الا حقيقة الكلام **رسلا مبشرين ومنذرين** منصوب على المدح او على التكرير للتاكيد او على الحال الموطية كقولك مررت بزيد رجلا صالحا **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ومن قال وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها فلم يتنبه لعدم مساعدة الاقتصار على التنبيه والانذار لذلك فان الامر في ذكر بيان الاحكام كما لا يخفى على ذوي والّلام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة **وكان الله عزيزا** لا يغلب فيما يريد **حكيما** فيما دبر ويدخل فيه تدبيره في النبوة وتخصيص كل نبي من الانبياء المذكورين بما خصه به دخولا اوليا **لكن الله يشهد** استدراك عما دل عليه سؤالهم فانه لما اجاب عن اقتراحهم انزل كتابا من السماء وتعنتا واحتج عليهم بان طريق الوحي المنزل على جميع الانبياء عليهم السلام على هذا الاسلوب دل على

انهم لا يشهدون به والالم يسالوا الوضوح ولم يتعنتوا فقال لكن الله يشهد وانهم انكروه ولكن الله يشهد **بما انزل اليك** من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك الآية قالوا ما نشهد لك فنزلت **انزله بعلمه** حال اي ملتبسا بعلمه جملة مفسرة او ردت بيانا للشهادة اي بعلمه الخاص وهو العلم بتاليفه على وجه يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم وعلى هذا يكون الحال عن المفعول وعلى الاولين عن الفاعل **والملائكة يشهدون** ايضا بنبوتك **وكفى بالله شهيدا** اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره **ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا** لجمعهم بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه **ان الذين كفروا** بانكار نبوة محمد **وظلموا** انفسهم بالضلال وغيرهم بالصد والاضلال **لم يكن الله ليغفر لهم** اي ليس في عادته ان يغفر لهم ما داموا على ذلك **ولا ليهديهم طريقا** لامتناعهم عن قبول ذلك **الا طريق جهنم** لا يجدا بهم اليها بهواهم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها **خالدين فيها ابدا** لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على الكفر فهو لا يخرج من النار وخالدين حال مقدرة **وكان ذلك على الله يسيرا** لا يصعب عليه ولا يستعظمه **يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق** الباء اما للتعدية اي بالكتاب او الدين الذي هو الحق او للمصاحبة اي ملتبسا بالحق **من ربكم** لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على عدمها **فآمنوا خيرا لكم** اي ايمانا خيرا لكم وابتغوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه **وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض** اي فان الله غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم لان له ما في العالم كله تحت اجزاءه وانبهم تعليله مقامه وعنى عن العالم بتطريه **وكان الله عليما** باحوال العالم **حكيما** فيما دبره له

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تع حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة بجميع صفات الكمال وعامة نعوت الجلال والجمال ونبه على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام وآثاره الجسام ايضا حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض مع انها مثلها في التعدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة على ما ورد في الاخبار دون الارض واما دلالة آثارها وحركاتها على تعددها فمبناها على اصول فلسفية باطلة وقدمها لانقدمها وجودا لانه على خلاف ما ورد في الاخبار الصحيحة على ما مر بيانه في تفسير سورة البقرة لشرفها وعلو مكانها وعبر بهما باعتبار انهما قطرا العالم عن جميع الاجسام لطيفها وكثيفها كما عبر بالظلمات والنور عن جميع الاعراض محسوسها بالبصر وغائبها عنه وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل المتعدي الى مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والتسوية والجعل المذكور فيه معنى التخلق والارتباط بالغير بان يكون فيه او منه او اليه لا بان يصير اياه لانه معنى آخر للجعل فانه يتعدى الى مفعولين ولهذا اي ولكون الارتباط بالغير معتبرا في معناه آثره ههنا تحقيقا لما في الظلمات والنور من معنى القيام بالغير وتضمينا للرد على الثنوية بتقرير عدم صلاحيتهما للقيومية وجمع الظلمات دون النور لاختلاف اجناس ما غاب عن البصر اختلافا فاحشا بحسب اختلاف مظاهرها من القوى الظاهرة والباطنة بخلاف النور وقدمها لتقدم جنس الغائب عن البصر ظهورا فانه يظهر للانسان وهو جنين ولا يظهر له ما يدرك بالبصر ما لم يولد ولرعاية المناسبة لما تقدم ثم الذين كفروا يعني بالآخرة على ما افصح عنه قوله تع والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون عطف على خلق وثم معنى استبعاد ترك الايمان بعد ان قام عليه البرهان كانه قيل حصل ما اوجب توحيده من خلق السماء والارض وما بينهما بناء على انه لو كان فيهما آلهة آخر لفسدتا بربهم يعدلون حذف المفعول حفظا على الفواصل تقديره يعدلون غيره اي يشركون به واصل العدل المساواة اي ساووا بين الله تع خالق العالم وبين اصنامهم العاجزين عن الخلق ثم ان هذا العطف ليس على قصد انه صلة اخرى او بعض الصلة بل على قصد انه من الروادف لتلك الصلة ولهذا حسن كلمة الاستبعاد دون كلمة التشريك وبمحضها له تمحض الفاء للسببية في قولنا ما اتى فاكرمك انقطع علقة التشريك فلم يكن في معنى الحمد لله الذي عدلوا به ولتضمنه البشارة بالاشارة الى غاية لطفه ونهاية حلمه زاد وجه ذلك الارداف حسنا ولطافة وتجوز عطفه على الحمد لله والمعنى انه تع حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة

على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه فيكفرون نعمة وحذف صلة يعدلون ابقاء للانكار على نفس الفعل ووضع المظهر موضع الراجع الى الموصول تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر ومعنى ثم على هذا الوجه استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك هو الذي خلقكم من طين اي خلق اصل مادتكم وهي الاغذية التي تتكون منها النطفة او مادة اصلكم وهو آدم عم كاينه من طين وللمناسبة بين الخلق الصوري والتقدير المعنوي قال ثم قضى اجلا نوعا من الاجل يحتمل التجاوز عنه واجل آخر لا يحتمله دل على ذلك قوله مسمى اي مثبت معين وقد افصح عن هذا التعيين قوله تع ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون على ما نقف عليه وعلى ما بين الفاصلتين من المواصلة المعنوية في تفسير سورة نوح عم والذي عبر عنه باضافة الاجل الى الله هو المعبر عنه هنا بقوله عنده اثبت تعيينه ثم اخبر بان ذلك التعيين عنده حسما لطمع التغير وكون ذلك الاجل مبهما نظرا الينا ذكر منكرا وانما قدم وهو نكرة على خبره وهو ظرف لفاصل بينهما بما هو مخصص له ثم انتم تمترون الامتراء التردد في المنفى بلبس مأخوذ من مرى الضرع اي مسحه والفرق بينه وبين الريب والشك قد مر بيانه في تفسير قوله تع لا ريب فيه والامتراء لهم فيما ذكر حقيقة الا انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في الموت وانما ذكر ثم مع زيادة الالتفات في انتم تنبيها على زيادة الاستبعاد وهو الله الضمير لله تع والله خبره في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله تع اي هو المستحق للعبادة فيهما لا غيره او المتوحد بالالهية فيهما لا غير ويجوز ان يتعلق الظرف بقوله يعلم ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجة والصيد فيه او بالمصدر وهو بمعنى المفعول فليس بتقدير حرف مصدر وصلته حتى يلزم تقدم صلته عليه والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويجوز ان يكون الظرف مستقرا وقع خبرا بمعنى انه لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما وفي الجملة الفعلية الواقعة حالا عن ضمير الاستقرار في الظرف بيان وتقرير له سركم بالطنكم اي نفوسكم وجهركم ظاهركم اي ابدانكم وعلى تقدير تعلق الظرف بالفعل المذكور يكون المعنى يعلم نفوسكم المفارقة في السموات ونفوسكم المقارنة لابدانكم في الارض ويعلم ما تكسبون بالقوى النفسانية والجوارح البدنية لانه تع خالق والخلق كاسب ولما كان يقتضي العلم بذلك كونه خالقا ومظنة الاشتباه حتى ضل فيه كثير من الناس اعاد الفعل اهتماما بتحقيق ذلك المقتضى ولما اثبت المبدا مع ما يتوقف عليه المجانية من التوحيد ثم اثبت المعاد مع ما يتوقف عليه الاعادة من العلم بقي ثبوت النبوة بشهادته واوعد للمنكرين بقوله وما تأتيهم

كأنه قيل

من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق دل عليه وقوع آية في سياق النفي والثانية للتبعيض
ما تأتيهم بعض من الآيات اي بعض كان فلا منافاة بين هذا التبعيض والاستغراق والآيات
هي المعجزات الظاهرة لهم واسنادها الى الرب للتعظيم والتنبيه على انها صادرة عنه تع تصديقا
للنبي ع م **الا كانوا عنها معرضين** تاركين لها غير ملتفتين اليها لكونهم غير مبالين بالعواقب
وفي العدول عن صيغة الفعل وزيادة كان دلالة على شدة اعراضهم وقوة ثباتهم فيه وزيادة
تمرنهم عليه **فقد كذبوا بالحق** كلام كاللازم لما قبله اي اذا اعرضوا عن الآيات كلها فقد كذبوا
بالحق **لما جاءهم** اي بها او كالدليل عليه اي ان اعرضوا عن الآيات كلها فلا عجب فقد كذبوا
بما هو اعظم الآيات كلها واجلها وهو الحق لما جاءهم اي القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عن
الاتيان بمثله وكان لوضوحه معلوم عند الكل ان الحق هو لا يحتاج الى تسميته وعلى هذا
يجيء الابهام في انباء ما كانوا تعظيم القرآن وتفخيم شأنه اي سيعلمون باي شيء استهزؤوا
وينكشف لهم انه لم يكن بموضع استهزاء **فسوف يأتيهم** يعني الانباء كائن لا محالة
وان تأخر فغايته تأكيد الوعد وتثبيته لا بيان كونه متأخرا **انباء ما كانوا به يستهزؤون**
اخبار ما استمر واعلى تجدد الاستهزاء به حينا فحينا تارة بنسبته الى السحر والكهانة واخرى
الى الشعر واساطير الاولين ان هو الا سحر و قرآن مبين ولتعلمن نباه بعد حين
والمراد من اخباره ما فيه من الوعد للمصدقين والوعيد للمكذبين اجلا وعاجلا وهذا منهم
غاية العصيان ونهاية التمادي في الطغيان حيث اعرضوا عما هو آية بينة اولا وكذبوه
ثانيا وسخروا ثالثا ومن الرحمن زيادة فضل واحسان اذ اخرهم الى حين ولم يعجل لهم
بالعذاب المهين شدد عليهم النكير وقد دلهم ثم جاءهم بالموعظة والتذكير بقوله **الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن** كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون
اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الشمس وهو اعلاه واول
ما يبدو منها وقال الزجاج عندي القرن هو اهل كل مدة كان فيها نبي او طبقة من العلماء
قلت السنون او كثرت والتقدير يرده قوله ع م خيركم قرني يعني اصحابه ثم الذين يلونهم يعني
التابعين ثم الذين يلونهم يعني تابعي التابعين **مكناهم في الارض** اي اثبتناهم فيها ممكنين
اباهم وانباتهم فيها كناية عن طول عمرهم كما ان تاليه كناية عن بسط معيشتهم **ما لم نمكن لكم**
مكنه ابلغ من مكن له اي جعل له مكانا فكأنه قيل آتيناهم ما لم نؤت لكم ما يعرب منه والا
للتشبيه والتمييز بينهم وبين المحكي عنهم والخطاب لاهل مكة **وارسلنا السماء عليهم مدرارا**
السماء المظلة والمرسلة لدرار هو المطر او السحاب فلا بد من التجوز في المسند اليه او في

الاسناد والمدرار مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث معناه كثير الدرور **وجعلنا الانهار تجري**
الانهار جريا على مجرى قرينة السابق لان النهر يطلق على الماء حال كونه جاريا فليس له ان يجري
وان لا يجري وهو نهر بخلاف الماء النازل من السماء فانه قد يحبس وقد يطلق وهو هو واما صدر
بالواو الدالة على الاستقلال دون الفاء لان المقام مقام تعديد النعم العظام وفي ضمنه الاشارة
الى ان الانهار اجراؤها لا يلزمه ان يكون من الامطار فافهم هذا الاعتبار **تجري من تحتهم** خص
هذا الوصف بالذكر لانه مما يتعاظمه الناس الا ترى الى قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي
فاهلكناهم بذنوبهم الفاء فصيحة تفصح عن محذوف تقديره بطرت معيشتهم كما ورد في
قوله تع وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها **وانشأنا من بعدهم** تحقيق لامر الوعيد وتسهيل
شأن الاهلاك فان من قدر على انشاء القرون لا يتعاظم عنده اهلاك بعضهم بذنوبهم وفي عبارة
الانشاء اشارة الى انهم قلعوا من اصلهم واستؤصلوا فلم يبق احد من نسلهم ويعضد ذلك
ما رواه ابن مسعود رض عن النبي ع م انه قال ان الله تع لم يهلك قوما او يعذب قوما فجعل لهم
نسلا **قرنا آخرين** يعمرون بلادهم وحاصل الوعيد انه تع كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود
وينشئ مكانهم آخرين يعمرون بلاده قدر ان يفعل مثل ذلك بكم قيل جماعة من قريش قالوا
يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
عليه انه من عند الله وانك رسوله فنزلت **ولو نزلنا عليك** نزل ههنا بمعنى انزل لحكمة بمعنى
اخبر **كتابا** مكتوبا **في قرطاس** ورق لم يقتصر على رؤيتهم الكتاب عيانا في قرطاس بل زاد عليه
التقييد بقوله **فلمسوه** تقييد للادراك البصري بالادراك اللمسي مبالغة في الظهور وليس
فيه دفع ما عسى ان يقولوا سكرت ابصارنا وما نزل من السماء شيء اذ باللمس انما يندفع احتمال
كون المرئي مخيلا واما نزوله من السماء فلا يثبت به ثم ان اللمس ابلغ من المس لانه لصوق
باحساس والمس لصوق فقط ولذلك آثر اللمس عليه **بايديهم** انما قيد به لان اللصوق
بالاحساس يكون بجميع الاعضاء ولليد خصوصية في الاحساس ليست في سائرها واما
التجوز باللمس عن الفحص كما في قوله تعالى وانا لمسنا السماء فلا يندفع به اذ لا بعد في ان يكون
ذلك لبيان مباشرتهم للفحص بانفسهم بل يندفع بكون المعنى الحقيقي انسب للمقام ولما سبق له
الكلام **لقال الذين كفروا** عدل عن الظاهر حيث لم يقل لقالوا تنبيها على ان هذا اللبس
باول كفر منهم ويجوز ان يكون تعريف الموصول للعهد والمراد به اشخاص باعيانهم توغلوا
في التعنت والعناد على وفق ما ذكر في سبب النزول فيكون التوصيف بيانا للسبب توهم هنا
ان هذا الا سحر مبين توصيف السحر بالمبين في مقابلة توصيف المنزل بكونه ملموسا بايديهم

فكانهم عارضوا تاكيده الفعلي في الاظهار بتاكيدهم القولي بالانكار وهذا دليل على غاية عنادهم ونهاية خبثهم وفسادهم
وقالوا لولا انزل هلا انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم
وبيان المانع من انزال مقترحهم والقضاء الاتمام والالزام والمعنى لتم امر هلاكهم لوجوب العذاب
بعد ذلك وهذا لانهم لا يؤمنون ولو نزل عليهم الملك كما اخبر الله تع به في قوله ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وسنة الله تع في الكفار
قد جرت على انه متى اقترحوا آية قاهرة فظهرت ثم لم يؤمنوا استوصلوا بالعذاب على ما
افصح عن ذلك آية المائدة ولكن الله تع ابى من استيصالهم به تعظيما للنبي كما اخبر به في قوله
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم لا ينظرون اي لا يؤجلون ولا يمهلون قال قتادة لو انزلنا
ملكا ثم لا يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخر واطرفه عبر بعد عدم ايمانهم لا بعد نزول العذاب
وفي لفظ ثم اشارة الى ان لهم مهلة قدر ان يتاملوا فيما نزل فيؤمنوا بالاختيار والاجبار لا بالالجاء
والاضطرار فافهم هذا الاعتبار ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه اي لمثلناه رجلا
كما مثل جبرئيل ع م في صورة دحية وذلك ان ابصار عامة البشر لا يقدر على النظر الى صورة
الملك للطفه وضعف شعاع ابصارهم جواب اقتراحان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه
ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة واحتمال ان يكون جوابا ثانيا على ان الضمير للملك
المقترح انزاله يا باه عبارة جعلناه ملكا فان المناسب ان يقال ولو انزلناه ملكا لجعلناه
رجلا واما لم يقل بشرا مع انه المناسب لمقابلة الملك تضمينا للكلام معنى زائدا على اصل المرام
وهو الاشارة الى ان شان الرسالة البراءة عن النقصان ولا بد من رعايته على التقدير
المذكور حتى لا يصح ان يكون الرسول المعوض في صورة امراءة ولا في صورة صبي ولما كان تفصيل
ما ذكر انه لا نفع لهم فيما سالوا لان انه اذا كان في صورة رجل لا يعلمون انه ملك فلا يجدي نفعا
في دفع شبهتهم احتاج ان يقال يجوز ان يكون له اثار الملك في صورة الرجل فيندفع الاشتباه
بذلك دفعه بما يرجع الى انه لا بد من الاشتباه والالتباس كيلا يفوت حكمة التكليف
بقوله وللبسنا تتمة الجواب قرئ باللامين على تقدير شرط اخر وقرئ بلام واحد على
العطف وبالتشديد يدفعها للمبالغة عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
الان فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم ثم قال تسلية له ع م عن استهزائهم به بان له في الانبياء
وتنبيها لنا على ان قولهم ذلك على سبيل الاستهزاء فهم يعلمون ان رسول قوم لا يكون الا من جنسهم
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي احاط بسبب ذلك الاستهزاء بالذين سخروا والمراد
الاهلاك من احاطة العدو والحيق لا يستعمل الا في الشر منهم تنبيه على ان ضرر سخريتهم لا يتعدى

انتهم

انفسهم وهو مدلول القولي الاتي وان يهلكون الا انفسهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب الذي كان الرسل
يخوفونهم بنزوله فلا تجوز الا في الاسناد ولا في المسند اليه لما ذكر اهلاك المستهزئين المكذبين امر
بالسير في الارض للاعتبار بحالهم من مساكنهم فقال قل سيروا في الارض الى ان تشرفوا الى ارض
قوم نزل بهم العذاب فاختبروا واعتبروا ولما كان في هذا السير المامور به من الاستعداد جيء بكلمة
التراخي في قوله ثم انظروا فان النظر وان لم يكن متراخيا عن السير باعتبار الانتهاء ولكنه متراخ
عنه باعتبار الابتداء واما قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا فلعل المراد من الارض فيه
ما هو المشهور من ارض قوم نزلوا العذاب بساحتهم فجيء بحرف التعقيب تنبيها على ان السير
انما امر به لاجل النظر فحقه ان لا يتاخر عنه وما قيل معناه اباحة السير في الارض للتجارة و
غيرها من المنافع وايجاب النظر في اثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح
يا باه سلامة الذوق لان المقام امر اجنبي وهو اباحة السير للتجارة بين الاخبار عن حال
المستهزئين وما يناسبه ويتصل به من الامر بالاعتبار باثارهم مما يخل بالبلاغة اخلالا
ظاهرا كيف كان عاقبة المكذبين كيف استاصلهم الله تع بعذاب الاستيصال وانما عبر عنهم بالمكذبين
دون المستهزئين اشارة الى ان مال من كذب اذا كان كذلك فكيف الحال في مال من جمع بينه
وبين الاستهزاء قل لمن ما في السموات والارض الزام وتبكيت لانهم لا يقدرون ان يضيفوا خلقها
وملكها الى غيره تع ولذلك عقبه بقوله قل لله تقريرا لهم اي لا خلاف بيني وبينكم في ذلك وفيه
انهم مع انهم معترفون بذلك على ما افصح عنه قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله تنافلوا في الجواب واتقوا المناظرة من كونهم محجوجين فقرر عليهم ذلك كتب على نفسه الرحمة
في الدارين اي التزمها تفضلا واحسانا لا لانه ذاته اوجبها على نفسه بمقتضى حكمته وهذا استعطاف
منه تع للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل في العقوبة ويقبل الانابة
والتوبة ليجمعنكم ضمن الجمع معنى الحشر ولذلك قال الى يوم القيمة اي الى واقعها في موقعها
ليوم بدء استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم كانه قيل وما تلك الرحمة فقيل انه تع ليجمعنكم
الى يوم القيمة وذلك لانه لولا خوف الحساب والعذاب لحصل الهرج والمرج وارتفع
الضبط وكثر الخبط فتقدير العقاب في العقبى من اعظم اسباب الرحمة في الدنيا ولك
ان تقول بين بقوله كتب على نفسه الرحمة كمال رحمته بالامهال ودفع عذاب الاستيصال
بعدما قدم بيان كمال قدرته بقوله قل لمن ما في السموات والارض ليتحقق من اول الامر
ان امهاله ذلك عن رحمة لا عن عجز ثم بين بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على
شرككم انه يمهل ولكن لا يهمل بل يحشرهم ويحاسبهم على نقير وقطمير لا ريب فيه في اليوم او الجمع

الذين خسروا انفسهم نصبٌ على الذم او رفع عليه او مبتدا خبره فهم لا يؤمنون والفاء للسببية فان الخسران بتضييع رأس مالهم وهو نور الفطرة يوجب الاصرار على الكفر وله ما سكن في الليل والنهار لما ذكر انّ له ملك ما حوى المكان من السموات والارض ذكر ان له ملك ما حوى الزمان واشتمل عليه الملوان وكل واحد من المكان والزمان وان كان مستلزما للآخر لكن التنصيص عليهما ابلغ في مقام التقرير والبسط وقدّم المكان لانه اقرب الى العقول والاذهان من الزمان والظاهر انه استيناف اخبار وليس مندرجا تحت قل وسكن من السكنى وهو يتعدّى بفي كما يتعدّى بنفسه يقال سكنوا الدار وسكنوا فيها او من السكون على الاكتفاء باحد الضدين عن الآخر لانه لا يناسب البسط الظاهر فصدر من تفصيل قطري المكان وصنفي الزمان وهو السميع العليم وعيد للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل أغير الله اتخذ وليا ادخل همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل لان الانكار متوجه الى اتخاذ الغير وليا لا اتخاذ الولي مطلقا ولا دخل في ذلك لتقديم المفعول لانه لازم لدخول همزة الاستفهام فكان تابعا تبعا واما عبر عن المعبود بالولي لان اول درجة العبادة تخصيص اتخاذه وليا فكان نفيه ابلغ فاطر السموات والارض مبدعهما وجرّه على الصفة لله تعالى فانه بمعنى الماضي ويؤيده قراءة فطر ويجوز ان يكون بدلا ويرجحه ان الفصل بين المبدل منه والبدل اسهل من الفصل بين المنعوت والنعت بناء على ما هو المشهور من ان البدل على تكرار العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح والجملة تقرير لانكار اتخاذ غير الله وليا وتعليل له وكذا قوله وهو يطعم ولا يطعم اي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع فخصوص الطعم غير ملحوظ بل هو من باب تنزيل الشيء منزلة كله وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله تعالى فان الكلام وان كان مع عبدة الاصنام الا انه نظرا الى عموم غير الله تعالى وتغليب اولي النهى لان فيه انكار ان يصلح الاصنام للالوهية بطريق الاولى والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية وبناؤها للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى اي وهو الباسط والقابض بحسب الحكمة والمصلحة كقولك هو يعطي ويمنع قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي عم سابق امته في الاسلام وهذا على طريق التحريض على الاسلام كما ان الملك ادعيته بامر ثم يتبعه بقوله انا اول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله ولا تكونن من المشركين عطف على معنى قوله قل اي امرت فانه بمعنى قيل لي كن اول من اسلم فلا حاجة الى تقدير قيل لي لا تكونن اي امرت بالمسارعة الى الاسلام ونهيت عن الشرك ولتعلق الامر بالمسارعة دون نفس الاسلام لم يؤكد تأكيد النهي المتعلق بنفس الشرك

وقيل يجوز عطفه على قل ويرد عليه ان سلامة النظم تأبى عن فصل الخطابات التبليغية بعضها عن بعض بخطاب ليس بها هنا قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم الشرط معترض بين الفعل والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة والانبياء عليهم السلام وان كانوا معصومين عن الكفر الا انه قد يفرض اذا تعلق به غرض صحيح من المبالغة في قطع اطماعهم والتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب فلا دلالة في الآية على انه عم كان يخاف على نفسه من الكفر من يصرف عنه اي العذاب وهذا ابلغ لتضمنه معنى ان يقال ان انصراف العذاب رحمة من الله تعالى سواء كان الصارف هو او غيره فان فيه تنبيها على ان الغير كالشفعاء وان كان صارفا للعذاب عن العصاة لكن صرفهم ذلك باذن الله تعالى يومئذ وقرئ يصرف مبنيا للفاعل على ان الضمير لله تعالى وبعضده القراءة باظهاره ويناسبه الجزاء والمفعول به محذوف او الظهور مما قبله او يومئذ على ان يراد منه هوله فلا حاجة الى تقدير المضاف وفي عبارة المصنف اشارة الى ان الآية بمعنى استحق العذاب فقد رحمه رحمة هي ذلك الصرف نفسه ونظير هذا قوله لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه يعني بالاشتراء المذكور ووجه ذلك ان اختلاف العنوان يكفي في صحة الترتيب والتعقيب ولك ان تقول ان الرحمة سبب للصرف سابق عليه على ما هو المحقق او ثبت بصيغة الماضي وصيغة مستقبل والترتيب باعتبار الاخبار عنهما وذلك اي صرف العذاب عنه وهو مستحق له الفوز المبين ظهور الفوز يزداد بازدياد الاستحقاق المعتبر فيمن صرف عنه العذاب وان يمسسك الله بضر الضر وهو سوء الحال اخص من الشر المقابل للخير وانما خصه بالذكر لشدة الحاجة فيه الى الكشف فلا كاشف له الامر بل له عنك الا هو وان يمسسك بخير حذف جوابه لدلالة جواب مقابله عليه ثم اكد الجوابين بشمول قدرته على كل شيء فقال فهو على كل شيء قدير فلا يعجز عنه على مخالفته وهو القاهر فوق عباده معنى الفوقية هاهنا تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة لا بالجهة وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة وهو منع غيره عن بلوغ المراد وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير باحوالهم وخفايا امورهم قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت والشيء يطلق على كل موجود وقدم تفصيله في تفسير سورة البقرة ووضعه موضع شهيد للمبالغة في التعميم قل الله هو الجواب ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم كرر البين ولم يقل بيننا للايماء الى معنى التفصيل المترتب على الشهادة المقبولة ويجوز ان يكون الجواب الله شهيد للمبالغة فهو على الاول للتسلق من اثبات التوحيد الى اثبات النبوة بان هذا الشاهد

عليه السلام

الذي لا اصدق منه شهد لي بايحاء هذا القرآن وعلى الثاني من الاسلوب الحكيم لان الوهم لا يذهب الى ان هذا الشاهد يحتمل ان يكون غير الله بل الكلام في انه هل يشهد لنبوته اولا **واوحى الي هذا القرآن لانذركم به** اي بالقرآن والخطاب لكفار مكة وليس فيهم ما يصح ان يبشروا به ولذلك خص الانذار بالذكر **ومن بلغ** من في موضع نصب عطفا على مفعول لانذركم اي ومن بلغه هذا القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين ممن وجد ويوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم كل من يبلغه الى يوم القيمة واما انه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه فلا دلالة فيه عليه الا عند من قال بحجية المفهوم وجوز ان يكون في موضع رفع عطفا على الضمير المستكن في لانذركم وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير اي ولينذر به من بلغه القرآن **أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى** تقرير لهم مع انكار واستبعاد ولما كانت تلك الالهة حجارة وخشبا اجريت مجرى المؤنث جمعا لها فوصفت بما يوصف به المفرد وقيل اخرى **قل لا اشهد** شهادتكم بان معه آلهة **قل انما هو اله واحد** اي قل اشهد ان لا اله الا هو **وانني بريء مما تشركون** امره اولا بان يخبرهم بانه لا يوافقهم في الشهادة ولا يلزم من ذلك افراد الله تعالى بالالوهية فامره ثانيا ثم امره ثالثا بان يخبرهم بالتبري من اشراكهم وهو التاكيد لما قبله **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه** يعني اليهود والنصارى يعرفون النبي عليه السلام بحليته ونعته الثابت في الكتاب معرفة حقة **كما يعرفون ابناءهم** بحلاهم **الذين خسروا انفسهم** من المشركين واهل الكتاب بتضييعهم ما يكتسب به الايمان من النور الفطري **فهم لا يؤمنون** قد مر وجه السببية المستفادة من الفاء على انه لا يلزمها السببية بل يكفي ان يكون ما بعدها لازما لما قبلها كما في قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى وغير ذلك **او كذب بآياته** بالقرآن او بالمعجزات وانما جاء باو مع كونهم جامعين بين الكذب والتكذيب تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس لا اظلم فوقه **انه لا يفلح الظالمون** جاء بضمير الشان مع ان للاجمال والتفصيل والتنبيه على ان الظالم قط لا يفلح فكيف بمن لا احد اظلم منه **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب بمضمر حذف تهويلا للامر ومبالغة في التخويف تقديره كان ما لا يدخل تحت الوصف والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد **ثم نقول للذين اشركوا** وقرئ نحشرهم ثم يقول بالياء فيهما **اين شركاؤكم** سؤال توبيخ وانما اضيف الشركاء اليهم لانه لا شركة في الحقيقة بين الاصنام والمعبود بالحق وانما اوقع عليها اسم الشريك بمجرد تسميتهم لها شركاء فاضيف اليهم بهذه النسبة وبقصد التعبير عن اعتقادهم بالزعم فانه كالعلم في الباطل ولا يخفى ما فيه

من التهكم **الذين كنتم تزعمون** انهم شركاء لله حذف المفعولان لدلالة سياق الكلام عليه وهذا السؤال لما بينهم في غيبة الشركاء وقوله تعالى وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم الى قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون نص فيها فلا وجه لما قيل يجوز ان يحضروا ويشاهدوا ولكن لما لم ينتفعوا بهم ولم يكن فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كانهم غيب عنهم وهو ابلغ في التوبيخ اذ وجودهم اضر من العدم واما ما قيل يجوز ان يحال بينهم وبينها ليتفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكانهم ثم ينكشف الحال عندهم ويعلمون انه لا منفعة لهم في آلهتهم بل مضرة فلا احتمال للتفقد **ثم لم تكن فتنتهم** جوابهم وانما سمي فتنة لانه معذرتهم التي توهموا تخلصهم بها من قولك فتنت الذهب اذا خلصته وقيل كفرهم والمراد عاقبته **الا ان قالوا** وقرئ يكن بالياء التحتانية وفتنتهم بالنصب على ان الاسم ان قالوا وقرئ بالتاء الفوقانية والنصب على تقدير ان قالوا مؤنثا اي ثم لم تكن فتنتهم الا مقالتهم وهذا احسن من اعتبار التانيث في الخبر وقرئ بالتاء الفوقانية والرفع على انها الاسم **والله ربنا ما كنا مشركين** كذبوا وحلفوا مع علمهم بانه لا ينفع حيرة ودهشا وقرئ ربنا بالنصب على النداء او المدح **انظر كيف كذبوا على انفسهم** بنفي الشرك عنها **وضل عنهم** يحتمل ان يكون عطفا على كذبوا فيدخل في حيز انظر ويحتمل ان يكون اخبارا مستانفا فلا يدخل في حيزه **ما كانوا يفترون** اي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الشركاء اي ما يفترون الهيته وشفاعته **ومنهم من يستمع اليك** حين تتلو القرآن روي ان جماعة من كفار قريش استمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما يقول الا اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية وكان صاحب اخبار فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** جمع كنان وهو ما يستر الشيء كالغطاء **ان يفقهوه** كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه الكلام المذكور اي منعناهم ان يفقهوه **وفي آذانهم وقرا** تمثيل الاكنة في القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبول واعتقاد صحته وقيل لما كان القرآن معجزا من جانب اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ يرد عليه انهم ما عجزوا عن ادراك اللفظ المسموع على ما دل عليه ما مر في سبب النزول انما عجزوا عن ادراك اللفظ المطبوع الحامل للخواص والمزايا **وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها** لفرط عنادهم ولا بد من تخصيص الآية بغير الملجئة دفعا للمخالفة بينه وبين قوله تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين **حتى اذا جاؤك يجادلونك** حتى هي الواقعة بعدها الجمل والجملة بعدها هي الشرطية ويجادلونك في محل الحال وجواب الشرط **يقول الذين كفروا** وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والعناد موضع وضوح الآيات ويجوز ان يكون حتى هي الجارة

واذ المجرة الظرفية في محل الجر فلا يكون له جواب اي حين وقفت بجنبهم ويقول الذين كفروا لجادلوك
ان هذا الا اساطير الاولين الاساطير الاباطيل الواحدة الاسطورة بالضم والاسطورة بالكسر
وجعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب وقيل الاساطير جمع اسطار جمع سطر
بالتحريك بمعنى الخط والكتابة وهذا ينطبق ما روي عن النضر فيما سبق واما السطر بالسكون فجمعه
اسطر وسطور وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه والايمان
به وينأون عنه يبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون وما يهلكون في ذلك
الا انفسهم وما يشعرون ان ضرر ذلك لا يتعداهم الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ترى اذ وقفوا على النار وقفه اي حبسه لانه قال في موضع آخر
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يحبسون والقرآن يفسر بعضه بعضا و
ضمنه معنى الاطلاع دل على ذلك قوله على النار والمعنى ان وقفوا مطلعين على النار وقرئ
على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا وانما حذف الجواب تهويلا اي لو تراهم حين يوقفون
عليها حتى يعاينوها او يطلعون عليها وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت
امرا شنيعا لا يدخل تحت الوصف فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرجوع الى الدنيا ولا
نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين قرئ بنصب نكذب ونكون باضمار ان بعد الواو على جواب
التمني لان الواو لا تقع في جواب الشرط ولا ينعقد مما قبلها وما بعدها شرط وجواب وانما
هي واو الجمع تعطف ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها والافعال الثلثة متمناة على سبيل الجمع
بينها لا ان كل واحد متمنى على حدة اذ التقدير يا ليتنا يكون لنا رد مع انتفاء التكذيب و
كوننا من المؤمنين او واو الحال على ان مدخولها حال من الضمير في نرد اي يا ليتنا نرد
غير مكذبين وكائنين من المؤمنين وقرئ برفعهما عطفا على نرد فيكونان داخلين في التمني و
قوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد او على الاستيناف ونصب الثاني عطفا
على مصدر متوهم مقدر من الجملة السابقة ويكون ان يضمر بعد الواو فالتقدير يكون
رد وكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عن ارادة الايمان المفهوم
من التمني اي ظهر لهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم
وفضائحهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا
استيناف او عطف على انهم لكاذبون لا على لعادوا او لا على نهوا اذ حق قوله وانهم لكاذبون
ان يؤخر عن المعطوف او يتقدم على المعطوف عليه ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة

وما نحن بمبعوثين الى الحشر والجزاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني
بين يدي سيده ليعاتبه ضمن الوقوف معنى العرض ولذلك قال على ربهم والمعنى اذ عرضوا على
ربهم موقوفين وقد افصح عن هذا المعنى قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا وقوله تعالى اذ المجرمون
موقوفون عند ربهم وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوا حق التعريف و
جواب لو محذوف كما مر قال اليس هذا بالحق استيناف كأنه قال قائل ماذا قال لهم ربهم حينئذ
فقيل قال الهمزة للتقريع والتعيير من الله تعالى على التكذيب وانكار البعث والجزاء حين
سمعوا حديثه وقالوا ما هذا بحق والاشارة الى البعث والجزاء قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد
باليمين قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله بالبعث وما
يتصل به من احوال الآخرة حتى اذا جاءتهم الساعة القيمة وحتى غاية لكذبوا لا لخسر فان خسرانهم
لا غاية له والكلام فيها وفيما بعدها من الجملة كما مر في حتى اذا جاؤك بغتة فجاءة وهي مجيء
الشيء بسرعة من غير حضور بباله حال اي باغتة او مصدر لانها نوع من المجيء قالوا
يا حسرتنا تعال فهذا اوانك والحسرة شدة الندم على ما فرطنا قصرنا مع القدرة على عدم التقصير فيها
اي في الحيوة الدنيا اضمرت لانها معلومة وان لم يجر لها ذكر او في الساعة اي في شأنها
والايمان بها كما في قوله فرطت في جنب الله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم من قال بالميزان
واعتقد وزن الاعمال وادعى حصول الثقل لها يوم الجزاء فليس له ان يقول انه تمثيل
لثقل اوزارهم والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة من يحمل ثقلا على ظهره لان
مظنة الانكار ما ذكروا والجملة حال من الضمير في قالوا الا ساء ما يزرون اعتراض والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس شيئا يزرون وزرهم او الذي يزرونه وساء على وزن فعل متعد
تقديره ساءهم وما الحيوة الدنيا اراد بالحيوة الدنيا اعمالها المخصوصة بها بحيث لا
يظهر اثرها في الحيوة الآخرة الا لعب ولهو فان مطلق اعمالها الشاملة للعبادات ليس كذلك
ومن هنا ظهر وجه السلوك الى طريقة المجاز شبهت اعمال الدنيا باللعب واللهو لقلة جدواها
وسرعة زوال منافعها او لانه يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو
جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون ايراد لام الابتداء واثبات ما
فيها للذين يتقون والتأكيد بقوله افلا تعقلون اشعار بان ما سوى اعمال المتقين لهو ولعب
يشتغل به من لا يعقل وان العاقل هو الزاهد في الدنيا وقرئ ولدار الآخرة على الاضافة اي
دار الآخرة وقرئ تعقلون بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب للحاضرين على الغائبين
قد نعلم انه قد ههنا من باب استعمال اللفظ في نقيضه للمبالغة لانه بمعنى تكثير الفعل وزيادته
قد

كالمستبعد بها لذلك كانه ايما الي ان كلما بينهم من وقوع مرات الفعل وزيادة بالنسبة الي ما يراد منه قليل
ويعقوبه في تحجيم الفعل وكثرته او ارادة ضمير الشان ولام الابتدا في المعلوم المفيد للاعتبار به وتحقيق وقوعه
يلزم من كثرة وقوع المعلوم كثرة العلم به ومن دوامه دوام العلم ليحزنك وقرئ بفتح اليا وضمها
من احزن الذي يقولون اي كثيرا ما نعلم حزنك من قولهم ساحر كذاب او كاهن وامثاله فضل والاعرج حزنك
فانهم لا يكذبونك المراد بنفي تكذيبهم استعظام تكذيبه بجعله تكذيب الله تع لا نفيه حقيقة ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون بل يكذبون الله تع بجحود آياته والاستهانة بكتابه فتكذيبك تكذيبه ووضع
الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالظلم وان جحودهم مسبب عن ظلمهم وافراطهم في الظلم
والالتفات في اسم الله تع بيان لعظم ما ارتكبوه والبا لتضمن الجحود معنى التكذيب وقرئ لا
يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الي الكذب ومعنى كذبه جعله كاذبا
في زعمه روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله عم على التكذيب ومبنا ما على وقوع التكذيب
فدل هذا على ان المعنى ما قدمنا فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم
واصبر كما صبروا فان مع الصبر النصر حتى اتاهم نصرنا فيه ايما الي وعد النصر للصابرين ولا مبدل
لكلمات الله اي لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات الثلث
ولقد جاءك من نبا المرسلين اي بعض انبائهم وما كابدوا من مصابرة اعدائهم ويجوز ان يكون الفاعل
ضميرا يعود على ما دل على المعنى والجملة السابقة اي لقد جاءك هذا الخبر وتكذيب اتباع الرسل
للرسل والصبر على الايذا الي ان نصروا ومن نبا في موضع الحال وذو الحال ذلك الضمير
وان كان كبر شق وثقل عليك اعراضهم عما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ
فيه الي ما تحت الارض فتطلع لهم آية او سلما في السما فتاتيهم بآية او مصعدا تصعد به
الي السما فتنزل منها آية جواب فان استطعت محذوف اي فافعل اي انك لا تستطيع
ذلك والمراد بيان حرصه وتهالكه على اسلام قومه والشرطية جواب الشرط الاول وفي الارض
صفة لنفقا او متعلق بتبتغي وكذا في السما صفة لسلما او متعلق بالفعل ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى ولكن لم يشا فلا تتهالك على ايمانهم فلا تكونن من الجاهلين من الذين
يجهلون ذلك ويرومون خلافه اي لا تحرص على ما لا يكون ولا تجزع في مقام الصبر فان ذلك من داب
الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون اي لا يستجيب دعوتك الي الايمان الا الذين يسمعون فيفهمون
ويتدبرون دون الموتى وهؤلاء الذين تحرص على ايمانهم موتى كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى
استعار الموتى للجهال لان العلم حيوة القلب فالذين لا يسمعون انما لا يسمعون لان قلوبهم موتى

بالحقيقة

بالحقيقة يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان وانت لا تقدر على اعلامهم ثم اليه يرجعون للجزا
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه مع كثرة ما انزل اليه من الآيات لعدم اعتدادهم بها عنادا كانه
لم ينزل عليه شي او آية مما اقترحوها قل ان الله قادر على ان ينزل وقرئ بالتشديد على ان
ينزل بمعنى انزل آية مما اقترحوها او آية ان جحدوها اخذهم العذاب وهو من لوازم الآيات
الملجئة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله تع قادر على انزالها ولكن يفعل على مقتضى حكمته وما من
دابة في الارض اي تستقر فيها وفائدته تحقيق المانعة بينها وبين قرينها المقابل فان بعض الطير
يتحرك على وجه الارض الا انه لا يستقر فيها ولا طائر وقرئ بالرفع على المحل يطير بجناحيه
تصوير لتلك الهيئة الغريبة الدالة على القوة الباهرة والمقام مقام بيان كمال قدرته تع وقيل
انه لقطع مجاز السرعة وقيل للتعميم ورد عليهما انه لو قيل ولا طائر في السما لكان اخصر وفي
افادة ذينك الامرين اظهر مع ما فيه من رعاية المناسبة بين الغرضين بذكر جهة العلو في
احدهما وجهة السفل في الآخر الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها
والمقصود من ذلك بيان كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه
قادر على ان ينزل آية وجمع امم على المعنى تقوية للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق
النفي مصحوبة بمن التي تفيد الاستغراق ولما دل بها على كمال قدرته واحاطة علمه او عدم
على ما فرط منهم من الانكار بقوله ما فرطنا وقرئ بالتخفيف في الكتاب اي ما اغفلنا وما اهملنا
في اللوح المحفوظ من شي ما لم نكتبه ولم نثبته اي شي كان فلا بد من كتابة اعمالكم وعما
واحوالكم ثم الي ربهم اي الي ذلك القادر لا الي غيره يحشرون كلهم فيجازيهم وانما اجريت
مجرى العقلا لاطلاق الامم عليهم او غلب العقلا لكونهم المقصودين ومن مزيدة
وشي في موضع المصدر او مفعول به على تضمين فرط معنى الجعل او اغفل والمقصود ان من
يضبط احوال الدواب والطير كلها واعمالها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ
للجما من القرنا ويجازي كلها كيف يهمل سدى وقيل حشرها موتها ويرده ان الحشر
بعث من مكان الي آخر وتعديته بالي تنصيص على هذا المعنى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات
خبر ثالث كناية عن عمى البصر ناظر الي عمي في قوله تع صم بكم عمي وهذا ابلغ اذا جعلت الظلمات
ظرفا لهم وجمعت لاختلاف جهات الضلالة مع الكفر والجهل والعناد والتقليد وللحق
من الدلايل القاطعة على ربوبيته وقدرته وعظمته ووجوب التيقظ لما اوعد عليه والا
وبالحشر فالمكذبون بآياتنا صم لا يسمعوا الكلام المنبه فيستيقظوا ويرجعوا وبكم
لا ينطقوا بالاقرار بالحق خابطون في ظلمات انواع الضلالة فلا يهتدون لذلك ولا يتاملون

ويتنكر من فيه ثم اكد ما ثبت من شدة جهلهم وغيهم واحتجابهم بقوله من يشاء الله يضلله ايذانا
بانهم من اهل الطبع والختم ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم كان
الظاهر ان يقال ومن يشأ يهده وانما عدل عنه لان هدايته تعالى وهي ارشاده الى الهدى غير
مختصة ببعض دون بعض بل عامة للكل قل ارايتكم اخبروني لما كان العلم سبب الاخبار
وضع طلب العلم موضع طلب الخبر فصورته استفهام ومعناه الامر لاشتراكهما في الطلب والكاف
حرف الخطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب والفعل معلق او المفعول محذوف
تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
بهولها اغير الله تدعون تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه
بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول للتخصيص فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء واراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون اي الهتكم التي تشركونها به تعالى
لما ركز في العقول انه القادر على كشف الضر دون غيره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن
زائدة فاخذناهم الفاء فصيحة اي كذبوا الرسل فكفروا فاخذناهم والاخذ الامساك بقوة
وقهر والمراد هنا مبالغة العقوبة والملازمة بالباساء البؤس والشدة كالقحط والفقر والضراء
الضر والافات ومصاعبها [illegible] لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن الذنوب
فان البلاء يلين القلوب فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع في ذلك الوقت مع
قيام الداعي وعدم المانع وذلك انما جاء بلولا التحضيضية الداخلة على الماضي للتنديم
دلت على انه لا مانع لهم من التضرع الذي اقتضاه الحال ولما كان التضرع من لين القلب
كان المعنى لم يتضرعوا لانهم لم يلينوا فاستدرك بقوله ولكن قست قلوبهم فالاستدراك
عن كلام غير ملفوظ بل مدلول عليه معنى وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني لا مانع لهم من التضرع
الا قسوة قلوبهم وشدة شكيمتهم في عنادهم واعجابهم باعمالهم التي زينها لهم الشيطان
فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم يزدجروا فتحنا
عليهم ابواب كل شيء المراد بكل شيء التكثير دون التعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء والفتح
المذكور تعبير عن تيسير مطالبهم الدنيوية اي امتحناهم بالضراء والسراء وابتليناهم بالشدة
والرخاء مجانسة وملاطفة الزاما للحجة وازاحة للعلة ويجوز ان يكون التوسعة عليهم مكرا
واستدراجا لما روي في مسند احمد بن حنبل عن عقبة بن عامر عن النبي صلعم قال اذا رايت الله يعطي
العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا رسول الله صلعم فلما نسوا ما ذكروا
به الاية فالتوسعة مكر خفي في صورة اللطف كما ان الاخذ بالبلاء لطف خفي في صورة القهر وقوله

فتحنا بالتشديد للتكثير حتى اذا فرحوا بطروا واعجبوا بما اوتوا من النعم اخذناهم بغتة اي اهلكناهم
فجاءة وهو اشد الاهلاك اذ لم يتقدم شعور به فيوطن النفس على لقائه فاذا هم مبلسون المبلس
الشديد الحسرة والبائس الحزين فقطع دابر القوم الذين ظلموا استؤصلوا ولم يبق منهم احد
والدابر التابع للشيء من خلفه يقال دبر الولد الوالد يدبره دبرا ودبورا اذا تبعه ووضع
الذين ظلموا موضع الضمير للتسبيب اي حق عليهم الدمار والعذاب بسبب تمادي ظلمهم وتناهيه
حين لم يبق لهم مطمع في صلاحهم والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم وفيه ايذان بان اهلاك الظلمة
من اجل النعم واحقها بان يحمد عليه لان وجودهم في الخلق بلاء وعناء وشرهم متعد ومفسد
دنيا ودينا فتخلص المؤمنين من شوم اعمالهم وعقايدهم خير عظيم ونعمة سنية قل ارايتم ان
اخذ الله لما كان هذا التهديد اخف من التهديد السابق اكتفى هنا بخطاب الضمير ولم يؤكد
بحرف الخطاب كما اكد ثمة سمعكم وابصاركم اي اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم غطى عليها ما يذهب فهمكم
وعقلكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ او
ختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها متنوعة تارة بالمقدمات
والحجج العقلية وتارة بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال
الامم الماضية ثم هم يصدفون يعرضون وثم لاستبعاد الاعراض عن الايات بعد تصريفها
وظهورها ولذلك قدم الضمير على الفعل المضارع وصير الجملة اسمية اي هم المكررة عليهم الايات
متنوعة لا غيرهم يجددون الاعراض دائما مع تجدد التصريف فما ابعد حالهم عما فعلنا بهم قل ارايتكم
لما كان التهديد شديدا جمع بين اداتي الخطاب ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة لما كانت البغتة بمعنى
الامر من غير ظهور امارة وشعور به تضمنت معنى الخفية فصح مقابلتها بالجهرة وبدئ بها
لانها اردع من الجهرة وانما لم يقل خفية لان الاخفاء لا يناسب شانه تعالى وقرئ بهما والجمع
هل يهلك معنى الاستخبار النفي اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون بالاعراض
عن الايات عنادا او استخفافا فهم ذلك بالزام الحجة وازالة العذر وقرئ يهلك من هلك
وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمطيعين بالجنة ومنذرين للعاصين بالنار وانتصابهما على
الحال وفيهما معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير والانذار لا لان يقترح عليهم ويستهزا بهم
فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه مما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون
بفوات الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يطلب ايلامهم
بالوصول اليهم واستغنى بالتعريف عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزاين الله جمع خزينة وخزانة وهي ما يخفى

اي بحيث تحفظ بحيث لا تنالها الايدي وخزائن الله تعالى مقدوراته اي لا املك ان افعل ما اريد مما تقترحونه
وليس المراد التبري عن دعوى الالوهية والا لقيل لا اقول لكم اني اله كما قيل ولا اقول لكم اني
ملك وايضا في الكناية عن الالوهية بعندي خزائن الله ما لا يخفى من البشاعة بل هو جواب
عن اقتراحهم عنه ان يوسع عليهم خيرات الدنيا **ولا اعلم الغيب** عطف على لا اقول فليس معمولا
له بل للامر ولذلك احتيج الى اعادة لا اقول في قوله **ولا اقول لكم اني ملك** فانه على تقدير العطف
على عندي خزائن الله لا حاجة الى اعادته وانما لم يات فيه بنفي القول للفرق الدقيق بينه وبين
قرينيه وهو ان مفهومي عندي خزائن الله واني ملك معلومان عند الناس فلا حاجة الى نفيهما
انما الحاجة الى نفي ادعائهما تبريا عن الدعوى الباطل بخلاف مفهوم لا اعلم الغيب فانه كان
مجهولا عندهم بل كان الظاهر من حاله الاطلاع على الغيب فلذلك نسبوه الى الكهانة فاحتاج
هنا الى نفيه ثم ان هذا النفي تضمن الجواب عن قولهم ان كنت رسولا فاخبرنا بما يقع في المستقبل
من المصالح والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه ونفي دعوى الملكية تضمن الجواب عن
قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق **ان اتبع الا ما يوحى الي** في الدعاء في
الاحكام والاخبارات فعليه تتميم لما تقدمه من نفي الامور الثلاثة وبيان ان منزلة الرسالة
التي هي اقصى المنازل البشرية **قل هل يستوي الاعمى والبصير** مثل للضال والمهتدي او العالم والجاهل
او لمدعي المحال كالملكية ومدعي الممكن الصحيح كالنبوة **افلا تتفكرون** فتهتدوا كالبصير
ولا تكونوا ضالين كالاعمى او فتعلموا الذي ما يصح للبشر وان اتباع الوحي واجب فتكونوا
بصراء لا عميانا **وانذر به** اي بما يوحى **الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم** هم المعترفون بالبعث
من المؤمنين المقصرين في العمل او من اهل الكتاب او المترددين فيه كالمشركين المستقد
الذين على الله تعالى ان يحج فيهم دون المنكرين الجازمين بانتفائه **ليس لهم من دونه ولي**
ولا شفيع في موضع النصب على الحال من يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين
من احد من دون الله تعالى ولا مشفوعا لهم **لعلهم يتقون** يحذرون سوء العاقبة فيعملون
عمل اهل التقوى او يؤمنون فيتقون ولما امر بالانذار غير المتقين ليتقوا امر باكرام
المتقين وتقريبهم تكميلا لامر التحريض على التقوى بالترهيب والترغيب فقال **ولا تطرد**
الذين يدعون ربهم بالغداة وقراءة ابن عامر وحده بضم الغين واسكان الدال و
اثبات الواو بعدها وفيه انها معرفة ولو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة كما جاز غداة يوم
الجمعة وقال ابو علي الفارسي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام واما غدوة
فمعرفة ابدا وهو علم صيغ له وقال ابن خالويه في توجيهه ان العرب تدخل الالف واللام

على المعرفة اذا جاورها ما فيه الالف واللام ليزدوج الكلام قال الشاعر وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا
فادخل الالف واللام على اليزيد لما جاور الوليد ومنهم من قال انها انما تكون معرفة اذا اردت
غدوة نهارك وهناك لم يرد ذلك وكان التعريف جنسيا وقال الجوهري سر على فرسك غدوة
وغدوة فما نون من هذا فهو نكرة وما لم ينون فهو معرفة **والعشي** اي يعبدون الله تعالى دائما فان المراد
من الغداة والعشي الدوام على الكثرة استعمالها وقيل بصلوة الصبح والعصر وقت دعوتهم
بالغداة والعشي لانها من اعمال الظاهر وهي موقتة ودوام ارادتهم فاستغرقت جميع اوقاتهم
لانها من احوال الباطنة وهي مؤبدة **يريدون وجهه** لا دنياهم بكرائها ولا عقباهم بعطايها
والوجه يعبر عنه عن ذات الشيء وحقيقته والمراد بارادة وجه الله تعالى الاخلاص رتب النهي على مواظبتهم
على دعاء ربهم وعبادته تعالى مع الاخلاص اشارة الى انها الموجبة لاكرامهم وان ملاك الامر في
العبادة الاخلاص فلا يعتبر بدونه لما قصرهم لسان المعارضة سكتوا متضرعين بقلوبهم
بين يدي الله تعالى داعين له بحسن الابتهال فتولى سبحانه وتعالى خصومتهم فقال ولا تطرد
الذين انما لا تنظر يا محمد الى حرفتهم على ظواهرهم وانظر الى حرفتهم في سرائرهم كانوا مستورين
فتنة من الله تعالى قال الامام ابو منصور ذهب عامة اهل التاويل الى ان النبي عليه السلام هم بطرد فقراء
المسلمين طمعا في اسلام رؤساء المشركين فعاتبه الله تعالى في ذلك وانزل عليه هذه الآية ولكنه
بعيد جدا ينسبون النبي عليه السلام الى اقبح فعل واوحشه ولا يحتمل ان يكون النبي عليه السلام يقرب الاعداء
ويبعد الاولياء ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعوا الناس الى الايمان و
التوحيد والاتباع فاذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم هذا المعنى مدفوع في كل
عاقل ولكن يجوز ان يكون طلب ذلك منه اولئك فاما ان يهم هو به فلا ويجوز ان يكون هذا من
الله تعالى ابتداء تاديب وتعليم له في صحبة اصحابه رضي الله تعالى عنهم ومعاملتهم واخبارا
عن قدرهم عنده **ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء** كقوله ان حسابهم الا على ربي
وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم فشهد الله تعالى لهم بالاخلاص وقال لنبيه عليه السلام
ما عليك من حسابهم من شيء اي لا يلزمكم اعتبار بواطنهم واخلاصهم بعد اتسامهم بسيرة
المتقين وصلاح ظواهرهم انما ذلك على الله وعليهم اخلصوا او لم يخلصوا الا عليك فحالهم
في ذلك بالنسبة اليك كحالك بالنسبة اليهم سواء لا يتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تادية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة وقيل حساب
رزقهم الى فقرهم وقيل الضمير للمشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك
ايمانهم فتطرد المؤمنين لاجلهم **فتطردهم** جواب النفي اي ما عليك شيء من حسابهم فتطردهم

فتكون من الظالمين جواب النهي اي ولا تطردهم فتكون من الظالمين ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب
ولا ب عده المعنى فان الطرد انما يستحق جوابا للنفي على تقدير ان يكون حسابهم عليه وهو لا يكون سببا
للظلم الا ان يقدر فتطردهم بقول المشركين وكذلك اي ومثل ذلك الفتن العظيم وهو اختلاف احوال
الناس في الدنيا فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا بعض الناس ببعض فقدمنا فقراء المسلمين
على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اي ليقول المشركون اللام للعاقبة وان ضمن
فتنا معنى خذلناهم فللتعليل على اصل القائلين بصحة تعليل افعاله تعالى بالاغراض اي
خذلناهم مفتونين ليقولوا فكان افتناننا سببا لهذا القول فانه لا يقوله الا مفتون
مخذول اهؤلاء اشارة الى اولئك المؤمنين واستحقار لهم كقولهم اهذا الذي بعث الله رسولا
من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم من بيننا بالتوفيق لما يسعدهم عنده من الايمان واصابة
الحق من دوننا ونحن الرؤساء والمقدمون وهم الضعفاء والعبيد وهو انكار منهم لان يكون
امثالهم على الحق وممنونا عليهم بالخير ونحوه كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم
بالشاكرين الاستفهام للتقرير اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه لذلك وبمن لا يقع
منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالمواظبة على الطاعة ثم
بالايمان بالله واياته من بعد المدح والبيان بعد النهي عن طردهم ثم امره ان يبدأهم بقوله فقل سلام عليكم كتب
ربكم على نفسه الرحمة بان يبدأ بالتسليم عليهم او يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمته
وفضله عليهم وان الله تعالى التزم لهم ذلك ايذانا بانهم لجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان
كذلك وجب اعزازه واكرامه وان يبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل
ان قوما جاؤوا الى النبي صلعم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
انه من عمل منكم سوءا استيناف تفسير الرحمة وقرئ بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي
عمله وهو جاهل او ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده من بعد العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم
على ان لا يعود الى مثله فانه غفور رحيم فتح من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره
او فله غفرانه وكذلك مثل ذلك التفصيل البين نفصل الايات ايات القران في صفة المطيعين
والمجرمين الاولين منهم والمصرين ولتستبين سبيل المجرمين استبان يجي لازما ومتعديا بالتاء
وقرئ بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وقرئ بالتاء ونصب السبيل على خطاب
الرسول صلعم وهو اما عطف على علة محذوفة اي ليظهر الحق وليستبين او علة لمحذوف اي وليستبين
سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل والنهي بذكر سبيل المجرمين لتبيين سبيل غيرهم منه ولم يعكس
لان ذكره اهم والنفي لما الترهيب اهم منها الى الترغيب قل اني نهيت صرفت وزجرت

بنور فطري وصفاء عقلي وبما اوحي الي ونصب من الدلايل ان اعبد الذين تدعون من دون الله
من عبادة ما تعبدون من دون الله تعالى او تدعونها الهة قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم
واستجهال لهم واستركاك لعقولهم واشارة الى علة النهي وموجب الامتناع عن متابعتهم وبيان
لسبب ضلالتهم وذم لطريقتهم وان ما هم عليه محض هوى فارغ عن الدليل بل يخالف لمقتضى العقل
ومعنى قد ضللت اذا اني ان اتبعتكم فقد ضللت لانه مركوز في العقلاء ان كل من اتبع الهوى فهو ضال
وفيه تنبيه على ان كل من طلب الحق فليجتنب الهوى وليتمسك بالحجة وليلزم طريق العقل فانه
الهدى ثم اكده بقوله وما انا من المهتدين عطف الجملة الاسمية الدالة على المنافات الكلية
بين متابعة الهوى والهدى مع المبالغة بناء على ان من المهتدين ابلغ من مهتد وهو ابلغ
من اهتدى وان القيد دخل النفي اي وما انا من المهتدين في شيء ما دمت انا انا يعني انكم كذلك
وفيه غاية التنفير عن طريقهم ولما بالغ في نفي كون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله
قل اني على بينة البينة الحجة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل فقيد الوضوح معتبر
في مفهومها لا مستفاد من التنكير وهي اعم من ان يكون وحيا او دليلا عقليا او كشفيا من ربي
متعلق بالظرف او صفة لبينة اي اني من معرفة ربي ووحدانيته على يقين وحجة واضحة
وكذبتم به اي بربي حيث اشركتم به غيره او بالبينة حملا على المعنى وهو القرآن ما عندي ما
تستعجلون يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تاخير العذاب لا الي والا لعجلته يقص الحق في كل ما يرجع به من
التعجيل والتاخير الحق صفة للمصدر اي القضاء الحق او مفعول به اي يصنع الحق من قولهم
قضى الدرع اذا صنعها فيرجع الى القراءة الثانية معنى قال الزجاج هذه كتبت ههنا بغير ياء
على اللفظ لان الياء سقطت لالتقاء الساكنين كما كتبوا سندع الزبانية وقرئ يقص الحق
اي يتبع ما هو الحق من قص اثره اذا اتبعه لا من قص الخبر لعدم ملايمته ما في السباق واللحاق
من الحكم والفصل وهو خير الفاصلين القاضين واصل القضاء الفصل بين الحق والباطل قل لو
ان عندي في قدرتي ووسعي ما تستعجلون من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
غضبا عاجلا لربي وانقطع ما بيني وبينكم استعظاما لتكذيبهم اي انتم اذكرتم بما هو بين
شيء احقاء بان نعاجلكم بالعذاب المستاصل لكنه لا قدرة لي ولو كان عندي اشد العذاب
لاوقعته بكم معجلا والله اعلم بالظالمين تسجيل عليهم بان الشرك الذي هم عليه الظلم والظلم موجب
لاستحقاق العذاب لكن الله اعلم بما يجب من عذابهم وتوقيته وعنده مفاتح الغيب المفاتح جمع
مفتح بفتح الميم وهو المخزن الذي يفتح ويغلق او جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة

من قرأ مفاتح استعار المفاتح لما اودع فيه الغيب من خزاينه او لما يتوصل به اليه وخصصت به
لانه لا اطلاع عليه ولا يمكن التوصل اليه لا يعلمها الا هو اي هو المطلع على مكان ما غيبه وحده
او هو ما به يتوصل اليه كانه في مخدع مغلق ابوابه لا يعلم احد منها نحو الاصوات عن اسبابه التي
توجب احداثه واظهاره في عالم الشهادة اي يعلم اوقاتها وما في تاخيرها وتعجيلها من الحكمة
فيظهرها على ما اقتضته مشيته بحسب حكمته وهذا الوجه انسب لما قبله وقيل فيه دليل على علمه
بالاشياء قبل وقوعها ويرد عليه ان علمه تعالى ليس بزماني فلا قبلية بينه وبين الاشياء الواقعة
في الزمان ويعلم ما في البر والبحر كما يعلم ما في الغيب كله يعلم ما في الشهادة كلها وما تسقط من ورقة الا يعلمها
تاكيد لعلمه بالجزئيات مما في البر والبحر ولا حبة في ظلمات الارض اراد ظلمة بطنها وظلمة داخل
الشجر وظلمة جوف الثمر عبر بالحبة الموصوفة بهذه الصفة عما هو في مبدا امره من جنس النامي
وبالورقة الساقطة عما بلغ منتهى شانه منه ولا رطب ولا يابس معطوف على ورقة وقوله
الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معناه ومعنى الا في كتاب مبين واحد اما
اذا اريد بالكتاب المبين علم الله تعالى فظاهر واما اذا اريد به اللوح المحفوظ فلان كونه فيه كناية
عن كونه من جملة معلوماته تعالى وفيه اقاويل البرية المعنى وقرئت بالرفع على العطف على محل من ورقة
او على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل في وقت النوم وانما عبر عنه
بالليل وعن وقت الكسب بالنهار لانهما مظنتا اوقاتهما وخصهما بالذكر جريا على ما هو المعتاد
واستعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض
الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم فيه ومنه اطلاق الجوارح للاعضاء الكاسبة والواو
حالية لا ناسقة والا لاخرت عن قوله ثم يبعثكم فيه في النهار والبعث الاثارة لا الايقاظ
غايته بعث النايم يكون بايقاظه فلا ترشيح فيه للتوفي ليقضى اجل مسمى في علم الله تعالى
وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها وبلوغه البلوغ الى نهاية تلك المدة وهو المراد بقوله ههنا
ثم اليه مرجعكم بالبعث بعد الموت والمراد الرجوع الى موقف حسابه تعالى ثم ينبئكم يخبركم بما كنتم
تعملون من الخير والشر هذا وعد ووعيد وقيل الخطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف في
الليل وكاسبون للآثام في النهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم
به اعماركم من الغفلة والمعاصي في الليل والنهار ليقضى المدة التي ضربها لبعث الموتى وجزائهم
على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم يخبركم باعمالكم بالجزاء وعلى هذا يكون الضمير في فيه
عايدا الى مفهوم كونهم متوفين وكاسبين ويكون في ليقضى لام التعليل والاجل المسمى مدة الكون
ولا يخفى ما فيه من التعسف المستغنى عنه بما قدم من الوجه الظاهر وهو القاهر فوق عباده قد مر تفسيره

في هذه السورة قدمه على ذكر ارسال الحفظة ليعلم ان ارساله لهم لم يكن لحاجة اليه ذلك لان المحتاج لا يكون
قاهرا بل لحكمة وهي ان يكون العباد على حذر وهذا ابلغ في الزجر لان من علم ان عليه رقباء
كان اجدر بالحذر فان العبد اذا وثق بلطف مولاه واعتمد على عفوه لم يحتشم منه احتشامه من
خدمه المطلعين عليه ويرسل عليكم حفظة للجمهور على انهم حفظة الاعمال وقيل انهم الذين يحفظون
انفاس الخلق ويعدونها الى وقت انقضائها ثم يقبضون الروح بناسبه ما بعده وعليكم
متعلق بيرسل كما في قوله تعالى يرسل عليكما شواظ وهم لتمكنهم منا جعلوا مستولين علينا ويجوز
تعلقه بحفظة اي حافظين عليكم حتى اذا جاء احدكم الموت اي اسبابه توفته قبضت
روحه وقرئ بالف ممالة رسلنا جماعة عني به ملك الموت واعوانه وفي عبارة رسلنا اشارة
الى ان ذلك بامره تعالى ولذلك اسنده الى نفسه في موضع آخر وقال الله يتوفى الانفس حين
موتها وهم لا يفرطون جملة حالية او استينافية قرئت بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني
والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه
ثم ردوا الى الله فيه التفات من الخطاب الى الغيبة ومن المتكلم اليها وذلك لان
الرد يناسبه اعتبار الغيبة وان لم تكن حقيقة فانهم ما غابوا عن قبضته لحظة ولا
من حكمه نظرة ولا لفظة فالرد من البرزخ الى موقف العرض للسؤال والجواب مولاهم الذي
يتولى امرهم والمراد منه في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم معنى المعين والناصر فلا منافاة
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره
فيه وهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله حساب ولا لبث في السؤال والجواب قل من ينجيكم
استفهام بمعنى النفي وقرئ بالتخفيف من ظلمات البر والبحر من شدايدهما استعيرت
الظلمة للشدة للمشاركة بينهما وهي معنى الظلمة في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم
الشديد يوم مظلم ومن جملة تلك الشدايد الخسف في البر والغرق في البحر تدعونه
تضرعا وخفية مظهرين بالالسنة الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة الى الشيء وهو من
الطلب على وجه الاخلاص بالقلب اظهارا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا
وقرئ انجانا ليوافق قوله تعالى تدعونه من هذه اشارة الى الظلمة لنكونن من الشاكرين
جواب القسم المحذوف ولا حاجة الى تقدير القول لدلالة تدعونه عليه قل الله ينجيكم
منها قرئ بالتشديد والتخفيف ومن كل كرب عبارة كل للمبالغة في النكرة المناسبة للمقام
فان كل نفس عند كل نفس في معرض الآفات التي لا تعد ولا تحصى والله تعالى ينجيها منها وهي
نعمة الدفع فكلما ينتبه لها انسان والاولى نعمة الرفع وهي نعمة النفع ظاهرتان ونعمة

الخروج عن عهدة الشكر لعدم امكان التذكر لافراد النوع الاول بتفاصيلها لا لان الشكر على النعم نعمة اخرى
ثم ان الكلام المذكور على طريقة ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه
لفظه حتى كانه شريكه في اصل الفعل اجراء لاحد المتقاربين مجرى الآخر كقوله تقلدت السيف
والرمح الكرب الغم الشديد واصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر فالغم اذا اشتد يثير النفس
اثارة ذلك ثم انتم تشركون اي لا تخلصون حين تخلصون ولا تشكرون تشكرون بل تشركون
وثم استبعاد لشركهم مع اقرارهم بانه لا يكشف الضر الا الله ووضع تشركون موضع لا تشكرون
مبالغة لان من يشرك بالله فهو غاية البعد عن شكره قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا اي هو الذي عرفتموه انه الكامل في القدرة الذي لا قدرة لاحد سواه ومعنى الآية
الوعيد باحد اصناف العذاب المذكورة من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب
الفيل الحجارة او من تحت ارجلكم كما خسف بقارون واغرق فرعون او من جهتيهما معا
كطوفان نوح وقيد ارجلكم لقطع المجاز كما في تجري من تحتها الانهار ولك ان تقول
اريد بالاول ظلم السلاطين وبالثاني تسلط السفلة وبالثالث الهرج والمرج ولما كان
بين هذه الثلثة منع الجمع بحسب العادة اتى باداة الترديد او يلبسكم شيعا فرقا بان
يخلط امرهم خلط تشاق لا وفاق فيجعلهم مختلفي الاهوال ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم
بعضا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن انظر كيف نصرف الآيات نحولها من نوع
الى آخر من انواع الكلام تقريرا للمعنى وتقريبا الى الفهم وقيل بالوعيد والوعد ولا
يناسبه قوله لعلهم يفقهون وكذب به اي بالقرآن قومك وهو الحق حال من الضمير في به او
استيناف اخبر بان القرآن الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من
التكذيب اجبارا انما انا منذر والله الحفيظ لكل نباء النبأ خبر ذو خطر مستقر اي لكل
شيء ينبأ في القرآن وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا
والآخرة وهذا القول ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا بالاستهزاء بها والطعن
فيها والخوض اصله في الماء استعمل بطريق الاستعارة في غمرات الاشياء التي هي مجاهل
تشبيها لها بغمرات الماء فاعرض عنهم امر بعدم التوجه اليهم وترك الاقبال عليهم
ويلزمه النهي عن مجالستهم بطريق المبالغة حتى يخوضوا الى ان يخوضوا في حديث غيره
غير القرآن وليس هذا من قبيل عود الضمير على الآيات باعتبار المعنى بل من قبيل عوده على ما
علم من سياق الكلام واما ما زايدة بعد ان الشرطية يلحق الفعل وما احسن مجيء الشرط الاول باذا
التي هي للمحقق او غالب الوقوع ومجيء هذا الشرط بان التي هي للمشكوك ينسينك الشيطان وان شغلك

بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم وقرئ ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى فقم كما ذكرت
اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضعهم التكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والاستعظام مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون الذين يجالسونهم من حسابهم مما يحاسبون عليه
من ذنوبهم واستهزائهم من شيء اي من كان يتق التوب عن ارتكاب الآثام كان بمعزل يوم
النشور عن ملاقات الآلام ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون فيها بالقول
والنهي ثم القيام واظهار الكراهة فذكرى نصب على المصدر ويجوز ان يكون مرفوع المحل اي عليهم
ذكرى لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين
يتقون اي لعلهم يثبتون على التقوى ويزدادونها ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من
حسابهم يا باه لانه حال من شيء قدم عليه فصار قيدا للعامل روي ان المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام فنزلت فاذا عطف
ذكرى عليه كانت جهة القيد معتبرة فيه بحكم الاستعمال في عطف المفرد على المفرد ولا سيما بحرف
الاستدراك فيؤول المعنى الى ان عليهم من حسابهم ذكرى وذكرى ليس من حسابهم وذر
الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او بنوا امر دينهم على التشهي و
تدينوا بما لا نفع فيه اصلا كعبادة الاصنام وتحريم البحاير والسوايب او جعلوا عيدهم
الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم و
اقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
اي خلهم الى ما اختاروا وافانا اعتدنا لهم من خفي المكر اذا احللنا بهم كسرنا عليهم خمار الغفلة
وكشفنا عنهم خمار الوهم والجهل فلا ضرورة في جعله منسوخا باية السيف بحمله على الامر
بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا اعتراض لبيان انهم انما بنوا امر
دينهم على اللعب واللهو لان حياة الدنيا غرتهم حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تمنع نفس من النجاة وتسلم الى الهلكة والعذاب بسبب كسبها
وترهن بسوء عملها كقوله كل نفس بما كسبت رهينة او تفتضح بسوء كسبها وعذابها كقوله وجوه
يومئذ باسرة الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لانه يمنع ان يفلت فريسته ويقال بسر
الرجل اذا اشتد عبوسته فاذا زاد قالوا بسل ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها
العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وكل
نصب على المصدر ويؤخذ في قوله لا يؤخذ منها مسند الى منها لا الى ضمير العدل لا بطريق الاستخدام
لان العدل ههنا مصدر لوقوعه مفعولا مطلقا وهو ليس بماخوذ بخلاف قوله ولا يؤخذ منها

عدل لانه المتعدي به اولئك الذين ابسلوا اي اسلموا الي العذاب بسبب قبايح اعمالهم استعمال الابسال للاسلام
الي العذاب لان المسلم اليه يمنع المسلم لهم شراب من حميم بما شربوا من الشهوات وعذاب اليم بما
تناولوا من الشهوات بما كانوا يكفرون اي بهم بسبب كونهم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار
تشتعل بابدانهم قل اندعوا نعبد من دون الله ما لا ينفعنا ان اطعناه ولا يضرنا ان عصيناه ونرد على
اعقابنا اي نرتد ونرجع الي ورائنا بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام والمعنى
انكار الرجوع الى الشرك بعد الاهتداء الي التوحيد كالذي استهوته الشياطين مردة الجن في الارض
استهوي استفعل من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه
وزعم ابو علي انه من الهوى اي القته في هوة ويكون استفعل بمعنى افعل نحو استنزل وانزل
وياباه ما بعده حيران نصب على الحال ولم ينصرف لان انثاه حيرى كسكران وسكرى و
الحيران هو الذي لا يهتدي لجهة جهة له اصحاب رفقة يدعونه الي الهدى الي الطريق المستقيم
سمى الطريق بالهدى تسمية بالمصدر للمبالغة ايتنا يقولون له ايتنا واضمر القول لدلالة
يدعونه على ذلك قل ان هدى الله اي الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا
في محل النصب عطفا على محل ان هدى الله على انه مفعول واللام في لنسلم لرب العالمين للتعليل
اي وامرنا بذلك لنسلم وزعم الكسائي والفراء ان لام كي تقع في موضع ان في اردت وامرت
قال الله تع يريد الله ليبين لكم وقيل بمعنى الباء وقيل زايدة ويقوي بهما عطفه وان اقيموا
الصلوة واتقوه عليه كأنه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا وعلى الاول معناه وامرنا بذلك الكلام
واقامة الصلوة وتقوى الله تع فان ان المصدرية اذا دخلت على الامر ينسبك منه مصدر ولا
يلاحظ فيه معنى الامر وقيل موقع العلة موقع المامور به فعطف على موقعها وهو الذي اليه تحشرون
يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق في موضع النصب على الحال اي قايما بالحق
والحكمة ويوم يقول اي وحين يقول لشيء من الاشيا كن فيكون ذلك الشيء ويوم منصوب بما
دل عليه بالحق او بخلق اي ويقوم بالحق يوم يقول او وخلق السموات يوم يقول وقوله الحق مبتدأ
خبر قدم فيها الخبر لا للحصر لانه لا يناسب المقام بل لكونه الشايع في الاستعمال مثل عندي على
التاليه وقيل قوله على هذا الوجه يجوز ان يكون فاعل فيكون الحق صفته اي ويوم يقول الحق
يوم يامر كل شيء بقوله كن فيكون قوله الحق ولا يخفى عن تعسف او منصوب بفعل الاستقرار
على ان قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبر مقدم كقولك يوم الجمعة القتال او قوله مبتدأ والحق خبره
ويوم ظرف للقول او للحق وله الملك يوم ينفخ في الصور يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله
لمن الملك اليوم او بدل من يوم يقول على ان كن فيكون بمعنى الاحياء والبعث وقوله الحق قوله يوم القيمة

عالم

عالم الغيب والشهادة رفع على المدح اي هو عالم الغيب او خبر بعد خبر وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال
ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه قال الفراء والزجاج ليس بين النسابين اختلاف في ان اسم
ابي ابراهيم تارخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر فكان آزر لقب له قال ابن الانباري
قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به اشهر منه باسمه فيجوز ان يكون آزر لقبا ابطل الاسم
لشهرته فخبر الله تع به لذلك وقيل نعت مشتق من الازر ومنع صرفه للعجمة والعلمية او للوصفية
ووزن الفعل وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر تتخذ اصناما
آلهة تعبدها ويعضده قراءة ءازر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وسكون الزاي ونصب الراء منونة
على انه اسم صنم وتوجيهها على الاول انه كان اسم صنم يعبده فلقب به للزومه عبادته او اطلق
عليه بحذف المضاف وقرئ بالضم على النداء وهو ظاهر في حذف المضاف لما في نداء الابن
اباه باسم العلم غلظة واستخفاف لا يليق بشان ابرهيم الموصوف بغاية الحلم المعروف بمحبة ابيه
ومراعاته يرشدك الي هذا قوله اني اريك وقومك في ضلال مبين ظاهر الضلالة حيث لم يقل انت و
قومك في ضلال مبين رعاية لحسن الادب في مخاطبته وكذلك نري ابرهيم مثل ذلك التبصير
نبصر ابراهيم قد سبق ان اسم الاشارة في مثل هذا المقام اشارة الي هذه الاراءة لا الي
شيء آخر تشبه به وهذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ومعنى الاعتراض بيان
الارشاد والهداية بطريق الاستدلال الموصل الي مرتبة الايقان الذي انكشف به ضلال
قومه ولذلك استحضر الماضي حال الاقبال نري على الحكاية تصويرا وتعظيما وقرئ بالتاء
ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية ملكوت السموات والارض فعلوت من الملك
وزيادة التاء للمبالغة ومعناه ما يملك به الشيء اي نري ربوبية الله تع للسموات والارض
وما يدبرهما ويملكهما به من عجايب الملكوت وليكون من الموقنين اي وفعلنا ذلك ليكون من
المحققين قيل اي ليستدل وليكون ويأباه اللام والواو فانهما لا يذكران بين الاستدلال
وما يترتب عليه فلما جن عليه الليل ستره بظلامه راي كوكبا قيل كان الكوكب الزهرة
او المشتري قال هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قوله يحكيه على ما يقوله
الخصم ثم ينكر عليه بالافساد وفي تقديم الاعتراض المذكور تنبيه على هذا فانه لولا ذلك
لسبق الي الوهم انه استدلال لنفسه واما بعد تقديمه فلم يبق ذلك الاحتمال وقيل هذا بين
انه لا مجال لان يكون قوله فلما جن عليه الليل الخ تفصيلا وبيانا لذلك لان ما ذكر طريق النظر
والاستدلال الشايع الذايع بين اصحاب الظواهر المقصور نظرهم على عالم الملك فلا يصح
بيانا لحال من يترقى منه الي درجة الوقوف على سرائر عالم الملكوت والمشاهدة لاسرار الربوبية

فنبّه عطفه على قال ابرهيم فانّ اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبّههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال فلمّا افل الافول الغروب قال لا احبّ الآفلين الارباب المتنقلين من حال الى حال المحتجبين بالغروب والانتقال فضلاً عن ان اعبدهم فانّ التغيّر بالانتقال من مكان الى مكان من خواص الاجرام المحتاجة الى الربّ فلا يصلح للربوبية فلمّا راى القمر بازغا البزوغ الطلوع قال هذا ربّي فلمّا افل كانّه غاب عن نظره او لم يكن حين رآه ابتداء الطلوع بل كان في وراء الجبل ثم طلع منه او في جانب آخر لا يراه والافلاء احتمال لان يطلع القمر من مطلعه بعد افول الكواكب ثم يغرب قبل طلوع الشمس قال لئن لم يهدني ربّي لاكوننّ من القوم الضالين نبّههم لقومه على انّ من اتخذ الآفل المتغيّر الها فهو ضالّ وانّ الهداية الى الحق انما يكون من فضل الربّ وعطائه وهذا طريق من يتلطف في البحث والارشاد باظهار المناصحة لنفسه وايحاض النصح حين اراد لصاحبه وما اراد لنفسه وينسب الذم والتقريع الى نفسه لا يواجه به الخصم ليكون ابعد من استعاضه وعناده واشدّ تليينا لعريكته وكسر العود شكيمته كما قال صاحب يس وما لي لا اعبد الذي فطرني وفيه تقريع قومه فلمّا راى الشمس بازغة قال هذا ربّي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر اولانه لا يفرق في غير لغة العرب بين المذكر والمؤنث في الاشارة فاجرى الكلام على قانون تلك اللغة في مقام الحكاية وعلى قاعدة العربية في مقام الاخبار واما ما قيل وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الربّ عن شبهة التانيث فيرد عليه انّ هذا الوجوب في الربّ الحقيقي مسلّم واما الذي فرضه ربّا للابطال باظهار ما فيه من الاوصاف النافية للربوبية فالوجوب المذكور فيه ممنوع بل المناسب اظهار علامة التانيث لما فيه من الاشارة الى ما سبق له العبارة هذا اكبر من باب مراعاة النصفة ايضا مع الخصم ويحتمل ان يكون تجريد اسم الاشارة عن علامة التانيث ايضا من هذا الباب كانه يعرض ما فرضه ربّا متجنبا عما يمكن التجنب عنه مما يوهم ما لا يليق بشان الربّ فلمّا افلت قال يا قوم انّي بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المتغيّرة المحتاجة الى محدث ومدبّر مغيّر وهذا صريح في انّ الكلام مع القوم وقد دلّ قوله لئن لم يهدني ربّي على انه كان عارفا بانّ له ربّا يستحق العبادة ومنه الهداية وانّ قومه على الضلال واشعر بانّ محاجته كانت مع منكر مبالغ في الانكار احتاج الى القسم فانّ اللام في لئن موطئة للقسم وفي لاكوننّ جواب قسم لما تمّ استدلاله وظهر بالحجة ولم يبق شبهة يتمسك بها الخصم صرّح بالمقصود واظهر التبري مما كانوا يشركون به عن آخرها والتوجه الى من دلت عليه الممكنات المتغيّرة من موجدها ومبدعها

فقال

فقال انّي وجّهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين انما استدل بالافول دون البزوغ مع دلالته ايضا على التغير والانتقال من حال الى حال لتعدد دلالته من جهة الانتقال والاختفاء وانتفاء النور ولانه لا مجال للاستدلال بالبزوغ في الكواكب لانه رآه في وسط السماء حين قرر الاستدلال وحاجّه قومه خاصموه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه قال اتحاجوني وقرئ بتخفيف النون في الله في وحدانيته تعالى انكر مخاصمتهم فيها بعد ان احتج عليهم بالبرهان كما اشار اليه بقوله وقد هداني الى توحيده وكانوا خوّفوه ان معبودا تهم تصيبه بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به اي ولا اخاف معبودكم وقتاما لانها لا تضرّ ولا تنفع الّا ان يشاء ربّي نصب على الظرف اي الا وقت مشيئة ربّي شيئا يخاف من جهتها مثل ان يصيبني مكروه من جهة الكواكب والشمس والقمر فان كان فذلك منه تعالى لا منها وسع ربّي كل شيء علما اعتراض كالتعليل للاستثناء اي لا اعلم والله احاط علما بكل شيء فلا يبعد ان يكون في علمه ان يصيبني مكروه من جهتها افلا تتذكرون ابعد ما اوضحته من الدليل لا تتذكرون مؤداه وهو ان لا مؤثر الا الله تعالى والفاء للعطف على مقدر اي اتخوفونني فلا تتذكرون فتميّزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ثم تعجب من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تانبرله في شيء ولا تخافون انكم اشركتم بالله وانتم لا تخافون ما يوجب كل الخوف وهو اشراككم بالله القادر على كل شيء ما لم ينزل به باشراكه عليكم سلطانا تهكّم بهم فانّ اقامة الحجة على الشرك ممتنع وتعريض بوجود الحجة على نفيه ولما دل الكلام على انهم يخافون المامون من كل وجه وهم لا يخافون المخوف من جميع الوجوه قال فايّ الفريقين احقّ بالامن الموحدون ام المشركون ولم يقل فاينا انا ام انتم حفظا للادب واحترازا عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون ما يحقّ ان يخاف منه ثم استانف جواب الاستفهام بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي ولم يخلطوه بشرك كنسبة التاثير الى الغير بعد التصديق بالله لما روي ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رض وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال ليس تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنيّ لا تشرك بالله انّ الشرك لظلم عظيم وقيل بمعصيته ويؤيد الاول كونه جوابا للاستفهام من المشرك والموحّد اولئك الموحدون لهم الامن دون غيرهم وهم مهتدون خاصة وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جنّ عليه الليل الى قوله وهم مهتدون حجتنا خبر تلك آتيناها ابراهيم الهمناها اياه ووفقناه لها على قومه متعلق بحجتنا وآتيناها خبر بعد خبر او جملة مبينة او حجتنا بدل وآتيناها خبر وعلى قومه متعلق بمحذوف دل عليه مفعول آتيناها اي آتيناه حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرئ درجات بالتنوين انّ ربّك حكيم في رفعه

عدة
ردّ
ض
داكم
تعالى

وحقيقة عليم بحال الموفق والمخصوص واستحقاق كل منهما بالفعل ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا﴾ اي كلا منهما هدينا ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ من قبل ابراهيم ع قوم نوح ع اول قوم عبدوا الاصنام ووحد هو الله تع فهو عبارة من قبل اشارة الى ان فيه اسوة حسنة لابرهيم ع واما عدهدا نعمة لابرهيم ع من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدي فخفه ان يذكر نوح ع بعلاقته لابرهيم عليه السلام كما ذكر من ذكر بعده كذلك ﴿ومن ذريته﴾ الضمير لابرهيم ع ولان الكلام فيه ويونس ع ايضا من ذريته لما ذكر في جامع الاصول انه كان من الاسباط في زمن شعيا ع ارسله الله تعالى نينوي من بلد الموصل ولا يبعد في عد لوط ع من ذرية ابرهيم ع باعتبار انه كان ابن اخيه اخرج معه الى الشام فلا ضرورة داعية الى تخصيص البيان بالمعدودين في الاية الاولى والثانية وعطف المذكورين في الثالثة على نوح ع وقيل لنوح ع لانه اقرب وفيه انه يلزم حينئذ اواد اسمعيل ع عن بافي ذرية ابرهيم ع ﴿داود وسليمان وايوب﴾ ايوب بن اموص من اسباط اسحق ع ﴿ويوسف وموسى وهرون وكذلك﴾ ومثل ذلك الجزاء العظيم الذي جزينا ابرهيم ع من رفع درجات وكثرة اولاده والنبوة فيهم ﴿نجزي المحسنين﴾ الذين احسنوا في عبادتنا ﴿وزكريا ويحيى وعيسى﴾ هو المسيح ابن مريم ع دل ذكره على تناول الذرية لاولاد البنت ﴿والياس﴾ هو من سبط هرون ع وقيل هو ادريس جد نوح ع فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى ﴿كل من الصالحين﴾ من الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي وفي توصيف الانبياء ع بالصلاح تنويه بشان تلك الصفة وتنبيه على عظم قدرها كما في وصف الانبياء والملائكة بالايمان فان اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف ﴿واسمعيل واليسع﴾ هو اليسع بن اخطوب وقرئ والليسع كضيغم وعلى القراتين هو علم اعجمي وقيل ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا ويرده لزوم اللام له والوجه ما قال ابن مالك ما قارنت ال نقله كالنضر والنعمان او ارتجاله كاليسع والسموال فان الاغلب ثبوت ال فيه ﴿ويونس﴾ وهو يونس بن متى ع ﴿ولوطا﴾ هو هاران بن اخي ابرهيم ع ﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ بالنبوة على من ليس من الانبياء ولا بد من هذا القيد كيلا يلزم تفضيل كل منهم على الاخر او تفضيل كل من المعاصرين على الاخر ﴿ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم﴾ في محل النصب عطفا على كلا او نوحا ومن للتبعيض لان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا ﴿واجتبيناهم﴾ عطف على فضلنا ﴿وهديناهم الى صراط مستقيم﴾ تكرير لبيان ما هدوا اليه ﴿ذلك هدى الله﴾ اشارة الى ما دانوا به ﴿يهدي به من يشاء من عباده﴾ فيه دليل على ان الهداية بمشية تع وانها تتفضل بها فيبنا على عدم لزوم المشية لذاته وذلك مبني ظاهر من الكلام ﴿ولو اشركوا﴾ مع فضلهم وتقدمهم وعلو درجاتهم ﴿لحبط﴾

﴿عنهم ما كانوا يعملون﴾ لكانوا كغيرهم في بطلان اعمالهم بسقوط ثوابها عنهم ﴿اولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ اي جنسه ﴿والحكم﴾ الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق ﴿والنبوة﴾ قد ياتي الفرق بينها وبين الرسالة في سورة الاعراف ﴿فان يكفر بها﴾ اي بهذه الثلثة او بالاخيرة منها ﴿هؤلاء﴾ يعني اهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوما﴾ هم مؤمنوا اهل المدينة قاله ابن عباس رض ومعنى توكيلهم توفيقهم للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهد فمعنى المراعاة داخل في مفهوم التوكيل ﴿ليسوا بها بكافرين﴾ الباء الاولى صلة الكافرين والثانية توكيد للنفي ﴿اولئك الذين هدى الله﴾ الاشارة الى الانبياء المتقدم ذكرهم ﴿فبهداهم اقتده﴾ تقديم فبهداهم للتخصيص اي فاخصص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم والمراد بهديهم الايمان والتوحيد واصل الدين مما اشترك الكل فيه دون الفروع من الشرايع المختلفة والاديان فانها تختلف بحسب الازمان بل فيهم آخر وهو الفروع المتفق عليه كالصوم والصلوة وحرمة الكذب والزنا فيدخل هذا القسم من الفروع مع الاصول تحت مطلق الهدى من المشترك المضاف الى الكل فيصلح متمسكا في الجملة لمن قال انه ع كان متعبدا بشرايع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة اجرى الوصل مجرى الوقف ومن اشبعها ان يجعل كناية عن المصدر ﴿قل لا اسألكم عليه﴾ اي على التبليغ ﴿اجرا﴾ جعلا من جهتكم كما لم يسئل الانبياء السابقون قبل وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه وفيه اعتراف بعدم اختصاص الهدى المذكور بالاصول فلا وجه لنفي التمسك المار ذكره ﴿ان هو﴾ اي التبليغ او القرآن ﴿الا ذكرى للعالمين﴾ تذكرة وعظة لهم ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده والانعام عليهم ببعثة الرسل وانزال الكتب او في السخط على الكافرين والبطش بهم حين انكروا الوحي والنبوة واقدموا على تلك المقالة العظيمة ﴿اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء﴾ والقائلون هم اليهود بدليل الزامهم بانزال التورية على موسى ع وقيل القائلون قريش وانما الزموا بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ﴿قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس﴾ نورا وهدى حالان اي جامعا بين كونه نورا يبين به الاحكام والشرايع وبين كونه هدى للناس الى التوحيد والمعاد ﴿تجعلونه﴾ اعتراض لبيان سوء حملهم للكتاب وفعلهم به ما ينافي كونه نورا وهدى للناس توبيخا لهم وتعييرا ﴿قراطيس﴾ ورقات متفرقة ليتمكنوا بتفريقها على ما قصدوا من الابداء والاخفاء ﴿تبدونها وتخفون كثيرا﴾ قراءة الجمهور يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون نقضا لكلامهم والزاما لهم وقرا بعضهم بالياء التحتانية حملا على قالوا وما قدروا ولتضمين الالزام توبيخهم

على بعض التورية وتحريفها وابداء بعض واخفاء بعض وعلى هذا الالتفات الى الغيبة بعيد الهي
بسبب فعلهم القبيح ثم الالتفات ثانيا الى الخطاب تنبيها على ان الغائبين هم المخاطبون وان هو
الا التفات حيث اريد نسبة القبيح اليهم اعرض عنهم حتى لا يواجهوا به وحيث نسب اليهم الحسن
علم ما لم يعلموا بخاطبهم به وعلمتم خطاب لليهود اي على لسان محمد ما لم تعلموا انتم مع كونكم
حملة الكتاب ولا آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم من الحكم والمواعظ والقصص زيادة
على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم لقوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون وعلى القول الاول الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما
انذر آباؤهم قل الله امره بالجواب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يلتبس عليهم ولا يناكر
وهو الله انزله حذف الخبر لدلالة ما في السؤال عليه لكنهم بهتوا محجوجين ملزمين لا يقدرون
على الجواب خوف الفضيحة ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ثم لا ستعداد الكلام بعد الالزام
اي لا كلام الا هذا ولهذا سمي كلامهم غير هذا خوضا في الباطل اي هواء وهذيانا ولعبا
لا عبث لان الكلام الذي ليس بنافع ولا معقول لغو معنى ذرهم لا عليك بعد الزام الحجة
ان لم يسكتوا فاتركهم يلعبون حال من ذرهم وفي خوضهم صلة له او ليلعبون او حال
منه او من خوضهم ويوصله لذرهم وهذا اي القرآن والتعظيم الذي قصد بذلك
في قوله تعالى ذلك الكتاب حصل من تنكير كتاب لحصول التعادل بين القولين انزلناه
مبارك كثير المنافع النافعة والفوائد الباقية فان البركة ثبوت الخير على الازدياد مصدق
الذي بين يديه من الانجيل وساير الكتب الالهية المخبرة عن رسالة نبينا عليه السلام
والمبشرة عن بعثته ومرجعه الى تصديقهم في دعوى النبوة وهو من المقاصد الاصلية
من انزال القرآن ولتنذر عطف على ما دل عليه صفة الكتاب اي للبركات وللتصديق وللانذار
الكتني بذكره عن مقابلة وخصه بالذكر لعمومه وقيل يجوز عطفه على صريح اي كتاب مبارك
وكائن للانذار وعطف الظرف على المفرد في باب الصفة والخبر كثيرا وعلة لمحذوف اي
ولتنذر انزلناه وقرئ بالياء والضمير للكتاب ام القرى اهل مكة وانما سميت بها لانها
قبلة اهل القرى ومحجهم ومكانا اول بيت وضع للناس ولانها اعظم القرى شانا ومن حولها
من اهل الشرق والغرب من العرب وانما خصهم بالذكر مع ان اصل الانزال للانذار العام
لان نزوله عربيا لاجلهم عليها افصح عنه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر
ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به لان التصديق بالآخرة يحمل صاحبه
على النظر والتدبر خوف العاقبة حتى يؤمن بالكتاب والنبي ويحافظ على الطاعات

وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع
مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب
التي قبله ولتنذر ام القرى ومن حولها عطف
على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او
علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه
وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى
ومحجهم ومجمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان
الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول
بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء
اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على
صلوتهم يحافظون فان من صدق الآخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر
حتى يؤمن بالكتاب والنبي والضمير يحتملهما ويحافظ
على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين و
علم الايمان
قاضي رحمه الله

وهم على صلوتهم يحافظون المراد بالمحافظة على الصلاة المحافظة على الطاعات
كلها وانما خص تاكيد الصلاة لانها عماد الدين فاروق بين الكفر والاسلام ناهية
عن الفحشاء والمنكر فمن واظب عليها واظب على كلها ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بانه بعثه الله نبيا كمسيلمة كذاب اليمامة والاسود وكذا ايضا
اذا اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شيء هو عبد الله بن سعد ابن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نزلت قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
كان رسول الله عليه السلام حتى اذا بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر فتعجب عبد الله
من اطوار خلقة الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال
النبي عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد
صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد
عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة ومن قال سانزل مثل
ما انزل الله كالنضر ابن الحارث واشباهه حيث قال لو نشاء لقلنا مثل هذا
ولو ترى اذ الظالمون اللام اما للعهد والاشارة الى المذكورين من اليهود
والمتنبئة وساير المدعين واما للجنس فيدخل هؤلاء فيه دخولا اوليا وحذف
جواب لو وهو لرايت امرا عظيما ايماء الى انه لا يمكن وصفه لشدته وحذف
مفعول ترى لدلالة اذ الظالمون عليه ولو ترى الظالمون في غمرات
الموت اصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة
باسطوا ايديهم اليهم حال اخرجوا انفسكم على تقدير القول اي يقولون
اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم وقيل باسطوها بالعذاب اخرجوا انفسكم
تخلصوا من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص تشبيه لهم بالمطالب المعنف
والغريم الشد والذي لا يمهل ولا يحفظ بل يلح ويسرح تصور العنيم في ازهاق
اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية
له تجزون عذاب الهون اضافة العذاب الى الهون وهو الهوان لافادة
الاحمال فيه والتمكن واضافه كما تقول رجل سوء بما كنتم تقولون بسبب
قولكم على الله غير الحق كنسبة الولد او الشريك اليه ودعوة النبوة والوحي كاذبا
وكنتم عن آياته تستكبرون وباستكباركم عن الآيات فلا يؤمنوا بها ولقد جئتمونا

للحساب والجزا فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وساير ما اثرتموه من
دنياكم واعوانكم واوثانكم التي زعمتم انها شفعاكم وهو جمع فرد فريد
كرين وقرابى ورديف وردافى والالف للتانيث ككسالى وقرئ فردا بالتنوين
كرجال وفيه انه بالضم اسم جمع وبالكسر جمع رجل بكسر الجيم وقد يقال الرجال
بالضم انه جمع اما لغونا واما لقلب الكسرة ضمة وقرئ فراد ككلث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة صفة للمصدر اي اي مجيا مثل خلقنا لكم او صفة
لفرادى وبدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال من
ضمير في فرادى اي مشبهين ابتدا خلقكم عراة حفاة رلا بهما واستعمل اول
مرة على الظرف وتركتم ما خولناكم اعطيناكم وتفضلنا به عليكم فشغلتم به
عن الاخرة وراء ظهوركم مبالغة في الترك وعدم الانتفاع به حيث لا
يمكنه النظر اليه وما نرى معكم شفعاءكم صريح في انه يحال بينهم وبينهم
ابدا او الاستفسار عنهم عند ذلك ثم انهم يجمعون معهم على افصح عنه
قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم وقدم ما يتعلق بهذا في هذه
السورة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في ربوبيتكم واستحقاق عبوديتكم
شركا الله تعالى لقد تقطع بينكم والمعنى وقع التفرق بينكم على اسناد الفعل
في الظرف على الاتساع كما تقال قوتل خلفكم وامامكم ومن نصب فعلا او يل
اسناد الفعل الى المصدر كما تقول وقع التقطع بينكم كما تقال جمع بين
الشيين اي اوقع الجمع بينهما واصله لقد تقطع بينكم وقد قرئ به وقيل
ان البين مصدر وهو من الاضداد يجي بمعنى الفصال والوصل فمعناه تقطع
وصلكم وتشتت جمعكم ولا يا باه قراة النصب اوحسد تكون حركته حركة
بنا لاضافته الى المبني وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلا لتقطع فتستوي
القراتان وضل عنكم ما كنتم تزعمون انها شفعاكم يرشدك الى هذا قوله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر
اخبر عنه بشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها نبتا اخضر لينا مالو
اجتمع كل الخلايق على اخراج مثله ما قدروا عليه وقيل المراد الشقاق
الذي في النواة والحنطة مثلا يخرج الحي من الميت جملة مبينة لما قبلها لان
فلق الحب بالنبات والنواة بالشجر اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيا

194

كقوله تعالى يحيي الارض بعد موتها الا انه اعم ليكون كالدليل ويخرج الميت من
الحي الميت مما لا ينموا من النطف والحب الحي من الحيوان والنبات ذكره
بلفظ الاسم حملا على فالق الحب ذلكم الله اي ذلكم القادر على تلك الامور العجيبة
هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره وفيه دلالة
على ان هيهنا صارفا لهم عن مقتضى فطرتهم وانه غير الله تعالى فالق
الاصباح شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس في اخر الليل الذي على الافق عن
الصبح اوشاق عمود الصبح عن بياض النهار يقال الشق عمود الصبح والصدع
الفجر وسموا الفجر الفلق بمعنى مفلوق والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل
في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على
المدح وجاعل الليل سكنا السكن ما يسكن اليه ويستانس به ومنه قيل النار
سكن لانه يستانس بها والليل يستانس به التعب ويسكن اليه للاستراحة
فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به لانه قصد به معنى المضي وتعضده
قراة وجعل الليل حملا على معنى معطوف فان فالق بمعنى فلق وذلك قرئ به
او به على المراد منه جعل مستمر في الازمنة وما يقال انه لا بعد بمعنى المضي
عن شبه الفعل بمعنى الاستمرار اولى ليس بشي لان تشبيه الخاص انما هو
بالمضارع وباعتباره يعمل ولهذا يشترط معنى الحال او الاستقبال الذي هو
حقيقة المضارع عند الجمهور فالمضارع قد يجي بمعنى الاستمرار كثيرا فاسم
الفاعل بالاستمرار لا يبعد عن شبهة الفعل بخلاف معنى المضي وعلى هذا التقدير
يجوز ان يكون والشمس والقمر عطف على محل الليل والاحسن نصبها على اضمار
دل عليه جاعل وقرئ بالجر على عطفا على الليل ولا دلالة فيه على ان نصبها
عطفا على محل الليل حتى ينافي حسن نصبهما على اضمار فعل وقرئا بالرفع
على الابتدا والخبر محذوف اي والشمس والقمر محسوبان حسبانا او جعلا
حسبانا جعلهما على حسبان لاحسبان الاوقات تعلم بسيرهما ودورهما
يعني على ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات ويكونان على الحسبان وعلى قراءة
الجر حسبانا بفعل مقدر ان جعلا كما مر في سكنا والحسبان كالكفران مصدر
حسب بفتح العين واما مصدر حسب بالكسر فالحسبان كالفقدان ذلك
اي جعلهما حسبانا يعني ذلك السير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما

وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما على الادوار المختلفة وهو الذي جعل لكم
النجوم اجمال اي خلقها لاجلكم فان لكم فيها منافع وهو دليل اضمار في الكلام من
فالق الحب وجاعل الليل والشمس والقمر لانه في معرض الامتنان وتقدير العظم في
النبات لتهتدوا بها سين بافراد بعض منافعها بذكر اشارة الى انه اكثر منافعها
واجلها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافها اليهما للاشتباه
او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة قد فصلنا الايات
بيناها فصلا فصلا وانما قال لقوم يعلمون لما علمت ان ذلك التفصيل في
معرض الامتنان وهو لا يكون الا للعالم بما امتن به وهو الذي انشاكم من
نفس واحدة هو ادم عليه السلام فمستقر ومستودع فلكم استقرار في الرحم او فوق
الارض واستيداع في الصلب او تحت الارض وقال ابن السفيه المستقر الصلب
والمستودع الرحم لتقديم ذكره على المستودع او فلكم محل استقرار واستيداع وعلى
قراءة كسر القاف فمنكم مستقر اسم فاعل ومنكم مستودع اسم مفعول لان الاستقرار
منا دون الاستيداع وهو جعل الشيء في الاحتفاظ به قال الحسن المستقر من
مات والمستودع انتم وانشد لجمع الاحبة فالاحبة قبلنا والناس مجموع ومفجع
مستودع او مستقر بعلاف قد خلا فالمستقر يزوره المستودع وكان يعمل ابن
ادم انت وديعة في اهلك وينشد وما المال والاهلون الا ودائع ولابد يوما ان
ترد الودائع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون فرق بين الفاصلتين فذكر مع
ذكر النجوم والاهتداء بها يعلمون لظهور امرها ومع انشاء الخلق من نفس
واحدة بما يفقهون لان تصرفهم بين اطوار احوال مختلفة يحتاج الى دقة
نظر وروية وهو الذي انزل من السماء ماء على تلوين الخطاب به بالماء
نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي وفيه ايماء الى عجيب صنعه وبديع
خلقه من كون السبب واحدا والمسببات اشيا مختلفة كقوله تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه خضرا من النبات شيئا
غضا اخضر وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه
من الخضر حبا متراكبا هو السنبل ومن النخل من طلعها الطلع اول ما
يخرج من النخلة في اكمامه قنوان وهو الاعذاق جمع قنو مبتدأ ومن النخل خبر
ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز ان

صنف ٤

يكون

195

يكون الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه او مخرجة من طلع النخل قنوان
ومن قرئ حب متراكب عطف قنوان على حب وقرئ بضم القاف وفتحها
على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة التناول لان
النخل تنو على قصرها او قريبة بعضها من بعض ووصف القنوان بالدانية لا
النعمة فيها اكثر واهنا واستثنى لها من ذكر مقابلها كقوله سرابيل تقيكم الحر
وجنات من اعناب بالكسر في محل النصب عطف على نبات كل شيء وقرئ
بالرفع على الابتداء اي ولكم او وثمة جنات من الاعناب مع النخل فيصرف من
عطف مغر وعلى الجنات عاتبه ان المعطوف على المبتدا يكون نكرة غير مخصوص
ولم يعرف منع ذلك كيف وقد قال الشاعر عندي اصطبار وشكوى عند
قاتلتي فهل باعجب من ابدا امر والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصبا
على المدح لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال في تقديره
والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كقولك كنت منه ووالدي بريا
اي بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم والشكل
وذلك دليل القدرة وقرئ متشابها والاشتباه والتشابه بمعنى واحد وكثيرا
ما يشترك الافتعال والتفاعل بمعنى انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من
ذلك وقرئ بالضم في الثا جمع ثمرة كخشبة او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر
اذا اخرج ثمره نظر استبصار واعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره
ناقله من حال الى حال كيف يخرج ضئيلا حقيرا لا يكاد ينتفع به وينعه
والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ والينع
مصدر ينع بفتح اليا في لغة الحجاز وضمها في بعض لغة نجد يقال ينعت
الثمرة اذا ادركت ونضجت وقيل جمع يانع كتجر وتاجر وقرئ بالضم وهو لغة
فيه ويانعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون اي لاية دالة على وجود قادر
حكيم وتوحيده بمعنى نظر واعتبار ظهور الايات لا ينفع الا لمن قدر الله له الايمان
فنبه على ذلك بتوصيفه القوم بالايمان فهو من قبيل هدى للمتقين ولما
ذكر دل على صانع قادر حكيم لانه له وبخ من اشرك به واستعظم ذلك فقال
وجعلوا لله شركاء الجن لله شركا مفعولا جعلوا والجن محذوف منصوب جوابا
عن سؤال كانه قيل من جعلوه شركا لله فقيل الجن او بدل من شركا او شركا

الجن مفعولاه ولله متعلق بجعلوا او حال من شركا وشركا ثاني مفعوليه وقرى
الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن اي هم الجن ويجوز ان يراد بالجن
الشيطان لانهم اطاعوهم كما يجب ان طاع لله تعالى وعابد والاوثان بتحريضهم
وتسويلهم فهم عبد وهو في الحقيقة وقيل المراد به الثنويه القايلون بيزدان
واهرمن الذين زعموا ان الله خالق كل خير ونافع وابليس خالق كل شر وضار
وخلقهم اي الجاعلين معناه وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن فكيف يجعلون
مخلوقه شريكا له وقرى خلقهم بسكون اللام عطفا على شركا على الوجه الاول
اي اختلاقهم للافك معناه وجعلوا لله افتراهم وهو ما نسبوا قبايحهم الى
الله تعالى في قولهم ان الله حرم هذا وقولهم والله امرنا بها وامثال ذلك وخرقوا
له افتعلوا للافك يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى ويجوز
ان يكون من خرق الثوب اذا اشبه او اشتقه بنين وبنات وقرى
وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات على الجمع وقرى خرقوا له
ونزوروا له اولادا لان المزور مخرق معبر للحق الى الباطل هو قول اهل الكتابين
من المسيح وعزير عليهما السلام وقول قريش من الملايكه بغير علم من غير
ان يعلموا حقيقة ما قالوه اي قولا عن جهالة وعمى من غير فكر وروية
وهو في موضع الحال اي خرقوا ملتبسين بالجهالة او المصدر اي خرقا
بغير علم ولما ذكر اثباتهم الشركا له تعالى واختلافهم بنسبة ما لا يجوز نسبته
اليه تعالى نزهه عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له
شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اي
بدعت سمواته وارضه او الى الظرف اي بديع فيهما بمعنى عديم النظير فيهما
كقولك فلان يثبت العذر اي ثابت فيه وقيل بمعنى المبدع وقد مر ان
فعيلا يجي بمعنى الفعل كاليم وحكيم وهو خبر مبتدا محذوف اي هو بديع او
مبتدا خبره انى يكون له ولد اي من اين يكون له ولد وفاعل تعالى وقرى
بالجر صفة لله او بدلا من ضمير سبحانه وبالنصب على المدح ولم تكن له
صاحبة يكون منها الولد وقرى باليا للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير
الشان وخلق كل شي وهو بكل شي عليم لا يخفى خافية عليه وانما قال بكل شي
ولم يقل به لان الاول اخص بالمخلوقية وفي الاية استدلال على نفي الولد من

وجوه احدها ان الله تعالى مبدع الاجسام كلها ومبدع الاجسام لا يكون
جسما والولادة من صفات الاجسام فلم يكن له ولد وثانيها ان الاجسام
مبدعة والمبدع هو الذي لا يوجد من ماوه من الولد لا يكون الا من ماو
شخص فالمبدع ليس بوالد وثالثها ان الولد لا يكون الا عن زوجة تجانس
الوالد وهو غير مجانس فلا زوجة له ولا ولد وخامسها انه تعالى عالم بكل شي
لذاته ومن عداه ليس كذلك بالاجماع فلا يجانسه غيره والولد انما هو
مجانس للوالد فلم يكن له ولد ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات
وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي
ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة اي من
استجمع هذه الصفات وجبت عبادته ولا تحق العبادة الا له وهو على كل شي
وكيل اي هو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوا اليه اموركم وتوسلوا اليه
بعبادته يجازيكم لها لا تدركه اي لا تحيط به الابصار فاذا لم يحط به الكل فقد
احاطة كل شي به بطريق الاولى وهذا الوجه للعدول عن المفرد الى الجمع
واذا كان المنفي الادراك الخاص فلا متمسك فيه لمن انكر الروية واما الجواب
عنه بتخصيص الحكم ببعض الاوقات او ببعض الاشخاص ولا يحمل الكلام على الوجه
المذكور المناسب للمقام والابصار جمع بصر وهو حاسية العين اي قوتها
التي بها تدرك وقد يطلق على العين مجازا وهو يدرك الابصار يحيط بها
علما وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك بالبصر ويجوز ان يكون الاول
ناظرا الى قوله لا تدركه الابصار والثاني الى قوله وهو يدرك الابصار
كانه قيل لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير
لكل خفيه وجليه والمراد من اللطيف ما لا يتعلق به حاسة النظر
لعدم حظه من الكثافة بطريق الاستعارة قد جاكم بصاير من ربكم البصاير
جمع بصيرة وهي نور القلب تدرك به الحقايق ويستبصر وهي للقلب بمنزلة
البصر للعين سميت بها الدلالة لانها يجلى بها الحق ويبصر بها فمن ابصر اي ابصر
الحق بهذه الدلايل وامن به فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي اي عمي من
الحق وانكر فعليها عمي واياها ضر اذ ليس وباله الا عليها وهذا الكلام وارد
على لسان النبي عليه السلام لقوله وما انا عليكم بحفيظ وما انا عليكم برقيب

يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها بل الله تعالى هو الحفيظ وما انا الا منذر وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو نقل الشي من حال الى حال وليقولوا درست علة فعل محذوف اي ليقولوا درست نصرفها واللام للعاقبة كذا قالوا والظاهر انها لام الامر والفعل مجزوم بها لا منصوب باضمار ان ويؤيده قراة من قرا بتسكين اللام والمعنى متمكن كانه قيل ومثل هذا نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون وامر معناه الوعيد والتشديد وعدم الاكتراث لهم وبما يقولون والدرس استمرار التلاوة وقرئ دارست العلما ودرست بضم الرا مبالغة في درست ودرست على البنا للمفعول اي قرات هذه الايات او عفت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا عليه السلام وجاز الاضمار لان اليهود كانت مشهورين عند بالدراسة ويجوز ان يكون الضمير للايات والمراد اهلها وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد عليه السلام ودرس اي عفون ودارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية ولنبينه اللام للتعليل على الحقيقة او بطريق الاستعارة على اختلاف الاصلين في جواز ان يكون فعل الله تعالى معللا بالاغراض واعيد الضمير على الايات وهو القران ولما كان المعرف اعتبر فيه معناه وجوه المعنى كان لتوحيد الضمير ههنا باعتبار المعنى موقع حسن لقوم يعلمون وجه التخصيص ما ذكر في قوله لقوم يؤمنون اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي وحال موكد من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين اي تحفل باقوالهم ولا تلتفت اليهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولا ضرورة فيه ولو شا الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا دليل على ان الله تعالى لا يريد ايمانهم وان مراده تعالى واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل يقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله ليتسبب بسبكم لان يسبوا الله تعالى بكون الخطاب بالعدول عن خطابه عليه السلام وحده الى الخطاب في ضمن الكل لانه في مواجهة عليه السلام بما ذكر من خلاف ما كان عليه من الاخلاق الكريمة اذ لم فاحشا ولا سبابا

معناه م

قال الامام

قال الامام ابو منصور كيف نهانا الله عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر وكذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبونه ثم قالوا في جوابه ان السب لا وليك مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا فانه ينهى عما يتولد عنه ويحدث وما كان فرضا لا ينهى عن المتولد منه منه على هذا انقع العرف لا به حقيقة فيمن قطع به قاطع يده قصاصا فمات منه فانه يضمن الدية لان استيفائه حق مباح فاخذ بالمتولد عنه والامام اذا قطع يد السارق فمات لم يضمن لانه فرض عليه فلم يوخذ بالمتولد منه الى هنا كلامه وعلى هذا لا دلالة في الاية على ان الطاعة الواجبة يجب ان تترك اذن الى المعصية الراجحة كالنهي عن المنكر بل في ههنا شي وهو انهم كانوا مقرين بالله تعالى وعظمته وان الاصنام انما تعبد ليكونوا شفعا عند الله فكيف يسبونه واجيب عنه بانهم لا يفعلون ذلك صريحا لكن ربما نقضي فعلهم الى ذلك كما قالوا لتتركن شتم الهتنا والا شتمناك ومن يامرك بذلك ويعضد ذلك قوله عدوا بغير علم اي تجاوزا عن الحق الى الباطل على جهالة حال اي عادين او مفعول له اي لعدوانهم او مصدر للنوع اي شتاعدوا وقرئ عدوا بضم الدال بتشديد الواو ومما قررناه من الخلل فيما قيل انه عليه السلام كان يطعن في الهتهم فقالوا انتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت فان عبارة لنهجون تابى عن التاويل المذكور وقد ذكر في التفسير سبب النزول على وفق ذلك التاويل كذلك زينا لكل امة عملهم اي مثل ذلك التزيين العظيم وهو تزيين سب الله تعالى زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم بالخذلان والتخلية بينهم وبين اعمالهم حتى تزين لهم وقيل هو عام اي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويقوي الاول كون الكلام في الكفار والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم والتهديد بقوله ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة والعاقبة واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين ايمانهم جهدا وانما اقسموا بالله تعالى موكدين تحكما على رسول الله عليه السلام

في طلب الآيات واقتراحها وعدم الاعتداد بما رأوا منها لئن جاءتهم آية
من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله لا عندي أي هو القادر
عليها لا أنا حتى آتيكم بها وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون استفهام إنكار
للسبب مبالغة في نفي السبب أي لا يدرون بل أنا بذلك يعني أن سبب عدم
انزال الآية التي يقترحونها علم الله تعالى بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها
وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم ويتمنون مجيئها ليؤمنوا
فأجيبوا بذلك ودليله قوله تعالى كما لم يؤمنوا به أول مرة ومنهم من
جعل لا مزيدة في القرآن بالفتح وقرئ لا تؤمنون بالتاء على أن الخطاب للمشركين
وقرئ وما يشعرهم أي وما يعلمون أن قلوبهم إذا جاءت كانت كما كانت
مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها وقيل إنها بمعنى لعلها من قول العرب
ائت السوق أنك تشتري لحما ويؤيده قراءة أبي لعلها وقرئ إنها بالكسر على
أن وما يشعركم كلام قد تم أي وما يشعركم ما يكون منهم ثم استأنف فأعلمهم
بقوله إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف
على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام وكذا نذرهم أي وما يشعركم أنا نقلب
أفئدتهم أي نطبع على قلوبهم ونعمي أبصارهم كما كانت ولم يذكر أسماعهم
إذ لا يناسبه القلب ولهذا أيضا لم يقل قلوبهم بدل أفئدتهم ويجوز أن يكون
كما في قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة للتعليل وما مصدرية أي نفعل بهم
ذلك لكونهم لم يؤمنوا به أي بما أنزل من الآيات أول وقت جاءهم هدى
الله تعالى ويناسب هذا المعنى آخر الآية ونذرهم نخليهم في طغيانهم
يعمهون متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على
الغيبة وقرئ وتقلب وتذر على البناء للمفعول ورفع أفئدتهم وأبصارهم ولو
أننا نزلنا إليهم الملائكة كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا
فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا
والقبل جمع قبيل بمعنى كفيل أي كفلاء بما بشروا به وأنذروا وجمع قبيل جمع قبيلة
أي جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة وقرئ قبلا بكسر القاف وفتح الباء
أي عيانا لما على الوجوه كلها من كل شيء لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لا لما
سبق عليه القضاء بالكفر لأن منه تعلق الحوادث بالتقدير الأزلي ولا يخفى

فساده لبطلان استعدادهم وتبدل فطرتهم القابلة بسوء اختيارهم إلا أن
يشاء الله ظرف أي إلا وقت أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون أنهم لو أتوا
بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك أسند
الجهل إلى أكثرهم مع تعميمهم لأن المقسمين بعضهم أو ولكن أكثرهم يجهلون
أنهم لا يؤمنون عند مجيء الآيات فيطمعون في إيمانهم ويتمنون نزولها
بين أن الآيات وإن توالت وشموس البرهان وإن تعالت فمن قصمته
العزة وكسته القسمة لم يزده ذلك إلا ظلالا ولم يستعد إلا للشقوة حالا وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا أي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي عدوا والحكمة في
ذلك الابتلاء والامتحان لظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر شياطين
الإنس والجن متمردي الصنفين بدل من عدوا أو هما مفعولان ولكل متعلق
به أو حال منه يوحي يلقي في خفية بعضهم إلى بعض شياطين الجن إلى
شياطين الإنس أو بعض أحد الصنفين إلى بعض آخر منه زخرف القول
مزينه مموهة بالإبطال غرورا حال أي غارين أو مغرورين أو مفعول
له للغرور ولو شاء ربك حذف المفعول لدلالة ما فعلوه عليه أي لو شاء ربك
أن لا يفعلوا معاداة الأنبياء أي الإيحاء أو الزخارف على أن الضمير لما
ذكر ما فعلوه ولكن ما شاء إلا ما اقتضته الحكمة ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء
وفي الآية دلالة على أن الشرور صدورها عنه تعالى بمشيئته فذرهم
وما يفترون أي إذا عرفت أن ذلك بمشيئته تعالى ومشيئته تابعة لحكمته
فاتركهم وكفرهم وفيه تهديد ووعيد ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة عطف على غرورا إن جعل علة لمحذوف أي ولتصغى إليه جعلنا لكل
نبي عدوا واللام للتعليل أو للعاقبة على الاختلاف وجواز أن يكون
فعله تعالى معللا بالغرض وليست لام الأمر وإلا لقيل ولتصغ بحذف
الألف ولا لام القسم لأن عطف قوله وليرضوه يأباه وهذا يدفع كونها
للأمر أيضا والضمير في إليه وليرضوه لما له ضمير فعلوه والصغو الميل
لغرض من الأغراض يقال أصغيت الإناء إذا أملته ليجتمع ما فيه وليرضوه
لأنفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام فيتميز الشقي
من السعيد وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة لأنه أولا يكون

للخداع فيكون الميل فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف فكان كل واحد
سببا عما قبله افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد والهمزة
للانكار والفا للعطف على ما دلت عليه ما قبله اي اشك لكثرة جد الخايب
المفترين فغير الله تعالى ابتغي اي اطلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق
منا من المبطل روي ان مشركي قريش قالوا لرسول الله عليه السلام اجعل
بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا
عنك بما في كتابهم عن امرك فنزلت وغير مفعول ابتغي وفي تقديمه ايما الى
وجوب تخصيصه تعالى بالابتغا والرضى بكونه حكما وحكما حال منه ويحتمل
عكسه ويجوز ان يكون حكما تمييزا عن غير كقولهم ان لنا غيرها ابلا وهو ابلغ
من الحاكم وقيل ولذلك لا يوصف الا له لعادل وفيه ان المبالغة من جهة
الناس ولا دلالة فيه دخل على الوصف وهو الذي انزل اليكم الواو للحال الكتاب
اي القران مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل مميزا به الصادق من المفتري
وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن ساير الايات ثم اكد الدلالة
على ان القران حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته
لهم من غير تعلم انه النبي عليه السلام لكتابهم بجملة استينافية وهو قوله
والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل قرئ بالتخفيف والتشديد من
ربك بالحق انما وصف الكل بالعلم تنزيلا للجاهل منهم لتمكنهم عنه منزلة العالم
وقيل المراد منه مومنوا اهل الكتاب فلا تكونن من الممترين انهم لذلك
يعلمون او انه منزل من ربك بالحق لكثرة جحودهم وكفرهم فهو من باب
التهييج والالهاب او خطاب لكل احد اي لما تعاضدت الادلة وجب ان فلا
ينبغي لاحد ان يرتاب فيه وقيل الخطاب للرسول عليه السلام والمراد
امته وتمت كلمت ربك اي تمت كل كلمة ربك ومعنى تمت استمرت لا انه
كان لها نقص فكملت وبلغت الغاية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الكلام والاقضية نصبا على الحال والتمييز او المفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يقدر ان يحرف شيا منها شيوعا وذياعا كما فعل بالتوريه على
ان المراد بها القران فيكون ضمانا من الله تعالى بحفظه او لا نبي ولا كتاب
بعده ينسخه ويبدل احكامه وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به او القران

وهو

وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان اهملهم وان تطع
اكثر من في الارض اي اكثر الناس يضلوك عن سبيل الله لان الاكثر يتبعون
اهواهم وقيل المراد بالارض ارض مكة ان يتبعون الا الظن اي الاراي
الفاسده والاهوا الباطلة وظنوا ان اباهم كانوا على الحق وهم يقلدونهم
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم
على شيء او يكذبون في قولهم ان الله حرم كذا واحل كذا فان الخرص التقدير
او الكذب ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم
بالفريقين ومن موصولة او موصوفة وهي في محل النصب بفعل دل عليه
اعلم لا به لان افعل لا يعمل في الظاهر في مثل هذه الصورة او في محل الجر باسقاط
حرف الجر وابقا عمله لدلالة بالمهتدين عليه لان مثله لا يجوز الا في ضرورة
الشعر بل باضافة اعلم اليه او استفهامية في محل الرفع بالابتدا والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وعلى هذا صرفه عن محل قسمه تعجيبا
من شان المضلين للظن الكاذبين وابعادا لهم وقرئ من يضل بضم
اليا اي يضله الله تعالى اي اعلم المضلين من قولهم من يضلل الله او
من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته تعالى
بالوجوه التي من شان العلم ان يتعلق بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام
ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما
قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين
بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه غيره من
الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى باسم الله تعالى
ان كنتم باياته مومنين فان الايمان بها يقتضي ما ذكر وقد دل هذا على
شرط محذوف جوابه فكلوا وما لكم الا تاكلوا وان غرض لكم في ان لا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وتتحرجوا عن اكله قيل هو كلام على القلب اذ المراد ان
تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فقلب مبالغة في صونهم عن اكل ما حرم
عليهم وانهم ليسوا مما يهمون بذلك فيحتاجون الى التنبيه وانهم لشدة الاحتراز
عن الحرام كادوا يتركون ما احل لهم تورعا ولهذا رتب الوعيد على تجاوز الحد

وقد فصل لكم ما حرم عليكم وقد بين لكم مما حرم عليكم مما لم يحرم يعني في هذه
السورة لانها على من نقل مكية ونزلت في مرة واحدة والتفصيل الواقع في
البقرة والمائدة متاخر في النزول لانهما مدنيتان وقرئ فصل على البنا
وكذا حرم الا ما اضطررتم اليه استثنا متصل اي مما حرم عليكم ويجوز ان يكون
ما مصدرية وما اضطررتم في محل النصب على الظرف والاستثنا مفرغ اي ما
حرم عليكم في جميع الاوقات الا وقت اضطراركم اليه يعني في حال الضرورة
فانه حلال وان كثيرا ليضلون فيحلون ويحرمون باهوائهم بغير علم بتشهيهم
من غير تمسك بدليل يفيد العلم وقرئ ليضلون بضم اليا وفتحها ان ربك
هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما تعلن منه وما يسر او ما يعمل بالجوارح وما بالقلب
وقيل الزنا في منازل اللهو واتخاذ الاخدان قال الضحاك كان اهل الجاهلية
يرون ما كان من الزنا سرا حلالا فحرم بهذه الاية ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في
تحريم المتروك عليه اسم الله تعالى عمدا او نسيانا وعليه احمد ومالك وداود
خلافا للشافعي لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله
عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة وما ذكر اسم
غير الله تعالى عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به وانه لفسق الواو للاستينا
او للعطف على جملة استينافية للتعليل حذفت لدلالة باقي الكلام عليها
اي انه حرام وانه لفسق الضمير لمصدر الفعل الذي دخل عليه النهي اي وان
الاكل منه لفسق او للموصول اما لحذف المضاف اي وان اكله واما بجعل
ما لم يذكر اسم الله عليه نفس الفسق ويجوز ان يكون الثاني على تقدير التقدير
لعدم ذكر اسم الله تعالى عليه وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من المشركين ليجادلوكم بقولهم المنقول فيما سبق وهو يؤيد التاويل بالميتة
وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون لان من اتبع غير الله تعالى
في دينه فقد اشرك جواب قسم مقدر قبل الشرط ساد مسد جوابه اي
والله وقيل حذف الفا لدلالة الشرط في الماضي على دخول الشرط في الماضي
ورد بانه يقع ضرورة فلا يكون في القران او من كان ميتا فاحييناه الهمزة

للانكار

للانكار والواو على مقدر دل عليه ما قبل اي هل يكون المهتدي كالضال
ومن كان ميتا فاحييناه وقرئ ميتا على الاصل وجعلنا له نورا يمشي به
انما زاد في الناس تقوية للنور فان المشي بينهم يعجز عنه ما في نوره بعض
ضعف كمن مثله وصفه وهو مبتدا خبره في الظلمات على سبيل الحكاية
يعني انه اذا وصف يقال له ذلك والجملة صلة من اي كمن صفته هذه وقوله
ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف والعامل معنى الاستقرار لا من
البارز في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا يفارقها بحال وما
سبق مثل لمن هداه الله تعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور البصيرة
يميز به بين الحق والباطل بالتامل في الايات والبينات وكلاهما من قبيل
الاستعارة التمثيلية اذ لا ذكر للمشبه صريحا ولا دلالة بحيث ينافي الاستعارة
وهذا كما تقول في الاستعارة الافرادية ايكون الاسد كالثعلب اي
الشجاع كالمحتال كذلك اي مثل ذلك التزيين والاشارة الى ما في قوله
زينا لكل امة عملهم او قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل
وقيل في عمر او عمار رضي الله عنه وابي جهل وكذلك اي كما جعلنا في مكة اكابر
مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا بمعنى
صيرنا ومفعولها الاول اكابر مجرميها وفي كل قرية مفعولها الثاني
ويجوز ان يكون في كل قرية ظرف لغو والمفعول الثاني ليمكروا وعلى ان الجعل
بمعنى التمكين واكابر على هذين الوجهين مضاف الى مجرميها واجاز ابو البقا
ان يكون مجرميها بدلا من اكابر واجاز ابن عطية ان يكون مجرميها المفعول
الاول واكابر المفعول الثاني والجعل بمعنى التصيير او بمعنى التمكين على
ان يكون الكلام من جهة قبيل اعصر خمرا ورد هذا ان افعل التفضيل
اذا كان لمن ملفوظا بها او مقدرا او مضافا الى نكرة كان مفردا
مذكرا دائما سواء كان لمذكر او مؤنث مفرد او مثنى او مجموع فاذا انث او ثني
او جمع طابق ما هو له في ذلك ولزمه احد الامرين اما الالف واللام
او الاضافة الى معرفة وعلى الوجهين المذكورين يلزم ان يبقى اكابر مجموعا
وليس فيه الالف واللام ولا هو مضاف الى معرفة واللازم باطل وتخصيص

الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس في المكر بهم وقرئ اكبر مجرميها وعلى هذه القراة يمكن الوجهين المردودين على القراة السابعه وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن اي تلك الاية حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله اي لم يقولوا امثل ما اوتي محمد لانهم كانوا في مقام الانكار وفيما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت قوله كما ياتيه لا ينافي النكته المذكورة وعلى صحة ما روي الجمع في قالوا لان من تبعه من قريش رضوا بقوله فنزلوا منزلة القائلين الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بكبر النفس ولا بالمال والجاه انما هي بخصايص يخص الله تعالى بها من يشا من عباده ويصطفي بها من يعلم انه يصلح لها وهو يعلم بالمحل الذي يضعها فيه فناصب حيث يعلم محذوف امد لوفا عليه باعلم لا به لان افعل التفضيل لا يعمل في المفعول لما عرفت ان المعنى ان الله تعالى يعلم نفس المحل المستحق لوضع الرسالة لا شا في المحل وقرئ رسالته سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار هوان وحقارة بعد كبرهم وعظمتهم مكان ما يعترفون من عز النبوة وحشمة الرسالة وفيه دلالة على ان المجرم يستحق الذل والهوان وان الرسل انما فازوا بتلك العزة لعصمتهم عن الجرايم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وياباه الفصل به بين الصغار والعذاب لان كلاهما من عند الله تعالى ويمكن ان يقال انه من قبيل الفصل بين المعطوفين بما له تعلق بهما وياتي نظيره في هذه السورة وعذاب شديد شديد في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم وجزاء عليه فمن يرد الله ان يهديه يوفقه للايمان ويعرفه طريق الحق يشرح صدره للاسلام شرح الصدر وتوسيعه كناية عن تنور الباطن وتصفيته الاستعداد عما يابى في قبول من ظلمات الشكوك والشبه فيصدق الرغبة في الايمان ومن يرد ان يضله اي يخذله ولا يوفقه يجعل صدره ضيقا قرئ بالتخفيف والتشديد يضيق الصدر كناية عما يكدر الباطن ويزيل الاستعداد وبميل النفس الى الهوى فينبو عن الحق وينقبض عنه

فلا

فلا يقبله حرجا شديد الضيق وقرئ بفتح الراء وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء مثل لمن يزاول امرا ممتنعا لا يسعه قدرته لان صعود الانسان الى السما امر خارج عن طوقه العادي وقيل لمن ينبو عن الشيء ويتباعد مبالغا في الهرب والتجافي واصل يصعد يتصعد وقد قرئ وقرئ من يصعد ويصعد من اصعد ويصاعد بمعنى يتصاعد ومعنى في السما في مدارج السما وهذا ابلغ من الى السماء كذلك مثل ذلك التضييق يجعل الله الرجس العذاب او الخذلان او الفعل المودي الى العذاب على الذين لا يومنون وضع الظاهر موضع الضمير للتعليل وهذا اي الاسلام او ما ذكر من التوفيق والخذلان صراط ربك طريقه الذي ارتضاه او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه ولا ميل الى شيء من الجوانب او عادلا مطردا وهو حال موكدة لان صراطه تعالى لا يكون الا مستقيما والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر على ما يشا وان الخير والشر بقضايه وقدره وانه عالم باحوال العباد عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام اضافة الدار ان كان الى السلام هو اسم من اسماء الله تعالى فتعظيم ورفع من شانها واشارة الى الهادي لا نقص فيها ولا عار ولا عيب والا فبمعنى السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في قربه وضيافته كما تقول نحن اليوم عند فلان اي في كرامته وضيافته ويحتمل ان يكون قوله عند الله فيما سبق من قوله تعالى صغار عند الله بهذا المعنى على التهكم وقيل في ضمانه كقولك حق وهو وليهم محبهم وناصرهم على اعدايهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم ومتوليهم بجزايهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب باضمار تقول او قايلين يا معشر الجن وهذا اولى من اضمار اذكر مفعولا به لخروجهم عن الظرفيه والحاجه الى تقدير القول في سط ما بعده والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرئ يحشر بالياء والمراد من الجن والشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوايهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم يقال استكثر الامير من الجنود وقال اولياوهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض استمتع الانس بالجن لدلالتهم على شهواتهم وما يتوصل به اليها من الحيل

واستمتع بالانس لطاعتهم وموافقتهم على مرادهم وما يشتهون من اغوايهم وقيل استمتاع الانس بهم في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن واستمتاع الجن بهم اعترافهم للجن بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف منهم بطاعة الشياطين في الدنيا والتكذيب والبعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذوات مثويكم خالدين فيها حال عاملها مثويكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة وان جعل مكانا الا ما شاء الله من عصاة المومنين واستعمال ما في ذوي العقول شايع كما في قوله تعالى الا ما رحم ربي وفي قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم او من الاوقات التي يخرجون فيها من النار وهو ما ذكر في تفسير قوله تعالى الله يستهزئ بهم من انه يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وقيل من الاوقات التي ينقلبون فيها من النار الى الزمهرير رد فيه من الحاجة الى صرف النار عن معناها العلمي الى اللغوي وقيل الى ما شاء وقيل الدخول ولا وجه له لان حكم الحلول والابد بعد الدخول ومن جهة المنتهى لا من جهة المبتدا ان ربك حكيم في افعاله واقواله عليم باقعال عباده واحوالهم وكذلك اي مثل ما فعلنا من تمكين الجن من اغواء الانس نولي بعض الظالمين بعضا اي نجعل بعض الظالمين اوليا على بعض يسخرونهم ويغوونهم او نجعل بعضهم يتولى بعضا اسوءهم او نجعل بعضهم اوليا بعض ونقرناهم يوم القيمة كما كانوا في بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر من العاصي يا معشر الجن والانس قدم الجن لان الخطاب للتوبيخ الم ياتكم رسل منكم من جملتكم وهم رسل الانس عن الكلبي كانت الرسل قبل نبينا عليه السلام يبعثون الى الانس وهو عليه السلام بعث الى الثقلين وقيل ايضا من الجن ولا دلالة في الاية على ذلك اذ لم يقل رسل منكم حتى يحتاج الى القول الاول الى التاويل بمثل ما ذكر في قوله يخرج منهما اللولو والمرجان يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جواب شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان اراد واشهادتهم عندوقاتهم على ما

نطق

نطق به قوله تعالى حتى اذا جاتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كفرين وكذلك قالوا شهدنا بلفظ الماضي وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كفرين ذم لهم وتخطيه لرايهم وتحذير لمن سمع للانعاذ بهم ذلك اشارة الى ما تقدم من الرسالة اي من ارسال الرسل وانذارهم وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل وان هي الناصبة للافعال اي ليلا يكون او المخففة من الثقيلة اي لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى ويجوز ان يكون بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع وان يكون خبرا لذلك اي ارسال الرسل والانذار لانتفاء كون ربك مهلكا بظلم والبا للسببية اي بسبب ظلم او بظلم حال اي ملتبسين بظلم يعني انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول ولا كتاب لكان ظلما وهو تعالى منزه عن الظلم ولكل اي ولكل عامل بطاعة او معصية درجات اي مراتب مما عملوا من اجل اعمالهم بحسبها فالمحسن في درج الثواب متفاوتون والمسي في نوح العقاب متالم وما ربك بغافل عما يعملون قري بيا المغايبة ردا على الاية التي قبلها وبتا المخاطبة ردا على قوله يا معشر الجن والانس والمعنى وما ربك بغافل عما يعملون من المعاصي ولكن يوخر تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم الاية او انه تعالى على علم باعمالهم خلقهم لا عن جهل لما ان ضررا عمالهم يرجع اليهم لا اليه تعلق ابي يوسف ومحمد بظاهره في ان الجن لهم ثواب وابو حنيفة ذهب الى التخصيص والقراة بتا المخاطبة تشهد لهما وربك الغني فلا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر بالمعصية فليس التكليف لمصلحة نفسه بل لتكميلهم وتبليغهم الى الدرجات والكمالات ذو الرحمة فلا يعاجل بالعقوبة بل يمهلهم عسى ان يتداركوا ما فاتهم اخبر بالاول عن جلاله وبالثاني عن افضاله فهم في سماع هذه الاية بين احتياج وارتياح وتكملة لما قبله من ان ارسال الرسل للرحمة عليهم لا لاستنفاعه بطاعتهم وتاسيس لما بعده من قوله ان يشا يذهبكم ايها العصاة اي لغناه عنكم ويستخلف من بعدكم ما يشا من الخلق المطيع لكنه ابقاكم

ترحما عليكم كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي من نسل قوم كانوا قبلكم وقيل
من للبدل كما يقال اعطيتك من دينار ثوبا اي انشاكم بدلا منه ان ما
توعدون من البعث واحواله لآت اي لكاين لا محالة وما انتم بمعجزين تعا
عاط لكم به اي بدركم حيث كنتم يقال قصدت فلانا فاعجزني اي سبقني
ففاتني قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة مصدر مكن مكانة اذا امكن ابلغ
التمكن وقد يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة
اي على غاية تمكنكم او اقصى استطاعتكم او على مقامكم وحالتكم التي انتم عليها
من كفركم وعدوانكم كما يقال للرجل اثبت على مكانتك اي اثبت على ما انت
عليه من حال ولا تنحرف عنه وقرئ مكاناتكم على الجمع اني عامل فاعل
على قدرتي واستطاعتي او على مقامي وحالي في المصابرة والاسلام معكم
فحذف للاقتصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه
تعالى يزيد على مر الايام قوة ونصره ومعنى الاية على الاول اظهار التجلد
للعدو وعدم المبالاة به غاية الوثوق بحفظ الله تعالى والاعتماد على
نصرته اي لا تسعوا علي وانفذوا وسعكم في عدواني فاني جاعل مكم ما
اقدر عليه وهذا غاية في التهديد وتعجيز الخصم وعلى الثاني التخلية
والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به واجب عليه
ذلك لا يسعه خلافه والاعراض عنه بالكلية والاشعار بانه لا مطمع
في خيره كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
من اما استفهامية علق علمها الفعل ومحلها الرفع على الابتدا اما بعده خبر
اي فستعلمون اينا يكون له العاقبة المحمودة التي لها هذه الدار واما موصوله
محلها النصب على المفعولية اي فسوف تعرفون الذي له العاقبة وعيد
والنذير لطيف من المسلك مع مراعات حسن الادب والانصاف للخصم
في القول عند الوثوق بسوء عاقبته وحسن عاقبته الموعد وكذا قوله
انه لا يفلح الظالمون اشعار بظلم المخاطبين وان ظلمهم سبب امتناع فلاحهم
مع حسن العبارة وارخا العنان والمسامحة والابهام باني ان كنت انا
الظالم فلا فلاح لي ولهذا ذكر الظلم دون الكفر ثم بين ظلمهم و[illegible]هم بالاية
بعدها وجعلوا اي مشركو العرب لله مما ذرا خلق فيه ايما الى انهم يجعلون

مما لم يخلقوا شيئا ولم يقدروا على شيء على من خلق اشيا فيوثرونه عليه بما خلقها
وذكاها جهالة وكان العكس اولى ولهذا قال مما يحكمون من الحرث
والانعام نصيبا لم يذكر هنا نصيب الشركا ايجازا واكتفا بذكره في التفصيل
الآتي وايما الى جهالتهم بانهم جعلوا لمن له الكل نصيبا مما خلقه وان
التسوية شيء لا يليق بالادب التلفظ به مراعاة للحشمة فقالوا هذا لله
بزعمهم وقرئ بضم الزاء وهي لغة فيه وهو الظن الخطا وقد جا فيه الكسر
ايضا كالود وفيه تنبيه على ان ذلك من جهالاتهم وشرعهم ما لم يوذن
به الله تعالى وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم كما يعينون من حرثهم ونتاجهم نصيبا لله تعالى ونصيبا
لالهتهم فاذا راوا ما عينوه لله تعالى ازكى رجعوا وجعلوه لالهتهم وان
راوا ما عينوه لالهتهم ازكى تركوه لها معللين بان الله تعالى غني وانما
فعلوا ذلك حبا لالهتهم وايثارا لهم سا ما يحكمون ما مصدرية وسا متعدية
حذف مفعولها لدلالة المعنى تقديره سا هم حكمهم اي جلب لهم السوء وكذلك
مثل ذلك التزيين والاشارة الى مضمون قوله وجعلوا لله الاية او الى نفس
هذا التزيين الذي هو تزيين قتل الاولاد وقدم مثل هذا زين لكثير من
المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاوهم من الجن او من السدنة
قرئ زين على البنا للفاعل وهو شركاؤهم ونصب قتل وعلى البنا للمفعول
وهو القتل ورفع شركاوهم باضمار فعل دل عليه المذكور كانه قيل فقيل
زينه شركاوهم واما قراة ابن عامر على البنا للمفعول وهو القتل ونصب
اولاد وجر الشركا على اضافة القتل اليه والفصل بينهما بغير الظرف فقد
ردت بان ذلك غير مقبول في مقام الضرورة كما في قوله زج القلوص ابي
مزاده فكيف به في غيره لكنه مردود لانه لا يختلف فيه بين النحويين على
ما ذكره ابو حيان ووقوعه في قراة متواترة دال على الصحة لان العربية
تثبت بالقراات وفهم العكس من عكس الفهم ثم انه لا ضرورة في الشعر المذكور
كما توهم لاستقامة الوزن القافية بجر القلوص ورفع ابي واعتقاد
الضعف في مثل تلك القراة من ضعف الاعتقاد ومنشاه عدم الاعتماد
على القراة والطعن في الاسناد ولا يخفى ما فيه من الفساد ليردوهم ليهلكوهم

بالاغوا والاضلال واللام للتعليل ان كان التزيين من الجن وللعاقبة
ان كان من السدنة وليلبسوا وليخلطوا عليهم دينهم وهو ما كانوا عليه
في الاصل من دين اسمعيل عليه السلام او دينهم الذي وجب عليهم ان
يتدينوا به ولو شا الله ما فعلوه اي ما فعل المشركون او ما فعل الشياطين
او السدنة التزيين او الارداد او اللبس والاولى ان يجري الضمير مجرى
اسم الاشارة فيراد به الجميع فذرهم وما يفترون واغترارهم الذي يفترونه
من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر حرام من الحجر
وهو المنع فعل بمعنى مفعول كالذبح ويستوي فيه المذكر والمونث والواحد
والكثير لان حكمه حكم الاسما لا الصفات وقرئ حجر بالضم وعن ابن عباس
حرج اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعني خدم الاوثان والرجال دون النسا
بزعمهم اي قولهم وانعام حرمت ظهورها من البحاير والسوايب والحوامي
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسما اصنامهم
وقيل لا يحجون ولا يلبون على ظهورها اي قسموا انعامهم اجناسا باهواهم
فقالوا هذه حجر وهذه محرمة الظهر وهذه لا يذكر عليها اسم الله عليها افتراء
عليه اي نسبوا ذلك التحجير الى الله تعالى افترا عليه على نصب المفعول له
او حال اي مفترين على الله تعالى او مصدر موكد لان تقولهم ذلك محض الافترا
والجار متعلق بقالوا سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه وقالوا ما في
بطون هذه الانعام يعني ما في بطون هذه البحاير ونحوها من الاجنة وفي
قول ابن عباس والشعبي هي الالبان وياباه قوله وان يكن ميتة خالصة
لذكورنا حلال للذكور خاصة لا تشاركهم فيها الاناث ان ولد حيا وهو
لا يفاد بعباد بعبارة الباح ولذلك اورد عبارة خالصة عليها مع ان حق
المقابلة مع عبارة محرم لها والتا في خالصة ليست للتانيث بل يقال
للاسم خالص وخالصة او حمل خالصة في التانيث على المعنى لان ما في بطونهم
في معنى الاجنة ومحرم على اللفظ او كانت التا للمبالغة كرواية الشعر
او كان مصدرا كالعافية وقعت موقع النصب اي ذو خالصة بمعنى
خالص ويويده قراة خالصة بالنصب على انه مصدر موكد والخبر لذكورنا
ويجوز ان يكون من الضمير الذي هو فاعل الاستقرار في قوله في بطون

٧

لا من الذي في لذكورنا لان العامل المعنوي لا يتقدم معموله عليه ولا
من الذكور لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرئ ابن عباس خالصه
على الاضافة وهو بدل من ما او مبتدا ثان وفي مصحف عبد الله خالص
وقرئ خالصا على ازواجنا لم يقل على اناثنا مع ان المراد من الازواج
الاناث وهي المناسب ان يذكر في مقابلة الذكور لان المقصود الاشارة الى
وجه تحريمها على الاناث وهو كونهم ازواج الرجال في الجملة لا بيان حرمتها
على الاناث فانها قد فهمت مما تقدم ولهذا اصدره باداة الوصل فانه لو
اريد به بيان الحرمة على الاناث لكان حقه الفصل لما بينه وبين ما
تقدم كمال الاتصال وان يكن ميتة الضمير لما في بطونها وقرئ بالتاء
فانها قد فهمت مما تقدم ولهذا اصدره باداة الوصل فانه لو اريد به بيان
الحرمة على الاناث الفوقانيه على تاويل الاجنة وقرا ابن عامر بها ورفع
ميتة على كان التامة وتذكير الضمير في فهم فيه لان الميتة قد تكون ذكرا
فغلب وقرئ بالياء التحتانيه ورفع ميتة شركاء اي الذكور والاناث
فيه سوا سيجزيهم وصفهم الكذب اي جزا وصفهم الكذب على الله تعالى في
التحريم والتحليل انه حكيم في جزايهم عليم بافعالهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم
يريد بهم العرب الذين يدفنون بناتهم احيا فبعضهم يفعل ذلك لخوف العيلة
والافتقار وبعضهم خوف السبي والعار وقرئ قتلوا بالتشديد سفها
مفعول له والسفه خفة الحلم بالعجلة الى ما لا ينبغي ان يعجل اليه بغير
علم حال او صفة مصدر اي قتلا بغير علم فيه الى ان فعلهم ذلك لجهلهم
بان الله تعالى هو الرزاق والمقدر للسبي وغيره وحرموا ما رزقهم الله من
البحاير وغيرها افتراء على الله قد مر وجوه الاعراب فيه قد ضلوا وما كانوا
مهتدين الى الحق والصواب وزيادة كان للدلالة على الاستمرار اي استمروا
على عدم الاهتدا على ان القيد المذكور داخل على النفي في الاعتبار وان كان
مدخولها في الظاهر ولهذا اندفع وهم القصور والتكرار وهو الذي انشا
جنات من الكروم معروشات مرفوعات على دعايم وغير معروشات
متروكات على الارض وقيل الاول ما غرسه الناس وعرسوا والثاني ما نبت
في الجبال والبراري والنخل والزرع مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك

حال الانشا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفيه والضمير في النخل
والزرع داخل في حكم لكونه معطوفا عليه ولان الاصل ان يطلق الاكل على
الثمره والجنات بالحقيقه فغلب فيه الزرع او للزرع والباقي مقيس عليه او
للجمع على تاويل ذلك او كل واحد منهما والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه يتشابه بعض افرادهما في الكم والكيفيه ولا يتشابه بعضها كلوا
من ثمره الضمير لكل واحد اذا اثمر قد كان من المعلوم انه لا يوكل قبل ان
يثمر ففايدة القيد المذكور التنبيه على ان اباحة الاكل تثبت قبل الادراك
والاتناع بخلاف وجوب الحق الشرعي المذكور في قوله واتوا حقه يوم حصاده
وهو ما يتصدق به وقت الحصاد وكان ذلك الحق واجبا حتى نسخت بالزكوة
والاية مدنيه والظرف لحقه ليعلم ان الوجوب وجوبه بالادراك لا
بالتنبيه لا للايتاء للحاجة الى التاويل والوقت في الايام حقه ان يحفظ
على ظاهره كيلا يشتبه الوقت بالمطلق وقرئ حصاده بكسر الحا وهو لغة
فيه ولا تسرفوا اي في التصدق ولا في الاكل ولذلك اقتصر نفي المحبة عنهم
وقد قيل انهم كانوا يعطون شيا سوى المقدر ويسرفون فيه فنهي عنه انه
لا يحب المسرفين الموصوفون بهذه الصفه فانه من امارات المهكورين
لا المشكورين ومن الانعام عطف على جنات اي وانشا من الانعام حمولة
وفرشا ما يحمل الاثقال فما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره
الفرش وقيل الاول الكبار التي تصلح للحمل والثاني الصغار مثل الفرش وهي
الارض المستوية التي يتوطاها الناس كلوا مما رزقكم الله اي ما احل لكم منه
ولا دلالة فيه على ان كل رزق ماكول حتى ينتهض حجة للمعتزلة في ان الحرام
ليس برزق ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تتبعوا اثاره في التحليل والتحريم
من عند انفسكم اعتقادا قولا وعملا وكان في الاتيان بعبارة الجمع اشارة
الى هذه الثلاثة انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل
من الحمولة وفرش والزوج جامعه اخر من جنسه يزاوجه وقد يقال المجموعها
والمراد هنا الاول من الضان اثنين اي زوجين اثنين الكبش والنعجة
وهو ما مع بعده عطف بيان لثمانية ازواج او من الضان بدلا من الانعام
واثنين من حمولة وفرشا او من ثمانية ازواج ان جوزنا للبدل بدلا وقرئ

اثنان

اثنان على الابتدا والضان جمع ضائن كالتجر جمع تاجر وقيل هي جمع لا واحد
من لفظه وجمع على ضئين كالعبد جمع على عبيد وقرئ بفتح الهمزة وهي
لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وهو جمع ماعز وقرئ بالفتح وهو
جمع ايضا له كحارس وحرس قل الذكرين ذكر الضان والمعز والهمزة
للانكار حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم
وتقديم المفعول للتخصيص اما اشتملت عليه اي حوته وانضمت عليه
ذكرا كان او انثى ارحام الانثيين الارحام جمع رحم وهو موضع الولد وما
كان في الحي منه عضو واحد فالاضافة الى الاثنين بالجمع كما في قوله
تعالى فقد صغت قلوبكما نبئوني بعلم اي بروني بامر معلوم من جهة الله
تعالى بذلك ان الله تعالى حرم شيا من ذلك عبر عنه بالعلم مبالغة
للتنبيه على ان دليل التحريم لا بد يكون قطعيا وهو اعتراض لطيف بين
اقسام التفصيل للتاكيد في الاحتجاج من حرم ما احل الله تعالى لعباده من
ما تفضل به عليهم مبالغة في التحليل ان كنتم صادقين في زعمكم ان الله
تعالى حرم هذا ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم
ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمراد انكار تحريم
الله تعالى شيا من الاجناس المذكورة وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور هذه
الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا واناثا تارة
ينسبون تحريمها الى الله تعالى فانكر ذلك ام كنتم شهدا معنى بل وفي ام
المنقطعة الاضراب عن طلب العلم والدليل القطعي الدال على التحريم من
عند الله على سبيل المسامحة ومعنى الهمزة انكار المشاهدة وذكرها تهكم بهم
لانهم لم يومنوا بالنبي ولا كتاب وزعموا ان الله تعالى حرم هذا فلم يبق
الا طريق المشاهدة والسماع فقيل لهم اشاهدتم ربكم اذ وصاكم الله بهذا
حين وصاكم بهذا التحريم وامركم والوصية مقدمة موكدة فيما يفعل او
يترك ولما ثبت انه لا علم لهم اصلا في هذا فلم يبق الا الافترا وهو ظلم قال
فمن اظلم ممن افترى على الله نسب اليه تعالى تحريم ما لم يحرم وهو عمرو بن
لحي بن قمعة المغير بتحريم البحاير وسيب السوايب كذبا كاذبا لا مخطيا
في ظنه فان فيه مندوحة عن الكذب ليضل الناس اي عمل عمل القاصد

اضلالهم من اجل دعاهم الى ما فيه الضلالة وان لم يقصد الاضلال ولذلك
قال **بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين** الى دار الثواب لانهم يستحقون
العقاب **قل لا اجد** كنى بعدم الوجدان عن عدم الوجود ومبنى هذه الكناية
على ان طريق التحريم التنصيص من الله تعالى عليه ولا مساغ للراي فيه ففيها
ثبوت ذلك المعنى اقتضاء ثم ان فيها اشارة الى ان من الاحكام المنزلة ما في
العثور عليه حاجة الى التفقد والتتبع لكونه بطريق الدلالة الخفية وانما
قال **فيما اوحي الي** دون ما انزل علي لان النص المحرم لا يلزم ان يكون من
جنس الكلمات **محرما** طعاما محرما **على طاعم** نكرة تجريد له عن قيد زايد
حتى ينتظم الطاعم الظالم فيؤول المعنى الى انه ليس في جنس المطعوم من حيث
انه مطعوم محرم الا هذه الاربع فلا يتجه النقض بحرمة المأكول ظلما لان حرمته
من قيده لا من نفسه فايدة التوصيف بقوله **يطعمه** قطع المجاز كما في طاير
يطير فان الطاعم على المطعوم مجاز **الا ان يكون** اي الا ان يكون المطعوم
فالاستثنا من المفهوم وقرئ بالتا لتانيث الخبر وبرفع **ميتة** على ان كان هي
التامة والمراد من الميتة هنا ما فقد حيوته بلا ذبح اصلا اي شرعيا كان
او غير شرعي ولهذا احتيج الى ذكر المحرم الرابع وفي قوله على طاعم يطعمه
دلالة على ان جلد الميتة قبل الدباغ يحرم لانه قد يشوى فيوكل واذا دبغ
خرج عن قابلية الاكل **او دما** على ميتة او على ان ما في حيزه على اختلاف
الروايتين فيها وانما ذكرهما هنا منكرين وفي سورة البقرة والمائدة معرفين
لان هذه السورة مكية وهما مدنيتان فناسب ان يذكرا فيهما معرفين
بتعريف العهد وتعريفهما في سورة النحل مع انها ايضا مكية بنا على تاخر نزول
ما فيها من الاية المشتملة عليهما من نزول ما في هذه السورة **مسفوحا**
منصوبا ضا بعا يرشدك الى اعتبار هذا القيد الزايد الصب في مفهوم السفح
الطلا فهم السفاح على الزاني باعتبار تصييعه الما قال النبي عليه السلام
ولدت من نكاح لا من سفاح واذا تقرر هذا ففي العبارة المذكورة اشارة الى
ان حق هذا الدم التضييع والاهدار لا الحفظ والادخار وانما خص الدم
بالقيد المذكور لان ما اختلط باللحم منه وقد تعذر تخلصه من اللحم عفو
مباح واما الطحال فليس بدم حقيقة وكذلك الكبد فلا حاجة الى الاحتراز عنهما

الى القيد المذكور **او لحم خنزير** انما زيد عبارة لحم لا لان كله غير ماكول والا
لناسب زيادتها في الميتة ايضا للاشتراك في العلة المذكورة بل لئلا يسبق
الى الوهم انه من قبيل صيد البر حتى لا يبقى محرما بعد ما صار لحما ولما كان
الماكول المحرم من الخنزير غير منحصر في اللحم تدارك التحريم في الباقي بالتعميم دلالة
حيث علل المذكور بقوله **فانه** اي فان الخنزير **رجس** اي قذر ينفر عنه
الطبع السليم لتعوده اكل النجاسة ولا يخفى ما في الاعتراض بين المعطوفين
التعليل من الدلالة على سائر اجزائه القابلة للاكل ويجوز ان يراد باللحم ما
يوكل منه مطلقا على طريقة التعبير عن الكل بالجزء وعلى هذا لا حاجة
الى صرف الضمير عن المضاف فان قلت اليس في هذا التعليل غنى عن اللحم
اللحم لا فيها ما ذكر انفا قلت لا لان التعليل النحوي لا يلزم ان يكون بالعلية
الشرعية بل قد يكون بالحكمة التي لا يلزمها الاطراد ولا الانعكاس وانما خصص
هذا والذي يليه بالتعليل عبارة واشارة لان الطبع يساعد السمع في الاولين
خلافه فيهما في الاخرين **او فسقا** نصب عطفا على لحم خنزير لا على انه مفعول
له على ذلك قوله الثاني في موضع اخر وانه لفسق سمي بالمصدر مبالغة فهو
بعبارته تحذير عنه باشارته تعليل لحرمته **اهل لغير الله به** صفة موضحة
له والاهلال به كناية عن ذبحه وهو في الاصل رفع الصوت بالسمى **فمن
اضطر** دعته الضرورة الى اكل شيء من ذلك **غير باغ** على مضطر مثله **ولا
عاد** قدر الضرورة في تناوله **فان ربك غفور** لما عسى ان يفرطه عند العمل
بالرخصة **رحيم** بالرخصة فيه وقد استدلت بهذه الاية على انتساخ الكتاب
بالسنة لان عبارتها وان كانت ساكتة عن عدم محرم اخر لكن دلالتها
ناطقة بانه لا محرم غير هذه وليس فيها توقيت فلما زيد محرم اخر بالسنة
انتسخ حكم تلك الدلالة **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر** قال ابن عباس
وجماعة هي ذوات الظلف كالابل والنعام وما ليس بذي اصابع منفرجة
كالبط والاوز ونحوهما واختاره الزجاج وفي قوله حرمنا تكذيب لليهود في
قولهم ان الله تعالى لم يحرم علينا شيا وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرائيل
على نفسه **ومن البقر والغنم** عطف على كل ذي ظفر وقوله **حرمنا عليهم شحومهما**
بتبيين للمحرم منهما ولا بد من الاضافة للربط وفي الاجمال ثم التفصيل زيادة

تقرير وتاكيد ولولا القصد الى ذلك لكان الظاهر ان يقال وشحوم البقر
والغنم او يقال ومن البقر والغنم الشحوم والمعنى حرمنا كل ذي ظفر وشحمه
وكل شيء منه وتركنا البقر والغنم على التحليل لم نحرم منهما الا الشحوم الخاصة وهي
الثروب وشحوم الكلى وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فعمم التحريم بسبب
ظلمهم لقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وتدعي
النصارى ان ذلك نسخ في شرع عيسى عليه السلام ويشهد لذلك التخصيص
المستفاد من تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا ان قدر وزنها فواعل
فجمع حاويه كزاويه وزوايا او جمع حاويا كقاصعا وقواصع وان قدر
وزنها فعايل فجمع حلويه كمطيه ومطايا وهي الدوارة التي تكون في بطون
الشياه وقيل هو عطف على شحومهما واو للتفصيل فصل بها ما حرم من البقر
والغنم او ما اختلط بعظم كالالية وما في القوايم والجنوب والراس والعيون
والاذن والمخ ذلك التحريم او الجزا جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
فيما اخبرناهم فان كذبوك في ذلك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي لا تعرض عنهم
ولا تويسهم عن رحمتي بل كن ثابتا في مقام الدعوة على قومي الابشار والانذار
وذلك ان ما ذكر كلمة جامعة لهما اما الابشار فلما فهم من العبارة المذكورة
من انه تعالى يقبل التوبة ويستر الحوبة فان رجعوا عن الكذب الى التصديق
فلهم الفوز والنجاة واما الانذار فلما فهم من اشارتها الى انه تعالى لسعة
رحمته يمهل ولما كان في الامهال مظنة الاندفاع تداركه بقوله ولا يرد
باسه حين ينزل عن القوم المجرمين فلا تغتروا بامهاله او فان كذبوك
في الانذار وابعاد العصاة واعتلوا بان الله واسع الرحمة فلا يواخذ
بالبغي فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين
فلا يرد رحمته باسه عليهم بل ربما اوقع قهره في صورة لعطفه استدرا
جا فلا تغتروا سيقول الذين اشركوا في رد الدعوة وتكذيب لو شاء الله ما
اشركنا ولا اباونا عطف على الضمير المرفوع في اشركنا بلا تاكيد للفصل بلا ولا
حرمنا من شيء اي صدر منا ومن ابائنا ما صدر بمشيته تعالى وارادته
اصابوا فيما قالوا ثم وفق ما مر في هذه السورة من قوله تعالى ولو شاء الله

ما

ما اشركوا ولو شاء ربك ما فعلوه ولكنهم اخطاوا في تمسكهم به في الرد على
الرسالة صلى الله عليه وسلم وزعمهم ان فيه حجة عليه بناء على ظنهم ان ما
اراده الله تعالى لا يكون منهيا عنه وما لم يرده الله تعالى لا يكون مامورا
به فلا مساغ للنهي عن شرك دل وقوعه على ان مراد الله تعالى والامر بتوحيد
دل عدم وقوعه على انه لم يكن مراد الله تعالى لما تقرر في موضعه انه
لا تلازم من الامر والارادة بل ينفك كل منهما على الاخر وكذا بين النهي
وعدم الارادة ولذلك اي لعدم خطاهم في المذكور بل في احتجاجهم به عليه السلام
ذمهم بالتكذيب دون الكذب حيث قال كذلك اي مثل ذلك التكذيب العظيم
لك كذب الذين من قبلهم للرسل وهذا دليل على ان مرادهم التكذيب دون
ابلاء العذر حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم وبين ان احتجاجهم
ليس عن علم ويقين بل عن ظن مجمعين بقوله قل هل عندكم من علم اي ليس
عندكم بذلك علم فتخرجوه فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن الذي لا يغني عن
الحق شيئا وان انتم الا تخرصون وما انتم الا تخمنون وتقدرون اي الامر كما
زعموا وليس كذلك الامر من بطلان مبنى ذلك الظن فلا متمسك فيما ذكر
لاهل الزيغ والضلال من اصحاب الاعتزال ولا حاجة الى التوجيه والتاويل
بتقييد المشية اولا اي فيما مر واجرائها على اطلاقها اخر فيما سيمر قل
فلله الحجة البالغة الفاء للسببية كما دل عليه الكلام السابق والمعنى اذ قد
ظهر عدم تمام حجتهم فالحجة التامة مختصة به تعالى فلو شاء لهداكم
اجمعين الفاء قامت مقام ان في تحقيق ما دل عليه الكلام السابق من كونهم
محجوجين وذلك ان فيه الزاما لهم بناء على قولهم اي بل قد صدقتم ولكن كما
شاء كفركم لو شاء هدايتكم لهداكم كلكم فباي شيء علمتم انه لم يشا هدايتكم ثم
اصررتم وهذا تهييج لمن عسى ان يكون له استعداد منهم فينفع ويهتدي فيرجع
عن الشرك ويومن وفيه فايدة اخرى وهي تدارك لما يخطر بالبال من بطلان
احتجاجهم ان يكون الخلل في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بتصديقهم في ذلك
القائل ففيه حجة دامغة لاصحاب الاعتزال قل هلم شهداءكم هلم من اسماء
الافعال يجيء متعديا كما ههنا بمعنى هاتوا ولازما كقوله الينا اي تعالوا وانما
اضاف الشهداء اليهم لانها لو اطلقت لكان المعنى هلم ناسا يشهدون فكان

ظاهر طلب الشهدا بالحق وذلك فاسد الذين يشهدون ان الله حرم هذا
يعني من نصاهم وقد وهم امرهم باحضارهم ليلزمهم الحجة وتبكيتهم
فيظهر للشهود لهم عند انقطاعهم انهم ليسوا على شيء ولهذا قال فان
شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم ولا تسلم لهم كني عن ذلك بالشهادة
معهم مبالغة في النهي دلالة على ان الاصغا لهم دخول في عدد الشهدا
بالباطل ولا تتبع اهوا الذين كذبوا باياتنا من باب وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على ان المكذب بايات الله تعالى لا يكون الا متبع الهوى اذ
لو اتبع الدليل والعقل لكان مصدقا لها والذين لا يومنون بالاخرة كعبدة
الاوثان وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له تعالى عديلا قل تعالوا من التعالي
واصله امر من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه فعمم اتساعا فيه
لكثرة الاستعمال اتل ما حرم ربكم ما موصولة منصوبة باتل واستفهامية
منصوبة بحرم والجملة في محل النصب باتل لان التلاوة من باب القول
اي اتل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم وان في ان لا تشركوا به شيئا
مفسرة ولا للنهي لعطف الاوامر عليه في قوله وبالوالدين احسانا لان
تقديره واحسنوا بالوالدين وعطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان
المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع فان المامور به لا يكون محرما دل عليه
ان التحريم راجع الى اضدادها وذلك انه لما علق التلاوة بالتحريم اجمالا
ثم فسره بالتفصيل وجب ان يكون التفاصيل كلها منهيات محرمات
لكن عدل في بعضها الى الامر باضدادها مبالغة في النهي وتنبيها على
اضدادها واجبة فيلزمها النهي عنها بابلغ الوجوه ويحتمل ان يكون
الاوامر معطوفة على المناهي وداخلة تحت ان المفسرية شيئا يحتمل
المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وضعه
موضع النهي عن الاساءة اليهما للدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير
كان بخلاف غيرهما ولذلك ان تقول انها معطوفة على قوله اتل ما حرم
امرهم اولا بامر يترتب عليه ذكرها ثم امرهم ثانيا باوامر وتبعها المبالغة
في النهي ولا تقتلوا اولادكم النهي مطلق وانما قال من املاق اظهارا لسوء
صنيعهم فانهم كانوا يفعلون ذلك من اجله في الاساس املق الرجل افتقر

الملاق

ماله

ماله حتى افتقر ولما كان الاملاق باعتبار بدايته انفاقا وباعتبار نهايته
فقرا جاز استعماله في كل منهما وقد قيل الخطاب للفقرا ولذا قدم رزقهم
فقيل نحن نرزقكم واياهم منعا لموهبة ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاجا
عليهم فناسب ان يفسر الاملاق هنا بالفقر والخطاب في ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق للاغنياء ولذا قدم رزق اولادهم فقيل نحن نرزقهم
واياكم فناسب ان يفسر الاملاق ثم بالانفاق ولا تقربوا الفواحش كباير
الذنوب ما ظهر منها وما بطن بدل منه والظاهر ما بينكم وبين الخلق والباطن
ما بينكم وبين الخالق ولا تقتلوا النفس لما كان في اطلاق النفس شمول للنفوس
الحيوانية والاصل في قتلها الاباحة قيدها بقوله التي حرم الله يعني النفس
الانسانية الا بالحق اي بما يحق به قتلها ككفر بعد ايمان ورجم احصان وقتل
نفس ظلما ذلكم اشارة الى ذكر مفصلا وصاكم به لما كان في الوصية معنى الاهتمام
والمحافظة زيادة على معنى الطلب استعيرت للامر المؤكد والموصى به نفس
ما ذكر لا حفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان غاية العقل الرشد ولا تقربوا
مال اليتيم نهى عن ذكر القرب الذي يعم وجوه التصرف وفيه سد الذريعة
الا بالتي اي بالخصلة التي هي احسن في حق اليتيم وانما جي بصيغة التفضيل
مراعاة لمال اليتيم حتى يبلغ اشده غاية من حيث المعنى اي احفظوا عليه
حتى يبلغ اوان الحلم مع الرشد فادفعوه اليه والاشد جمع شدة كالانعم
ونعمة واوفوا الكيل والميزان الايفا مخصوص بالكيل والميزان عليه عطف
بطريقة ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب
ما يقتضيه لفظ حتى كانه شركه في اصل الفعل كقوله علفته تبنا وما باردا
وقوله بالقسط بالعدل والتسوية متعلق بالفعل المحذوف اي وزنوا
الميزان بالقسط فانه مظنة البخس بحيث لا يتفطن له صاحبه بخلاف الكيل
لا نكلف نفسا الا وسعها الوسع ما تحتمله الطاقة وذكره عقيب الامر للدلالة
على انه لا يواخذها بتقصير يقع بعد الاجتهاد في مراعاة العدل واذا قلتم
ايد بالقول مما لا يطلع عليه الا بالقول من امر وحكم وشهادة وخبر وسعاية
وغير ذلك فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى المقول له او عليه من ذوي قرابتكم
وبعهد الله اي بما عهد كم الله من اوامره ونواهيه اوفوا او بما عاهدتم الله

عليه من ايمانكم ونذوركم ذلكم وصاكم به اي امركم به واكد الامر لعلكم
تذكرون لما كان في هذه الامور نوع خفا بالقياس الى ما سبق حيث احتاج الى
الاجتهاد والذكر الكثير ضمن يتذكرون وان هذا صراطي الصراط من السبيل
ما لا التوا فيه ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد وانما يوصف بالاستقامة
للاحتراز عن الميل الى شي من الجوانب الاربعة بالهبوط والصعود ونحوهما
الا ان الاحتراز المذكور حصل هنا بالاضافة فقوله مستقيما حال موكدة
والاشارة الى ما ذكر في السورة باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان
الشريعة وقرئ ان بالكسر على الاستيناف وبالفتح بتقدير اللام على انه
الامر في قوله فاتبعوه وقرئ ان مخففة من الثقيلة وفيها ضمير الشان
ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى والطريق
كل ما يطرقه طارق معتادا كان او غير معتاد والسبل من الطرق ما
هو معتاد السلوك اعم من ان يكون على جهة القصد اولا ولهذا التفصيل
تبين وجه اضافة كل الصراط والسبل بجره فتفرق الفا جواب النهي
والمضارع المحذوف التا منصوب باضمار ان وفاعله ضمير السبل ومنهم
من لم يحذف التا بل ادغمها في تا التفعيل فقراها بتشديد التا والبا في
بكم للتعدية وتعديته بعن لتضمنه معنى الازالة فتزيلكم متفرقين عن سبيله
فيه التفات ونص على ان الطريق المنسوب اليه تعالى لا يكون الا صراطا
مستقيما ذلكم الاشارة الى مجموع الامر والنهي وصاكم به لعلكم تتقون ذكر
اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم يعقلون ثم يتعظون ثم يتقون
المحارم والمهالك ثم اتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم به فثم للتراخي
في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما ثم اتيناك
ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي
احسن على من احسن القيام ويويده قراة ابن مسعود على الذين احسنوا
وقراة ابي تماما على المحسنين او على الذي احسن بتبليغه وهو موسى
عليه السلام او تماما على احسنه اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة
على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على ان تقديره على الذي هو احسن وقيل
في وجه النصب انه حفظ لكنه لا ينصرف ففتح وح يكون بدلا عن الذي

وتر

209

وترجمه عنه كقوله مررت بالذي هو خير منك بالحفظ وتفصيلا بيانا في
غاية التفصيل عطف على تماما ونصبهما على العلة والحال في المصدر لكل
شي يحتاج اليه في الدين ففيه دلالة على انه لا اجتهاد في شريعة موسى
عليه السلام لانه فرع الاجمال في بعض الامور الدينية وهدى ورحمة
يهون عليهم مشاقات التكليف بما ذكر من التعريف لعلهم لعل بني اسرايل
بلقاء ربهم بلقا ثوابه وعقابه يوم الجزا يومنون يصدقون وهذا اي
القران كتاب عظيم الشان انزلناه اسنده الى نفسه بنون العظمة مبارك
كثير النفع انما فرق بينه وبين قرينه بانزلناه لان الانتفاع به بعد نزوله
فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بذلك علقها بكلمة الترجي لان
حصولها بالختم على الايمان وفيه خطر ان تقولوا اكراهة ان تقولوا علة
لمقدر دلت عليه انزلناه فيما تقدم وقرئ بالتا والياء وعلى الثاني فيه
التفات من خطاب فاتبعوه واتقوا وفي فقد جاكم التفات من الغيبة
الى الخطاب وكلاهما في محله حيث اعرض عنهم وجعلهم غايبين عند مكانه
اقوالهم الرديه ثم خاطبهم عند تصديق بحجهم وتبكيتهم انما انزل الكتاب
جنس الكتاب المنحصر في التوراة والزبور والانجيل لقولهم من قبلنا واما
الصحف فليست من جنس الكتاب في العرف على طايفتين من قبلنا اي
اليهود والنصارى دل على ان المجوس ليس من اهل الكتاب اذ لو كانوا منهم
كانوا ثلاث طوايف وان كنا ان هي المخففة دل عليه دخول اللام المفارقة
خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراتهم لغافلين لا ندري ما هي لانه
لا يكون على لغتنا فلم نقدر على قراته او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى ارشد واسرع اهتدا منهم بحسدة اذهاننا
وثقابة افهامنا ولهذا تلقفنا فنونا من العلم كالتواريخ والاشعار والخطب
على انا اميون فقد جاكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها تبكيت
لهم والزام الحجة وفيه ايجاز بحذف الشرط اشعارا بتصديقهم في دعوى الذكا
وحدة الذهن وان من يدعي ذلك فلينبه بمثل هذه النكتة وليدرك البينة
وبعثا لافهامهم وتهيجا وايذانا بان الاهم هو الجزا لا الشرط والمعنى ان
صدقتم في الدعوى فقد جا وان ظهر صدقه وهدى ورحمة كالذي انزل

عن قبلكم فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين
يصدفون عن اياتنا سوء العذاب اي لنفيه ولغيره وقد مر بما كانوا
يصدفون اي بسبب استمرارهم على تجديد الصد واحداثه حينا فحينا
هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا الخ الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك هذا ما ذكروه بقولهم
او ياتي الله والملائكة قبيلا او ياتي بعض ايات ربك هذا ما ذكروه بقولهم
او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا وانما عبر عنه ببعض ايات ربك تعظيما
لانه اعظم الايات الظاهرة قبل قيام الساعة يوم ياتي بعض ايات ربك يعني
الايات المذكورة انفا لا بعض اشراط الساعة مطلقا لان الايمان نافع بعد
ظهورها كيف ونزول عيسى عليه السلام لدعوة الخلق الى دين الحق بعد
خروج الدجال لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان المقبول
برهانيا كان او تقليديا ما يكون بالغيب لم تكن امنت صفة نفسا من قبل
متعلق بالمعطوفين او كسبت عطف على امنت في ايمانها خيرا اريد بالايمان
المعرفة يرشد الى هذا قراءة لا ينفع بالتاء ويكسب الخير الاذعان والقبول ونحن
معاشر اهل السنة نقول بما هو موجب النص من ان الايمان النافع مجموع
الامرين فلا حجة فيه للمخالف لان مبناها على حمل الايمان على المعنى الاصطلاحي
المخترع بعد نزول القران وتخصيص الخير بما يكون بالجوارح وكل منهما خلاف
الاصل والظاهر ولو سلم فنقول الايمان النافع لا بد فيه من امرين
الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان وقد عبر عن الاول بقوله امنت وعن
الثاني بقوله او كسبت فان الكسب يكون بالالات البدنية ومنها اللسان
فمنطوق الاية على وفق مذهبنا والله اعلم قل انتظروا اي انتظروا اتيان
احد الثلاثة انا منتظرون له وعيد لهم ووعد لنا ان الذين فرقوا دينهم اي
بروا فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت
النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق
امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرئ فارقوا
وكانوا شيعا فرقا جمع شيعة وهي الفرقة المعينة على طريق ومذهب

من

من شاعه اي اتبعه واصل الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار
لست منهم من امرهم في شي اي ليس اليك شي من مجازاتهم والعفو
عنهم انما عليك انذارهم وتبليغ الوحي اليهم انما امرهم الى الله ان شا عاجلهم
بالعقوبة وان شا اخرهم الى الاخرة وان شا وفقهم للرجوع عنها فعفى عنهم
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون اي في الاخرة ويجازيهم على ذلك من جا بالحسنة
لم نقل من عمل الحسنة ليعلم ان مجرد النظر الى ما ختم به وعلى ذلك قال
عليه السلام الاعمال بالخواتيم فله عشر امثالها على اقامة صفة الجنس
المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها لم يرد به التفصيل بل
اراد به التفصيل وهذا اقل ما وعد بالاضعاف وقد جا الوعد بسبعين
وسبعمائة وبغير حساب وقرئ عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على
الوصف ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها اي واحدة بواحدة هذا
حكم الوعد باقتضا العدل كما توهمه المعتزلة اذ لا حق للخلق على الخالق
وهم لا يظلمون بنقص ما وعد لهم من الاجر بالعقاب بلا استحقاق قل انني
هداني ربي الى صراط مستقيم اي ارشدني الى ما نصب من الحجج دينا بدل
من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا
مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ او حال من صراط لاختصاصه
بالصفة ونصب على المدح اي اعني او اخص دينا قيما فيعل من قام كسيد من
ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار
الصيغة لانه نص في الاستقامة وقرئ قيما مصدر بمعنى القيام وصف
به ملة ابراهيم عطف بيان لدينا انما ذكر تحثا لهم على اتباعه لانه
دين ابيهم حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل
ان صلاتي ونسكي عبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة
والذبح كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل وحجي من مناسك الحج وانما
خصه بالذكر لان المشركين كانوا يخلطون الشرك في التلبية وكذا تخصيص
الذبح بالذكر على القول الاول ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت
عليه من الايمان والطاعة او طاعة الحيوة والخيرات المضافة الى الممات
كالوصية والتدبير وقرئ محياي باسكان اليا اجرا للوقف مجرى

الوصل لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا شريك له فيها غيره وبذلك الاخلاص امرت بدا بقوله قل وختم بهذا ايمانا انه يقول ايثار الافتخار وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا هذا ابلغ من اغير الله اعبد لدلالته على معناه بطريق البرهان وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة الاصنام وهو رب كل شيء فلا ينبغي ان يكون غيره معبودا اصلا فضلا عن ان يكون شريكا تعالى في المعبودية وهو مستحق لان يكون معبود كل شيء جملة حالية في مقام التعليل للانكار المذكور ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكون جنايته نفس الا عليها ومعناه السلب الكلي لا سلب الكلي فاداه السود اخلة على النفي معنى وان كانت مدخوله لفظا ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى قال العطا قال الوليد بن المغيرة اتبعوا سبيلي احمل عنكم فنزلت هذه نفي القدرة عن غير على ذلك التحمل واما نفي التحميل من الله تعالى فالاية ساكتة عنه فلا منافاة بينها وبين حديث ابي موسى المذكور في صحيح مسلم وهو يجيء هذا يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ثم متعلق بقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر اما معترض تاكيدا لما ذكر الى ربكم لا الى غيره مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الرشد ومن الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلايف الارض خلايف للامم الماضية في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات في المبالغة والمكنة والعلم والعمر ليبلوكم اي ليمتحنكم فيما اتاكم فيما اعطاكم من النعم وفيما ابتلاكم به من المحن بالصبر ان ربك سريع العقاب اي لاعدائه وانما كان عقابه سريعا لانه لا يحتاج الى استعمال الالات ولا يتوقف على استحصال الادوات وانه لغفور رحيم اي لاوليائه وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببنا المبالغة وعلى التاكيدات واللام تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها القول تعالى ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي استخلفكم فيها بعد القرون اهلكناها استخلاف من عسى ولا يلزم من هذا ان

تكون الخطاب للمومنين خاصة وكل من جا بعد ما مضى فهو خليفة الجمع خلايف جا وانه على الاصل مثل كريمة وكرايم وقالوا ايضا خلفا من اجل انه لا يقع الا على مذكر وفيه الها جمعوه على اسقاط الها فصار مثل ظريف وظرفا لان فعليه بالها لا تجمع على فعلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المص فقد سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف انزل اليك صفة والمراد بالكتاب السورة وهذا اولى بان يراد به القران لان البعض اذا استقل بالكمال او الاعجاز فالكل اولى به فلا يكن في صدرك حرج اي فلا تكن شاكا او لا تكن خايفا على طريقة الكناية فان الشاك والخايف ضيق الصدر او فلا يكن في قلبك شك او خوف على ان الصدر مجاز عن القلب والحرج مجاز عن الشك او الخوف وتوجيه النهي لايهام ان الحرج لو كان مما نهي عنه لنهيناك عنه فانته انت عنه ولا يخفى ما في هذا الاعتبار اللطيف من تعظيم شانه الشريف والفا للسببية اي اذا انزل اليك من الله تعالى فلا يحرج صدرك لانه سبب الانشراح او فلا يكن في صدرك ضيق وعلى ان يكون النهي للتكوين ويعضد هذا الوجه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك منه اي من انه منزل من الله تعالى او من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وفايدته التشجيع لتنذر به علة لانزل وانما اخر تنبيها على انه ينبغي ان يزيل الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار والنهي لانه اذا ايقن انه من عند الله تعالى شجع على الانذار وكذلك اذا امنه الله تعالى وذكرى نصب باضمار فعلها اي ولتذكر تذكيرا فان الذكرى اسم بمعنى التذكير او جر على المصدر المنسبك من ان والفعل المنصوب باضمارها في قوله لتنذر اي للانذار وللتذكير لان محله النصب ورفع عطفا على الكتاب او خبر المبتدا المحذوف اي هو ذكرى للمومنين الحلوق للانذار لعمومه الفريقين وخص التذكير بالمومنين لانهم المنتفعون به اتبعوا ما انزل من القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى لانه لا ينطق بالسنة الغريبة لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا عن الضمير عدل وقيل اليكم من ربكم لما سمعه عليه السلام امر الجميع باتباعه

لنهيناك عنه

ما مرسمه ليكون ادعى لانشراح صدره ورحب ذراعه ولا تتبعوا من دونه
اي من دون ربكم اوليا من شياطين الجن والانس فيضلوكم عن دين الله تعالى
ويحملوكم على عبادة الاوثان واتباع الهوى والبدع او من دون ما انزل
اليكم اي من دون دين الله تعالى دين اوليا وقرئ فلا تسعوا قليلا صفة
لمصدر اي تذكرا قليلا او للزمان اي زمانا قليلا حيث تتركون دين الله
تعالى وتتبعون غيره ما مزيدة لتاكيد القلة تذكرون صفة لاوليا وقرئ
بحذف التا وقرئ يتذكرون على ان الخطاب مع النبي عليه السلام وكم من
قرية خبرية منصوبة بفعل مقدر يفسره اهلكناها اي وكثيرا من القرى اهلكناها
فجاها باسنا فيه استخدام وقلب اما الاول فلان الضمير في اهلكناها للقرية
باعتبار معناها الحقيقي والضمير في فجاها باعتبار المعنى المجازي لها
وهو اهلها واما الثاني فلان اصل الكلام وكم من قرية جاها باسنا فاهلكناها
ويجوز ان تكون الفا تفصيلية ويكون الكلام على اصله بياتا في موضع الحال
اي بايتين او هم قايلون في محل النصب عطفا على بياتا وكانه قال بايتين
او قايلين وانما وقعت الجملة الاسمية حالا بغير واو ولا اقترانا بالضمير لانه
غير فصيح بل لعطفها على حال قبلها فاستثقل اجتماع حرفي عطف لان واو
الحال واو العطف استعيرت للوصل وتخصيص الوقتين بنزول العذاب
لانه وقت دعة وغفلة فيكون نزوله فيهما افظع واما المبالغة في
التعبير فلا اختصاص لها بالوقتين فما كان دعواهم اي دعواهم على انفسهم
بالويل اذ جاهم باسنا وقت ظهور طلايع العذاب الا ان قالوا انا كنا
ظالمين الا قولهم هذا يرشدك الى ان المعنى هذا قوله تعالى وكم قصمنا من
قرية الى قوله قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين فلنسالن الفا فصيحة اي لنجمعن الخلايق فلنسالن الذين
ارسل اليهم هم الامم يسالهم عما اجابوا به الرسل لقوله تعالى ماذا اجبتم المرسلين
والمراد به التوبيخ والتقريع لا الاخبار ولا التقرير لقوله تعالى فعميت عليهم
الانباء يومئذ ولنسالن المرسلين عما اجيبوا به لقوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم والمنفي في قوله تعالى لا يسال عن ذنوبهم المجرمون
السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال فلا تنافي في هذا حتى يحتاج الى التوفيق بالاختلاف

في الاوقات او معنى السؤال فلنقصن لما كان سؤال الفريق الاول سؤال
تعنيف وتعذيب وسؤال الفريق الثاني سؤال تشريف وتقريب لا استجواب
في الاستفسار سكتوا عن الجواب وتركوا الخطاب فناسب المقام تصدير
الكلام بالفا الفصيحة عليهم اي على الفريقين ما كانوا عليه بعلم كامل شامل
لظواهرهم وسرايرهم وما كنا غايبين حال في مقام التعليل اي اذا لم نكن
عنهم غايبين لم يقل وما كانوا عنها غايبين تنبيها على ان المنشا لهذا الحال ما
في شانه تعالى من الكمال الامرين علمهم وعدم الغيبة عنهم مجاز متفرع على
الكناية عن الاحاطة التامة باحوالهم وافعالهم وفيه دفع ما عسى ان يخطر
بالبال من ان وزن الاعمال لخفا الحال فله تعلق تام بجانبي الكلام مورث
لكمال الحسن في النظام وحسن الالتيام والوزن مبتدا يومئذ ظرفه الحق
خبره اي الوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم هو الحق الثابت الوقوع او الحق
صفته والخبر يومئذ اي الوزن العدل كاين يومئذ والاول اولى لان المقام
مقام الاخبار عن الوزن الواقع يومئذ بانه الحق لا غيره لا عن اليوم المذكور
بان الوزن الحق فيه لا في غيره قيل توزن صحف الاعمال غير ان له لسانا
وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم
عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم وبه اخذ الجمهور
وتصدقه ما ورد في الخبر عن خير البشر ان الرجل يوتى به الى الميزان فينشر
عليه تسعة وتسعين سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة كلمتا الشهادة
فيوضع سجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة فمن ثقلت موازينه اي رجحت موزوناته وهي الاعمال التي
وزن واعتبار وقدر اي للحسنات او ما يوزن به اعماله من ان الموازين
جمع موزون او جمع ميزان وتوحيد الضمير باعتبار لفظه من لا معنا
جمع لقوله فاولئك هم المفلحون الفايزون بالنجاة والثواب ومن خفت
موازينه عن الحسن وحق لمن ان يوضع فيه الحسنات ان تثقل وحق
لمن ان يوضع فيه السيات ان يخف وهذا على ان معنى الموازين فاولئك
هم الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطروا عليها
بما كانوا باياتنا يظلمون اي يكذبون ظلما ولقد مكناكم في الارض اي اقدرناكم

على التصرف فيها بالسكنى والزرع وغيرهما وجعلنا لكم فيها معايش ما يعيشون
به جمع معيشة وهي وصلة من جهة سكت المطعم والمشرب والملبس الى
ما فيه الحيوة وقد يطلق على ما يعاش من المطاعم والمشارب وغيرهما
والوجه تصريح اليا لا صالتها ومن همز فقد شبهها بما فيه اليا زايدة كصحايف
قليلا ما تشكرون نصب قليلا بتشكرون وما مزيدة لتاكيد القلة
والشكر اعتراف بالنعم مع ضرب من التعظيم ولقد خلقناكم ثم صورناكم
اي خلقنا اباكم ادم عليه السلام غير مصور ثم صورناه والصورة فيه والصورة
بنسبة مقومة على هيئة ظاهرة نزل خلقه عليه السلام وتصويره منزلة خلق
الكل وتصويره لقوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم او والله انا خلقناكم ثم
تصويركم بان خلقنا ادم عليه السلام ثم صورناه ثم قلنا وكان الظاهر ان
يقول ثم امرنا الملائكة بالسجود لادم عليه السلام وانما عدل عنه لان الامر
بالسجود كان قبل ادم عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والواقع بعد تصويره انما هو
قوله تعالى للملئكة اسجدوا لادم لتعيين وقت السجود المامور بها قبل هذا
فلا صارف للكلمة ثم عن معناها الاصلي وعلى تقدير الصرف عنه حقها ان
تصرف الى معنى التفاوت في المرتبة لا على التراخي في الاخبار فسجدوا اي
سارعوا في الامتثال وانما امروا به على الاستعجال وربما كان في
بقعة الاحتمال ان يكون الاستثنا بقوله الا ابليس عن المفيد راجعا الى
قوله لم يكن من الساجدين دفعا لذلك الاحتمال فلا صارف فيه للاستثنا
عن الاتصال بنا على انه لا حاجة الى هذا المقال وكان يكفي ان يقال
لم يسجد الا انه قصد مع الاخبار عن عدم الايتمار الاشعار بانه على تقدير
اظهاره السجود لا يكون ساجدا حقيقة لما فيه من اضمار الاستكبار بل
يكون معدودا من الساجدين فنفى ذلك الكون فافهم هذا الاعتبار
قال عدل عن التكلم الى الغيبة انما بعدم اسناد القول الى نفسه صريحا
ان هذه المخاطبة مع ابليس لم يكن بالذات وكان الجاني تنبه لهذا الايما
حيث قال ان هذه المكالمة كان على لسان بعض الملائكة ما منعك الا
تسجد منع لطي محمل عليه في التعدية بالى كانه قيل ما صرفك عن ان تسجد

الى ان لا تسجد ولا يخفى ان اعتبار الصرف ابلغ في الكلام وانسب للمقام
ومن هنا تبين انه لا دلالة في قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
على زيادة لا في هذه القول لانتظام معنى الصرف على كلا القولين اذ معمول
لقوله منعك عن السجود في وقت امرتك بالسجود فيه فلا دلالة فيه
على ان مطلق الامر للفور ولا على انه للوجوب اما الاول فلان الفور
انما لزم من تعيين وقت نفخ الروح في بدن ادم عليه السلام في قوله تعالى
فاذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فان فيه دلالة على ان المامور
به السجدة في الحال وفي تضاعف المقال تلويح الى الحفا لو كانت لتعظيم
امر النفخ وما يظهر عنده من اثار القدرة الباهرة في الحقيقة وان كانت في
الظاهر لتعظيم ادم عليه السلام واما الثاني فلان مبناه على ان يكون
صيغة الاستفهام للتوبيخ وان التوبيخ على عدم الايتمار وكل منهما في معرض
المنع اما الاول فلان الظاهر من قوله استكبرت ام كنت من العالين
الاستفسار والاستخبار عن سبب المنع واما الثاني فلاحتمال ان يكون
التوبيخ على مخالفته لمن هو اعلى منه وترك متابعته اياهم كما هو الظاهر من
قوله الى ان يكون مع الساجدين اي ابى عن متابعتهم في امر السجود
وفي قوله امرتك دلالة على ان ابليس كان مامورا بالسجود لادم عليه السلام
بقوله تعالى للملئكة اسجدوا لادم عبارة كان ذلك او دلالة والظاهر من قوله
تعالى استكبرت ام كنت من العالين هو الثاني على ما يقف عليه في
موضعه قال انا خير منه لما كان هذا القول منه جوابا من حيث المعنى
عن السؤال على وجه التفصيل عن المانع المذكور في قوله تعالى ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين مستانفا
فيه باختيار الشق الثاني من الترديد المذكور في اي كنت من الذين لم يتناولهم
الامر دلالة بعلو شانهم كما لم يتنا ولهم عبارة ذكر هنا في معرض الجواب
عن السؤال على وجه الاجمال عن المانع ومن غفل عن هذا قال انه
جواب من حيث المعنى مستانف واستبعاد منه لان يومر الفاضل
بسجود المفضول فهو الذي قال بالجنس والقبح العقليين ولا خلقتني
من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك حيث

راى الفضل كله باعتبار وغفل عما تكون باعتبار الفاعل كما
اشار اليه بقوله لما خلقت بيدي على القران بالتوحيد اي لغير واسطه
وباعتبار الصورة كما اشار اليه بقوله ونفخت فيه من روحي وباعتبار الغاية
كما اشار اليه بقوله لما خلقت بيدي على القراة بالتشديد اي بقدرتي
في عالمي الشهادة والغيب ولذلك اي ولكونه ذا حظ من عالمي الملك والملكوت
فصار افضل ممن له حظ من احدهما فقط واستحق لان يسجد له الملك
فاللعين في تعلله كمن قيل فيه حفظت شيئا وغابت عنكم اشيا وقيل لعل
نسبة خلق الانسان الى الطين وخلقه الى النار باعتبار الجزء الغالب ويرد
عليه ان المناسب لهذا الاعتبار ان يقال خلقته من تراب والله اعلم
بالصواب قال فاهبط تفريع على جوابه الخارج عن حد الادب بل عن نهج
السداد وفخر اللعين بما في عنصره من شرف العضود فجوزي بالهبوط
وهو زوال من جهة العلو الى جهة السفل فصح عود الضمير في قوله منها
الى جهة العلو ويلزمه النزول من السما والخروج من الجنة فلهذا ذهب الى
كل منها ذاهب غافل عن ان في عود الضمير الى واحد منهما بخصوصه محذور الاضمار
قبل الذكر فما يكون يصح لك تعليل للامر المذكور ان تتكبر فيها لانها مكان
المطيعين المتواضعين والمتكبر في وصف المخلوق واظهار الكبر بالتكلف بلا
مساعدة من الحال وفي وصف الخالق اظهاره على وجه الكمال فلهذا صار
ذما في الاول ومدحا في الثاني فاخرج وفي سورة الحجر فاخرج منها اي من
زمرة الملايكة المعززين الساكنين في السما تفريع على عدم لياقته لان يكون
في جهة العلو انك من الصاغرين من الذليلين لصغر القدر تعليل للامر بالخروج
من بين المستحقين للعزة وبل في كل من مقامي الامر بعد ما ظهر من المامور
قالا وحالا قال انظرني من الانظار بمعنى الامهال الى مدة فيها النظر الى
حال الامر قصر وقوله الى يوم يبعثون بيان مدة للانظار الذي طلبه والضمير
في يبعثون عايد الى المفعول من تضاعيف المقال المعلوم بقراين الاحوال
وفيه دليل على اعتقاد اللعين بالبعث وهو في الاصل الاطلاق وفي الامر
ثم استعمل مجازا في الاخراج عن العدم والمراد باليوم المذكور يوم النشور
سال البقا الى يوم اللقا على ما افصح عنه في قوله ان اخرتني الى يوم القيمة

قال انظرني الى يوم انك من المنظرين اى انك من جملة من قدر لهم الانظار
فلا حاجة الى السؤال وفيه الاشعار بان ذلك ليس من قبيل استجابة
الدعوة فافهم لطف هذا الاعتبار ثم ان فيها الاخبار عن حصول ما اراده
من قبل استجابة الدعوة فافهم الانظار ابتلا للعباد وتعريضا للفساد
بمخالفة الثواب لا عن الموصول الى المقصود من امداده المعهود وهو الامان
من خوف الموت والمروق الموت حيث قال الى يوم الوقت المعلوم لله
تعالى وهو وقت قدر فيه انها اجل المنظرين ويومه يوم النفخة الاولى
وانما ابهم الله تعالى كيلا يخلو اللعين عن الخوف في كل حين وفي
ابهام اليوم زيادة في الابهام كما لا يخفى على ذوي الافهام قال فبما اغويتني
البا للسببية تعلقت بفعل القسم وقد اظهر المقسم به في قوله فبعزتك
لاغوينهم اجمعين لا بافعدن لان للامر يصد عنه وما مصدرية واصل
الغي الفساد ويقول العرب غوى الفصيل اذا بشم فسار اللبن في البطن
والمعنى بعد ان امهلتني لاجهدن اغوايهم بان وجه يمكنني بسبب اغوايك
اياي فيهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم لاقعدن لهم القعود
كناية عن الترصد بل مجاز متفرع عليها لان المراد من الصراط المستقيم
الدين القديم وهو لا يصلح متعلق للقعود الحقيقي صراطك المستقيم نصبه على
تضمين معنى اللزوم اي لالزمن صراطك مترصدا كما يفعله قطاع الطريق
للسابلة وهذا اولى من انتصابه على الظرف واما انتصابه على اسقاط
على كما قاله الزجاج وشبهه بقول العرب ضرب زيد الظهر والبطن ففيه
ان ما سقاط حرف الجر في مثل هذا الاسقاس مستعار لبعد ما بين
الاجمال المذكور والتفصيل ولان في ضم التمثيل ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم مثل اتيانه اياهم بقصد التسويل
والاضلال باتيان العدو السابلة بقصد القتل ونهب الاموال محيطا بهم
من الجوانب كيلا يفوت الاستيصال ولهذا خص الجهات الاربع بالذكر
والا فقصد التسويل يتيسر له من جميع الجهات وانما قال من ايديهم
ولم يقل قدامهم قصدا الى تشبيه اتيانه من تلك الجهة باتيان عدو لم
يتنبه له الخصم وهو حاضر بين يديه فانه اشد كيدا و اشد نكاية

عد ما عدى الفعل في الاولين بمن لان فيهما معنى طلب النهاية وفي
الاخرين بعن لان فيهما معنى الانحراف عن المقصد ولا تجد اكثرهم شاكرين
لم يقل فلا تجد لانه اراد بيان ان حالهم هذا مقتضى جبلتهم لا بسبب تسويل
واضلال ولا تعلق لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لان مظنونه
بقرينة تمام ذلك الكلام وهو قوله فاتبعوه الا فريقا من المومنين ما ذكره
بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فان انطباقه
عليه لا بمضمون هذا الكلام قال اخرج منها الامر باصل الخروج من زمرة
المومنين وقد كان فهو هنا منصرف الى قيده المذكور بقوله مذءوما من ذام
اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او مكول في مكيل من ذام
بذيمه ذيما وقيل الذام والذيم اشد العيب كاللوم مدحورا الدحور الدفع
والطرد على وجه الهوان والاذلال لمن تبعك منهم اللام لتوكيد القسم
وجوابه لاملان جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام
اي لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم على ان لاملان جهنم
في محل الابتدا ولمن تبعك خبره او على انه علة لاخرج ولام لاملان جواب
قسم محذوف على الوجهين منكم اجمعين اى منك وممن تبعك لقوله تعالى
في موضع اخر لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فغلب هاهنا
المخاطب ويا ادم اي وقلنا يا ادم على ما ذكر في سورة البقرة لا مساغ لان
يعطف لقوله اخرج لانه في معرض الاستيناف في جواب ابليس وهذا ليس
من تتمته ولا من سمة الامتنان وفي العطف على ما بعد قلنا بعد
اسكن انت وزوجك الجنة قد سبق ما يتعلق به من اللطايف فكلا من
حيث شئتما وفي سورة البقرة وكلا اعتبر ثم الاستقلال في امر الاكل تعظيما
لشان تلك النعم الجليلة واعتبر هنا تفرعه على الامر الاول وفيه زيادة
تفخيم لذلك الامر ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي على الاصل لتصغير ذيا
والها من يا فتكونا فيصير لحمل الجزم بالعطف والنصب بالجواب من
الظالمين اتى بصيغة الفاعل لانه ابلغ من الذي ظلم واطلعه لسطر
الظلم من ذريته فوسوس اي تكلم كلاما خفيا مكررا الاصل الوسوسة
الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي وهو غير متعد كولولت المراة وعوعوت الذئب

فلا بد من اداة التعديه ولهذا قيل لهما الشيطان والفا للترتيب على تقدم
من النهي ليبدي لهما ما وري عنهما من سواتهما الا ابلا الاظهار
والمواراة الستر والسواة العورة مجاز لانه يسوء صاحبها ظهورها وكانا لا
يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر واللام للتعليل ان كان اللعين عالما
بذلك والا فلام العاقبة وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة بيان لوسوسة
الواو للاستيناف الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
من الذين يخلدون في الجنه ولا يموتون به في حصول الكمالات الفطريه
والاستغنا عن الاطعمة والاشربه اذ لا احتمال لقلب الحقايق فلا دلالة
فيه على فضل الملك على ادم وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اقسم لهما بالنصيحة
فاخرج على زنة الفاعلة للمبالغة لاجتهاده فيه اجتهاد البالغ وقيل اقسم
لهما واقسما عليه بالله انك لمن الناصحين فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
وفيه دلالة على انه اهبطهما من درجة عالية الى منزلة سافلة لما في
معنى التولية من ارسال الشي من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما من القسم
بالله وكانا لا يظنان ان احدا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور اي مغرورين
فلما ذاقا الشجرة بالاكل من ثمرها دلت هذا على ان المراد بالاكل في قوله فكلا
منها بدايته كما دل هو على ان المراد من الذوق هنا نهايته فالقران يفسر
بعضه بعضا بدت لهما سواتهما اخذتهما العقوبة بشوم المعصية وتساقط
عنهما لبسهما وظهرت لهما عوراتهما وطفقا عطف على مقدر ان فتداركا
واخذا يخصفان عليهما على عوراتهما ورقة فوق ورقة ليستترا بها
كما يخصف النعل ويجعل طرفه فوق طرفه من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة انما قال تلكما لانه خاطب
اثنين واشار الى الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين توبيخ من الله
تعالى لهما عن الاغترار بقول العدو بعد التحذير وعتاب على مخالفة
النهي الارشادي ولا دلالة فيه على ان مجرد النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا
انفسنا نقص حظنا من المنحه وتعريضنا للمحنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين هذا على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات
واستصغار العظيم من الحسنات لما عرفت ان النهي ارشادي لا تكليفي فلا

دلالة فيه على ان الصغيرة من الذنوب معاقب عليها ان لم تغفر وانما لم
يقل وان لم تغفر لان الحاجة الى المغفرة والرحمة والكون من زمرة الخاسرين
عند عدمهما ليسا لما تقدم من النقص والتعريض بل ذلك امر اخر ولما
ذكر قال اهبطوا خطاب لهما ولذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له
تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفترقا بعضكم لبعض عدو في موضع
الحال ولكم في الارض مستقر اي استقرار وموضع استقرار ومتاع تمتع الى حين
انقضاء اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يعلمهم انهم لا يعودون
الى الجنة الى ان يحشروا من قبورهم ثم تصير السعيد الى الجنة والشقي الى النار
يا بني آدم اراد نوع الانسان والتعبير بما يشير الى بدء خلقته وابتداء ولادته
لتذكير خلقته عريانا فانه المناسب لمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس
قد انزلنا عليكم لباسا جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي وقدر ثم وخلق
بتدبيرات سماويه واسباب نازلة منها كقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم
التي قصد الشيطان ابداءها اي يستر ما يسوؤكم انكشافه من الجسد ويغنيكم
عن خصف الورق وريشا وقرئ رياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش
لباس الزينة والجمال استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا
عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا يجملكم ويزينكم والزينة غرض صحيح شرعي
كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى هو لا كتفاء بالصوف
والخشن من الثياب ورفعه بالابتداء اخبره ذلك خير وذلك خير الامور
اوسطها او خبر خير وذلك صفة عدل به عن النصب وافخم بالاشارة
اليه وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطف على لباسا قيل هو ما يتقى به
ولا يناسبه الترجيح والتفخيم فان ما ذكر وجه الرجحان انما يساعد الاول
وقيل هو لباس الحروب ولا يساعده ذلك من ايات الله اي تحصيل اللباس
من مواد ارضيه حاصلة باسباب سماويه واتصال منافع احدهما
بالاخرى مع بعد ما بينهما دليل على كمال قدرة منشئها وحكمة مدبرهما
لعلهم يذكرون ويوفون نعمته ويعرفون تقديرته ويعترفون به ويحترزون
عن نقمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح روي ان العرب بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت فعلى هذا يكون

قصة ادم عليه السلام وتعديدها لذلك تنبيها على ان انكشاف العورة اول
سوء اصاب الناس من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى
ابويهم وان الفطرة السليمة اقتضت سترها بخصف الورق عليها لينطولها
يا بني آدم لا يخفى على الفطن ما في هذا التعبير من الاشارة الى انهم مظنة الافتتان
لكونهم ذرية من افتتن لا يفتننكم ولا يمنعنكم الشيطان دخول الجنة بالافتتان
اي بالاغواء كما اخرج اي فتن ابويكم اي ادى الى اخراجهما من الجنة
والمراد نهي الشيطان المبالغة في نهيهم عن مظان الافتتان به
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد
النزع اليه مجازي للتسبب والعدول عن صيغة الماضي لاستحضار تلك
الصورة الفظيعة قلع الشيء عن موضعه الذي هو ملابس له انه اي الشيطان
يراكم تعليل للنهي على سبيل الاستئناف وتاكيد للتحذير عن فتنته بانه
بمنزلة العدو وهي المراد يكيدكم من حيث لا يشعرون هو اظهر ليصح قوله
وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم اي من مكان لا ترونهم فيه قال
ابن عباس رضي الله عنهما صدر الانسان له مسكن ويجري منه مجرى
الدم وانما لم يقل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تيسير رؤيتهم
لنا مطلقا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم
والاية مقصود القصة واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة
الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا اعتذروا بتقليد
الاباء ولما رأوا ما فيه من الضعف ابدوه بقولهم والله امرنا بها قيل هو جواب
سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوه ما لم فعلتم فقالوا وجدنا عليه اباءنا
فقيل من اين اخذ اباك فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق المطرح والله
امرهم بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن
الافعال والحث على مكارم الاخلاق اقتصر على رد الثاني لما عرفت ان الاول
يعود عليه بدونه وفي الاية دلالة على ان في بعض الافعال قبحا ثابتا للفعل
مع قطع النظر عن السمع وان لم يدل على ترتب الذم عليه اجلا قبل النهي عنه
اتقولون تفترون على الله انكار يتضمن النهي وانما قال ما لا تعلمون
اظهارا لما في افترائهم من زيادة قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر

وتي بالقسط بالعدل الذي هو الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط في
كل شيء واقيموا وجوهكم معطوف على ما ينحل اليه المصدر الذي هو القسط اي
بان اقسطوا واقيموا وكما ينحل اليه المصدر الى ان والفعل الماضي نحو عجبت من
قيام زيد وخرج اي من ان قام زيد وخرج اي ان قام زيد وخرج
كذلك ينحل ان مع الفعل المضارع للبس عباءة وتقر عيني الا ان لبس وتقر عيني
عند كل مسجد موضع سجود اي لا تسجدوا كما تسجد اليهود على الصفا [illegible]
وقد وجه ذلك في تفسير سورة البقرة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة مبتغين بها وجه الله تعالى خالصا فانكم مبعوثون مجزيون على
اعمالكم حذف التعليل وذكر ما يدل على البعث اكتفا بالعبارة عن الاشارة
كما بداكم اي كما ابتدا كم ابتدا تعودون باعادته اي فسوا الاعادة بالابتدا
فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي والقابلية الفطرية لا باقتضا القضا
الاولي كما زعمته الجبرية لان القضا تابع للمقضي لا متبوع له وانتصابه
بفعل مضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا مررت به انهم اي ان الذين حق
عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله فاطاعوهم تعليل للتفسير او
تحقيق للمفسر ويحسبون انهم مهتدون ولولا حسابهم لكان فيهم تاثير لانذار
النذير فهو تتميم للتعليل والتحقيق وتنبيه على ان الضلال انما هو على من ضل
وزعم انه اهتدى ومن هنا ان المكلفين غير محصورين في الفريقين المذكورين
فان المعاند بمعزل عن الحسبان المذكور يا بني ادم انما خاطبهم بهذا لتذكير
[illegible] ادم عليه السلام وفي ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم المواري
لعوراتكم والزينة فعلة من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب وغيرها
والمامور باخذه بهم هنا ما يستر العورة عند كل مسجد اي عند قصده دلت عليه
سبب النزول فانهم كانوا يدعون ثيابهم وراء المسجد عند الطواف والصلاة
فان ستر العورة فيها واجب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة
اعتبارا لظاهر عبارة الزينة وكلوا واشربوا اي لا تضيقوا على انفسكم فيما
وسعه الله تعالى من الاكل والشرب روي انهم كانوا لا يصلون في ثيابهم
ويقولون لا نصلي في ثياب اذنبنا فيها ولا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا

ياكلون

ياكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله
نحن احق بذلك ان نفعل فنزلت الاية ولا تسرفوا اي في التغذي بالتعدي
من الحلال الى المحظور بل من الطيب الى المحذور ولما كان حذف المفعول
في الموضعين مظنة التعميم والتوسيع لدايرة الرخصة في الاكل والشرب كما
وكيف وقد يدرك دفعه بقوله انه اي ان الله تعالى والاضمار قبل الذكر للتعميم
لا يحب المسرفين اي لا يرضيهم لاسرافهم في التصدق على ما مر وهذا ابلغ من
ذم الاسراف وصيغة الجمع للتعميم لانواعه فانه مذموم في كل امر حتى في
التصدق على ما مر في سورة الانعام قل من حرم معنى الاستفهام انكار تحريم
هذه الاشيا وتوبيخ محرمها والاستفهام اذا تضمن الانكار لا جواب له زينة الله
الاضافة اليه تعالى لتعظيم النعمة الزينة للدلالة على عدم التحريم من جهته
تعالى التي اخرج من الحيوان كالحرير لعباده في عبادة العباد اشارة الى ان الاخراج
المذكور لمصلحة العباد فلهذا اثره على الناس والطيبات اي المحللات فان
المحرم ليس بطيب وان كان مستلذا من الرزق من الماكل والمشارب فوصف
الطيب هنا في مقابلة الاضافة الى الله تعالى قرينة في افادة المعنى المهم في
المقام وهو كونهما غير محرمين في الشرع فلا دلالة في الاية على الاصل في المطاعم
والمشارب والملابس وانواع التجملات الاباحة قل هي اي جملة ما ذكر من
الزينة والطيبات للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير صالحة لهم لكون الكفار
شركاهم فيها وانما لم يقل للذين امنوا ولغيرهم تنبيها على انها خلقت لهم بالاصالة
والكفار تبع لهم فيها وابهام الحيوة للاشعار الى وجه التشريك بابهام انها
للحاجة اليها في الحيوة خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبرا لهي وقرئ بالرفع
على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات اي كتفصيلنا لكم هذه الاحكام
في الحلال والحرام نفصل لكم ما بكم حاجة اليه من شرائع الاسلام وانما قال
لقوم يعلمون تفضيلا للعلما على غيرهم بتخصيص التفصيل لهم وتغليبا للذكور
في الايات لاصالتهم في اهلية الخطاب باعلام الاحكام وافهام الحلال والحرام
قل انما حرم ربي الفواحش اي لم يحرم الزينة والطيبات وانما حرم القبايح
التي زاد قبحها والتحريم المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب تجنبه

التحليل وهو الاطلاق في الفعل بيان جوارتنا وله ما ظهر منها وما بطن
قال ابن عباس رضي الله عنه كانوا لا يرون بالزنا سرا باسا وكانوا يستقبحونه
علانيه فهو اعمها جميعا لتخصيصها بالذكر مع انتظامها في سلكه الاتي ذكره
للاهتمام والاثم اريد به ما بين العبد وبينه تعالى من الذنب والبغي اريد
به ما بينه وبين الغير وهو التعدي مبتدا كان او منتصرا وقوله بغير الحق
زيادة بيان لان ما كان بحق لا يكون بغيا وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بهم اذ معلوم انه لا برهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل ولا ترى الضب
بها ينجحر واذا المعجز انزال البرهان اظهار صحة المعنى وفساد نقيضه والسلطان
اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال ولا يخفى ما في اعتبار هذه المرتبة
واشتراط نزوله دون ظهوره من تعظيم امر الشركة وان تقولوا على الله وان
تفتروا عليه ما لا تعلمون انما ذكره اظهارا للزيادة قبح ما فعلوه
الافترا لا يكون من علم ولكل امة اجل الامة الجماعة التي على مقصد واحد
والاجل الوقت المضروب لانقضا المهل ففيه اشاره الى تقارب اعمار اهل
العصر الواحد وانما الوعيد فمبناه على ان يكون المراد من الاجل هذه زوال
العذاب لا يساعده اخذ الكلية على ظاهرها فاذا جا اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ولا يتاخرون وانما قال ساعة لانها
اقصر الاوقات في العرف تقول المستعجل لصاحبه في الساعة اي اقصر وقت
وانما قال فاذا جا اجلهم لانه قبل المجي يقبل التقدم والتاخر بخلاف ما بعده على
ما افصح عنه في قوله ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جا لا يؤخر والمراد
من مجي الاجل مجي قربه على ما دل عليه قوله ولا يستقدمون وهذا كما يقال جا
الشتا وجا الصيف او قارب وقته يا بني آدم انما اوثر هذا التعبير لما فيه
من التذكير لاول الرسل منهم اما ياتينكم هي ان الشرطيه زيدت بعدها
ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزم من فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وجواب
الشرط الجملة الشرطية الاتيه رسل منكم انما جا في اتيان الرسل حرف الشك
تنبيها على انه غير واجب كما ذهب اهل التعليم يقصون عليكم اياتي
القصص وصل الحديث بالحديث واصله اتباع الشي الشي فمن اتقى الشرك
والمعاصي واصلح العمل في الاسلام فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفوات

من الوقوع في العقوبات وهذا ثمرة الاتقا م

الثواب

الثواب وهذا ثمرة الاصلاح وليس فيه ابطال مخافات القيمة لان المراد به
العاقبة فهو كقول الطبيب لا باس عليك ولا خوف وان كان في وجع
وضعف والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي تعظموا عن قبولها والمعنى
استمروا على التكذيب فان الاستكبار يلزمه الاستمرار على خلاف تقى واصلح
اولئك اصحاب النار الملازمون لها لتكذيبهم باياتنا هم فيها خالدون استمروا
عليه وانما اورد في جواب فمن اتقى الفا دون جواب والذين للمبالغة في
الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم نحن ظلما والفا للترتيب على ما فهم مما
تقدم من عظم شان الافترا حيث قرن بالشرك بالله وشان التكذيب حيث
اخبر بان جزاه الخلود في النار والاستفهام للاستعظام وقد مر بيان طريقته
في تفسير سورة الانعام ممن افترى على الله كذبا الافترا الاختراع امر لا اصل
له في غرض من تشبيه ولذا يتعدى بعلى فقوله كذبا تصريح بما علم التزاما
اظهارا لما في الافترا من مزيد قبح حيث جمع بين القبيحين او كذب باياته
لم يقل او كذبه لان من كذب كلام الله تعالى انما كذبه منكرا لكونه كلامه
وانما قال باياته لتنتظم المعجزات العقلية اولئك ينالهم النيل هو وصول
النفع الى اذا الو وان قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشي
نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم في الكتاب سبق حتى اذا جاءتهم رسلنا
اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم يستوفون ارواحهم حال من الرسل
غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائه وهي التي تقع بعدها الجملة قالوا جواب اذا
اينما كنتم حقها ان تفصل لانها موصولة ولكن وقعت موصولة في خط
المصحف ثابت فاتبع سنه تدعون من دون الله اي تعبدون من الالهة
ترجون شفاعتهم ومعونتهم قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اي اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي تحقيق
الخبر ولا يخالف هذا ما تقدم في سورة الانعام من قولهم والله ربنا ما
كنا مشركين لان انكارهم ذاك عند غيبة الهتهم على ما بين فيما سبق واعترافهم
هذا عند حضورهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا
شركاهم قالوا ربنا هولاء شركاونا الذين كنا ندعوا من دونك قال
اي يقول الله تعالى لهم على السنة الملائكة يوم القيمة ادخلوا وحوزان

بكون الامر للتسخير كما في قوله تعالى اهبطوا فيكون دخولهم في النار بلا قدرة
واختيار منهم كما هو الظاهر من قوله تعالى كلما القي فيها فوج في امم اي كاينين
في عدادهم او مصاحبين لهم فان كلمة في تجي بمعنى مع قد خلت من قبلكم
اي مضت لان من مضى بالهلاك فقد انتفى من مكانه الا انه قلب فنسب
الخلو اليه من الجن والانس قدم الجن على الانس لان المقام مقام التحقير
في النار متعلق بادخلوا والدخول في النار وان لم يقتضي كون الفريقين
من الكفار والجن الامر بالمشركين بالكون منهم في معرض العقاب دل على
ذلك كلما دخلت اي في النار امة من تلك الامم لعنت اختها في الدين التي
ضلت بها وقيل بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا وقرى تداركوا اي تلاحقوا
وهو الاصل بهم وقع للادغام فاحتيج الى الف الوصل فيها جميعا قالت اخراهم
منزلة وهم الاتباع السفلة لاولاهم لاجل اولهم لان الخطاب مع الله لا معهم
وهم الروسا والقادة ربنا هولاء اضلونا دعونا الى ذلك وامرونا به قال تعالى
خبرا عنهم اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا فلا حاجة الى الصرف
عن الظاهر المتبادر فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل اي لكل منكم ومنهم ضعف مثل زايد على مثل لان كلا الفريقين ضال
وضل وهذا في حق القادة ظاهر واما في حق الاتباع فلانهم بالاتباع
لهم وصدهم عن رايهم زادوهم في طغيانهم وثباتهم على الضلال فوقعهم
على الاضلال وقد افصح عنه هذا المعنى في قوله تعالى وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا فاما التقليد في البا
فلا يصلح وجها له لعدم اختصاصه بالاتباع فان القادة ايضا قد
يكونون مقلدين ولكن لا تعلمون ذلك كيلا يحصل لهم نوع سلو وسرور فانه
لو علم كل منهم بالاخرى بسبب اضلالهم اياهم لكان لهم فيه تسلي وخفة به
وقرى بالبا على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم مرتبا كلامهم على جواب
تعالى لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا
بل انا واياكم متساوون في الضلال والاضلال واستحقاق العذاب لهما
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون كما نحن نذوقها كما نكسبه فليس هذا القول
منهم تشفيا كيف والمقام لا يحتمل الاخبار عن حال فيها نوع سرور لهم ان

الذين

الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها قد سبق تفسيره لا تفتح لهم اي لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما يفتح للمومنين فهو بمنطوقه وعيد للكفار وبمفهومه
وعد للمومنين اذ لولاه لما كان وعيدا لهم والحاجة الى صيغة الجمع في قوله
ابواب السما لمصلحة المفهوم اذ لا حاجة اليها في المنطوق وقرى تفتح بالتشديد
لكثرة الابواب وبالياء لان تانيثها غير حقيقي والفعل مقدم وعلى البنا للفاعل
ونصب الابواب بالتا على الفعل للابواب وبالياء على الله ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل الولوج التقحم في الشي وانما خص من جنس البعير بالذكر لانه
اكبر واصلب من الناقة في سم الخياط في ثقبه الابرة وهو من باب
التعليق بالمحال اذ المعنى لا يدخلون الجنة حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم
فيما هو مثل في ضيق المسلك وذلك مما لا يكون ابدا فكذلك ما هو علق به
وقرى الجمال كالحمل والجمل كالبقر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالقمل
وهي الحبل الغليظ وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو
والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزي
المجرمين اي الكفرين من الموصوفين بالجرم الكامل وانما وضع المجرمين
موضع الضمير تسجيلا على المكذبين بالاجرام وايذانا بان الاجرام هو السبب
الموجب للحرمان الموصل الى العقاب المويد في النيران وكذلك كرر الخبر بالظلم
تاكيدا لهم من جهنم مهاد جمع مهد وهو الوطي الذي يفترش ومنه مهد الصبي
وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها فهو على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم
ولهذا الى لما في لفظ المهاد من التهكم اثره على لفظ الفراش مع ما فيه من صنعة
التجنيس اعتبارا للجانب المعنى وترجيحا للمرتبة المعنوية على اللفظية ومن فوقهم
غواش جمع غاشية وهي لباس محله في المهاد اختصاص جهة التحت بخلاف
الغاشية فانها خلو عن الاقتضا لجهة وكان المراد المغطية من جهة
الفوق فلا جرم احتيج الى قوله من فوقهم دون من تحتهم وقد ذكرا في
قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل لقيام الحاجة الى
تعيين الجهة في الموضعين قوله ومن تحتهم ظلل يرشدك الى ارادة معنى
الجمع من المهاد وكذلك نجزي الظالمين لانفسهم بالاصرار على عدم الايمان
والاستكبار على الاذعان والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها

اعتراض بين المبتدا وخبره للاشارة اولا الى ان المذكور في معرض الشرط
الاعمال التكليفية وثانيا الى انه غير معتبر في حق غير المكلفين والمعذورين
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته تعالى في ان تشفع الوعيد
بالوعد اولئك اشارة الى ان استحقاق الخلود في النعيم بسبب اتصافهم
بالايمان والاعمال الصالحة مع سهولتهما وتعظيم لشانهما ونزعنا ما في
صدورهم من غل النزع رفع الشيء عن مكانه المتمكن فيه اما بتحويله عنه واما
باعدامه والمراد ههنا الثاني والغل الحقد الذي يصل بلطف الى الضمير القلب
ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة والصدر ما يصدر
من جهة التدبير والراي ومنه قيل للرئيس الصدر تجري من تحتهم الانهار
زيادة في حبورهم وسرورهم النهر المجرى الواسع من مجاري الماء ومنه
النهار لاتساع ضيائه والجريان انحدار الماء وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
بالدلالة اي ما يوصلنا اليه من الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله زيادة اللام لتاكيد النفي اي وما كان يصح ويستقيم لنا ان
نكون من المهتدين الى ذلك مع ما يسره لولا هداية الله تعالى وتوفيقه
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرئ ما كنا بغير واو على انها جملة
مبينة على الاول وعلى القراءة المشهورة اعتراضية للتاكيد لقد جاءت رسل ربنا
بالحق فاهتدينا الى هذا بارشادهم وهو كلام وارد على سبيل الاغتباط
والتبجح بما نالوا والسرور بما شاهدوا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها النداء
الدعاء على طريقة يا فلان كانه قيل لهم يا ايها المومنون وان هي المخففة من
المثقلة تقديره بانه والضمير ضمير الشان او المفسرة لان النداء في معنى
القول والجنة صفة تلكم وهي مبتدا وخبره اورثتموها او الجنة خبر
واورثتموها حال والعامل معنى الاشارة في تلكم اي نورثه لكم والاشارة
بتلك لقصد التعظيم وانما سماها ميراثا لانها ليست مما يستحق بالعمل
بل بمحض فضل الله تعالى ووعده على الطاعة كالميراث من الميت لا يكون
عوضا مستحقا من شيء بل هو عطية خالصة ففيه حفظ السامع عن
المبادر الى الفهم الباء السببية في قوله بما كنتم تعملون من ان تكون تلك
الاعمال اسبابا حقيقية تعطى لهم في الدار الاخرة فان سببيتها انما تكون

هي له بحكم الوعد وهذه طريقة بليغة سجلناها في بعض رسائلنا المعمولة
في اسرار البلاغة بالتقدم بالحفظ وهي ابلغ من طريقة التدارك وقد
غفل عنها القوم ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار قدم ان نادى معنا
دعا غير ان في النداء معنى امتداد الصوت ورفعه وليس كذلك
الدعاء لانه قد يكون بعلامة كالاشارة بغير صوت والصاحب هو المقارن
على نية طول المدة والصحبة والمقارنة نظيران الا ان في الصحبة الارادة
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وجدنا من الوجود وحقا مفعوله الثاني
او من المصادفة وحقا حال الوعد عند الاطلاق ينتظم الخير والشر
بخلاف الوعيد فانه مختص بالثاني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما
قالوه تبجحا بحالهم وتحسيرا لاصحاب النار ولذلك ذكر مفعول وعد في
الاول وترك في الثاني فان اهل الجنة يستبشرون بحصول موعودهم
فذكروا ما وعدهم الله تعالى مظاف اليهم واطلقوه حين سالوه اهل
النار ليشمل كل موعود من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير
ما في احوال القيمة من الاهوال تنبيها على تكذيبهم بامور كثيرة ليست
مخصوصة بهم سالهم كلها وتكون اجابتهم بنعم تصديقا لجميع ما وعد الله
ووقوعه في الاخرة للصنفين واعترافا منهم بحصول موعود المومنين
ليتحسروا على ما فاتهم من نعيمهم او نعيم اهل الجنة مما يحرسهم وبين يدي
عذابهم قالوا نعم وقرئ نعم بكسر العين فرقا بين التي هي جواب
وبين نعم التي هي اسم للابل والبقر والغنم فاذن موذن ابهم للتكثير ونكر
للتعظيم وهو ملك ينادي بامر الله تعالى نداء يسمعه اهل النار زيادة
في تحيرهم فمعنى بينهم بين القايلين نعم لو كان المعنى بين الفريقين
لقيل بينهما كما قيل وبينهما حجاب ان لعنة الله على الظالمين اي الكفار
اطلاقا لاسم الجنس على الفرد الكامل بدليل قوله تعالى وهم بالاخرة كافرون
وقرئ ان بالتشديد وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجرا
للتاذين مجراه الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين
او نصب على الذم او رفع عليه والصد الصرف عن الخير خاصة ويبغونها
اي يبغون لها والضمير للسبيل ومن يذكر ويونث عوجا العوج بالكسر

في المعاني ولا اعيان مالم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح اي يطلبون بها زيغا وميلا الى الباطل وهم بالاخرة كفرون
اي كانوا بها جاحدين لما كان مساواة الفريقين مبينة عن القرب
بينهما ومظنة ان يتوهم وصول روح الجنة الى اهل النار وفيحها الى اهل
الجنة دفعه بقوله وبينهما اي بين الفريقين لا بين الدارين لانه قال
في موضع اخر بينهم حجاب الحجاب هو الحاجز المانع عن الادراك والمراد
ههنا السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف اي اعراف
الحجاب وهو اعاليه جمع عرف وهو ما ارتفع من الشيء فانه بارتفاعه
وظهوره اعرف من غيره ومنه اعرف الديك رجال قوم علت درجاتهم
كالانبياء عليهم السلام والشهدا او خيار المومنين او ملايكة يرون في
صورة الرجال وقيل جمع قصرت بهم اعمالهم او تساوت حسناتهم وباباها
عبارة الرجال لان الامر المذكور لا يختص بالذكور يعرفون كلا من اهل
الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه
وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او عفلى من
وسم على القلب كالجاه من الوجه وقد دل الباء السببية على انهم يعرفون
بالامارات الظاهرة فلا وجه لما قيل وعرفانهم ذلك يجوز ان يكون بالالهام
من الله تعالى او بتعريف الملايكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
اي اذا نظروا الى اهل الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وقد دل على هذا
اتمام الكلام ولا حاجة الى تقديره لم يدخلوها استيناف او صفة للاصحاب
اي لم يدخلوها بعد وفيه رفع ما يتبادر الى الفهم من عدا دخول اصحاب
الجنة ودفع وهم مخالفته لما ياتي من قوله ادخلوا الجنة واذا صرفت
ابصارهم الصرف امالة الشي الى جهة اخرى تلقا اصحاب النار اي حذاهم
وهي جهة اللقا تقع الاستعمل ظرف مكان وفيه دلالة على ان نظرهم
الى اهل الجنة نظرهم الى اهل الجنة نظر رغبة وارتضاوا نما نظرهم
الى اهل النار فليس كذلك بل لا ينظرون اليهم لكراهتهم ونفرتهم منهم
ولا يتاتى منهم النظر اليهم طوعا حتى كان صارفا صرف نظرهم اليهم
كرها ليعلموا قدر ما هم فيه ولهذا كان الاول مقابلا بالتسليم والثاني

بالاستعاذه

بالاستعاذه قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا بالله تعالى
من مصاحبتهم صريحا وفي ضمنها الاستعاذة مع النار ولا يخفى ما في
هذا الاعتبار من تقديم الفرار عن عذاب الفجاه على الفرار عن عذاب
النار بناء على ان الاول روحاني والثاني جسماني والروحاني
اشد ايلاما ونادى اصحاب الاعراف رجالا من روس الكفرة واعيان
الفجرة يعرفونهم في الدنيا بسيماهم المعهود عندهم فهذه معرفتهم
باشخاصهم وما سبق معرفتهم من حيث انهم من اهل الجنة او من اهل
النار قالوا ما اغنى عنكم استيناف لبيان ما نودي به جمعكم كثرة
خدمكم واعوانكم او جمعكم المال وما في ما اغنى استفهامية للتوبيخ
والتقريع ويجوز ان يكون نافية وفي وما كنتم مصدرية وكونكم
تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون بالثا المثلثة اهولاء
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى
فقرا اهل الجنة والخطاب لروسا الكفرة الذين كانوا يستهزءون بهم ويحتقرونهم
لفقرهم يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة وقد مر تفسير النيل ادخلوا
الجنة من كلام اهل الاعراف لفقرا اهل الجنة لما اشاروا اليهم بهولاء
لروسا الكفرة قالوا لهم اخبارا من الله تعالى ملتفتين اليهم ادخلوا الجنة
مقولا لهم لا خوف عليكم فيما ياتي ولا انتم تحزنون على ما فات وفيه
تعريض لاصحاب النار بانهم يحزنون ونادى اصحاب النار اي الكفار على
ما ستقف عليه اصحاب الجنة ان افيضوا من الفيض وهو السيلان
من الامتلا ولما كان فيه من معنى الاحسان قالوا علينا اي احسنوا
علينا بما ازداد منكم من الما فلا دلالة فيه على ان الجنة فوق النار او من
معنى فضله او مما رزقكم الله من نوع اخر من جنس المشروب وانما خصهم
بالطلب لما لهم من غلبة العطش وشدة الحران ولهذا اتوا باداة
التنويع ولو كان المراد الطعام لما عدلوا عن العطف باداة الجمع اذ لا
بد لهم من طلب الما ولما كان في سوالهم ما دل على ان التماسهم
من الفضلة وما لا حاجة لهم به وكان للامتناع عن الاجابة في
مثله مظنة البخل اجابوا بما يدفع هذا الوهم ان هم عدلوا عن

من م

للجواب بالمنع الصريح الى ذكر سببه محافظة بجانب الكرم صهما امكن
وقطعا لاطماعهم على وجه احسن قالوا ان الله حرمهما على الكافرين لم
يقل عليكم تضمينا لمعنى التعليل وتعميما للجواب لغير السايلين من جنسهم
والتحريم المنع وتعديته بعلى كتعديته الشهادة بها كما في قوله تعالى وحرمنا
عليه المراضع من قبل ولا خفاء في ان المنع اللغوي ابلغ من التحريم
الشرعي فلا وجه لما قيل منعهما عنهم مع التحريم عن المكلف الذين اتخذوا
دينهم الاتخاذ اخذ الشيء باعداد للامر من المامور ولا يخفى لطف موقعه
ههنا من حيث تضمنه الاشارة الى انهم الذين اتخذوا الاهتمام
بشانه دون الهزل واللعب فكان فيه نعي لهم بتقبيح صنيعهم لهوا ولعبا
كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واصل اللهو الانصراف عن الشيء
والمراد ما ينصرف اليه مما لا يعني واللعب طلب الفرح بما لا يحسن
ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور عن غير استوا وغرتهم
الحيوة الدنيا التغرير تزيين الباطل للوقوع فيه فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل
الناسي نتركهم في النار ترك المنسي كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا به فلم
يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له ولم يهتموا به والمراد من اليوم الواقعة ولهذا
اضافه اليهم وما كانوا باياتنا يجحدون معطوف على ما نسوا وما فيهما
مصدرية والكاف في كما للتعليل او للتشبيه لهم وكونهم يجحدوا بايات الله
ولقد جئناهم بكتاب التنكير للتعظيم وفي التعبير بجئنا به زيادة تعظيم له
فصلناه اي جعلناه فصولا هي اصول للامور الدينية والدنيوية على علم
عالمين كيف يجب ان نفصل حتى جاء حكيما وقرئ فضلناه اي رجحناه على
ساير الكتب عالمين بوجه رجحانه وانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم
يومنون حال من الهاء اي مفعول له اي لاجل هدى هل ينظرون اي ما
ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما ياتي بالتوقع له وانما قيل لهم
ينتظرون وان كانوا جاحدين لانهم بمنزلة المنتظرين في اتيانهم بانه لا
محالة اتيان المنتظر الا تاويله التاويل ما يؤل اليه حال الشيء يوم ياتي
تاويله اي يتبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يقول الذين
نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم

جاؤا

222

جاؤا بالحق وظهر ما اخبروا عنه فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا حذف
النون للنصب بالفا جواب التمني او نرد او هل نرد الى الدنيا وجوابه
فنعمل وقرئ او نرد بالنصب عطفا على يشفعوا اي فيشفعوا لنا او فنرد
او جملا لا وعلى معنى الى ان اي فيشفعوا حتى نرد فنعمل وقرئ بنصب
نرد ورفع فنعمل اي فنحن نعمل فالمعنى على الرفع تمني الشفاعة او الرد وعلى
اولى وجهي النصب تمني الشفيع للشفاعة بدون الرد وللرد ثانيهما تمني
الشفيع للشفاعة لفضيا الى الرد وسببا ووسيلة اليه غير الذي كنا نعمل
من الكفر والمعاصي قد خسروا انفسهم في الدنيا بابطال استعدادهم فلا
يجدي الرد على ما افصح عنه قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه استيناف
لبيان حالهم على وجه يتضمن الحكمة في عدم استجابتهم وضل اي وغاب
عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه من الهتهم ان ربكم
الله اي ليس ربكم ومدبركم وحافظكم ما عبدتموه من الاصنام والكواكب
والملائكة والجن بل كل ذلك مربوب ومخلوق محتاج الى مدبر وحافظ بل
ربكم وحافظكم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في موضع اخر
جعل الخبر موصولا بناء على كون ذلك معهودا عند السامع ومفروغا
من تحقق النسبة والعلم به في ستة ايام في صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد
وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثا وخلق النور يوم
الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم
الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين
العصر الى الليل والمراد من اليوم مقدار دور العرش من الزمان
ثم استوى على العرش استولى عليه بالتاثير في ايجاد الاشيا وانشا
صورها عليه قصدا مستويا من غير ان يلوي الى شيء اخر فهو
شانه الذي عليه كل يوم ولما ذكر الاستوا على العرش اخبارا عن نفاذ
امره وكمال ملكه واطراد تدبيره بين ذلك في عيان فقال يغشي
الليل النهار اي يغطيه يطلبه حثيثا من الحث وهو الحمل على السرعة

خال من الليل تقديره حاثا او من النهار وتقديره محثوثا و يجوز ان
ينتصب بحثا المصدر محذوف اي طلبا حثيثا اي حاثا او محثا والمراد
من طلب الليل والنهار تعاقبه اللازم فكانه طالب له لا يدركه بل
هو في اثره بحيث يطا و يدرك والشمس والقمر والنجوم عطف على السموات
مسخرات حال منها بامره متعلق بمسخرات و قرئ كلها بالرفع على
الابتدا والخبر الا له الخلق والامر اي هو الذي اوجد الاشيا وصرفها
بارادته كيف يشا جملة اعتراضية مبنية لما ذكر من التوحيد كالمقصود
منه و لذلك صدرها بحذف والبينه وقدم فيها الطرف للتخصيص ايذانا
بان اهم الاشيا اعتقاد التوحيد في الخلق والتدبير تبارك الله رب العالمين
اي فذلك هو الرب للجميع لا رب سواه فليجب تعظيمه اعتراض اخر
لبيان تعظيمه للتوحيد في الالوهية والربوبية للكل اي تعاظم
الواحد الموجد للكل المتصرف فيه بالربوبية وتوجيهه ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الاية
بان لا نكارهم فقال ان ربكم هو المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو
الله الموجد للكل على الترتيب الحكم المتيقن الدال على العلم والحكمة
والقدرة الذي انشا ملكه على ما نشاهده ثم عمد الى تدبيره كالملك
المتمكن في مملكته ليدبر ملكه فيصرف الدهر على ما نرى من تصريف
الملوى وسخر الاجرام السماويه بامره ونفذ امره بقضاياه وقدره
ثم صرح بما هو فذلكه التقرير في بيان التوحيد بالجملة الاعتراضيه
الاولى واوضح عن المقصود من التركيب كالنتيجة بالجملة الاعتراضيه
الثانيه ثم امر بتخصيصه بالعبارة والدعوة متضرعين متذللين
ذي خفيه بقوله ادعوا ربكم تضرعا التضرع التذلل وهو الكل في
اظهار الذلة الذي في النفس وخفيه كيلا يشوب الدعا معنى الريا
والاخفا اغماض الشي بحيث لا يقع عليه الادراك وفي التعبير عن
قسم الدعا خفيه بما ذكر اشارة الى ان الدعا جهرا انما يصلح مامورا
به اذا كان مقرونا بالاستكانة والتذلل انه لا يحب المعتدين استينا
لتعليل ما قدمه عبارة واشارة والاعتداد تجاوز الحد الذي لا ينبغي

تجاوز

تجاوزه اي ان الله تعالى لا يحب المجاوزين ما امروا به في كل شي
من الدعا وغيره ففيه تنبيه على انه لا ينبغي الصياح في الدعا والاسهاب
فيه وطلب ما لا يليق ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد
اصلاحها ببعث الانبيا عليهم السلام وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
خايفين من عقابه طامعين في ثوابه والخوف هو الانزعاج بما لا
يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب وانما قدم الخوف لانه اهم ان رحمة
الله قريب من المحسنين استيناف لتعليل ما قدمه من القيدين عبارة
واشارة اما الاول فظاهر فان الاخبار التاكيدي عن قرب رحمته
مطمع واما الثاني فلان اشتراط الاحسان وهو ورا الايمان والاسلام
مظنة الخوف لعامة المومنين وقد قال كثير من العلما ينبغي ان يغلب
الخوف على الرجا طول الحيوة فاذا جا الموت غلب الرجا ومن هاهنا
اتضح وجه اخر لتقديم الخوف على الطمع وتذكير قريب لان الرحمة بافل
بالرحمة والترحم او لاكتسابها التذكير من المضاف اليه كما ذكروا في قوله
ما ان مفاتحه ليوموا ابالباء النحاتية واما التكبير لكون التانيث
غير حقيقي فوهم لوجوب التانيث في نحو الشمس طالعة والموعظة
نافعه وهو الذي يرسل الرياح وقرئ الريح على الواحدة والاول اولى
لان الغالب استعمال الجمع في الرحمة واستعمال المفرد في العذاب
ولهذا قال عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا نشرا
بضمتين جمع نشور بمعنى ناشر ونشرا بتخفيفه نشر كرسل ورسل
ونشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى المفعول ونشرا بفتح النون على
انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مطلق فان النشور
والارسال متقاربان وبشرا جمع بشير وبشر بتخفيفه وبشرا بفتح البا
مصدرا من بشر بمعنى بشره وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي
الغيث الذي هو من اهم النعم واهلها نفعا وقد سبق بيان عبارة ما
في بين يدي من الدلالة على القرب ولهذا اوثر على عبارة الامام والقدام
قيل ان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب حتى اذا اقلت
حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى

ما بين يديه قليلا سحابا ثقالا بالما جمعه لان السحاب جمع سحابه سقناه
الضمير للسحاب على لفظه ونسب السوق اليه تعالى بنون العظمه
التفاتا لما فيه من عظم المنة وجليل المنة لبلد اي لاجله ولا يلزم ان يصل
له وجه مزيه اللام على الى ميت الموت تجديه وعدم نبات لانه من
حيث عدم الانتفاع لبسه كالجسد الذي لا روح فيه فانزلنا به اي بالبلد
او بالسوق او بالسحاب والبا للسببيه وعلى الاول تحتمل الظرفيه والالصاق
الما المعهود وهو ما نقل به السحاب فاخرجنا به اي بالما لانه اقرب لفظا
ومعنى لا الى البلد على ان البا للظرفيه من كل الثمرات فان جميع انواعها
لا تخرج في البلد وقوله وهو الذي انزل من السماء ما فاخرجنا به
نبات كل شي صريح في المعنى الاول والقران يفسر بعضه بعضا كذلك
اي مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى من الاجداث
قال الكلبي وذلك اذا امات الناس كلهم مطرت السما اربعين يوما
كمني الرجال فينبتون في قبورهم بذلك المطر كما ينبتون في بطون امهاتهم
ثم يخرجون في النفخة الاخرة وبينهما اربعون سنه لعلكم تذكرون
فتعلمون ان من قدر هذا اقدر على ذلك والبلد الطيب الارض الكريمة التربه
وتخصيص البلد بالذكر لانه اصلح مبنيا على ما بنيه عليه في الخبر الا نوى هو و
قوله الرجال من القرى ولهذا اسقط في مقابله يخرج نباته باذن ربه
بتيسيره غرضه عن كثرة النبات وحسنه لانه اوقعه في مقابله والذي
خبث الشجر الذي لا ينبت ما ينتفع به لا يخرج الا نكدا النكد الذي لا خير
فيه ونصب على الحال تقديره لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا
لوقوعه موقع الفاعل او تقديره وبيان الذي خبث وقرئ يخرج من
خرج فيكون نكدا مفعولا وقرئ نكدا بفتح الدال على المصدر اي ذا نكد
ونكدا باسكانها للتخفيف كذلك مثل ذلك التصريف والترديد نصرف
الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى ويتفكرون
فيها ويعتبرون بها والايه مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن يرفع
اليها راسا ولم تباشرها لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف ولا يكاد

تقع

تقع هذه اللام الا مع قد لان الجملة القسميه مظنة التردد ونوح عليه السلام
اول من شرعت له الشرايع وسن له السنن وليس بينه وبين ادريس عليهما
السلام نبي وقال الى قومه لان بعثته كانت مخصوصة لقومه كبعثة
ساير الانبياء عليهم السلام غير نبينا عليه السلام فان بعثته عامة
خاصة ولا ينافي هذا قول نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من
الكفرين ديارا لان من لم تبلغه دعوته لا يدخل تحت هذا الدعا فقال
يا قوم اتى هنا بالفا الدالة على التعقيب بدون الامهال دلالة على
الاستعجال في الامتثال اعبدوا الله اي وحدوه وافردوه بالعباده لتفرده
بالالوهيه ما لكم من اله غيره بيان لوجه اختصاصه بالعبادة وقرئ غيره
بالجر على اللفظ والرفع على المحل كانه قال ما لكم اله غيره بالنصب على
الاستثنا اي ما لكم من اله غير الا اياه اني اخاف عليكم وعيد وبيان للداعي
الى عبادته تعالى وموقعها الاعتراض عذاب العذاب هو الالم الجاري
على الاستمرار يوم عظيم هو يوم القيمه او يوم نزول العذاب وهو
الطوفان قال الملا الملا الجماعة الشريفة لانهم يملؤن النفس والعين بجلالهم
وجمالهم على انه ماخوذ ويحتمل ان يكون ماخوذا من تمالا القوم على امر
اي تواقفوا ومنه قول علي رضي الله عنه ما قتلت عثمان ولا مالات
في دمه والملا صفة غالبة وجمعه املا وليس من باب رهط وان كانا
اسمين للجمع لان رهطا لا واحد له من لفظه وملا يوجد من لفظه ما
قال احمد بن يحيى المالي الرجل الجليل الذي يملا العين فهو كغراب وخادم
فان اسم جمعها غراب وخدم من قومه القوم الجمع الذي يقوم بالامر
لا نسوة فيهم وفايده التقييد بالوصفين تجريد المسند اليه عن ناقصات
العقول كيلا يتوهم ان هذا القول صدر عن بعض ضعفائهم في الفعل
والراي واسناد الى الكل اسناد فعل واحد الى الجماعة انا لنراك استعاروا
الروية للعلم بلا شبهه تمهيد لما ادعوا من الظهور في المعلوم في ضلال
منغمسا فيه والضلال الذهاب عن صوب الصواب والتنكير للتعظيم
مبين بالغ فيه كمالا بعد بلغ قال يا قوم اضافه الى نفسه تمهيد لما ياتي
من دعوى الاخلاص والامحاض ليس بي ضلالة قدم الجار والمجرور للتعريض

لهو به وزيدت الباء للتقليل اي اقل قليل من الضلالة فضلا
عن الضلال العظيم الظاهر وما يتخايل من ان نفي المنهية ابلغ لان نفي
الشيء مع قيد الوحدة قد يكون بانتفاء الوحدة مضمحلا بان الوحدة ليست
صفة مقيدة بل اللفظ موضوع للجزء الاقل المتحقق مع الكثرة ولكني رسول
استدراك بطريق الكناية كانه قال ولكني على هدى كامل في الغاية
لاني رسول قابل تصريحهم بالتعريض الذي هو واقع في البلاغة وبالكناية
التي هي اقوى في الكناية واداة ظرفه باداة الملابسة لانها اوسع دايرة
فنفي النفي يكون اقطع لدايرة احتمال الضلال واداة تعظيمه في التضليل باداة
التحقير والتقليل ولا يخفى ما في هذه المقابلة على وجه المغالبة من المبالغة
في البالغة من رب العالمين فيه اشارة الى ان رسالته لمصلحة تربيتهم
ففيه اظهار لمكابرتهم وفرط عنادهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة
من الهدى الباهر بالضلال المبين الظاهر ابلغكم الابلاغ ايصال ما فيه
بيان الافهام ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من
اللفظ رسالات الرسالة جملة من البيان يحملها القايم بها ليوديها الى
غيرها وانما جمعها باعتبار تعددها بحسب الاوقات او باعتبار تنوعها
بحسب المعاني وفي قوله ربي بعد قوله من رب العالمين اشارة الى
ان في الرسالة رسالات عامة وهي للمرسل اليهم وخاصة وهي للمرسل
وانصح لكم النصيحة الدعاء الى ما فيه الصلاح وبالنهي عما فيه الفساد ومنه
قوله الدين النصيحة والنصح كذلك وخلافه الغش وفي زيادة اللام تاكيد
في امحاض النصح لهم ومبالغة في انها خالصة للمنصوح له مقصود لها
جانبه لا غير من نصيحة ينتفع بها الناصح ايضا واعلم من الله ما لا تعلمون
وعيد وتقرير لما في قوله عليكم عذاب عظيم اي اعلم من قدرته وشدة
بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا يتيسر لكم علمه اوعجبتم الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره اكذبتم وعجبتم والعجب تغير النفس مما خفي
سببه وخرج عن العادة مثله ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم كل ما ياتي من
الله تعالى فله حكم النزول فكان جاءكم معناه نزل مع ان يقال على رجل
ولا حاجة الى تقدير لسان منكم من جنسكم فانهم كانوا يعجبون من ارسال

البشر

البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملايكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
اي بارسال البشر وانما لم يقل على بشر بل اثر الاطناب على الوجه المذكور
لان المناسب لانكار تعجبهم ان يبين مجيء الرسالة على مقتضى الحكمة
وهو ان يكون الرسول من جنسهم ولا يكون انثى ولا صغير لينذركم
ليحذركم على ترك الكفر والمعاصي اكتفى باحد الفريقين عن الاخر وانما
خص الانذار بالذكر دون الابشار لانه اعم واهم ولتتقوا وليوجد منكم
التقوى ولم تعتبر سببية الانذار له والا لقيل فتتقوا ولعلكم ترحمون
لتقواكم والعطف بالواو دون الفاء للتنبيه على ان الرحمة من الله تعالى
تفضل لا يوجبه التقوى فهو في بقعة الامكان وكلمة الترجي للترجيح
جانب الوقوع حتى تزداد الرغبة في تحصيل التقوى ولا يعتمد عليه كل
الاعتماد فكذبوه ولك ان تقول في الوصل بينهما باداة التعقيب تنزيل
للتكذيب منزلة العذاب الذي يترتب عليه ولا يخفى ما فيه من التهويل
والتعظيم لامر التكذيب فانجيناه الفاء فصيحة وقد ذكر ما حذف في
موضع اخر والذين معه من البشر وساير انواع الحيوان وفي العبارة
المذكورة اشارة الى ان نجاتهم بسبب متابعتهم وبترك مصاحبتهم
فقوله في الفلك متعلق بمعه اي الذين صحبوه في الفلك واشتقاقه من
فلك ثدي المراة اذا استدار سميت السفينة فلكا لانها تدور على الماء
كيف ادبرت واغرقنا الاغراق الغوص المتلف في الماء الذين كذبوا باياتنا
كان اغراقهم بسبب تكذيبهم على ما اشير اليه واغراق ساير الحيوان
بشوم معاصيهم انهم كانوا قوما عمين استيناف على سبيل التعليل
وانما قال قوما على تغليب الذكور على الاناث تنبيها على تعشيهن
في الضلالة الحاصلة بسبب كونهم عمي القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والاول ابلغ للدلالة على الثبات والى عاد اخاهم
عطف على نوحا الى قومه وهم قوم سموا باسم ابيهم وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ومعنى اخاهم نسيبهم وانما
جعل منهم لانهم افهم لمقاله واعرف بحاله وارغب في اقتدايه هودا
عطف بيان لاخاهم قال يا قوم فيه استيناف على تقدير سوال سايل

قال فما قال لهم فقيل يا قوم وكذا اجوابه هنا فان قلت ما وجه
اختصاصه قول نوح عليه السلام بالعطف والربط اللفظي وقول هود
عليه السلام بالاستيناف والربط المعنوي قلت قصة نوح عليه السلام
ابتدا كلام فليس مظنة سؤال بخلاف قصة هود عليه السلام فانها
معطوفه على قصه نوح عليه السلام فكان مظنه ان يقال اقال هود
ام قال نوح اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره افلا تتقون
عاقبة الشرك الهمزة للانكار والفا لترتيبه على ما تقدم من موجب التوحيد
فهي مقدمه على الهمزه لعسى وان اخرت عنها لفظا محافظة على حق صدارتها
وكانه كانوا اقفين على نزول العذاب على مشركي قوم نوح عليه السلام
لقرب عهدهم منهم فلهذا انكر عليهم بهذه الصيغه وقال الملأ الذين كفروا
من قومه التقييد بالذين كفروا للتنبيه على ان اشراف قومه من امن به
لم يكن سعد الذي يتعلم وكتم ايمانه ولا مساغ لهذا التنبيه في قصة
نوح عليه السلام ولهذا لم يذكر ذلك القيد ثمة واما ذكره فيها في سورة
المومنين فلازم والتميز وان كانا في معرض اللزوم فلا كذلك الى اما انا
لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها خالفت اشراف قومك
واسلافك ولما كان هذا تخطئة له عليه السلام في فعله قالوا انا لنراك
على القطع واليقين وانا لنظنك من الكاذبين تخطئة في قوله ولا علم
عندهم بحقيقته انما متمسكهم التقليد بابائهم قالوا وانا لنظنك قال يا
قوم ليس بي سفاهة كنفي راسا يغني عن نفي الكذب ولكني رسول من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من
ربكم على رجل منكم لينذركم قد سبق تفسيره وفي اجابة الانبيا عليهم السلام
اممهم المكذبين عن كلماتهم الحمقى بما اجابوا به والاعراض مقابلتهم كمال
الشفقه وهضم النفس وحسن المماثلة المجادلة وكرم الخلق ليقتدي
بهم المومنون في ادب المناظرة والمعاشرة مع الخلق وفي قوله وانا لكم
ناصح امين تنبيه على انه مشهور فيما بينهم بالنصح والامانه واذكروا
حذرهم من انتقام الله تعالى ثم ذكرهم بالنعامه اذ جعلكم مفعول به لا
ظرف اي اذكروا ذلك الوقت خلفا من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في مساكنهم

او في الارض او جعلكم ملوكا فان منهم شداد بن عاد وزادكم في الخلق
بسطة في القامة والقوه والبدانه وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا
الآء الله اي فاشكروه على نعم الله تعالى وفي الكنايه بالذكر عن الشكر
تنبيه على ان هذا بحيث يستتبع عليها نفي تذكيرها اغنى عن الحث
على الشكر عليها لعلكم تفلحون لعل الشكر عليها يفضي الى الفلاح قالوا
اجئتنا كان له عليه السلام مكان يتحنث فيه معتزلا عن قومه
كما كان لرسول الله صلى الله عليه السلام حرا فلما اوحي اليه جا قومه
يدعوهم ويحتمل ان يكون يراد حقيقة المجي ولكن الغرض بذلك القصد
كما يقال ذهبت شين ولا يراد حقيقه الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا
لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك ونذر ما كان يعبد اباؤنا
انكروا واستبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عن الالهة
التي اعتكف عليها اباوهم حبا لما نشاوا عليه والفا لما صادفوا اسلافهم
يتدينون به فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين استعجال منهم لما
خوفهم من العذاب تكذيبا قال قد وقع قد حق ووجب عليكم او جعل
المتوقع الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع من ربكم رجس عذاب من
الارتجاس وهو الاضطراب وغضب اراده انتقام اتجادلونني في اسما
سميتموها انتم واباؤكم اي اسما بلا مسميات لانكم سميتموها الهة
واستحال فيها معنى الالوهيه ما نزل الله بها من سلطان تهكم بهم
لان المستحيل لا يمكن اثباته بالحجة ولا نزول الوحي فجمع بينهما اظهارا لفرط
جهالتهم فانتظروا اي لما تبين الحق وانتم مصرون على العناد فانتظروا
العذاب اني معكم من المنتظرين هذا غاية في التهديد والوعيد ولهاية
في الوثوق بما يحل بهم وانه كاين لا محاله فانجيناه الفا فصيحة وما
حذف هنا مذكور في مواضع اخر والانجا التخليص عن الهلاك واصله
من النجوة وهي الارتفاع من الارض والذين معه اي الذين اسعوا برحمة
منا عليهم لا بقوة منهم فيه اشارة الى ان هودا عليه السلام مع رتبته
في النبوة وقدرته في الرسالة انما نجا برحمة الله تعالى ليعلم ان النجاة
لا يكون باستحقاق الذات وكاستحقاق الثواب من العمل وانما يكون

بفضل من الله تعالى ورحمته ابتدا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا قطع دابرهم استيصالهم عن اخرهم لان الدابر الذي يدبر القوم ويأتي خلفهم فاذا انتهى القطع الى ذلك لم يبق احد وفي قوله بآياتنا دلالة على انه كانت لهود عليه السلام معجزات ولكن لنا بخصوصها وما كانوا مومنين تعريض لمن آمن منهم كمرثد وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان ولان النجاة مرتبة عليه كما ان الهلاك مسبب عن التكذيب كانه قيل قطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ولم يكونوا ممن امن والى ثمود منع الصرف اسم للقبيلة وقرئ بثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر اخاهم صالحا قد سبق وجه الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي حيث اجاءتكم من ربكم لتصدقني في دعوى النبوة هذه ناقة الله استيناف ووسايط معهوده فاضيفت اليه لكم اية نصب على الحال من ناقة الله والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له اية وهم ثمود فان دعوة هود عليه السلام كانت مخصوصة لهم فمعجزته كانت لاجلهم ومن وهم انها كانت معجزة لهم خاصة لانهم عاينوه وساير الناس اخبروا عنها فقد وهم اذ بعد ظهور المعجزة للاخبار المتواترة كافية لغير المشاهدين فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله تعالى والارض ارض الله تعالى فذروها تاكل فيها من العشب فليس الارض ارضكم ولا ما فيها من النبات نباتكم ولا تمسوها بسوء قد سبق ان في المس امرا زايدا على معنى الاصابة وهو تاثر الحاسة به وان سو العذاب لافظه ولا وجه لما قيل نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة العذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد لم يقل من عاد لما سبق انهم خلايف هم خلايف عاد بالذات وبوأكم نزلكم المباه المنزل في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها السهل ما ليس فيه مشقة على النفس من عمل او ارض قصورا القصر هو الدار الكبير بسور يكون به مقصورة قيل كانوا يسكنون السهل في الجبال والصيف في الشتا وتنحتون الجبال اي من

الجبال بحذف الجار واوصل الفعل اليه دل على ذلك قوله في سورة الحجر وينحتون من الجبال والنحت النحر والنشر في الشيء الصلب كالحجر والشجر فاذكروا آلاء الله امر من الذكر اللساني وهذا من الذكر القلبي آلاء الله انواع نعمه من التمكين في الارض والتسخير حتى بنوا القصور وشيدوا المنازل والدور مع طول الامال وتبليغ الرجال والمراد الامر بالشكر على تلك النعمة الكناية وفيها ايما الى انها من النعم الجسام التي لا مانع عن القيام بشكرها الا الغفلة عنها ولا تعثوا في الارض مفسدين قد سبق تفسيره في سورة البقرة قال الملا الذين استكبروا اي عن متابعة هود عليه السلام لان الاستكبار طلب تكبر فوق القدر حتى يودي صاحبه الى انكار ما دعي اليه من الحق انفه عن اتباع الداعي الى الحق من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بتكرير العامل بدل البعض من الكل سوا كان الضمير للذين او لقومه لان من المستضعفين من لم يومن وانما اثر اختلاف المرجعين من حيث انه على الاول لا يكون الاستضعاف مقصورا عليهم بحكم دلالة اللفظ بخلاف الثاني اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه كالامر قالوه على سبيل الاستهزا والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش ولهذا لم يقولوا انعم بل اجابوا بما نقل عنهم في قوله قالوا انا بما ارسل به مومنون ايذانا بان ارساله اظهر من ان يشكر فيه عاقل او يخفى على احد فيحتاج الى السوال لغاية وضوحه وانا زعم برهان انما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون كان الجواب المطابق انا بما ارسل به كافرون الا انهم عدلوا عن الظاهر اي ليس ما جعلوه معلوما مسلما من ذلك القبيل وايضا لم يردوا ان يثبتوا باثبات الرسالة فعقروا الناقة اسند الفعل الى الجميع لانهم امروا صاحبهم فتعاطى فعقر على ما ياتي التفصيل في سورة القمر ومن غفل عن هذا زعم ان الاسناد اليهم للملابسة والعقر الجرح بالة على اصلح النفس وهو من عقر الحوض وهو اصله وعتوا عن امر ربهم وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها وعتوا الامر بمخالفته على وجه التهاون به والاستكبار عن قوله وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا من

العذاب والايهام لقلة الاهتمام بذكره الى التحقير في امثال هذا المقام
والوعيد كره في الخير والشر ويعرف للقرينة عند الاطلاق ان كنت من
المرسلين استعجالهم للعذاب اظهار للجرأة في تكذيبهم فاخذتهم الرجفة الزلزلة
المحركة فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم وكذلك وحدها جاثمين باركين على
ركبهم غير قادرين على الحركة لقوله تعالى في سورة الذاريات فما استطاعوا
من قيام ثم صاروا كهشيم المحتظر وهو مذكور في سورة القمر فتولى
صالح عليه السلام عنهم وقال يا قوم اعبدوا الله لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية والظاهر انه كان
يتولى عنهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب تولي ذاهب عنهم منكرا
لاصرارهم ولوطا اذ قال لقومه دون قوله لهم اتاتون الفاحشة من اتى
المراة اذا غشيها انكار وتوبيخ لهم وتقريع على تلك الغفلة المتمادية في القبح
واللام في الفاحشة للجنس لانها الفاحشة على الحقيقة وما عداها ليس
من جنسها نظرا الى فحش التفاوت بينهما في ذلك المعنى ما سبقكم بها من
احد من العالمين الباء للتعدية ومن الاولى زايدة لتاكيد النفي والاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما عملها احد قبلكم قط وهو جملة استينافية مقررة
للانكار وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم فانه اسوا الفحش
لعدم المجال للاعتذار بالتقليد اينكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون
الفاحشة والهمزة مثلها في الانكار والاستقباح كررت للتاكيد
للانكار تفصيلا واجمالا وهي مع ان ابلغ في الانكار وقرئ انكم على
الاخبار المستانف وفي التقييد بقوله شهوة وهي مطالبة النفس
بفعل ما فيه اللذة زيادة استهجان ووصف لهم بالبهيمية الصرفة
ولا ترا اعظم منه اي لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة لا طلب النسل
وبقاء النوع الذي هو مقتضى العقل فهو مفعول له او مصدر في موقع
الحال اي مشتهين تابعين للشهوة وقوله من دون النساء نصب
حال من الرجال منفردين والمعنى تطاولون الرجال بمجرد الشهوة البهيمية
ولكم عنها بدل ففيه تذكير لتجاوزهم المعتاد المطبوع المشروع وافهام
لعدم ضرورة الداعية الى ذلك الفعل القبيح وفي ذكر الرجال دون الذكور

للقابل

المقابل للنساء زيادة تقبيح لصنيعهم الشنيع باظهار انهم يفعلونه بامثالهم
في الرجولية وذلك لا يخلو عن الايماء الى انهم يفعلونه كرها لان مقتضى
الرجولية الامتناع عنه بل انتم قوم مسرفون انكر عليهم مخالفة الفعل
ثم اضرب عن الانكار بالانكار عنهم عالهم التي هي امر وهو
حب ارتكاب جميع القبايح اي فليس هذه غريبة عن عادتهم حتى
ينكر عليهم وهي انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء
فمن اسرفوا في باب الشهوة ايضا وما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم من قريتكم اي وما جاوا بما هو جواب له عما كلمهم به ولمح
لهم فيه من انكار الفاحشة واستعظام بالقائه دعارتهم وخبثهم
ولكنهم قابلوا نصيحته ووعظه بالامر ومن معه من المومنين من
قريتهم وهي من القرى وهو الجمع سميت بها لما فيه الابنية لانها تجمع
الناس في الاقامة الا انه صار بالعرف عبارة عن مجمع الناس
في منازلهم متجاورة بقرب صنيعه يأوي اليها الاكياه انهم اناس يتطهرون
استيناف بطريق الاستهزاء كانه قيل لهم لم تخرجونهم من قريتكم فقالوا
لانا قوم سوء نون بالفواحش وهم اناس يبالغون في التنزه منها فلا
حاجة لاختلاط الطاهرين بالخبائث وهذا غاية السخرية منهم وهذا
ليس بجواب عن انكارهم وتوبيخه لكنهم قالوه تضجرا منه عقيب الكلام
وفي اطلاق الجواب عليه اشارة الى انهم كانوا ملزمين حتى لم يقدروا
على ان يتكلموا في معرض الجواب بشيء سوى هذا وهذا قريب من
اسلوب الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
ولما كان مآل المعنى انهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك الى الطريقة
المذكورة المبالغة في عدم قدرتهم اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله
تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله وبين قوله
تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين لان المنقول فيهما
ايضا ليس بجواب حقيقة وان كان مذكورا في معرض الجواب والله اعلم
بالصواب فانجيناه الفاء فصيحة والمحذوف عن مذكور في موضع اخر
والمراد من الانجاء اخراجه من بينهم قبل نزول العذاب واهله اهل بيته

لامن تبعه في الدين لقوله الا امراته كانها كانت تسر الكفر كانت من
الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم يقال في العذاب امطرت وفي الرحمة مطرت و تعديته
بعلي لما فيه من معنى النزول مطرا نوعا من المطر عجيبا غير معهود
اذا كان المطور عليهم الحجارة على ما بين في موضع اخر فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين من قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والمراد
نظر التفكر في هذه الاية ذلك السلك القطيع والى مدين اخاهم شعيبا
اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين ابن ابراهيم عليه السلام وشعيب
ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته
لقومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره قد جاتكم
بينة من ربكم معجزة شاهدة سوى ولم يذكر في القران فان ما ذكر فيه
وفي التفاسير متاخر عن هذه المقاوله فاوفوا الكيل والميزان اي الة الكيل
لا لقوله والميزان لانه يجي بمعنى الوزن بل لقوله في سورة هود عليه السلام
والمكيال ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد والمراد الايفا في الكيل
والوزن او يراد الكيل ووزن الميزان على الاضمار واطلاق الكيل على
المكيال كالعيش على المعاش هذا عند القوم والذي هو عندي ولعله
ادق وبالقبول احق قد سبق في سورة الانعام والمراد بايفا الكيل
والميزان ايفا ما يكال ويوزن فنسب الى الفعل مجازا او الى الة
الملابسة كانوا اهل بخس للمكاييل والموازين فامرهم بالايفا ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تنقصوا حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم كانوا
يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وكانوا مكاسين لا يدعون
شيا الا مكروه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد
ما اصلح فيها الانبيا عليهم السلام بالعدل والايمان ذلكم اشارة الى العمل
بما امرهم يدرون ما هم فيه خير لكم مطلقا ان كنتم مومنين بزعمكم
لان قضية الايمان العداله او خير لكم في الانسانيه وحسن الاحدوثه
او فيما تطلبون من الكسب والربح وزيادة المال لان الناس اذا عرفوا
منكم الامانه والعداله رغبوا في متاجرتكم ان كنتم صادقين لي فيما

هود

اقول لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تقعدوا الشيطان في قوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل منها من مناهج الدين
وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا وطريق الحق وان كان
واحدا لكن يتشعب الى عقايد ومعارف حقه وفضايل واعمال وجمله
وحدود واحكام كثيره فكانوا اذا راوا احدا يسلك طريقا منها او يتكلم
فيها منعوه واوعدوه وصدوه وقيل كانوا يقعدون بالمراحيل ويقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتنك عن دينك كما كان تفعل قريش بمكه
ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقعدون الصراط ومحل توعدون
وما عطف عليه النصب على الحال اي تقعدوا موعدين وصادين
وباغينها عوجا ومن آمن مفعول يصدون على اعمال الاقرب ومفعول
توعدون محذوف لدلالته عليه ولو كان مفعول توعدون لكان
وتصدونهم الا ان يجعل تصدون بمعنى تعرضون لازما والضمير في به
لله اي توعدون وتصدون من آمن بالله عن سبيله تبغونها اي تطلبون
سبيل الله عوجا تصفون للناس بالعوج وانها معوجه وغير مستقيم
فلا تسلكوها او بالقاء الشبه وقيل الضمير المذكور الى كل صراط اي
توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله
موضع الضمير تقبيحا لما كانوا عليه ودلالة على عظم ما يصدون عنه
ويبغونها عوجا تهكم بهم اي تطلبون ما هو محال واذكروا اذ كنتم قليلا
عددا او عددا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين من قوم نوح عليه السلام وهود وصالح ولوط عليهم السلام
وكانوا اقرب العهد بهم اصحاب الموتفكة والمراد من النظر الاعتبار بهم
وان كان طايفة منكم من الطوف صفه غالبة اقيمت مقام الموصول
ماخوذة من الاجتماع على الطواف آمنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم
يومنوا اطلقه هنا ايماء الى ان عدم الايمان بما ارسل به بني يستلزم
عدم الايمان بما ارسل به ساير الانبيا عليهم السلام لان كلا منهم يصدق
الاخرين فاصبروا الصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع حتى يحكم
الله بيننا اي فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين بنصر المحقين

على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكفرين حتى يحكم الله بيننا لان حكمه
حق وعدل لا يخاف حيف ولا ميل والحكم المنع من الخروج عن الحق وهو خير
الحاكمين قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا
معك اي امنوا بما ارسلت به بالعين لك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القريه ولما عودكم في الكفر والعود
هو الرجوع الى الحالة التي كان عليها لما شركوا شعيبا في الاخراج مع الذين
امنوا معه شركوه في العود تغليبا للجماعة على وان لم يكن عليه السلام
في ملتهم قط لان الانبيا عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر مطلقا قال اولو
كنا كارهين الواو للحال والهمزة للاستفهام الانكاري اي العود فيها
ونحن كارهون لها او تعيدنا فيها على كراهتنا اياها قد افترينا اخبار مقيد
بالشرط وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغه وادخل
عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود ملتكم
بعد ان وفقنا الله تعالى للنجاة منها بالتوحيد لانا علمنا ان لا شريك له
فان زعمنا ان له ندا فلا افترا اعظم من افترائنا وقد سبق معنى الافترا
ووجه تقييده بقوله على الله كذبا ان عدنا في ملتكم شرط جواب محذوف
دل عليه قد افترينا استيناف في معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله
تعالى ان عدنا لانا تحققنا التوحيد وتيقناه فادعا الشركة مع اعتقاد التوحيد
افترا في غاية القبح وقيل جواب قسم على تقدير حذف الام اي لقد افترينا
على هذا التقدير بعد اذ نجانا الله منها اي حفظنا عنها فان النجاة الحقيقيه
انما تكون بعد الابتلا ولا ابتلا هنا فلا بد من الصير الى اقرب المجاز وما
يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا وقت ان يشا الله ربنا عودنا هذا
هو الذي يقتضيه المساق وتقدير الخذلان من خذلان التقدير وسع
ربنا كل شيء علما لم يقل قدرة او ارادة لان الاخبار عن سوء قدرته او
ارادته لكل شيء انما يناسب المقام اذا كان مساق الكلام للاشعار بوقوع
المستثنى واما اذا كان مساقه للاشعار بعدم وقوعه فلا يناسب
ذلك انما المناسب في الاخبار عن سعة علمه وحكمته وفايده هذا الاشعار
حسم طمعهم في العود بالتعلق على ما يكون وفي زيادة ربنا مع تمام الكلام
بدونه نوع تاييد للاشعار المذكور وفضل تاكيد للحسم المزبور من حيث

ان

وهو خير للحاكمين

ان الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا على الله
خاصة توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويحفظنا عن الشر والعدوان
ربنا افتح بيننا وبين قومنا احكم بيننا وبينهم بالحق والفتاحة الحكومة
والفتاح القاضي او اظهر امرنا بالفتح ما بيننا وينكشف ويتميز المحق من المبطل
بانزال العذاب عليه وانجا المحق من المبطل اذا بينه وانت خير الفاتحين
على المومنين وقال الملا الذين كفروا من قومه اي قال بعضهم من بعض
لين اتبعتم شعيبا فيما امركم به ونهاكم عنه في معاملتكم انكم اذا الزلزلة
الحادثه من الصيحة المذكوره في سورة هود فاصبحوا في دارهم جاثمين
قد سبق تفسيره الذين كذبوا شعيبا مبتدا كان لم يغنوا فيها خبره وكذا ما بعده
اي كان يقيمون فيها تقال بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين بالغ في تقدير هلاكهم بوجوه بالاستيناف
وابدا الموصول كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالاستيصال
لحفايه لتكذيبهم وبقوله كان لم يغنوا فيها اي ما بقي اثرهم كان لم يكونوا
وبالتكرير على الوجه الاول وبكونهما اسمين وتعريف الخاسرين بلام
الماهيه وباطلاق الخاسرين في الدارين وتوسيطهم في الثانيه اي هم
الاخصا بالخسران المطلق لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
فيها كل ذلك والمقالم الملا فيما بينهم وتسفيها لرايهم واستهزا بنصح
بعضهم لبعض فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم كلام قاله بعد هلاكهم تاسفا وتحزنا عليهم لا استحقاقهم ما حل
بهم بكفرهم وشدة حزنه عليهم فقال فكيف اسى على قوم كفرين ليسلي باهل
للحزن عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم اي لقد
اعتذرت اليكم بالغت في الابلاغ وبذلت وسعي في النصح لكم والتحذير عما
نزل بكم فلم تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم اي فلا احزن عليكم بعد
التي والتنا لكفركم وكونكم غير مستحقين لذلك وما ارسلنا في قرية من نبي
تعديه ارسل بالى وانما الى في اعتبار المعنى الاستقرار فانه قول على
الاستمرار على الابشار والانذار وعند ذلك يظهر استحقاقهم بالابتلاء
الاتي ذكره الا اخذنا اهلها اي الا اخذت اهلها فهو استثنا مفرغ يبين

لاهوال بالبأساء بالبوس والفقر والضراء والضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع
النبي وتقديرهم والشده والبلا تلين القلوب القاسيه الابيه وتذلل
النفوس الطاغيه القويه لعلهم يتضرعون لكي يتذللوا ويضعفوا سحاب العز
والكبرة والنخوة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنه لفظة ثم للدلالة على امتداد تلك
الحالة ويؤيده ما في عبارة المكان من الاشعار بالتمكن اي وردنا مكان
الحالة السيئة الحالة الحسنه فبدلين احدهما بالاخرى اذ كلاهما للابتلا
قال تعالى ونبلوكم بالحسنات والسيئات والحكمة ان النفوس الجافيه
الغليظة تنقهر وتنكسر بالبلا والشدة والنفوس اللطيفه تنقاد وتطيع
بالسعة والنعمة حتى عفوا كثروا عددا وعددا بالنمو في انفسهم واموالهم
من عفى النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقالوا قد
مس اباءنا الضراء والسراء بطرا واشد ابا النعمة ونسيانا للنقمة واعتقادا ان
هذه الدهر يضيق تارة ويوسع اخرى ويتعاقب فيه المحنة والمنحة كما
عليه حال ابائنا فلم يروا ذلك ابتلا من الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا
يشعرون بما لم ينتهوا عن غفلتهم باحدى الحالتين فلم يبق الآن اخذناهم
اشد الاخذ بالعذاب وهو الاخذ فجاة من غير شعور لانه اعظم حسرة
ولو ان اهل القرى اللام للعهد والاشارة الى القرى التي دل عليها وما ارسلنا
في قرية امنوا وصدقوا بدل كفرهم وتكذيبهم واتقوا بدل عصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير كل في شي ومن كل جهة
وبشرناهم وقيل لاتيناهم المطر والنبات ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما
كانوا يكسبون بسوء كسبهم العناد من التكذيب والعصيان افامن اهل القرى
الفا للعطف على فاخذناهم وكذا الواو في اوامن ولو ان اهل القرى اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه والهمزة للانكار اي بعد اخذنا اياهم
من اهل هذا القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا البيات ان كان مع البنونه
فظرف اي وقت بيات وان كان بمعنى التبييت نوع من الاتيان كانه
قال ان يأتيهم بأسنا تبييتا وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او
المستتر في بياتا او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى نصب على الظرف
والضحى البكرة والضحوة وهم يلعبون يشتغلون افامنوا مكر الله تكرير

للتاكيد وتقرير للجملتين على سبيل التعميم باستعارة لطيفة وهي استعارة
المكر للاخذ بغتة بلا شعور منهم استدراجا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي اذا كان استدراجه واخذه على هذا الوجه فلا يأمن مكر الله الا
القوم الذين خسروا انفسهم بالكفر وترك النظر والاعتبار في تكرير مكر الله
الا الذين خسروا دون يأمن مكر الله لقوبل وزيادة للمبالغة اولم يهد
للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي اولم
يهد ويبين للذين يخلفون من مضى قبلهم واهلكنا هم الوارثين كما
اهلكنا الموروثين اولم يبين لهم ذلك وقرئ نهد بالنون على ان قوله
ان لو نشاء فاعله وبالنون على انه مفعوله وان مخففة من الثقيلة فعمله
في ضمير الشان وتعديه فعل الهداية باللام الى المفعول الاول لما
فيها من معنى التبيين ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد
اي يغفلون عن الهداية ونطبع او مبتدا عطف الجملة على
الجملة اي ونحن نطبع ولا يستقيم عطفه على اصبناهم بمعنى وطبعنا
لانه في سياق لو فيودي الى نفي الطبع والقوم مطبوع على قلوبهم فهم
لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى اي قرى الامم المار ذكرهم
نقص عليك من انبائها حال منها كقوله هذا بعلي شيخا او خبر ثان او القرى
صفة تلك ونقص خبر ومن للتبعيض اي نقص عليك بعض انبائها
ولهم انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجي الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل من قبل الرسل
بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا الى اخر اعمارهم
بما كذبوا اولا حين مجي الرسل اي استمروا على التكذيب مع تكرر المواعظ
وتتابع البينات ولم تلن قلوبهم حتى ماتوا وتاكيد النفي باللام للدلالة
على ان الايمان كان منافيا لحالهم في تصميمهم على الكفر طول عمرهم
وشدة شكيمتهم في عنادهم كذلك اي مثل ذلك الطبع العظيم يطبع
الله على قلوب الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالايات والنذر وفيه ايذان
بان سبب الطبع كفرهم الاصلي وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الناس او الامم
المذكورين لان الاقل من كل منهم امنوا والناس على الاطلاق فالجملة اعتراض

من عهد اراد بنفي العهد نفي الوفا به على سبيل المبالغة بقا[ل] قاله العهد ما
بنكث العهد والمراد من العهد اما ميثاق الفطرة في الايمان والتقوى
واما قولهم عند النصر والمخالف لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين او
عدهم مع الانبيا عليهم السلام كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي علمنا هم من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول ان المخففة واللام الفارقة فيه وذلك لا تجوز الا في المبتدا والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا
الارسال وهو في الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشي من بعدهم
الضمير للرسل او للامم موسى باياتنا بمعجزاتنا الى فرعون وملايه اي الاشراف
من قومه لقب من ملك مصر فرعون من العمالقة فظلموا بها الظلم وضع
الشي في غير موضعه وتعديته بالبا لتضمنه معنى الجحد والمراد من ظلمهم
اختيارهم الكفر على الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين النظر تحديق
القلب الى المعنى لادراكه فكانه قيل فانظر بعين القلب كيف كان عاقبتهم
بسبب افسادهم وموضع كيف نصب لانه خبر كان وتقديره انظر
اي شي كان اجرام الذين فسدوا وقال موسى يا فرعون خطاب له بحسن
ما يدعى به واجماله مما عرفت انه من الالقاب الشريفة المخصوصة
بملوك العمالقة ففيه ايذان بالامر الوارد في قوله تعالى وقولا له قولا لينا
اني رسول من رب العالمين لم نقل اليك لعدم اختصاص رسالته عليه السلام
له ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى عليه السلام بما نبههم
على انه مبطل في الوصف الذي ادعاه حقيق على ان لا اقول جواب لتكذيبهم
اياه في دعوى الرسالة المفهوم من قوله فظلموا بها وقرئ علي بالتشديد
اي واجب علي وعلى قراءة التخفيف معنى حقيق جدير وخليق الا انه طن معنى
المجبول ولذلك عدى بعلى اي مجبول على ذلك جدير به وفيه اشارة
الى ان من هو في مقام الرسالة يكون في غاية العصمة عن وهم الكذب
حتى لو قصد لا يقدر عليه على الله الا الحق انما قال على الله لان في الرسالة
تحمل العهدة على المرسل الذي نقل عنه الرسالة قد جئتكم ببينة من ربكم
اي قال بما سبق اني رسول رب العالمين ادعى الرسالة ثم ارخ فيها بما

يدل على صحتها ولما قرر رسالته فرع عليها تبليغ الحكم بقوله فارسل اي
فاطلق معي بني اسرايل اي يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم
ومولد ابايهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال نقلا منذ
توفي يوسف عليه السلام وانقرضت الاسباط قال ان كنت جيت باية
من عند من ارسلك فات بها فاظهرها واحضرها عندي لتثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه اصل الالقا من
اللقا الذي هو الاتصال فالقى عصاه ازال اتصالها مما كان وعصا
عود يابس واصله الامتناع منه يقال عصى اذا امتنع ومنه الوصي لمن
عصى فاذا هي اذا للمفاجاة والفا للتعقيب ثعبان حية عظيمة يقال
انثعب الما جرى باتساع المنثعب وهو المجرى الواسع ومنه الثعبان
لانه يجري باتساع لعظمته مبين ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة
لا شي يشبه الثعبان كما يكون الاشيا المزورة بالشعوذة والسحر ونزع
يده اي اخرجها من كيبه لقوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج
والنزع اخراج الشي مما كان متصلا وملابسا به فاذا هي بيضا لها شعاع
يكاد يغشي الابصار ويسد الافق وفي قوله للناظرين دلالة على ان
بياضها كان شيا يجمع الناظرين على النظر اليه لخروجه عن العادة بيضا
للنظار لانها كانت حسنها حقيقة ويرده قوله تعالى في موضع اخر تخرج
بيضا للناظرين من غير سوء لانه صرح في انقلابها ابيض لا من مظنته
السوء عند ذلك قال الملا من قوم فرعون وقال في موضع اخر قال للملا
حوله وذلك انه قال هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكى
عنه تارة وعنهم اخرى وفي عبارة الملا نوح الى هذا اشارة من حيث
ان الملا جماعة يجتمعون للتشاور ان هذا الساحر عليم فايق فيه اي علم
السحر وهو لطف الحيلة في اظهار الاعجوبة توهم خرق العادة لخفا سببه
يريد ان يخرجكم من ارضكم بان يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل بعضكم
الى ان يحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا تامرون ماذا مفعول
ثان لتامرون على سبيل التوسع فيه بان حذف منه حرف الجر والمفعول
الاول محذوف باي شي تامرونني من امرته فامرني بكذا اذا شاورته

شاورته فاشار عليك براي عبر عند غلبة سلطان المعجزة فنسي دعوى
الالوهية ومرتبة كونه امرا وناهيا حتى خاطبهم خطاب الاولاد المقهورين
المامورين قالوا ارجه من الارجا وهو التاخير اي اخر امره وهذا ابدا على
تقدمهم على فرعون بقتله على ما دل عليه قوله تعالى وقال فرعون ذروني
اقتل موسى فقالوا اخر قتله واغلبه بالحجة كيلا يدخل على الناس الشبهة
توهموا انهم بالتاخير وتقديم التدبير وبذل الجد والسعي يوترون شيئا
من القدير واخاه يعني هرون وكان معه على ما ذكر في موضع اخر وارسل
في المداين حاشرين للحشر السوق من الجهات المختلفة الى مكان واحد
وتعديه ارسل بالى وانما الى بفي تضمنا لمعنى الاستقراء ليفيد الاهتمام في
امر الحرو لان المقصود اتيان مهرة السحرة ومن وهم الطليعة العلماء من ذلك
الجنس وهو لا يكون الا بالتتبع والتفحص ولا بد من مكثه في بطايهم من المداين
ياتوك بكل ساحر عليم وفي دخول كلمة كل على المفرد دلالة على ان كل واحد منهم
منفرد عن الاخرين مطلوب بالاتيان ومقصود اصالة وبالذات وجا السحرة
فرعون اي فارسل الحاشرين وجا السحرة فالواو فصيحة كالفا في قوله فجمع
السحرة قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استيناف على سايل سال
ما قالوا اذا جاوه فاجيب بقوله قالوا ان لنا استفهاما والقراة بالاخبار
اوقع للدلالة على انجايهم عليه اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد لنا اجر كثير ومثل
هذا التنكير في افادة التعظيم والتكثير قولهم ان له لابلا وان له لغنما
والاجر الجزا بالخير فان الجزا قد يكون بالخير والشر بحسب العمل وبحسب
ما تقتضيه العدل والغلبة ابطال المقاومة بالقوة قال نعم مجيبا
لهم عما سالوا الواو للعطف فانه نعم لكم ذاك وانكم لمن المقربين الى
مراتب الجلالة التي تكون فيها الحاجة ولا تحط اليها العامة حقق امنيتهم
وزاد على ذلك ما لم يتصوروه مع المبالغة بان واللام لا تقتصر على الثواب
العظيم وان لكم مع الثواب ما تقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم
لهم تحريضا لهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين الالقا
ارسال العمد الى الجهة السفل وضد الامساك واما للتخيير والتقدير
اما ان تلقي انت اولا ان تبدا انت او بدنا فلا خوف علينا ولا احذار

وقيل

وقيل بل احترموا وبركة ذلك اسلموا ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا
قبله فنبهوا عليها بتغيير العظم الى ما فيه رجحان طرفهم في الالقا من الجملة
الابتدائية والتاكيد بتوسيط الضمير وتعريف الخبر قال القوا لما كارموه
بالتخير كرمهم موسى عليه السلام وسوغ لهم ما تراغبوا فيه اظهارا للفضيلة
وتحقيرا لهم واندارا بشانهم وثقة بالله تعالى وما خصصه من التاييد
السماوي وان المعجزة ان تغلبها سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس
خيلوا اليهم ما الحقيقة بخلافه واروهم بالحيل والشعوذة ما لا وجود له
ومن هنا ظهر ان السحر لا تقلب عينا وانما هو من باب التخييل واسترهبوهم
مع الفزع وجاوا بسحر عظيم وصفه بالعظيم لتقديم امر الحيلة فيه وشدة التمويه
به حتى احس موسى في نفسه خيفة واوحينا الى موسى ان الق عصاك ان
مصدرية ويجوز ان تكون المفسرة لان في الوحي معنى القول فاذا هي اذا مفاجاة
والفا فصيحة اي فالقاه فاذا هي تلقف تبتلع تبا ولا تبهابسرعة منها
وتوبة قراة تلقم اي تبتلع كاللقمة ما يافكون الافك قلب الشي عن وجهه
وما موصولة اي وما يافكون او مصدرية اي افكهم تسمية لها فوكا افكا
فوقع الحق الوقوع ظهور الشي بوجوده نازلا الى مستقره والحق في كون
الشي في موضعه الذي اقتضته الحكمة وبطل ما كانوا يعملون من السحر
والمعارضة فغلبوا هنالك اي عند ذلك المجمع وانقلبوا صاغرين اي رجعوا
الى المدينة اذلا مقهورين والضمير لفرعون وقومه وانما قال والقي
السحرة ساجدين دون وخروا سجدا للمبالغة كانه القاهم ملق لشدة
خرورهم لان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك
وقد وفقهم الله تعالى لذلك ودبر الامر لتنكير فرعون وقومه بالذي
ارادهم كيد موسى عليه السلام قالوا امنا برب العالمين لما استشعروا
ان يتوهموا انهم ارادوا فرعون تداركوه بقولهم رب موسى وهرون ان
ابدلوه منه قال امنتم به استيناف على سبيل الانكار والتوبيخ اي فعلتم
هذا الفعل الشنيع وقرئ بالاخبار وهو ايضا تقريع وتشنيع بدلالة ما
بعده به اي بموسى عليه السلام لا بالله تعالى لان قوله في سورة الشعرا انه
لكبيركم الذي علمكم السحر لا يستطيعه قبل ان اذن لكم فيه اذنان لو هن امره

حيث جعل ذنبهم مفارقة الاذن دون نفس الايمان به ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اي صنيعكم هذه الحيلة وحيلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد وتواطأتم عليها لتخرجوا منها اهلها القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل قاله تموها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وعيد مجمل مفصل لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا وذلك للتشديد في العذاب والتغليظ فان الانسان لا يتعطش بيد واحدة ورجل واحدة اذا كانتا من جانب واحد بخلاف ما اذا كانتا من جانبين ولهذا تقطع رجل السارق بخلاف ما اذا كان القطع من خلاف فان الموت بعده خصوصا اذا كان متراخيا للاحد بل فاراد فرعون ان يضمن وعيده التشديد بتجديد العذاب بالقتل بعدما زال الم القطع وعار لذة الحيوة على ما دلت عليه كلمة ثم في قوله ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من قطع وصلب قالوا انا الى ربنا منقلبون انا لا نبالي بوعيدك لانقلابنا الى ربنا ورحمته كانهم استطابوا شفعا الى لقاء الله تعالى او انا جميعا اي انك وايانا منقلبون اليه فيحكم بيننا وما تنقم منا النقمة الاخذ بالعقوبة وتعديته بمن لتضمنه معنى تناول وعلى هذا يكون قوله الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا مفعولا من جملة استثناء مفرغا اي ما تناول منا اخذا بالعقوبة بشيء من الاشيا الا ان امنا وهذا ما اشار اليه عطا رضي الله عنه في تفسيره حيث قال ان ما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا ثم فزعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا افرغ علينا صبرا اي على وعيد فرعون لعلمهم ان الصبر مطهرة لهم استعارة بالكناية شبه الصبر بالماء فاورد الافراغ اي افض علينا من الصبر ما يعمنا ويفيض منا كما يفرغ الماء او اعاد التنوين للتعظيم اي اي صبر صبرا كثيرا او ما يطهرنا من اوضار الاوثار كما يطهر الماء من الاقذار وتوفنا مسلمين ثبتنا على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وفيه نظر لان المراد من اتبعهما قبل غلبتهما فلا يتناول السحرة قال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس

عليكم

عليكم ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا في الارض بدا اولا بالعلة العاملة ثم اتبعوه بالخاصة فرجوا بذلك تفيظه على موسى وقومه لكون ذلك اتفق عليهم منازلهم اذ هم الاشراف وينزل موسى عليه السلام خاصة لان الترك المذكور راجع الى امر الدين وقومه بالعون له فيه فذكر تركه كان بخلاف الفساد لانه من جهة الدنيا والملك وهم مشغولون فيه وجواب الاستفهام بالواو على معنى ليكون منك ترك موسى وقومه ويكون ترك اياك والهتك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر اي اتذر ويذرك بمعنى يطيق لك ذلك واستينافا او حالا اي وهو يذرك والهتك وقرئ بالجزم كانه قيل يفسدوا ويذرك جوابا للاستفهام كقوله واصدق واكن والهتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوا وتقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اي عبادتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم سنعيد عليهم ما كنا محناهم به ليعلموا وانا فوقهم قاهرون اي انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة عليه وان لا اثر للغلب في ملكنا وان لا يتوهم العامة انه هو المولود الذي حكموا المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده قال موسى لقومه لما جزع قوم موسى عليه السلام من قول فرعون سنقتل ابناءهم وتضجروا سلاهم بقوله استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ذكرهم ما وعده الله تعالى من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فاللام في الارض للعهد والافصح ان تكون للجنس فيتناول المعهود فيتناول وهو ارض مصر تناولا اوليا وعلق الايراث بالمشيئة فاجمل ثم بينه بقوله والعاقبة للمتقين للبشارة بعد الابهام بان العاقبة التي تستاهل ان تسمى عاقبة اي العاقبة المحمودة كان ما عداها ليست بعاقبة مخصوصة بالمتقين منكم ومن القبط اشعارا بانهم المتقون والعاقبة لهم وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا بقتل الابناء والاستعباد والامتهان بالخدمة وانواع التعذيب والاذى ضربا لا يبلغ بصاحبه ان ياتي على نفسه من قبل ان تاتينا بالرسالة والايمان

يسنطر المجي وما بعده يقابله وهو الذهاب ومن بعد ما جئتنا بلعادته
علينا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريح بما رمزهم
اليه من البشاره وهو اهلاك فرعون وقومه واستخلافهم في الارض
فينظر كيف تعملون شكرا وكفرا طاعة او معصية فيجازيكم بحسبه ولقد
اخذنا ال فرعون اي عبادة الآل على عبادة القوم لا شطارهم الايات حقيقه
ولا نكتة للتغليب وللتنبيه على ان اخذهم بذلك لاتباعهم فرعون فيهم
منه سلامة من آمن من قومه ودخول فرعون في الحكم المذكور بطريق
الدلاله بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والنبات السنه
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويورخ عنه فصارت كالعلم
والنجم ثم اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم اذا قحطوا وجمعت سنين
ونقص من الثمرات قال ابن عباس رضي الله عنه اما السنون فكانت
لباديتهم واما نقص الثمرات فكانت في امصارهم لعلهم يذكرون لكي
يتنبهوا على ان ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم او يتعظوا فتلين قلوبهم
وترق بالشدايد فيفزعوا الى الله ويتضرعوا فاذا جاءتهم الفاء الفصيحه
لترتب مدخولها على مقدر دل عليه سياق الكلام ولحاقه من عدم
تنبههم لما ذكر والتفصيل ذلك الحسنة الخصب والرخاء والسعة قالوا لنا
هذه اي لكرامتنا خاصه واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة جدب وشده
وضيق يطيروا بموسى ومن معه وقالوا هذه بشومهم ولولا مكانهم فينا
لما اصابنا التطير للتشاوم واصله التفاعل بالطير ومنه الطاير الذي هو
سبب للخير والشر فغلب التطير على الشر واصله تطيروا بتطيروا ولنا
عرف الحسنه بلام العهد الذهني مع ان الداله على الوقوع وصيغة الماضي
الداله على الاستمرار لان جنسها مقطوع الوقوع لكثرته واتساعه وتنكير
السيئه مع حرف الشك وصيغة المضارع لقلتها وندور وقوعها وتجددها
يناسب الابقا والانقاد والحسنه لا يخلوا عنها احد والسيئة لا تقع منها
الا شي وهذا اعتراف في وصفهم بالقساوة والجفوة والغباوة بان الشدايد
التي ترق القلوب وتذلل النفوس وتلين العرايك وتكسر الشكايم لم توثر فيهم
ولم يزدادوا فيها الا انهماكا في الغي وعتوا في الكفر ولذلك بولغ في انكار

التطير

التطير بموسى عليه السلام ومن معه باسناد الشر والخير الى الله على
القصر تاما وتصدير الجملة بحرف التنبيه حيث قال الا انما طايرهم
سبب خيرهم وشرهم عند الله اي كل بقضايه ومشيته وهو الذي ابهم
شا اصابهم به وليس بيمن احد وشومه والتاكيد بقوله ولكن اكثرهم لا
يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصله
ما الشرطيه ضمت اليها ما الزايده للتاكيد ثم قلبت الفها ها لئلا يوهم
التكرير وهو مبالغة في التعميم ومحلها الرفع على الابتدا او النصب بفعل
يفسره تاتنا به اي اي شي تحضرنا تاتينا به من اية بيان لما وانما سموها
ايه استهزا ولذلك قالوا لتسحرنا بها اي لتسحر بها اعيننا والضميران لما
الاول باعتبار اللفظ والثاني باعتبار المعنى وعدلوا في الجزاء عن نومن
الى الجملة الاسمية مع تاكيد النفي بالباء وتحقيق الجزا بزياده ما حيث
قال فما نحن لك بمومنين اي ولا نشتغل بايرادها فما نحن بمصدقين لك
انها من عند الله تعالى وهذا منهم غاية الضلاله والعناد اذ كذبوه بما لم
يات به بعد واظهروا انهم مصرون على كفرهم ابدا غير منقادين للحق وان
ظهر وابدا فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس رضي الله عنه الطوفان
الما المغرق وقال جماعة هو الما المطر المتتابع المضر وهو في اللغة لما طاف
بالقوم وغلبهم من ما او مرض او غيرهما والجراد والقمل اي كبار القرود والضفا
جمع ضفدع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون
شمسا ولا قمرا ولا يقدر احدهم ان يخرج من داره ودخل بيوتهم حتى
قاموا الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرايل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخلها
قطرة وفاض الما على حوارثهم فمنعهم من الحرث والبنا والتصرف فقالوا
لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نومن بك فدعا فكشف
عنهم ونبت لهم من الزرع ما لم يعهد مثله فلم يومنوا فبعث الله عليهم الجراد
فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اخذ ياكل الابواب والسقوف والثياب
ولم يدخل بيوت بني اسرايل منها شي ففزعوا الى موسى عليه السلام ووعد
التوبه فرفع عنهم ثم لم يومنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه
الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا الى

موسى عليه السلام فرفع عنهم فقالوا الحال قد تحققنا الآن انك ساحر فارسل
الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوبا ولا طعاما الا وجدت فيه وكانت تمتلي
منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم فدعوا
اليه عليه السلام وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم العذاب
فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع
القبطي مع السبطي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي السبطي ماء ويمص الماء من
فم السبطي فيصير دما في فيه **ايات** نصب على الحال **مفصلات** مميزات بعض عن
بعضها بين كل اثنين فصل ومده لمباين في كل واحدة حق التامل كان اذا انتهم
اية منها اقامت عليهم اسبوعا ثم يفع عنهم شهرا ثم ياتيهم اخرى تاكيد للحجة
عليهم كانه يقول قد قالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن بمومنين
لكما تابعنا لهم الايات ولم يقطع عنهم البراهين بما اظهروا من الجهالات
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فتعاظموا عن الانقياد للحق والايمان بموسى عليه السلام
وكانوا قد اعتادوا الاثام والاجرام واكتساب انفسهم العذاب التام **ولما وقع عليهم
الرجز** الرجز الطاعون فمات من القبط سبعون الف انسان وقيل هو العذاب
المفصل وفيه ان المناسب تصدير الكلام بكلمة لا بكلمة لما **قالوا يا موسى ادع لنا
ربك** فيه انه غاية عنادهم حيث قالوا ربك دون ربنا اظهارا للاصرار على الانكار
في مقام العجز والاضطرار **بما عهد عندك** اي بمالك اليه فهو تعم جميع
الوسايل بين الله تعالى وبين موسى عليه السلام طاعة منه ونعمة من الله
تعالى وهو صلة لادع اي ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب بحق ما عندك من
عند الله تعالى او بمعنى الحال اي متوسلا اليه بعهده عندك او قسم جوابه لنؤمن
اي بعهد الله عندك **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك** ويجوز ان يكون موصولة
اي بالذي عهد لك ان تدعوه فيجيبك وفي اسناد الكشف اليه عليه السلام
عن اسناده الى الله تعالى لعدم اقرارهم به **ولنرسلن معك بني اسرائيل**
انما زاد قوله معك لانه عليه السلام كان طالبا لارسالهم معه قال ان ارسل
معنا بني اسرائيل **فلما كشفنا عنهم الرجز** الفاء فصيحة عاطفة على مقدر كان فقيل
فدعا موسى ربه فكشف عنهم الرجز **الى اجل** اي الى حد من الزمان **هم بالغوه**
فهلكون فيه وهو وقت الغرق ولا يقال ان منهم مات قبل الغرق ومنهم

من سقي بمصر لان طاق الكلام يدفعه على ما ستقف عليه بولغ في وصف
الاجل بالجملة الاسمية مع تجريد الخبر عن شايبة الحدوث اشارة الى
ضرورة بلوغهم الحد المقدر لهم ولزومه **فانتقمنا منهم** اي اطلنا بهم النقمة وهي
ضد النعمة **فاغرقناهم** الفاء تفسيرية كما في قولك رزق زيد المال فمنع المعروف
ولم يحسن الى الفقرا **في اليم** وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجة البحر
ومعظم مائه وهذا صريح بان الناكثين كلهم هلكوا بالغرق **بانهم**
بسبب انهم **كذبوا باياتنا** فالايات هي المعجزات التي ظهرت على يد
موسى عليه السلام **وكانوا عنها** اي عن اياتنا **غافلين** غفلتهم عن جهة
دلالتها على صدق موسى عليه السلام في دعوى الرسالة غفلة عن تلك
الايات في الحقيقة لانها بدون الدلالة المذكورة لا تسمى ايات وهذه الغفلة
من سبب التكذيب **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** بالاستعباد
وهم بنو اسرايل **مشارق الارض** يعني ارض الشام **ومغاربها** ملكهم الله تعالى
بعد الفراعنة والعمالقة نواحيها المشرقية والمغربية وتصرفوا فيها كيف شاؤا
وصيغة الجمع للمبالغة في سعتها من جهة الخصب والبركة **التي باركنا فيها**
بالخصب وسعة العيش وهذا ظاهر في ان المراد ارض الشام لا ارض مصر ولان
القوم المستضعفين لم يعودوا الى ديارهم بل اقاموا في الارض المقدسة **وتمت
كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل** تحققت عدته الحسنى بالتمكين في الارض بل
اقاموا في الارض المقدسة وتعرب بالانجاز وهي قوله نريد ان نمن الى قوله
ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لانها كانت مواعيد **بما صبروا** بسبب
صبرهم وكفى به حاثا على الصبر **ودمرنا** ضربنا **ما كان يصنع فرعون وقومه**
من العمارات **وما كانوا يعرشون** من الجنات وما كانوا يرفعون من البنيان
كصرح هامان واصل التعريش الرفع **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** اي البحر الذي
غرق فرعون وقومه وهو بحر القلزم لم يقل وجاوز بنو اسرائيل البحر تنبيها على
ان جاوزه كان خارقا للعادة خارجا عن طرق البشر ثم جاوزنا ابلغ من
اجازه كما ان ذهب به ابلغ من اذهبه ذكر ما احدثوه بعد اهلاك
عدوهم والجائهم من الامور الشنيعة عقيب ما راوا من الايات العظام
والنعم الجسام تسلية لرسول الله عليه السلام مما راى منهم بالمدينة والنفا

للمؤمنين تغفلون عن سياسة نفوسهم ومحاسبتها وحراسة احوالهم
ومراقبتها فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون يقيمون على اصنام لهم على
عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل ولذا قال لهم تنبيها
على غاية حماقتهم حيث عبدوا ما يملكون قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما
نعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولهم بفعل
كالهتهم لان مشابهتها غير مقصودة انما مقصودهم ان يكون لهم ايضا الها
قال موسى عليه السلام انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم بعدما راوا
الاية العظمى والمعجزة الكبرى فجهلهم واكد جهلهم بالاطلاق وتكرير النسبة
ونعوتها بان وايراد الفعل المضارع الدال على الدايم اشعارا بان ذلك منهم
كالطبع والغريزة لا يعقلون عنه في حال ان هؤلاء اي عبدة تلك التماثيل متبر
مكسر مدمر ما هم فيه اي يتبر الله الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم
رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتهم بالغ في تحذيرهم
وتنفيرهم عما طلبوا اليه بايراد هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر في الجملتين
بعده وايقاع كانوا اي هؤلاء الذين عبدوا الاصنام هم المعينون المعرضون
برسمهم وعبادتهم لها للتتبير وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب
وهباء ما هم فيه وما عملوا من شيء من عبادتها فيما سلف من الزمان
الا وهو باطل مضمحل وان كان في زعمهم انها تقرب الى الله تعالى ثم انكر عليهم
ما طلبوا وتعجب مما طلبتم عبادة غير الله تعالى مع كونهم مغمورين في نعمته
بالهمزة وتقديم المفعول فقال قال اغير الله اي اغير المستحق للعبادة ابغيكم
اطلب لكم الها معبودا وهو فضلكم على العالمين وهو الذي فعل بكم ما فعل
دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها على احد من العالمين وفيه
تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من امثالهم
بما لا يستحقونه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته
والمراد من العالمين عالمي زمانهم وانتصب غير مفعولا بابغيكم والها
تمييز عن غير او حال على الحال والها المفعول فكان غير صفة فلما تقدم
انتصب حالا من ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه واذ انجيناكم من ال فرعون
واذكروا صنعته معكم في هذا الوقت يسومونكم يبغونكم استيناف لبيان

ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من ال فرعون او منهما سوء العذاب
شدته يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين والمعنى مبين فيما
سبق وفي ذلكم اشارة الى الانجاء او العذاب بلاء نعمة او محنة من ربكم عظيم
وزيادة قوله من ربكم ترجح المعنى الاول وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذو القعدة
واتممناها الضمير للمواعدة المفهومة من واعدنا بعشر من ذي الحجة وحذف
التا من عشر لان العدد مونث فتم ميقات ربه الميقات وقت قدر فيه
عمل من الاعمال وفي عبارة ربه اشارة الى انه لمصلحته عليه السلام وتربيته
اربعين ليلة مفعول لتم لان معناه بلغ ويجوز ان يكون تمييزا منقولا من
الفاعل واصله فتم اربعون ميقات ربه اي كملت ثم اسند التمام للميقات
وانتصب اربعون على التمييز ودلت الاية على ان التاريخ بالليالي دون
الايام وهذا لان الليالي اوايل الشهور وروي ان موسى عليه السلام
وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد هلاك فرعون بكتاب من الله تعالى
فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما
اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته
بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقال موسى لاخيه هرون
اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما تحب منهم ولا تتبع سبيل المفسدين
اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم كقوله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي
الخائنين في كيدهم وهذا اسلوب بديع لم يتنبه له النظار في كلام الله تعالى
ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه له وحددناه واللام للاختصاص
اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه بغير واسطة كما يكلم الملك وروي انه
عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وذلك لان الله تعالى ليس في
جهة وكلامه ليس من كلام المحدثين والعدول عن الظاهر وهو وكلمناه
الى ما ذكر كالعدول عن ميقاتنا الى ميقات ربه والنكتة مشتركة بينهما قال
رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تتجلى لي فانظر اليك اراك وهو دليل
على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل على الانبياء عليهم السلام
محال وخصوصا ما يتعلق بمعرفة الله تعالى وتمسك المعتزلة به ورده بقوله لن
تراني ليس لامتناع رؤيته تعالى في نفس الامر والا لقال ان ارى بل قالوا

ارنا الله جهرة ليس بشيء لان محنه عليه السلام ان يجهلهم ويزيل شبهتهم
كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها والاستدلال على استحالتها او دعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني اي لن تطيق ان
تراني ولكن انظر الى الجبل استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه فان الجبل
مع شدته وصلابته اذا لم يستقر فالادمي مع ضعف بنيته اولى ان لا يستقر
وهذا تسكين لقلب موسى عليه السلام وتخفيف عنه ثقل اعباء المنع
ولا يذهب على من نظر بعين الانصاف وتجنب عن التعصب والاعتساف
انه ليس بجواب من سال محالا وقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام
فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فلو سال
موسى عليه السلام محالا لكان في الجواب زجرا ما فان استقر مكانه فسوف
تراني بعد رفع الموانع من العين علق رؤيته بالاستقرار وهو امر ممكن
في نفس الامر فيفهم منه انه ممكن في نفسه لكن المانع من جهته على ما دل
عليه قوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب حيث
قال ما كان لبشر ولم يقل ما كان له تعالى اتى بالتعليق ثم التسويف
مبالغة في تقدير المطلب اعني التعليق فليبان ان الطاقة البشرية لا تحتمل رؤيته
تعالى واما التسويف فليبان انه على تقدير التحمل لا بد من ارتفاع موانع
زوالها تدريجي يقتضي مهلة ومدة فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر له ظهور
المرئي للرائي بان خلق الله تعالى فيه حيوة وحسا وهذا المعنى هو المروي
عن ابن عباس رضي الله عنه وهو الموافق لمساق الكلام المطابق
لاصل السنة والجماعة كما لا يخفى ومن صرف عن الظاهر فقد دس فيه
مذهب الاعتزال جعله دكا الدك والدق اخوان كالشك والشق
وانما قال دكا مبالغة كرجل عدل والمجاز عقلي عند من فسر على انه
مصدر بمعنى مفعول والمجاز لغوي فقد اخرجه الى شيء معسول
على طريقة كلام عامي مرذول فان قلت اليس صدق الكلام وصحة
المرام تقتضي معنى المدكوك قلت لا نزاع فيه انما الخلاف في طريق
افادته وكيفية ارادته من عبارة الدك وقرئ دكا اي ارضا مستوية
وقرئ دكاء اي قطعا جمع دكاء تانيث ادك وخر سقط موسى صعقا

مغشيا

مغشيا عليه كحال من يصيبه الصعقة لا لهول ما راى اي من تلاشي
الجبل والا لكان عن النظم العطف ولما عطف بالواو علم انه ايضا ترتب
التجلي على الجبل فلما افاق اي من غشيته قال سبحانك تبت اليك قال الامام
ابو منصور خرج هذا الكلام منه عليه السلام مخرج العادة عند رؤية الافزاع
حسبما يجري على السنة الانام سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ونظيره ذكرها التوبة من غير ذنب النبي عليه السلام في كل يوم مائة مرة
استغفر الله واتوب اليه وانا اول المومنين اي بما اخبرت به في حق الرؤية
من انه لا يطيقها هذه البنية للبشر وانما اخفي عليه عليه السلام الى ذلك
الوقت انه لا يعطي المخلوق رؤيته في الدنيا مع جوازها ليوجد منه عليه السلام
سؤال الرؤية بناء على معرفة جوازها ليتحقق جواز الرؤية بسؤاله
عليه السلام ذلك فيكون حجة قاطعة لاهل الحق على المنكرين له من اهل
البدعة قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس الموجودين في
زمانك وهرون عليه السلام وان كان نبيا واكبر منه سنا لكنه كان
وزيرا له مامورا باتباعه لا كليما ولا صاحب شرع برسالاتي قرئ على الجمع
اذ الذي ارسل به ضروب وعلى الافراد على ان محل الرسالة محل المصدر والمصدر
هو الارسال وبكلامي يعني اسماعا للتورية وانما اخره لان الرسالة اسبق
زمانا او للانتقال من الشريف الى الاشرف فخذ ما اتيتك اي اعطيتك
من الرسالة والحكمة وكن من الشاكرين من المعروفين بالشكر وهذا ابلغ
من الامر بالشكر على النعمة بوجوه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة
واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء لفظ كل
ههنا للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالى واوتيت من
كل شيء والالواح جمع لوح وهو الصحيفة المهياة للكتابة فيها وانما قال
له لان الموقوف بالمكتوب فيها على تفصيل كل شيء كان مخصوصا به
عليه السلام موعظة تحذيرا انما يرجى عن القبيح وتنصيصا بمواقع الخوف
والحذر وهي مفعول له الا البدل من الجار والمجرور لان المعنى ذكرنا له
مقصودا بالافادة في المقام وتفصيلا لكل شيء من المصالح الدينية والدنيوية
فخذها عطف على كتبنا على ارادة القول اي فقلنا خذها والضمير للالواح

بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها بواجباتها فانها احسن من غيرها او بما هو واجب وندب فانه احسن من المباح ساريكم مر رويه العين وهذا تعدت الى اثنين دار الفاسقين الذين اهلكهم الله تعالى بفسقهم فتنظر دار فرعون وقومه ودار العمالقة ومنازل عاد وثمود موعظه بليغه تجري مجرى الوعيد على ترك الطاعة وامر قومك ياخذوا باحسنها ويطيعوا ولا يهملوها فيفسقوا فساريكم دار من فسق معفرة هلاكهم ليعتبروا وقرئ ساوريكم اي ساهن لكم من اورثت الدبر وهي لغة فاشية في الحجاز وقرئ ساريكم على وفق قوله تعالى واورثنا القوم ساصرف عن اياتي في الافاق حتى لا يتفكروا في حلها ولا يعتبرون بها وفي الانفس حتى لا يروا فنايها ولا يجعلوا لها الذين يتكبرون يتعظمون عن الانقياد للانبياء عليهم السلام طلبا للعلو للرياسة وانما قال في الارض اشارة الى كونهم من العالم السفلي الذي لا يليق التشرف بشان من كان فيها ففيه تمهيد لقوله بغير الحق اي يريدون الاستحقاق حال من فاعل يتكبرون او صلة اي يتكبرون بما ليس بحق اي بباطل وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة المتكبرين الذين طبعوا على قلوبهم بسبب شدة التكبر فلا يتكبرون في ايات الله تعالى وان يروا كل اية لا يومنوا بها لا يعتبرون وانهما كافيا يشغلهم عنها من شهواتهم وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرئ الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد ثلثها لغة وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اراهم الله سبيلين قال تعالى وهديناه النجدين ودواهما فاثروا الغي على الرشد وقال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم باياتنا وغفلتهم عنها او نصب على المصدر اي سامرفهم ذلك الصرف بسببهما ويجوز ان يكون قوله وكانوا عنها غافلين استيناف اخبار منه تعالى عنهم امر شانهم انهم كانوا عنها غافلين عن الايات وتدبرها واورثتهم الغفلة التكذيب هذا ما قيل والوجه عندي هو ان يكون ذلك اشارة الى التكبر لان سبب الصرف قد علم قوله الذين يتكبرون لما تقرر في الاصول ان ترتب الحكم على الوصف يدل على علية الصلة انما المحتاج الى البيان بسبب ذلك التكبر فالكلام

على ما ذكرنا يكون على احسن وجوه انتظام وحيث يشار فيه اولا الى ان سبب الصرف هو التكبر عن الانقياد بالانبياء عليهم السلام ولم يصرح بان سبب التكبر تكذيب المعجزات الدالة على صدقهم ثم ينبه على ان سبب التكذيب انهماك المكذبين في اسباب الغفلة عن جهة دلالته في الايات المذكورة على صدقهم في دعوى النبوة واعراضهم عن النظر فيها ولا بد من صرف القول المذكور عن ظاهره وتاويله الوجه المذكور كيلا يكون مظنة الاعتذار من جهتهم والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة من باب اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقاء الاخرة او الى الظرف اي ولقائنا وعد الله في الاخرة حبطت اي بطلت وتلاشت اعمالهم فيسقون بها واحتمال عموم الاعمال للسيات الضا قد اندفع بقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون استفهام بمعنى النفي اي لا يجزون الاجزاء ما عملوا من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده من بعد مفارقته عليه السلام اياهم الى الطور للميقات من حليهم الذي استعاروا من القبط حين هموا الخروج من مصر اضافها اليهم لملابسة كانت في ايديهم واما ما قيل على انهم قد هلكوها بعد المهلكين فلا صحة له لفظا ولا معنى اما الاول فلان التدافع بين الوجهين ما لي عن عبارة العلامة واما الثاني فلان المهلكين هم الرجال والحلي كانت لنسائهم وهذا الحلي ما اخذه بنو اسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق وعلى هذا ابنع الوجه الثاني والحلي بضم الحاء جمع حلي كثدي وثدي وهو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة وقرئ من حليهم بكسر الحاء للاتباع كدلي وقرئ بالافراد عجلا لما كان المتبادر منه ان يكون عجلا حقيقة ودل عنه قوله جسدا لا روح له فيه لم ينقل لهذا الان الناس وسائر الاطراف خارج عنه له خوار صوت البقر قيل ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبرائيل فصار حيا وقيل صاغ بنوع من الحيل فدخل الريح جوفه وتصوت ونسبه الاتخاذ اليهم لانهم رضوا بفعل بل لان المراد اتخاذهم اياه الها على ما دل عليه السمع الاتي ذكره وانما حذف الها لدلالة مساق الكلام عليه وفيه الهام ان ما صنعوا امر منكر مع قطع النظر عن عبادته وقرئ جوار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واضلالهم بالنظر اي الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على التكلم ولا على الارشاد كاحاد

البشر حسوا به خالق الاجسام والقوى والقدر ولما كان الارشاد الى السبيل الى
ممكنا بالاشارة كان نفي التالي ابلغ فاخر المنزل في اتخذوه تكرير للذم اي اقدموا
على ما اقدموا عليه من المنكر الفظيع وكانوا ظالمين اي قوما عادتهم وضع
الاشيا في غير مواضعها فلم يكن هذا ابدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في
ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم وتحسرهم لان من شان النادم الشديد التحسر
اي يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها فاه وقع في يده بلا اختيار وقرى
سقط على البنا للفاعل كرض اي وقع العض فيها وقال الزجاج انه شبيه لما
يحصل في النفس بما يحصل في اليد مكروه وراوا وعلموا باتخاذه انهم قد ضلوا قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا وقرى ربنا بالنصب على النداء انقطاع الى الله تعالى واعتراف
بعظم ما اقدموا عليه ولما كان ذنبهم اعظم الذنوب بلوا بالرحمة التي وسعت
كل شيء ومن نتايجها غفران الذنب ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطية لنكونن
من الخاسرين المغبونين في الدنيا والاخرة ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
شديد الحزن على ما كان منهم في غيبته عليه السلام قال بيسما خلفتموني
اي قمتم مقامي وكنتم خلفا حيث لم يمنعوا من عبد العجل مكان عبادة الله تعالى
والخطاب لعبدة العجل من بعدي من بعد ذهابي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد
والدعوة الى عبادة الله تعالى والكف عن عبادة غيره ومن حق الخلفا ان يسيروا
بسيرة المستخلف ما نكرة موصوله مفسرة للمستكن في بيس منصوبة المحل خلفتموني
صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بيس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
فيها كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام ويا باه قوله واخذ الالواح
لان الظاهر منه ان الماخوذ هذا المعنى لعينه اعجلتم امر ربكم امركموه غير تام
والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين قيل ان التورية
كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها
وكانت استفهاما انكار بقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام الا انه ضمن
معنى سبق تعديته يعني لم ينتظروا وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين
فتركتم الميعاد غير تام لقوله تعالى في مواضع اخر الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا لعد
ما قال لهم السامري ان موسى عليه السلام لم يرجع وانه قد مات فغيروا

صفه مبالغه

ما غيرت الامم بعد انبيايهم عليهم السلام واخذ براس اخيه ولحيته على ما
نص عليه في موضع اخر يجره اليه لفرط ما وهم من الامر الذي استقر
ظنا باخيه انه قصر في الكف قال ابن ام في ذكر الام مع انهما كانا اخوان لاب
وام استعطام في استرخا للتذكيرة انهما من بطن واحد بلا شبهة فيه
وان مراعاة حماه احق واوجب فانه اعظم لانها هي التي قاست المخاوف
والشدايد لاجله قرى بكسر الميم وطرح يا الاضافه اكتفاء بالكسرة وبالفتح
لكونها الف اوتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني لم يبالوا بي وكم
يسمعوا مني وكادوا يقتلونني اي بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني
وقاربوا قتلي قاله ازاحة لتوهم التقصير في حقه ولا تشمت بي الاعدا
فلا تفعل ما هو امنيتهم من الاستهانة لي ويشمتون بي لاجله والشماته
فرحة العدو بمصاب عدوه ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم
بالمواخذة اونسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ضم الله
اخاه في الاستغفار ان عسى فرط في حسن الخلافه ترضية له ودفعا للشماته
عنه وادخلنا في رحمتك لمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين بنا منا على
انفسنا والوا للعطف على مقدر كانه قيل انت الغفور وانت ارحم الراحمين
ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم هو ما امرهم به قتل انفسهم
وانما قال من ربهم اشارة الى ما في ضمنه اثر الرحمة حيث كان فيه قبول
توبتهم ولهذا اقال قدمه على قوله وذلة اخراجا لها عن حيز التربية
لهم في الحيوة الدنيا هي خروجهم عن ديارهم وقيل الجزية وكذلك مثل ذلك
الجزا نجزي المفترين على الله سبحانه ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم
واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا
السيات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيات وعبارة
ثم للدلالة على ان التمادي لا يضره بعد ما تاب عنها وامنوا اي اخلصوا
للايمان لان اصل الايمان قد ذكر فيما سبق ان ربك من بعدها من بعد
تلك العظايم لغفور محالها وان كبرت كعبادة العجل وكثرة جرايم
بني اسرايل رحيم بالامهال وترك الاستعجال في الاخذ بالنكال وكان
في عبارة تمهيد لهذا وتكرير من بعدها مع ان واللام مبالغة في شمول

غفرانه وسعة رحمته عظمت جرائمهم اولا ثم عقبها بتعظيم معفرته ورحمته
نبه بعظمها لا كتعظيمها بل ازيد ليعلم ان الذنوب وان جلت فان عفوه وغفره
وكرمه واحسانه اذا اناب صاحبه واصلح اجل واعظم وفيه تحريض على التوبة
وحث على الاخلاص ولما سكت عن موسى الغضب ضمنه معنى زال فعدى
بعن اي زال كلام في غاية البلاغة لان فيه تشبيه الغضب بشخص كان
يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا على طريقة الاستعارة والق الالواح
واخذ براس اخيه بالكناية فكون السكوت على حقيقته غير مجاز عن السكون
ابلغ وقال الزجاج مصدر سكت الغضب ومصدر سكت الرجل سكوت
وهذا يقتضي انه فعل على حده وليس من سكوت ويؤيده قول يونس
حيث تقول العرب سال الوادي يومين ثم سكت فعلى هذا سكت بمعنى سكن
وقد قرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى واخوه بالاعتذار وقومه
بتوبتهم اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها النسخة فعلة بمفعول كالخطبة
وهي المكتوبة اي فيما نسخ فيها يعني كتب ونسخ هدى بيان للحق ورحمة وارشاد
الى الصلاح والخير او طريقه الاستعارة التمثيلية على تشبيه الحال بسكوت
للحال سكوت الناطق الامر الناهي وشرطها ان يكون اجزاء الكلام على معانيه
الاصلية للذين هم لربهم يرهبون يخصون رهبتهم بالله تعالى والرهبة خوف
معه تحرز واضطراب واللام في لربهم دخلت جابرة للضعف العارض
للفعل بسبب تاخره عن المفعول واختار موسى قومه اي اختار موسى من
قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه وفيه ايهام بتنزيل جزء القوم منزلة
كلهم سبعين رجلا القوم لا يكون الا رجالا ففائدة قوله رجلا دفع احتمال
التغليب لميقاتنا روي انه تعالى امره عليه السلام بان ياتيه في سبعين
من خيار بني اسرائيل فاختار موسى عليه السلام من كل سبط من الاسباط
الاثني عشر فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن
قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين
فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا
سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى عليه السلام يامره وينهاه ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم

الرجفة فصعقوا منها فلما اخذتهم الرجفة الاهتزاز والتغلغل للهول العظيم
وقيل هي رجفة الجبل قال موسى عليه السلام رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي تمنى هلاكه وهلاكهم قبل ان يرى ما راى او كما قال المبتلى
ببلية لو شاء الله لاهلكني قبل هذا او للتسير رحمه الله تعالى فقال انك قدرت
ان تهلكنا بسبب اخر كما قدار فرعون علينا والاغراق بالبحر وغيرهما
فترحمت وانجيتنا فان ترحمت مرة اخرى لم يبعد عن عميم احسانك
اتهلكنا جميعا بما فعل السفهاء منا من التجاسر على طلب الرؤية وكان القائل
بعضهم فقيهم وقيل المراد به عبادة العجل واختيار موسى عليه السلام
السبعين انما كان لميقات التوبة فغشيتهم هيبة قلقوا منه ورجفوا
حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى عليه السلام
فبكا ودعا فكشفها الله تعالى عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم
كلامك فطمعوا في رؤيتك او احدثت في العجل خوارا فضلوا به والضمير
للفتنة تضل بها بالخيبة من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده او باتباعه
المخايل وتهدي من تشاء هدايته فيقوى بها ايمانه وكذا كل ابتلاء انت ولينا
مولانا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا برفع العذاب عنا ولما كان
هو واخوه عليهما السلام من المعصومين من الذنوب فحين سال المغفرة
له ولاخيه لم يؤكد المغفرة بل قال وانت ارحم الراحمين ولما كان قد
اندرج قومه في قوله انت ولينا تلك الذنوب فقال وانت خير الغافرين
تغفر الذنب الكبير بالعذر اليسير ثم توجب العطا الجزيل الكثير واكتب لنا
اي اثبت لنا الكتب يستعمل في كل ما يخلد في هذه الدنيا زيادة في
هذه لتنزيل شان الدنيا عن شان الآخرة حسنة عافية وحيوة طيبة
وحسن سيرة وتوفيقا للطاعة وفي الآخرة اي فيها حسنة ايضا وهي
الجنة وما فيها انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ
هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا وامُلنا اليك ويجوز ان يكون
المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المضمير قال
عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه بمقتضى عدلي ورحمتي وسعت كل شيء لا

يخلو منها مسلم ولا كافر ولا شيء من الاشيا ولاختصاص رحمة الاخرة
بالمسلم على ما بينا في سورة الفاتحة فسأكتبها والضمير للرحمة للذين
يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانها قرينة الصلاة التي
هي عماد الدين بل لانها كانت اشق عليهم بحبهم الدنيا والذين هم باياتنا
بجميع اياتنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون اما خبر صفة الذين
يتقون او بدل منه بدل الكل على ان المراد من آمن منهم بمحمد عليه السلام
او البعض او نصب على المدح او رفع عليه اي هم الذين يتبعون او مبتدا
خبره يامرهم الرسول النبي الامي وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ الاحكام
من الله تعالى وقدرته لانه الاعم حيث يوصف به الملك ثم النبوة
باعتبار انبائه عن الله تعالى وصفاته واخباره عن الغيوب واحوال
الاخرة وفيها جهة عموم اذا اعتبر الرسالة في بني ادم فلو اعتبر هذه
الجهة يكون تقديم الرسالة فبالنظر الى انه ارسله الله تعالى الى الخلق
فانباهم عنه تعالى ثم بكونه اميا تنبيها على ان كمال علمه مع انه لم يقرا
شيا ولم يكتب اصلا ليس الا اختصاصها من عند الله تعالى واصطفاه
من كونه واعجازا والامي الذي هو على صفة امة العرب قال عليه السلام
انا امة امية لا نكتب ولا نحسب كانه نسب الى الام فان الولد يولد من
امه غير كاتب ولا قاري ولا حاسب الذي يجدونه اي يجدون اسمه
ونعته مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل رفع كذكره اشارة الى بانه
مذكور في كتب الله تعالى اخبر عنه الانبياء السابقون واقروا نبوته
وزيادة قوله عندهم لافادة انه وجد في الكتابين المذكورين حال
كونهما محفوظين فلا احتمال لان يكون ذلك ملحقا من خارج يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر المعروف ما عرف بالشرع جهة حسنه والمنكر
ما عرف به جهة قبحه ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم كالشحوم
وغيرها ويحرم عليهم الخبائث كالخمر والخنزير ونحوهما ونسبة الحل والحرمة
اليه عليه السلام لانه مظهرهما والخلاف في اداة التعدية لما في الباقي
معنى التكليف دون الاول ويضع ويحط عنهم امرهم وقرئ اصرهم لانه
جنس فيصلح للجمع والاغلال التي كانت عليهم الاصر والاغلال استعارتان

تفسير م

لطيفنان للثقل الذي كان عليهم من التكاليف الشاقة المانعة عن حركاتهم
بمقتضى الهوا والقيود التي عنهم عن اختيارهم والاصر في الاصل الثقل
الذي يامر صاحبه اي يحبسه عن الحركة اي يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة والقيود
الصعبة كقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم
العروق في اللحم وتحريم السبت وانما تعين في العمد والخطا فقد رما
فيه فتذكر ولا خفاء في ان ما اريد بالاصار اشق مما اريد بالاغلال
والصوقصنه فلذلك ذكرها بالاضافة اليهم دون الاغلال فالذين
آمنوا به اي بمحمد عليه السلام تكرير لتاكيد مدحهم وتعظيمهم بالصفات
المذكورة واعلام بانها هي الموجبة لانجاز الفلاح عليهم والفاء للترتيب
على ما تقدم وعزروه منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه وقرئ عزروه
بالتشديد اي عظموه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته
اي القرآن وانما سمي نورا لانه باعجازه ظاهر بامره ومظهر غيره او
لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا
اي واتبعوا القرآن مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع السنة اولئك
هم المفلحون الاشارة باولئك الى الموصوفين بالصفات المذكورة والى
ان استحقاقهم للفلاح انما هو بسببها وتوسيطهم وتعريف قد مر ما
يتعلق بهما غير مرة ومضمون الاية جواب لدعا موسى عليه السلام
لتوبيخ بني اسرائيل على ما صدر منهم من انواع الكفر والمعاصي والتعريض
بهم في تكذيبهم بالايات العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام لقوله
والذين هم باياتنا يؤمنون وتحريضهم على التصديق بما في التوراة
والانجيل من نعته ليواطوا انفسهم على الايمان به طمعا في الرحمة التي
خصصها بهم في قوله فساكتبها فيحشروا منهم وهم عبد الله بن سلام ولحوا به
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام لكل نبي كان مبعوثا
الى قومه خاصة ورسولنا عليه السلام الى الناس كافة بل الى الانس والجن
عامة جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله او
بدل منه ولا يمنعه الفصل بما هو في حكم المتقدم او نصب على المدح او رفع

عليه او مبتدا وخبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان للجملة
التي هي الصلة لان من ملك العالم كله لا يكون غيره الها وكذلك يحيي
ويميت بيان لما قبله لانه تقرير لاختصاصه بالالوهية اذ لا يقدر على
الاحيا والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي لما ذكر انه رسول الله
امرهم بالايمان به عليه السلام والتفت عن التكلم الى الغيبة تعظيما
له بتكرار ذكر الرسول واعادة صفات المدح وتنبيها على ان الذي وجب
الايمان به واتباعه وهو الموصوف بهذه الصفات لا كائنا من كان
وايقاظا للسامع لئلا يغفل عنه فيتمكن وقعه في نفسه الذي يؤمن بالله
وكلماته اي ما انزل الله اليه وعلى جميع الرسل من كتبه ووحيه وقرئ
كلمته اي جنس ما تكلم به او القران او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود
وتنبيها على ان من لم يؤمن به عليه السلام لم يعتبر ايمانه وقيل كلمته
التي وجدتها الكل وهي قوله كن واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتدا
اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في
خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة التنكير للتكثير او
للتكبير يهدون بالحق يرشدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه بالحق
يعدلون في الحكم بين الناس وهم الثابتون بالايمان القائمون بالحق من
اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر عبدة العجل كما هو عادة القران في الجمع بين
السعدا والاشقيا في الذكر تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل
الحق والباطل مستمر وفيه دفع ما اوهم تخصيص الرحمة في جواب
دعا موسى عليه السلام بالذين يتبعون الرسول في اخر الزمان او عموم
كلهم اهل الضلالة وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل وراء الصين
راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم
اثنتي عشرة مفعول ثان على تضمين قطعنا معنى صيرنا او حال
وتانيثه على تاويل القطعة او الفرقة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز
وجمع لانه اراد اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة اسباط السبط فوضع اسباطا
موضع قبيلة للدلالة على ان كل واحدة منها اسباط تخفيفا امما بدل
من اثنتي عشرة او من اسباطا او نعت لها وفيه اشارة الى ان كل اسباط

انه كثر العدد يوم كل واحد منهم خلاف ما يومه للاخرى لا تكاد تاتلف
وتتفق والباقي من تفسيره في سورة البقرة واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست
وحذفه لتقصير اللفظ وتكثير المعنى وهو ابلغ وجوه الايجاز وذلك ان
فيه اشعارا بان الانبجاس مسبب عن الايحا مرتب عليه وان الضرب لا
تاثير له فيه بذاته وبيانا ان موسى عليه السلام لم يتوقف على الامتثال
فالدلالة عليه في قوله فضرب محذوفا كان او مذكورا والانبجاس
خروج الما الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان البدء بقلة ثم
يكثر بالاتساع منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط اسم جمع
كرخا وثنا لا جمع تكسير او جمع انس اصله كسر الهمزة كشعب وشعاب فابدلت
الكسرة ضمة مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم الحر وانزلنا عليهم المن والسلوى
كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون قدم تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار
اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا مثل ما في سورة البقرة غير ان هناك ادخلوا وهنا اسكنوا والسكنى
تعقب الدخول ما امروا هناك بالمبدا وهنا بما تسبب عنه وهناك فكلوا
بالفا وهنا بالواو وذلك لان الدخول حالة منقضية فحسن ذكر فا التعقيب
بعده والسكنى حالة مستمرة فحسن الامر بالاكل معه لا بعده واثبت رغدا
هناك بعد الامر بالدخول لانها حالة قدوم فالاكل فيها كالاكل عند الدخول
واما تقديم الحطة على الدخول وتاخره عنه فلا تفاوت فيه لان الواو
للجمع لا للترتيب واما قوله واذ قيل في مقام واذ قلنا على حذف الفاعل
للعلم به واما انزلنا وارسلنا ويفسقون ويظلمون فمن واد واحد نغفر لكم
خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة قيل
وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في
مقابلة ما امروا به ومساه الفعول عن الواو بجامعه بينهما في سورة
البقرة الدالة على التشريك في المقابلة المذكورة فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير
الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسالهم مر

تفسيره في سورة البقرة المراد من سوالهم التقريع لقديم كفرهم واعتدائهم
حدود الله تعالى والتقرير والاعلام بان هذا من العلوم التي لا تحصل الا
بالتعليم او بالوحي ولم يتعلم عليه السلام قط فهو حجة لانه مخبره عن
القرية عن خبرها وحال اهلها وهي ايلة التي كانت حاضرة البحر قريبة
منه على شاطيه بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبريه والعرب
تسمي المدينة قرية اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله تعالى في تعظيم
السبت بالاصطياد واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف
ولا يجوز ان يكون بدلا منه بدل الاشتمال لان اذ من الظرف التي لا تنصرف
ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول عن عليها لان البدل
على نية تكرر العامل وانما تتصرف بان اضيف اليها بعض الظروف الزمانية
نحو يوم اذا كان كذا وقرئ يعدون واصله يعتدون ادغمت التاء في
الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد اي يعدون
الات الصيد في حال تعظيم السبت وقد نهوا عنه بان لا يشتغلوا فيه
بغير هذه العادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون واحتمال الابدال قد
مر وجه بطلانه يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم للسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت سبتهم بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويرجح الاول قراة يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا
تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البنا للمفعول بمعنى
لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الما
من شرع علينا اذا دنا واشرف وقيل اي مقبلة اليهم مصطفة كما تقول اشرعت
الرماح اذا مدت مصطفة والحيتان جمع حوت واكثر ما يستعمل العرب
الحوت في معنى السمكة واختلفت في اطلاق اسم السمكة على ما سوى الحوت
من الحيوانات البحرية والذي نص عليه الشافعي في الام والمختصر انها
تطلق على الجميع قال صاحب الروضة وهو الصحيح كذلك مثل ذلك
البلا الشديد والظاهر ان الاشارة الى ابتلايهم باتيان الحيتان يوم السبت
عدم اتيانها في ساير الايام نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم
على الفسق واذ قالت عطف على اذ قبلها امة منهم جماعة من اهل القرية

من صلحائهم الذين بالغوا في وعظهم وبذلوا المجهود في نهيهم حتى ملوا
وايسوا من قبولهم ونهرسوا من حالهم ان الوعظ لا يوثر فيهم
فتركوه لاخرين منهم لم يتركوا موعظتهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او
معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم اي قد اشرفوا على ان يهلكهم
الله تعالى لئلا ينسب الى تقصير في النهي عن المنكر وقرئ معذرة بالنصب
اي نعظهم معذرة على انه مفعول له او نعتذر معذرة على المصدر ولعلهم
يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقا فلما نسوا تركوا ما ذكروا به
ما ذكر به الصلحا وجعل الترك نسيانا بالغه اذ اقوى احوال الترك ان
ينسى المتروك انجينا الذين ينهون عن السوء هي عامة في المعاصي
ويدخل فيها صيد الحوت دخولا اوليا واخذنا الذين ظلموا بالارتكاب للمنكر
وفيه تنبيه على ان العلة للاخذ من الظلم بعذاب بيس شديد من بوس
يبوس باسا اذا اشتد وقرئ بيس كحذر وبيئس كحظر على تسكين العين
للتخفيف ونقل حركتها الى الفا كالبد في كبد وقرئ بيس على قلب الهمزة
ياء كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بيئس كريس على قلب همزة بيس يا وادغامها اليا فيها وبيس على تخفيف
بيس كميت في ميّت بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على الفسق
فلما عتوا عما نهوا عنه طغوا وتكبروا عن ترك ما نهوا عنه وزادوا وبغوا
قلنا لهم على طريقة الامر التكويني كونوا قردة اي مسخناهم قردة فكونه
خاسئين اذلا مبعدين عن الناس وقدم ما يتعلق بهذا في سورة البقرة
والظاهر من المعنى ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فلما
لم ينتهوا عنه وعتوا بعد ذلك مسخهم وقيل فلما عتوا تكرير وتقرير
لقوله فلما نسوا والعذاب الشديد هو المسخ وعن مجاهد مسخت قلوبهم
لا ابدانهم واذ تاذن ربك تاذن عزم وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام
لان العازم على الامر يوذن نفسه به ويحدثها ومثله في التفعل بمعنى الافعال
توعد بمعنى اوعد واجرى مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب
بما يجاب به القسم وهو ليبعثن عليهم اي عزم ربك واوجب على نفسه
ليسلطن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم يكلفهم سوء العذاب بعث الله

تعالى بعد سليمان عليهم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى
نسائهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى
المجوس الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فضرب الامر آخر
الدهر بل الى نزول عيسى عليه السلام لانه بعد نزوله من السما يضع عليهم
الجزية الى اشده وهو تكليف الاسلام بالقتل وسوء العذاب فينطبق ويجوز
ان تكون من يوم القيمة وقت ظهور اشراط الساعة لا حاجة تعميم سوء العذاب
والله اعلم بالصواب ان ربك لسريع العقاب لا يحتاج الى اعداد الالات
واحضار الاسباب وانه لغفور رحيم لمن تاب واناب وقطعناهم في الارض
وفرقناهم في اقطارها بحيث لا يخلوا قطر منهم تتميما لادبارهم حتى لا يكون
لهم شوكة بالاجتماع امما مفعول ثان او حال منهم الصالحون الذين آمنوا
بالمدينة ونظرا وهم الصالحون فاعل للظرف لاعتماده على الموصوف او مبتدا
ومنهم خبره والجملة صفة لامما ومنهم دون ذلك دون صفة لمبتدا
محذوف اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عن درجة الصلاح
وهي الفسقة والكفرة وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعمة والنقمة لعلهم
يرجعون عما كانوا عليه بالانتها فخلف من بعدهم من بعد المذكورين
خلف بدل سوء وهو مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والكثير وقد
جمع قال ثعلب الناس كلهم يقولون خلف صدق للصالح وخلف سوء للطالح
وكانه غافل عن قوله حسان في المدح لنا القدم الاولى اولئك وخلفنا لاولنا
في طاعة الله تابع والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب التوراة هي اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها ولا
يعملون بها وفي عبارة ورثوا اشارة الى انها وصلت اليهم بلا استحقاق
منهم كما يصل المال الموروث من المورث الصالح الى الوارث الطالح يأخذون
عرض هذا الادنى وهو ما ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف
الكلم للتسهيل على العامة والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لان الشيء
الحقير سهل التناول قريب الماخذ واما من الدناءة بمعنى الخسة والمراد
منه الدنيا وما يتمتع به منها والاشارة لهذا المزيد التحقير والجملة حال من
ضمير ورثوا او صفة بعد صفة ويقولون سيغفر لنا اي اذا عوتبوا في ذلك

اعتذروا بما يرجون من سعة رحمة الله تعالى ويقولون لا يؤاخذنا الله
بما اخذنا ويتجاوز عنا وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار
والمجرور او الى مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من
الضمير في يقولون اي يرجعون المغفرة جازمين بها وهم مصرون على ذنوبهم
ولا يتوبون عنها الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي العهد الذي في
التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان
لا يقولوا اي لا يعزوا على الله وهو القطع بالمغفرة مع الاصرار على الذنب وهو
خلاف ميثاق الكتاب ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كانه
كانه قيل الم يقل لهم لا يقولوا الى آخره وان فسر الميثاق بما بين فيه وهو ان
من ارتكب ذنبا عظيما لا يغفر الا بالتوبة كان ان لا يقولوا مفعولا له اي
لئلا لا يقول ودرسوا ما فيه الظاهر انه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ
اعتراض او حال بتقدير قد وقيل عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى لانه تقرير
له كانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه معنى الهمزة في الم
يؤخذ تقريع وتوبيخ على اخذ الرشوة والقطع بالمغفرة وهذا اقبح فعلهم لوجوه
اولها انه خلاف ميثاق الكتاب الثاني انه افترا على الله الثالث التاكيد
بقوله ودرسوا ما فيه اي من اشتراط التوبة في غفران الذنب الرابع قوله
والدار الآخرة خير اي من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى وهو تعريض
بانهم يختارون الدنيا على الآخرة فلا يبيعون الشريف الباقي بالخسيس الفاني
على الاكتفاء وفي الالهام بقوله الا يقولوا تنبيه على عظم ما يرتكبون افلا تعقلون
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة تعريض بانهم لا يمسكون بالكتاب اذ
يخالفونه وانهم يصلون وتخصيصها بالذكر لانها عماد الدين واس العبادات
والجملة عطف على الذين يتقون وافلا تعقلون اعتراض بينهما انا لا نضيع
اجر المصلحين اعتراض آخر او مسند اخبره انا لا نضيع اجر المصلحين اي منهم
او على وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح مانع من التضييع
وايماء الى انهم مفسدون بما يفعلون واذ نتقنا الجبل اي قلعناه من الاصل
ورفعناه فوقهم نتق الدابة صاحبها حين تعدو به اي حركته ورفعته
او استيناف لتعليل الخبر المحذوف كانه قيل نوفيهم اجورهم لانا لا نضيع

المصلين كأنه ظلة في موضع الحال من الجبل وظنوا أنه واقع بهم ساقط عليهم
وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى الطور وقيل لهم إن
قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم وهذا لا يقتضي تيقنهم بوقوع الجبل بهم وكذا عدم ثبوت
الجبل في الجو لا يقتضيه لأنه على جري العادة وأما على تقدير حدوثه فلا بعد
فيه وعدم وقوع المتعلق لا يصلح وجهًا لإطلاق الظن على الاعتقاد الجازم لعدم
الفرق بينهما في عدم الاقتضاء لوقوعه فالوجه أن يكون الظن حقيقة خذوا
على إضمار القول أي وقلنا خذوا أو قائلين ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزم على احتمال تكاليفه ومشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه
بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون ما أنتم عليه من قبائح الأعمال ورذائل
الأخلاق وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم أي أخرج من أصلابهم
نسلهم على ما يولدون قرنًا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض
والضمير لآدم عليه السلام وبنيه لا لنفسه خاصته ولا يلزم إخراج أولادهم
من محض الإرادة وأما عيسى عليه السلام خرج من ظهور جسده بواسطة
أمه وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب
في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم
وينزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم بمنزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة
التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا بلى في سؤال النفي إثبات
فكان إقرارًا والإقرار بدون الاعتقاد أن لا يكون شهادة وهذا كما
قال الله تعالى قول المنافقين قالوا نشهد إنك لرسول الله فالتصديق
ثبت مقتضى قولهم شهدنا أن تقولوا أي كراهة أن يقولوا يوم القيامة
إنا كنا عن هذا غافلين لم تتنبه عليه أو تقولوا عطف على أن تقولوا وقرئ
كلا بالياء لأن أول الكلام على الغيبة إنما أشرك آباؤنا من
قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل
والتمكن من العلم به لا يصلح عذرًا أفتهلكنا بما فعل المبطلون يعني
تأسيس آبائنا المبطلين الشرك وجعلهم إياه سنة لن أهلكتنا بما
فعلوه وكذلك أي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات قطعًا لعذرهم
ولعلهم يرجعون أي تمييز بعضها عن بعض ليتمكنوا عن الاستدلال

بها ويرجعون عن التقليد واتباع الباطل والواو للعطف لمقدر ينبهنا
عليه وقيل لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام أخرج من ظهره ذريته
كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لخبر عمر رضي الله عنه
والمقصود من إيراد هذا الكلام هاهنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام
بعد إلزامهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال واتل عليهم أي
على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو أحد علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين
اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها بأن كفر بها
وخرج عن حكمها فأتبعه الشيطان خطواته أي جعله تابعًا له وقيل
استتبعه أو أتبعه ليضله فأدركه ولحقه وصار قرينًا له فكان من الغاوين
فصار من الضالين وقيل هو أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم
الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولًا وتوقع أن يكون هو كذلك فلما
بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به أتينا الآيات إلى الله تعالى
وخروجه عن حكمها إليه إشعارًا بأن الإكمال إنما يكون بحسب استعداد
العبد فأعطاه أسباب الكمال ولكنه بحسب استعداده إلى الجهة السفلية
فخرج عن حكمها فناسب الشيطان فأغواه فتشبث بها وعلق رفعه بمشيئة
الله تعالى واستدرك عنه بفعل العبد تنبيهًا على أن المشيئة سبب لفعله
الموجب لرفعه وأن عدمه دليل وعدمها لاستلزامها انتفاء المسبب انتفاء
السبب وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن الأسباب والوسائط في
حصول المسبب إذا تعلقت المشيئة به كذلك ولو شئنا لرفعناه بها إلى منازل
الأبرار من العلماء لأن مراد الله تعالى لا يتخلف ولكن حكمته اقتضت أن
تتبع إرادته اختيار العبد وأشار إلى هذا حيث قال في موضع ولكن لم نشأ
ولكنه أخلد إلى الأرض فذكر فعل العبد لا فعله أي مال إلى الدنيا أو إلى
السفالة واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى
الآيات به ووضع قوله أخلد إلى الأرض واتبع هواه موضع أعرض عنها
إقامة للسبب مقام المسبب مبالغة وتنبيهًا على أن موجب إعراضه هو
هوى النفس وحب الدنيا وأنه رأس كل خطيئة وكان مقتضى الظاهر أن يقول

ولكنه اخلد الى الارض فحططناه في مقابلة رفعناه فوضع قوله فمثله كمثل
الكلب موضع فحططناه ابلغ حط وادله مبالغه اي صفته كصفة الكلب الذي
هو مثل في الخسة في اخس احواله واذلها وهو دوام اللهث سواء حمل عليه
وهيج او ترك فلم يهج على ما ذكر بقوله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث فانه
يلهث دائما لضعف قلبه وحرارته بخلاف ساير الحيوانات فانه يلهث عند
التحرك والانزعاج ولا يلهث عند التوديع والاجمام واللهث هو ادلاع اللسان
من التنفس الشديد الذي يلحق الانسان وغيره من شدة الاعيا وهو في الكلب
طبع وقد يكون من العطش محل الجملة الشرطية النصب على الحال لكنه كمثل الكلب
لاهثا في الحالين والمراد من التمثيل ان الاستعداد الخبيث لا موجبات الترقي
في اسباب الكمال والسعادة بل يزيده نقصا وانحطاطا وشقاوة كما لم ينفعه
الايات بل زادته رجسا الى رجسه ووجه التمثيل ان ابا الايات واسباب
السعادات كالتوديع والاجمام وضلالته واستعداده كلهث الكلب وطبيعته
ولهذا قيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا يعني لا اختصاص للتمثيل المذكور بالذي ورد في حقه
بل نعمه وامثاله من المكذبين باياتنا كما لا اختصاص للاحكام النازلة باسباب
نزولها ومن ههنا وجه التفريع في قوله فاقصص القصص المذكورة المشتملة
على التمثيلات المنبهة لمن حاله كحالهم لعلهم يتفكرون فيه فيتعظون به
ويحذرون مثل عاقبته ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا ساء بمعنى بئس
واصلها التعدي بقوله ساء في السي سوى وبه استعملت استعمال بئس
فبنيت على فعل وجرت على احكام بئس ومثلا تمييز للضمير المستكن في ساء
فاعلا وهو مفسر بهذا التمييز فاحتيج الى تقدير مضاف اما في التمييز لما
بعدها فلا بد ان يكون المخصوص من جنس التمييز واما في المخصوص اي ساء
مثلا مثل القوم وهذه الجملة تاكيد للجملة السابقة وانفسهم كانوا يظلمون
بعد قيام الحجة وعلمهم بها اما معطوف على كذبوا فيكون في خبر الصلة اي
الذين جمعوا بين التكذيب والظلم على انفسهم واما كلام منقطع عن الصلة
اعتراضا للبيان اي وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم كان والا ماله وهو الوبال
لا تتعدى الا اليها ولهذا التخصيص قدم المفعول وهذا الاخير احسن من يهدي الله

فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون لما تقدم ذكر المهتدين والضالين
اخبر تعالى انه المتصرف فيهم بما شاء من هداية وضلال وفيه تصريح
بان الاهتدا مخصوص بمن هدى الله تعالى وتنزيل الهداية التي لم يترتب
عليها الاهتدا منزلة العدم واما اختصاص هداية الله تعالى ببعض دون
بعض واستلزامها للاهتدا فيرده قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى وفي الافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ
في الاول والمعنى في الثاني والتعبير عن لفظ الضالين تنبيه على ان
المهتدين كنفس واحدة لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين فان لهم طرقا لا
تنحصر وان اجتماعهم لا يجدي نفعا في دفع الخسران اللازم لضلالتهم وفي
الاقتصار في الاخبار عن هداه الله تعالى بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء
وبيان انه في نفسه كمال تام لو لم يكن غيره لكفى نفعا جليلا ورجحا وافيا لانه
المستلزم للفوز الاكبر والعنوان لجميع الكمالات ولقد ذرانا خلقنا لجهنم
لصلحته فانه مظهر جلال الله تعالى وقهره فلا يناسب الحكمة تعطيله وفيه
تنبيه على سبب خلقه تعالى من لا حظ له من الاهتدا كثيرا من الجن والانس
قدم الجن على الانس لان الاحكام في مقام التحقير والاذلال وهم المطبوع على
قلوبهم الذين علم الله انه لا ينجع فيهم الدعوة الى الحق والايات لهم قلوب لا
يفقهون بها اذ لا يلقون اذهانهم الى النظر في الدلايل ولا اذهانهم الى
طلب الحق ومعرفته ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون بها نظر اعتبار
الى مخلوق الله تعالى ولهم اذان لا يسمعون بها ايات الله تعالى اسماع تدبر
وتامل وكانه لا ادراك لقلوبهم ومشاعرهم اولئك كالانعام لما لم ينتفعوا بقلوبهم
ومشاعرهم جعلها مسلوبة الفهم والادراك ثم شبههم بالانعام في عدم
الفقه والاعتبار والفهم او في ان مشاعرهم لا تتوجه الى اللذات الحسية
وامور المعاش لا تطمح ابصارهم ولا يلتفت بصايرهم الى امور المعاد بل هم
اضل لانها مع عدم العقل تجتنب المضار وتجلب اسباب المنافع بخلاف الكفار
فانهم على عكس هذا الكيف وهم يصرون على الكفر والانكار والاصرار يورثهم
الاضرار في هذه الدار ودار القرار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
بين به سبب كونهم اضل من الانعام وهو الغفلة عما اعد الله تعالى لاوليايه

من الثواب ولاعدايه من العقاب وفي الاية تعريض باليهود بيان ما هو
صورة حالهم ولله الاسما الحسنى التي هي احسن الاسما لدلالتها على المعاني
التي هي اشرف المعاني فادعوه بها لا بغيرها ولا تدعوا غيره بها وذروا الذين
يلحدون في اسمايه واتركوا تسمية الذين يميلون في اسمايه عن الحق الى
الباطل فيسمونه بما لا توفيق فيه او بمعنى توهم معنى فاسد كقول اهل البدو
يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او الذين يلغون في اسمايه ويطلقون له
على غيره تعالى كقولهم ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامه فلا تبالوا بانكارهم
واتركوهم والحادهم او ذروهم والحادهم في اطلاقهم على اصنامهم بتسميتهم
الهه او اسمالهم اسما لها منها كاللات من الله والعزى من العزيز فلا
توافقوهم فيها واعرضوا عنهم فان الله تعالى مجازيهم كما قال سيجزون ما
كانوا يعملون والتركيب على هذا الوجه ادلت وقرئ يلحدون بالفتح يقال
لحد والحد اذا امال عن القصد ولما قال ذرانا لجهنم كثيرا كالضالين
الغافلين والملحدين ومماه بما دلت انه خلق للجنة كثيرا وهو قوله وممن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون في الحكم اي في كل قرن طايفه
بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا يزال طايفة من امتي على الحق الى ان
ياتي امر الله ففيه دلالة على صحة الاجماع والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
اي بايات الله التي تضمنها القران لقوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا
الحديث سنستدرجهم والاستدراج الاستدنا الى الهلاك قليلا قليلا
يقال درج الكتاب اي طواه شيا بعد شي قال الخليل سنطوي عمرهم
في اغترارهم فهو من الدرج بمعنى اللف ومنه ادرج الميت في اكفانه
وقيل هو من الدرجه فهو في الاصل التقرب من المقصود درجه بالاصعاد
والاهباط ثم اتسع فاطلق على التقرب منه قليلا قليلا ومنه درج
الصبي اذا قارب بين خطاه والفرق بين المعنيين واضح وان اشتبه
على من ذكر المعنى الثاني وقال ومنه درج الكتاب من حيث لا يعلمون
انه استدراج حيث جدد لهم النعمة ما جددوا وانما يحسبون به النعمه
فاغتروا به حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واملي لهم امهلهم
واوخر عذابهم من الملي يقال اليا يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوه

بفتح الميم وضمها وكسرها اي قطعه منه عطف على سنستدرجهم لا على
نستدرجهم اذ لا حاجة الى ادخاله في حكم السين فقد لا خطا مر بين وانما
لم نقل نملي لهم على وفق نستدرجهم للفرق بينهما فان الاستدراج بالتدبير
العادي الذي توسط فيه المدبرات امرا والاملا بالتقدير الالهي الذي لا
مدخل فيه لاحد ان كيدي الكيد الاخذ على خفاء فاطلاقه هنا على الحقيقه
لا على التشبيه كما زعم من قال وانما سماه كيدا لانه على صورته لا يعتبر فيه
اظهار خلاف ما ابطنه وبه يفارق المكر فانه يشارك الكيد في الاخذ المذكور
ويمتاز عنه باشتماله القيد المذكور متين شديد قوي اصله من المتن
وهو اللحم الغليظ الذي على جانب الصلب وهما متنان اولم يتفكروا
الاستفهام للتعجب والواو للعطف على محذوف تقديره الم يعلموا ولم يتفكروا
ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنه اي جنون من الجن
وكانوا يقولون فيه عليه السلام شاعر مجنون بالغ في نفي الجنون عنه
عليه السلام بنفي الجنة منكرا قاصدا بتنكيرها التقليل اي ليس به عليه السلام
شيء من الجنة وزيادة من الدلالة على نفي ما ينسب اليها ايضا وان لم
يكن منها حقيقه وفي تقديم بصاحبكم تعريض لهم وفي عبارة الصاحب
وفي نسبته اليهم اشارة الى انه عليه السلام تلك الحال لما خفيت عليكم لما
بينهما من المصاحبة والمخالطة ان هو الا نذير عن قتادة رضي الله عنه
ان النبي عليه السلام علا على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله
تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح
فنزلت فالمعنى ما هو عليه السلام في تلك الحال الا منذر مبين موضح
انذاره باعلى صوت اولم ينظروا نظر استدلالات في ملكوت السموات والارض
فيما يدلان عليه من عظم ملكه او فيما يملك به السموات والارض من
ملكوسا بها الملكوت الملك العظيم او الملايكة اي جنس الملايكة المدبره لها بامره
تعالى ثم انه تعالى لم يقتصر على الحث على النظر في الملكوت بل نبه على
ان كل فرد من الموجودات محل النظر والاعتبار والاستدلال على وجود
الصانع ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد تعالى
وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله تعالى من كل ما يقع عليه اسم الشيء مما لا

يمكن حصره ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة فاطرها وعظم شان
مالكها ومدبرها فيعلمون صحة ما ندعوهم اليه وفي امكان اقتراب
اجلهم فلعلهم يموتون عن قريب فيسارعون الى النظر فيما يهديهم الى
الحق ويبادرون من العمل الى ما ينجيهم من العذاب قبل مقابضة الاجل
وحلول العقاب على ما ذكره بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مخففة من المثقلة اصله انه والضمير فيها وفي
يكون ضمير الشان والحديث وفي ان الشان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم ولا يجوز ان يكون ان مصدرية لانهم نصبوا انها توصل بفعل
متصرف وعسى فعل جامد فلا يجوز ان يكون صلة لان ويجوز ان يراد
باقتراب الاجل اقتراب الساعة فباي حديث بعده اي بعد القران اذا
لم يؤمنون بعد وضوحه ولزوم الحجة عليهم قبل فواته ما هو الا كونهم
مطبوعا على قلوبهم لما ارشدهم على الاستدلال وحرضهم على النظر في امكان
قرب الاجل انكر عليهم التثبط عن الايمان ثم قرر معنى الانكار وما يلزمه
علل ذلك بقوله من يضلل الله فلا هادي له نفي نفيا عاما ان يكون هاد
لمن اضل الله تعالى فتضمن الياس من ايمانهم والمقت لهم ويذرهم بالرفع
اعتراض للبيان اي وهو يذرهم لقوله ومن يضلل الله وقرئ به وبالجزم
عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم في طغيانهم
في افراطهم يعمهون حال من هم يسالونك عن الساعة اي عن يوم
القيمة لقوله تعالى يسالون ايان يوم الدين وهو من الاسماء الغالبة
واطلاقها على ذلك بالاضافة كبيت الله فلما غلبت لعدت فاستغنت
عن الاضافة وعلى هذا لا حاجة الى وجه التسمية ايان مرساها ايان
بمعنى متى قيل اشتقاقه من اي من اوت لان البعض اوى الى
الكل ويمكن ان يكون تركيبها من اي مع الان فركبا لان معناه اي وقت
مرساها مصدر اي ارساؤها او اسم زمان والارساء الاثبات من الرسو
وهو ثبات جسم ثقيل وقراره ومنه رسا الجبل ولا اثقل من الساعة
كان النبي عليه السلام يدعوهم الى الايمان والطاعة وينهاهم عن الكفر
والمعصية ويحذرهم قيام الساعة فقالوا متى هي قل انما علمها عند ربي

يومنون متعلق بعسى ان يكون اي لعل اقتراب فالهم يبادرون الى الايمان بالقران قبل الفوت وقبل اذا م

استاثره

استاثره به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لما كان السوال عن الساعة
عموما ثم خصص بالسؤال عن وقتها جا الجواب عنها عموما بقوله قل
انما علمها عند ربي ثم خصص من حيث الوقت فقال لا يجليها لوقتها الا هو
اي لا يبينها ولا يكشف امرها للناس واللام للتاقيت كما في اقم الصلوة
لدلوك الشمس والمعنى ان الخفاءها مستمر على غيره الى وقت وقوعها ولا
يظهرها في ذلك الوقت الذي تقع فيه بغته بنفس الوقوع لا بالاخبار
عنها ليكون ادعى الى الطاعة والنهي عن المعصية كاخفاء الخاص الذي
هو وقت الموت ثقلت في السموات والارض اي شقت وكبرت على
اهلها من الملئكة والثقلين لشدة هولها وعظمها كانه اشار الى حكمة
اخفائها اي لا يطيقون تحمل اخبارها او ثقل اخفاؤها عليهم فان ما
خفي امره ثقل على النفوس لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة منكم كما قال تعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون وقد ورد في الحديث
ان الناس تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك اي
عن الساعة كانك حفي عنها حفي فعيل من حفي عن الشيء اذا بالغ في
السؤال عنه لان من بالغ في المسئلة عن الشيء استحكم علمها واتقن ولهذا
عدي بعن اي كانك بتبلغ في السؤال حتى احكمت علمها وقرئ حفي بها اي
عليم مبالغ في العلم بها قل انما علمها عند الله كرر بتكرير يسالونك لما سط به من
زيادة قوله كانك حفي عنها للتاكيد والمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان علمها عند الله تعالى لم يعطه احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا جلب نفع ودفع ضر وهو اظهار العبودية وتبرؤ عما اختص بالربوبية
في علم الغيب اي كسائر المماليك والعبيد لا املك لنفسي شيئا الا ما شاء الله
من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مسني السوء ولو كنت ما علمته لخالفت حالي ما هي عليه من
استكثار باجتلاب المنافع والاستخلاص عن الشر باجتناب المضار كما هو
مقتضى طبع البشر وفيه دلالة على انه لا تاثير للقدرة والا لما امكن التعبير
بالتدبير على تقدير العلم باسباب النفع والضر فتدبر فانه موضع النظر

خنص

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اهل مكه الا يخبرك ربك بالسعر الرخص قبل ان يغلوا فنشتري ونربح وبالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما اخصب فنزلت ان انا الا نذير وبشير الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا لقوم يومنون متعلق بالبشير ومتعلق بالنذير محذوف للتعميم لقوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين امنوا هو الذي خلقكم من نفس واحده هو ادم عليه السلام وجعل منها من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها سكن الى جنسه فيانس بها ويطمين اليها وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليبين ان المراد منها ادم عليه السلام ويوكد معنى الانس والميل لان الذكر بالانثى انس واليها اميل ولتناسب قوله فلما تغشاها التغشي كناية عن الجماع حملت حملا الحمل بالفتح على ما يكون في بطن وبالكسر ما كان على ظهر خفيفا لكونه نطفة او خف ولم تلق منها ما تلقى الحبالى غالبا من الكرب والعشي والاذى والقوم مختص بالرجال فالبشارة عبارة تخص بهم ودلالة تعم النسا حيث علقت بالايمان فان ترتب الامر بموصوف يدل على غلبة الوصف له وفيه تحريض للكفار على الايمان فمرت به فقامت به وقعدت اي ترددت به لخفته كما لم تكن تحمل او استمرت به كما هو قراة ابن عباس رضي الله عنهما اي ولم تنزل ولم تسقط ولم تخدع وقرئ فمرت بالتخفيف اي فكشفت فيما اصابها هل هو حمل او مرض او غيرهما وقرئ فمارت به اي جات وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها اي حان وقت وضعه وقرئ اثقلت بالبنا للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما الضمير لادم عليه السلام وحوى رضي الله عنها ربهما مالك امرهما ومتعلق الدعا محذوف يدل عليه جملة جواب القسم لئن اتيتنا صالحا اي دعوا الله ورغبا اليه في ان يوتيهما ولدا سويا صلحت بدنه وكملت خلقته لنكونن من الشاكرين لك على نعمايك وندخل فيه دخولا اوليا الشكر على هذه النعمة المجدده فلما اتاهما صالحا جعلا له اي جعل اولادهما له شركا فيما اتاهما اي اتى اولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدلت عليه قوله

تعالى

250

فتعالى الله عما يشركون وكون الخطاب لغير ادم يا باه قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقرئ شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك اي شركا ايشركون الاستفهام بمعنى التوبيخ ما لا يخلق شيا وهم يخلقون هم ضمير الاصنام وجيء به على تسميتهم اياها الهه ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله تعالى وقرئ لا يتبعوكم بالتخفيف امر صامتون لان المراد ان تقول سوا عليكم احدثتم الدعا ام انتم على ما انتم عليه من عادة الصمت عن دعايهم فالهم جمادات وهو حسب حالهم لانهم اذا اوهمهم امر دعوا الله من حيث هو مسري بدوام الثبات على الصمات ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم تعبدونهم وتسمونهم الهة عباده امثالكم من حيث انها مملوكه مسخره وانما سمي الاصنام عبادا لانهم كانوا يعتقدون انها تضر وتنفع فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها قادره على النفع والضر وقيل ذلك استهزا بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احيا عقلا فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم فقال باثبات انهم اعجز منهم الهم ارجل يمشون بها ويا باه الفصل بقوله فادعوهم الخ فان انتظامه مع سياق الكلام في التيامه للمقام على الوجه الاول كما لا يخفى على ذوي الافهام وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافيه عملت عمل ما الحجازيه فرفعت الاسم ونصبت الخبر وفيه خلاف اجازه الكسائي واكثر الكوفيين ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنعه الفرا واكثر البصريين واختلف النقل عن سيبويه والمبرد والصحيح انه لغة ثبت في النظم والنثر ام لهم ايد يبطشون بها قرئ بكسر الطاء وضمها وهما لغتان والبطش الاخذ بالقوة والقدرة على الامساك وبهذه الزيادة يكون الاخذ من خواص اليد من بين الاعضا كما ان المشي بما فيه من الزيادة على مطلق الحركة يكون من خواص الرجل واعادة اداة الاستفهام على

قد مر ما يتعلق بـ سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون بهذا الكلام في سورة البقرة ان ما انزل

وجه الانكار دون ان الجميع للاشعار باستقلال انتفا كل منهما في الابطال والاثبات المذكورين آنفا ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة وهو اضراب على معنى الانتقال لا على معنى الابطال وانما هو على تقدير نفي كل واحدة من هذه الجملة وتوجه النفي الى الوصف لانهم كانوا يصورون هذه الاعضا بالاصنام قل ادعوا شركاءكم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتهكم بعد اثبات عجزهم اي استعينوا بهم على ايصال الضر الي ثم كيدون اي بالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي انتم وشركاكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم وهذا غاية الوثوق على ولاية الله تعالى وحفظه كما كان بلوغهم الى الغاية في بذل الجهد متراخيا عن الاستعانة المذكورة عطفه عليها باداة التراخي وكان عدم الامهال مترتبا عليه صورة باداة التعقيب ان وليي الله الذي نزل الكتاب اي ناصري وحافظي الله الذي اكرمني بانزال القران علي وهو يتولى الصالحين من عادته ان يتولى الصالحين من عباده والذين تدعون من دون الله اي من دون الله تعالى لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اي انهم عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا عن نصرة غيرهم اعاد بيان عجزهم لان الاول للتقريع والثاني لتتميم التعليل لعدم مبالاته فلا تكرار وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لانها اجماد لا حس وليس هذا موضع اشتباه بخلاف امر النظر فانهم صوروها بصورة من ينظر الى من يواجهه ولهذا قال وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون والحال انه لا قدرة فيهم على الابصار فليس ما تراه في الحقيقة انما تكرر القول في هذا وترددت الايات فيه لان امر اصنامهم وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب في ذلك الزمان ومستوليا على عقولهم فاطنب القول في ذلك لطفا من الله تعالى بهم خذ العفو اي السهل وما تيسر من افعال الناس واخلاقهم من غير كلفة ولا طلب منهم الجهد وما يشق عليهم من التكاليف من العفو الذي ضد الجهد او الفضل من صدقاتهم وما يسهل عليهم ويسر لهم وذلك قبل وجوب وامر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال

والاقوال

والاقوال والاحوال واعرض عن الجاهلين ولا تكادد السفها بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض عن المذنبين وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق وروى انه عليه السلام سال جبرائيل عليه السلام عن هذه الاية فقال اعط من حرمك وصل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اسا اليك وقيل لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب كيف والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ اما كلمتان ان التي هي للشرط وما التي هي صلة زائدة والنون للتوكيد والنزغ الازعاج بالتحريك اي ان اعترضك الشيطان بافساد شيء من هذه الاخلاق التي امرتك بها فاستعذ بالله اي فاستعصم به انه سميع لكلامك عليم بمرامك كناية عن الاستجابة ان الذين اتقوا ان المومنين المتقين الله اذا مسهم طايف من الشيطان اذا اتاهم وسوسة قيل كانه طاف بهم ودار حولهم فلم يقدر ان يوثر فيهم ومعناه الغفول عن دلالة المس على التاثير وقرئ طيف والطيف والطايف ما الم بالانسان من عراض الشيطان وقرئ طيف بتشديد اليا قال الزجاج طاف الخيال يطيف اذا الم به وطاف عليهم يطوف اي دار ومن جعل هذا من الطواف الواوي قال طيف اصله طيف بالتشديد ثم خفف كالهين والهين والمراد من الشيطان الجنس ولذلك جمع الضمير تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعون فيها والاية تقرير لما تقدم وما فيه من وجوب الاستعاذة عند نزغ الشيطان وبيان ان المتقين عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ والمام بوسوسة ان يستعيذوا او يتذكروا قبل ان يصير خاطرا وجالت فيه النفس بالفكر واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويماد ونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغوا وهولا يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون من اغوايهم حتى يردوهم وهذا اشد من الاول ولهذا عطف بثم المستعارة عليه للتراخي في الرتبة وعوض بالاخوان الشياطين

والضمير المضاف اليه للجاهلين فيكون الخبر جاريا على قوله ولا
وجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا واذا لم تاتهم باية او بما
اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا اختلقتها افتراء او تقولا من عند نفسك لانهم
كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها مقترحة
من جباه او من اجمعه او من جباه اليه فاجتباه اي اخذه قل انما
اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح
لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها يبصر القلب
الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون قد سبق تفسيره
لما ذكر ان القران بصائر وهدى ورحمة امر باستماعه اذا شرع في
قراءته وبالانصات وهو السكوت مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل
على تلك الاوصاف حري بان يصغى اليه حتى يحصل منه للمنصت
المستمع هذه النتايج العظيمة فيتبصر من العمى ويهتدي من الضلال
ويرحم لها وقيل واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة القران والانصات
له واطلاق الامر يقتضي وجوبهما حيث يقرا القران مطلقا وعامة
العلماء على استحبابهما خارج الصلاة وفيه اشكال لانه يلزم الجمع بين معنى
الامر ويمكن ان يقال انه جايز عند اختلاف المحل على ما ذهب اليه
العراقيون من اصحابنا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي عليه السلام
قرا في المكتوبة وقرا اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت هذه الاية
ومن ههنا اتضح وجه احتجاج من يرا القراة على الماموم ههنا واما
قول من قال انها في الخطبة فضعيف لان الاية مكية والخطبة
لم تكن الا بعد الهجرة بقي ههنا دقيقة انيقة لا بد من التنبيه لها وهي
ان الانصات مقدمة الاستماع فحقه ان يقدم في الذكر وانما اخر
هنا اهتماما لشانه واخراجا له عن حيز الاتباع الى حد الاستقلال
وتنبيها على انه مقصود بالذات ومامور به اصالة حتى لو كان في مجلس
القراة نائيا عن القاري فحقه ان ينصت وان لم يتيسر له الاستماع تعظيما
لشان القران واحرازا لاحد الفضيلتين ولو قدم الانصات لتبادر الى

الفهم ان الامر به لمصلحة الاستماع فلا يجب بدونها واذكر ربك في نفسك
عام في جميع الاذكار من القراة والدعا والتهليل وغيرها لان الخفا في النفس
ادخل في الاخلاص والخشوع تضرعا باللسان وخيفة بالقلب مفعولا من اجله
لتضرع وخيفة او مصدران منصوب بان على الحال اي متضرعا وخائفا
ودون الجهر معطوف على قوله في نفسك اي ذكرا في نفسك دون الجهر
ولهذا اجعل قوله من القول بيانا للجهر بالغدو والاصال باوقات الغدو والي
الغدوات لمقاربة الاصال وهي جمع كايمين والايمان وقيل جمعه
الاصل وجمع الاصل وجمع الاصال وقرئ بالايصال من اصل اذا دخل في
الاصيل وهما عبارة عن الليل والنهار والمراد به الذكر على الدوام لما امره
تعالى تاكد اكد ذلك بالنهي عن ضده فقال ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
تعالى خاطبه عليه السلام والمراد نهي امته عنها على ابلغ وجه اي لا تقتدوا
بالغافلين لكن بالملكة الذين لا يغفلون وذلك قوله تعالى ان الذين
عند ربك هم الملكة المقربون وعند بيان قرب الكرامة دون المكان فان
الله تعالى عن ذلك لا يستكبرون عن عبادته كما ان الاستكبار
مقدمة العصيان كذلك عدمه مقدمة الطاعة ثم ذكر الطاعة القلبية
وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة بقوله ويسبحونه
والطاعة القالبية وهو الحال التي يكون العبد فيها اقرب الى الله تعالى
وله يسجدون وتقديم له للاختصاص وخصوصه بالعبادة لا يشركون به
وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين وكذلك شرع السجود والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال جمع نفل
وهو الغنيمة واصله الزيادة ومنه نوافل العبادات وانما سميت الغنيمة
نفلا لانها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة والدعا الى الله تعالى
وعبارة عن صريحه في ان السوال سوال الاستخبار فالمطلوب بيان حكمها
وقرئ بدون عن فيكون السوال سوال الاستعطا ولم يشترط الامام
لمن يقتحم خطرا زايدا على ما يسمى ايضا نفلا فالمعنى يسالك المقتحمون
للخطر ما شرطت لهم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

الاستفسار

واذ عاربون عن فيها قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله
ورسوله يامر الله تعالى رسوله عليه السلام بقسمتها على مقتضى حكمته
وتمثيل الرسول عليه السلام امره تعالى فيها فيقسمها على حسب امره ليس
لاحد فيه حكم وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف
تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمن كان له غنا ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين
واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا ردا لكم وفئة تتحاوزون اليها فنزلت وعلى
هذا انما يكون ما شرع السنة بينوها بالكتاب قبل العمل به فلا متمسك
به للشافعي في ان النفل لا يلزم الامام الا ان يفي بما وعد وعن ابن عباس ان
هذه الاية نزلت اولا فصارت الانفال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
نزلت واعلموا انما غنمتم من شيء الاية فقسم الله ذلك الخمس لرسوله ولمن
سمي فيها ويوافق هذا ما روي عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
انه قال نزلت في هذه الاية وذلك انه لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك فاطرحه في القبض فطرحته وبي
ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى
نزلت سورة الانفال فقال رسول الله عليه السلام سألتني السيف وليس
لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعلى هذا يكون المعنى الانفال للرسول
ويكون ذكر الله تمهيدا لتعظيم شانه عليه السلام والتنبيه على انه عليه السلام
يتصرف فيها على ما تقتضيه تعالى ويقتضيه الحكمة فاتقوا الله في الاختلاف
والتخاصم وكونوا متحابين متاخين في الله تعالى واصلحوا بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وتسليم امره الى الله
والرسول ذات بينكم ذات البين هي الاحوال التي تقع بين الناس اي ما
بينكم من الاحوال ولما كانت ملابسة للبين قيل لها ذات البين بالاضافة
كقوله عليم بذات الصدور اي مضمراتها وما فيها من السرائر واطيعوا الله
ورسوله في تفويض امركم اليهما والتسليم لحكمهما ان كنتم مؤمنين ايمانا

يعتدبه

يعتد به فيجعل التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين من
لوازم الايمان وشرائطه ايذانا بان كمال الايمان موقوف عليها بمعنى
اذا فقدت كان كلا ايمان كما لا تقول ان كنت من الرجال فاوف
الي عهدك يشير الى لزوم الوفا للرجولية واللام في قوله انما المؤمنون
اشارة اليهم والمراد الكاملون في الايمان والدليل عليه قوله اولئك
هم المؤمنون حقا كان غيرهم ليسوا بمؤمنين حقيقة الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا لجلاله فلا يخالفوه
في امره وقيل هو الرجل يهم بمعصيته فيقال له اتق الله فينزع عنه
خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة فيه وقرئ فرقت اي
خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس
فان للايمان مراتب في القوة والضعف ورسوخ اليقين انما هو بتظاهر
الادلة وقيل لزيادة المؤمن به ويلزمه تخصيص الايات بالتي نزلت اولا
وقيل بالعمل بموجبها على قول من قال بدخول العمل في الايمان ويلزمها
تخصيصها بالتي تتعلق بالاعمال زيادة على التخصيص الاول فتامل وعلى
ربهم يتوكلون في تقديم الجار والمجرور على الفعل اشارة الى ان المؤمنين
بالايمان الكامل حقهم ان لا يفوضوا امرهم الا اليه ويسلموا تسليما
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في اول
سورة البقرة اولئك هم المؤمنون قد جمع في الاية بين اعمال القلوب
من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة
والزكوة لان الظاهر عنوان الباطن والباطن اساس الظاهر وكما
ان الثلاثة الاول اصول الاعمال القلبية وملاكها فالاخريان اصول
الاعمال القالبية وعيارها فهي مستتبعة لسايرها حقا مصدر موكد
لما تقدم اي حق ذلك حقا او صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا لهم
درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة ومغفرة لما فرط منهم
ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده لما نعت
ثلاث صفات قلبية وقالبية ومالية يترتب عليها ثلاثة اشيا
فقوبلت الاعمال القلبية بالدرجات والقالبية بالغفران والمالية

بالرزق الكريم قوله عند ربهم متعلق بالموصوفين كما في قوله تعالى
لو يكن امنت من قبل او كسبت وقد مر بيانه في تفسير سورة الانعام
كما اخرجك ربك في محل الرفع خبر مبتدأ محذوف اي هذه الحال كحال
اخراجك للحرب في كراهتهم اياها او في محل النصب صفة لمصدر الفعل
المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال تثبت لله والرسول مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك بالمدينة او المدينة نفسها لانها
في اختصاصها به من حيث انها مسكنه ومهاجره كاختصاص البيت بصاحبه
مع كراهتهم اياه بالحق صفة المصدر اي اخراجا ملتبسا بالحق والصواب
وان فريقا من المومنين لكارهون حال اي اخرجك في حال كراهتهم وفيه
دلالة على ان كراهة الاخراج انما كانت من بعضهم وسبب اخراجه ان
عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة وفيها اربعون راكبا فاخبر
جبريل رسول الله عليهما السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة
الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة
يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد
ان تفلحوا ابدا بعدها فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهو النفير في المثل
السائر لا في العير ولا في النفير فقيل ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا انحر الجزور وشرب
الخمور سدد فنسامع جميع العرب لخمج عليه بسوقهم يوما في السنة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي وقران فنزل جبرايل عليه السلام
بالوعد باحدى الطايفتين اما العير واما النفير فاستشار فيه الصحابة
رضي الله عنهم فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتهيا له انا خرجنا
للعير وهم المراد من الفريق المذكور وتمام القصة تطلب من كتب يجادلونك
في الحق يحتمل ان يكون في موضع الحال من الضمير في الكارهون ويحتمل
ان يكون استيناف اخبار وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير
ولو عرفنا لاستعددنا للقتل والحق هنا نصرة دين الاسلام بالجهاد بعدما
تبين اي بعد تبينه باعلام الرسول صلى الله عليه وسلم انهم ينصرون
وهذا ابلغ في الانكار لحسد الهم كانما يساقون الى الموت حال اي يجادلونك

مشبهين

254

مشبهين من يساق الى الموت وهم ينظرون حال من ضمير يساقون
شبه حالهم في شدة فزعهم وفرط رعبهم لقلة عددهم وعددهم بحال
من يساق بالذلة والصغار الى القتل المتيقن فهو مشاهد لاسبابه
ناظر اليها واذ يعدكم الله احدى الطايفتين على اضمار اذكروا احدى ثاني
مفعولي يعد وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم من العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا وكانوا
يكرهون النفير لشوكتهم بكثرة العدد وفرط العدد والشوكة الحدة استعيرت
في الاصل من ولحد الشوكة فغلبت في كل قوة وحدة ومنه شاك السلاح
ويريد الله ان يحق الحق بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة
او بامر الملئكة بالنزول لنصرتهم وبما قضى وقدر من قتلهم واسرهم
وقرى بكلمته اي بامره ويقطع دابر الكفرين باستيصالهم والدابر الاخر من
دبر اذا ادبر واذا قطع اخرهم لم يبق منهم احد والمعنى انكم تتمنون ان
تصيبوا مالا ولا تلقون مكروها وهو من سفساف الامور والله يريد
اعلى الدين واظهار الحق وما فيه فوز الدارين وهو من معالي الامور ليحق
الحق ويبطل الباطل متعلق بمحذوف اي فعل ذلك ويجوز ان يكون متعلق
بيقطع ويجب ان يقدر الفعل موخرا ليفيد معنى الاختصاص وانه ما فعل
الا لذلك لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره
عليها ولو كره المجرمون ذلك والجملة في موضع الحال اذ تستغيثون ربكم
بدل من اذ يعدكم او نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون متعلقا بقوله ليحق
الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال اخذوا يدعون الله
ويقولون اي انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا فاستجاب لكم
اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب وقرى
بالكسر اجرا الاستجابة مجرى القول بالف من الملئكة مردفين بكسر الدال
من اردفه اذا اتبعه اي متبعين بعضهم بعضا المومنين ليحفظوهم او
انفسهم المومنين او متقدمو غيرهم فيتبعونهم انفسهم او اردفته اذا جيت
بعده اي او متبعين المومنين وقرى بفتح الدال بمعنى متبعين اي كانوا

[illegible]

مقدمة الجيش او متبعين اي كانوا ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وفتحها وتشديد الدال واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالالف فيوافق ما في سورة ال عمران ووجه القراءة على التوحيد ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة ووجوههم واعيانهم والباقي اتباع لهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها والظاهر من قوله وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وعدم عددكم العظم لم يكونوا نازلين للقتال ولعل القائل بقوله ان الضمير في جعله لقوله اني ممدكم فلا ينافي ان يكونوا نزولهم للقتال والله اعلم بحقيقة الحال وقوله ولتطمئن عطف على بشرى من جهة المعنى والمراد به مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع كما في قوله المعيدي خير من ان تراه فالمعنى الا لبشارتكم ولطمانينة قلوبكم وما النصر الا من عند الله لا من الملئكة ولا من المقاتلة او وما النصر بالملئكة وسائر الاسباب الا من عند الله والمنصور من عند الله تعالى ان الله عزيز منيع لا يغالب حكيم في اقواله وافعاله اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله او باضمار اذكروا وقرئ بالتخفيف ومن اغشيت الشيء اذا غشيته اياه والفاعل هو الله تعالى وقرئ يغشاكم بفتح الياء ورفع النعاس من غشي والنعاس ابتداء حال النوم قبل الاستثقال امنة مفعول له من جهة المعنى فان قوله يغشيكم النعاس معنى تنعسون ويغشيكم بمعناه والامن فعل لفاعله منه صفة لامنة اي امنا لكم حاصلا منه تعالى ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان جعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان في حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت لهم امنة من الله تعالى لولاها لم يغشاهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود والمعنى تنعسون في وقت كان ما حكم من الخوف مانعا فامنكم الله فغسلتم

امنكم وقرئ كرحمة وهي لغة فيه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي الجنابة فانها تخييله او وسوسته اليهم وتخويفهم من العطش وذلك ان الشيطان مثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المومنين في كثيب احمر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانتم تصلون على مجنبين وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هولاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فاشفقوا فنزل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت فيه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم اي يشددها ويقويها بالسكون وحسن الظن وزوال الاضطراب والارتياب ويثبت به الاقدام اي في مواقف الالتقاء للقتال والضمير في به للربط فان القلب اذا قوي باليقين والوثوق بالله تعالى ثبتت القدم في المعركة وح يكون الثبوت من لوازم الربط ويظهر وجه عدم الفصل بينهما باعادة اداة التعليل كعدم الفصل بين التطهير والاذهاب المذكورين قبل هذا وقيل للمطر فان به يتلبد الرمل ولا يسوخ القدم فيه ويرد عليه انه ح لا يكون الثبوت من لوازم الربط فحقه ان يعاد فيه اداة التعليل اذ يوحي ربك الى الملئكة بدل ثالث او متعلق بيثبت اني معكم اعينكم في تثبيت المومنين وهو مفعول ليوحي وقرئ بالكسر اجراء للوحي مجرى القول فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا اذ لا اعانة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء او نوع اخر من الاعانة والرعب الخوف الذي يملأ القلب من قولهم رعب السيل الوادي اذا ملأه او يقطع القلب من رعبت وهو تقطيعه فاضربوا فوق الاعناق اعاليها اي المذابح والرؤوس والهامات واضربوا منهم كل بنان اصابع اي الاطراف اي جردوا رقابهم واقطعوا

الطرافهم وزادهذا عبارة كل التعدد في الاطراف والمراد استيعابهم القطع امر الملائكة ان تقتلوهم او تخرجوهم على وجه لا يمتنعون على قصد امرهم وفيه دلالة على انهم قاتلوا ومن انكره قال قوله سالقي الى كل بنان تلقين لهم معنى تثبيتهم كانه قال لهم قولوا للمومنين قولي هذا او تغير الخطاب بان تكون فبشروا الذين امنوا خطاب للملائكة والثاني خطاب ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اشارة ما اصاب الكفار من القتل والعقاب بسبب مشاقتهم لله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم والخطاب للرسول او لكل احد من المتعادين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وكلاهما الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل ووعيد لهم بما اعد لهم في الاخرة بعدما حاق بهم في الدنيا اي ذلك العذاب في الدنيا بسبب المشاقة ومن يشاق فلا يقتصر به على هذا فان الله شديد العقاب في الاخرة والخطاب في قوله ذلكم على طريقة الالتفات اي ذلكم العقاب او العقاب ذلكم وهو رفع بالابتداء او الخبر او نصب بفعل يفسره قوله فذوقوه والفا عاطفة اي ذوقوا ذلكم فذوقوه او باشروا فعلا او عليكم ذلكم وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم رفعا ونصبا ويجوز ان تكون مفعولا معه على ان الواو بمعنى مع اي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع العذاب الاجل الذي لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرى وان بالكسر على الاستيناف ولا وجه له لان عليكم من اسما الافعال لا تضمر وهذه الجملة تاكيد وتقرير لما سبق لان الاول دلالة على استحقاقهم ولا وجه له العذاب الاجل مع العذاب العاجل ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة يسيرا سمي ما اصابهم فيه ذوقا لان الذوق يعرف به الطعم وهو يسير ولما كانت النار اعدادها للكفار على ما نطق به قوله تعالى اعدت للكافرين مع تقديم الجار والمجرور المقدر لاختصاص عذابها المعد بهم يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي لكثرته كانه يزحف اي يدب عن زحف الصبي اذا دب على استه قليلا سمي بالمصدر فلا تولوهم الادبار كناية عن الفرار وطرفه الا انهم امر على ما افصح عنه الاستثنا الاتي ذكره

اي اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد والعدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر لتقدير العدو وهو باب خدع الحرب ومكايدها يخيل العدو انهم منهزم ثم يعطف عليه او متحيزا منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين على القرب منه ليستعين بهم سوى الفئة التي هو فيها وبعضهم لا يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له والاستثنا من المولي اي رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من جاز يحوز يقال حاز الشي اي ضمه وجمعه والحيز عنده فيعل من الحوز والتحيز الانضمام اليهم والدخول في جملتهم وهو تفعيل من الحين والفية الجماعة المنقطعة عن غيرها من الفا وهو قطع الراس بالسيف وان جعل زحفا حالا من المومنين يكون اشعارا لهم بما سيكون منهم يوم حنين وتقدمة نهي حين تولوا مدبرين وهم اثنى عشر الفا ومن يولهم يومئذ امارة عليهم فقد باء بغضب من الله اي استوجبه وماواه جهنم هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الان خفف الله عنكم الاية وقيل هذه الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب وبئس المصير هي اي جهنم فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وامداد الملائكة والقا الرعب في قلوبهم وتقوية قلوبكم وهو كالتعليل بما تقدم من النهي عن الانهزام بسبب كثرة العدو وروي انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول الرسول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر القايل قتلت واسرت فنزلت الاية صيانة لهم عن الاعجاب وتنبيها على ان الله تعالى هو الذي هيا لهم هذه الاسباب وكذا الحال في الخطاب الاتي ذكره وقيل الفا جواب شرط محذوف تقديره ان

امخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وياباه عطف قوله
وما رميت اي تلك الرمية العجيبة يا محمد اذ رميت لانك لو رميتها لما زاد
تاثيرها على تاثير من البشر ولكن الله رمى من حيث اثرت ذلك الاثر العظيم
اثر الرتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها
عنه لان اثرها الذي لا يقدر عليه البشر فعل الله تعالى وكان الله تعالى
فاعلها على الحقيقة لا الرسول والفعل قد يطلق ويراد به المسماه وقد يطلق
ويراد به كماله والمقصود منه اي غايته مجازا وليبلي المومنين وليعم عليهم
منه بلاء حسنا انعاما جميلا اي والانعام على المومنين ذلك الانعام
الا نعام العظيم بالنصرة والغنيمة ومشاهدة الايات وفعل ما فعل وما فعل الا
ذلك ان الله سميع لدعايهم واستغاثتهم عليم باحوالكم ونياتكم ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي المقصود ذلكم او الامر ذلكم وان الله موهن
كيد الكفرين معطوف على ذلكم اي المقصود بلا المومنين ونوهين كيد
الكفرين وقرئ بالفتح اي ولان الله مع المتقين المومنين كان ذلك ان
تستفتحوا فقد جاكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم ارادوا
حين نفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين واهد
الفيتين واكرم الحرسين وان تنتهوا عن الكفر وعداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان
تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم
جماعتكم شيئا بين الاغناء ولو كثرت فيتكم وان الله مع المومنين كما قالوا
وشكل هلا ابيو واحد فانه عادوا فيه المحاربة وكانت الغلبة لهم وقيل
الخطاب للمومنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاكم النصر وان تنتهوا
عن التثاقل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان
تعودوا الى التثاقل نعد بالانكار ولن تغني عنكم كثرتكم اذا لم يكن الله
معكم بالنصر وان الله مع الكاملين ايمانا ويويده حسن الالتيام مع قوله
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن
الرسول فان المراد الامر بطاعته عليه السلام والنهي عن الاعراض
عنه وذكر الله تمهيد لاختصاص الرسول عليه السلام به تعالى كقوله
تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وفيه تنبيه على طاعة الله تعالى

ان الله مع

وطاعة

وطاعة الرسول شيء واحد ومن يطع الله فقد اطاع الرسول فعكسه
ويجوز ان يرجع الضمير في عنه الى الامر بالطاعة اي ولا تتولوا عن هذا
الامر وانتم تسمعون اي تسمعونه او تسمعون القران والمواعظ سماع
فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين ادعوا
السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين
اصلا والمعنى انكم تصدقون القران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور كقسمة الغنايم كان تصديقكم
كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يومن ان شر الدواب عند الله
الصم البكم شر من يدب على وجه الارض او شر البهايم الصم البكم الذين
لا يعقلون قد مر تفسيره في سورة البقرة جعلهم كالبهايم في عدم انتفاعهم
بالمشاعر والجوارح ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به عنها وفضلوا
به عليها ولو علم الله فيهم خيرا اي شيئا من جنس الخير لاسمعهم سماع
تفهم اي لا سمعهم لانه لا يجدي فيهم فتولوا ولو اسمعهم لتولوا اي لم
ينتفعوا به تقرير وتاكيد فهو قبيل العطف على ما قبله باعتبار المعنى
التولي قد يكون للتردد والتدبر فقوله وهم معرضون تاسيس لا تاكيد
يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير لان دعوة
الله تعالى تسمع من الرسول عليه السلام وقصد التمهيد ياباه اعادة
الصلة لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة للقلب والجهل موته
الجاهل ميت وان لم يدفن بيته قبر وثوبه كفن وقيل الجهاد الكفار لانهم
لو تركوه لغلبوهم وقتلوهم بسبب حيوتهم كقوله ولكم في القصاص حيوة
وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم المراد بالاستجابة الطاعة والامتثال
وبالدعوة البعث والتحريض واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
تحذير عن تاخير الاستجابة وزيادة اعلموا لمزيد التاكيد اي ان القلوب
بيد الله تعالى يقلبها كيف يشا فعجلوا بالاستجابة قبل ان يحدث الله تعالى
في قلوبكم ما يشغلها عنها ويمنعكم عن الامتثال بالامر وقرئ بين المر
بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى
الوقف على لغة من تشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم في النقير

والقطع من اعمالكم واحوالكم قالبية كانت او قلبية وفيه زيادة تحذير
من التقصير بالتاخير واشير الى هذا في قوله عليه السلام وعجلوا
بالصلوة قبل الفوت وعجلوا بالتوبة قبل الموت واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة المراد بالفتنة الظلم الفاحش بقرينة قوله الذين ظلموا
والتنكير الدال على التكبير لا تصيبن جواب الامر اي ان اصابتكم لا
تصيب الظالمين منكم بل تعم الطالح والصالح ثم يكون للظالم عقوبته
ولغيره كفارة والنون لتضمنه معنى النهي والتاكيد لها للمبالغة في النهي
ومن للتبعيض او نهي بعد امر كانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل
لا تعرضوا للظلم فيصيب العقاب او وبال الذنب من ظلم منكم خاصة
او صفة لفتنة على ارادة القول اي فتنة مقولا عندها لا تصيبن
كقوله جاءوا بمذق هل رايت الذيب قط ومن على هذين الوجهين الاخيرين
للتبيين ويعضد الاخير قراءة لتصيبن على جواب قسم محذوف وفيه
تقييد الظالمين بمنكم في الوجهين تنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم
قال ابن عباس رضي الله عنه هذا في ترك الامر بالمعروف وهذه الفرقة
ايضا وان كانوا مذنبين لكنهم ليسوا من الذين ظلموا اي باشروا
الظلم واعلموا ان الله شديد العقاب وعيد شديد وفي زيادة اعلموا مزيد
تهديد واذكروا واحفظوا ابناءكم واحوالكم اذ انتم قليل قلة في اول
الاسلام قبل ان يكملوا اربعين وقيل قبل الهجرة والخطاب للمهاجرين
مستضعفون في الارض مقهورون في ارض مكة لم يتفق دليل مع ما فيه حسن
الازدواج بقليل تقابها عن الطلاقة على من هو عزيز بعز الاسلام وقيل
الخطاب لكافة العرب لانهم كانوا مغلوبين لاهل فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء والتخطف الاخذ
والانتزاع بسرعة فآواكم الى المدينة وجعل لكم ماوى تتحصنون به عن
اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة
يوم بدر وعلى تقدير ان يكون الخطاب لقريش فآواكم الى الحرم ويؤيده
قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ورزقكم
من الطيبات الغنائم لعلكم تشكرون اراد ان يشكر واهذه النعم وعلى
المعنى الاخير يكون المراد من الطيبات الثمرات لقوله تعالى وارزقهم

من

من الثمرات لعلهم يشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
الخون النقص كما ان الوفا التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في
مقابلة الامانة والوفا لانك اذا خنت الرجل فقد ادخلت عليه النقصان
ذكر الله تعالى للتمهيد وخيانتهم للرسول عليه السلام بان يضمروا خلاف
ما يظهرون او بالغلول في الغنائم روي انها نزلت في ابي لبابة
رضي الله عنه وقصته مذكورة في كتب التفاسير وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم اي لا يصدر منكم خلاف ما هو من حكم الايمان جزم داخل في
حكم النهي او نصب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم
تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانها سبب الوقوع في الفتنة وهي
الاثم والعذاب والمحنة وبلاء فلا يحملنكم حبه في الخيانة كابي لبابة رضي الله عنه
وعليكم ان تحافظوا فيهم على حدود الله وهي من جملة ما نزلت فيه وان
الله عنده اجر عظيم اي ثواب واجب الله تعالى على حبهم وتزهدوا في
الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال والولد وفي قوله عنده تشريف للاجر
المذكور وبيان انه مصون عن الضياع يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل
لكم فرقانا هداية ونورا في قلوبكم وتوفيقا وشرحا للصدور كم تفرقون
به بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز الاسلام
واهله واذلال الكفر وحزبه كقوله تعالى يوم الفرقان او ظهور اليشهدكم
امركم وينشر صيتكم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع
الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم صغاير ذنوبكم اراد بالكفارة الازالة
ولذلك قال عنكم وهي بالحسنات لقوله ان الحسنات يذهبن السيئات
ويغفر لكم ذنوبكم كبايرها والغفران ضمنه معنى الرحمة ولذلك قال
لكم ويكنى به عن العفو والتجاوز وذلك بالاستغفار والشفاعة
والله ذو الفضل العظيم باللطف الوافي في الدنيا والاحسان الباقي في
دار القرار لما عرفت ان العبد اعطى جزاء حسناته بازالة سيئاته وكان ما
وصل اليه من اللطف والاحسان فضلا من الله تعالى ووعده على
التقوى ايضا تفضل فاطلاق الاجر على ما وعده في مقابلته بطريق

الاستعاذة واذ يمكر بك الذين كفروا ذكره عليه السلام مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله تعالى عليه في انجائه من مكرهم وتسليط عليهم اي واذكر وقت مكرهم بك وتفصيله مذكور في كتب التفاسير ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به والابراح وقرئ ليبيتوك من البيات او يقتلوك او يخرجوك من مكة ويمكرون باخفاء المكايد له ويمكر الله باخفا ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة او برد مكرهم عليهم او بمعاملة الماكرين معهم حتى اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ مكره انفذ من مكر غيرهم وابلغ تاثيرا وقيل اسنادا لمكر الله تعالى للمزاوجة والمشاكلة ولا يجوز اطلاقه على الله تعالى ابتداء لما فيه من ايهام الذنب واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان نشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفسهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان قيل هو قول نضر ابن الحارث وهو كان موسوما بينهم بالنسل والفهم فكان اذا قال قولا قاله كثير منهم واتبعوه كما يفعله الناس اقتداء بعلمائهم ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصة وقد سبق ما يتعلق بالاساطير واذ قالوا اللهم اي واذكر اذ قالوا وهذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود وروي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له عليه السلام ويلك انه كلام الله تعالى فقال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اي ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا خاصة عقوبة لنا على انكاره والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام بكونه باطلا اغراقا في الانكار واظهار الجراة فيه جحد القران اولا بان جعله مثل كلامهم وسماه اساطير الاولين ثم بالغ في الجحود بشبهة جعلها كالدليل على بطلانه زاعما انه برهان وهو انه لو كان حقا لاستحق منكره العقاب لكنا لم نعاقب بانكاره فلم يكن حقا وقرئ

الحق

الحق بالرفع على انه هو مبتدا لا فصل وفايدة التعريف انه كان هو الحق الذي يدعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من انه كلام الله تعالى منزلا عليه لانه لم ينكروا كونه مطابقا للواقع كالاساطير وفايدة التقييد بكونه من السماء مع ان الامطار لا يكون الا منها كانها حجارة مسومة للعذاب وهي السجيل فوضعت حجارة موضعه من السما ولهذا قال او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع من عذاب اليم اشارة الى ان التسجيل نوع اليم من العذاب وما كان الله اي ليس في عادته تعالى ليعذبهم وانت فيهم بيان لسبب امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام للتاكيد والدلالة على ان تعذيبهم حال كون النبي عليه السلام فيهم غير جاري في الحكمة لان سنة الله تعالى جارية بان لا يستاصل قوما بالعذاب ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون للعذاب اذا هاجر عنهم لدلالة قوله وما لهم الخ على اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لما كان كينونته عليه السلام فيهم سببا لانتفا تعذيبهم اكد خبر كان باللام على راي الكوفيين او جعل خبر كان الارادة المنفية على راي البصريين وانتفا الارادة للعذاب ابلغ من انتفا العذاب ولما كان استغفارهم دون تلك الكينونة الشريفة باللام فشتان ما بين استغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المومنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا بعد يو لكقوله وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجا رسول الله عليه السلام والمومنين الى الهجرة وما احصارهم عام الحديبية فقد كان بعد قتل النضر ونظرائه فلا انتظام له مع ما سبق من الكلام في هذا المقام وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشا ان اولياؤه الا المتقون الذين لا يعبدون فيه غيره اي ما

يمنع

استحقوا الولاية البيت وما حط لهم لانها مخصوصة بالمتقين من المسلمين
ليس كل مسلم يصلح لذلك كيف بالمشركين من اعداء الدين ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه سه بالاكثر على ان فيهم من يعلم
ذلك ولكن معاند لما نفى عنهم ان يكون ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح
ما يوكد ذلك وان من كانت صلوته ما يذكر لا يستاهل ان يكون من
اولياه وما ذكر بقوله وما كان صلوتهم عند البيت من جملة موانع استحقاقهم
للولاية وهو موجبات استحقاقهم للعذاب كما ذكر بقوله وهم يصدون
والمراد بصلوتهم ما يضعونه موضعها ويسمونه صلوه وفيه من التهكم
ما لا يخفى وقرئ صلوتهم بالنصب على انها الخبر المقدم الا مكاء صفيرا
فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية تصفيقا
تفعله من الصدى ومن الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء
يعني انهم يضعون الصفير والتصفيق موضع الصلوة وهذا او يرد
قوله فذوقوا العذاب هذا الكفر دوقوا وباله في الدنيا والمراد عذاب القتل
والاسر يوم بدر والظاهر ان يكون اللام للعهد والمعهود ما ذكر في
قوله او ايتنا بعذاب اليم وضعهم المكا والتصديه موضع الصلوة انهم
كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنسا مشبكون بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صلوته يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا
بما كنتم تكفرون اي بصيغة المضارع وزاد عليها عبارة كنتم للدلالة
على الاستمرار التجددي والمراد ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكا
والتصديه مكان الصلوة ولا يجوز ان يكون المراد من العذاب عذاب
الاخرة لان الفا باباه وذلك ان السببيه للعذاب مطلقا قد استفيدت
من البا انما تفيد اذا كان العذاب المسبب بما ذكر معجلا ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله عن دينه واتباع رسوله نزلت
في المطعمين يوم بدر كانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم
كل يوم عشر وقيل في ابي سفين استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش
سوى من اجناس العرب فانفقوا عليهم اربعين اوقية وقيل في اصحاب

العير فانه لما اصيب قريش ببدر قالوا لكل من له تجارة في العير اعينوا
بهذا المال عن حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا فسينفقونها
فايدة تكرار ذكر الانفاق ان مساق الاول لبيان الغرض منه وللثاني لبيان
عاقبته ووبال امره وان غرضهم لا يحصل منه ويعقب الهيبة هذا ما قالوه
ويا باه زيادة السين في الثاني وترتبه بالفا على الاول وكذا يا بى هذا الاخير
عن حمل الاول على ما كان في يوم بدر والثاني على ما كان في يوم احد فالوجه
ان يحمل الاول على غيرهم على الانفاق على وقوعه عن قريب متفرعا
على ذلك العزم ثم تكون عليهم حسرة لاستلزام انفاقهم الاموريد امه
وسرعة انقلابه اليها كان ذاتها تصير ندامة مبالغة والحسرة غم لما
انكشف من فوت استدراك الخطية وذلك الغم يستتبع ندامته واصلها
الكشف من قولهم حسر عن ذراعيه وللحاسر ضد الزارع ثم يغلبون ثم سعى
حالهم على الندم والحسرة لفقد الاموال وفقدان الغرض حتى يصير اخر
الامر الى المغلوبة التي هي ضد الحالة التي قصد وها فيرجعون حالعا
وان كان الحرب بينهم وبين الموصعين قبل ذلك سجالا ومعنى ثم في
الموضعين غايته بعد ما بين غرضهم في الانفاق وبين ما يحصل منه
ويقع بعده والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم
وحسن اسلامه الى جهنم خاصه يحشرون يجمعون بالسوق من
جهات متعددة وفايدة تقديم الجار والمجرور دفع وهم القرار في مجمع اخر
ليميز الله الخبيث من الطيب اي الفريق الكافرين من المومنين ويجعل
الخبيث اي الكافر بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يجمعهم ويضمهم
حتى يتراكموا كقوله كادوا ان يكونون عليه وسلم من المال الطيب الذي
انفقه المسلمون في نصرته عليه السلام فيجمع الخبيث الذي انفقه
المشركون فيجعله في جهنم من جملة ما يعذبون به كما للكافرين واللام
في قوله ليميز على الاول متعلق يحشرون او يغلبون وعلى الثاني بكون
وقرئ ليميز المزوهو ابلغ من المبين فيجعله في جهنم جعل الكافر في
الاضمار والازدحام والاجتماع في النار شيئا مركوما كحطب مركب بعضه
على بعض مجموع بلقي في جهنم مبالغه اولئك اشارة الى الفريق الخبيث على

الاول والى الذين كفروا على الثاني هم الخاسرون الكاملون في الخسران
لانهم خسروا انفسهم واموالهم من مال اوالى المنفقين وكانه غفل
عن ان منهم من اسلم وحسن اسلامه قل للذين كفروا لمن بقي من كفار قريش
من بعد من قتل منهم ببدر واللام للتقطيع ان ينتهوا عن معاداة الرسول
صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم
لان الاسلام يجب ما قبله وقرى بالنا والكاف على الخطاب وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين في اذا اسقينا فاهلكناهم بتكذيب انبيائهم
عليهم السلام وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان يوجد فيهم شرك ويكون
الدين كله لله بان تضمحل الاديان الباطلة كلها ويبقى فيهم دين الاسلام وحده
فان انتهوا عما يجب الانتها عنه والفا للترتيب على ما تقدم فان الله بما يعملون
بصير تعليل لما تضمنه الجواب عن عدم التقصير في المجازاة تقديره فيجازيهم
على الامتثال ولا يضيع نقير وقطمير من الزوال والاعمال وقرى تعملون بالتا
على معنى فان الله تعالى بما تعملون من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بصير
يجازيكم عليه ويكون تعلقه بان انتهوا على الغيبة للتغليب اي انه بصير
بعملكم وعملهم فيثيبكم جميعا ويجازي كلا بعمله ومن وهم انه ايما سهم للتسبب
فقد وهم وان تولوا على الامتثال فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي اموركم
فلا تبالوا بمعاداتهم وثقوا بولاية الله تعالى وفي زيادة اعلموا لتضمنه الدلالة
على تنزيله منزلة الجاهل لنكتة خطابية تناسب المقام وتزيد في البلاغة
درجة الكلام مزيد تهييج لهم على ذلك نعم المولى هو فلا يضيع من تولاه
ونعم النصير فلا يغلب بنصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار
قهرا من شيء من اقل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط وتصدير
الكلام بقوله اعلموا للزيادة الاهتمام فان لله خمسه دخلت الفا في
خبران لتضمنه العموم الذي دل عليه ما معنى الشرط وان لله موضع الرفع
على انه خبر محذوف تقديره فالحكم ان لله خمسه والجمهور على ان ذكر الله
تعالى تمهيد لذكر الرسول وما عطف عليه تعظيما وتخصيصا للمعطوفين
به كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس
على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين

وابن

وابن السبيل كانه قال فان لله خمسه صرفه الى هولاء الاخصين به تفضيلا
لهم على غيرهم وليس المراد من قوله اعلموا مجرد العلم والا لم يكن التقييد
بقوله ان كنتم امنتم بالله فائدة لان مجرد العلم يستوي فيه المومن والكافر
بل العلم المستلزم للعمل فان المقصود بالذات من العلم العمل اذا امر به
هو العمل والعلم مقصود بالعرض وهو متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا
اي اجعلوا الخمس لله واجابه للتقرب اليه فاقطعوا اطماعكم عنه واصرفوا
الى غير من المخصوصين به فاقنعوا بالاخماس الاربعة والحكم بعد
باق ان السهم للرسول عليه السلام يصرف الى ما كان يصرفه من
مصالح المسلمين كما كان يفعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى
الاصناف الاربعة الباقية وعند ابي حنيفة رحمه الله سقط سهمه
عليه السلام بوفاته وسهم ذوي القربى لانهم استحقوها بالنصرة
والمظاهرة حينئذ وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعند
مالك يفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وما انزلنا على
عبدنا محمد من الايات والملائكة معطوف على بالله وقرئ عبدنا بضمتين
الى الرسول والمومنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل
يوم التقى الجمعان المسلمون والكافرون ويوم الاول بمعنى الوقعة والثاني
بمعنى الوقت والله على كل شيء قدير ختم بصفة القدرة لان الله تعالى
ادال المومنين على قلتهم على الكفرين على كثرتهم ذلك اليوم اذ انتم بدل
من يوم التقى الجمعان بالعدوة الدنيا القربى يعني من المدينة والعدوة
بالحركات الثلاث الوادي وقد قرئ بها المشهور الضم والكسر
وهم بالعدوة القصوى البعدى بالنسبة الاقصى وكان قياسه قلب
الواو كالدنيا وكذا كل فعلى من ذوات الواو تفرقة بين الاسم والصفة
فجاء على الاصل كالعود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي
العير وقوادها اسفل منكم في مكان من اسفل من مكانكم يعني
الساحل نصب على الظرف وهو مرفوع لانه خبر مبتدا والجملة حال
من الظرف قبله وفايدة التقييد به وبعض تراكب الفريقين بيان
الحالة الدالة على شوكة الكفار وعدد غلبتهم واستظهارهم بالركب

وحرصهم على المقابلة عنها وتوطين نفوسهم على ان يخلوا من اكثرهم
وبذلوا جهدهم وشان المسلمين واثبات امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وان ظفرهم بالعدو وغلبتهم في مثل هذه الحالة ليس
الا بتاييد من الله تعالى ونصره ليعلموا ان الحول والقدرة والقوة كله
لله فان الفتح كان صبحا لها من خوارق العادات فيزدادوا ايمانا وثقة
وذلك ان معسكر المومنين كان فضاء رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا يمشى
الا بتعب ولم يكن بها ما خلاف العدوة القصوى ويقويه قوله ولو
تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اى ولو تواعدتم انتم وهم للقتال ثم علمتم
حالهم في الكثرة والقوة والشوكة وتمهد العدة وحالكم في القلة والضعف
وعدم اسباب الظفر لاختلفتم انتم هيبة وياسا من الظفر عليهم
وظنا بالمغلوبية ولكن دبر الله تعالى ذلك حيث قال اي وعد احدى
الطائفتين مبهمة واخرجكم راغبين في العير واخرجهم ليمنعوا عيرهم
وسبب الاسباب وجمع بينكم وبينهم على هذه الحالة ليقضي الله امرا
كان مفعولا حقيقيا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا
استعير الهلاك والحيوة للاسلام كما يستعار الموت والحيوة للجهل والعلم
اي ليكون كفر من كفر عن وضوح بينة حتى لا يبقى له عند الله تعالى معذرة
ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن تعين بانه دين الحق الذي يجب الدخول
فيه والتدين به وذلك ان وقعة بدر كانت من الايات الواضحة التي
من ان بعدها كان مدبر لنفسه مغالطا لها وفرك وحي باظهار
التضعيف لموافقته مستقبله وان الله سميع عليم بكفر من كفر وعقابه
وايمان من امن وثوابه والجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين
على الفعل والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا بدل ثان من يوم
الفرقان او نصب باضمار اذكر او بقوله عليم او سميع باحاديث نفوسكم
في كراهة القتال عليم بتدبير اموركم وتسوية مصالحكم اذ يريكهم في
منامك قليلا اراه الله تعالى اياه في رؤياه قليلا فاخبر به اصحابه فثبتهم
ذلك وشجعهم على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم الفشل الضعف من الوجل

لم تقل لفشلت لانه عليه السلام كان معصوما من النقايص فاسند الفشل
اليه على طريقة التغليب رعاية لجانبي الكلام والمقام ولتنازعتم في الامر
امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الفرار والتنازع وعصمكم منهما انه عليم
بذات الصدور بما سيكون فيها من الجبن والجراة والصبر والجزع وما
يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود
رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم
قبل وتصديقا لرؤيا الرسول وفيه نظر والضميران مفعولا يرى وقليلا
نصب على الحال ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه
اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ويكسر حدتهم
وشوكتهم وذلك من عظايم ايات تلك الوقعة وليس هذا التفاوت في
الابصار مع تساوي الشروط الا لخرق العادة ليقضي الله امرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه
المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع
الامور فلا راد لقضائه ولا نغير لتقديره يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم
اي حاربتم فان اللقاء مما غلب في القتال فئة الانقطاع معتبر في
معنى الفئة اصلها من فاوت راسه بالسيف اذا قطعته والجماعة
والجماعة المنقطعة على المومنين كفارا وبغاة ولم نقف على هذه الدقيقة
لاسيما فانك ولم تصفهم لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له تعالى مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بالنصرة والمثوبة وفيه
تنبيه على ان المومن يجب ان يداوم على ذكر الله تعالى خصوصا عند
الشدايد ليجتمع همه ولا يشتغل باهله ويسمح قلبه ويطمئن بالتوجه
نحوه ويستمد منه فيتايد بعونه ويستظهر بقوته وجوابه واطيعوا الله
ورسوله باتفاق الكلمة ولا تنازعوا باختلاف تنازعكم باحد
فتفشلوا نصب باضمار ان او جزم في حكم النهي وتذهب ريحكم بالتا
والنصب عطفا على الاول وبالياء والجزم على الثاني اي تذهب دولتكم
على ان الريح مستعارة للدولة شبهت في تمشي امرها ونفاذه بالريح

وجريها وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دالت اليه الدولة ومنه قول علي رضي الله عنه ولا خير في ود امرء متلون الريح سمعها الله تعالى كما قال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني قريش حين خرجوا لحماية العير بطرا البطر سوء احتمال الغنى ومن اثاره الفخر والاشر ورئاء الناس ليثنوا عليكم بالشجاعة والسماحة نزلت في ابي جهل واصحابه خرجوا من مكة لنصرة العير بالقينات والمعازف واما ما قيل وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نعدي بدرا ونشرب بها الخمور ونعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فلا تسلح وجها لخروجهم من مكة بطرين ومرائين فنهى الله تعالى المؤمنين مثل ان يكونوا كهؤلاء بطرين طربين مرائين باعمالهم ويلزمهم الامر بالتقوى والاخلاص بناء على النهي عن الشيء يستلزم الامر بضده بطرا ورئاء نصب على الحال او المفعول لهما وقوله ويصدون عن سبيل الله عطف عليهما حالين مطلقا او مفعولا لها على تاويل المصدر واي وصدوا عن سبيل الله والله بما يعملون محيط اي عالم به فيجازيكم عليه وعيد وتهديد لمن سعى من الكفار واذ زين لهم الشيطان منصوب باذكر اعمالهم التي عملوها في معادات الرسول عليه السلام وقال لا غالب لكم خبر لا غالب اي كائن لكم او صفته ولين صلته بمعنى لا غالب اياكم والا لكان منصوبا كقولك لا ضاربا زيدا عندنا اليوم من الناس واني جار لكم الجار هو المجير الذي يعطي الخائف الامان روي ان ابن عباس رضي الله عنه ان خوفوا من بني بكر بن كنانة اذ كانوا قتلوا منهم قتلا فلم يامنوا يوم خروجهم من الى بدر ان ياتوهم من ورائهم فتصور لهم ابليس بصورة سراقة ابن مالك وهو من بني بكر وقال انا جار لكم من بني بكر وركنوا الى قوله وساروا وهو معهم حتى اذا التقى المسلمون والكفار تبرا منهم ولما نكص على عقبيه اخذ الحارث ابن هشام بيده فقال اعلى هذه الحالة تخذلنا قال اني ارى ما لا ترون قال الحارث والله ما نرى الا

جواسيس

جواسيس يثرب قال اني اخاف الله قال الحارث فهلا كان هذا امس فدفع في صدر الحارث وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة ابن مالك فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك الشيطان وذهب بعضهم الى ان التزيين في هذه الاية وما بعده من الاقوال هو بالوسوسة والمحادثة في النفوس ولا يخفى ضعفه فان قوله واني جار لكم ليس مما يلقى بالوسوسة وكذا النكوص على عقبيه وما بعده من الاقوال وليس مما يلقى بها فلما ترائت الفئتان ترائت تفاعلت من الرؤية اي راى كل واحد من الفريقين الاخر وهذه الحالة قبل الالتقاء نكص الشيطان اي رجع القهقرى خوفا مما يرى باده وقوله على عقبيه لبيان الهزم على اسوء حاله وقال اني بريء منكم اي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الايمان اني ارى ما لا ترون تعليل لبرائته قال حين راى امداد المسلمين بالملائكة كانه يقول اني كنت مجيركم من الناس وضمنت لكم الغلبة عليهم وراى ما ليس من جنسكم جاء والمحاربتكم اني اخاف الله اي اخاف عقابه على ايدي من ارى هم ولا ترونهم انتم قال قتادة وابن الكلبي ان هذه معذرة كاذبة ولم يلحقه قط مخافة وقال الزجاج وغيره بل خاف مما راى من الامر وهوله ان يرمه الذي انظر اليه والله شديد العقاب لا يرد عقابه بشيء ولا يقاوم والظاهر انه من كلام اذ على تقدير كونه مستانفا يكون تقدير المعذرته ولا تقتضيه المقام فيكون فضله في الكلام اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض والذين ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام بل كانوا على حرف وعن الحسن هم المشركون ويحتمل ان يكون صفة للمنافقين والواو للجمع بين الصفتين اي الجامعون بين النفاق والشرك كقولهم هو الغيث والليث غر هؤلاء اي المسلمين دينهم حيث وثقوا به وتعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب القسم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل ويتسلط ساهده على الكثير القوي حكيم يفعل بحكمته ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى اذ ولو رايت فان لو ترد المضارع

ماضيا كما يرد الا الماضي مضارعا اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة ببدر واذ ظرف
ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم والملئكة فاعل
يتوفى ويدلت عليه قراءة تتوفى بالتا والاصل في الالتفات التوفيق
بينهما مهما امكن فلا وجه لما قيل ويجوز ان يكون الفاعل في ضمير الله
تعالى وهو مبتدا اخبره يضربون وجوههم والجملة من الذين كفروا حال
واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على ما ذكرها حال منهم او من الملئكة
او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم وتخصيصها
بالضرب لكون الخزي والنكال في ضربها اشد ويجوز ان يكون تفهيم
الضرب لما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق اي ويقولون ذوقوا
عذاب النار فان الحريق اسم النار وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا بها التهبت منها ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم
بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك يحتمل ان يكون من كلام
وان يكون من كلام الله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد جملة حالية
لتقرير ما فهم مما سبق من انه يفعل بهم انما يفعل جزاء بما كسبوا فيكون
عدلا محضا ولو قيل ليس بظالم لكان ابلغ والعدول عنه الى صيغة المبالغة
للتنبيه على ان شانه تعالى يقتضي ان يكون كل وصف يثبت له بالغا الى حد
الكمال ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الانيقة قال انه لاجل العبيد
ولم يرد ان يقال ان الله تعالى ليس بظالم اصلا ونفي مبالغة الظلم لا
يستلزم نفي اصله بل ربما يوجب اثباته بدليل الخطاب ورجوع النفي الى
القيد لا يندفع بما ذكر اذ المعنى نفي ظلمه تعالى عن الكل ويلزم نفيه
عن كل واحد فان رفع الايجاب الكلي لا ينافي الايجاب الجزئي وقيل
وان الله عطف على ما قدمت اي ذلك العذاب بسببين بسبب كسبوا
وبسبب ان الله تعالى ليس بظالم لان تعذيب الكفار من العدل اورد
عليه انا سلمنا ذلك بسببها لكن ترك العذاب من مستحقه ليس بظلم بل
فضل فكيف ينتهض نفي الظلم سبب للتعذيب وقيل ان العطف المذكور
للدلالة على ان سببية مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان
يعذبهم بغير ذنوبهم وفيه ان الحاجة الى ما ذكر لانحصار السببية فيها

كسبوا

كسبوا بحيث لا يكون التعذيب بسبب اخر محتملا وذلك غير مستفاد
من الكلام ولا بمقتضى المقام كداب ال فرعون الكاف في محل الرفع اي دا
هو لا مثل داب ال فرعون والداب العادة والعمل الذي دابوا فيه اي واظبوا
عليه والذين من قبلهم من آل فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم
فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي لا يغلبه شيء شديد
العقاب لا يطاق عقابه ولا يرده شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله
بسبب ان الله تعالى لم يك مغيرا مبدلا نعمة انعمها على قوم بالنعمة حتى
يغيروا يبدلوا ما بانفسهم ما لهم من الحال الى حال سوء منها كما بدلت
قريش حالهم في صلة الرحم وعدم التعرض للايات والرسل وان كانوا كفرة
لان الكفر لا يمنع النعمة الدنيوية لقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا بمعادات
الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تابعه وايذائهم والسعي في قتلهم
والاستهزاء بالايات الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث فبدل الله تعالى
ما انعم به عليهم من الامهال وحسن الحال في العاجل وعاجلهم بالعذاب
الى سنة الله تعالى جارية بان تغير نعمته على من انعمه عليهم عند تغير
حالهم فالسبب مفهوم ما ذكر لا منطوقه واصل يك يكون فلما دخلها
لم خيرمنها فالتقى ساكنان فحذفت الواو وبقي لم يكن ثم لكثرة استعماله
حذفوا النون تخفيفا عند السكون كما في قوله تعالى وان يك حسنة وقوله
لم اك بغيا ولا يحد وان الله سميع لاقوالهم عليم بافعالهم واحوالهم كداب ال
فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم تكرير للتاكيد وفي تغيير
تفسيره زيادة دلالة على كفران النعمة وجحود الحق لما في لفظ الرب المضاف
اليهم من الاشعار بكونه منعما عليهم وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ
به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم
وفيه انه لا مساعده للتخصيص المذكور لا من جهة المقام ولا من جهة
نظم الكلام واهلكناهم اي عاجلا بذنوبهم على العموم دلالة الباء على
السببية المطلقة والسببية للعذاب العاجل انما تستفاد من الفا واغرقنا
ال فرعون على الخصوص وفيه بيان الاخذ بالذنوب وفي قوله وكل
كانوا ظالمين اشارة الى ان سبب الاخذ ظلمهم وفيه تقرير لقوله وان الله

بئس بطلام للعبيد اي المشبهون الذين هم قتلى قريش والمشبه بهم
الذين هم آل فرعون والذين من قبلهم كلهم كانوا ظالمين انفسهم
بالكفر والمعاصي لتسبب شدة ظلمهم لعقابهم فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم
يظلمون ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اي اصروا على الكفر ورسخوا
فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم الايمان لكونهم مطبوعا على قلوبهم
معنى الفا السببية والتنبيه على ان كفرهم في الرسوخ بحيث يوجب انتفا
صدور الايمان منهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا بدل الكل
من البعض وانما قال منهم لتضمن المعنى هذه معنى اخذ الميثاق للبيان
او التبعيض وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله عليه السلام
ان لا يمالوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا انسينا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكه
فحالفهم والمراد من المرة في قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة مرة
المعاهدة او المحاربة وانما كانوا شر الدواب لان نقض العهد خروج
عن المروة والانسانية فحالفوا مقتضى فطرتهم بالكفر ونقض العهد
الاول الفطري فاخطوا عما جبلوا عليه ثم اصروا على ذلك ثم نكثوا
العهد الظاهر وكانوا شر الدواب لكونها على ما جبلت عليه وهم
لا يتقون عاقبة الغدر ولا يبالون لو خامتها في الدنيا والاخرة من
العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب وتظفرن بهم اي بقتلهم شر قتله
والثقف الادراك بسرعة فشرد بهم من خلفهم اي فنكل بهم تنكيلا
يكون سببا لشرود من خلفهم خوفا منك والتشريد التفريق على
اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة كانه مقلوب من شذر وقرئ
من خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من ورائهم فقد فعل التشريد
في الورا لعلهم اي لعل المشردين يذكرون يتعظون واما تخافن
من قوم معاهدين خيانة تلوح تلك الخيانة نقض عهد فيما ائتمن عليه
فانبذ اليهم النبذ القا الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب انه حرب على سواء
استوا حال من النابذ والمنبوذ اليهم اي الق اليهم الخبر الى من يعلمه
انك نقضت العهد الذي بينك وبينهم لتكونوا انتم وهم في العلم بالنقض

على استوا اي مستوين فيه ولا تحاربهم قبل الاعلام لانه خيانة ان الله
لا يحب الخائنين تعليل بالامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال
المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبي
عليه السلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرئ ولا يحسبن بالياء
الغيبة والفاعل ضمير يعود الى الرسول او الى السامع والمفعول الاول
الذين والثاني سبقوا وهذه القراة لم ينفرد به حمزة كما توهم بل وافقه
ابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه وقيل اصله ان سبقوا فحذفت
ان كما في قوله ومن اياته يريكم البرق ودليله قراة ابن مسعود انهم سبقوا
انهم لا يعجزون تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون
الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالكسر على انه
تعليل على سبيل الاستيناف والمراد الاراحة لما يحذر به من نقض العهد
وابقاطه العدو وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين
واعدوا ايها المومنون لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم من قوة
من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة ابن عامر رضي الله عنه
سمعت انه عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا
والمراد انه اقواها ومن رباط الخيل الرباط اسم من العقد يقال
ربطه يربطه ربطا ورباطا وصار اسما للمربوط الا انه لا يستعمله الا في
الخيل فالاضافة باعتبار عموم المفهوم الاصلي ويحتمل ان يكون جمع
ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم البا وسكونها جمع رباط
وعطفها على قوة كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام
ترهبون به الارهاب ازعاج النفس بالخوف به اي بما استطعتم او بالاعداد
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من
الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف
اليكم جزاؤه وفي يوف بعد بيان ما ينفق بقوله من شيء اشارة الى انه
وان كان قليلا فجزاؤه قليل وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او بعض
الثواب ومبناه على استحقاق العبد بالعمل الثواب وعرفت ما فيه

في تفسيره والفضل العظيم وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وتعديته
باللام او الى للسلم للصلح والاستسلام فاجنح لها فعاهدهم وتانيث
الضمير لحمل السلم على نقيضها وهو الحرب وتوكل على الله ولا تخف من الطاعم
خداعا فيه فان الله يعصمك منه انه هو السميع لاقوالهم العليم
بافعالهم واحوالهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل
عامة نسخها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك بالصلح فان حسبك الله
حسبك بمعنى محسبك وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبك ان
تلبسوا خز الثياب وتشبعوا حسبك هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين اي
بجماعة المومنين واتفاق كلمتهم على ما دل عليه قوله والف اي واوقع التالف
بين قلوبهم حتى صاروا كنفس واحدة بعد ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء له والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يتالف فيهم قلبان
كما بينه بقوله لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى
عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال
لا يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه
المالك للقلوب يقلبها كيف يشا انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى
عليه مريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في
الاوس والخزرج وكان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك مبادتهم
ورؤساءهم ولم يكن لقضايهم منتهى وبينهما التجاور يهيج الضغاين
ويديم التحاسد وكان كل من الطايفتين تحب ما اثرته الاخرى وتكره
ما احسنته فانساهم الله ذلك كله حتى توافقوا على الاسلام والطاعة
وتصادقوا وتصافوا وتحابوا وصاروا انصار الله وذلك من المعجزات
الباهرة والايات الظاهرة يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين
اي كفاك الله وكفى اتباعك من المومنين نصرا وكفاك الله تعالى وكفاك
المومنين على من اتبعك في محل النصب على المفعول معه كقولك حسبك وزيدا
درهم او الرفع عطفا على اسم الله تعالى فنزلت في البيدا في غزوة بدر
وقيل نزلت عند اسلام عمر رضي الله عنه يا ايها النبي حرض المومنين على
القتال التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى

يشفى على الموت وقرئ حرص المومنين بالصاد المهملة من الحرص ان يكن
منكم عشرون صابرون على القتال يغلبوا مايتين وان يكن منكم مائة
صابرة عليه يغلبوا الفا من الذين كفروا تكرار المعنى الواحد بالاعداد المتناسبة
في المقاومة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد وشرط في الوعد و
البشارة بغلبة الجماعة من المومنين على عشرة امثالهم من الكفار الصبر
حتى يويدهم بعونه ونصره ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان
الكفار قوم جهلة لا يعاملون الله تعالى ولا يثبتون ثبات المومنين
الذين يسعون القتال رضا الله تعالى وثوابه فلا يستحقون النصرة
والمعونة لكون داعيهم منبعثة من الهوى والشيطنة فاستحقوا الهوان
والخذلان لان تولهم الشيطان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
كان في اول الامر لخواص اصحاب رسول الله عليه السلام زيادة استبصار
وقوة قلب حتى لقي حمزة رضي الله عنه في ركب ابا جهل في ثلثماية راكب
فلما اختلط بهم ساير الناس وفيهم من يكون به حسب الاهل في الولد والمال
انه يضعف القلب عن مقاومة الكثير من الكفار خفف عنهم بمقاومة
الواحد الاثنين فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله بتقديره وتيسيره والله مع الصابرين حيث
بالنصرة والمعونة فكيف لا يغلبوا اصمت الاية به مبالغة في نفي المطلق
ولكونه اهم اثبت في اول جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة
السابقة عليه ما كان لنبي اي ما يصح له وما استقام وقرئ للنبي
على العهد ان يكون له اسرى وقرئ اسارى وقرئ تكون بالتا حتى
يثخن في الارض اي يضعف ويذل الكفر باشاعة القتل ويعز الاسلام بالقهر
ثم يجوز له الاسر بعد ذلك ولهذا لما كثر المسلمون وضرب الاسلام بجرانه
نزل فاما منا بعد واما فدا من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة
وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذ الفدا
والله يريد الاخرة لكم ان ثواب الاخرة او سبب نيل من اعزاز دينه وقمع
اعدايه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرا
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز حكيم يغلب اولياءه على اعدايه ومعنى الحكيم اي

يعلم ما يليق بكل حال وبخصته لهذا لما امر بالاثخان ومنع عن الافدا
حين كانت الشوكة للمشركين وخيرته وبين المومنين لما تحولت الحال
وصار الغلبة للمومنين وروي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين
اسير فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشارهم فقال ابو بكر قومك
واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فديه تقوى بها اصحابك
وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانها ائمة الكفر وان الله اغناك عن
الفدا مكني من فلان نسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب
اعناقهم فلم يهود لك رسول الله عليه السلام وقال ان الله ليلين قلوب
الرجال حتى يكون الين من اللين والله يشدد قلوب الرجال حتى يكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض
من الكفرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفدا فنزلت قيل فدخل عمر رضي الله عنه
على رسول الله عليه السلام فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان اجد بكا بكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفديه ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وفيه انهم ما اخذوا
الفدا الا بعد تخيرهم صاحب الشرع فلا يستحقون العذاب وفيما ذكرنا
يفصح عن استحقاقهم اياه ثم ان المذكور في سبب النزول صريح في انه عليه السلام
استشار بعض اصحابه واخذ براي ابي بكر في القضية المذكورة فلا دلالة في
الاية المذكورة على ان الانبيا عليهم السلام يجتهدون وانه قد يكون خطا ولكن
لا يقرون عليه **لولا كتاب** حكم وقضا **من الله سبق** اثباته في اللوح الحي لا
اعذب قوما الا بعد النهي ولم يكن نهاهم لعذبتكم فيما صنعتم او ان الفديه
التي اخذوها ستحل لهم قال الحسن ان الله يعظم هذه الاية العظيمة وانهم
اخذوا الفدا من اسارى بدر قبل ان يومروا به فعاتب الله تعالى ذلك عليهم
ثم احله لهم وان لا تعذب اهل بدر **لمسكم** المس اصابه تاثر منه البشرة **فيما
اخذتم** بسبب ما اخذتم من الفدا **عذاب عظيم** لما نزلت هذه الايه
مسكوا عن مد ايديهم الى شيء من الغنايم فنزلت **وكلوا مما غنمتم** الفا
للتسبيب والسبب محذوف تقديره احللت لكم الغنايم فكلوا فمعموم ما

غنمتم تدخل الفديه لانها من جملة الغنايم واذا كان تقدير الكلام ما ذكرنا
يكون تمسك لمن زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحه **حلالا** من
حال المغنوم او صفة لمصدر اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع في نفوسهم
بسبب العقاب ولذلك وصفه بقوله **طيبا** لبيان انه لا شبهه فيه فان
الحال قد يكون مكروها فاذا وصف بالطيب لا يبقى هذا الاحتمال في لها
الاباحات فلا يجامع مع الكراهة فالمباح من الحال ومن هنا تبين ان حق
المقدار اعللت ان يكون دون الحب وجوزان يكون الفايده ما وقع في
نفوسهم بسبب حرمة الغنايم على الاولين وفيه انه عليه السلام لعد ما
رخص وخير بين القتل والفدا لا وجه لان يبقى في نفوسهم احتمال الحرمة خصوصا
بعد ما اقدموا على اخذ الفدا وعملوا بموجب الرخصه **واتقوا الله** اي في
الاقدام على ما لم يعهد اليكم فيه حكم **ان الله غفور رحيم** غفر لكم ذنبكم اباح لكم
ما اخذتم ولا يخفى لطف هذا الكلام وحسن انطباقه بمقتضى المقام فان
في الامر بالاتقا ما يسبق الى الاوهام من بقا التبعه وشيء من الاثام في
ما صدر عنهم من الافدا والالزام **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم** في ملكتكم كان
ايديكم قابضة عليهم **من الاسرى** وقرئ من الاسارى امر النبي عليه السلام
باستماله الاسرى الذين اخذ منهم الفدا ترغيبا لهم في الاسلام **ان يعلم
الله في قلوبكم خيرا** اخلاصا في الايمان وصدقا في النيه **يوتكم خيرا مما اخذ
منكم** من الفدا اما في الدنيا اخلافا واما في الاخرة اثابة روي انها نزلت
في العباس رضي الله عنه كلفه رسول الله عليه السلام ان يفدي نفسه
وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني
اتكفف قريشا ما بقيت فقال ان الذهب دفعت الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقاسم فقال وما يدريك
اخبرني به ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس رضي الله عنه
فابدلني خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين
الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر

المغفرة يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني اسرى
خيانتك نقض ما عهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ
بالعقل من قبل فامكن منهم فامكنك منهم اي فاقدرك عليهم يعني يوم
بدر وهو مع صناديدهم ورؤسائهم فكيف بعد ذهابهم بالقتل فان عادوا
الخيانة فيمكنك منهم والله عليم بالاحوال حكيم في الافعال ان الذين
امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ورسوله
وجاهدوا باموالهم بان صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على
المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا ونصروا اي
اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم وهم الانصار اولئك بعضهم
اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل
بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا في ذكر امنوا ههنا دون الثاني لان قوله اووا
يغني عنه بخلاف قوله ولم يهاجروا بل توهم خلافه ما لكم من ولايتهم اي من
توليتهم في الميراث حتى يهاجروا وقرئ ولايتهم بالكسر لتشبيهها التولي بالعمل
والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليته صاحبه زاول عملا وان
استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا يجوز ان ينقض عهدهم بنصرهم
عليهم والله بما تعملون بصير تحذير عن تعدي حد الشرع في الموالاة وتركها
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بين الكفار والمراد
نهي المسلمين عن الموالاة لهم وموارثتهم لان الموالاة بينهم مرتبة على التناسب
في الكفر كترتبها بين المومنين على التناسب في الايمان فالمفهوم عدم
الموالاة فلا مناسبة فلزم انتفاء موالاة المومنين والكفرين في التوارث
ووجوب مصارمتهم ومباعدتهم وان كانوا اقارب الا تفعلوه ان لم
تفعلوا ما امرتكم ولم تتركوا موالاة الكفار ولم يفضلوا نسبة الايمان على
نسبة القرابة الدنية فقط تكن فتنة تحصل فتنة في الارض عظيمة
هي ضعف الاسلام وقوة الكفر وفساد كبير في الدين لان المسلمين ما لم يصيروا
يدا واحدة على الكفر لم تقو الدين وازداد الفساد وكبر وقرئ كثير اكتفى بالسكير

من شيء

في

في توصيف الفتنة بالسكير للتنبيه على انه لا يفي به التعبير والذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا لما قسم
المومنين ثلاثة اقسام بين ان القسمين الاولين المتواصلين هم الكاملون
في الايمان الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق واثنى عليهم ووعدهم الموعد الكريم مخصوصا بهم ومن
بينهم حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم اي مغفرة عظيمة ونوع من الرزق
لا تبعة ولا منة فيه والتخصيص مستفاد من تقديم الجار والمجرور والاية
الاولى بالتواصل للامر بينهم والموالاة وهذه لبيان فضلهم فلا تكرار والذين
امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار اي حكم اللاحقين بهم من القسمين بينهم حكم السابقين الى الهجرة
في كمال الايمان والموعد ترغيبا لهم وتكريما واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القران
وهو اية المواريث واستدل بها على توريث ذوي الارحام ان الله بكل
شيء عليم فيعلم الحكمة في التوريث بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا ثم نسبة
القرابة ثانيا سورة براءة مائة وثلاثون اية هي اخر ما نزلت ولها اسماء
اخر منها سورة التوبة وعن حذيفة رضي الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة
وانها سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه قيل كان النبي
عليه السلام اذا انزلت عليه اية او سورة بين موضعها وتوفي ولم يبين
موضع هذه السورة وكانت قصتها تشابهت قصة الانفال وتناسبها
لان في الانفال ذكر العهود وفي البراءة نبذها فقرن بينهما واما انها لم
تنضم اليها فلان الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في انها سورة واحدة
وهي سابعة السبع الطوال او سورتان فتركت بينهما فرجة ولم يكتب
بسم الله رعاية للاحتمالين ومن قال انه تركت البسملة بينهما لانها نزلت
لرفع الامان وبسم الله امان وكانه غافل عن انها توقيفية لا دخل للراي
في اثباتها وتركها براءة مبتدا لانها موصوفة بقوله من الله ورسوله
اي حاصلة منهما اليهم ويجوز ان يكون براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه
براءة ولا حاجة الى تقدير حاصلة بل يكفي تقدير واصلة خبره الى الذين عاهدتم

اي واصلة اليهم وبجوز ان يكون براءة والعهد العقد الذي يتقدم به لتوثق
الامر واطهارا ذكر في صورة الاخبار وهو امر في الحقيقة للمبالغة في
مبادرته عليه السلام الى الامتثال للاوامر الواردة وذكر الله تعالى كما في قوله
تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تعظيما لشانه عليه السلام
واشعارا بانه من الله تعالى بمكان يوجب اجلاله وانما نسب البراءة الى
الرسول عليه السلام والمعاهدة الى المسلمين لشركتهم في الثانية دون
الاولى من المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فانهم نكثوا العهد الا
ناسا منهم من بني ضمرة وبني كنانة فامر الله تعالى المسلمين نبذ العهد الى الناكثين
فيهم فسيحوا السيح السير على مهل والجري على انبساط ولا يخفى حسن موقعه
هنا وفيه تلوين الخطاب من صورة الخطاب الامر الخبري الى الامر الظاهر ونقله
من مخاطب الى اخر بلا فصل بينهما باداة النداء وهذا جائز عند عدم الاشتباه
كما في قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك فلا حاجة الى
تقدير القول ولا بعد في ترتيب الثاني على الاول كما في قول الحماسة لا تقبروني
ان قبري محرم عليكم ولكن ابشري ام عامر وانما يريد بقوله في الارض
تعميما للاذن والا فمعلوم ان السيح لا يكون الا في الارض اربعة اشهر
امهلهم اربعة اشهر يسيروا في الارض فيها على مهل امنين اين شاؤوا وهي
الاشهر الحرم والمراد بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر على ما ياتي بيانه
باذن الله تعالى وقيل وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت في
شوال سنة تسع من الهجرة وكان صيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها
واجبة فوافقها النزول وقيل عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع
الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر وكانت حرما لانهم
اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذي الحجة والمحرم منها
ويرد عليه انه لا دلالة في كون التبليغ العام على رؤس الاشهاد يوم النحر على ما ذكر
اذ يجوز ان يكون النزول قبله ويحصل فايدة التغليب بالاعلان والاشاعة
روي انه لما ضرب لهم مدة قالوا نسيح في المدة على امان ثم يحتال فيمتنع
غيرك قوله واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم تهديد
وزيادة اعلموا للتشديد وان الله مخزي الكفرين الاخزاء الاذلال بما فيه

الفضيحة

الفضيحة والعار اي مذلهم بالقتل والاسر في الدنيا والاخرة بالعذاب
ووضع الظاهر موضع الضمير في الوصفين اما في الاول فلتعميم امر الخزي
واما في الثاني فللدلالة على ان الكفر هو الموجب له وكذا في بشر الذين كفروا
واذان من الله ورسوله الاذان فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء بمعنى
الايمان والاعطاء قيل معناه النداء بالامر الذي يسمع بالاذن ورفعه كرفع
براءة على الوجهين والواو عاطفة للجملة على الجملة الى الناس لما كانت البراءة
مخصوصة بالمعاهدين والاذان بها للعموم علق الاخبار بالبراءة بالمعاهدين
والاخبار بالاذان بذلك بالناس يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام
الحج ومعظم افعاله ولان التبليغ كان فيه ولما روي ان النبي وقف
يوم النحر في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وتوصيفه بالاكبر لان
العمرة حج اصغر ولان المراد من الحج افعاله واعماله وما يقع فيه اكبر
من باقي الاعمال او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل الكفرين واما الموافقة
لاعياد ساير الملل فلا ينبغي ان يعتبر في تعظيم حجة ما ثم ان التوصيف
المذكور قد ورد في حجة الوداع ايضا ولا موافقة ثمة ان الله اي بان الله
حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر اجراء
للاذان مجرى القول بريء من المشركين من اقوالهم وافعالهم ونبذ
فيها عهودهم انذارا اولا ورسوله عطف على المستكن في بريء من
غير تاكيد للفصل او على محل ان المسكورة واسمها بلا فصل بارادته وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او على ان الواو بمعنى مع وبجوز ان يكون
مبتدا محذوف الخبر اي ورسوله كذلك فان تبتم تفريع على ما فهم مما
تقدم من كون الشرك واثاره سببا للبراءة المذكورة وفي هذا التفريع
غنى عن ذكر متعلق التوبة فهو اي فالتوبة خير لكم في الدنيا والاخرة
وان توليتم اي اعرضتم عما دعيتم اليه فاعلموا انكم قدم ان افهام اعلموا
في هذا المقام للتهديد يدي في الوعيد غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا
تخلصون منه هربا وبشر الذين كفروا الامر بالبشارة عام لكل من يقدر عليها
وفيه تلوين الخطاب بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم استدراك
من قوله براءة من الله ورسوله الى الخ بحسب المفهوم كانه قيل لا تمهلوا الناكثين

للعهد غير اربعة اشهر لكن عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم لا تجعلوهم في حكم
الناكثين الذين لا رخصة في امهالهم عن المدة المذكورة ولا يضره تخلل
الفاصل اعني قوله واذان من الله الخ ليس باجنبي بالكلية لكونه امرا بالاعلام
معنى كانه قيل واعلموا ان الله بريء منهم قيل استثنا من فسيحوا ومستثنا
على تقدير القول بين الفاء ومدخوله وقد عرفت انه تكلف مستغنى عنه
وقيل استثناؤه من المشركين ورد بانه يلزم حينئذ تخلل الفاصل الاجنبي
مع منافاته لعموم المشركين في قوله ان الله بريء من المشركين والعدول
في قوله من المشركين من المضمر الى الظاهر لطول العهد والتنبيه على ان
الشرك اذا قارنه الوفا بالعهد لا يوثر في النبذ ولا يخفى ما فيه من التفخيم
لشان الوفا به ثم لم ينقصوكم شيئا من شرايط العهد وفي عبارة ثم اشارة
الى انهم لم يفعلوا ذلك مع تطاول العهد ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم
احدا من اعدائكم فاتموا تفريع على ما تقدم وبيان لما يراد من عدم جعلهم في
حكم الناكثين وانما قال اليهم تضمينا بمعنى الارسال الى اي اتوا عهدهم
الى مدتهم مرسلين اليهم معنى امر الاتمام وذلك لما اعتبر الاعلام في قرينه
السابق ذكره كان المناسب اعتباره ههنا ايضا وفيه وقع وهم تعميم
حكم النبذ لهم ايضا وانما تضمين او وافقه التزام الجمع بين معنيين
احدهما مغن عن الاخر عهدهم الى مدتهم المدة زمان طويل الفسحة واستقا
من مددت له في الاجل امهلته والمراد منتهاها بقرينة الى التي لانتها الغاية
ولا حاجة الى تقدير المضاف ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان
قضية التقوى اتمام العهد والتسوية بين الوفا والغادر في النبذ مخالفة
التقوى وان كان الاول مشركا وفيه تتميم لما قصد بقوله من المشركين
من التفخيم لشان الوفا بعهده فاذا انسلخ الانسلاخ الانفصال الشيء عما يلابسه
ملابسة التحام من سلخ الشاة واذا كان الانفصال عما يلابسه ملابسه
مجاورة او التصاق دون التحام يقال الخلع ولا يقال السلخ ثم ان الخلع
والسلخ مشتركان في التعلق بما يحوي الشيء وبه يفارقان النزع فانه
يتعلق بما يحويه الشيء وبه يفارقان النزع مثلا يقال نزعت المسمار
ولا يقال خلعت ولا سلخت وانما يقال لاخر الشهر يوم السلخ استعارة

لعبارة السلخ لازالة النور الاشهر الحرم وهي تسعة اشهر لبني كنانة واربعة
اشهر لسائر المعاهدين المذكورة في قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة
اشهر ومن قال التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فكانه غفل عن عموم
الحكم لبني كنانة وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وياباه
ترتيب الكلام على ما تقدم بالفا واما زياحة بانه مخالف للاجماع لانه
يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ينسخها فليس بتام
لان نسخ الكتاب لا يلزم ان يكون من الكتاب وعلى تقدير لزومه كما هو
مذهب الشافعي يحتمل ان يكون ناسخة من الكتاب منسوخ التلاوة فاقتلوا
المشركين الناكثين عهدهم حيث وجدتموهم في حل وحرم ولما كان التعريف
في الموضعين للعهد ولم يكن لمثله جواز قتال المشركين في الاشهر الحرم
تعلق بهذا المقام وكما سبق الى بعض الاوهام وخذوهم الاخذ الاسر ومنه
الاخيذ للاسير وليس اسرهم للاسترقاق لانه لا يجوز في حق المشركين ولهذا
امر بالحبس والمراد منه الامهال في تخيرهم بين السيف والاسلام
هذا في حق الحاضر والذي في حق الغايب ما ذكر بقوله واقعدوا لهم الخ
واحصروهم اي واحبسوهم ويجوز ان يكون من الحصر المنع من التبسط في
البلاد ويدخل فيه دخولا اوليا منعهم من المسجد الحرام واقعدوا لهم كل
مرصد اي موضع الغرة قال النابغة واعلم لت ان الجهل من لذة الغنى
وان المنايا للنفوس مرصد وقيل هي كل ممر ومجاز رصد وعم وانتصابه
على الظرف فان تابوا اي من المعاصي ويدخل فيها دخولا اوليا الرجوع للكفر
فهي متضمنة للايمان ثم قرن به اقامة الصلوة وايتا الزكوة تنبيها
على مكانهما من الشرع ان يكون من قبيل الاكتفا بذكرهما عن العبادات البدنية
والمالية عن جميع العبادات الواجبة واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
اي التزموا نسك العبادتين البدنية والمالية وذلك يتضمن التصديق
بنبوة نبينا محمد عليه السلام وهو المقصود الاصلي فمضمون الكلام المذكور
منطوق كلمتي الشهادة فخلوا سبيلهم بالتمكين لهم اي فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشيء من ذلك ولا دلالة فيه على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا
على سبيله لما عرفت ان الشرط التزامها كما في قوله تعالى حتى يعطوا

للجزية إن الله تعليل لما تقدم أي لأن الله غفور يغفر لهم ما سلف رحيم لا يكلفهم المشاق ولا يخفى حسن انتظامه مع السياق لتضمنه الإشارة إلى وجه الاكتفاء بالالتزام لما أمر به وإن أحد فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده لوجود حرف الشرط وإنما قال أحد لعدم الرخصة لإجارة الجماعة لأنها مظنة الفساد ولا يتوقف عليها تمام المصلحة من المشركين لم يقل منهم لعدم الاختصاص بهم في الحكم على ما يأتي بيانه استجارك سألك أن تؤمنه ويكون جارا له يسمع كلام الله تعالى فيتبين ما تدعوا إليه فأجره فأجر إلى ذلك حتى يسمع كلام الله أي يفهم ويتدبره فيعلم أنه معجز من عنده وذلك يقتضي مهله ولهذا قال ثم أبلغه مأمنه يعني إن لم يؤمن وطلب الرجوع إلى موضع أمنه والبقية عن الفهم بالسمع لأنهم من أهل اللسان فيفهمون المعنى كما يسمعون اللفظ ذلك الحكم بأنهم بسبب أنهم قوم لا يعلمون إشارة لطف المعاملة بهم في الإجارة وتبليغ المأمن أي لا يعلمون حقيقة ما تدعوا إليه فلا بد من الإمهال زمانا حتى يسمعوا أو يفهموا الحق ويدعوه ويجوز أن يكون لا يعلمون منزلا منزلة اللازم أي ليسوا من أهل العلم والمعرفة وهذا الحكم عام ثابت أبدا كيف يكون للمشركين استفهام على وجه التعجب والاستبعاد ومرجعه إلى الإنكار على الوجه الأبلغ عهد عند الله يأمنون به من عذابه في الآخرة وعند رسوله يأمنون به عذاب الدنيا من القتل والأخذ وتكرار عند للتنبيه على اختلاف المراد به سد الباب التمهيد فعل إنكار واستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع غرة صدورهم ولأن يفي الله ورسوله بالعهد وهم ينكثوه ولا يذهب عليك أن ما ذكر معنى قولنا كيف يكون لله ورسوله عهد عند المشركين لا معنا لمقالة الله تعالى كيف حال عن اسم يكون مقدمة للاستفهام وللمشركين خبره وعند الله صفة لعهد أو ظرف ليكون أو كيف خبر مقدم وللمشركين حال مبنية للعهد أو عند الله خبر إلا الذين عاهدتم نصب على الاستثناء أو جر على البدل أو رفع على أنه كلام مستدرك بمعنى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبله فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم عليه والفاء الأولى على الوجهين الأولين عاطفة للجملة على مقدر أي فتربصوا أمرهم فما استقاموا لكم وعلى الثالث فالجزاء

التضمن الموصول معنى الشرط وما شرطية وجزاء الشرط فاستقيموا أو مصدرية على معنى فاستقيموا لهم مدة ما استقاموا لكم والفاء الثانية مكررة للتأكيد إن الله يحب المتقين تعليل للأمر بالاستقامة وإشعار بأن التجافي عن نقض العهد من لوازم التقوى كيف إعادة للاستبعاد المذكور على الوجه الاختصار على طريقة الاقتصار على ذكر أول الكلام عند انفهام التمام بمعونة المقام وأما التنبيه على العلة فحاصل بدون إعادة كيف والمعنى كيف يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله ولا عهد لله ولرسوله عندهم وقد عبر عن هذا بطريقة إقامة دليل الشيء مقامه وإن يظهروا عليكم أي وحالهم أنهم إن يظفروا بكم أصل الظهور العلو بالغلبة لا يرقبوا لا يراعوا فيكم أصل الارتقاب بالنظر ومنه الرقيب ثم قيل من حافظه كلاهما على شيء ودعاه راقبه وارتقبه إلا حلفا وقيل قرابة ولا ذمة عهدا أو حقا يعاب على إغفاله إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم كلام مستأنف لبيان حالهم المنافية للثبات على العهد وتقدير عدم مراعاتهم للحلف والقرابة والإرضاء بالأفواه عبارة عن معاذيرهم الكاذبة ومواعيدهم الباطلة وإنما ذكر الأفواه لأنها الظاهرة وتأبى قلوبهم عن الإرضا حقيقة بما فيها من العزائم على خلاف ما قالوا وإنما قال وأكثرهم فاسقون لما في بعضهم أشد منه لدفع شأن الفسق في الذم كما أن توصيف الأنبياء عليهم السلام بالإيمان لرفع شأن الإيمان في المدح فلا حاجة إلى التكلف في صرف الفسق عن ظاهره اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا استئناف لبيان فسقهم وقد مر تفسيره في سورة البقرة فصدوا أي أعرضوا من صد يصد صدودا أو منعوا من صده عنه يصده صدا عن سبيله أراد بالسبيل الدين الحق والإضافة إلى الله تعالى للتشريف إنهم ساء ما كانوا يعملون المخصوص بالذم محذوف أو ما دلت عليه قوله لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة تفسير لما يعملون تكرير وأولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة والواو للعطف من جهة المعنى على ما تقدم من الجملة الاستئنافية فإن تابوا أي بعد هذا كله أن رجعوا عن الكفر إلى الإيمان وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وقد مر تفسيره فإخوانكم فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم

ونفصل الايات اعتراض للتحريض على تامل تدبر ما فصل من الايات ومابين
من احكام المشركين للعاهدين والناكثين والحث على المحافظة عليه لقوم
يعلمون فيه اشعار بان العالم يتامل بتفصيلها والواو للعطف على مقدر اي
نزل القران ونفصل الايات وان نكثوا ايمانهم النكث النقض واصله فيما يفتل
ثم يحل فهي في الايمان والعهود مستعارة وانما قال من بعد عهدهم اظهار
القبح حال الناكثين حيث عاهدوا ثم اكدوا عهدهم بالايمان وافراد العهد وجمع
الايمان لان الاول يكون بالنيابة فهو مقدم جماعة يكون عهدا لسائرهم دون
الثاني فلا من صدور اليمين من كل واحد منهم وطعنوا الطعن هو الاعتماد
بالعيب واصله الاعتماد بالرمح في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام اي
اظهروا النقض المذكور بالقول ولا بد من اظهاره في اباحة القتال وتخصيص
الاظهار الادنى بالذكر ليعلم الحكم في الاعلى وهو ما يكون بالفعل بالطريق
الاولى ولما كان ذكر الطعن في صدد بيان ان نقض العهد انما يبيح القتل
والقتل اذا كان ظاهرا قولا او فعلا لم يكن في الاية دلالة على ان الذمي
اذا طعن في الدين ينكث عهده ويباح قتله فقاتلوا ائمة الكفر وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة ان سياق الكلام في رؤسائهم بناء على ان
المعاهدة انما تكون بهم بحسب العادة فقوله من عهدهم تمهيد ولك ان
تقول ان الجزاء في الحقيقة فاقتلوهم ولما كان قتلهم مسبوقا بمعاهدتهم
مقابلتهم ورفع موافقة رؤسائهم من البين نزلها منزلة الجزاء على طريق
الكناية بذكر الملزوم على اللازم وقرئ ايمة بتخفيف الهمزتين والافصح
جعل الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن صريح انهم لا ايمان لهم تعليل
لما ذكر على طريقة تنزيل الشيء الخالي عن الثمر منزلة العدم اي لا اثر
لعهودهم في المنع عن قتلهم بعد النكث فلا دلالة فيه على ان يمين الكافر
ليس بيمين وقرئ لا ايمان لهم بالكسر يعني ان المانع عن قتلهم احد
الامرين العهد وقد نقضوه والايمان ولا وجود له لعلهم ينتهون متعلق
بقوله فقاتلوا اي ليكن غرضكم في قتالهم انتهاءهم عما هم عليه من الكفر والغدر
وساير العظايم لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤذين الا تقاتلون معنى
الهمزة الداخلة على نفي القتال الانكار والتوبيخ ليفيد المبالغة في الحث والتحريض

عليه وتقدير المعاني الموجبة له من نكث الايمان والهم باخراجه عليه السلام
والبدا بالقتل تقويه وتاكيد لذلك قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول
عليه السلام والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا بمكة في امره حتى اذن الله تعالى في الهجرة
وهم بدؤكم اول مرة بالمعادات والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة
وتحداهم بالكتاب والزمهم الحجة فعدلوا من المعارضة لعجزهم عنها
الى المقاتلة فهم البادؤن بالقتال اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالكم منهم مكروه والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرب
وادخال الهمزة هنا انكار وايما الى منافاتها للايمان على ما صرح به بعده
بقوله فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم
تخصيص الخشية بالله وعدم المبالاة بغيره وفيه جمع بين التقريع والتشجيع
وهو ابلغ في تحريك لما بالغ في التوبيخ على ترك القتال وبين موجباته
جرد الامر به تمسكا ووعد لهم النصر والغلبة والتعذيب للكفار بايديهم
ليكون اوقع في نفوسهم واشد تثبيتا لقلوبهم وتقويه لعزايمهم فقال
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرى الخزي ذل يستحى منه
وينصركم عليهم النصر المعونة برفع الضرر وتعديته بعلى لتضمنه معنى
التغليب ويشف الشفا ملاءة النفس بما يزيل عنها الاذى صدور قوم
مؤمنين وهم خزاعة ووجه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد وبدأ بهم
الحرب وكان فيهم مؤمنون كثير وتخصيص المؤمنين منهم بالذكر لان المقصود
اصالة شفا صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه الغيظ
امرهم بالقتال ووعد عليه هذه الاشيا وانجز ما وعد وكان الاخبار
بذلك من المعجزات ويتوب الله على من يشاء كلام مبتدا واخبار بان بعض
اهل مكة يتوب ويقبل الله توبته لصدقها وكان ذلك ايضا منفصلا عما
قبله لفظا ولكنه متصل معنى اي ومن فوايد القتال انه يتوب بسببه
بعض من تامل وقرئ ويتوب الله على النصب على اضمار ان على دخول
التوبة في جملة ما اجيب به الامر من حيث المعنى والله والعدول عن
الضمير للتفخيم عليم لا يكون عليه خفا حكيم لا يلحقه خطا ام حسبتم ام

منقطعة تضمن اضرابا عن اللفظ الاول عن معناه واستفهاما فيمن يسد مسد بل والف الاستفهام والاستفهام هنا للتوبيخ لهم على حسبانهم ان تتركوا على حالهم اي اخطاهم في ظنك انكم تتركون على ما انتم عليه دون الاختبار وامتحان فانكم لا تتركون حتى يتميز الخلص الذين جاهدوا منكم في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا بطانة من الذين يضادون الله ورسوله والمومنين يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم عن غيرهم ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي لم يبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم وما في لما من معنى التوقع مبني على ان تبين ذلك متوقع لما لنفي العلم مع التوقع والمراد به المبالغة في نفي المعلوم على طريق البرهان لانه لو وقع لكان معلوما له فلما لم يعلم لزم عدم وقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة بطانة من الولوج وهو الدخول وليجتك صديقك الذي يطلع على ما في داخل قلبك والله خبير بما تعملون فيعلم عمل المجاهدين المخلصين قبل وقوعه وهو كالمزيح لما يقع في الوهم من الشبهة في قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيا فيها فضلا عن المسجد الحرام والمراد هو وانما جمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر شاهدين على انفسهم بالكفر حال من الواو وفيه اشارة الى حالهم المنافيه اي ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها من العمارة والحجابة والسقاية وذلك العمار لان الكفر الطاري يهدم الاعمال فكيف بالمقارن وفي النار هم خالدون لكفرهم دون العصاة من المومنين انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي لا تستقيم ولا يصح عمارة مساجد الله تعالى الا ممن امن وجمع بين الكمالات العلمية والعملية والايمان باليوم الاخر المتضمن للتصديق بالمعاد الجسماني لا يكون الا بطريق السمع فهو بهذا الاعتبار يشمل الايمان بنبينا عليه السلام لان المعاد الجسماني لم يذكر في غير القران من الكتب السماوية هذا هو الوجه لعدم ذكر الايمان به عليه السلام واما قوله واقام الصلوة واتى الزكوة فلا يغني عنه لانهما

يجوز

273

يجوز ان يوخذ من الشرايع والعمارة تتناول رم ما استرم منها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتمهيد الفرش واقامة الصلوة واداء الزكوة وتلاوة القران ودراسة العلوم وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وساير الفضول ولم يخش الا الله والمراد من الخشية الرهبة والهيبة والانقياع اللازمة من تصور عظمة الله تعالى لا الانفصال الجبلي الذي يعتري المخلوق في غيبته فانه ليس بارادي واما هذه فانه من لوازم التقوى لان عظم الخالق في قلب المومن يصغر المخلوق في عينه فلا خشية له من غيره فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين في ذكره بصيغة التوبيخ والتوقع قطع اطماع المشركين في الاهتدا تبعيد لهم عن مظانه لان الموحدين المخلصين في الاعمال اذا كان اهتداهم دائرا بين عسى ولعل فكيف يطمع فيه المشركون باعمالهم المبنية على الافتخار والريا والمباهات والتقرب بها الى العزى واللات ومنع للمومنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران والحدث لا يشبه بالجثة فلا بد من مضمر يدل عليه بقرينة العقل محذوف للايجاز تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن ويعضده قراة سقاة الحاج كايمان من امن والمعنى انكار ان شبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمومنين واعمالهم المثبتة وقوله لا يستوون عند الله تقرير لذلك وتاكيد له وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعادات الرسول عليه السلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله تعالى ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المومنين وانما قال لا يهدي تنزيلا للهداية الواقعة في حقهم منزلة العدم لعدم ترتب الاثر عليها الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم او ممن ليس كذلك فيندرج فيه اهلهما اندراجا اوليا لكونهم مشركين واولئك هم الفايزون المختصون بالفوز دونكم او دون من عداكم والفوز بلوغ البغية اما في نيل مرغوب او نجاة من مكروه والمراد هنا الفوز الكامل وينتظمها يبشرهم

ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم النعيم لين العيش
ورغده مقيم دايم وتنكير المبشر به للتعظيم وكونه فوق وصف الواصف
وتعريف المعرف وفي اسناد البشارة الى ربهم زيادة تعظيم للمبشر به وبيان
كون الرحمة منه تعالى مع كونه معلوما عن قصد التعظيم لها لا يخفى
ولنا اطلق الرضوان لتعظيم نوعيه المذكورين في قوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث
الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دون الاجور الدنيوية يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء عن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين
خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه
الكفرة ويقطع موالاتهم ولم يذكر الابنا في هذه الاية اذ الاغلب في البشر ان
الابنا هم التبع للابا والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر اي اختاروا واثروا على الايمان فعدي
بعلى لتضمنه معنى الاختيار والايثار ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الموالاة غير موضعها على خلاف امر الله تعالى لما ورد التشديد في
امر المهاجرين قالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا عمن خالفنا في الدين
قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت
ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت قل ان كان اباؤكم وابناؤكم ذكر الابنا في
هذه الاية لما حلت ذكر المحبة والابنا صدر في المحبة واخوانكم وعشيرتكم
اقرباؤكم ماخوذ من العشيرة وقيل من العشرة فانها جماعة ترجع الى عقد
واحد كعقد العشرة واموال اقترفتموها اكتسبتموها واصل الاقتراف
اقتطاع الشي من مكانه الى غيره وتجارة تخشون كسادها يعني ما اشتريتموه
طلب الربح تخافون وقوفها وخسرانها بفوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها
منازل تعجبكم الاقامة فيها احب اليكم اراد المحبة الاختيارية دون الطبيعية
فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ من الله ورسوله وجهاد في سبيله فيه
دلالة ظاهرة على ان سياق الكلام في الحض على الهجرة فتربصوا جواب
ووعيد والتربص التوقف على الانتظار حتى ياتي الله بامره بعقوبته اجله
او عاجله وفي العدو لعن حتى ياتي امر الله انما ذكر تفخيم للامر والله لا

يهدي القوم الفاسقين فيه تعريض بوجود الهداية فحقهم منزلة العدم
لعدم الاثر في الاية تشديد عظيم وقل ما يتخلص عنه لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة المواطن موضع الاقامة ومواطن الحروب مواقفها وهي المراد
ههنا ويوم حنين عطف محل في مواطن اي وموطن يوم حنين او التقدير في
ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ليناسب الامكنة او الازمنة فيقع حرف
في توفيقه ويجوز ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين اذ اعجبتكم كثرتكم
بدل من يوم حنين ولا يمنع ابداله منه عطفه على محل في مواطن اذ لا يقتضي
العطف اشتراكهما فيما اضيف اليه المعطوف فلا يلزم ان يكون اعجابهم
اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطايف قيل انهزم المسلمون
يوميذ وهم اثنا عشر الفا وبقي رسول الله عليه السلام مركزه ليس معه الا
عمه العباس وابن عمه ابو سفيان وليس الامر كما قيل فان الناس معه
عليه السلام كانوا عشرة رجال وقد افصح عنه العباس في قوله نصرنا رسول الله
في الحرب تسعة وقد فر من فر منهم واقشعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه بما
مسه في الله تعالى لا يتوجع وذلك العاشر ايمن ابن ام ايمن رضي الله عنهم
قال البرا ابن عازب فقد رايته عليه السلام وانه على بغلته البيضاء وان
ابا سفيان اخذ بلجامها والنبي عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد الله
ابن عبد المطلب اول قوله لتثبيت المسلمين عامة واخره لتثبيت عمه
وابن عمه خاصة فان في ذكر جده اشعارا بان من كان من نسله لا يحق
الفرار دون القرار وهذه اية غاية الشجاعة حيث لم يخف اسمه ونسبه في
تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه فلم تغن عنكم اي تلك الكثرة شيا
قليلا من الاغنا او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها
اي من الخوف كما قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة على الخايف المطلوب
والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع الجار والمجرور في محل الحال اي ملتبسة
برحبها ومعنى ضيق الارض عليهم انهم لا يثبتون فيها مع سعتها انهم لا
يجدون فيها منجى ولا مهرب يرتضونه لفرط الرعب فكانها ضاقت عليهم او لا
يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين
والادبار الذهاب الى خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها

كفة حابل

وآمنوا على رسوله وعلى المومنين الذين انهزموا وقيل الذين ثبتوا مع رسول الله
عليه السلام حين وقع الهرب وتكرير الجار على اختلاف الحال وانزل جنودا
لم تروها باعينهم والجنود الجموع التي تصلح للحرب والمراد هنا الملائكة وعذب
الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاهم
كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك الجريمة العظيمة على من يشاء بالتوفيق
بالاسلام وهم ناس منهم والله غفور يتجاوز عنهم رحيم يتفضل عليهم يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس مصدر والافصح ان يجعل نجس خبر على
انهم النجاسة بعينها والمعنى انه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن النجاسة
انه بولغ في وصفهم فجعلهم عينها للتنفير وبيان وجوب تبعيدهم
عن المسجد وقرئ نجس بالكسر في النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس
نعتا واكثر ما جا تابعا لرجس وعلى هذه القراة لا بد من تقدير موصوف
يحسن له وضرب فلا يقربوا المسجد الحرام الفا للسببية اي فلا تقربوه
بسبب انهم عين النجاسة والنهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن
دخول الحرم وهو مذهب عطا والمراد من نهيهم عن ان يقربوه نهي
المسلمين عن تمكينهم منه ولهذا صدر الكلام بالخطاب لهم وفيه دلالة
على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وعليه ابو حنيفة
رحمه الله ويويده قوله بعد عامهم هذا فانه لولا هذه الارادة لكان مقتضى
التفريع المذكور الانتظام النهي لبقية ايام هذا العام ايضا والاشارة الى
سنة عشر وقيل الى سنة تسع وان خفتم عيلة فقرا بسبب ورود ان
المسلمين حين منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارة
قذف الشيطان في نفسهم الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم
الله تعالى ان يغنيهم من فضله قال الضحاك ففتح عليهم باب اخذ
الجزية من الذمة لقوله قاتلوا الذين الاية وقرئ عايلة وهو مصدر
كالعافية ونعت لمحذوف اي حالا عايلة فسوف يغنيكم الله من فضله من
عطايه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان فتح عليهم باب اخذ الجزية
من اهل الذمة واخذ الغنيمة من اهل الحرب اوفق اهل تبالة وجرش
فاسلموا وامتاروا لهم ان شا قيد بالمشية لتنبيه على ان التفضل في ذلك لان

قوله

قوله من فضله متوخ فيه بل ينقطع الامال اليه وينبه على وجه اختلاف
الاحوال والاعوام والاشخاص والاقوام ان الله عليم بمصالح العباد
حكيم فيما حكم واراد قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يومنون
بهما على وجه يصح ويقبل على ما مر بيانه في اوايل سورة البقرة وانما قال
قاتلوا دون اقتلوا اشارة الى اختصاص الجزية التي ينتهي عندها القتال
بمن يتحمل بسببه الحرب فلا جزية على المراة والصبي والمريض الشيخ الفاني
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لم يقل او رسوله لانه عليه السلام لم يحرم
شيا الا بالوحي على المذهب الصحيح فليس المعنى ما حرم الله بالكتاب او رسوله
بالسنة لما في هذا التوزيع مع ايهام استقلاله عليه السلام في التحريم
ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان ومبطلها من
الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يومنون وتاكيد للحجة التي لا بد من تقديمها
على القتال لانهم كانوا يجدونه عليه السلام في التوراة والانجيل فدلاله
فيه من جهة المفهوم على اختصاص قبول الجزية باهل الكتاب كما لا دلالة
فيه على اختصاص وجوب القتال بهم بين في الاية السابقة قتال المشركين
وبين في هذه قتال اليهود والنصارى ولو قال قاتلوا اهل الكتاب لكفى
وانما ذكر هذه الاوصاف الذميمة اطيب تحريضا للمومنين على قتالهم
لانها صفات توجب البراة منهم والعداوة لهم حتى يعطوا الجزية اي
الى ان يقبلوها وهي عطية عقوبة جزا على الكفر على ما قطعه رسول الله عليه السلام
على اهل الذمة وهي على وزن الجلسة وقعدة لمنوع من الجزا وقيل من
جزى يجزي اذا كان واما اسري اليه وكانهم اعطوها جزا لما منحوا من
الامن ومن هذا المعنى قول الشاعر يجزيك او يثني عليك وان من
اثنى عليك لما فعلت كما جزى من وجوب القتال الى هذه الغاية وهذا حكم
اهل الكتاب بالنص وحكم المجوس كذلك بالخبر وهو قوله عليه السلام سنوا
بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم ولا يجوز هذا
في شرك العرب لقوله عليه السلام لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ويجوز
في اليهود والاتراك والديلم عندنا خلافا للشافعي وعند مالك يوخذ
من كل كافر الا المرتد عن يد حال من الضمير واليد مجاز عن القوة والقدرة

والمراد قدرة المعطي وفايدته الاشارة الى انه لا جزية على الصغير العاجز عن الكسب وان كان بسببه نسبة للحرب ولهذه الاشارة من مقتضيات المقام فلا وجه لتفويتها بحمل القيد المذكور على معنى اخر كمعنى الانعام عليهم ومعنى الطاعة والانقياد ومعنى التسليم بنفسه على ان هذين المعنيين الاخيرين من لوازم القيد الاتي ذكره فلا حاجة لافادته الى زيادة قيد آخر ومن هنا تبين انه لا جرم ان يكون المراد من القدرة على تقدير الحمل عليها قدرة الاخذ واما معنى نقد اسلمه عن يد الى يد على انهما من الجزية فلا يناسب المقام والماهر ان الغاية حقيقة هي القتل والالتزام دون الاحكام بالفعل **وهم صاغرون** الصغار الذل والصغار الذي يصغر قدره اي قدر صاحبه اي وهم اذلاء يا تون لاداء الجزية مشاة لا ركبانا ويودون قياما والآخذ قاعد ويدهم تحت الاخذ وتاخذ بلبيه عند الاخذ ويحرك ويقال اد الجزية يا يهودي ويا نصراني والجزية على ثلاثة مراتب على المعتمد في السنة اثني عشر درهما وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى كامل الحال ثمانية واربعون درهما كذلك وضعها عمر رضي الله عنه ولهذه الجزية اغناهم الله تعالى عن العيلة وهو وجه ايضا هذه الاية بالاولى **وقالت اليهود** انما قال بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة **عزير ابن الله** مبتدا وخبر وسقط التنوين بمعنى الصرف والعجمة والعلمية ومن نونه من القراء جعله عربيا او لان ابن صفة وعلى هذا يكون الخبر متروكا غير ملفوظ ولا ملحوظ وقصر الفعل على هذا القدر من كلامهم لتحريك الانكار لتوصيف المذكور وفيه ايهام التبعيد لكلامهم عن خبر التمام وتمهيد للمقصود من زيادة التمام وتمهيد للمقصود من زيادة قوله بافواههم على احد الوجهين الاتي ذكرهما **وقالت النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم **ذلك قولهم بافواههم** يعني انهم يذكرونه صريحا لا انه يفهم بطريق الاستدلال من بعض اقوالهم فهو لرفع التجوز في المسند فانه اهم من دفع التجوز في الاسناد ونسبة القول الى الافواه دون النسبة لان الاله الاولى اشمل واكمل لان من الاقوال ما لا حاجة في التلفظ به الى اللسان ويجوز ان يكون المراد انه قول لا حقيقة له ولا معنى كالمهملات الملفوظة التي تخرج من الافواه ولا معنى لها في القلوب **يضاهون قول الذين كفروا** تقديره

يضاهي قولهم الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا هذا لما قالوه وعندي انه على طريق لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهديهم في الكيد فالمعنى يضاهونهم في القول والمضاهاة المشابهة وقرئ بالهمزة من قولهم امراة ضهيا وهي التي ضاهت الرجال في انها لا تحيض **من قبل** من قبلهم والمراد المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى **قاتلهم الله** دعا عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله تعالى هلك ونفهم التعجب من السياق لانه كلمة لا تقارنها الا في موضع التعجب من شناعة فعل قدموا او قولهم ولهذا التعجب بعده من اعتقادهم وتلقيهم بالكلمة الشنعاء بقوله **انى يؤفكون** يصرفون عن الحق الى الباطل فلا مانع عن الجمع بينهما قصد **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله** اي اتخذ علماء اليهود وعباد النصارى كالارباب حيث احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلول فحرموه فقوله اربابا كقوله نارا في قوله حتى اذا جعله نارا قال ابن السكيت الحبر بالكسر المراد وبالفتح العالم والراهب ماخوذ من الرهبة وهو الذي حمله خوف الله تعالى على ان يخلص له النية دون الناس **والمسيح ابن مريم** اي اتخذوه ربا معبودا والرب هنا على الحقيقة ولهذا فصله عما قبله مخرجا له عن ذمهم مفردا له بالاخبار عنه وانما ذكره للتنبيه الى امة اظهار للعدم صلاحية الربوبية وفي التعبير بلعنه المشعر بالربوبية نوع تمهيد لذلك المقصود ولا يخفى ما فيه من النفي عليهم **وما امروا** اي وما امروا المتخذون قيل يجوز ان يكون المعنى وما امر المتخذون اربابا فيكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ وكان هذا القايل غافل عن ان الرب في غير المسيح عليه السلام لم يتخذ على الحقيقة **الا ليعبدوا الها واحدا** وهو الله تعالى وصرف العباد لا يحتاج عن معناها الى معنى الطاعة حتى يحتاج الى ان الطاعة الرسول عليه السلام وساير من امر الله تعالى بطاعته فهو طاعة الله تعالى في الحقيقة **لا اله الا هو** صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد **سبحانه وتعالى عما يشركون** تنزيه له عن الاشراك به **يريدون ان يطفئوا** الاطفاء اذهاب نور النور ثم استعمل في اذهاب كل نور وفي سورة الصف يريدون ليطفئوا اي يقومون لذلك الامر والتجوز عن

ارادة امر القائم له شايع وكذا عكسه شايع والقيام لامر عبارة عن الاهتمام
بشانه نور الله بافواههم اطفا نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال
الاسلام بقولهم في القران ان هذا الا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور
الشمس بفيه ليطفيه ويجوز ان يكون المراد من نور الله القران او ذي
الاسلام والحجج الدالة على حقيقته ويكون المراد من افواههم افواه لهم التي
لا صحة لها فانها لا تتجاوز عن الافواه الى فهم السامع وعلى هذا يكون الاطفا
ترشيحا لاستعارة النور ويابى الله الا ان يتم نوره باعزاز الاسلام واعلا
كلمة التوحيد وانما جاز الاستثنا المفرغ من الكلام الموجب لان قوله يابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكفرون حذف جوابه لو لدلالة ما قبله عليه اي
ولو كره الكفرون اتمام نور الله ابى الا اتمامه هو الذي ارسل رسوله اي محمد
عليه السلام بالهدى بالقران كما في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين ودين الحق اي الاسلام ليظهره اي دين الحق والرسول على الدين
كله بيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره وكذلك كرر قوله ولو كره المشركون
بوضع المشركين موضع الكفرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول عليه السلام
الى الشرك بالله تعالى والتعريف في الدين للجنس والظهور على الجنس انما يكون
بالظهور على جميع افراده وجميع افراده وقت ارساله عليه انما هو سائر
الاديان وظهور الدين على الدين انما يكون المراد ظهوره على اهل سائر الاديان
على تقدير المضاف يا ايها الذين امنوا المراد بهذه الاية بيان نقايص المذكورين
فيها وفي ضمنه نهي المومنين عن تلك النقايص لما ذكر الله تعالى انهم اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ذكر ما هو عليه كثير منهم تنقيصا
من شانهم وتحقيرا وان مثل هولاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم
اربابا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل باخذه
بالرشى والتخفيف في الشرايع واطلق الاكل على اخذ المال مجازا لانه معظم
الغرض منه او لكونه سبب الاكل ويصدون صد يستعمل واقعا ومتجاوزا
فالمعنى يصدون غيرهم عن سبيل الله اي عن دين الاسلام وشريعة محمد
عليه السلام او يصدون عنه في اكلهم الاموال بالباطل اي لانتهوا في كثير
من الاحبار والرهبان ضلالا ولا تغتروا بظاهرهم وسكونهم فان ذلك كله

مصايد

مصايد للمطالع واستجلاب للرياسة ومكايد الصد عن سبيل الله والجر الى
الضلالة قال عبد الله بن المبارك وهل افسد الناس الا الملوك واحبار
سو ورهبانها والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما
في الاوعية ومنه قولهم رجل مكتنز اي مجتمع اللحم وليس من شرط
الكنز الدفن ولكن كثر في حفظ المال ان يدفنوه حتى يقول واسم الكنز في
المدفون وانما اختصا بالذكر لانهما قانون التمول واثمان الاشيا فالانتفاع
بهما فيما بين الناس اكثر فلا يجوز كنزهما ومنع الناس عن فايدتهما
والذين مبتدا اسم موصول تضمن معنى اسم الشرط فلذلك دخلت الفا في
خبره في قوله فبشرهم ويجوز ان يكون الذين معطوفا على الضمير في قوله
ياكلون والفصل يقوم مقام التاكيد وان يكون محل الموصول منصوبا عطفا
على اسم ان في قوله ان كثيرا وهو اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان
للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ الرشى وكنز الاموال
والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير واعترض عليه انه لو اريد اهل الكتاب
خاصة لقيل ويكنزون بغير والذين فلما زيد والذين فقد استونف معنى
اخر بين انه عطف جملة على جملة واما تسويته للمسلمين الكانزين المنفقين
بالمرتشين من اهل الكتاب باقترانهم لهم في الحاق البشارة بالعذاب الاليم
تغليظا ونهيا عن الكنز وبعثا على الانفاق ويدل على هذا انه لما نزلت
كبر على المسلمين فذكر رضي الله عنه لرسول الله عليه السلام فقال ان الله
لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم فعلم ان المراد ترك الانفاق
في سبيل الله منع الزكوة وقوله عليه السلام ما ادى زكوته فليس بكنز
وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا معناه
ليس بكنز اوعد عليه وان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله
ان ينفقوه فيه على ما فهم من قوله ولا ينفقونها في سبيل الله والضمير
للفضة وحدها احالة للحكم وقربها على الدلالة وانما لم يعكس مع ما فيه
من اعتبار جانب التذكير رعاية لجهة القرب وعلى هذه الطريقة سلك
في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا ايضا واما قوله
عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بهما ونحوه فالمراد هنا ما لم يود

حتى ما الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فيكوى بها جبينه
وجنبيه وظهره **فبشرهم بعذاب اليم** هي الكي بهما **يوم يحمى عليها** اصله يحمى النار
عليها اي توقد النار ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية فحذفت النار
لقوله **في نار جهنم** واسند الفعل الى الجار والمجرور فلزم تذكيره كما يقال
دفعت القصة الى فلان فاذا حذفت قيل رفع الى فلان وفي جعل الاحماء للنار
والابهام باسناد الفعل الى الظرف ثم التفصيل وجعل نار جهنم مكان الاحماء
من المبالغة ما ليس في قولك يحمى بالنار واما الاكتفا بضمير القصة فقد
مر وجهه **فتكوى بها** اي الكي الصاق الشي الحار بالعضو **جباههم وجنوبهم
وظهورهم** انما خصصت هذه المواضع بالكي لانه الجبهة اشنع وفي الجنب
والظهر اوجع لوصول الحر الى الجوف بخلاف اليد والرجل وقيل لان
الغني المانع الزكوة اذا راى الفقير انقبض وجهه واذا ضمه والفقير
مجلس ازور عنه وعارضه بجنبه واذا مله قام وولاه ظهره **هذا ما
كنزتم** على ارادة القول **لانفسكم** توبيخ لهم وتهكم بهم اي كنزتموه لتنتفع به
نفوسكم وتلتذ فكانت على مضرتها وسبب تعذيبها **فذوقوا ما كنتم تكنزون**
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه **ان عدة الشهور** مبلغ عددها **عند الله** ظرف
عده لانها مصدر **اثنى عشر شهرا** شهور السنة شمسية كانت او قمرية
كذلك الا ان المراد هنا الشهور القمرية **في كتاب الله** في اللوح المحفوظ او
فيما اثبته واوجبه في حكم صفة لاثنى عشر اي مثبتة فيه وقوله **يوم خلق
السموات والارض** اي امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام و
الازمنة متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعله مصدرا
منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم **ذلك** اي تحريم الاشهر الاربعة **الدين القيم** دين ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام وكانت العرب ورثوه منهما **فلا تظلموا فيهن** لما كان تجمع
الحرم للقلة عاد الضمير عليها بالنون تقول العرب الكسرت الجذوع لانه
جمع كثرة والاجذاع انكسرن لانه جمع قلة **انفسكم** بهتك حرمتها وعن عطا
ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في اشهر الحرم الا ان تقاتلوا وما نسخت
والجمهور على ان الحرمة للمقاتلة فيهن منسوخة واولوا الظلم بارتكاب

المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وقيل و يؤيده
ما روي انه عليه السلام غزا هوازن بحنين وحاصر الطايف في شوال
وذو القعدة وفيه لان غزا هوازن بحنين كان في شوال فلا تاييد
واما محاصرة الطايف فقيل انه عليه السلام حاصره بقية الشهر المذكور
فلما دخل ذو القعدة انصرف عنه واتى الجعرانة واحرم منها بعمرة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا من كف بمنع كانهم كفوا
ان يخرج منهم احد باجتماعهم وقع موقع الحال **واعلموا** اي كونوا على العلم
واليقين **ان الله مع المتقين** بشارة لهم وضمان بالنصر وبيان ان تقواهم
سبب لنصره **انما النسيء** مصدر نساه اذا اخره تاخير حرمة الشهر الى شهر
اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جا اشهر وهم
يحاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا
مجرد العدد وذلك قوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله وهي الاربعة
وربما زادوا في عدة الشهور فجعلوها ثلاثة عشر ليتسع لهم الوقت
ولذلك ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا اي من غير زيادة
زادوها **زيادة في الكفر** لانهم لما احلوا ما حرم الله وحرموا ما احله زادوا
كفرا على كفرهم **يضل به الذين كفروا** حدا لا زايدا **يحلونه عاما** الضمير للنسي
الدال عليه النسيء **ويحرمونه عاما** اي اذا احلوا شهرا منها عاما رجعوا فحرموه
في العام القابل والجملتان تفسير للضلال او في موضع الحال **ليواطئوا
عدة ما حرم الله** اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلق بيحرمونه او
اي بما دل عليه مجموع الفعلين **زين لهم سوء اعمالهم** بمواطئة العدة وحدها
من غير مراعات وقت **زين لهم سوء اعمالهم** خذلهم الله واضلهم حتى
حسبوا قبيح اعمالهم حسنا **والله لا يهدي** على طريقة تنزيل وجود ما لم يترتب
عليه اثره منزلة العدم **القوم الكفرين** من باب وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على ان كفرهم مانع من قبول الهداية **يا ايها الذين امنوا ما لكم** هو
حرف استفهام بمعنى التوبيخ **اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله** النفر التنقل
بسرعة من مكان الى مكان لحدث وسبيل الله طريق طلبه رضا الله تعالى
اثاقلتم الى الارض تباطأتم وتقاعدتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وقرئ اثاقلتم

فيحلوا ما حرم الله

في الاستفهام ومعناه الانكار والتوبيخ ضمنه معنى الميل والاخلاد
تعديه بالى اي ملتم الى الدنيا ولذاتها او ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم
وكرهتم مشاق السفر والجهاد وهو العامل في اذا لم يستفهم به واذا استفهم
به منع الاستفهام عمله فيما قبله فالعامل ما دل عليه او معنى الفعل
في ما لكم كما يعمل في الحال اذا قيل ما لك قائما كانه تصنعون وما ذكر
عبارة عن تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الغزو واختيارهم
سكنى ديارهم والتزامهم تخلفهم وظلالهم وكان ذلك في غزوة تبوك امروا
بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة
العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها
فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحق
الا تنفروا ان لا تنفروا اي اسرعتم اليه يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما
غيركم اظهار سخط عظيم على ترك النفر والتثاقل حيث اوعدهم عليه بعذاب
ان مطلق متناول العذاب الدنيا والاخرة ونكره ووصفه بالاليم وانه
يهلكهم ويستبدل قوما خيرا منهم والخرج كالهل اليمن وابناء فارس ولا
تضروه شيئا اي انه غني عنهم في نصرة دينه وفي كل امة لا تقدح تثاقلهم
فيها شيئا وقيل الضمير للرسول عليه السلام اي ولا تضروه لان الله تعالى
وعده بالعصمة والنصرة والله على كل شيء قدير بالامداد كما قال الا تنصروه
فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا
رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله في الماضي على ان ينصره في
المستقبل كما نصره في ذلك الوقت واقامه مقامه وقد حكم الله تعالى بنصره
واوجبه على نفسه حتى نصره في ذلك الوقت فلم يكن ليخذله ابدا في غيره
اذ اخرجه الذين كفروا اسناد مجازي لانهم الكفرين باخراجه وقتله سبب
لاذن الله تعالى له بالخروج وكانهم اخرجوه ثاني اثنين نصب على الحال
وهما رسول الله عليه السلام وابو بكر رضي الله عنه ولا يخفى ما في التعيين
المذكور من التعظيم للتصديق اذ المعنى احد اثنين والعدول الى ما ذكر
للاشعار بانه عليه السلام كان ثانيا له رضي الله عنه في دخولهما الغار
وقد كان كذلك اذ هما بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد زمان

الاخراج زمان متسع في الغار هو النقب العظيم في الجبل وهو في جبل
مكة يقال له ثور ماخوذ من غار يغور اي دخل في عمق اذ يقول بدل ثان
او ظرف لثان لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن الحزن الغم
الذي يغلظ على النفس ومنه الحزن العرض الغليظ ان الله معنا بالحفظ
والعون فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب والفا للتعقيب
بلا مهل وفيه نوع دلالة على ان توكله عليه السلام على الله تعالى كان سببا
للنزول المذكور عليه اي على ابي بكر رضي الله عنه فانه هو الخائف المحتاج
الى الامن فاما النبي فقد كان امنا ساكنا بما وعد له من النصر وايده
بجنود لم تروها عطف على قوله فقد نصره الله تعالى والمراد من الجنود الملئكة
عليهم السلام والتاييد بهم كان في الحرب ببدر وحنين وجعل كلمة الذين
كفروا اي دعوتهم الى الكفر السفلى وكلمة الله اي دعوته الى الاسلام هي العليا
وتغيير الاسلوب للدلالة على ان الاولى بالتصيير والتبديل بخلاف
الثانية فانها المستمرة الثابتة وقرئ كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة
الذين والرفع ابلغ لما فيه على وفق ما قررناه من الاشعار بان كلمة الله
تعالى عالية في نفسها وان فاق غيرها ولا اثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك
وسط الفصل والله عزيز في انتقامه حكيم في تدبيره واحكامه انفروا خفافا
وثقالا الخفة والثقل مستعاران لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة
وما ذكر في تفسيرهما من المعاني فلا وجه لتخصيص بعضها دون بعض
بالارادة بل هو معان منفقة والتحقيق ان الناس امروا جملة وتلك المعاني
والاقوال انما هي على وجه المثال للثقل والخفة وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله ذكر الحمل ما يكون من الجهاد والنفقة عند الله تعالى وقدم
الاموال في الذكر لانها اول مصروف وقت الجهاد قريب الامر كما في نفسه
ذلكم خير لكم من الجهاد باحدهما ومن قال ومن ترك فلم يصب ان كنتم
تعلمون الخير علمتم انه الخير لو كان عرضا العرض خلاف النقد وقد عبر به
عن الغنيمة لانه الغالب فيها اي لو كان ما دعوا الله عمما قريبا سهل
الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا سمي قصدا لانه مما يقصد لاتبعوك فيما
قصدت اليه ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وهي القطعة

من الارض التي يشق ركوبها على صاحبها وسيحلفون بالله اي المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك متعذرين لو استطعنا لو كان لنا استطاعة الخروج عن جهة البدن والمال والشرطية محكية على ان الحلف من جنس القول فلا فلا حاجة الى تقديره لان التعدية باعتبار التضمين من جارح جابر فجوازها باعتبار ما في ضمنه بالطريق الاولى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في العذاب او حال بمعنى هلكى والاخبار بذلك قبل وقوعه قد كان من المعجزات والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك الاخبار عن العفو مقصود بالاثبات فلا يكون كناية عن الخطاب نعم يفهم منه وجود الخطاب بطريق الاقتضا وهذا من لطيف معاتبه ولو لم يفتح باب المخاطبة بالعفو لما كان عليه السلام يتحمل بقوله تعالى لم اذنت لهم ولا يخفى ما في تقديم العفو على ما ذكرنا من توهم العقاب من تعظيم شان النبي عليه السلام والتنبيه على لطف مكانته ومن لم يتنبه لذلك قال انه كناية عن الجناية ومعناه اخطات وبئس ما فعلت ثم انه لم يدر ان الاذن المذكور من قبيل الخطا في الاجتهاد فهو مظنه الثواب لا العتاب والله اعلم بالصواب والاذن دفع التبعة في الفعل حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار متعلق بما تقدم باعتبار المفهوم لا باعتبار المنطوق فانه استفهام انكاري في معنى هلا توقفت فحاصل المعنى لما اذنت على الفور فرجع الانكار الى كيفية الاذن لا الى نفسه وتعلم الكاذبين فيه قيل اثنان فعلهما رسول الله عليه السلام شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفدا واذنه للمنافقين فعاتبه الله تعالى عليهما وقد كان هذا القائل غافلا عن ثالثهما وهو تحريمه عليه السلام ما احل الله تعالى ابتغا لمرضات ازواجه ثم ان العتاب ليس على الاذن على ما عرفته لانه بالاجتهاد لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص

الايمان

الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر في الموضعين اشعار بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال لله تعالى هو الايمان بهما والوازع عنه عدمه وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج اي معكم للغزو لاعدوا له اي للخروج عدة العدة ما يعد للامر ويتهيأ له وقرئ عده بكسر العين اي جماعة من الالات ولكن كره الله انبعاثهم انطلاقهم للخروج واستدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج لان معناه نفي ارادة الخروج كانه قيل ما ارادوا الخروج وتنزيل العلة الشيء منزلته فان المعنى ولكن تثبطوا منه لان الله تعالى كره انبعاثهم هذا ما قيل في توجيه ما ذكروه فيه وقوعه لكن بين المعنيين من جهة المعنى فالوجه ان يكون ذلك من قبيل حذف جملة من الكلام لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الاية وذلك لانه لما احتمل ان يتوهم ان عدم خروجهم للغزو لعدم تنبههم له قبله حتى يتهيؤا له تدارك دفعه بما ذكر بحذوف المصدر فكانه قيل ليس هذا من تقصيرهم في بعثهم للخروج ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم التثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه وقيل اقعدوا تمثيل لالقا الله تعالى في قلوبهم التثبيط ولكراهة الانبعاث او وسوسة الشيطان بابرام القعود عنه او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام وقوله مع القاعدين ذم لهم والحاق بالذين شانهم القعود ولزوم البيت للعجز عن القيام بمصالح الغزو من النسا والصبيان والزمنى لو خرجوا فيكم لم يقل معكم لان اضرارهم على تقدير خروجهم مختلطين معهم لا منفردين معهم ما زادوكم شيئا الا خبالا الخبال الفساد في الاشيا المتوسطة المستلحمة والزيادة لما كانت باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثنا لم يلزم ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا فيهم زادوه ولا وضعوا خلالكم الايضاع تهيج المركوب على الاسراع اي لسعوا بينكم بالنميمة وافساد ذات البين وهو مجاز يفيد المبالغة في السعي بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي ويقوى بحذف المفعول لما فيه اي في التعميم من الزيادة للمبالغة بتقدير السامع كل ما شا من المراكب كانه قيل لاوضعوا كل ما وجد وليق من المراكب يبغونكم الفتنة حال من ضمير وضعوا اي يريدون ان يفتنوكم

بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون
يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او ضعفة مطيعون لهم يسمعون ما يامرونهم
به والله عليم بالظالمين فيعلم ضمايرهم وما ياتي منهم وعيد لهم من باب
وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل بالظلم وايجاب الظلم للوعيد لقد
ابتغوا الفتنة بالسعي في تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم
احد حين انصرف عبد الله بن ابي بمن معه وقلبوا لك الامور ودبروا لك
الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد
الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي غلب امر الله وشرعه
على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول عليه السلام والمومنين على تخلفهم
وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عليه السلام بالمبادرة
الى الاذن ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
وهي المعصية والاثم فاني ان لم تاذن لي او لم تاذن وتخلفت بغير اذنك
اثمت اي لا يمكنني الخروج معك ولا يسلم لي التخلف اذنت او لم تاذن
اي لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي اذ لا كافل
لهم او لا تفتني ببنات الاصفر لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت
الانصار اني مستهتر ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولا تفتني بهن ولكن اعينك
بمال فاتركني الا في الفتنة سقطوا لتقديم الظرف بحرف التنبيه ايذان
بانه عظم ما في عواقبه وتخصيص له اي ما الفتنة الا التي وقعوا
فيها وهي التخلف لا ما احترزوا وما وقعوا الا فيما زعموا انهم يحترزون عنه
وفي عبارة سقطوا اشارة الى انهم وقعوا فيها وفي عواقبه عن غفلة وعدم
تدارك وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم من باب وضع الظاهر موضع
المضمر من باب التسجيل عليهم بالكفر والاشارة الى سبب احاطتها بهم والمراد
احاطة اسبابها بهم فوضع المسبب موضع السبب اشعارا بالشدة الجاذبة
له كقوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا ان تصبك في بعض غزواتك
حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة
هي افة في النفس او الاهل او المال واصله بالصواب وهو الجري في الشيء

ومنه

ومنه صوب الاناء اذا ميله والاصابة وقوع الشيء فيما قصد به والصواب الاصابة
الحق يقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون من التيقظ والحذر والعمل
بالحزم من قبل ما وقع اي يتبجحون بانصرافهم ويستحمدون رايهم في التخلف
ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهلهم او عن الرسول عليه السلام وهم
فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني في اللوح المحفوظ
امر الله محمدا عليه السلام ان يرد على المنافقين بان الشيء الذي يعتقدونه
مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما كتبه الله تعالى للمومنين فاما
ان يكون ظفرا وسرورا في الدنيا واما ان يكون رحمة في الاخرة يرشد الى هذا
قوله هو مولانا اي الذي يتولانا فانه لتاكيد ما سبق من الاختصاص
واما ما قيل ان المعنى الا ما كتب الله لنا في اللوح وجف به القلم فلا يتغير
بموافقتكم ولا بمخالفتكم فلا يناسب المقام لانه لا يصلح ردا لهم بل ان ما ذكر
على وفق ما قاله الجبرية وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا بتشديد الياء وهو
تفعيل من فعل ولا تفعل من فعل لانه من بنات الواو من قولهم صاب
السهم يصوب وعلى الله لا على غيره فليتوكل المومنون لان حقهم ان لا يتكلوا
الا عليه جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة ولتقدير العلة للاختصاص
كان الواو للعطف والفاء لافادة السببية والتوكل تفويض الامر الى الله تعالى
والرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره قل هل تربصون التربص التمسك
بما ينتظر به مجيء حينه بنا الا احدى الحسنيين احدى العاقبتين اللتين
كل واحدة حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين
من العواقب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده اي قارعة من السماء
كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا
من عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها نصب
على الحال اي طايعين او كارهين لن يتقبل منكم امر في الخبر اي لن يتقبل
منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفايدته المبالغة في تساوي الانفاقين
في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا في الحالين وينظروا هل
يتقبل الرسول عليه السلام ولا ياخذ منهم وان لا يتقبل الله تعالى منهم ولا يثيب
بها وكرها يحتمل الالزام والاكراه فيودي البالي والكراهة من المنفقين

فلا يرجح احدهما والحري انهم لا ينفقون الا كراهة كما اخبر عنهم في الاية
التي بعدها واما الطوع فهو على سبيل الفرض يعني ولانه الكراهة في عدم
القبول وان يعطوا من غير الزام واكراه وفي التسهيل انكم كنتم قوما فاسقين
تعليل لرد انفاقهم على سبيل الاستئناف اذ الفسق هنا هو التمرد والعتو في
الكفر وكل عمل فيه تعبير المسلمين عن الفسق وما بعده بيان وتقرير وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم لا يخفى ما في هذا التعبير من حسن التصوير لقبول
النفقة بصورة امر مرغوب مطلوب كانهم طلبوه بالطبع فان كرام العرب
مجبولون على حب الانفاق ومنعهم اياه ما هم من الكفر والنفاق الا انهم كفروا
بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم واعادة الجار للتنبيه
على ان كفرهم به عليه السلام اصالة لا تبعا بكفرهم بالله تعالى ولا ياتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ذمهم على الكسل في الصلاة دم على النفاق
الذي على الكسل بعث وفقد الايمان الذي يبعث على النشاط ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا فلا تعجبك
اموالهم الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور متعجب من حسنه راغب فيه
والتفريع على ما تقدم باعتبار ان يكون المال مرغوبا يؤدي الى كراهة الانفاق
الى سياق الكلام في ذمها ولا اولادهم اي فلا يسرك اموالهم ولا اولادهم
مستحسنا اياها ومتعجبا منها فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اي بسبب ما يكابدون منها من
كلف الجمع والحفظ وما يتوهم من الشدايد والمصايب وافات النهب
والسبي وما كلفهم الله من الانفاق في سبيل الخير على كراهتهم اياه مفعول
يريد محذوف تقديره يريد ايتاءهم من الاموال والاولاد وتزهق انفسهم
الزهوق الخروج بصعوبة وشدة وهم كافرون في حالة كفرهم متحسرين
لاهين بالتمتع بها عن النظر في العاقبة مقابلين بالتعلق بها وجهها
متعذبين بفراقها لما قطع رجاؤهم عن جميع منافع الاخرة بين ان الاشيا
التي يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى اسبابا لتعذيبهم بها
في الدنيا والاخرة ويحلفون بالله عطف على مقدر تقديره ينافقون ويحلفون
انهم لمنكم لمن جملة المسلمين منصوب بيحلفون لتضمنه معنى القول وما هم

منكم لكفرهم الباطن ولكنهم قوم يفرقون اي يخافونكم عن انفسهم ان
اظهروا الكم ما في قلوبهم فلذا يحلفون انهم لمنكم قال الله تعالى اتخذوا
ايمانهم جنة والفرق الاصل انزعاج النفس بتوقع الضرر ولا يستعمل الا في
الخوف الشديد لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات جمع مغارة
من غار يغور قال ابن عباس رضي الله عنه المغارات الغيران والسراب
وهي المواضع التي يستترون فيها او مدخلا مفتعل من الدخول اي مكانا يعد
من الدخول فيه لولوا وجوههم اليه لاقبلوا نحوه والضمير لاحوال الثلاثة
وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يرده شيء من جمح الفرس اذا لم يرده اللجام ومنهم
من يلمزك يعيبك قال الزجاج اللمز التعييب مازة والهمز العيب مجاهرة
في الصدقات في قسمها وفي هنا بمعنى البا السببية كما في قوله تعالى لتمنني فيه فان
اعطوا منها رضوا ذكروه بالجميل وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذ
المفاجاة نابت مناب الفا الجزائية وما احسن مجي جواب هذين الشرطين
لان الاول يلزم ان يقارنه ولا ان يعقبه بل قد يجوز ان يتاخر نحو ان
اسلمت دخلت الجنة واما جواب الشرط الثاني فانما جا باذا المفاجاة ليدل
على انه اذا لم يعطوا فاجاهم سخطهم ولم يكن تاخره لما جبلوا عليه من محبة
الدنيا والشره في تحصيلها ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ذكر الله تعالى
في تمهيد لتنبيه على ان اعطاه عليه السلام بامره تعالى فهو المعطي في الحقيقة
قال عليه السلام الله المعطي وانا القاسم ومفعول رضوا محذوف اي رضوا
ما اعطاهم الرسول لانهم منافقون ولان رضاهم وسخطهم لم يكن الا لاجل
الدنيا وقالوا عطف على رضوا في خبر الشرط والجواب محذوف تقديره لكان
خيرا لهم حسبنا الله اي كافينا ورازقنا من حيث يشا فيعطينا كفايتنا
وان تاخرت سيؤتينا الله من صدقة اخرى واعما قال من فضله
لان ما اتاه الله تعالى فضل منه سواء كسب العبد او بدونه ورسوله اي
ويؤتينا رسوله عليه السلام بامره انا الى الله اي الى رضائه تعالى راغبون
لا رغبة الى زخارف الدنيا وتقديم الجار والمجرور للتخصيص انما الصدقات للفقراء
قصر جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة المشار اليها بصيغة الجمع
على الاصناف المعدودة نصوصا لما فعله الرسول عليه السلام وردا لاتوف

المنافقين ورد عليهم عن اللمز وحسماً لاطماعهم باثبات استحقاق غيرهم
لها دونهم وانهم ليسوا في شيء منها لهم والتكلم فيها وفيهن فاسمعهما
فايرادها استطراد ساق اليه الكلام في مثالهم وزجرهم في ظهور ما
اضمروا من معادات الرسول عليه السلام من فلتات لسانهم ولهذا
توسطت بين ذكر المنافقين ومكايدهم ومعناه انما هي لهم لا لغيرهم وهو
دليل على ان اللمز في قسمة الزكوة لا في الغنايم والقصر المذكور يفيد اختصاصها
بالاصناف الثمانيه وعدم تجاوزها الى غيرهم لا ايجاب شمولها لهم وقسمها
على جميعهم فيحتمل استيعاب الجميع والصرف الى بعضهم فابو حنيفه رحمه الله
اختار الثاني وعن عمر وابن عباس وحذيفة وكثير من الصحابة رضي الله عنهم
والتابعين جوز صرفها الى واحد منهم والشافعي اختار وجوب
الصرف الى كل واحد منهم والتسوية بينهم على قضية الاشتراك والمساكين
المسكين من له مال وكسب ولكن لا يكفيه والفقير من ليس له واحد منهما
ولهذا افرده وروى انه عليه السلام سال المسكنه وتعوذ من
الفقر والعاملين السعاة في جمع وقبضها وانما قال عليها لتضمن معنى القيام
كانه قيل القايمين على مصالحها وكل من يبعث منهم من عون لا يستغني
عنه فهو منهم لانه يحشر الناس عليهم والمولفة قلوبهم وهم كانوا اصنافا
ثلاثه صنف كان النبي عليه السلام يتالفهم ليسلموا وصنف يعطيهم لدفع
شرهم وصنف كانوا اسلموا واسلامهم ضعيف فيزيدهم بذلك تقريرا
على الاسلام كل ذلك كان جهادا منه عليه السلام لاعلا كلمة الله تعالى لان
الجهاد يكون تارة بالسنان وتارة بالبنان وتارة بالاحسان واختلف
في انقطاع هذا الصنف بعزة الاسلام وظهوره وفي الرقاب اي وللصرف
في الرقاب بان يعان المكاتب بشي منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع
الرقاب فتعتق وقيل بان تفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة
على ان الاستحقاق في الجهة لا للرقاب او للايذان بانهم احق بها واقوى
استحقاقها لان في للظرفية اي هم مواضعها التي توضع فيها لما فيهم من
الكف والانفاق من الرزق والعجز والاسر وحفظ بيضة الاسلام والتخليص
من الاشراف على الهلاك والغارمين الذين تدينوا لانفسهم في غير

معصيه

معصيه اذا لم يكن لهم وفاء او لصلاح ذات بين تحمل الحمالات وان كانوا
اغنيا لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله
او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله اي وللصرف في
الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بنا القناطر
والمصانع واعادة الجار لانه من نوع اخر وابن السبيل افرده عن سبيل الله
مع انه من قبيل ما سبق رعاية لظاهر الكلام فان ابن السبيل يناسب
ان يذكر بعد السبيل والمراد منه المسافر المنقطع من ماله وابن السبيل
كالعلم فلذلك لم يجمع فريضة من الله مؤكد لان معنى قوله تعالى انما الصدقات
للفقرا فرض الله الصدقات لهم او حال من الضمير في قوله للفقرا وقرئ
فريضة اي تلك فريضة والله عليم بمواضع الاستحقاق حكيم يضع
الاشيا مواضعها ومنهم اي من المنافقين الذين يوذون النبي روي ان
جماعة منهم ذموه عليه السلام وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال
بعضهم لا عليكم انما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فنأتي ونحلف بالله
فنعتذر فيسمع عذرنا ايضا فيرضى وهذا ما ذكره الله تعالى بقوله ويقولون
هو اذن الاذن من قيل له شي سمعه وحدث بشي لا ينكره فان الاذن
الذي هو جارحة السماع كذلك اذ ليس فيه وراء الاسماع تمييز الحق من
الباطل اراد وابه ذمه عليه السلام فما ذكر من قبيل التشبيه والغرض
المبالغة في الذم واما اطلاق العين على الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلي
كاطلاق العدل على العادل والغرض منه المبالغة في المدح فاين هذا من
ذلك كان النبي عليه السلام يستمع الى كلام من يحدثه بشي لكرمه وحسن
خلقه فظنوا وليك انه سلامة قلبه وغفلته ولقد احسن من قال غاية
الجهال بما هو اداه غاية كرمه وعلامة حسن شيمه قال عليه السلام المؤمن
غر كريم فطن والمنافق خب لئيم قل اذن خير لكم اضافة الاذن الى خير
للمبالغة كقولك رجل صدق تريد وصفه بالجودة والصلاح كانه مطبوع منه
ولا يبين الا به نحو خاتم فضه او مختص بذلك المعنى ارادة الوصف بالخيرية
كانه قيل نعم هو اذن لكم ولكن نعم الاذن واذن في الخير وفيما يجب سماعه

وقوله لا في كل شيء على الوجه الذي ذمموه به والدليل عليه قرأه ورحمة
بالجر اي هو اذن ورحمة لا يسمع غيرها ولا يقبله وقرئ اذن خير لكم
برفعهما منونين على ان خير صفة له او خبر ثان او كلاهما خبر المبتدا
محذوف اي هو اذن خير لكم وعلى هذه القراة معناه ان كان كما تقولون
فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء دخلكم ثم فسره بقوله
يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين اي يسلم
لهم ما يقولون فالاختلاف في التعدية للاختلاف في المعنى ورحمة اي وهو رحمة
اريد به المبالغة في رحمته لهم فسلك مسلكه رجل عدل للذين امنوا اي اظهروا
الايمان منكم حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه عليه السلام
ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم بل رفقا بهم وترحما وقرئ ورحمة بالنصب
تعليلا لما تقدم من جهة المعنى فان اذن خير لكم في معنى ياذن لكم والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اظهار ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعظيم وايذان بان ايذا الذي هذا شانه يوجب استحقاقهم العذاب الاليم
يحلفون بالله لكم الخطاب للمومنين ليرضوكم اي يحلفون على معاذيرهم عند
الاعتذار اليكم في التخلف عن الجهاد والتكلم بمطاعن والايذا لتعذروا وهم
وترضوا عنهم والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر الله تعالى تمهيد لتعظيم النبي عليه السلام
وبيان ان ارضاه ارضا الله تعالى احق بالارضا بالطاعة والموافقة ان كانوا
مومنين كما تزعمون لان الايمان يقتضي ابتغاء مرضات الله تعالى ولو بسخط
من سواه الم يعلموا استفهام بمعنى التوبيخ اي انه اي الشان انه من يحادد الله
ورسوله المحاددة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق لان المخالفين كل منهما
في حد وذكر الله تعالى هنا تمهيد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف
الخبر اي فحقه ان له او على تكرير ان للتاكيد ذلك الخزي العظيم الخزي الهوان
بما يستحي من مثله يحذر المنافقون خبر عن حذرهم وقيل هو بمعنى الامر
اي ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المنافقين والنازل فيهم كالنازل
عليهم من حيث انهم مقرو ومجتمع به عليهم سورة تنبئهم تخبرهم بما في قلوبهم
لم يكن ذلك الاخبار لاعلام المخبر به بل للاعلام انه لا يخفى على الله تعالى
ولا يخفيه عن رسوله عليه السلام وفيه هتك استارهم واظهار اسرارهم

للمومنين ولا يخفى ما في هذا المعنى من شدة الالتئام بين اجزاء واعتبار لطيف
يناسب المقام بل التزام انتشا الضماير ثم ان ما ذكر على تقدير الامر ظاهر واما
على تقدير الخبر فبقوله لكثرة ما كان مطلع الله تعالى ورسوله عليه السلام
كانوا يحذرون ذلك وخبث باطنهم ولشدة كفرهم كانوا يوذون النبي عليه السلام
ويستهزئون به وذلك قوله تعالى قل استهزءوا صفة وهو للتهديد
ودليله ان الله مخرج من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه
من نزول السورة في اظهار اسراركم وهتك استاركم او من اظهار مساويكم
ولئن سالتهم ليقولن روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله
عليه السلام في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه عليه السلام فدعاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن
كنا مما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فنزلت فما ذكر من
السوال والجواب كان مع بعضهم الا انه اسند الى الكل لاتحادهم في النشا
انما كنا نخوض ونلعب الخوض في الاصل دخول القدم فيما كان مايعا من
الماء والطين ثم ذكره حتى صار في كل دخول فيه اذى وتلوث قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون تقرير للاستهزا وتوبيخ لهم على استهزائهم بمن يجب
تعظيمه ولا يصح الاستهزا به لان ايلا الاستهزا به حرف الاستفهام
انه يصح بعد وقوع الاستهزا فلو يعبا باعتذارهم للعلم بكذبهم في ذلك
وذكر الله تمهيد لتعظيم انه والتنبيه على ان استهزاهما راجع الى الله تعالى
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاركم فانها معلومة الكذب لا ينفعكم بعد ظهور
اسراركم قد كفرتم بالاستهزا في الايذا بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان
ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لاجتنابهم عما كانوا يفعلون
من الايذا والاستهزا نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين بكونهم مجرمين
مصرين على النفاق وما كانوا عليه المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض اي جنس واحد كابعاض الشي الواحد مماثل لجنس المومنين تعريض بانهم
ليسوا من المومنين وتكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى
وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه ببيان منافاة حالهم حال المومنين وهو قوله

يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي الايمان والطاعه
ويقبضون ايديهم قبض اليد عبارة عن الشح اي يمنعون الانفاق في
سبيل الخير نسوا الله فنسيهم النسيان في الاول كناية عن الترك والمراد ترك
طاعته وفي الثاني مجاز امرينا على الكناية والمراد ترك رحمتهم وانما التعبير
بالنسيان عن الترك مبالغة اذا بلغ وجوه الترك الذي يقترن به النسيان
ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والخروج عن دايرة الخير
والمبالغة في ذمهم بالفسق وجعله عادته في التمرد والعقو الفارق والاعظم
بينهم وبين المسلمين عنه وعد الله المنافقين والمنافقات التفصيل بين
الجنسين منهم للاهتمام بشانهم لان الكلام في ذمهم والكفار اي بقرينة المقابلة
وهي لا تخرج عن الدلالة على انهم جنس اخر نار جهنم خالدين فيها حال من معنى
وعد فانه كناية عن وقوع العذاب كانه قيل يعذبهم الله تعالى بنار جهنم خالدين
فيها هي حسبهم اشارة الى عظم عذابها وانه لا مزيد عليه اي حسبهم عقابا
وعذابا اذ لا شي ابلغ منه ولعنهم الله طردهم مع التعذيب وقرنهم بالشياطين
اللاعنين في التبعيد ففيه بيان عذابهم الروحاني ولهم عذاب اي ولهم
نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دايم كعذاب النار كالذين اوانتم
مثل الذين من قبلكم او وفعلتم مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة منعة
وبطشا واكثر اموالا واولادا اي كانوا اشد منكم واقدر فاذا كنتم في سوء المقابلة
مثلهم وفي القوة والنعمة دونهم فما يومنكم ان يصيبكم من العقوبة مثل ما
اصابهم وبهذا انه بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد وهم
فاستمتعوا بخلاقهم الخلاق النصيب من الخلق بمعنى التقدير وهو ما خلق
للانسان اي قدر له واثبت وتقديمه على التشبيه المذكور بقوله فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم تمهيد لذمهم بذم الاولين
بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا واشتغالهم بها وذهولهم بلذاتها
الفانية عن التفكر في امر الاخرة والنظر في العاقبة وطلب الفلاح وتحصيل
اللذات الباقية لتقرير سوء حالهم وسماجة فعلهم في انفسهم ثم يتفطنوا
ويتفطنوا لقبح ما هم فيه بتشبيههم لهم واقتفا اثارهم والاستمتاع
طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من الماكل والمشارب والمناكح وخضتم

اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين خاضوا الذي اسم ناقص
يعبر به عن الواحد والجمع اولئك الذين رضوا من اخرتهم بدنياهم
حبطت بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فلانه لا ثواب لهم
ولا نجاة من العذاب واما في الدنيا فلانهم قصدوا بذلك توهين
الاسلام وقهر اهله وعلو انفسهم فابطل الله تعالى كيدهم وخيب املهم
واولئك هم الخاسرون ذهب اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم ولو ذهب
فيما لا يضرهم ولا ينفعهم اشار الى الاولين المستمتعين ليعلم المشبهون
بهم ان استمتاعهم وتلهيهم سبب لحبط اعمالهم في الدنيا والاخرة وخسرانهم
المطلق فيرتدعوا الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير
والنبأ الخبر الذي له شان قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا
بالريح وثمود بالرجفة وقوم ابراهيم هلك نمرود ببعوض وكذا اصحابه واصحاب
مدين اهلكوا بالرجفة على ما صرح به في سورة الاعراف والذين اهلكوا
بالنار يوم الظلة هم اصحاب الايكة من قوم شعيب عليه السلام لم
يقل وقوم شعيب عليه السلام لكثير منهم امنوا به عليه السلام وقيل
هذا عدل فيما سبق عن قوم هود وقوم صالح عليهما السلام الى عاد وثمود
والموتفكات الائتكاف الانقلاب والمراد كل من اهلك من المكذبين المتمردين
كما يقال انقلبت عليه الدنيا ويدخل فيهم دخولا اوليا قوم لوط عليه السلام
خاصته لكان حقها ان يذكر قبل اصحاب مدين اتتهم رسلهم بالبينات
الضمير لكل من تقدم ذكره من الامم فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من
عادته العقوبة بلا جرم ولما تبين لهذا مما تقدم صدره باداة النفي وهو
كما يكون باعتبار الوجود يكون باعتبار الظهور ولكن كانوا انفسهم يظلمون
باتقالها فيما يوجب العقوبة وتقديم المفعول يفيد التخصيص والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض ذكر في مقابلة المنافقين والمنافقات
والمراد المخلصون والمخلصات وفي عبارته المذكورة الى انه حق الايمان
الاخلاص وان المنافق ليس من جنس المومن والمعنى ان ذكورهم واناثهم
يتوالون على الدين ويتناصرون ويتعاونون حتى ان الرجل يخرج الى الجهاد
وامراته تهيئ اسبابه ويخرج النساء مع الرجال ايضا فيداوين الجرحى

ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الما وغير ذلك من المهمات واختيار
كلمة البعض ثمه لشدة الارتباط فيما بينهم وقوة اتفاقهم على الكفر والنفاق
وايثار عبارة الولاية للاشارة الى ان حق الاخوة الايمانية الموالاة في المصالح
الدينية وان كان معاداة في المصالح الدنيوية **يامرون بالمعروف وينهون**
عن المنكر التعريف في الموضعين للجنس **ويقيمون الصلوة** فيهم يذكرون الله
تعالى ويقدسونه **ويوتون الزكوة** فلا يقبضون ايديهم والتعريفات هنا
للعهد ولو حمل على الجنس نظرا الى ان المدح بالنوافل ابلغ او من تعميم النافله
احرى باقامة الغرض لكان له وجه **ويطيعون الله ورسوله** في الاوامر
والنواهي **اولئك سيرحمهم الله** السين موكدة للوعد مقيد لوقوع الرحمة لا
محالة فهذا مما يستجلب النظر والذي هو بحسب دقيقة انها مدخله
في الوعد مهله لكون التعويض متنعم برحائه وفضله تعالى زعما بالانجاز
ان الله عزيز اي قوي غالب قادر على قهر اعدائه واعزاز اوليائه
بجميع الوجوه **حكيم** يضع الاشيا مواضعها فيخص النقمة بالمنافقين والكفار
والرحمة على اعدائهم على حسب استحقاقاتهم فليتعذ بولايكلا الامرين وهو
من بتمه وعيد المنافقين على وجه يتضمن وعد المومنين **وعد الله المومنين**
والمومنات ففيه انتقال من التضمن والاشارة الى التصريح اهتماما لامر
البشارة **جنات** اي السكون والقرار فيها **تجري من تحتها الانهار** لما كان المدعو
قرارهم فيها صح ان يكون قوله **خالدين فيها** حالا عنه بلا تاويل **ومساكن**
طيبة يستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور
من اللولو والزبرجد والياقوت الاحمر **في جنات عدن** مقام معين
لما روى ابو الدردا رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام عدن دار
الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهدا وهذا اينافي تعميم الوعد لساير المومنين لان
الموعود لهم ما في قوله من الجنات قال ابن مسعود رضي الله عنه عدن
هي بطنان الجنة وسرتها ولا يجوز ان يراد بها معناه اللغوي وهو الاقامه
والخلود لما فيه من التكرار في اعتبار معنى واحد وهو اولا بالرحمة المطلقة
اجمالا ثم فصلها وعبرها بما هو ابين الاماكن التي تعرفونها من جنات تجري

من

من تحتها الانهار ونكرها للتعظيم لميل الطباع اليها اولا عمم اسماعهم لم زاد
عليها دفع وهم ما يغص به العيش وهو زوال تلك النعمة ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرا عن شوايب الكدورات التي لا يخلو عن شي منها اماكن الدنيا
واما زيادة قوله في جنات عدن فلدفع وهم ان يكون تلك المساكن خارجه
عن الجنات ويكون سكون المومنين فيها قبل الدخول في الجنة ثم وعدهم بما اكبر
مما تقدم ذكره فقال **ورضوان من الله اكبر** افرده بالذكر ونونه تعظيما في
شانه اي وشي من رضوان الله تعالى اكبر من ذلك كله لان رضاه تعالى
سبب كل فوز وسعادة وموجب كل قرب وكرامة روي ان الله تعالى
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول انا اعطيكم اكبر من ذلك قالوا واي شي افضل من ذلك قال
احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **ذلك** اشارة الى جميع ما وعدهم وقيل
الى الرضوان خاصة لتعظيمه وفيه اخراج ما عدا الرضوان المذكور عن
حد الفوز العظيم فانه صرح في دخوله في حد الفوز المذكور **هو الفوز العظيم**
لا ما يعده الناس في الدنيا فوزا لانه لغني وسعيد ويستهزون ويتنعمون ويشكرون بخلاف
يا ايها النبي جاهد الكفار المجاهدين بالقتل والسبي **والمنافقين** بالزام الحجة
وتعجيل اقامة الحدود وتقديم الكفار لان جهادهم اهم واتم لكونه باللسان
اولا وبالسنان ثانيا وجهاد المنافقين بالثاني فقط **واغلظ عليهم** في الجهاد
قال عطا نسخت هذه الاية كل شي من العفو والصلح **وماواهم جهنم** عطفه
بالواو دلالة على ان المذكور بعض ما اعد لهم فاصم بعضه ثم عطف عليه ما
ذكر ولا يخفى ما فيه من التهويل **وبئس المصير** هو **يحلفون بالله ما قالوا** روي
انه قام رسول الله عليه السلام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب
المتخلفين فقال الجلاس ابن سويد لين كان ما يقول محمد لاخواننا حقا
لنحن شر من الحمير فبلغ الرسول عليه السلام فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت
فتاب الجلاس وحسنت توبته **ولقد قالوا كلمة الكفر** هي كل لفظة ترجع الى
طعن في الدين او في الرسول عليه السلام **وكفروا بعد اسلامهم** اي اظهروا
الكفر بعدما اظهروا الاسلام **وهموا بما لم ينالوا** وهو الفتك برسول الله عليه السلام
وذلك عند مرجعه من تبوك **وما نقموا** وما انكروا وما وجدوا عيبا منهم

الا ان اغناهم الله استثنا مفرغ من اعم المفاعيل او العلل وعلى الاخير يكون الكلام على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي وما نقموا الا ما حقه ان يشكر وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله عليه السلام المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم ورسوله من فضله الضمير لله تعالى وتوسيط ذكر الرسول عليه السلام لانه الواسطة في وصول الفضل المذكور منه تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم الضمير في يك للتوب وهذا احسان منه تعالى ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرايم العظيمة وهذا هو الذي حمل الجلاس على التوبة وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب بالعطف او بالعنف وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا لما هو المحتمل بالنفي وهذا ابلغ من ذكر السما معها والتصريح بنفي الولي والنصير فيه ايضا ومنهم اي ومن المنافقين من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن قال الضحاك هم نبيل بن الحرث وجد ابن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة ابن حاطب وفيهم نزلت الاية روي انه قال عليه السلام ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق لين رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله عليه السلام مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله عليه السلام الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا الجزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله عليه السلام قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت في ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله تعالى منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجا بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جا بها الى عمر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جا بها الى عثمان فلم يقبلها فهلك في زمن

خلافه

خلافته ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج ليلايم المعطوف عليه اعني لنصدقن اشارة الى الزكوة فيحسن ترتبها على ايتا المال المشار اليه بقوله لين اتانا من فضله ومن ههنا قالوا الصلاح في المال بعد الصدقة النفقة في الحج والغزو فلما اتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم اي فعلهم ذلك من البخل والتولي نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان السبب فيه والظاهر ان الضمير لله تعالى اي فجعل عاقبة فعلهم ذلك نفاقا ثابتا في قلوبهم الى يوم يلقونه دل على موتهم على النفاق ولذلك لم يقبل الخلفا زكوة ثعلبة والضمير لله تعالى ويوم لقايه وقت الجزا او ابتداه وهو وقت الموت او لفعلهم والاعمال تتجسم وتحصل الملاقاة حقيقة على ما في الاحاديث الصحيحة وانما لم ينقل الى ان يموتوا تنبيها على ان يوم الجزا ابتداوه من وقت الموت ولهذا قال النبي عليه السلام من مات فقد قامت قيامته بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوا الله تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد اخت الكذب تجوز استعارة اسمه له فيه وعيد بالعذاب وتهديد بالعقاب ثم عقبه تاكيد الوعيد بقوله الم يعلموا اي المنافقين وقرئ بالتا الفوقانية على الالتفات ان الله يعلم سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف الوعد وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من ذلك الذين يلمزون محله النصب او الرفع على المدح او الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم واللمز قد مر تفسيره المطوعين المتطوعين من المومنين في الصدقات روي ان رسول الله عليه السلام حث على صدقة فجا عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه باربعة الاف درهم وامسك مثلا فبارك الرسول عليه السلام فيما اعطاه وفيما امسكه وتصدق عاصم ابن عدي بماية وسق تمر وجا ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فامره عليه السلام ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وما تصدق ابو عقيل الا ليذكر مع الاكابر او ليذكر بنفسه ليعطى

من الصدقات والله غني عن صدقته فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم
وقرئ بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم اي يستهزؤن بهم
سخر الله منهم قد مر بيانه في تفسير الله يستهزئ بهم من سورة البقرة ولهم
عذاب اليم تنكير العذاب للتعظيم ومعلوم ان العذاب لا يخلو عن الالم فالتوصيف
انما يفيد اذا قصد به المبالغة وتقديم الجار والمجرور لمحافظة الفاصلة
استغفر لهم او لا تستغفر لهم اراد الخبر مع تسوية الاستغفار وتركه ان
يحكى فيه فيعلم نفسا انه لا تفاوت في الحالين عدم الغفران ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم روي انه سأل عبد الله بن ابي رسول الله عليه السلام
وكان رجلا مخلصا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام
لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه
الاصل فجوز ان يكون حدا لمخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير
دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين وسبعمائة ونحوها
في التكثير لاشتمال السبعة على ما هو الاصل من كسور العدد فكانها العدد باسره
ذلك اشارة الى امتناع الغفران وعدم تاثير الاستغفار في حقهم بانهم كفروا بالله
ورسوله يعني ذلك لعدم قبولهم له بسبب كفرهم وتمردهم في الفسق والعصيان
لا لمنع ولا لتقصير ك والله لا يهدي قد مر انه تنزيل الوجود منزلة العدم ولهذا اثره
القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهذا كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة
الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه
لا ينقطع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول عليه السلام في استغفاره
وهو عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع
هو الاستغفار بعد العلم بقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
فرح المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله عليه السلام الى غزوة تبوك
المخلف المتروك خلف من مضى والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة بمقعدهم
اي بقعودهم عن الغزو في المدينة عند خروجه عليه السلام خلاف
رسول الله نصب على الظرف اي خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم

وبعضهم قرأه اي حين خلف رسول الله عليه السلام او على المصدر اي
خالفوا رسول الله خلافا نحو قوله فضرب الرقاب اي اضربوا الرقاب
ضربا وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوا عليه السلام وفرح فيكون حالا
او مفعولا له اي مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم ايثار للموجود
الفاني على الموجود الباقي وانفسهم ترجيحا للدعة على طاعة الله تعالى
وتقدس في سبيل الله اي في طريق الغزو والاضافة الى الله تعالى للتشريف
والتنبيه على ان الغزو المحمود ما كان خالصا لله رب العالمين وفي
ذكر حالهم هذا في معرض المدح في تعريض لحال الباذلين اموالهم وانفسهم
في سبيل الله المتحملين للمشاق لوجه الله تعالى بالمدح وقالوا حذف
المقول له للتعميم اي قالوا للكل من قومهم وقدروا على اغوائه واضلاله
لا تنفروا في الحر في وقته اي لا تخرجوا للغزو فانه وقع في شدة الحر
لا يؤمن معها قلة المياه وهلاك الظهور والضعف عن المشي فعاب الله
تعالى هذا من قولهم وهددهم عليه بالنار بقوله قل نار جهنم اشد حرا
اقيمت عليهم الحجة بان قيل لهم فاذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار
جهنم اشد حرا فاحرى ان تجزعوا منها وذكره في سياق الوعيد لهم
تضمن الدلالة على ان حالتهم هذه للتعذيب بنار جهنم لو كانوا
يفقهون الفقه الفهم بالفطنة اي لو كان لهم فهم فطنة لما رغبوا عن
طاعة الله تعالى لما فيها من التعب وهو سبب الرغبة فيها لان الاجرة
للعمل بقدر المشقة فيه قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها واما ما
قيل استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك
التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل فلا يناسبه ايثار يجهلون
يفقهون على يعلمون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الفاء للتسبيب والضحك
حال يصح انبساطا يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء حالة
يظهر في الوجه عن غم مع جري الدموع على الخد والامر في الموضعين للتكوين
ومجيئه على صيغة المضارع لان كون تلك الحال في الاستقبال وقيل اخبار
عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على
انه ضمير واجب ومبناه على ان يكون الاخراج المذكور اي اقوى من ايضا

الاخبار على صيغته فلا يخفى ضعفه كيف وما عليه من الجمهور وهو المشهور
ان اخراج الامر على صيغة الاخبار اقوى من ابقائه على حاله ويجوز ان
يكون المراد والكافر فرط السرور والغم من القلة العدم ومن الكثرة الابد
جزاء بما كانوا يكسبون من انواع المعاصي ويندرج فيه معصيتهم السالفة
ذكرها اندرجا اوليا ففيه تقدير وتعيين لما دل عليه الفا السببية والكسب
هلاك الخطر بما هي له من الاسباب فلا يستطم ترك الواجب والمفهوم انما
يعتبر اذا لم يعارضه منطوق اخر والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار التجددي واعتبارها بياسب الاخبار عن الحزن الدايم فان
رجعك الله الى طايفة الفا للتفريع على ما تقدم ورجع متعد من الرجع بمعنى
الرد والطايفة للجماعة التي من شانها ان تطوف ولهذا لا يقال في جماعة
المجارح طائفة والمراد الجماعة المخلفون وانما قال منهم لان كلهم لم
يكونوا منافقين اولان فيهم من مات ومات كان تقول الرسول
عليه السلام الى الطمسة لطيب الخاطر وحسن الاختيار واما وصوله الى
زمرة المنافقين فقد كان بكراهة واضطرار فاوثر صيغة التعدي على
اللازم للاشعار بهذه الدقيقة الانيقة فاستاذنوك الاستيذان طلب
الاذن وهو رفع التبعة في الفعل والترك واصله ان يكون بقوله تسمع بالاذن
والفا فصيحة عاطفة على مقدر بتقدير ممن اردت الخروج الى غزوة
اخرى للخروج اي معك والخروج في الاصل الانفصال عن محيط فقل جواب
شرط لن تخرجوا معي نهى عن خروجهم معه عليه السلام الى الغزو واخرجه
على صيغة الاخبار للدلالة على وقوع الامتثال عنهم بالاضطرار وعدم
قدرتهم على المخالفة ابدا الابد الزمان المستقبل من غير انتها الى حد
ونظيره في الماضي قط ولن تقاتلوا معي عدوا الاول للاسقاطهم عن ديوان
الغزاة خاصته وهذا الاسقاطهم عن ديوان المجاهدين مطلقا انكم رضيتم
بالقعود تعليل للنهي المذكور وكان اسقاطهم عن الديوانين المذكورين الفا
عقوبة لهم على التخلف بالاختيار لا كره واضطرار لا على التخلف مطلقا
والاشارة الى هذا الى باعتبار الرضا اول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين من الصبيان والنساء وساير من لا يليق بالجهاد من

اصحاب

اصحاب الاعذار ولا تصل على احد منهم مات هذه فصيحة لهم بعد الوفاة
وما ذكر قبلها اخرى لهم في حالة الحيوة قال قتادة دخل رسول الله عليه السلام
على عبد الله ابن ابي سلول في مرض موته وكان دعاه فساله ان يصلي
عليه ويقوم على قبره ويكفنه قميصه ففعل ذلك فنزلت الاية وعن
عمر رضي الله عنه انه قال لما توفي عبد الله بن ابي سلول ووضعنا ليصلي
عليه قام رسول الله عليه السلام فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا
وكذا وعددت ايام الحبشة فتبسم رسول الله عليه السلام ثم مشى معهم
وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله ما لبث الامر حتى نزلت ولا
تصل على احد منهم مات الاية فما صلى رسول الله عليه السلام بعدها
على منافق ولا قام على قبره انما قال مات والمراد الاستقبال لانه كاين
محاله وقوله ابدا منصوب بتصل وبه صارت الاية محكمة لا يمات كما
توهم من قال فان احيا الكافر للتعذيب دون التمتع وكانه لم يحي ولم
يدر انه على التقدير المذكور ايضا لا حاجة الى التوجيه المزبور بل لا وجه له
لان الحيوة في البرزخ لا تنافي استمرار الموت الواقع في الدنيا ولا تقم على
قبره القبر حفرة يدفن فيها الميت والمراد من القيام معناه الحقيقي وهو
نوع اكرام وقيل اراد به المباشرة باسباب دفنه وموارانه وعلى هذا
يراد بالقبر معناه المصدري ويندرج فيه التكفين فلا يتمشى ما قيل انما
لم ينه من التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص
كانت مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباس العباس رضي الله عنه قميصه
حين اسر ببدر على ان ما ذكر لا يصلح تعليلا لعدم النهي عنه لما عرفت ان
ترك الاية المذكورة بعد الصلاة والتكفين فكون النهي على تقدير وروده
عن العود وفي بعض الروايات انه قيل له عليه السلام يا رسول الله
اتلبس عدو الله قميصك قال عليه السلام واني لارجوا ان يسلم بقميصي الف
من بني الخزرج وكان كذلك انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي عن سبيل
الاستيناف وماتوا وهم فاسقون اي قد كفروا واصروا عليه حتى ماتوا
على الفسق اي الخروج عن الطاعة قال الامام ابو منصور رحمه الله تعالى
الكفار والمنافقين فاسقين في ايات وان كان اسم الكافر ابلغ في الذم من اسم

الفاسق لان الفاسق يانف منه كل ذي دين فانه خروج عما تدين فاخبر
الله تعالى انهم مع تدينهم بالباطل فاسقون في معاملاتهم خارجون
عن ديانتهم مستوجبون للمذمة بتلك الجهة ايضا ولا تعجبك اموالهم
واولادهم قد مر التفسير ومعنى التكرير المبالغة في التاكيد والتقرير والامر
حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والقلوب مرتبطة
بهما والنفوس مغتبطة عليهما وانما عطف ههنا بالواو دون الفا لعدم صحة
التفريع على ما تقدم بخلاف ما سبق فان للتفريع ثمة وجها على ما بين
هناك انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا لا تحسبن ان تمكن اهل النفاق
من تعدد مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم اسرا معروف من الله تعالى
اليهم او اسباغ انعام من لدنه عليهم انما ذلك مكر بهم واستدراج لهم
وامهال والله قدير تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون فيعذبون
بالنار في الدار الاخرة ابدا واذا انزلت سورة بتمامها على الحقيقة او بعضها
على المجاز لانه علم للمجموع المعين بخلاف القران والكتاب فانه يقع كل
منهما على الكل والبعض على الحقيقة ان امنوا بالله ان هي المفسرة وجاهدوا
مع رسوله اي جاهدوا الكفار متابعين لرسول الله عليه السلام استاذنك
اولوا الطول منهم اي ذوا الفضل والسعة من طال عليه طولا وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين الذين قعدوا عن الجهاد لعذر رضوا بان يكونوا
مع الخوالف من النساء جمع خالفة وقيل معناه مع الخساس من قولهم فلان
خالفة قومه اذا كان دونهم في اسباب الفضل وهذا تعيير لهم وطعن
وطبع على قلوبهم اي ختم عليها انما عطفه على كل ما تقدم بالواو دون الفا
تنبيها على ان الطبع المذكور بل الامر بالعكس فهم لا يفقهون فضل الجهاد
من السعادة الاجلة على ما في تركه من الراحة العاجلة ورجحان ما
في التخلف من السعادة العاقبة على ما في عدمه من المشقة الزائلة وعلى
هذا يظهر وجه ايثار لا يفقهون على لا يعلمون وايضا فيه تنبيه على ان
اثر الطبع ازالة الفطنة لا ازالة الفهم راسا حتى ينافي بقا التكليف لكن
الرسول استدراك عما تقدم من جهة المعنى فان قوله تعالى رضوا الخ
في معنى لم يجاهدوا اصلا والذين امنوا معه اي المخلصون من المومنين

وانما قال معه افادة لمعنى التبعية له عليه السلام جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي ان تخلف هولا ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واخلص
نية كقوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون صرح ههنا
بما قدمه تعريضا واولئك لهم الخيرات انما اتى بالواو عطفا على مضمر كانه
قيل فاولئك لهم النصرة والغلبة والمراد من الخيرات انواع الغنايم فانها
جمع خيرة تخفيف خيرة وهو المستحسن من كل شي وكثر استعمالها في النسا
ومنه ما في قوله تعالى فيهن خيرات حسان ولهذا قيل اريد به ههنا
الحور واولئك هم المفلحون الذين ادركوا بغيتهم في الاخرة والحصر في المواضع
الثلاثة اضافي اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار بيان وجه لادراكهم
البغية خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قد مر ما يتعلق به من التفسير وجا
المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يقال اعذرت الى فلان اذا تكلمت بالعذر
فعذرني اي قبل عذري واعتذرت اليه اي اقمت العذر الصحيح على
امري وعذرت بالتشديد اي اتيت بما هو في صورة العذر ولا عذر لي
فيه حقيقة والاية قرئت بالتخفيف وهو قراة ابن عباس رضي الله عنه
وبالتشديد وهو قراة ساير الناس فبالتخفيف من اعذر وبالتشديد من
اعتذر على ادغام التا في الذال ونقل حركتها الى العين اخبار عن قوم اتوا
بالعذر الصحيح فقدموا وبالتشديد اخبار عن اعراب تكلموا بالعذر ولا عذر
لهم فلم يعذروا وفي الاية ذم لهم وجملة ان نزول السورة في الجهاد جعل
الناس على اصناف منافقوا اهل المدينة وقد ذكرهم في قوله استاذنك
اولوا الطول منهم والمخلصون وذكرهم في قوله والذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم واعراب اهل البادية ممن لهم عذر حقيقة
او لا عذر لهم وذكر اسم الله تعالى في هذه الاية على ان القبيلين واخرون
من الاعراب كلموا من غير استيذان وذكرهم في قوله وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله في ادعا الايمان ودليله قراة ابي رضي الله عنه كذبوا بالتشديد
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب وانما قال الذين كفروا منهم لان
منهم من اعتذر للسامة لا لكفر عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة
بالنار وقوم اخرون من ضعفا المسلمين لم يكن لهم عدة فجاوا واستاذنوا وذلك

قوله ليس على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب كبر هن او زمانه او عرج او عمى او غير ذلك ولا على المرضى الذين بهم علة يرجى زوالها الا انه لا طاقة له في الحال ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم حرج اثم في التاخير اذا نصحوا لله ورسوله النصح لله تعالى ولرسوله عليه السلام للايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن والقيام لما يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا كما يفعل الناصح لمن ينصحه فيندرج فيه اندراجا اوليا ما قيل اي لم يثبطوا غيرهم من الموسرين والاصحاء عن الخروج ولم يوهموا هم ان قعودهم كان لجواز التخلف لكل من اراده بل بينوا سبب تخلفهم وحرضوا القادرين عليه وقالوا باسبابهم عند خروجهم واسباب من خلفوهم بالمعونة ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم موصوفون بصفة تنافي العتاب فيفيد المدح والتعليل والله غفور رحيم للمسيء فكيف المحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء اي ولا حرج ايضا على الاصحاب الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون الى المركب وجاؤك يسالونك ان تعطيهم مراكب تحملهم عليها يقال حملني الامير فلان اذا اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قايلا لاحد تولوا جواب اذا ويجوز ان يكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فما حالهم اذا اجابهم الرسول قيل تولوا ويكون جواب اذا قوله قلت واعينهم تفيض الفيض هو السيلان عن الامتلاء من الدمع من للبيان كما في قولك افديك من رجل قيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز ورد بان التمييز الذي اصله الفاعل لا يجوز جره بمن اصل الكلام يفيض دمعها فنقل الى ما ذكر ليكون ابلغ كان العين كلها دمع فياض حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله حزنا الا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض الا يجدوا في غزاهم وفيه دلالة على انهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ويجوز ان يكون قوله ولا على الذين معطوفا على المحسنين عطف الخاص على العام وحسن هذا قوله ما ينفقون معرفا بالالف واللام ادعا على النكرة

وكلمة انما ليست للحصر بل هي للمبالغة تقتضي صفة المتوصل اليه وقلة منفعته فلذلك حسنت في هذه الاية يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم استيناف كانه قيل ما لهم استاذنوا وهم اغنيا فقيل رضوا بالضعة والدناءة والانتظام في سلك الخوالف ايثارا للدعة وفايدته بيان سبب للاستيذان مع الغنى وهو امران رضاهم بالدناءة والطبع على قلوبهم بالخذلان حتى غفلوا او جهلوا وخامة عاقبتهم فهم لا يعلمون معناه قد حصر المعذورون في التخلف في ثلاثة اقسام الذين فقدوا الاستطاعة البدنية والذين عدموا الاستطاعة المالية والذين استحملوه فلم يجد ما يحملهم عليه يعتذرون اليكم في التخلف خطاب للصحابة رضي الله عنهم اذا رجعتم اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نومن لكم علة للنهي عن الاعتذار قد نبانا الله من اخباركم علة للانتفاء التصديق اي اعلمنا الله بالوحي الى نبيه عليه السلام بعض اخبار وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم روية العمل في مثل هذا المقام يكون كناية عن فعل الراي ما يستحقه العامل بسببه اي سيرى الله تعالى اتتوبون اليه وتتولون ام تثبتون على الكفر وتصدون عنه ففيه وعيد بالاساءة في الدنيا ووعد بالاحسان في الاخرة وتقديم عملكم في قوله ورسوله للفصل بين الرويتين تنبيها على ان الثاني حقيقة والمراد موجبها وهو الفضاحة ثم ان في عبارة التسويف اشارة الى الاهتمام لتدارك الانابة ففي الكلام استتابة على الطف وجه وانما قلنا انما ذكر بالوعد والوعيد في الدنيا لان قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة وعد ووعيد في الاخرة تداركا لما عسى ان يذهب اليه الوهم من قوله وسيرى الله اي ما يليق بشانه يومي الحاجة الى الروية وسبق علمه بعض الاشيا بالغفلة عنه ولهذا اوضع عالم الغيب والشهادة موضع الضمير اي لا تخفى عليه خافية مما في قلوبكم ولا ذرة مما يظهر على السنتكم وجوارحكم فيجازيكم به فينبيكم على رووس الاشهاد بما كنتم تعملون تشهد اعمالهم وتعزير اقوالهم وتذكير لما نذهب في جنانهم وبالهم على ما افصح عنه في موضع اخر بقوله فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه فيتمنون عنده

المسارعة بهم الى النار لما لحقهم به من الخزي والعار **سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم** لما ذكر انه يصدر منهم الاعتذار اخبر انهم سيوكدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف بالله وان سبب الحلف طلبتهم ان تعرضوا عنهم اعراض صفح فلا تلوموهم ولا توبخوهم **فاعرضوا عنهم** اي فاجتنبوا الى طلبتهم وتعليل الاعراض عنهم بقوله **انهم رجس** دلالة على انه اعراض مقت اي مستعدرون بما انطووا عليه من النفاق فيجب مباعدتهم واجتنابهم كما قال في الاية الاخرى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وهذا اولى مما قيل لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهولا ارجاس لا تقبل التطهير لان قوله **وماواهم جهنم** تفيد هذا المعنى اي انهم ارجاس من اهل النار لا يجدي التوبيخ والافادة خير من الاعادة اللهم الا ان يقال انه تعليل اخراي وكفتهم جهنم عتابا وتوبيخا فلا يتكلفوا في عتابهم **جزا بما كانوا يكسبون** مصدر موكد او مفعول له او حال من جهنم **يحلفون لكم** حذف ههنا المحلوف به واثبت فيما تقدم اكتفا بذكره مرة كما في قوله تعالى اذا اقسموا ليصرمنها وقوله تعالى واقسموا بالله **لترضوا عنهم** اي لغرضهم من الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم في دنياهم **فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** اي فان رضاكم لا ينفعهم اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم لان سخطه يورثهم عقوبة الدنيا والاخرة ورضاكم لا يستلزم رضائه والعدول عن المضمر الى الظاهر المسجل عليهم بالفسق للدلالة على ان سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم لاجل الاعراض جات الامر بالاعراض هنا فلا تحصل رضا وما داموا فاسقين وعلى ان الحكم عام وان كان سبب الورود خاصا فان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب والمراد نهيهم عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم لما ذكر حلفهم فيما سبق لاجل الاعراض جات الامر بالاعراض هنا لانها تتنوع بحسب الاغراض فيكون على مقتضى الحكمة ولا كذلك الرضى وقد ذكر ههنا الحلف لاجل الرضا وابرز النهي عنه في صورة الشرطية اخراجا له مخرج التردد فيه لانه من الامور القلبية بخلاف الاعراض فانه محسوس مشاهد وجعله جوابه ابقا رضى الله عنهم فصارت رضا المومنين ابعد شي من الوقوع لان الايوبهم

ان لا يرضون عمن لا يرضى الله عنهم **الاعراب** سكان البوادي **اشد كفرا ونفاقا** من اهل الحضر لانهم كانوا في البوادي ولا مخالفة ان خوفهم هناك اقل من خوف منافقي المدينة فالسنتهم لذلك للخلف ونفاقهم اشد واشق من القساوة **واجدر ان لا يعلموا** واحق بان لا يعلموا لبعدهم عن رسول الله عليه السلام وغيبتهم عن مجالسته وقلة ما يرد عليهم من مواعظ القرآن **حدود ما انزل الله على رسوله** من الاوامر والنواهي لقوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقوله تلك حدود الله فلا تقربوها **والله عليم** يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ذكر العلم بعد الجمل الخ وعد ووعيد والحكمة بشارة وتهديد **ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق** يصرفه في سبيل الله ويتصدق به **مغرما** غرامة وخسرانا اي يجعله مفصله ولا يرجى فيه غير ذلك اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجوا عليه ثوابا او ينفق رياء او تقية وقيل المغرم الدين ومنه تعوذ رسول الله عليه السلام من المغرم والماثم ولكن كثر استعماله فيما يوديه الانسان مما لا يلزمه بحق وفي لفظ معنى اللزوم ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما **ويتربص بكم الدوائر** الدايرة في الاصل مصدر سمي به كالعافية او اسم فاعل من دار يدور سمي به عقبه الزمان لا تخلص عنها فيه تحيط الشخص كما تحيط الدايرة ويحتمل ان يوخذ من دور الزمان اي ينتظر بكم ما ياتي به الايام ويدور به من النوائب ليقلب الامر عليكم فيتخلصوا من الانفاق **عليهم دايرة السوء** دعا عليهم بنحو ما تربصوا به معترض كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم والسوء بالفتح وهو ذم للدايرة اضيف اليه كقولك رجل سوء لان من دارت اليه ذمها بالسوء وقرى بضم السين قيل بالفتح بالمصدر وبالضم الاسم وقال ابو علي معنى الدايرة تقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قال شمس النهار ويختار رايسه ولا تقال رجل سوء الا بفتح السين وهذا لم يختلف القراء في فتح السين في قوله تعالى ما كان ابوك امرا سوء **والله سميع** لما يظهرونه عند الانفاق **عليم** بما يضمرونه من النفاق **ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر** لما ذكر من يتخذ ما ينفق مغرما ذكر مقابلة وهو من يتخذ ما ينفق مغنما وذكر ههنا الاصل الذي

الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله تعالى وتقدس واليوم
الآخر اذ الاجر لما ينفق انما يظهر ثوابه الدائم في الآخرة وجه الكفر لم يذكر نتيجة
الكفر وهو اتخاذ ما ينفق مغرما والتربص بالمؤمنين والدوائر ويتخذ اي يجعل
مقصد ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي مفعول يتخذ وعند الله صفة
او ظرف يتخذ وصلوات الرسول سبب صلواته عليه السلام كان يدعو
للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند
اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على
آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره اقيم المسبب مقام السبب
في الموضعين لقوة الاستلزام وشدة التشوق الى اللازم الا انها قربة لهم
شهادة من الله تعالى للمتصدق بصحة ما اعتقده على ابلغ الوجوه من التأكيد
بالاستئناف والادوات المعدين للتحقيق وثبات الامر وتمكنه وتنكير قربة
للتعظيم والضمير للنفقة منهم سيدخلهم الله في رحمته تصديق لرجائهم
على ما في السين من تحقيق الوعد باحاطة الرحمة عليهم وما اقوى دلالة هذا
الكلام على رضى الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة من الله تعالى بمكان اذا
حصلت النية من صاحبها ان الله غفور رحيم استئناف لتقرير ما وعدهم
والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم
الذين شهدوا بدرا والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل
العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم اللاحقون
بالسابقين من القبيلتين او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة
باحسان باخلاص قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن رضي الله
عنهم لطاعتهم واعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم نعمه الدينية والدنيوية
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم قد مر تفسيره وممن حولكم بلدتكم وهي المدينة من الاعراب
منافقون وهي جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم او خبر محذوف وصفته مردوا على النفاق اي دربوا
عليه ومرنوا عليه ولجوا فيه وهو يستعمل في الشر لا في الخير ونظيره في حذف

الامر

الموصوف واقامة الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول
صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر والكلام المبتدأ لبيان
تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم اي لا تعرفهم باعيانهم بيان لقوله مردوا
على النفاق اي بلغوا من مهارتهم فيه الى ان خفي حالهم عليك مع كمال
فطنتك لتوسمهم في توقي مواضع التهم نحن نعلمهم تأكيد للبيان لافادة تقديم
الضمير التخصيص اي لا يعلمهم الا الله تعالى وحده ولا يطلع على سرهم غيره لشدة
ابطانهم الكفر واظهارهم الاخلاص وجعل مردوا على الاستئناف ابلغ وانسب
لهذه المبالغة سنعذبهم فيه تحقيق لعذابهم بموجب علمه مرتين بالفضيحة
والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ويحتمل ان لا
يراد هنا شفع بل الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين
اي مرة بعد مرة ثم يردون الى عذاب عظيم اي عذاب النار في دار القرار
وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة من تخلفهم
واعترفوا بتقصيرهم ومخالفتهم نادمين وهم طائفة من المتخلفين وثقوا
انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله
عليه السلام ودخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر
له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا هو اظهار الندم والاعتراف
بالذنب وآخر سيئا هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو في الخلط ابلغ
من الباء لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا والآخر مخلوطا به ويجوز
ان يكون بمعنى الباء والمفعول محذوف وعملا بدل منه من قولهم بعت
الشاة شاة ودرهما عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول
عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم وقال الكلبي عسى من الله تعالى وتقدس
شانه واجب اي اطماع واطماع الكريم ايجاب ان الله غفور رحيم
يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه قال بعض العلماء المسيء بناء اي مخلوق
اذا خافه لم تخلصه من ذلك الا شيئان الانكار والفرار والمسيء في حق الله
تعالى لا ينجيه الا شيئان الاقرار والفرار قال قائلهم اقر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا
واعلم بان جحود الذنب ذنبان خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما

اطلقوا فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها
وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فنزلت
تطهرهم وتزكيهم عن الذنوب او حب المال المودي بهم الى مثله صفة الصدقة
والتا للخطاب او لغيبة المونث وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وقرئ
يطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا تزكيهم الا باثبات اليا والتزكية مبالغة
في التطهير وزيادة فيه او الانما والبركة في المال بها بالصدقة وصل عليهم
واعطف عليهم وترحم بالدعا والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن
اليها نفوسهم وتطمين قلوبهم بان الله تعالى قبل توبتهم وجمعها لتعدد
المدعو لهم والله سميع سميع اعترافهم بذنوبهم عليم بما في ضمايرهم من الغم
والندم وصدق التوبة الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان
يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد التحضيض
عليهما ان الله هو يقبل التوبة لا رسول ولا غيره عن عباده تعديته تقبل
بعن لتضمينه معنى التجاوز وياخذ الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية
واخذها مجاز عن قبولها وقبولها كناية عن اعطا الثواب في مقابلته
كما هو شان الكريم وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة
التايبين مرة بعد اخرى والتفضل بالتجاوز عما وقع بين التوبتين
والواو للعطف على مقدر كانه قيل ان الله هو البر الكريم تعليل للكناية المذكور
وحرف اداة التعليل مع ان قياس وتقديمه على ما ذكر في قبول التوبة
للتقريب بين التعليل والمعلل بهما امكن وقل اعملوا ما شيتم ظاهره امر
وباطنه وعد ووعيد والخطاب للجميع فسيرى الله عملكم خيرا كان او شرا
وقد مر بيانه ورسوله والمومنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها
ولا كوة لاخرج عمله الى الناس كاينا ما كان وستردون الى عالم الغيب والشهادة
قد مر بيانه وايما الى هو هنا بدل ثم حذف التعريف لان كل ات قريب ولان
الرجعة الموت وهو محتمل في كل ان والمقام مقام التحذير فلذا ناسبه اداة
التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد في حق المحسن ووعيد في حق
المسيء واخرون من المخلفين مرجون قرئ بالهمز من ارجيته وبغير الهمز
من ارجيه ومعناه موخرون اي موقف امرهم لامر الله اي الى امر الله تعالى

في شانهم اما يعذبهم ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا
والترديد لنا وللدفع وهم ان يكون له تعالى قال والله عليم باحوالهم و
نياتهم حكيم فيما يفعل بهم ويدخل فيه امر التاخير دخولا اوليا وقرئ
غفور رحيم والمراد بهولا كعب ابن مالك وهلال ابن امية ومرارة
ابن الربيع امر رسول الله اصحابه عليه السلام ان لا يسلموا عليهم ولا
يكلموهم فلما راوا ذلك نياتهم ولصحت توبتهم فرحمهم الله تعالى والذين
اتخذوا مسجدا عطف على اخرون او نصب على الذم او خبر مبتدا محذوف
تقديره وهم الذين او مبتدا خبره محذوف اي وفي من وصفنا الذين
اتخذوا ولا الواو عاطفة الجملة على الجملة وقرئ بغير واو واحتمل ان يكون
بدلا من قوله واخرون وان يكون خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف
الخبر واتخذ هنا تعدى بواحد كما في قوله اتخذت بيتا اي عملته ضرارا
اي مضرة مفعول لاجله لما ذكر طرفا من ذميمة لاصناف المنافقين
اقوالا وافعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعا للمنافقين
يدبرون ما شاووا فيه من الشر وسموه مسجدا وكفرا وتقوية للكفر الذي
يضمرونه وروي ان بني عمرو بن عوف لما بنى مسجد قبا سالوا رسول الله
عليه السلام ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو عمرو بن
عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يومهم فيه عامر الراهب اذا قدم من
الشام وتفريقا بين المومنين المجتمعين على الصلاة في مسجد قبا لانهم ارادوا
ان يتفرقوا عنه ويختلف كلمتهم لمن حارب الله لاجل من حارب الله تعالى
يعني الراهب فانه قال لرسول الله عليه السلام يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله عليه السلام الى يوم حنين انهزم مع
هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود فيحارب بهم رسول الله
عليه السلام ومات بقنسرين وحيدا ورسوله ذكر الله تعالى تمهيد لتعظيم
امر محاربته عليه السلام من قبل متعلق بحارب اي اتخذوا مسجدا
من قبل ان نافق هولا بالتخلف لما روي انه حين غزوة تبوك سالوا رسول الله
ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شا الله تعالى صلينا فيه
فلما قفل كرر عليه فنزلت فدعا بجماعة منهم الوحشي فقال لهم انطلقوا

وارصادا

في هذه الطائفة واهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة بين المصلين فانهم قد قالوا لما
اتوا رسول الله عليه السلام والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا اراد القيام للصلاة كما في قوله عليه السلام من صام رمضان
وقامه لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد رسول الله عليه السلام
اسس لاحياء دين الله واظهار شريعته التي لا يقوم بها الا من اتقى الله
قال ابو سعيد الخدري وابي ابن كعب رضي الله عنهما قال النبي
عليه السلام هو مسجدي هذا من اول يوم من ايام وجوده وقيل
هو مسجد قبا لانه هو اوفق للقصة والاول هو الوجه لانه لا نص
مع الخبر ولانه اوفق لقوله احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال
التنكير للتعظيم يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا
لمرضات الله تعالى وتقدس وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها وقيل
استيناف تعليلي يتضمن الاشارة الى صلاح جماعة من اسباب ترجيح
الصلاة والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب
حبيبه روي انه عليه السلام قال يا معشر الانصار رايت الله قد اثنى
عليكم بالطهور فماذا تفعلون عند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة
ثم نتبع الاحجار الماء فتلى رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه
بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى من
الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هي اضعف القواعد وارفاها الشفا الجرف والشفير وجرف
الوادي جانبه الذي جرف اصله السيول وجعلها الماء فبقي واهيا من الجرف
وهو اقتلاع الشيء من اصله والهار الهاير وهو المتصدع الذي اشفى على الهدم
والسقوط لما استعار حرف الهار لما يقابل التقوى من الباطل الذي هو الفجور
والنفاق على انه شبه الحق الذي هو التقوى بقاعدة قوية محكمة على طريق
الاستعارة بالكناية ولهذا نكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله
تعالى ثم رشح الاستعارة بقوله فانهار به في نار جهنم فان الجرف الهاير يهل

الانهيار طوعه وقلة ثباته واستمساكه وهو تصوير بشرعه اذ الباطل يهوى
صاحبه في قعر جهنم كانه بنى على جرف واد مراودته جهنم جرف اصله
السيل ويفهم منه ان تاسيس الذي يقابله على امر يحفظه عن النار ويوصله
الى الرضوان الذي ادنى مقتضياته ولذلك عطف الرضوان على
التقوى وجعلها كانهما امران متلازمان ونكرت كالتقوى اشعارا
بان تلازمهما بحيث كلما يلزم احدهما يلزم الاخر ولا ترى ابلغ من هذا
الكلام ولا ادل على ما هو المقصود وانما لم يقل فوقع في نار جهنم لانه ما
دام حيا امكنه ان يخلص فيتخلص فلا يقع فيها والله لا يهدي القوم الظالمين
اي لا يهديهم من حيث هم ظالمون اي ما فيه صلاح ونجاة وقد مر ان
في الهداية في مثل هذا على طريقة تنزيل ما لا اثر له منزلة العدم والا فالله
تعالى هادي الكل الى مصالحهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي
بنوه مصدر اريد به المفعول وقيل هو جمع واحده بنيانة وح يكون الذي
بمعنى الذين والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن المضاف المحذوف اي
بناء بنيانهم الذي بنوها سبب ريبة فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه
رسول الله عليه السلام رسخ ذلك في قلوبهم وازدادوا نفاقا بحيث لا
يزول وسمه على قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية
الادراك والاضلال فالتقطيع لتصوير امتناع زوال الشك عن القلوب
مع بقائها وان زواله لا يكون الا بزوالها وهو في غاية المبالغة والاستثناء
من اعم الازمنة اي وقت انقطع وهو في محل النصب على الظرف
ويجوز ان يكون المراد حقيقة التقطيع بالقتل او في القبور او في النار
وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على
تفريطهم وقرئ بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وقرئ تقطع بالبناء
وتقطعا بالتخفيف وتقطع على خطاب الرسول عليه السلام او كل مخاطب
وقرئ ولو قطعت على البناءين والله عليم بضماير العباد حكيم
في التمييز بين اهل الصلاح واهل الفساد فيدخل في الاول بناؤهم وفي
الثاني للامر الوارد في حقهم مدخلا اوليا ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة استعار الاشتراء لاثابتهم في الجنة على بذل

الاموال الانفس في سبيل الله ولم يقل بالجنة مدحا لهم باعتبار انهم بذلوا انفسهم
واموالهم بمجرد الوعد وفيه كمال يقينهم بوعده تعالى وتقدس وايضا تمام
الاستعارة المذكورة به اذ لا بد لها من قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة ولو
قيل بالجنة لم توجد تلك القرينة لان الجنة صالحة لان تكون احد العوضين
بخلاف الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استيناف لبيان الاشترا لا لبيان
ما لاجله الشرا وقيل خبر بمعنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم اظهارا لاهتمامهم بالمامور كانه سارعوا الى الامتثال فاخبر عنه وعلى
هذا يكون الاشترا تمهيدا له فيقتلون ويقتلون تفصيل لمقاتلتهم وبيان
لاحرازهم فضيلتي الجهاد وقرئ بتقديم المبني للمفعول فمبناه على اسناد
بعض الفعل وهو فعل البعض الى الكل وفيه دلالة على ان ثبات قلوبهم وجراتهم
على العدو بحيث لم يكسر ان قتل بعضهم كما قال تعالى وكاين من نبي قتل
معه ربيون كثير فما وهنوا وقيل في توجيهه ان الواو لا توجب الترتيب
وهو لا يجدي وهو تقديم ما حقه التاخير لا يكون الا بنكتة الا منع
وعدا عليه مصدر موكد كما دل عليه قوله بان لهم الجنة حقا صفته في التوراة
والانجيل والقران اي اوحى به الى انبيائه عليهم السلام واثبته في كتبه
ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في انجاز الوعد وتقرير لكونه حقا فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق
وتاخذ ثمنا من مشتري يبيع هو ملكه وجمعه خطابهم على سبيل الالتفات
تشريفا لهم واستبشر فعل جاء فيه استفعل بمعنى وليس هذا من معنى الطلب
في شي كعجب واستعجب وذلك البيع هو الفوز العظيم لانه الوصول
الى الحظ الاغبط من حط الذنوب ودخول الجنة بلا حساب التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المومنون المذكورون والدليل
قراءة التائبين الى قوله والحافظين نصبا على المدح او جرا صفة على
المومنين ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون الموصوفون
بهذه من اهل الجنة ان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى وخبره
العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم
الجامعون لهذه الصفات العابدون الذين عبدوا الله تعالى وحده مخلصين

296

له الدين الحامدون لنعمائه ولما نابهم من السرا والضرا السائحون
اي الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصيام شبه به من حيث
انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع
على خفايا الملك والملكوت او السائرون للجهاد او طلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن
الشرك والمعاصي والعاطف ههنا للدلالة على انهما بمنزلة خصلة واحدة
كانه قال والجامعون بينهما وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه
وعينه من الحقائق والشرائع لانه من تمام تلك الخصلة فان من لم يصدق
قوله فعله لم يوافق حاله مقاله لا يجدي امره نفعا ولا يفيد ردعا
لنهيه صح
ومن لم ينتبه لهذا قال انه للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل وهذا
مجملها وليت شعري ما وجه الدلالة في العاطف على هذا او قيل انه للايذان
بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن
من ابتدا تعداد اخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وتفقا نادرا الله
تعالى على ما فيه في موضعه وبشر المومنين يعني بهم هولا الموصوفين بتلك
الفضايل ووضع المومنين موضع غيرهم اشعارا بان الايمان هو الباعث
على هذه الخصال وان الكامل في الايمان من كان على الصفات المذكورة
وحذف المبشر به للتعظيم وبشرهم بما يجل عن الوصف واحاطة الافهام
والتعبير عنه بالكلام ما كان للنبي فايدة دخول كان المبالغة في نفي
الفعل الداخلة هي عليه بتقدير جهة نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا
باعتبار الاستغفار مثلا والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ان
يطلبوا المغفرة لهم ولو كانوا اولي قربى روي انه عليه السلام قال
لابي طالب لما حضره الوفاه قل كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فابى
فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وفيه موت
ابي طالب قبل الهجرة وهذا اخر ما نزلت بالمدينة لا يقال ما ذكر انما يتم
ان لو كان نزول الاية عقيب موت ابي طالب وليس بلازم لجواز ان
يكون النبي عليه السلام استغفر له الى وقت نزول الاية لا يقال قول
الظاهر من قول الراوي فنزلت انما هو التعقيب بلا تراخ وانما قال

للمشركين دون الكفرين لان منهم من هو معذور كالذي لم يبلغه الدعوة
فلا نهي عن الاستغفار لهم وذكر الكلبي ان النبي عليه السلام اتى قبر امه
في الف فارس وهو يريد ان يستغفر لها فلما اقام عند قبرها فاذا هو
بجبرائيل عليه السلام فوضع يده على صدره وتلا هذه الايه فبكى النبي
عليه السلام فما روي يوما اشد باكيا من يومئذ من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك خاصته بلايه وبنزول الوحي فيه
فلا يختص النهي بالذي ماتوا على الشرك وانما قال من بعد ما تبين لتقدم
النهي عن الاستغفار قبل ذلك طلب التوفيق للايمان مطلقا ومن قال يحتمله
المفهوم اخذه دليلا على جواز الاستغفار للمشركين قال الناس ان ابراهيم
عليه السلام استغفر لابيه المشرك فنزلت هذه الايه وما كان استغفار
ابراهيم لابيه يعني بعد موته على الشرك لان الاستغفار له قبل الشرك لا
يصلح متمسكا للقايل المذكور فلا ينطبق سبب النزول الا عن موعدة وعدها
اياه وفى اياه اي وعدها ابراهيم عليه السلام بقوله سلام عليك ساستغفر
لك ربي فانجز وعده فان الانجاز واجب ولم يكن موته على الشرك ظاهرا عنده
عليه السلام كما هو الظاهر من قوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله
وهذا التبين عنده عليه السلام كان بعد الانجاز على ما ورد في الحديث الصحيح
تبرا منه ولم يطلب مغفرته بعد ذلك ان ابراهيم استئناف لبيان ما
حمله عليه السلام على الاستغفار لابيه لاواه يقال اوه وهو الذي
يكثر التاوه اي الرحمة والتعطف ولفرط تاوهه كان يعطف لابيه المشرك
حليم صبور على الاذى لذلك كان يحلم عن ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر له
مع شكاية حلمه قد مر وجه زيادة كان في مثل هذا المقال وما كان الله
ليضل قوما اي ليحلوه فيهم الضلالة ومن قال ليسميهم ضلالا فقد دس
فيه مذهب الاعتزال بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالنهي
عبارة او دلالة ما يتقون ما يجب اتقاوه اي ليس من شانه تعالى
تكليف الغافل بالمهتدي للاسلام اذا قدم على جميع المحظورات الشرع انما
يكون ضالا اذا كان اقدامه عليه بعد بيان خطره وكانه شان عدل
الرسول عليه السلام في الاقدام على استغفار امه وفيه دليل على

تكليف

الغافل غير واقع في شرايع الانبياء عليهم السلام ان الله بكل شيء عليم
فيعلم حاجة الغافل الى البيان فمعذرة فهو تتميم للبيان المذكور ان
الله له خاصه ملك السموات والارض لا شريك له يحيي ويميت يهدي
ويضل وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما ضمهم من الاستغفار
للمشركين ولو كانوا اولي قربى واشار بقوله تبرا منه الى وجوب التبري
منهم بعد ما تبين حالهم ان الملك والحول والقوة لله تعالى ولا ولايه
ولا نصرة لهم الا منه ليتولوه ويتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبروا عما عداه
حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي
قال ابن عباس رحمه الله هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف
عنه والمهاجرين والانصار قيل هي في زلات سبقت منهم يوم احد وحنين
قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم
ففيه بعث على المومنين بالتوبة والمعنى ما احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى
النبي عليه السلام والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
الذين اتبعوه اي اتبعوا امره عليه السلام في ساعة العسرة في وقتها
فان الساعة في اللغة بمعنى مطلق الزمان والعسرة الضيق والشدة وهي
حالهم في غزوة تبوك في عسر الظهر يعتقب العسرة على بعير واحد والزاد
حتى قيل ان الرجلين يقتسمان تمرة والماء حتى نحروا الابل وافرسها وفي شدة
زمان من حرارة القيظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق اي بعدما قاربوا
من الميل عن اتباعه الرسول عليه السلام في تلك الغزوة وانما اسند
زيغهم الى القلب اظهارا لكونه من الميل القلبي لا بمعنى الانحراف القالبي
منهم اي من المتبعين له عليه السلام وفي كاد ضمير الشان او ضمير
القوم والعايد عليه الضمير في منهم لم يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل
قلوبهم بل قلوب فريق منهم تنبيها على شركة كلهم في الفرار على قدم
الشاقه في مثل تلك الحال وامتياز حلمهم على الباقين بقوة الثبات وفيه
اشارة الى جهة استحقاقهم لان يتوب الله عليهم وما في قوله من الابهام
انهم ليسوا من المهاجرين والانصار لعدم اختصاص المتبعين له عليه السلام
فيهما لا يخفى من التعظيم لشانهما والرفع لمكانهما من مظنة التشنيع

ثم تاب عليهم على الفريق الذي كاد تزيغ قلوبهم لكبد مرو بهم وعلى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت ان يعمهم وما تقدم في حق زلات سبقت من المهاجرين والانصار في يوم احد وحنين لا تغني عن هذا فلا تكرار وفي عبارة التراخي اشارة الى تاخر عفوهم الى تحلل المكر بسه وبين حرمتهم انه بهم روف رحيم استيناف تعليلي للجمع بين الاسمين للمبالغة والتاكيد وعلى الثلاثة الذين هم الذين تقدم فيهم واخرون مرجون معطوف على قوله والانصار خلفوا حروا وترك امرهم لم تقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم وكانهم خلفوا عن المعتذرين حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل في شدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط حيرة الوحشة والغم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه بالتوبة والاستغفار جات هذه الجمل في كيف اذا في غاية الحسن والترتيب حيث ذكرا ولا ما هو كناية عن ضيق المحل وثانيا ما هو كناية عن ضيق الحال والاول لا تغني عن الثاني لانه قد يضيق المحل وقد تكون النفس منشرحة وثالثا ما هو كناية عن الياس من الناس والانقطاع الى الله تعالى وحتى اذا كلمة غاية تقديره وطنوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التائبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة الاستيناف للتعليل بقوله ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في يوم الف مرة الرحيم المتفضل عليهم باصناف النعم وهم المستحقون بانواع النعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا في دين الله تعالى نية وقولا وعملا او في ايمانهم ومعاهدتهم الله تعالى ورسوله عليه السلام على الطاعة او في توبتهم وانابتهم فيكون المراد هولاء الثلاثة واضرابهم وقرئ من الصادقين ونسبة القراءتين الى المعاني المذكورة على السوا ما كان لاهل المدينة اي ما صح وجاز لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة والاسجع وجهينة

وعفار

وعفار ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ولفهم منهما الامر البلغ على وجه بملازمته عليه السلام اينما توجه غازيا وبذل النفوس دونه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي ولا ان يرغبوا عطفا على الاول ورغب اذا تعدى بفي والبا تفيد معنى الطلب واذا تعدى بعن تفيد معنى الترك والاعراض ومال المعنى لا يرضون تكونوا في خفض ودعة ورسول الله عليه السلام في شدة ونصب روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسنا فرشت له في الظل وبطت له الحصير وقربت له الرطب والما البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وما بارد وامراة حسنا ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح ورسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له وفي لا يرغبون يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى وجوب متابعته عليه السلام بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة مفعلة من خموص البطن وهو ضمور وكني به عن حال الجوع لانه ملازم لها والتنكير في الثلاثة للتقليل في سبيل الله في طريق الجهاد ولا يطون موطئا باقدامهم وارجلهم خف ... والموطا يجوز ان يكون مصدرا وان يكون موضعا كالمبرح يغيظ الكفار ويطيهم اياه ولا ينالون من عدو ولا ينقل منهم اذا جا الثالمين وانبط النفس الطبع ما يرى مما يسوه ويسخطهم نيلا شيا من قتل او جرح او ضرب او اسر او اخذ الا كتب لهم به عمل صالح اي حصل لهم كل واحد من هذه الاثار حسنة مقبولة فان كتابته كناية عن حصوله وذلك مما يجب المنافعة وانما قال به مع ذكرا شيا جميعا لانه لما ادخل بين كل شيين منها لا مكررا صار كل واحد منها مفردا بالذكر مقصودا بالوعد ولهذا قالوا من حلف لا ياكل خبزا ولا لحما لم يحنث للاثنين جميعا ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم فيه ابلاد بان للجهاد احسانا وان الاحسان يوجب الاجر فيكون تعليلا لكتب اما كونه احسانا بالنسبة الى المومنين فلما فيه من صيانة حوزة الاسلام عن استيلاء الكفار واما بالنسبة فلانه سعي في اصلاحهم وارشادهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون ليبرى

الدوا النافع ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة مثل
ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وتقدير النفقة الصغيرة مع
ان حقها التاخير للاهتمام بشانها لانها مظنة الحقر وعدم الالتفات
ولا يقطعون واديا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل
اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك
ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون احسن مصدرا ومفعول ثان اي جزاه
احسن اعمالهم واحسن جزا اعمالهم فيلحق ما دونه به شكرا لسعيهم
وتوفيرا لاجرهم وما كان المومنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي ومعنى
استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان
يثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش وهو تمهيد لوجوب النفر في طلب العلم لانه
فهم منه لو امكن نفر الكل ولم يود الى مفسدة لوجب وهذا الوجوب المتفق
على كل مسلم بقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة فاذا لم يكن نفر الكل ممكنا فانه المصلحة فهلا نفر من
كل فرقة كثيرة منهم كقبيلة واهل بلدة قليلة ليتفقهوا في الدين كله و
لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون اي ليتكلفوا الفقاهة
ويتحمل مشاق تحصيلها وجعلوا غرضهم في ذلك غايته سعيهم انذار
قومهم وارشادهم ارادة ان يحذروا والله تعالى في اجتناب معاصيه
وامتثال اوامره وتخصيص الانذار بالذكر وجمله واحدة فرض التفقه وان
كان العمل به اقدم واهم لانه اشرف واعلى لان التفقه لا يكون نفعها الا
عند العمل به فلو لم يعمل بما علم فليس نفعه ولا شك ان التكميل بعد
الكمال وكان العمل داخلا في التفقه وبعد الكمال للعلم والعمل لا يكون
الغرض منه الا التكميل وفيه دليل على ان التفقه في الدين والتذكير في
فروض الكفاية وخبر الاحاد حجة لعموم كل فرقة فلو كانت فرقة ورد به
لوجب خروج بعضهم للتفقه وانذارهم ولوجب عمل الباقين باخبارهم
وان لم يتواتر فانه غير ممكن فيه وفي الاية وجه اخر وهو ان
المومنين بعدما سمعوا ما انزل الله تعالى في المتخلفين عن غزوة تبوك
تسابقوا في الجهاد فكان اذا بعث رسول الله عليه السلام جيشا

النفر واعين لمخلفهم وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه وامروا ان
ينفر في كل فرقة طائفة ليتفقه الباقون في الدين ولا ينقطع التفقه الذي
هو الغرض من البعث وللجهاد الاكبر فان الجدال بالحجة اعظم اغراضا من الجدال
بالسيف ولينذروا قومهم النافرين الى الجهاد اذا رجعوا اليهم وعلى هذا
الوجه والضمير في ليتفقهوا ولينذروا قومهم واليهم للفرقة الباقين و
اذا رجعوا ولعلهم للطائفة النافرين وفيه تشتت الضماير وهو وان لم
يكن مخلا بالفصاحة عند انتظام المعنى وانسياق الذهن اليه لكن عدمه
اولى فالراجح هو الوجه الاول يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب قيل كان النبي عليه السلام
اذا ابكر بما يجاوره الكفار ويقاتل الاوجب لكون اهم لعدم انه لا يبالي
ولا يخاف من تركه فنزلت الاية تعليما للمومنين من الحرب كما علمهم ذلك
في ايات اخر من الامر باخذ الحذر واعداد ما استطاعوا من قوة وقيل
ان الذين يلونكم من الاعدا يوم نزول هذه الاية هم الروم الذين غزاهم
رسول الله عليه السلام غزوه الى تبوك وكان الامر متصلا بما تقدم من
غزوة تبوك وليجدوا فيكم غلظة خشونة وشدة وصبرا على القتال وقرئ
غلظة بالحركات الثلاث واعلموا فلهم وجه زيادة اعلموا في مثل هذا المقام
ان الله مع المتقين بنصرهم من اتقاه فهو تبشير لهم بالنصر واذا ما انزلت
سورة فمنهم اي من المنافقين من يقول لبعضهم ايكم زادته هذه
اي السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمومنين وقرئ ايكم بالنصب
على اضمار يفسره زادته فاما الذين آمنوا اي فاما المخلصون والقائلين
الاخبار عنهم وهو مقابلتهم على التوبيخ والتفصيل على ما تقدم فزادتهم
ايمانا بزيادة اليقين الحاصل من تدبر السورة وانضمامها وبما فيها
ايمانهم وهم يستبشرون وهم يفرحون بنزولها لزيادة كمالهم وارتفاع
درجاتهم بها حتى يتبين ذلك في وجوههم وبشرتهم واما الذين في قلوبهم
مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا
وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه انزل القران لقوم شفا
ولقوم شقا اولا يرون يعني المنافقين وانما فتحت الواو لانها دخل عليها

الف الاستفهام للتوبيخ فالكلام مستانف من وجه متصل من وجه
وقرئ بتاء الخطاب يعني المومنين والاستفهام للتعجب اي عجبا
منهم كيف قست قلوبهم وعميت ابصارهم عما يتتابع عليهم من انواع
المحن واصحاب الفتن انهم يفتنون اي يبتلون بانواع البليات او بالجهاد
مع رسول الله عليه السلام فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل
عام العام ههنا ليس عمومه بل مخصوص بقرينة المقام مرة او مرتين
قبل هذه الفتنة بهتك استارهم واظهار اسرارهم ثم لا يتوبون من
نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يتفطنون بما يصيبهم حتى ينتهوا عما هم
عليه وزيادة هم لان غيرهم يتفطنون باختبارهم ان سنة الله تعالى
ان لا يخلي ارباب التكليف من دلايل التعريف والتحريك لهم في كل وقت بنوع
من البيان والتحريك في كل اوان ضرب من الامتحان فمنهم من لا يزداد
بايضاح البرهان الا زيادة الخذلان والحجة على فرايد البيان واذا ما
انزلت سورة ذكر فيما سبق ما يحدث منهم من القول على سبيل الاستهزاء
وذكر ههنا ما يحدث منهم من الفعل استهزا نظر بعضهم الى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم
قايلين من احد من المسلمين يريدون الانصراف سرا لانهم لا يصبرهم
على الاستماع لغلبة الضحك يتشاورون في تدبير الخروج والانسلاخ
لغلبة الغيظ فان لم يرهم احد قاموا وان لم يرهم اقاموا انفا ثم انصرفوا
عن حضرته عليه السلام مخافة الفضيحة على صرف الله قلوبهم
الظاهر انه خبر لما كان الكلام في معرض ذكر الذنب بدا بالفعل المسوق
اليهم بقوله ثم انصرفوا ثم ذكر فعله بهم على سبيل المجازاة لهم في فعلهم
كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومن بلاغة القران وبديع نظمه
انه اذا كان القول في تعداد الذنب بدأ في ترتيبه من الجهة التي
هي عين الذنب كما في المثالين المذكورين ليكون هذا اشد تقريرا للذنب
عليهم واذا كان في تعداده نعمة الله تعالى بدأ في ترتيبه بالجملة التي
هي عينه تعالى كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ليكون ذلك منبها
على تلقي النعمة من عنده بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم

او عدم

300

أو عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول مخاطبة للعرب على جهة تقرير النعمة
عليهم في ذلك اذ جاء من كلامهم وجا بلسانهم وبما يفهمونه من الاغراض
والفصاحة وتشرفوا به غاية الاكرام وقرئ من انفسكم اي اشرفكم ثم
ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد
شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة والوقوع في العذاب
حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شانكم بالمومنين خاصة ففيه تعميم وجها
وتخصيص من وجه رؤوف رحيم الرافة اشد الرحمة والرحمة اعم منها
لان الرحمة تستعمل في كل نفع من المطر والسعة والعافية وغيرها
فكان المعنى الرؤوف الشفيق العطوف وفي الرحيم الموفق المفضل
فلكل منهما وجه تقديم على الاخر وقيل قدم الرافة على الرحمة لان الرافة
انما تكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الافات والنقايص التي تستحق
العقاب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التي بها تستحق
الثواب فالاولى من باب التزكية والثاني من باب التحلية ونسبتها
الى الاولى نسبة حريص الى عزيز فان تولوا فقل اي فان اعرضوا عن
الايمان بك فقل لهم وفيه تلوين الخطاب ووجه التفريع ان مقتضى
الرافة والرحمة ان لا يدعوا عليهم ولا يجازيهم بالفعل الذي يوذيهم اي
فاقتصر على القول الجامع للترغيب والترهيب حسبي الله فاستغني بالله
تعالى وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم وينصرك عليهم لا اله الا هو
كالدليل على التسليم والتوكل عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه
وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل
منه الاحكام والمقادير وعن ابي حنيفة رحمه الله اخر ما نزل هاتان
الايتان وقال البراء بن عازب رحمه الله اخر سورة انزلت كاملة
براءة ومن قال وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما انزل القران الا اية اية
وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما
سبعون الف صف من الملك فكانه نسي ما قدمه من قوله عن
رسول الله عليه السلام انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها
سبعون الف ملك الحديث ٥